

ديوان المصطفى الثاني

للإمام البغوي الأديب أبي هلال العسكري

عن فخر الأئمة العظماء: الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي
مع مقابلة المشكل بنسخة المخطوط البريطاني

دار الكتب

اهداءات ٢٠٠٢

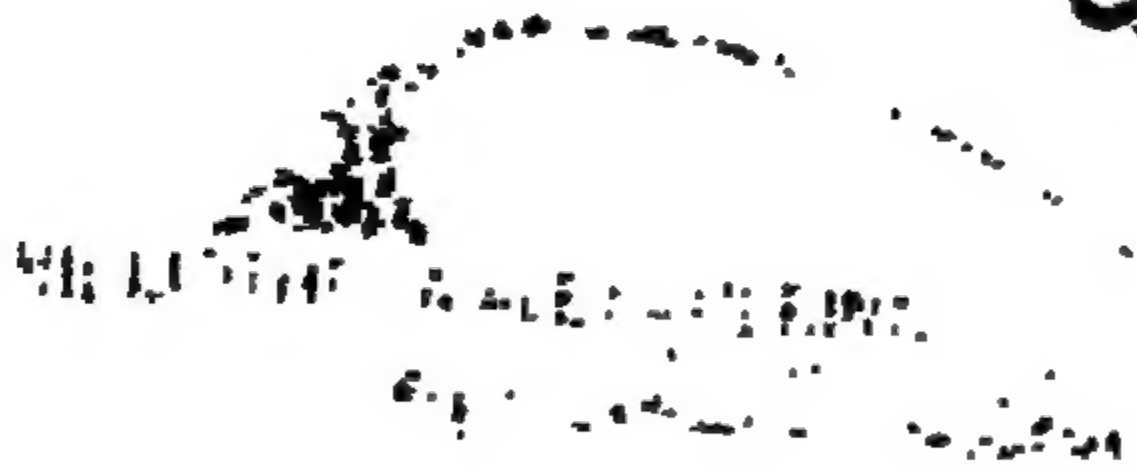
أد/ مصطفى الصاوي الجويني
الاسكندرية

ديوان المصنفات

للإمام اللغوي الأديب أبي هلال العسكري

عن نسخنا لأمامين العظمين : الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي .
مع مقابلة الشكل بنسخة المتحف البريطاني

الجزء الأول



كتب عربي
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
(هدايا) مكتبة الاسكندرية

رقم التسجيل ٩٠٩

عالم الكتب

(كلمة عن حياة المؤلف)

عن معجم الأدباء لياقوت وعيون التواريخ لابن شاكر

وشذرات الذهب لابن العماد، وغيرها

هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوى
العسكرى .

قال أبو طاهر السلفى : سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبي العباس الأبيوردى
رحمه الله يهذيان عنه فأثنى عليه ووصفه بالعلم والفقہ^(١) معاً ، وقال كان يتبرز احترازاً
من الطمع والدناءة والتبذل - وذكر فيه فصلاً هو فى سؤاله عن - وكان الغالب عليه
الأدب والشعر، وله فى اللغة كتاب ومعه بالتلخيص كتاب مفيد، وكتاب الصناعتين
صناعتى النظم والنثر وهو أيضاً كتاب مفيد جداً^(٢) .

ومن جملة من روى عنه : أبو سعد السمان الحافظ بالرى ، وأبو الغنائم بن حماد
المقرئ إملاء . وأنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى لنفسه :

قد تعاطاك شبابٌ وتفشاك مشيبٌ
فأنى مالىس يمضى ومضى مالا يؤوبٌ
فتأهبٌ لستقام ليس يشفيه طيبٌ
لاتوهمه بعيداً إنما الآتى قريبٌ

ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الموحّد بن محمد بن عبد الواحد الحنفى بتستر قال
أنشدنا أبو حكيم أحمد بن إسماعيل العسكرى أنشدنا أبو هلال الحسن بن عبد الله
ابن سهل اللغوى لنفسه بالعسكر :

(١) فى نسخة « العفة » مكان « الفقه » . (٢) سيذكر باقى مصنفاته بعد .

إذا كان مالى مالٌ من يلقطُ المعجم وحالى فيكم حالٌ من حاكٌ أو حجم
فأين انتفاعى بالأصالة والحجا وما ربحتُ كفى على العلم والحكم
ومن ذا الذى فى الناس^(١) يصيرُ حالى فلا يلعنُ القرطاسَ والخبرَ والقلم
ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الحنفى بتسنى قال أنشدنى أبو حكيم اللغوى قال
أنشدنا أبو هلال العسكرى لنفسه :

جلوسى فى سوقٍ أبيعُ وأشتري دليلٌ على أن الأثامَ قرودُ
ولا خيرَ فى قومٍ تذلُّ كرامهم ويعظمُ فيهم نذلهم ويسودُ
وتهجوهمُ غنى رثائهُ كسوفى^(٢) هجاءٌ قبيحاً ما عليه مزيدُ
ومما أنشدناه أبو غالب الحسين بن أحمد بن الحسين القاضى بالسوس قال أنشدنا
المظفر بن طاهر بن الجراح الاسترأباذى قال أنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله
ابن سهل اللغوى العسكرى لنفسه :

يا هلالاً من القصورِ تدلّى صامَ وجهى لمقلتيهِ وصَلّى
لستُ أدري أطلالَ ليلٍ أم لا كيفَ يدري بذاك من يتقلّى
لو تفرَّغتُ لاستطالةِ ليلى ولرعى النجومُ كنتُ مخلى
هذا آخر ما ذكره السلفى من حال أبى هلال .

قال ياقوت : وهذه الأبيات الأخيرة التى منها * لست أدري أطلال ليلى أم لا *
والبيت الذى بعده رأيتُه فى بعض الكتب منسوباً إلى خالد الكاتب والله أعلم^(٣) .
هذا عن السلفى . وذكر غيره أن أباه هلال كان ابن أخت أبى أحمد العسكرى .
وله من الكتب بعد ما ذكره السلفى : كتاب ديوان المعاني وهو من أحسن الكتب^(٤)

(١) فى عيون التواريخ (فى الدهر) . (٢) فى عيون التواريخ (رثائهُ ملبسي)

(٣) لعل الغلط من الراوى لأن أباه هلال نفسه ذكر الأبيات فى الجزء

الأول من هذا الكتاب فى الصفحة ٣٥٠ منسوبة لخالد الكاتب .

(٤) يثنى ابن شاكر فى عيون التواريخ على (ديوان المعاني) فلهذا اطلع عليه .

وكتاب جهرة الأمثال . كتاب معاني الأدب . كتاب من احتكم من الخلفاء
إلى القضاة . كتاب التبصرة وهو كتاب مفيد . كتاب شرح الحماسة . كتاب
مفاخرة الدرهم والدينار . كتاب المحاسن في تفسير القرآن خمس مجلدات . كتاب
العمدة . كتاب فضل العطاء على العسر . كتاب ماتلحن فيه الخاصة . كتاب
أعلام المعاني في معاني الشعر . كتاب الأوائل . كتاب ديوان شعره . كتاب
الفرق بين المعاني . كتاب نوادر الواحد والجمع . كتاب الفروق :

قال ياقوت : وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء ، غير أنني وجدت في آخر كتاب
الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت
من شعبان سنة ٣٩٥ ، ولبنفسهم :

وأحسن ما قرأتُ على كتاب بخط العسكري أبي هلال
فلو أني جعلتُ أميرَ جيشٍ لما قاتلتُ إلا بالسؤال
فإنَّ الناسَ ينهزمونَ منه وقد ثبتوا لأطرافِ العوالي
وقال أبو هلال العسكري في تفضيل الشتاء على غيره من الأزمنة :
فترتُ صبوتي وأقصرَ شجوي وأتاني السرورُ من كلِّ نحوٍ
إنَّ رَوْحَ الشتاءِ خلصَ رُوحِي من حرورِ تشوي الوجوه وتكوي
بردَ الماءِ والهواءِ كأنَّ قد سرقَ البردُ من جوانحِ خلوي
ريحهُ تلمسُ الصدورَ فتشفي وغماماته تصوبُ فتروى
لستُ أنسى منه دَمَائَةَ دجنٍ ثمَّ من بعده نَضَارَةُ صحوي
وجنوباً تبشرُ الأرضَ بالقَطْرِ كما بُشِّرَ العليلُ ببرو
وغيوماً مطرزاتِ الحواشي بوميضٍ من البروقِ وخفوي
كلما أرختِ السماءُ عُراها جمعَ القطرِ بينَ سُفلٍ وعلو
وهي تعطيكِ حينَ هبتِ شمالاً بردَ ماءٍ فيها ورقَّةٌ جَوُّ
وترى الأرضَ في ملاءةٍ تلج مثلَ ربطٍ لبسته فوقَ فرو

فاستعار العراء^(١) منها لباساً سوف يعني من الرياح بنضو
 فكان الكافور موضع تريب وكان الجمان موضع قزو
 وليال اطلب مدة درمي مثلما قد مدد في عمر لهوى
 مر لي بعضها ببقه وبعض بين شعر اخذت فيه ونحو
 وحديث كأنه عقد رياء بت أرويه للرجال وتروى
 في حديث الرجال روضة أنس بات يرعى بأهل نبل ومسرو^(٢)
 ومن شعره في ارتفاع السفل :

لا يفرونكم علوه لثيم فملوه لا يستحق سفال
 فارتفاع الغريق فيه فضوح وارتفاع المصلوب فيه نكال

(١) في الأصل « العراء » . (٢) أكثر هذه الأيات غير موجود في ديوان
 المعاني ، مما يدل على كثرة نظم أبي هلال وسعة ديوانه رحمه الله .

ما تعدت فيه طورك عندي فمخز منه يا ابن طير
 وحدثني ابراهيم عن ابيه عن احمد قال حدثني ابو دعامه الشاعر
 قال كنت العنابي الى مالك بن طوف يستزيده ويستهديه ويدعوه
 الى ضله الرحم والقرايه بينه وبينه وكان ما كنت ان ذراتك من
 قرب منك خبره وان ابن عمك من عم تنعه وان عسر ناسك
 احسن معاشرتك وان احب الناس اليك امدام بالمنفعه
 عليك وان اهدام الي مودتك من اهدى اليك ولا الا قول
 ولقد بلوت الناس ثم سبوتهم ووصلت ما قطعوا من الاسباب
 فاذا القرايه لا تقرب قاطعا واذا البوده اقرب الانساب
قال ابو هلال رحمه الله

هذا اخر ما راينا في هذه الكتاب وياتي الترمذي
 والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على جلائل نعمه وفواضل آلائه وقسمه والرغبة إليه فيما يزلف لديه ويمهد المنزلة عنده ويوجب الحظوة قبله والصلاة على خير بريته محمد وعترته .
قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله تعالى : جمعت في هذا الكتاب أبلغ ما جاء في كل فن وأبديع ما روى في كل نوع من أعلام المعاني وأعيانها إلى عواديبها وشذاذها ، وتخيرات من ذلك ما كان جيد النظم محكم الرصف غير مهمل رخو ولا متجعد فج ، وهذا نوع من الكلام لا يزال الأديب يسأل عنه في المجالس الخافلة والمشاهد الجامعة إذا أريد الوقوف على مبلغ علمه ومقدار حفظه فإن سبق إليه بالجواب جل قدره وفخيم أمره ، وإن نكص عن ميدانه وشال في ميزانه قلت الرغبة فيه وانصرفت القلوب عنه ، وذلك مثل ما أخبرنا به أبو أحمد الحسن ابن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى^(١) قال : كان بعض من ينتحل الأدب يريد الدخول في جملة أبي الفضل محمد بن الحسن بن العميد^(٢) لمناذمته ، وشفع له في

(١) هو شيخ المصنف وصيه اللغوي العلامة ، يروى عنه في هذا الكتاب كثيراً ، ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وكان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع العلوم والتحقيق في التأليف ، توفي سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . وقد اختلط السنيان على صاحب الأعلام وهما في الإمامة علان .

(٢) الملقب بالجاحظ الثاني ، كان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم ، وأما

ذلك جماعة من بطائنه فأحضره يوماً وفارضه ليقف على مقداره في المعرفة فقال له
 فيما قال : ما أحسن ما قيل في صفة شعر ؟ فبقي ملياً يتفكر فقال أبو الفضل : فتدعند
 خاطرك حُداجة ، ثم قال هات أيها الشيخ فقلت أحسن ما قاله قديم في ذلك قول الشاعر :
 فان أهلك فقد أبقيتُ بعدى قوافي تُعجبُ التمثيلينا
 لذيدات المقاطع محكات لو أن الشعر يُلبسُ لارتدينا
 وأحسن ما قاله محدث قول أبي تمام ^(١) :

ووالله لا أنفكُ أهدى شوارداً إليك يُحملنَ الثناء المنخلا
 تخالُ به بُرداً عليك محبراً ونحسبها عقداً عليك مُفصلاً
 ألدُّ من السلوى وأطيب نفحةً من المسك مفتوقاً وأيسر محملاً
 أخفُّ على رُوح وأقل قيمةً وأقصرَ في ممع الجليس وأطولاً
 ويُزهي به قومٌ ولم يمدحوا بها إذا مثل الراوى بها أو تمثلاً

الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد ، كان كامل الرياسة جليل القدر ، من بعض
 أتباعه الصاحب بن عباد ، ولأجل صحبته له قيل له الصاحب ، وكان له في الرسائل اليد
 البيضاء . قال الثعالبي : كان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بآب العبيد..
 وكان الصاحب بن عباد قد سافر إلى بغداد فلما رجع إليه قال له كيف وجدتُها ؟ فقال
 بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد ، وكان يقال له الأستاذ . وكان سائساً مديراً
 للملك قائماً بحقوقه ، وله شعر رقيق ، وقصده جماعة من مشهورى الشعراء من
 البلاد الشاسعة ومدحوه بأحسن المدائح ، منهم أبو الطيب المتنبي ، توفي سنة ٣٦٠ .
 (١) هو حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور ، ولد بسورية وجاب البلاد
 ومدح الخلفاء وغيرهم ، قال ابن الأثير : أما أبو تمام فرب معان وصيقل ألباب
 وأذهان ، وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر ، فمن حفظ شعر الرجل
 وكشف عن غامضه وراض فكره برائضه أطاعته أعنته الكلام وكان قوله في
 البلاغة ما قالت حزام ، مات سنة ٢٣١ - كافي شذرات الذهب وغيره .

وقوله : إن القوافي والمساعى لم تزل مثل النظام ^(١) إذا أصاب فريدا
هي جوهرة نثرية قالت ألفتها بالشعر صار قلائداً وعُقودا
في كل معترك وكل مقامة يأخذن منها ذممة وعهودا
فإذا القصائد لم تكن خفراءها لم ترض منها مشهداً مشهودا
من أجل ذلك كانت العرب الألى يدعون ذلك ^(٢) سُودداً مجدودا
وتند عندهم العلا الأعلى التي جعلت لها مَرَرُ القريض ^(٣) قيودا
قال وبقي الرجل لا يفيض بكلمة ثم خرج ولم يعد . قوله فند يعني أن خاطره بطيء .
وفند هذا مخنث كان بالمدينة مولى لعائشة بنت أبي وقاص ^(٤) ، وكانت بعثته
ليقتبس ناراً فأتى مصر وأقام بها سنة ثم جاء بنار وهو يعدو ففتر فتبدد الجمر فقال
تعتت العجلة فقالت فيه :

بعتك قابساً فلبثت حولاً متى يأتي غياثك من تعيث
وقال الشاعر : مارأينا لغراب ^(٥) مثلاً إذ بعثناه لحمل المشله ^(٦)
غير فند أربسلوه قابساً فتوى حولاً وسب العجلة
فتمثلت العرب به فقالت أبطأ من فند . وحداجة رجل يضرب به المثل في
السرعة فليل أسرع من حداجة ^(٧) .

ومن سبق إلى الجواب عن هذا النوع فخطي النضر بن شميل ^(٨) أخبرنا أبو

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع « مثل الجمان » وهو اللؤلؤ . (٢) في الديوان
المطبوع « يدعون هذا » . (٣) في الديوان « مرر القصيد » . (٤) في مجمع الأمثال :
بنت سعد بن أبي وقاص . (٥) غراب إسم رجل . (٦) المشلة كساء تجمع فيه
المقدحة بالآلاتها ، وقيل ثوب يشتمل به وقيل غير ذلك . (٧) وهو رجل من عبس .
(٨) وهو النضر بن شميل المازني البصري كان رأساً في الحديث رأساً في اللغة
والنحو ثقة صاحب سنة ، ضاقت معيشته بالبصرة فرحل إلى خراسان فشيعة من
البصرة نحو من ثلاثمائة طالم ، توفي سنة ٢٠٣ كما في شذرات الذهب وغيره .

أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد قال حدثني أبي قال حدثنا إبراهيم بن حامد قال حدثنا أبو بشر محمد بن ناصح الاصبهاني عن النضر بن شميل المازني قال : كنت أدخل على المأمون في ممره فدخلت عليه ذات ليلة وعلى قميص مرقوع فقال يا نضر ماهذا القشف ^(١) فقلت يا أمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف وحر مر وشديد فأتبرد بهذه الخلقان، قال لا ولكنك قشف فأجرينا الحديث إلى أن أخذ المأمون في ذكر النساء فقال : حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كن فيها سداداً من عوز » فقلت صدق يا أمير المؤمنين هشيم حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كن فيها سداداً من عوز » قال وكان متكئاً فاستوى جالساً فقال يا نضر كيف قلت سداد قلت يا أمير المؤمنين السداد ههنا نحن قال ويحك أتلهجني قلت إنما نحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه ، قال فما الفرق بينهما ؛ قلت السداد القصد في الدين والسييل ، والسداد البلغة وكل ماسدت به شيئاً فهو سداد ، قال وتعرف العرب هذا ؟ قلت نعم العرجي ^(٢) يقول :

أضاعوني وأى فتي أضاعوا ليوم كريهة وسداد تغر

قال قبيح الله من لا أدب له ، ثم أطرق ملياً ثم قال : أنشدني أخلب بيت قائمه العرب قلت حمزة بن ببيض ^(٣) يقول في الحكم بن مروان :

(١) القشف : رثاء الهيئة . (٢) هو الشاعر المشهور ، منسوب الى الصرج منزلة بين مكة والمدينة ، وكان حبسه محمد بن هشام الخزومي أمير مكة لما شبب بأمه فأقام بالحبس سبع سنين ومات فيه عن ثمانين سنة ، وبعد البيت المذكور :

وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أستها بنحري

(٣) شاعر مجيد من أهل الكوفة ، كان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ثم إلى بلال بن أبي بردة . توفي سنة ١٢٠ هـ « ببيض » بكسر الباء الموحدة وسكوني

يقولون لي والميئون هازعة أقيم علينا يوماً فلنم أقيم
 أي الوجوه استجعت قلت لها وأي وجه إلا إلى الحكم
 متى يقل صاحباً سرادقه هذا ابن ييض بالباب يتيسم
 قد كنت أسلمت فيك مقتبلاً فهات أذحل أو بقي سلى
 فقال أحسن ما شاء ، أنشدني أنصف بيت قالت له العرب قلت ابن غزوية المدي
 حيث يقول :

إني وإن كان ابن عمي واغراً لمزاحم من خلفه وورائه
 وميمده بصري وإن كان امراً مستزحزحاً في أرضه وسماؤه
 وأكون والى سره فأصوته حتى يحين على وقت أدائه
 وإذا الحوادث أجمعت بسوامه^(١) قرنت صبيحتنا إلى جربائه
 وإذا دعا باسمي لترك مركبا صعباً فعدت له على سبائه^(٢)
 وإذا رأيت له رداءً فاضراً لم يلفني متمنياً لردائه
 فقال أحسن ما شاء ، أنشدني أقنع بيت للعرب قلت الراعي^(٣) حيث يقول :
 أطلب ما يطلب الكريم من السرزق لنفسي فأجمل الطلب
 وأحلب الذرة الصفاء ولا أجهد أخلاف غيرها حلباً
 إني رأيت الفتي الكريم إذا رغبته في صنعة رغباً
 والنذل لا يطلب الصلاة ولا يعطيك شيئاً إلا إذا رهبا
 مثل الحمار الموقع السولا يجسن شيئاً إلا إذا ضرراً
 ولم أجد غرة الخلائق إلا الدين لما اعتبرت والحسباً

الباء آخر الحروف وآخرها ضاد معجمة ، على مانص عليه في الوافي بالوفيات
 والتاج ، ويضبطه كثيرون بالفتح وهو خطأ . (١) السوام : الابل . (٢) السبساء
 بالكسر : منتظم فقار الظهر ، ومن الفرس حاركه ، ومن الحمار ظهره . القاموس .
 (٣) هو الشاعر عبيد بن حصين الراعي النخري : من معاصري جرير والفرزدق .

قَدِ يَرْزُقُ الْخَالِقَ الْمُقِيمُ وَمَا شَدَّ بِسَيْبِشَ رَحَلًا وَلَا قَبَا
وَيَحْصِرُ الرِّزْقَ ذُو الْمَطِيَّةِ وَالسَّرْحِ وَمَنْ لَا يَزَالُ مُغْتَرِبًا
فَقَالَ أَحْسَنُ مَا شَاءَ ، مَا مَالُكَ يَا نَضْر ؟ قُلْتَ أَرِيضُ لِي بِعَمْرِو أَنْصَابِهَا وَأَعْمَدُهَا قَالَ
أَلَا ^(١) نَفِيدُكَ مَعَ ذَلِكَ مَا لَا ؟ قُلْتَ إِنِّي إِلَى ذَلِكَ مُحْتَاجٌ قَالَ فَأَخَذَ الْقِرْمَاطَ وَكَتَبَ
وَلَا أَبْدِرِي مَا كَتَبَ ، قَالَ كَيْفَ تَقُولُ مِنَ التَّرَابِ إِذَا أَمَرْتُ أَنْ تَتَرَبَّ ؟ قُلْتَ أَتَرَبُّهُ ،
قَالَ فَهُوَ مَاذَا ؟ قُلْتَ مَتَرَبُّ ، قَالَ فَمِنْ الطِّينِ ؟ قُلْتَ طِنُهُ ، قَالَ فَهُوَ مَاذَا ؟ قُلْتَ مَطِينٌ ،
قَالَ هَذِهِ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى ثُمَّ قَالَ يَا غُلَامُ أَتَرَبُّهُ وَطِنُهُ ، ثُمَّ صَلَّى بِنَا الْعِشَاءَ ثُمَّ قَالَ
لِعَلَّامِهِ تَبْلُغُ مَعَهُ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ . فَأَتَيْتُهُ فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ قَالَ يَا نَضْرُ إِنَّ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَكَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَمَا كُنَّ السَّبَبُ فَأَخْبَرْتَهُ وَلَمْ أَكْذِبْهُ فَقَالَ
لَحَنَتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقُلْتَ كَلَّا أَمَّا لِحْنُ هَشِيمٍ وَكَانَ لِحَانَةً فَتَبِعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِقَظِهِ
وَقَدْ تَبِعَ الْفُقَهَاءَ ، فَأَمَرَ لِي الْفَضْلُ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا فَأَخَذْتُ ثَمَانِينَ أَلْفًا بِحَرْفِ اسْتِفَادَةٍ مِنِّي .
وَأَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ قَالَ أَخْبَرَنَا الصُّوْلِيُّ قَالَ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمُهَلَّبِيُّ قَالَ
حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ جَرَى فِي مَجْلِسِ الْوَائِقِ بِاللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ
فَأَمَرْتُ أَنْ يُسَأَلَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ فَسُئِلَ بَعْدَ أَنْ أَحْضَرَ فَقَالَ أَحْسَنُهُ
قَوْلُ حَكِيمٍ وَهُوَ شَاعِرُ عَصْرِهِ النَّزَمِ بْنِ تَوَلْبِ الْعَمَلِيِّ ^(٢) :

وَفِيَّةٌ كَالسُّيُوفِ أَحْصَرُهَا لَا أَحْصَرُ فِيهِمْ وَلَا بِخَلٍ
بَيْضٌ مَسَامِيحٌ فِي الشَّوَاءِ وَإِنْ أَخْلَفَ نَجْمٌ عَنْ وَبَلِّهِ وَبَلُّوا ^(٣)
لَا يَتَأَرَّوْنَ ^(٤) فِي الْمَضِيقِ وَإِنْ نَادَى مُنَادٍ أَنْ انْزِلُوا انْزَلُوا
لَا يَعْتَرِي شَرِبْنَا اللَّجَاءَ وَقَدْ تُوْهِبُ فِينَا الْقِيَانُ وَالْحَلَلُ
فَاسْتَحْسَنَ الْوَائِقُ الْآيَاتِ وَوَهَبَ ^(٥) أَبَا مُحَمَّدٍ .

(١) فِي نَسْخَةِ « أَفْلَا » : (٢) مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ كَبِيرًا ،
وَكَانَ وَجِيهًا جَوَادًا . (٣) الْوَيْلُ : الْمَطَرُ الشَّدِيدُ . (٤) تَأْرَى بِالْمَكَانِ : اخْتَبَسَ .
(٥) فِي نَسْخَةِ « وَوَصَلَ » .

فحاجة الأديب إلى هذا الفن شديدة وفاقتة إليه عتيدة ، وأولى ما يصنف ويؤلف
ويقرب مأخذه ويسهل ما كانت الحاجة إليه هذه الحاجة فوقت العناية عليه وانصرفت
بالاهتمام إليه حتى تهذب وتثقف وتشذب وتلدانت شعبه وتقاربت سبله ولم أبال
مألني فيه من زيادة تعب وفضل كد ونصب إذ لم يكن الانسان يبلغ ما يريد وينال
ما يرغب ^(١) إلا بتكلفة لغوب ^(٢) ومواصلة دؤوب لاسيا إذا كان الغرض الذي
ينزع إليه جسيا يكسبه حسن الذكر ويمنحه طيب النشر من علم يتقنه أو بصنفة
ويدونه أورياسة أرادها فارتادها وسيادة طلب اقتيادها وليس ذلك للمتواهي المتهاون
ولا المتواكل المتواهن ، وقد قيل :

سَهَرَتْ عُيُونُهُمْ وَأَنْتَ عَنِ الَّذِي قَاسُوهُ حَالِمٌ
وقيل : وإن سيادة الأقوام فاعلم لها صعداء مطلقها طويل
وقيل : ان السيادة والرياسة والعلى أعبأهن كما علمت فقال
وقيل : وإن جسيات الأمور منوطة بمستودعات في بطون الأساود
وقلت : * إن الأمور مزيجها في المتعب * وفي المثل « عند الصباح يحمد القوم
السرى » وقيل * ما لن لم يركب الأهوال حظ * وقلت :

وَلَمْ يَتَسَهَّلْ لِلْفَتَى دَرَكُ الْعُلَا إِذَا هُوَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْمُتَصَعِبِ

ومن كانت له حاجة في الشيء اشتغل به وفرغ له واستندب التعب فيه حتى بلغ
مراده منه وقيل :

طَوَامِسُ لِي مِنْ دُونِهِنَّ عَدَاوَةٌ وَلِي مِنْ وَرَاءِ الطَّامِسَاتِ حَيْبٌ
بعيد على من ليس يطلب حاجة وأما على ذي حاجة فقريب
والذي حداني على جمع هذا النوع أيضا اني لم أجد فيه كتابا مؤلفا ولا كلاما مصنفًا
يجمع فنونه ويحوى ضروبه ، ورأيت ما تفرق منه في أثناء الكتب وتضاعيف
الصحف غير متنع يشفي الراغب ويكفي الطالب في جمعتها ههنا وأضفت إلى كل نوع منه

(١) أراغ : أراد وطلب . (٢) أي متعبة أشد تعب كما في القياموس .

ما يقاربه من أمثاله وما يجري معه من أشكاله ليكون مادة للمناقضة وقوة للمفاوضة ،
وجعلته نظماً وثراً وخبراً وشعراً لأبعث به نشاط الناظر وأجلى به صداء الخاطر .
لأن الخروج من ضرب إلى ضرب أنقى لللال وأعدى على الكلال من لزوم نهج
لا يتعداه والاقتصار على أمر لا يتوخى سواه .

وجعلته إثني عشر باباً : الباب الأول : في التهانى والمديح والافتخار .

الباب الثانى : في الخصال .

الباب الثالث : في المعاتبات والهجاء والاعتذار .

الباب الرابع : في الغزل وأوصاف الحسان .

الباب الخامس : في ذكر النار والطبخ وأنواع الطعام وصفات الشراب
وما يجرى مع ذلك .

الباب السادس : في ذكر السماء والنجوم والشمس والقمر وما يجرى مع ذلك .

الباب السابع : في ذكر السحاب والمطر والثلوج والمياه وصفات البساتين
والرياض والأشجار والثمار والرياحين والتسيم وما يجرى مع ذلك .

الباب الثامن : في ذكر السلاح والحرب وما يشبه ذلك .

الباب التاسع : في ذكر القلم والخط والكتاب وصفة البلاغة وما يجرى مع ذلك .

الباب العاشر : في ذكر الخيل والابل والسير والغلوات والسراب وصفة
سائر الحيوانات .

الباب الحادى عشر : في ذكر الشباب والمشيب والعلل والموت والمرأى
والتعازى والزهد .

الباب الثانى عشر : في صفات أشياء مختلفة .

ثم رأيت أصحابنا يشكون طوله وكبير حجمه وبعد غايته فجعلت كل باب منه
ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليخف محمله ويقرب مأخذه ، على أن فوائد الكتاب
على قدره في صغره وكبره ولكن ينبغي أن يحمل على كل بقدر طاقته ويكلف

على حسب قدرته ويحدث بما ينشط لاستماعه ويتسع لوعيه ، وتقريب الحكمة
حكمة ثانية ويكسوها المحبة ويوجد اليها الرغبة ، وأرجو أن أوافق الصواب في
جميع ما ضمنت هذه الأبواب : وإن وجد في بعض فصوله خطأ أو تعرض فيه زلل
أو تخلله خلل فغير بديع ولا قبيح شنيع لأن النقصان منوط بالإنسان لا يسلم منه
خلقه وخلقه وقوله وفعله وقد شمل العيب كل شيء حتى صارت في وجنة القمر
سفة ، وقد قلت :

وفي كل شيء حين تخبر أمره معائب حتى البدر أكلف أسفع
والشيء إذا سلم جله فقد حسن كله وبالله التوفيق :

﴿ كتاب المبالغة ﴾

في المديح والتهاني والافتخار وهو الباب الأول
من كتاب ديوان المعاني وهو ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المديح ﴾

محمّد أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى يقول أمدح بيت
قاله العرب قول النابغة الذبياني ^(١).

ألم تر أنّ الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب ^(٢)

(١) هو زياد بن معاوية ، لقب بالنابغة لنبوغه في الشعر ، كان يمرض عليه
الشعراء قصائدهم في سوق عكاظ ، وهو أحد أصحاب المملقات ، كان حظي باقبال
النعمان بن المنذر ، ثم هرب خيفة من بطشه بعد أن شبيب بزوجته ، ثم عفا عنه
ورجع إليه ، مات سنة ١٨ قبل الهجرة . وقيل لقب بالنابغة ببعض شعره .

(٢) السورة : المقام والمكانة ، والملك : الملك ، ويتذبذب : يضطرب .

بأنك شمسٌ والملك^(١) كواكبٌ إذا طلعت لم يَبْدُ منهم كوكب
ثم قال أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى بن العباس قال حدثني أبو ذكوان قال : أدخلت
إلى إبراهيم بن العباس وهو بالأهواز لخدمته فقال ما تقول في شعر النابغة * ألم تر أن
الله أعطاك سورة - البتين قتلت ما عندي فيه إلا الظاهر المشهور يقول فضلك على
الملك كفضل الشمس على الكواكب فقال نفهم معناه قبل هذا إنما يعتذر إلى
النعمان من مدحه آل جفنة الفسانيين وتركه له ويريد أن له في مدحه لهم عذراً
ألا ترى إلى قوله :

ولكني كنتُ امرأً لى جانب من الأرض فيه مُستَراذٌ ومَذْهَبٌ
مُلُوك^(٢) وإخوان إذا ما أتيتهم أَحَكَّم في أموالهم وأقرب
حكمتك في قوم أراك اصطفتهم^(٣) فلم ترهم في مُشكر ذلك أذنبوا
يقول لا تُلني على شكري وقد أحسنوا إلى إذ لجأت إليهم وإن كانوا أعداءك كما
أحسنتم إلى قوم فشكروك عند أعدائك فقد أحسنوا ولم يذنبوا ، ثم قال اعمل على أي
أذنبت فمن أين تجد من لا يذنب فقال :

ولست بمُستَبقٍ أخاً لاندُّهُ على شعث أي الرجال المهذب
فإن أكُ مظلوماً فعبد ظلمته وإن يك ذا عُتبي فمثلك يُعتب
يقول مثلك يعبو ويحسن وإن كان عاباً وفي كرمك ما يفعل ذلك ولك

العتبي والرجوع إلى ما يجب ، ثم فضله عليهم فقال :
ألم ترَ أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
بأنك شمسٌ والملك كواكب إذا طلعت لم يَبْدُ منهم كوكب
يقول ما صلحت لي أنت قاني لا أريد غيرك من الملوك كما أن من طلعت عليه

(١) في الأصل هنا «النجوم» مكان «الملوك» الموجودة في ديوان النابغة
المطبوع ، وفي الأصل بعد أسطر كذلك . (٢) وهم ملوك غسان . (٣) الذي في
ديوان النابغة المطبوع « كفعلك في قوم أراك اصطفتهم » .

الشمس لم يحتاج الى النجوم . قال أبو ذكوان وما رأيت أعلم بالشعر منه . ثم قال لو أراد كاتب بليغ أن ينثر من هذه المعاني ما نظمه النابغة ما جاء به في أضعاف كلامه ، وكان يفضل هذا الشعر على جميع أشعار الناس / وقد سبق بعض شعراء كندة النابغة الى هذا المعنى فقال يمدح عمرو بن هند :

تَكَادُ تَمِيدُ الْأَرْضُ بِالنَّاسِ إِنْ رَأَوْا لِعَمْرَوَيْنِ هِنْدٍ عَصَبَةً وَهُوَ طَائِبٌ
هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت على كل ضوء والملوك كواكب
ورقالت صفية الباهلية :

أَخْبَنِي عَلَى مَالِكٍ رَيْبُ الزَّمَانِ وَلَا يَذَرُ
كُنَّا كَأَنْجِيمٍ لَيْلَ يَمْنَانَا قَمَرٌ
يُبْقِي الزَّمَانَ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَذَرُ
يَجْلُو الدُّجَى فَهَوَى مِنْ يَمْنَانَا الْقَمَرُ
ومن ههنا أخذ أبو تمام :

كَأَنَّ بَنِي نَبَهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ
نَجُومٌ مِمَّا خَرَّ مِنْ يَدَيْهَا الْبَدْرُ
وقال نصيب في معنى النابغة :

هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَاكِبُ حَوْلُهُ وَهَلْ يَشْبَهُ الْبَدْرَ الْمَضَى الْكَوَاكِبُ
ومثل قول النابغة . * احكم في أموالهم وأقرب * قول الأشجع (١) :
لَا تَعْذِلُونِي فِي مَدِيحِي مَعْشَرًا خَطَبُوا الْمَدِيحَ إِلَى الْأَمْوَالِ
يَتَزَحُّونَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا عَنْ كُلِّ مُتَّكِئٍ مِنَ الْأَجْلَالِ
وسمعت أبا أحمد يقول : أبرع بيت قيل في المديح قول النابغة :

فَأَنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنْ الْمَتَى عَنْكَ وَاسِعٌ

ثم قال أخبرني محمد بن يحيى قال أخبرنا عون بن محمد الكندي أخبرنا قعنب بن محرز قال سمعت الأصمعي قال سمعت أبا عمرو يقول كان زهير يمدح السوق ولو ضرب أسفل قدميه مائة على أن يقول مثل قول النابغة * فأَنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي *

(١) هو أشجع بن عمرو السلمي من فحول الشعراء ، مدح البرامكة ، وتقرب

من الرشيد ، ومات بعده .

ماقاله فمأ لا يقول مثله زهير كان غيره أبعد منه .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن السكن بن سعيد عن محمد بن عباد قال سمعت أبا عبد الله نفطويه يذكر عن الفراء . قال قال الكسائي حضرت مجلساً للخليل بن أحمد وقد جمع بينه وبين يونس بن حبيب ^(١) عند العباس بن محمد في مناقشة اللغات ومجاريها ونوادير الأعراب ومذاهب العرب ومجازها وأخبارها فكان الخليل كالسابق قرن به ذوالزوائد الحطيم في حلبة المضمار إلى أن تذاكروا ^(٢) الأشعار والشعراء فأكثر يونس من ذكر زهير وتقديمه وذكر الخليل النابغة وقدمه وعظم أمره فقال العباس للخليل بم تذكر النابغة ؟ قال كان النابغة أعذب على أفواه الملوك وأبسط قوافي شعر كأن الشعر ثمرات تدانين من خلده فهو يجتنيهن اختياراً ، له سهولة السبق وبراعة اللسان ونقاية الفطن لا يتوعر عليه الكلام لعذوبة مخرجه وسهولة مطالبه . أخبرنا شيخ لباهلة يكنى أبا جحار أن النابغة وفد على النعمان معتذراً من تلك البلاغات ومعه اعتذاره الذي يقول فيه :

* فانك كالليل الذي هو مدركي * فقال النعمان أقبل منك عذرك وأصفح لقدرك عنك ثم أمر نفلح عليه خلع الرضا وكن حبرات خضر مطرفة بالدر في قضيب الذهب وانصرف إلى منزله . قال الباهلي وإن النابغة جاء يوماً مستأذناً معتذراً فقال له الحاجب الملك على شرا به قال فهو وقت الملق والشعر تقبله الأثدة عند السكر فان يبلغ لي فلق المجد عن غررموا به فانت قسيم ما أفدت . فقال الحاجب والله ما تنق عناقيتك بدون شكرك لي فكيف أرغب فيما تصف ودون ما ترغب رهبة التعدي فهل من سبب يمكن الاستئذان . فقال النابغة فعلت ما يجب عليك في الأدب وقضاؤها معقود

(١) هو الأديب النحوي ، أخذ الأدب عن أبي عمرو بن العلاء وغيره ، وهو في الطبقة الخامسة في الأدب بعد علي كرم الله وجهه ، اختلف إليه أبو عبيد أربعين سنة وخلف الأحمر عشرين سنة ، وله عدة تصانيف ، توفي سنة ١٨٢

(٢) في الأصل « تذاكر »

بشكرك فمن عنده ؟ قال خالد بن جعفر الكلبي فقال أين أنت عنه بما أقول لك قال قل قال تقول له خاليا إن زياداً يقول إن قدرك فوق الغمام ووفاءك وفاء الكرام - وقال الفراء تقول له خاليا إن زياداً يقول إن من قدرك نيل الدرك بك - وزكاة الجاه وفد المستعين ، وناجيتي من الشكر ما علمت وحاجتي ملاطة الأسباب حتى يحرك ذكرآ يمكن بمثله الاستئذان - وقال الفراء يجري ذكرآ - فلما صار خالد إلى بعض ما يبعث موارد الشراب نهض فاعترضه الحاجب فقال ليهنك أبا البسام حادث النعم قال خالد هناك غيشك كل ما نحن فيه تجديد للتفضيل وإتمام للشرف وكل ذلك ببقاء الملك وحسن مواده فماذا فكأخبره بما قال النابغة فقال آذنه بالطاعة وانتظار المراجعة وكان خالد رفيقا يتأني الأمور ^(١) والأسباب لطفاً وحسن بصيرة في الارتياح فدخل متبسماً وهو يقول :

ألا لملك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الامد
ثم قال واللات والعزى لكأني أنظر إلى أملاك ذي رعين ^(٢) وذى قابش ^(٣)
وقد مدت لهم قصبات المجد إلى معالي الاحساب ومناكب الانساب في حلية أنت
- أبيت اللعن - غرتها فجئت سابقاً متمهلاً وجاؤا لم يتم لهم سعى ، وجاء زياد
فقال النعمان والله لا أنت في وصفك أبلغ احساناً من إحسان النابغة فينا في نظم
قوافيه ، فقال خالد أيها الملك واللات ما أبلغ فيك حسناً إلا غمره قدرك استحقاقاً
للشرف الباهر ولو كان النابغة حاضراً لقال وقلنا ، فقال النعمان النابغة يا غلام فخرج
الحاجب فقال النابغة ما وراءك قال رفع الحجاب وأذن في السيادة والافضال فدخل
فانتصب بين يدي النعمان وحياء بتحية املاك ثم قال أينا خرك - أبيت اللعن - ابن
جفنة وأنت سائس العرب وغرة الجسب واللات لأمسك أبهى من يومه واقتدالك .

(١) في نسخة « يتأني للأمر » . (٢) ذو رعين : لقب ملك من أذواء اليمين

كما في المرصع لابن الأثير . (٣) ذوقاش . أحد أذواء اليمين ، اسمه يزيد ، من بني
يحصب ، وهو أبو سلامة الذي مدحه الأعشي ، على مافي المرصع لابن الأثير .

أحسن من وجهه وليسارك أجمع من يمينه وأبعدك أكثر من قومه ولنفسك أكبر
من جده وليومك أشرف من دهره ولوعدك أنجز من رفته ولهلك أصوب من
جذبه ولتترك أبسط من شبره ولأملك خير من أيه ، ثم أنشأ :

أخلاقٌ بحدك جَلَتْ مالمَّا حصر في البأس والجودِ بَيْنَ البدو والحضر
مُتَوَجِّهًُ بالمعالي فوقَ مَفَرِّقِهِ وفي الوغى ضيغُم في صورة القمر
قال فتهلل وجه النعمان بالسرور وأمر فحشي فبه درأ ، وقال لئلا هذا تراح القلوب
وبمثلها تمدح الملوك ، ثم قال الخليل أفيحسن زهير أن يقول مثل هذا ؟ فقال يونس
لعباس اني لا أعجب مما حدث عن قصة النابغة وشعره قوله :

* وفي الوغى ضيغُم في صورة القمر *

أجود شيء قيل في الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدمين ومن شعر المحدثين
قول أبي العتاهية ^(١) يمدح الرشيد وولده :

بَنُو المصطفى هَارُونَ بَيْنَ سريره فخير قيام حوله وقُعود
يُقَلِّبُ الحَاظَ المَهَابَةَ يَدِينُهُمْ عُيُونُ ظُبَاءٍ فِي قلوبِ أَسُودِ
وأخذه مسلم بن الوليد فقال * كأن في سرجه بدرًا وضرغامًا *
وقلت : فتى على نفسه من نفسه رَصْدٌ يَصْدَهُ ان نطق الشين والذاما ^(٢)
ما زالَ يَغْنَمُ مَالًا ثُمَّ يَغْرُمُهُ ما زالَ للمال غَنَامًا وَغَرَامًا
أغر أربع يحكي الغيث مَكْرُمَةً والنجمَ مَنْزِلَةَ والطودَ أَحْلَامًا
تجَلِّه ^(٣) حين يبدو ان تقول له كأن في سرجه بدرًا وضرغامًا
وقد تداول الناس معنى قوله * كأنك كالليل الذي هو مدركي *

(١) غلب عليه هذا اللقب لعتوه ، وهو من مقدمي المولدين من طبقة بشار
وأبي نواس ، كان يبيع الفخار قبل أن يقول الشعر ويرع فيه ، يقال أطعم الناس
بالشعر بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية ، توفي سنة ٢١١ .

(٢) الزام : العيب . (٣) في الأصل « يحله » .

فقال الفرزدق :

ولو حملتني الريحُ ثم طلبتني لكنت كشيء أدركته مغادره
وهو دون قول النابغة لأن الليل أعم من الريح والريح أيضاً يتمتع منه
بأشياء ، والليل لا يتمتع منه بشيء . وأخذ الأخطل ^(١) قول الفرزدق ^(٢) فقال :
فأنت كالدهر مبتوتا حباله والدهر لاملجأ منه ولا هرب
ولو ملكت عنان الريح أصرِفُه في كل ناحية ما فاتك الطلب
وأخذ مسلم البيت الأول من الأخطل فقال :
وإن أمير المؤمنين وفعله كالدهر لا غاد بما فعل الدهر
وهو أيضاً مأخوذ من قول النابغة : وأخذ أبو تمام فقال :
خشعوا لصوتك التي هي عندهم كالوت يأتى ليس فيه طاد
فالقول همس والنداء إشارة تخوف انتقامك والحديث سراد
وأخذه علي بن جبلة ^(٣) فقال :
ومالامرى حاولته منك مهرب ولو رَفَعته في السماء المطالم
بلى هارب لا يهتدى لمكانه ظلام ولا ضوء من الصبح لا مع
وقال البحتري ^(٤) :

-
- (١) هو غياث بن غوث التغلبي ، نشأ في العراق ، ودخل الشام ومدح
الملك الأمويين ، كان لا يظهر من شعره إلا المتخير : مات سنة ٩٠ .
(٢) يقول ابن خلكان : أجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل
ثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل ، وكان بينهم مهاجاة وتفاخر ، يقال لولا شعر
الفرزدق لذهب ثلث اللغة ونصف أخبار الناس ، كان لا ينشد عند الخلفاء إلا قاعداً
توفي في البصرة سنة ١١٠ . (٣) هو العكوك الآتي .
(٤) هو الوليد بن عبيد الطائي البحتري - نسبة إلى جد اسمه بحتري - قال المبرد :
أنشدنا شاعر دهره ونسيج وحده البحتري ، عرض أول شعره على أبي تمام فقال له

ولوانهم ركبوا الكواكب لم يكن لهم
وقلت في قريب منه :

ويدنو له المطلوب حتى كأنما يواكب ضوء الصبح في كل مطلب
وقالوا أمدح بيت قائمته العرب قول أبي الطمحان ^(١) :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
نجوم سماء كلما انقض كوكب بدا كوكب تأوى إليه كواكبه
وما زال منهم حيث كان مسود تسير المنايا حيث سارت كتابه
ومثله قول الخطيئة ^(٢) :

نمشى على قول أحساب أضأت لنا كما أضأت نجوم الليل للشارى
ومثله قول الآخر :

وجوه لو أن المدلجين اعتشوا ^(٣) بها صد عن الدجى حتى يرى الليل ينجلي
وقال بعض الأعراب في رجل : مادفته في سواد إلا محاء ولا قابلت به مدأ

إلا كفاء . ومثل قوله * صد عن الدجى * قول بعض المحدثين :
ومصباحنا قمر زاهر كقوس لجين يشق الدجى
وقلت : وأنشق ثوب الظلام عن قمر يضحك في أوجه الدجانات

أنت أشعر من أنشدني وكتب له بذلك فعظم وبجل ، وقال له أبو تمام : نعت
إلى نفسى فقال أعيدك بالله فقال ان عمرى ليس بطويل وقد نشأ لطف مثلك ،
فمات بعدها بسنة . وكانت وفاة البحترى سنة ٢٨٤ (١) هو حنظلة بن الشرقى
القينى من الشعراء الجاهليين ، أدرك الاسلام ، ومات قبيل الهجرة .

(٢) هو جرول بن أوس العبسى من الشعراء المحضرمين ، اشتهر بالهجو
حتى هجا والده ونفسه . ولعل في البيت تحريفاً ففى رواية الأغاني :

نمشى على ضوء إحسان أضاء لنا ماضوات ليلة القمر للشارى
(٣) الدج : السير من أول الليل . واعتشوا : استضاؤا .

كأنما النجم حين قابله . قبيعة ^(١) في نصاب مرآة
وقلت: بليل كما ترقو الغزاة أسود
كواكب زهر وصفر كأنها
وقلت: وذى غنج يأوى إلى فرعه الدجى
ففيه ظلام بالصباح مفتح
ولكنها عن وجهه تنفرج
وفيه ظلام بالصباح متوج
وقول أبى الطمحان مولى ابن أبى السمت :

فتى لا يبالى المدجلون بنوره
له حاجب عن كل أمر يشينه
إلى ما به ألا تضيء الكواكب
وليس له عن طالب العرف حاجب
وقول الآخر :

من البيض الوجوه بنى سنان
لو انك تستضيء بهم أضوا
وقول الآخر :

غلام رماء الله بالحسين يافعا
كأن الثريا علقبت في جبينه
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه
إذا قيلت العوراء غض كأنه
وقول الآخر ^(٢) :

إختر فناء بنى عمرو فانهم
إن يسألوا الخير يعطوه وإن جهدوا
وإن توددتهم لانوا وإن شتموا
هينون لينون أيسار ذوو يسر
من تلق منهم تقل لاقت سيدهم
أو لو فضول وأقدار وأخطار
فالجهد يخرج منهم طيب أخبار
كشفت أذمار سر غير أصرار
أرباب مكرمة أبناء إيسار
مثل النجوم التي يهدى بها السارى

(١) قبيعة السيف كسفينة : ماعلى طرف مقبضه من فضة أو حديد .

(٢) تروى هذه الأيات عن الجاحظ كما سيأتى .

وهذا عندي أمدح شيء قيل في وصف جماعة .

وأنشدنا أبو أحمد لميسى بن أوس في الجنيد بن عبد الرحمن ^(١) :

إلى مُستنيرِ الوجهِ طالَ بسُودد تقاصرَ عنه الشاهقُ المتطاوُلُ
مدَحَتكَ بالحق الذي أنتَ أهله ومن مدَحِ الأتواءِ حقُّ وباطل
يعيشُ النَّدى ما دمتَ حيًّا فإن تَمت فليس لحىً بعد موتك طائل
وما لأمري عندي نُخيلةٌ نعمة سواك وقد جادت على مخايل
وقالوا أمدحَ بيتَ قالته العرب قول الأعرشى :

فتى لو ينادى الشمسَ أَلقتَ قناعها أو القمرَ السارى لألقى المقالدا

وهذا وقول أبي الطمجان من الغلو ، والغلو عند بعضهم مذموم وليس كذلك ولو كان مذموماً لما جعلوا هذين البيتين من أمدح ما قالت العرب وهما من الغلو على ماها عليه ، ومثل هذا الغلو قول طريح بن اسماعيل ^(٢) :

أنتَ ابنُ مُسلَّطِ البطاحِ ولم يضرب عليك الحفىَّ وانولج
لو قلت للسيل دع طريقك والسموج علبه كالمضرب يعتلج
لارتدَّ أوساخٌ أو لكانَ له في جانب الأرضِ عنك مُنعرَج
وهذا من أعلى الغلو لأن السيل لا ترد وجهته هية ولا مخافة ، والعرب تقول أجراً من السيل فيهمز ولا يهمز والهمز من الجراءة وترك الهمز من الجرى ، ويقال في المثل لأفعل كذا حتى يرد وجه السيل ، وليس هذا الشعر بمختار الرصف واللفظ وإنما جئت به لمكان غلوه ، ومن الغلو المشهور المستفيض الذي قبله الناس واستحسنوه ورووه بكل لسان قول أبي تمام في المعتصم :

لِيُؤْمِنَ أَبِي اسحقَ طالت يدُ العلاءِ وقامت قنأة الدين واشتدَّ كاهله

(١) هو الجنيد بن عبد الرحمن المرى الأمير ولى خراسان وغيرها وكان

أجود الأجواد ، توفي سنة ١١٥ . (٢) هو طريح بن اسماعيل الثقفى الشاعر ،

لزم الوليد بن يزيد الأموى وبالع في مدحه .

هو البحر من أي النواحي آتيته قلبته المعروف والجود ساحله
 نمود بسط الكف حتى لوانه أراد اقتباضاً لم قطعه أنامله
 ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله
 وقلت في قريب منه :

وكيف يبيت الجار منك على صدى وكفك بحر لجة البحر ساحله
 أخبرنا أبو أحمد قال سمعت أبا بكر - يعني ابن دريد - يحكي عن أبي حاتم قال
 قال الأصمعي سمعت أعرابياً يقول : انكم معاشر أهل الحضرة تتخطون المعنى ان
 أحدهم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول كأنه الأسد ويصف المرأة بالحسن فيقول
 كأنها الشمس ، لم لا يجمعون هذه الأشياء بهم أشبه ثم قال لانشدك شعراً يكون
 لك اماماً ثم أنشدني :

إذا سألت الورى عن كل مكرمة لم تلف نسبها إلا إلى الهول
 فتى جواداً أعاد النيل نائله فأنشيل بشكر منه كثرة النيل
 وليس هذا الشعر مختاراً عندي :

والموت يرهب أن يلقى منيته في شدة عندلف أنخليل بالخليل
 لو طارض الشمس ألقى الشمس ظلمة أوزاحم الغيم أجاها إلى الميل
 أو بارز الليل غطته قوادمه دون القوافي كمثل الليل بالليل
 أمضي من النجم إن نابته نائبة وعند أعدائه أجرى من السيل

ومن الجيد في هذا المعنى قول الآخر :

علم الغيث الندى حتى إذا ما جكاه علم البأس الأسد
 فله الغيث مقر بالندى وله الليث مقر بالجسد

وقد أنكر عبد الملك ما أنكره الأعرابي من تشبيه المدوح بالأسد والصخر
 والبحر فأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر أخبرنا عبد الأول بن مزيد - أحد
 بني أنف الناقة - عن ابن طائشة عن أبيه قال قال عبد الملك يوماً وقد اجتمع

الشعراء عنده : تشبهوننا بالأسد والأسد أبخر وبالبهر والبحر أجاج وبالجليل
والجليل أوعر ألا قلتم كما قال أيمن بن خزيم في قاتك في بني هاشم :
نهاركم مكابدةٌ وصومٌ وليكم صلاةٌ واقتراءُ
أجفلكم وأقواماً سواً وبينكم وبينهم الهواء
وهم أرض لا أرجلكم وأنتم لأعينهم وأرؤسهم مماء
وهذا من قول أمية بن أبي الصلت ^(١) وهو أول من أتى به قوله في عبد الله
ابن جدعان ^(٢) :

أأذكرُ حاجيتي أم قد كفاني حياؤك ان شيمتك الحياءُ
كريم لا يُغيره صباحٌ عن الخلق الكريم ولا المساءُ
وأرضك أرضٌ مكرمةٌ بتها بنو تميم وأنت لهم سماءُ
ونحوه قوله :

لكل قبيلةٍ شرفٌ وعزٌّ وأنت الرأسُ يقدم كل هادي
وتصرف فيه المحدثون فقال ابن الرومي ^(٣) :
قومٌ يحلون من مجدٍ ومن شرفٍ ومن غناء محلّ البيض واليلب ^(٤)
حلوا محلّهما من كل ججمةٍ نفعا ورفعا وإطلا لا على الرتب

(١) شاعر جاهلي ، ورد أن النبي ﷺ قال « كاد أن يُسلم في شعره » عاش
إلى أن أدرك وقعة بدر ورثى من مات بها من الكفار .

(٢) هو التيمي القرشي من أجواد الجاهلية ، أدرك النبي ﷺ قبل البعثة ،
يروى أنه كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب ، وقع فيها صبي ففرق .

(٣) واسمه علي بن العباس صاحب النظم العجيب ، كان شعره غير مرتب
فرتبه أبو بكر الصولي على الحروف ، والطبوع هو مختصر ديوانه ، وكان ينبب

موته بأن الوزير أبا الحسن بن عبيد الله وزير المعتضد كان يخاف من هجومه فدنس
عليه ماء كلاً مستنوماً في مجلسه وذلك سنة ٢٨٣ (٤) أي السيوف والدروع .

قوم هم الرأس إذ حسادهم ذنب ومن يُمثّل بين الرأس والذنب
ومنه قول الخطيئة :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوّى بأنف الناقة الذنبا
وقال غيره : الناس أرض بكل أرض وأنت من فوقهم سماء
وقلت : أبشر فأنك رأس والملأ جسد والمجد وجه وأنت السمع والبصر
لولاك لم يك للأيام منقبة تسمو إليها ولا للدهر مفتخر

وأخبرنا أبو حامد قال أخبرنا أبو بكر بإسناد ذكره عن الهيثم بن عدي قال
دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين قد امتدحتك فاستمع
منى فقال ان كنت شبيهتني بالصقر والأسد فلا حاجة لي بمدحك وان كنت قلت
كما قالت أخت بني الشريد لأخيها صخر فهايت فقال الأخطل وما قالت يا أمير
المؤمنين قال هي التي تقول :

فما بلغت كفى امرئ متناول بها المجد إلا حيث ماثلت أطول
ولا بلغ المهدون في القول مدحة ولو أطبوا إلا الذي فيك أفضل
فقال الأخطل والله لقد أحسنت القول ولقد قلت فيك بيتين ما هما بدون
قولها قال هات فأنشد :

إذا مت مات العرف وانقطع الندى من الناس إلا في قليل مصرّد^(١)
وردت أ بكف السائلين ولمسكوا من الدين والدنيا بخلف مجد
وليس يحسن عندي أن يقال للمسلوح إذا مت فان استماع ذلك مكروه وإن
كانت الشعراء قد استعملته في كثير من مقاماتها أنشدنا أبو أحمد عن ابن حريد :
إذا مت لم توصل بعرف قرابة ولم يبق في الدنيا رجاء لنا
وهو من قول النابغة :

فان يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام

وَيُمْسِكُ بَعْدَهُ بِذَنَابِ عَيْشٍ أَجِبَ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ
وهذا أجود من الأول لأنه لم يخاطب به المدوح ولو قيل لولا فلان لكان كذا
وكذا لكان كما قال علي بن جبلة ^(١) :

لَوْلَا أَبُو دُلْفٍ لَمْ تَحْيَ عَارِفَةٌ وَلَمْ يَنْتَوِ مَأْمُولٌ بِآمالٍ
يا ابن الأكرام من عدنان قد علموا وتبادلُ المجد بين العم والخال
وناقِلُ النَّاسِ مِنْ عُدَمٍ إِلَى جِدَةٍ وصارفُ الدهرِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
أَنْتَ الَّذِي تُنْزِلُ الْآيَامَ مَنْزِلَهَا وَتُمْسِكُ الْأَرْضَ عَنْ خَسْفٍ وَزَلَالٍ
وَمَا مَدَدْتَ مَدَى طَرَفٍ إِلَى أَحَدٍ إِلَّا قَضَيْتَ بِآجَالٍ وَأَمَالٍ ^(٢)
تَزُورُ سَخَطًا فَمَسَى الْبَيْضُ رَاضِيَةً وَتَسْتَهْلُ فَبِكِي أَوْجُهُ الْمَالِ

وأخبرنا أبو أحمد في كتاب الورقة عن ابن داود قال قال أبو هفان اجتمع
الشعراء يباب المعتصم فقعدهم محمد بن عبد الملك الزيات فقال ان أمير المؤمنين
يقرأ عليكم السلام ويقول لكم من كان يحسن أن يقول مثل قول النمرى في الرشيد :
خليفةُ الله إنَّ الجودَ أوديةٌ أحلكَ الله منها حيثُ تجتمعُ ^(٣)
إنَّ أخلفَ القطرُ لم يُخلفْ مخايله أو ضاقَ أمرٌ ذكرناه فَيَتَّسِعُ
فقال ابن وهب فينا من يقول مثله :

ثَلَاثَةٌ تَشْرُقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا تَحْمِسُ الضَّحَى وَأَبُو إِسْحَقَ وَالْقَمَرُ
تَحْكِي أَفَاعِيْلَهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ الْغَيْثُ وَاللَيْثُ وَالصَّمْصَامَةُ الذِّكْرُ

قال فأجازه وفضل ابن وهب . ولبعض الشعراء في المهلب :
أَمْسَى الْعِرَاقُ سَلِيًّا لَا أُنَيْسَ لَهُ إِلَّا الْمَهْلَبُ بَعْدَ اللَّهِ وَالْمَطَرُ

(١) هو العكوك أحد المبرزين في الشعر ، طامة شعره في مدح أبي دلف

البعلي ، كان أعمى ، قيل ان المأمون قتله لمباالغته في مدح أبي دلف سنة ٢١٣ .

(٢) في شذرات الذهب « إلاقضيت بأرزاق وآجال » .

(٣) سياتي هذا البيت بصدر « ان المكارم والمعروف أودية » .

هذا يجود ويحيى عن ذيلهم وذا تعيش به الأنعام والشجر
ومنه أخذ ابن وهب . وقلت في معناه :

لم تزل للورى ثلاث شمس وجهك المستغنى والقمران
وقالوا أمدح بيت قاله العرب قول زهير^(١) :

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله
وعاب بعضهم هذا البيت فقال جمل المدوح فرحاً بعرض بناله وليس هذا شأن
الكبير الهمة ، والجيد قول أبي نوفل عمرو بن محمد الثقفي :

ولئن فرحت بما ينيلك إنه لما ينيلك من نداء أفرح
ما زال يعطيني ناطقاً أوساكتاً حتى ظننت أبا عقيل يمزح
فجعله يفرح بما ينيل . ومثله قول أبي تمام :

أسائل نصر لا تسله فانه أحن إلى الأرقاد منك إلى الرقد
وقال بعض الأعراب : ما زال فلان يعطيني حتى حسبت أنه يودعني ، ونحو
ذلك أن الحجاج قال لأياس بن معاوية أى الناس أحب إليك ؟ قال من أعطاني
قال ثم من ؟ قال من أعطيته . وقال أبو السمع الطائي في خلاف ما قال زهير :
فتى لا يرى سوق المهور غرابة ولا غاليات المال حلياً على نحر
فتى كان مكراماً لنفس كريمة مهيناً لدنيا غير مأمونة الغدر
وعندى أن بيت زهير أجود ما قيل من الشعر القديم ، ومن أبداع في ذلك
البحترى في قوله :

سلام وإن كان السلام تحية فوجهك دون الرد يكنى المسلما
ومن الجيد في ذلك قول ابن الرومي :

(١) هو صاحب المعلقة المشهورة زهير بن أبي سلمى المضرى ، قال ابن
الأعرابي : كان زهير في الشعر مالم يكن لغيره : كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً
وأخته سلمى شاعرة وإبنه كعب وبجير شاعرين وأخته الخنساء شاعرة .

كأَنَّمَا القطرُ من ندى يده
وقول أبي الأسد :

ولا تَهْجُ لَأَمَتِكَ يَا قَيْضُ فِي النَّدَى
أَرَادَتْ لَتْنِي الْقَبْضَ عَنْ عَادَةِ النَّدَى
إِذَا مَا أَتَاهُ السَّائِلُونَ تَوَقَّعَتْ
لَهُ فِي بَنِي الْحَاجَاتِ أَيْدٍ كَأَنَّمَا
وقريب منه قول أبي تمام :

بَعْدِي بِهِمْ تَسْتَنْزِلُ الْأَرْضُ إِنْ تَزَلُّوا
وَيَضْحَكُ الْأَهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِقَةٍ
وَقُلْتُ : إِذَا عَبَسَ الزَّمَانُ فَمَلَّ إِلَيْهِ
وَقُلْتُ : كَأَنَّكَ فِي خَدِّ الزَّمَانِ تَوَرَّدُ
فَمِنْ بَيْتٍ مَمْدُوحًا يَنْظُمُ يَصْوُغُهُ
وقال البحتري :

وَتَوَاضَعُ لَوْلَا التَّكْرُمُ حَاقَهُ
وَقُتُوَّةٌ جَمْعُ التَّقَى أَطْرَافَهَا
وَشَبِيهَةٌ فِيهَا النِّهْيُ قَاذَا بَدَتْ
طَلَقُ الْيَدَيْنِ إِذَا تَفَرَّقَ مَالُهُ (٣)
جَذْلَانُ (٤) يَطْرَبُ لِلسُّؤَالِ كَأَنَّمَا
وقال ابن الرومي :

(١) كذلك في الديوان المطبوع ، وفي الأصل « ویدی أحاطهما بماء السؤدد » .
وهو تحريف (٢) في الأصل « التبسم فهو » . (٣) كذا في النسخ ، والذي في
الديوان المطبوع « خضل اليدين إذا تفرق في الندى » . (٤) في الديوان
المطبوع « نشوان » مكان « جذلان » .

أغرّ أبليج يكسو نفسه حُللاً من المحامد لا تبلى على الحقب
تلقاه من نهضة للمجد في صعد ومن تواضعه للحق في صبيب
كأنه وهو مستولٌ ومتمدحٌ غناه إسحق والأوتار في صخب
يهتز عطفه عند الحمد بسمعه من هزة المجد لا من هزة الطرب

وهذا المصراع من قول أبي تمام :

موكل^(١) ييفاع الأرض يشرفه من خفة الخوف لا من خفة الطرب
وقلت : وقد يؤنس الزوار منك إذا التقوا سخاء عليه الطلاقة شاهد

وقلت زهير قول بعضهم فقال :

تراه إذا ماجئته متعباً كأنك بالمشقاش تفت شارب

وقد أحسن خطة في هذا المعنى أنشدناه أبو أحمد عنه :

قومٌ أحاول نيلهم فكأنى حاولت تفت الشعر من آنا فيهم
قم فاسقنيها بالكبير وغنى ذهب الذين يعاش في أكنافهم

وقالوا أمدح بيت قاله العرب قول جرير^(٢) :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى المالمين بطون راح

وليس هذا الاستفهام للشك وفي القرآن الشريف (اليس الله بعزیز ذي انتقام) (اليس الله بأحكم الحاكمين) (اليس الله بكاف عبده)

وسئل بعض العرب عن أشعر الناس فقال جرير وذلك أن بيوت الشعر أربعة

المدح والمجاء والافتخار والفرز وفي كلها سبق جرير : قال في المديح :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى المالمين بطون راح

(١) في الديوان المطبوع « موكلًا » : (٢) هو جرير بن عطية الخطمي ، قال

ابن خلكان أجمعوا على أنه ليس في شعراء الاصلاح مثله ومثل الفرزدق والأخطي ،

وكان عمر بن عبد العزيز لا يأذن لأحد من الشعراء غير جرير ، ولما مات الفرزدق

بكي جرير وقال لي لا أعلم أي قبيل يبقا بعده ، مات سنة ١١٠ وقد قارب المائة .

وقال في الهجاء:

فَنُضْ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُنْمِرٍ فلا كِبًا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابًا

وقال في الافتخار:

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ غَضَابَا

وقال في الغزل:

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا

يَصْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَاكَ بِهِ وَهَنَّ أَوْفَعُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا

وقال التنوخي^(١) في هذا المعنى:

فَكَلَّمَا أَزْدَادَتِ قُوَى أَجْفَانِهَا ضَعْفًا تَقْوِينَ عَلَى ضَعْفِ الْقَوَى

وأمثال هذا كثيرة نورها فيما بعد ، وتقض بعضهم قوله :

* إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ * فقال :

لَقَدْ غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ فَمَا نَكَاتُ يَبْغِضُهَا ذُبَابَا

وقالوا امدح بيت قائله العرب قول حسان^(٢) :

يَفْشُونَ حَتَّى مَاتَهُرَ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمَقْبِلِ

يقول قد أنست كلابهم بالزوار فهي لا تنبهم وهم من شجاعتهم لا يسألون

(١) هو أبو القاسم علي بن محمد القاضي التنوخي ، له ديوان شعر ، منه

مقصورة مارض بها الدريدية ، كما حكاه ابن خلكان وغيره .

(٢) هو حسان بن ثابت الانصاري شاعر النبي ﷺ قال أبو عبيدة : فضل

حسان الشعراء بثلاثة : كن شاعر الانصار في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله

عليه وسلم في النبوة ، وشاعر اليمانيين في الاسلام ، مات عن مائة وعشرين سنة

مناصفة في الجاهلية والاسلام ، وكان لسانه يصل إلى جبهته ، ومن قوله مخاطباً

لأبي سفيان بن الحارث :

اتهنجوه ولست له بكفء فشر كما لحيركما الفداء

عن جيش يقبل نحوهم لقلّة اكرأهم بهم ولثقتهم يسالة أنفسهم وشدتهم على أعدائهم .
ومثله ما أنشد أبو تمام :

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعام^١ لآية حربٍ أولأى مكان
وقال ابن هرمة ^(١) في أثر الكلب بالضيف :

ومستبّيح تستكشط^٢ الريح^٣ ثوبه ليسقط عنهم وهو بالشوب معصم
عوى في سواد الليل بعد اعتسافه لينبح كلب أوليفزع^٤ نوم^٥
فجاوبه مستسمع الصوت للقرى له عند أقيان المهين مطعم^٦
يكاد إذا ما أبصر^٧ الضيف^٨ مقبلا بكلمة من حبه وهو أعجم^٩

وقال عمران بن عصام ، ويروى لنصيب :

لعبد^{١٠} العزيز على قوميه وغيرهم من غامرة
فبابك ألين^{١١} أبوايهم ودارك مأهولة طامره
وكلبك آنس^{١٢} بالعتفين^{١٣} من الأم^{١٤} بابتئها الزائره
وكفك^{١٥} حين ترى السائلين^{١٦} أندى من الليلة المسطيره
فذاك العطاء ومنك البناء لكل^{١٧} مخبرة ساره

وقال الخطيئة في خلاف ذلك :

ملوا قراه وهرته^{١٨} كلاهم^{١٩} وضرّسوه بأنياب وأضراس

وقال بشار في قريب من المعنى الأول :

سقى الله^{٢٠} القباب وتل عيدي وبالشرفين أيام^{٢١} القباب
وأيام لنا قصرت^{٢٢} وطالت على فرحات نائمة الكلاب
وقال آخر : ومايك^{٢٣} في من عيب فاني جبان^{٢٤} الكلب مهزول^{٢٥} الفصيل

معناه أن الكلب يضرب إذا نباح الضيف فهو جبان ويؤثر الضيف باللبن والفصيل

(١) هو ابراهيم بن علي الكنانى القرشي سكن المدينة ورحل الى دمشق

ومدح الوليد الاموى .

مهزول . وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول النابغة الجعدي :
 فتى تمَّ فيه مايسرُّ صديقه على أن فيه مايسوءُ الاغاديا
 وهذا غاية المدح لأنَّ الرجل إذا قدر على النفع والضرر فقد كل ، ولهذا
 قيل في البرامكة :

عندَ الملوك مضرَةٌ ومنافع وأرى البرامك لا تضرُّ وتنفعُ
 لا يعرف أهجاءهم أم مدحهم لأنَّه إذا نفي عنهم أن يضرُّوا فقد قصرهم ، وقد قيل :
 إذا أنت لم تنفع فضرَّ قائما يُراد الفتى كما يضرُّ وينفع
 وقد تداول الناس معنى النابغة فقال بعضهم وهو من أحسن ما يروى عنه :
 متى تهزز بنى قطن تجدهم سيوفاً في عواتقهم سيوف
 جلوسٌ في مجالسهم رزان وإن ضيفُ ألمٌ فهم وقوف
 إذا تزلوا حسبتهم بدوراً وإن ركبوا قاتهم حتوف
 وقال آخر : فذلَّ أعناق الصباب بيأسه وأعناق طلاب الندى بالفواضل
 فما انقبضت كفاه إلا بصارم ولا انبسطت كفاه إلا بنائل
 وقال محمد بن بشر الأزدى :

فتى وقفَ الأيامَ بالعتب والرضا على بذلِ مال أو على حدٍّ متصل
 وما إن له من نظرةٍ ليس تحتها غمامةٌ غيثٌ أو ضبابةٌ قصطل
 وقال آخر : فتى دهره شطران فيما يوبه فتى بأسه شطرٌ وفي جوده شطر
 فلا من بغاة الخير في عينه قذى ولا من زئير الأسد في أذنه وقر
 وقد أحسن البعترى في هذا المعنى وهو قوله :

هو العارضُ الشجاعُ أخضل جوده وطارت حواشى برقه فثلجها
 إذا ماتلظي في وغي أضعق العدى وإن قاض في أكرم (١) غمر الربا
 رزينٌ إذا ما القومُ خفت حلومهم وقور إذا ما حادث الدهر أجلبا

حياتك أن يلقاك بالجوّد راضيا وموتك أن يلقاك بالبأس مغضبا
 حرون إذا طاززته في ملّة فان جثته من جانب الذل أحصيا
 إذا هم لم يقعد به العجز مقعدا وان كف لم يذهب به الحزن مذهبا^(١)
 وقال الأسدي في نفي لتخبر والشر عن المذكور وهو من أشد الهجاء وأدله
 على الحقول :

فحسبك في القوم أن يطموا بأنك فيهم غنى مضر
 وأنت لميح كلهم الحوار فلا أنت حلوة ولا أنت مر
 وقال غيره : شيخ من بني الجارو د لاخير ولا شر
 وقال آخر : ولقد تزلت على زياد مرة فظننته شيخا يضر وينفع
 فاذا زياد في الديار كأنه مشط يقلبه خصي أصلع

وقد أحسن البحري في المعنى الأول وهو قوله :

هو الملك الموهوب للبأس والتقى^(٢) قلله تقواه والمجد سائره
 له البأس يُخشى والسماحة تُرتجى فلا الغيث ثانيه ولا الليث طائره

كأنه من قول منصور وهو من المعنى الذي نحن فيه :

هو الملك المملوك للمجد والتقى وصوته لا يستطاع خطارها
 لقد نشأت للشام منك سحابة يؤمل جدواها ويخشى زمارها
 فطوبى لأهل الشام أم ويل أمها أتاها حياها أم أتاها بوارها
 فان سلموا كانت غمامة نعمة وخير وإلا فالدماء قطارها
 أبوك أبو الأملاك يحيى بن خالد أخو الجود والنعمى الباب صغارها
 وكائن ترى في البرمكين من به ومن سابقات لا يشق غبارها

(١) في الأصل : إذا كف لم يقعد به العجز مقعدا وان هم لم يذهب به الهم مذهبا

والتصحيح من الديوان المطبوع .

(٢) في الديوان المطبوع « هو الملك الموهوب الدين والعلا » .

طبيب^ه بأخبار الأمور إذا التوت من الدهر أعناق^ه فأنت قصارها

وبعد بيت النابغة الجعدي^(١) قوله :

فتى كلت أخلاقه غير أنه جواد^ه فما يبقى من المال باقيا

أشم طوال الساعدين شمر^ه دل^(٢) إذا لم يروح للمجد أصبح غاديا

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن علي الأجرى ببغداد حدثنا أبو العيلاء قال قال

الأصمعي أنشدت الرشيد أبيات النابغة الجعدي حتى انتهت إلى قوله :

أشم طوال الساعدين شمر^ه دل إذا لم يروح للمجد أصبح غاديا

فقال الرشيد ويله ولم لم يروحه للمجد ألا قال * إذا راح المعروف أصبح غاديا *

فقلت وأنت والله يا أمير المؤمنين أعلم منه بالشعر ، وكان الرشيد جيد المعرفة ثاقب

اللفظة ، قال لأبي نواس لم وثب بك أهل مصر قال لقولي :

فان يك باقي أفك فرعون فيكم فان عصا موسى بكف^ه خصيب

قال فوثبوا بي وأرادوا قتلي وقالوا جعلت معجزة موسى لخصيب فقال له الرشيد

ألا قلت :

فان كان باقي أفك فرعون فيكم فباقي عصا موسى بكف^ه خصيب

فيكون شعرك أحسن ويكون سالماً من التبعة فقال والله يا أمير

المؤمنين إنك لا تشعرني وإني لم أفطن لذلك ، وأنشده العمانى الراجز في

صفة الفرس :

كان^ه أذنيه إذا تشوفاً قادمة أو قلماً محرقاً

فقال له الرشيد دع « كان » وقل « تخال » حتى يستوى شعرك ، وكان قد لحن العمانى

(١) لقب بالنابغة لأنه لبث ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله ، وكان

ممن هجر الأوثان ونهى عن الحرق قبل الإسلام ، وقد على النبي ﷺ فأسلم ، مات في

منتصف القرن الأول الهجرى وقد جاوز المائة .

(٢) الشمر دل : الفتى السريع من الابل ، وغيره الحسن الخلق . كما في القاموس .

ولم يعرف ولم يفتن له أهل المجلس حتى قال له الرشيد ذلك فتعجبوا من علمه وفطنته .
وقالوا أمدح بيت قالت له العرب قول حسان :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول
يفشون حتى ماهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
وقبله : لله در عصابة نادتهم يوماً بخلق في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبرايبهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
ثم قال : قلبت أزماناً طوالاً فيهم ثم ادكرت كأنني لم أفعل
وفتي يحب المجد يجعل ماله من دون والده وإن لم يسأل

قوله « بيض الوجوه » معناه مشهورون ببهاء ولم يمن بهم البياض وقد تضمن هذا اللفظ معنى البأس والجود وغيرها من خلال الخير لأن الانسان لا يكون نبياً مشهوراً حتى يقال عنه أبيض الوجه وأغر ووضاح إلا إذا جمعها وما يجري معها قال الراجز : * فهن يحملن فتى وضاحاً * وقال أبو طالب في النبي ﷺ : وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال البتاعي عصمة للأرامل (١)
وقال السموهلي : وأيا من مشهورة في عدونا لها غرر معروفة وحجول
أراد بالغرة والحجول الشهرة . وقلب بعض أهل البصرة قول حسان :

* بيض الوجوه كريمة أحسابهم * فقال :
سود الوجوه لثيمة أحسابهم فطس الأنوف من الطراز الآخر
كما قلب بعضهم بيت أبي نواس :

يا قمرأ أبصرت في مأم يندب شجواً بين أتراب
يبكي فيندري الدر من نرجس ويلطم الوجه (٢) بعناب
فقال : وأعور أبصرت في مأم يندب شجواً بتخاليط

(١) من لاميته المشهورة في مدح ابن أخيه النبي ﷺ والدفاع عنه .

(٢) في نسخة « الورد » مكان « الوجه » .

يسبكي فينري البعر من كوة ويلطم الشوك يملوط
وأخذ حسان قوله * ثم ادكرت كأنني لم أفعل * من قول أبي كبير :
فأذن . وذلك ليس إلا حينه وإذا مضى شيء كأن لم يفعل
وقال ابن شبرمة أمدح ما قالت العرب قول الخطيئة :

أولئك قومٌ ان بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا وفعوا وإن عقدوا شدوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
أقلوا عليهم لا أبا لا أيكم من اللوم لو سدوا المسكان الذي سدوا
وبعدتني أبناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذي علمت سعد
يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها وإن غضبوا جاء الحفيظة والحد
ولعمري ان معاني هذه الآيات أبكار ليس للعرب مثلها وكل من تناولها فأنما
استعارها من الخطيئة وهي جامعة لخصال اللدح كلها ، وقوله * جاء الحفيظة والحد *
- وروى بالجد - والحد من قولك حد السيف وحد السنان ، والجد خلاف
الهزل والمختار الحد بالحاء . يقول الخطيئة في بني لؤي بن شماس من قريع ، وكان
الزبرقان بن بدر لقي الخطيئة في سفر فقال من أنت فقال أنا حسب موضع أبو مليكة
فقال له الزبرقان اني أريد وجهاً فصر الى منزلي وكن هناك حتى أرجع فصار الخطيئة
الى امرأة الزبرقان فأنزلته وأكرمته فحسده بنو عمه وهم بنو لؤي فسدوا الى الخطيئة
وقالوا له ان تحولت الينا أعطيناك مائة ناقة ونشد الى كل طلب من أطناب بيتك
حيلة محبرة وقالوا لامرأة الزبرقان ان الزبرقان انما قدم هذا الشيخ ليتزوج بنته
فقدح ذلك في نفسها فلما أراد القوم النجدة تخلف الخطيئة وتغافلت امرأة الزبرقان
عنه فاحمله القريسيون ووفوا له بما قالوا فأخذ في مدحهم وهجا الزبرقان فقال :

أزمتُ يأساً مبيناً من نوالكم ولا ترى طارداً لأحر كلباس
دع الكلام لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

فاستعدى الزبرقان عليه فحكم عمر حسان فقال حسان ما هجاء ولكن سلج عليه ثم حبس عمر الخطيئة فقال يستعطفه :

ماذا تقول لأفراخ بنى مرخ حمر الحواصل^(١) لأماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قصر مظلمة فاعفر عليك سلام الله يا عمر
ما آثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر
فأخرجه عمر وأجلسه على كرسي وأخذ شفرة وأوممه أنه يريد قطع لسانه
فضج وقال انى والله يا أمير المؤمنين قد هجوت أمي وأبي ونفسي فتبسم عمر وقال
مالذي قلت قال قلت لأبي وأمي :

ولقد رأيتك في النساء فسؤرتي وأبا بنيك فساءني في المجلس
وقلت لأبي خاصة :

فبئس الشيخ أنت لدى نعيم وبئس الشيخ أنت لدى المعالي
وقلت لأمي خاصة :

تنحى فاجاسى منى بعيداً أراح الله منك العالمينا
أغربالاً إذا استودعت سرّاً وكانونا على المتحدثينا
وقلت لامرأتى خاصة :

أطوف ما أطوف ثم آوى الى بيت قعيدته لكاء
وقلت لنفسى :

أبت شفتاي اليوم إلا تكلاماً بسوء فلا أدري لمن أنا قائله
أرى لى وجهاً قبح^(٢) الله خلقه فقبح من وجهه وقبح حامله
وقد هجا أيضاً من أحسن اليه فقال :

منحت ولم تبخل ولم تعط طائلاً فسيان لا ذم عليك ولا حمد
ثم خلى مسيله عمر وأخذ عليه ألا يهجو أحداً وجعل له ثلاثة آلاف درهم

(١) وفي رواية « زغب الحواصل » . (٢) في رواية « شوه الله » .

اشترى بها من أعراض المسلمين فقال يذكر نهيه إياه عن الهجاء ويتأسف :
وأخذت أطرار الكلام فلم تدع شتياً يضره ولا مديحاً ينفع
ومنعتني عرض البخل فلم يخف شتياً وأصبح آمناً لا يجزع
وكان الخطيئة يذم البخل كما ترى وهو ^(١) أبخل الناس اعترضه رجل وهو
يرعى غنماً له فقال له يراعى الغنم وكان يده الخطيئة عصاً يزجر بها الغنم فرفعها وقال
عجراً من سلم فقال الرجل انما أنا ضيف فقال : للأضياف أعددتها فتمثلت به العرب
وقالوا أبخل من الخطيئة ، وكان أحد الحمقى أوصى عند موته بأن يحمل على حمار
وقال لعل ان حملت عليه لأموت فاني مارأيت كريماً مات عليه قط وقال :
لكل جديد لذة غير أنتى رأيتُ جديد الموت غير لذيذ
وقيل له اوص فقال أوصى ان مالى للذكور دون الاناث قالوا فان الله لا يقوله
قال لكنى أقوله ، وقالوا له قل لا إله إلا الله قال أشهد أن الشماخ أشعر غطفان .
وأخذ قوله : * أغربالا إذا استودعت سرا* من قول كعب بن زهير حيث يقول :
ولا تَمسكُ بالعهد الذى عهدتُ إلا كما يمسك الماء الغرايلُ
أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبي خليفة عن دماذا عن أبي على القداح
وعباد بن سليم الحضرمي قال أنشد الخطيئة عمر :

مهريس يروى رسلها صيف أهلها إذا النار أبدت أوجه الحضرات
عظام مقيل الهام غلب رقابها تبا كرورد الماء فى السبرات
يزيل القتاد جنبها عن أصوله إذا ما غدت مقورة ^(٢) خرصات
وكان هجاقومه فلما بلغ إلى قوله :

فان يصطنعنى الله لا أصطنعكم ولا أعطكم مالى على العثرات
لكم دقرٌ مثل التيوس ونسوة ^(٣) مماجين مثل الآثن التعرات

(١) فى نسخة « وكان » بدل « وهو » . (٢) فى الأصل « مقورة » .

(٣) فى الأصل « لماجر » وفى ديوان الخطيئة « مماجين » .

قال عمر بن الخطاب أنت تمدح إبلتك وتهجو قومك فخرج وقال :
 رأيتُ ابنَ خطابٍ تجاهل بعدما رأيتُ له عقلاً وما كان جاهلاً
 ألا قد علمنا أن ما قال هكذا ومن قال حقاً غير ما قال باطلا
 وقالوا أمدح أبيات قبيل ما أنشدناه أبو أحمد عن مهمل بن يعقوب عن أبيه عن الجاحظ :
 اختر فناء^(١) بني عمرو فاتهمُ أولو فضولٍ وأقدارٍ وأخطارٍ
 إن يُسألوا الخيرَ يعطوه وإن جاهدوا فالجهدُ يخرج منهم طيبَ أخبارٍ
 وإن توددتهم لانوا وإن شتموا كشفت أذمار سر غير أسرار^(٢)
 هينون لينون أسرار ذوو بسر أبناء مكرمة أبناء إيسار
 من تلق منهم تقل لا قيتُ سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها السارى
 وهى على الحقيقة أمدح أبيات قبيل . وقالوا أمدح بيت قبيل قول الخنساء فى أخيها :
 أغر أبليج تأتم الهداة به كأنه علمٌ فى رأسه نارٌ
 أخبرنا أبو أحمد حدثنا الانبارى عن ابن عكرمة الضبي أخبرنا أبو دحامة
 عن صالح بن محمد بن المسيب قال سمعت المفضل الضبي يقول أنا فى رسول المهدي
 فقال أحب فها أنا ذلك فضيت معه حتى دخلت وعنده على بن يقطين وعمر بن
 يزيد والمعلّى مولاه فسلمت فرد وقال اجلس فجلست فقال أخبرنى بأمدح بيت
 قالته العرب فتخبرت ثم جرى على لسانى قول الخنساء :

وإن صخرأ لمولانا وسيدنا وإن صخرأ اذا يشو لنحارُ
 أغر أبليج تأتم الهداة به كأنه علمٌ فى رأسه نارُ
 فقال أخبرت هؤلاء فأبوا على قللت يأمر المؤمنين كنت أحق بالصواب
 فقال يا مفضل أسهرتى أبيات ابن مطير الأسدي :

وقد تغدو الدنيا فيضحي غنيها فقيراً ويفنى بعد يؤس فقيرها

(١) فى النسخ «ثناء» مكان «فناء» . (٢) بعض المعجز غير موجود
 هنا فاستدر كناه مما سبق حيث ذكرت هذه الأبيات باختلاف يسير عما هنا .

وكم قد رأينا من تسكدر عيشه وأخرى صفا بعد اكدرار غديره
 فلا تقرب الامر الحرام فانه حلاوتها تقى ويبقى سريرها
 ثم قال حدثني يا مفضل فقلت أي الأحاديث يشتهي أمير المؤمنين قال أحاديث
 الاعراب فحدثته حتى كاد النهار ينتصف فقال كيف حالك فقلت كيف حال رجل
 مأخوذ بعشرة آلاف درهم فقال يا عمر بن بزيع أعطه عشرة آلاف درهم لقضاء دينه
 وعشرة آلاف درهم لنفقة عياله فانصرفت بها . وكانوا يقولون قاتل الله الخنساء
 ما رضيت ان جعلت أخاها جيلاً حتى جعلت في رأسه ناراً فبالغت أشد المبالغة .
 واعترض ابن الرومي قولها فقال :

هذا أبو الصقر فرداً في مكارمه من نسل شيبان بين الطلح والسلام
 كأنه الشمس في البرج المنيف به على البرية لا ناراً على علم
 وتبعته فقلت :

خير الوري خيار الناس كلهم وشرهم لشرار الناس سوار
 منبه الذكري معروف طرائقه كالشمس لا علم في رأسه نار
 ومن جيد ما قيل في النباهة قول الأول أنشده أبو تمام :

إني إذا خفي الرجال وجدتنى وقال بشار : أنا المرعث لا أخفى على أحد
 وقلت : أتأمل ان تنال ندى كريم وقلت : أتأمل ان تنال ندى كريم
 ويجرى والمجرة في عنان تصور في القلوب فليس ينأى
 على نأى المحلة والمكان إذا عبس الزمان فل اليه
 تجده البشر في وجه الزمان وقلت : ترى يكون أن أخشى وأخضع للآذى
 وجار ابن عيسى كيف يخشى ويخضع ولا فيه إقصار ولا عنه مرجع
 به البدر يعلو أوسنى الصبح بسطع أغر شهر في البلاد كأنما

ومثله قول القاسم بن حبل رحمه الله تعالى :

من البيض الوجوه بنى سنان لو انك تستضيء بهم أضوا
لهم شمس النهار إذا استقلت ونور لا يفنيه العناء
هم حلوا من الشرف المعلي ومن حسب العشرة حيث شاؤا
فلو أن السماء دنت لمجد ومكرمة دنت لهم السماء
وقالوا أمدح بيت قانتة العرب قول الخطيئة :

متى تأتته تعشوا الى ضوء ناره تمجد خير ناره عندها خير موقد
وقالوا أمدح المدح ما يكون بالفضل وهو أن يقول فلان خير من فلان وفلان
أكرم من فلان ، ومن أجود ما جاء في ذلك قول أبي تمام :

كم من وساع الخطو في طلب الندى لما جرى وجريت كنت قطوفا (١)
أحسنتا صفدى ولكن كنت لي مثل الريح حيا وكان خريفا
وكلاهما اقتعد الملا فركبتها في الذروة العليا وكان (٢) رديفا
وقال : كواكب مجدي يعلم المجد أنها إذا طلعت بادت بصفر كواكب
وقال ابن الرومي :

تلوح في دولة الأيام دولتهم كأنها ملة الاسلام في الملل
وقلت: نصرت على الأعداء فليهنك النصر ودانت لك الدنيا وذلل لك الدهر
فأنت كآقبال الشبيبة والصبا تطيب بك الدنيا وينعمر العمر
وليس كرام الناس إلا كواكبها على صفحتي ليل وأنت لهم بدر
وفي الناس أجواد كثير وإنما أولئك أمجاد وأنت لهم بحر
فان أظلم الأحداث واسود ليالها فهم شفق فيها وأنت بها فجر

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع :

كم من وساع الجود عندي والندى لما جرى وجريت كان قطوفا

(٢) في الديوان «وجاء» مكان «وكان» .

أبا قاسم فخرًا على المجد والعملا . فإن الملا روض^ه وأنت به زهر
غدت أرضنا منكم سماء مظلة^ه لما أنجم^ه من زهر أخلاقكم زهر^ه
وبعد بيت الخطيئة :

وأنت امرؤ^ه من تعطه اليوم نائلًا . بكفيك لم يمنعك من نائل الغد
تري الجود لا يدني من المرء حنفة . كما البخل للإنسان ليس بمخلد
ومثله قول ليلي الاخيلية في توبة^(١) :

فلا يبعدتك الله^ه ياتوب إنها لقاء المنايا دارعًا مثل حاصر
فنعم فتى الدنيا وإن كان فاجرًا وفوق الفتى إن كان ليس بفاجر
فتى كلن أحياء من فتاة خريدة وأشجع من ليث^ه بنخفاق خاذر
فتى ينهل الحاجات ثم يعلها فيطمعها عنه تنايا المصادر
يقول لا يمنعه قضاء الحاجة الأولى عن قضاء الأخرى كما قال الآخر :
وأرضع^ه حاجة بلبان^ه أخرى كذاك الحاج^ه ترضع^ه باللبان
يقول فبرقعها المثنون عليه حتى كأنها ثنية رجم :

فأقسم أبكى بعد توبة هالكًا وأفضل من نالت^ه صروف^ه المقادر
وكان بيت الأعشى :

تشب^ه لمقرورين يصطليانها . وبات على النار الندى والمخلق^ه
يستحسن حتى قال الخطيئة * متى تأته تعشوا إلى ضوء ناره * على أن قول الأعشى
* وبات على النار الندى والمخلق * من أجود الكلام وأبلغه ، والمخلق الممدوح ،
ومثله قول حماس بن مائل :

فقلت^ه له أقبل فانك^ه راشد^ه وإن^ه على النار الندى وابن مائل
وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن الإخفش أخبرنا ثعلب قال اجتمعنا

(١) كانت ليلي الاخيلية شاعرة فصيحة ذكية ، تعد في الشعر بعد الخنساء .

وتوبة هو ابن الحمير العقيلي من شعراء العرب المشهورين .

عند أحمد بن إبراهيم فأنشده رجل :

أمر مالك قاصرٌ فقره على نفسه ومشيعٌ غناه
فقال أحمد قد جاء مثل هذا كثيراً فأنشد :

فتى إذا عدت تميم مما سادتها عدوه بالخنصر
ألبسه الله ثيابَ الملا فلم تطل عنه ولم تقصر
فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فأنشد الرجل :

أعدد ثلاثَ خللٍ قد عُرفنَ له هل سب من أحد أو سب أو بخل
فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فغاضني فقلت هات فقال نعم المدح الغريب
الذي لم يؤت مثله :

لله درُّ أبي المغيثِ فانه حسنُ الفعلِ ضعيفُ الخطِ الدرهم
وقريب من هذا قول أبي البحتري * حتى توهناه مخروق اليد * وفي خلاف قوله
* فلم تطل عنه ولم تقصر * قول ابن الرومي :

مدحتُ سليمانَ المقلبِ مدحةً . تجاوزُ حدَّ الحسنِ لو كان يشكرُ
فعسى عنها ناظرَاهُ كأنما بهوراءٍ عيني جده كان ينظر
سبغت عليه حلية ليس عيها سوى أنها ظلت تطول وتقصر
يهجو سليمان بن عبد الله بن طاهر .

وسمعت عم أبي يقول أمدح شيء قيل قول الأول :

قوم سنان أبوهم ^(١) حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قومٌ بعزهم أو مجدهم قعدوا
محسدون على ما كان من نعم لا ينزعُ الله عنهم ماله يحسدوا
فأخذ جماعة قوله * محسدون على ما كان من نعم * فصرفوه فيه وحده .

ومنها قول أبي تمام :

(١) في بلوغ الأرب « أبوهم سنان » .

لولا التخوفُ للعواقبِ لم يزل للحاسدِ النعمى على المحسود
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورت ما كان يُعرفُ طيبُ عرفِ العود
وقال البحتري :

ولن يستبين الدهر موضعَ نعمة إذا أنتَ لم تدلّ عليها بحاسد
وقال : محسدون كأن المكرماتِ أبت أن توجدَ الدهرَ إلا عند محسود
وقال غيره : محسدون وشرُّ الناسِ منزلةً من عاشَ في الناسِ يوماً غيرَ محسودٍ
ومعته يقول من أوائل المدح الجيد الذي لا نظير له قول أمية بن أبي الصلت في
عبد الله بن جدهان ^(١) :

عطاؤك زينٌ لا مرىٍ أن حبوته يبدل ^(٢) وما كلُّ العطاء يزينُ
وليس بشينٍ لا مرىٍ ببدلٍ وجهه اليك كما بعضُ السؤال يشين
وقال زهير :

من يلقَ يوماً على عِلاتِهِ هَرِمًا يلقَ الساحةَ منه والندى خلقا
لو نالَ حَيٌّ من الدنيا بمكرمة ^(٣) أفقَ السماءِ لتالت كفه الألقا
قد جعلَ المبتغونَ الخيرَ في هَرِمٍ والسائلونَ إلى أبوابه طرقا
وروى بعض الرواة للنابعة وروى لسعيد :

واللهِ واللهِ لنعمَ الفتى إلا عرجُ لا النكس ^(٤) ولا الخامل
الحاربُ الوافرُ والجابر السحروب والمرجل والجمال ^(٥)
والطاعنُ الطعنة يومَ الوغى ينهل منها الأسلُ الناهل

(١) تقدم أنه كان من الأجواد . (٢) كذا في ديوانه المطبوع ، وفي

النسخ « بشيب » . (٣) وفي رواية « بمنزلة » .

(٤) النكس : الضعيف . (٥) في الأصل « المرجل والحامل » بمهمات .

والقائل القول الذي مثله يمرع^(١) منه البلد الماحل
والغافر الذنب لأهل الحجا والقاطع الأقران والواصل
وقال بعض الاسلاميين وأحسن :
مُخَلِّقٌ أَنَامِلُهُ لِقَائِهِمْ مُرْهَفٌ ولَبِثُ فَائِدَةٍ وَذُرَّةُ مَنْبَرٍ
يلقى الرماحَ بوجهه ويصلده ويقيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ الْمُغْفَرِ
ويقول للطرفِ اضطرب لشبا القنا فهدمت ركن المجدان لم تغفر
واذا تأملَ شخصَ ضيفٍ مُقبلٍ متسرِّبٍ سربالَ ليلٍ أغبر
أوما إلى الكرماءِ هذا طارقٌ تحرّتى الأعداءُ أن لم تنحر
وسمعت الشيخ أبا أحمد يقول أمدح شيء قاله محدث قول مروان بن أبي
حفصة^(٢) في معن بن زائدة الشيباني^(٣) :

بنو مطرٍ يوم اللقاء كأنهم أسودُّ لها في غيل خفان أشبلُ
هم المانعونَ الجارَ حتى كأنما لجارهم بين السما كينَ منزلُ
بهاليلُ في الاسلام سادرا ولم يكن كأوهم في الجاهلية أولُ
هم القومُ أن قالوا أصابوا وان دعوا أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا
ثلاثٌ بأمثال الجبال حياهم وأحلامهم منها لدى الوزن أثقلُ
ولا يستطيعُ الفاعلونَ فعالهم وإن أحسنوا في النائباتِ وأجلوا
ثم أخبرنا المنجج أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال بلغني أن يحيى بن خالد
البرمكي قال لشراحيل بن معن بن زائدة أي شعر قاله ابن أبي حفصة في أبيك
أشعر قال قوله :

(١) مرع الوادي مثله الراء مراعاة : أكلاء ، والمرع : الخصيب - القاموس .

(٢) هو الشاعر النيامي الذي أعطاه الرشيد سبعين ألف درهم لما مدحه بقصيدته

السبعين التي مطلعها * إليك قصرنا النصف من صلواتنا *

(٣) هو الأمير البطل الجواد المشهور . .

نعم المناخُ لراغبٍ أوراها ^١ من نصيبُ جوائحِ الأزمانِ
معن بن زائدة الذي زيدت به ^٢ شرقاً إلى شرفِ بنو شيبانِ
مطر أبوك أبو الاهلة والذى بالسيف حاز هجائن النعمان
نفسى فداءً أبى الوليد إذا علا رهبج السنايك والرماح دوائى
فقال يحى أنت لا تعلم ما قيل في أيك أين أنت عن قوله :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسودُّ لها في غيل خفان اشبلُ
وأشدد الأبيات المتقدمة وزاد :

تشابه يوماء علينا فأشكلا فما نحن ندرى أىَّ يوميه أفضلُ
أيوم قدها الغمر أم يوم بأسه وما منهما إلا أغرُّ محجل

وأخبرنا قال أخبرنا محمد بن يحيى بن على عن أبيه عن اسحق الموصلى أخبرنا
أبو يوسف القاضي - وكان عبدل الرشيد في طريق الحج - قال اعترضه اعرابي فأنشد
أبيات ^١ فزبره ^(١) وقال ألم أنهم عن قول مثل هذا الشعر ألم أقل لكم امدحوني
بمثل قول القائل : بنو مطر يوم اللقاء كأنهم . وذكر الأبيات المتقدمة ، قال أبو
يوسف فقلت له فيمن قيلت ؟ قال في أب هذا الشاب الذى يسير في ظل القبة
فقلت للشاب من أنت فقال شراحيل بن معن بن زائدة قال اسحق فسمعت
شراحيل يقول : ذلك اليوم آثر عندي من الدنيا بخذا فيرها .

وأنشد بعض أهل الأدب قول ابن أبي طاهر ^(٢) وقال لو استعمل الانصاف
لكان هذا أحسن مدح قاله متقدم ومتأخر :

إذا أبو أحمد جادت لنا يده لم يُحمد الاجودان البحرُ والمطرُ
وإن أضاءت لنا أنوارُ غرته تضاءل النيران الشمس والقمرُ
وإن مضى رأيه أو حده عزمته تأخر الماضيان السيفُ والقدرُ

(١) الزبر : الاتهار والمنع والنهي . (٢) هو أحمد بن أبي طاهر ، قال هذا

الشعر في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر على مافي جنى الجفتين في تمييز نوعى المثنيين للمعنى .

من لم يكن حذراً من حدّ صوته ثم يدرما المزعجان الخوف والحذر
 حلو إذا أنت لم تبعث مرارته فان أمرّ فلوّ عند الصبر
 سهل الخلائق إلا أنه خشن كين المهزة إلا أنه حجر
 لاحية ذكر في مثل صوته ان صال يوماً ولا الصبامة الذكر
 إذا الرجال طغت أراؤهم وعموا بالأمر ردّ اليه الرأي والنظر
 الجود منه عيان لا ارتياب به إذ جود كل جواد عنده خبر

ومن المديح القليل النظير قول علي بن محمد بن الأفوه :

أوفوا من المجد والعليا في قلل شيم قواعدهنّ البأس والجود
 سبط اللقاء إذا شمت مخائلم بسل اللقاء إذا صيد الصناديد
 محسدون ومن يعلق بجبلهم من البرية يصبح وهو محسود
 وقال الفرزدق وهو أجود ما قيل في الجود عوداً على بدء :

له راحة يضاء يندى بنانها قليل إذا اعتل البخل اعتلاها
 جواد إذا أعطتك يوماً يمينه وعدت غداً مادت عليك شمالها

ونحوه قول الأعرابي في عبد الملك :

ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد أحداً سواك إلى المكارم ينسب
 فاصبر لعادتنا التي عودتنا أولاً فأرشدنا إلى من تذهب

وقول الآخر وهو من أجود ما قيل في حمد الرجل مكانه من قومه :

رأيتمكم بقية حبّ قيس وهضبت التي فوق الهضاب
 تبارون الرياح إذا تبارت وتمثلون أفعال السحاب
 يذكركم في ذراكم مقامي أمس في ظلّ الشباب

ومن عادة الناس أن يتكروها ما هم فيه من العيش وما هم عليه من الأحوال ،
 وقد حمد هذا حاله معهم وعيشه فيهم حتى شبهه بعيشه في ظلّ الشباب وهو من
 أجود ما قيل في هذا المعنى .

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول علي بن جبلة المعروف بالعكوك في أبي دلف :

إنما الدنيا أبو دلف بين مبداء ومختصره

فإذا ولي أبو دلف موّلت الدنيا على أثره

قال بعض من حضر : لا يجوز أن يكون مثل هذا الشعر لهذا ، وإنما ازدراء

لدمامته وعشه فقال له أبو دلف أما تسمع ما يقول الناس فيك أن الشعر لغيرك لأن

ألفاظه ألفاظ كاتب متأدب قال الامتحان يزيل الظنة غنى وما أظلم من استبرأ

فكيف رأى الأمير في الامتحان قال نعطيك صدوراً لتردّها بأعجاز قال ما اشتطّلت

ولا كلفت إلا الذي من نكب عنه حق عليه القول قدما أبو دلف بدوأة وقرطاس وكتب :

ريمت لنشور على مقرقه ذم له عهد الصبا حين انتسب

اهدأ شيب جدد في رأسه مكروهة الجدة انضاء العقب

ثم ناوله الدرج فقال كم لي في ذلك من الأجل قال شهر قال فأنطلق بهما إلى

رحلى قال ليس الامتحان للشاعر في بيته بمزيل للظنة عنه ولكن تبوأ حجرة من

القصر قال فليأمر الأمير بها ففعل وركب إلى دار المأمون فأبطأت كرتة فلما رجع

دخل عليه على والدرج بيده قال قد أجزت البيتين بقصيدة قال لقد خشيت عليك

النقص من الاعمال قال اليك تساق الرفاق ثم أنشدني بيتي أبي دلف^(١) ثم قال :

أشرقن في أسود ازرين به كان دُجاء لهوى البيض سبب^(٢)

فاعتضن أيام الغواني والصبا عن ميت مطلبه فن الأدب

فنازل لم يتهج نزوله وراحل أبقى جوى حين ذهب

لم أر كالشيب وقاراً يُحتوى وكالشباب الغض ظلاً يُستلب

كن الشباب لمة أزهي بها وصاحباً حراً عزيز المصطحب

إذ أنا أجري واثباً في غيه لا أعتب الدهر إذا الدهر عتب

(١) في نسخة «ثم أنشد يمرثني بيتي» .

(٢) روى صاحب الأغاني هذه القصيدة باختلاف كثير عما هنا .

وأذعر الربّ عن أطفاله
 مطرد يرتج في أقطاره
 تحسبه أقعد في استقباله
 وهو على إرهاقه وطيه
 تقول فيه جنب إذا اثنى
 يخطو على عوج يباهن الثرى
 تحسبها نائمة حين خطا
 يرتاد بالصيد فعارضنا به
 لا يبلغ الجهد به راكب
 إذا تظنينا به صدقنا
 ثم انقضى ذاك كأن لم يبقه
 وخلف الدهر على أعتابه
 فحمل الدهر ابن غيسى قاسما
 كرونق السيف انبلاجاً بالندى
 لاوسنت عين رأت غرته
 لولا الأمير لغدونا هلاً
 ولم يقم يأس يوم وندى
 تكاد تبدي الأرض ما أضمره
 ويستهل أملاً وخيفة
 وهو وإن كان ابن فرعى وائل
 وبملاء وعلا آباءه
 يا واحد الدنيا ويا باب الندى
 بأعوحى دني المنسب
 كلاء جالت فيه ريح فضطرب
 حتى إذا استدبرته قلت أكب
 يقصر عنه الخزمان واللبب
 وهو كمثل القدح مافيه جنب
 لم يتواكل عن شظا ولا عصب
 كأنها واطئة على نكب
 أو ابد الوحش فأجدى راكذب
 ويبلغ الريح به حين طلب
 وإن تظنى فوته الطرف لزب
 وكل بقيا فالى يوم عطب
 فى القدح فيه وارتجاع ما وهب
 ينهض به فراج هم وكرب
 أو كغراريه على أهل الريب
 واستيقظت نبوته من النوب
 لم يمثل مجد ولم يرع حسب^(١)
 ولا تلاقى سبب إلى سبب
 إذا تداعى خيله هلا وهب
 إذا استهل وجهه وإن قطب
 فبسماعيه ترقى فى الحسب
 تحوى غداة السبق أخطار القصب
 ويا مجير الزعب فى يوم الرهب

(١) فى نسخة زيادة «أو نسب» ولعلها إشارة لنسخة فيها كذلك .

لولاك ما كان سدى ولا ندى ولا قریشٌ عُرِفَتْ ولا العرب
 خذها امتحاناً من ملئ بالحبا لكنه غير ملئ بالنشب
 وقرٌ بالأرض أو استقر بها أنت عليها الرأس والناس ذنب
 قال فجعل ينشد وأبو دلف يرجف ^(١) إليه حتى مست ركبناه ركبته فلما
 بلغ قوله * لكنه غير ملئ بالنشب * قال لا ملائى الله إن لم أملاك يا غلام كم فى
 بيت المال ؟ قال ما قبضته من حامل الجبل وهو مائة ألف درهم قال أعطه إياها وقليل
 له ذلك ، قال فأقبل عليه عقيل أخوه يعنله ويقول له أنت على باب أمير المؤمنين وبين
 ظهرائى قواده وأمرائه ولا وجه لما لا يرد عليك من الجبل فادفع إليه البعض قال
 إليك عني والله لو شاطرته عمرى لكان ذلك دون ما يستحقه على .

ومن المديح الجيد قول مروان بن أبي حفصة :

كنى القبائلَ معنٌ كلٌ معضلةٌ يحى بها الدين أو يرعى بها الحسبُ
 كنز الحامدِ والتقوى ذخائرُهُ وليس من كنزه ^(٢) الاوراق والذهب
 أنت الشهابُ الذى يرمى العدو به فيستنير وتخبو عنه الشهب
 بنو شريك هم القوم الذين لهم في كل يوم رهان تحرز القصب
 ان الفوارس من شيبان قد عرفوا بالصدق ان نزلوا والموت ان ركبوا
 قد جرب الناس قبل اليوم أنهم أهل الخلو وأهل الشغب ان شغبوا
 قل للجواد الذى يسعى ليدركه أقصر فمالك إلا الفوت والطلب
 قوله فمالك إلا الفوت والطلب من أحسن معنى وأجوده وأبينه بياناً وأشدّه
 اختصاراً وهو من قول زهير :

سعى بدمهم قومٌ لكي يدركوهم فلم يفعلوا أولم يلاموا فلم يألوا
 وقال طريح ^(٣) :

(١) عليه « يزحف » وكلاهما صحيح . (٢) فى الاصل (كثرة) (٣) هو طريح

بن اسماعيل الثقفى ، أكثر شعره فى مدح خليفه الوليد بن يزيد الأموى .

قد طلب الناس ما طلبت فما قالوا ولا قاربوا وقد جهدوا
يرفضك الله بالتمكرم والتسقيى فتعلو وأنت مقتصد
وقلت في قريب منه :

إذا عن مجد أو تعرض سؤدد^(١) تسامى له ضخم الهموم مهمام
إذا اهتز للهباء فهو مهند^(٢) أو اهتز للافضال فهو غمام
تواضع وهو النجم عزاً ورفعة^(٣) وخف على الأرواح وهو شمام^(٤)
ارجيه يوماً أو ألقيه ساعة^(٥) فيخصب لي طم ويمر طام
يريدون منه أن يضمن وإنما أرادوا جود النعم وهو ركام
ولا عيب فيه غير أن خوى الندى خساس^(٦) إذا قيسوا به ولكام
بانت من العلياء ما فاتهم مما كأن لم يروموا ما بلغت وراموا
فن مبلغ عني الا كلام انهم اذا استيقظوا للسكرات نيام
وأجمع بيت قيل في المديح قول أبي العيشل^(٧) في عبدالله بن طاهر^(٨)
قالت ركمت فقلت إن وراءكم ان قد كبرت ومن يعمر بركم
وعهدتى أمضى لشأنى مطلقاً فليت بمدك بالنسا والأجدع
يامن يؤمل أن تكون خياله كخلال عبد الله أنصت واسمع
فلا نصحتك في المشورة والذي حج الحجاج اليه فاقبل أودع
أصدق وعف وجدوا نصت واحتمل واصفح وكاف ودار واحلم واشجع

(١) جبل . (٢) هو عبد الله بن خليلد شاعر مؤدب . (٣) عبدالله بن طاهر
الخراساني الأمير الشجاع العاقل الجواد ، وفيه يقول أبو تمام وقد قصده من العراق
قصيده المشهورة التي مطلعها :

أطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود
وفي سفره أبي تمام هذه ألف الحماسة فإنه حكم عليه البرد هناك ووقع على خزانة
كتب فاختار منها الحماسة .

وقد جمع هذا البيت جميع خصال المدح ، ومعه المتنبي فأراد أن يعيب على
قالبه ^(١) فآتى بما لا ينطق ^(٢) به اللسان ولا ينطوى عليه الجنان .

ومن الأبيات الجامعة في المديح قول ابن الرومي :

هو الغرة البيضاء من آل هاشم وهم بعده التحجيل والناس أدهم

ومن الأبيات الجامعة لمعاني الحسن قول البحتري :

ذات حُسن لو استزادت من الحُسن اليه لما أصابت مزيدا

فهي الشمس بهجة والقضيب السلدن ^(٣) لينا والريم طرفاً وجيدا

وقال في هذه القصيدة :

واذا ما عُدت يحبي وعمرا وإياساً ^(٤) وطامراً ووليداً

وعبيداً ومسيراً ^(٥) وجدياً وئدولاً وبحترأً وعثوداً

لم أدع من مناقب المجد ما يفتنع من هم أن يكون بجيدا

وقلت في المديح :

حليفٌ علاءٌ وتجد وفخر وبأس وجودٍ وخير وخير

أضاء فاطرق ضوء الشمس وتم فأغضي تمام البدور

وقلت في المديح أيضاً :

من الغرِّ لآحوا شمساً ومضوا ظي وصالوا أسوداً واستهلوا سواريا

ومن المديح البليغ قول الأول :

متبذل في الهي وهو مبجل متواضع في القوم وهو مُعظم

وما أحسن في ذكر التواضع أحد كاحسان أبي تمام في قوله :

(١) لعله «قائله» . (٢) في نسخة «ينطلق» . (٣) في النسخة المطبوعة من

ديوان البحتري «الغض» مكان «اللدن» . (٤) في النسخة المطبوعة من البحتري

«أبانا» مكان «إياساً» . (٥) في الأصل «طامراً» مكان «مسيراً» والتصحيح

من ديوان البحتري المطبوع .

إذا أحسن الاقوام أن يتناولوا بلا منة أحسنت أن تتطولا
فعضمت عن ذاك التعمم منهم وأوصاك نبل القدر أن تنبلا

وقال البحترى في التواضع مع علو الرتبة :

دنوت تواضعا^(١) وعلوت قدرا فحالك انحدار^(٢) وارتفاع^(٣)

كذلك الشمس تبعد أن تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع

فأتيت بهذا المعنى في بيت :

تواضع إذا العلاء بضيمه ؟ كأنحط ضوء البدر وارتفع البدر

وأجود ما قيل في صفة الرجل الحازم الجلد من قديم الشعر قول لقيط بن يعمر^(٤) :

فقلدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحق^(٥) مضطلعا

لا مترفاً إن رخاء العيش ساعده ولا إذا عض مكروه به خشعا

ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره يكون متبعا طورا ومتبعا

لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه^(٦) هم يكاد حشاه يحطم الضلعا^(٧)

حتى استمر على شرد مريرته مستحكما الرأي لا قحما ولا ضرعا

ومن هنا أخذ الشاعر قوله :

ولست بمفراح إذا الدهر سرنى ولا جازع من صرفه المتقلب

وقول دريد بن الصمة^(٨)

ينازل اخدان الرجال وانه لمجد ثناء ثم يزد^(٩)

ويخرج من العناء الشدة مصدقا^(١٠) وطول السرى درى غضب مهند

(١) في النسختين «وضوعا» وهو خطأ (٢) الذى في الديوان المطبوع :

دنوت تواضعا وبعدت قدرا فشأنك انحدار وارتفاع

(٣) الا يادى شاعر جاهلي ، ومطلع هذه القصيدة «يادار عمرة من محتلها الجرما» .

(٤) وفي رواية «بأمر الحرب» . (٥) في النسخ تصحيف . (٦) أصله

من هوازن ، كان شجاعا من الأبطال الشعراء ، أدرك الاسلام ولم يسلم .

(٧) كذا (٨) كذا وفي غيره « ونخرج منه صرة القر جزاة » .

هذا البيت أجود ما قيل في سعة الخلق من قديم الشعر :

كيشُ الأزار خارجٌ نصفُ ساقه صبورٌ على الأزاء^(١) طلاعُ انجد
 قليلُ التشكى للمصيباتِ حافظٌ من اليوم أعقابَ الأخاديتِ في غد
 إذا سارَ بالارضِ الفضاءِ تزينت لرؤيته كالدائم المتبدد
 فلا يبعدنك الله حياً وميتاً ومن يعلو ركنٌ من الارض يبعد
 موضع هذه الايات من باب المرائى واما أوردتها هنا لأن قوله فيها « قليل التشكى
 للمصيبات » شبيه بما تقدم من قول الآخر : * ولا جازع من صرفه المتقلب *

ومن شعر المحدثين قول أبي تمام :

وعززت بالسبع الذى بزئيره أمست وأصبحت الثغورُ عزيزا
 قطب الخشونة والليان بنفسه^(٢) فغدا جليلاً فى العيون لطيفا
 هزته معضلةُ الأمور وهزها وأخيفَ فى ذات الآله وخيفا
 يقظان أحصدت التجارب جزمه^(٣) شرراً وثقف عزمه تشقفا
 وسلكن من أترابه الشعل التى^(٤) لو أنهن طبعن كن سيوفا
 وإنما أخذ وصف هذا البيت من ديك الجن وكان أبو تمام كثير الاناخذة
 عليه وهو قوله فى مرثيته :

ماء من العبرات حدى أرضه لو كان من مطر لكان هزيماً
 وبلايل لو أنهن ما كل لم تخطىء الغسلين والزقوما
 وكرمي بر وعسى لو أنه رطل لكان الحرث واليحموما

ونقل البيت الأول أنو تمام الى موضع آخر فقال :

مطر من العبرات حدى أرضه حتى الصباح ومقلتاى سماؤه

(١) لعله « الضراء » . (٢) وفي ديوان أبي تمام المطبوع :

قطب الخشونة بالليان معاقباً فغدا جليلاً فى القلوب لطيفا

(٣) فى الديوان « عقده » . (٤) فى الديوان « واستل من آرائه الشعل التى » .

ومن ذلك قول أبي تمام :

وإذا رأيت أبا يزيد في ندى ووغى ومبدي غارة ومُعيدا
أيقنت أن من السماح شجاعة تدمى وإن من السماح جوداً
ومكارماً عتق النجار تليدة إن كان هضب عمايتين تليداً
متوقدً منه الزمان وربما كان الزمانُ بآخرين بليداً

وقال البحتري :

أغر لنا من جوده وممّاحه ظهيرٌ عليه ما ينجب وشافمٌ
ولما جرى للمجد والقوم خلفه تقول أقصى جهدهم وهو وادع
وهل يتكافأ الناس شتى خلاهم وما يتكافى في اليدين الأصابع
إذا ارتدّ صمّتا فالرؤس نواكسٌ وإن قال فالأعناق صور خواضع
وأغلبٌ ما ينفكُ من يقظاته ربّايا على أعدائه وطلائع
جنانٌ على ما جرت الحرب جامعٌ وصدرٌ لما يأتي من (١) الدهر واسع
جديرٌ بأن ينشق عن ضوء وجهه ضبايةٌ تقع تحته الموت نافع
تذودُ الدنايا عنه نفسٌ آية وعزمٌ كصدر (٢) الهندواني قاطع
بعيدٌ مقبل السرّ لا يدركُ التي يحاولها منه الأريبُ المخادع
ومنكتمُ التدبير ليس بظاهر على طرفِ الرائي الذي هو تابع
ولا يعلمُ الأعداءُ من فرط عزمه متى هو مصبوبٌ عليهم فواقع
لم يبق وجه من وجوه المدح في الجود والشجاعة وتصوب الرأي ومضاء العزيمة
والدهاء وشدة الفكر إلا قد اجتمع ذكره في هذه الآيات ولا أعرف أحداً
يستوفي مثل هذه المعاني في أكثر مدائحه إلا البحتري .

وقال بعضهم أجود ما قيل في صفة الرجل الحازم قول زينب بنت الطرية :
إذا جدّ عند الجد أرضاك جدّه وذو باطلٍ إن شئت أهلك باطله .

(١) في الديوان (به) . (٢) في الديوان (كحد) .

يَسْرُكُ مَظْلُومًا وَيَرْضِيكَ ظَالِمًا وَكُلُّ الذِّى حَمَلْتَهُ فَهُوَ حَامِلُهُ
ومثله قول الآخر :

أَخُو الْجَدِّ إِنْ جَدَّ الرِّجَالُ وَشَمَرُوا وَذُو بَاطِلٍ إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ بَاطِلٌ
ومن المديح المفرط قول منصور النمرى في هارون :
إِذَا مَا عَدَدْتَ النَّاسَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ فَلَيْسَ لِهَارُونَ إِلَّا مَامِ نَظِيرُ
فضله على أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم من الصحابة رضى الله تعالى
عنهم ، وهذا مكروه جداً وأكره منه قول أبى نواس :
تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشُّبُهَةَ فَاشْتَبَهَا خَلْقًا وَمُخْلَقًا كَمَا قَدْ شَرَاكَانِ
فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَمُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ سَوَاءً فِي الْخَلْقِ وَالْخَلْقِ .
وبعد بيت النمرى آيات جياذ منها قوله :

مَنْعَ الْحَى لَكِنْ أَعْنَاقَ مَالِهِ بَظَلِ النَّدى يَسْطُو بِهَا وَيَسُورُ
كأنه من قول كثير :

غُرِّ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلَقْتُ لَضَحِكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ
وهذا من قول الأخطل :

وَقَفْتُ عَلَى حَالِكَمَا فَإِذَا النَّدى عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ
خَرَجْتُ أَجْرُ الدَّيْلِ حَتَّى كَأَنَّنِي عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ
يُرُوحُ وَيَغْدُو سَاجِيًا فِي وَقَارِهِ عَلَى أَنَّهُ يَوْمَ الْمَرَامِ ذَكِيرُ
وَلَيْسَ لِأَعْبَاءِ الْأُمُورِ إِذَا عَرَّتْ بِمَكْتَرٍ لَكِنْ لَهْنٌ قَهُورُ
يَرَى مَا كُنَ الْأَوْصَالُ بِاسْطِجْهَدَ يَرِيكَ الْهُوَيْنَا وَالْأُمُورُ تَطِيرُ
ولا أعرف في هذا المعنى أجود من هذا البيت :

وَقَالُوا أَمْدَحْ بَيْتَ قَالِهِ مَحْدَثُ قَوْلِ النَّمْرِى فِي هَارُونَ :
إِنْ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ أَحْلَكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ (١)

(١) تقدم هذا البيت بصدر « خليفة الله إن الجود أودية » .

أخذه من قول أبي وجزة السعدي^(١) :
 أناك المجدُّ من هنا وهنا وأنتَ لهُ بمجتمع السيول
 وأخذه ابن أمية الكاتب فقال في غزل :
 تركت فيك التي ! ؟ وأنتَ منها بمجمع الطرق
 ونقلته إلى الهجاء فقلت :

أتعدو بمستن العيون مخيما وأنتَ بعيب العالمين موكل
 وفي قصيدة النمرى أبيات قليلة النظم منها قوله :

مستحكم الرأي مُستغن بوحده عن الرجال برب الدهر مضطلع
 يقرى العدو المنايا والقناة ندى من كل ذاك القرى أحواضه ترع
 إذا بلغنا جمال الأرض لم ترنا للحادثات بحمد الله نخشع
 لما أخذتُ بكفى جبل طاعته أيقنت أنى من الأحداث ممتنع
 ان الخليفة هارون الذى امتلأت منه القلوب وجارت تحته ترع
 ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله أوصاق أمرٌ ذكرناه فيتسع
 أخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن الصولى عن المبرد وغيره قال شكنا منصور
 إلى العتابى طلقاً استمر بامرأته ثلاثة أيام تخوف عليها منه فقال العتابى دواؤه معك
 أقرب منها وقل «هارون» فان أمرها بسهل فغضب منصور فقال له لا تغضب فأنت
 قضيت بذلك في قولك :

ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله أوصاق أمرٌ ذكرناه فيتسع
 فأسكت منصور . ومن المديح البارع قول بشار :

ألا أيها الطالب المتغنى نجوم السماء بسعى أمم
 سمعت بمكرمة ابن العلاء فأنشأت تطلبها لست تم
 إذا عرضَ الهمُّ في صدره لها بالعطاء وجيب البهم

(١) هوزيد بن عبيد أبو وجزة ، من التابعين

فقل للخليفة إن جِستهُ
إذا أيقظتك جسامُ الأمور
فنبه لها عمراً ثم تم
ولا يشربُ الماءَ إلا بدم
نصيحةً ولا خيراً في المتهم
فيغدو على نعيم أو نيقم

وقال البحتري :

إذا المتهدي بالله عدتْ خِلالهُ
وقلت : كم غاية لكم تقاصرُ كونها
حسبتَ السماءَ كثرتك نجومُها
يعلو كرام العالمين وإنما
من رامها فكأنه مارامها
وإذا تسامى الأكرمون إلى العلا
يعلو كرام العالمين وإنما
نالت مناصمها ونلت سنامها
أمن المكارم أن يُبددَ ثملها
لما زانتك نظامه ونظامها
ذلت له نوب الزمان وأصبحت
في عقوبته جبالها آكامها

وقال البحتري :

إذا ذكرت أسلافه وتشوهرت
إذا مانت الأرضُ ابتدوها كأنما
أما كنها قلت النجوم قبورها
ودون علام للمسامين برزخ
اليهم حياها أو عليهم نشورها
بتدبير مأمون على الأمر رأيهُ
إذا كلفته العير طال مسيرُها
وذوها جس لا يحجب الغيبُ دونه
تريه بطون المشكلات ظهورها

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن عبد الله بن الحسن عن البحتري قال سمعت ابراهيم
ابن الحسن بن سهل يقول : الأوائل حجة وهؤلاء أحسن تعريفا إلى أنه أنشده
يوماً عبد الله بن أبوب التيمي شعراً يمدحه فيه فلما بلغ إلى قوله :

تري ظاهر المأمون أحسن ظاهر وأحسن مما قد^(١) أمر وأضرما
يناجي له نفساً ترسع بهمة إلى كل معروف وقلبا مطهرا

ويخشع إجلالاً له كل ناظر
ويأبى الخوف الله أن يشكرا
طويل نجاد السيف مضطمر الحشا
طراه طراد الجيش حتى تجسرا
رقل إذا ما السلم رقل ذيله
وان شمرت يوماً له الحرب شمرا
فقال الفضل ما بعد هذا مدح وما شبه فروع الاحسان بأصوله .

ومن المندح القليل النظر قول أمانة بنت الجلاح الكلبيه : أخبرنا
أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن البرمكي أحمد بن جعفر حدثني محمد بن ناجية
الرصفاني قال كنت أحد من وقعت عليه التهمة أيام الواقعة بمال مصر فطلبني
السلطان طلباً شديداً حتى ضاقت علي الأرض برحبها فخرجت إلى البلاد
مرتاداً رجلاً عزيزاً منيع الدار أعوذ به وأنزل عليه حتى انتهت إلى بني شيبان
ابن ثعلبة فدفعت إلى بيت مشرف بظهر راية منيعة وإلى جانبه فرس مربوط
ورمح مركون يلعب سناناه فتزلت عن فرسي وتقدمت فسلمت على أهل الخباء فرد
على نساء من وراء السجف يرمقنني من خلل الستور بعيون كميون أخشاف
الظباء فقالت إحداهن اطمئن يا حضري فقلت وكيف يطمئن المطلوب أو يأمن
المرعوب ولما ينجو من السلطان طالبه والخوف غلبه دون أن يأوي إلى جبل
يمصيه أو معقل يمنعه فقالت يا حضري لقد ترجم لسانك عن قلب صغير وذنب
كبير قد نزلت بفناء بيت لا يضام فيه أحد ولا يجوع فيه كبد مادام لهذا الحي
سبد أو لبد هذا بيت الأسود بن قنان أخوانه كلب وأعمامه شيبان صعلوك الحي
في ماله وسيدهم في فعاله لا ينازع ولا يدافع له الجوار وموقد النار وطلب النار وبهذا
وصفته أمانة بنت الجلاح الكلبيه حيث تقول :

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته بكل معدى وكل يمانى
وفى بهم حلاً وجوداً وسوداً وبأساً فهذا الأسود بن قنان
فتى كالفتاة البكر يسفر وجهه كأن تلالى وجه القمر ابن
أغر أبر ابني نزار ويعرب وأوثقهم عقداً بقول لسان

وأوفاهم عهداً وأطولهم يداً وأعلامهم فعلاً بكل مكان
وأضربهم بالسيف من دون جاره وأطعمهم من كدونه بستان
كان العطايا والمنايا بكفه سبحانه مقرونان مؤتلفان
قلت الآن ذهبت غي الوحشة وسكنت الروعة فأني لي به قالت يا جارية
أخرجي فنأدى مولاي نخرجت الجارية فما لبثت إلا هنيهة حتى جاءت وهو معها
في جمع من بني عمه فرأيت غلاماً حسناً^(١) اخضر شاربه واختط طارضه
وخشن جانبه فقال أي المنعمين علينا أنت فبادرت المرأة فقالت يا أبا مرهف هذا
رجل نبت به أوطانه وأزعجه سلطانه وأوحشه زمانه وقد أحب جوارك ورغب في
ذمتك وقد ضمننا له ما يضمنه مثله مثلك فقال بل الله فاك قال فأخذ يدي وجلس
وجلست ثم قال يا بني أبي وذوي رحى أشهدكم أن هذا الرجل في ذمتي وجواري
فمن أرادته فقد أرادني ومن كاده فقد كادني وما يلزمني من أمره من حال إلا ويلزمكم
مثله فليسمع الرجل منكم ما يسكن إليه قلبه وتطمئن إليه نفسه . فما رأيت جواباً
قط أحسن من جوابهم اذ قالوا بأجمعهم ما هي أول منة مننت بها علينا ولا أول يد
بيضاء طوقتناها وما زال أبوك قبلك في بناء الشرف لنا ودفع الذم عنا فهذه أنفسنا
وأموالنا بين يديك . ثم ضرب لي قبة الى جانب يمينه فلم أزل عزيزاً منيعاً حتى سرح
لي السلطان ما أملت فأنصرفت الى أهلي .

ومن المديح البارع قول الأخطل :
شمسٌ المداوة حتى يستقاد لهم^(٢) وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا
أخذه خارجه بن مليح المكي وأحسن :

آل الزبير نجومٌ يستضاء بهم إذا احتجب الليل في ظلماته زهروا
قومٌ إذا شومسوا لج الشماس بهم ذات الأباء وان يأسرتهم يسروا

(١) في الأصل « حين » .

(٢) في الأصل (بهم) والتصحيح من شعر الأخطل المطبوع :

ومنه قول كثير في عبد الملك :

أبوك الذي لما أتى مرجَ راهط
وقد ألبوا من جمعهم ما تألبا
تسناً للأعداء حتى إذا أتوا
لما شاء منهم طائعين تحببا

وقال البحتري :

حرونٌ إذا طاززته في مُلّة
فان جئته من جانب النل أصبحبا
ونحوه : كريمٌ يغض الطرفَ فضلُ حياته
ويدنو وأطرافُ الرماح دواني
وكالسيفِ ان لا ينته لانَ مته
وحداه ان خاشنته خشنان
ومثل قول خارجة * إذا احتبى الليل في ظلماته زهروا * قول الأشجع :
إذا غاب عنا الفجرُ خضنا بوجهه
دُجي الليلِ حتى يستنيرَ لنا الفجرُ

وقال خارجة أيضا :

ويسفر للسارى إذا جنَّ ليله
سبيل المطايا بالوجود السوافر

وقال ادريس بن أبي حفصة :

لما أتتك وقد كانت منازعة
وافي الرضا بين أيديها باقياد
لها أمامك نورٌ تستضيء به
ومن رجائك في أعقابها حادى
لها أحاديثٌ من ذكراك تشغلها
عن الرنوع^(١) وتلهينا عن الزاد
ولا أعرف في معناها مثلها :

إذا أشرقت في جنح ليل وجوهمهم
كفى خابطَ الظلماءِ ضوءُ المصابيح
وان ناب خطبٌ أو ألت مُلّة
فكم ثمَّ من آسى جراحٍ وجراح

ومن أجود ما قيل في صفة الرجل الجواد قول أبي الأسد الدّينورى :

ولأئمة لا أمتك يا قبيضُ في الندى
قللتُ لها لن يقدحَ اللومُ في البحر
أرادت لتتقى الفيضَ عن مادة الندى
ومن ذا الذى يثنى السحابَ عن القطر

مواقع جودِ الفيضِ في كلِّ بلدةٍ مواقع ماءِ المزنِ في البلدِ القفر^(١)
ولا أعرف في معناها مثلاً . وقلت :

تقضى مآربه من كلِّ فائدةٍ لكن من المجد ما تقضى مآربه^٢ -
أفاده العزَّ آباءُ ذوو كرم وزاده الخلقُ المحضُ جانبه
لقد فضلتَ كرامَ الناسِ كلهم فهم مناسمُ مَسجدِ أنت غاربه
يا ليتَ شعري هل يَسطيعُ شكرُكم دهرٌ نَساعِيكم فيه مَناقبه
و حينَ أَرْضِيتُم كنتم نوافله وأنتم حينَ أسخَطتم نوائبه
منكم على الدهرِ عينٌ لا تناومه وللحوادثِ قِرْنٌ لا تغالبه
ومن أجود ما قيل في ذكر الجود قول الأشجع^(٢) في جعفر بن يحيى :

يرومُ الملوكُ جدى جعفر ولا يصنعونَ كما يصنعُ
وكيف ينالونَ غاياته وهم يجمعونَ ولا يجمع
وليس بأوسعهم في الغنى ولكنَّ معروفه أوسع
فما خلفه لأمريء مطمع^٣ ولا دونه لأمريء مقنع
إذا رفعت كفه معشراً أبى العز والفضل أن يوضعوا
ولا يرفعُ الناسُ من خطه^٤ ولا يضعُ الناسُ من يرفعُ
رأيتُ الملوكَ تغضُّ العيون إذا ما بدا الملكُ الاتلع
بديته^٥ مثلُ تدبيره متى هبته فهو مستجمع

أخذ قوله « بأوسعهم في الغنى » من قول الأول :

له نارٌ تشبُّ بكلِّ أرض إذا النيرانُ جللتِ القناعا
وما ان كان أكثرهم سواداً ولكن كان أرجبهم ذراعاً

(١) يكرر المصنف بعض الأبيات في مواضع لمناسبات .

(٢) هو أبو الوليد أشجع بن عمرو السلمي ، مدح البرامكة وانقطع إلى

جعفر بن يحيى فقربه من الرشيد فأثري ، ورثى الرشيد بعد موته .

وقال بعض المولدين :

وما رأيتك في حال تكونُ بها أدنى إلى كل خير منك في العدم
ومن أجود ما قيل في الصلة على بعد الدار قول نهشل بن جرى :
جزى اللهُ خيراً والجزاء بكفه بنى الصلت إخوان السماحة والمجد
أتاني وأهلي بالعراق ندامهم كما صاب غيثٌ من تهامة في نجد
فما يتغير من زمان وأهله فما غير الأيام مجدكم بعدي
فأخذه البحري أخذاً ما رأيت أعجب منه وقد وجه إليه بنو السمط برمي
حص إلى منبج فقال :

جزى اللهُ خيراً والجزاء بكفه بنى السمط إخوان السماحة والمجد
هم حضروني والمهامه بيننا كما أرفض غيثٌ من تهامة في نجد
إلا أن قوله * هم حضروني والمهامه بيننا * أبدع وأحسن من قول
نهشل * أتاني وأهلي بالعراق ندام * وأخذه ابن المولى فقال :

فرحتُ بجعفر لما أتانا كما مُرَّ المسافرُ بالأياب
كمطورٍ يبلده فاضحى غنياً عن مطالعة السحاب
وأخذه أبو السمط بن أبي حفصة فقال في عبد الله بن طاهر :

لعمري نعيم الغيث غيثُ أصابنا يبعداد من أرض الجزيرة وابله
ونعيم الفتى والسدُ بيني وبينه بسبعين ألفاً صبحتني رسائله
فكنا كحى صبح الغيث داره ولم يحتمل أظمانه وجمائله

وأخذه أبو تمام فقال :

لم أستطع سيراً لمدحة خالد فجلتُ مدحته اليه رسولا
فليرحلن اليك نائلُ خالد وليكفينَّ رواحلي الترحيلا

وأخذه أبو صفان فقال في أحمد بن محمد بن نوبة :

نفسى فداء أبي العباس من رجل لم ينسني قط في ناي ولا كشب

يقرى وبارقة البيضاء منزله من بالعراقين (١) من عجم ومن عرب
 أغنيته عن رجال أنت فوقهم في المكرمات ودون القوم في النشب
 وأصل ذلك كله من قول جرير : أخبرنا أبو أحمد عن علي بن سليمان
 الأخفش عن ثعلب عن محمد بن سلام قال قال أبو العراف بعث عبد العزيز بن
 مروان إلى جرير بمال من الشام فتجهز يريد فأتاه نعيه فقال جرير يرثيه :
 بنفسى امرأً والشام بيني وبينه أتني بيشري برده ورسائله
 قال أبو أحمد قال أبو الحسن لا يجوز عندنا (إلا امرؤ) إلا أن الرواية
 هكذا ، معناه أفدى .

أتى زمن البيضاء بعدك فأتحت على العظم حتى ماتقوم حوافله
 فيومان من عبد العزيز تفاضلا في أي يوميه تلوم عواذله
 فيوم تحيط المسلمين جواده ويوم عطاء ما يفرح نائله
 ومن المديح البارع قول إبراهيم بن العباس :
 أسدٌ ضارٍ إذا هيجته وأبٌ برٌّ إذا ما قدرا
 يعلمُ إلا بعد إن أثرى ولا يعلمُ الأذى إذا ما افتقرا
 ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد في جملة خبر أخبرناه عن أبيه عن أحمد
 ابن أبي طاهر النديم عن عبد الله بن السري عن أحمد بن سليمان قال قال عبد الله
 ابن زيد القسري كنت قائماً على رأس ابن هبيرة وعنده سباطان من وجوه الناس
 إذ أقبل شاب لم أر مثل جماله وكاله فقال أصلح الله الأمير إني امرؤ قدحت كربة
 وأوحشته غربة ونأت به الدار وأقلقه الأعمار وحل به عظيم خنله أخلاؤه وشممت
 به أعداؤه فإني أرى فيه معولا ولا جازي
 نعمه إله أرجاء الله آتني وحسن عائدة الأمير وأنا أصلح الله الأمير ممن لا تجهل

(٢) العراقان : الكوفة والبصرة ، وعراق العرب وعراق العجم . كما في

جنى الجنيتين في تمييز نوعي المثنيين للمحبي .

أسرته ولا تضيع حرمة فان رأى الأمير أن يسد خلتي ويجبر خصاصتي فعل فقال
ابن هبيرة ممن الزجل ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

فزاره بيتُ المجد والعزِّ فيهم فزاره قيسٌ حسب قيس فبالها
لها العزة القعساء والشرف الذي بناءً لقيس في القديم رجاً لها
وهل أحدٌ ان مبدً يوماً بأفنه إلى الشمس في جَوْ السماء ينالها
لهيئات ما أعي القرون التي مضت ما أثر قيس واعتلاها خصالها

فقال ابن هبيرة إن هذا الأدب حسن مع ما أرى من جذائفة شخصك فكم
أنت لك ؟ قال تسع وعشرين - فلحن الفتى - فتبسم ابن هبيرة كالشامت به وقال
ألحن أيضاً مع جميل ما أتى عليه منطقتك ، شفته بأقبح عيب ^(١) فأبصر الفتى ما وقع
فيه فقال إن الأمير أصاحه الله تعالى عظم في عيني وملأت هيته صدرى فنطق
لسانى بما لا يعرفه قلبي . فقال له ابن هبيرة : وما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم
بها أوده ويحضر بها سلطانه ويزين بها مشهده ويتبوا بها على خصمه أو يرضى أحدكم
أن يكون لسانه مثل لسان مملوكه وأكلاره ^(٢) وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم
فان كان سبقك لسانك وإلا فاستعن على اصلاحه ببعض ما أوصلناه اليك ولا
يستحي أحدكم من التعلم فانه لولا هذا اللسان لكان الانسان كالبهيمة المهمة
قاتل الله الشاعر حيث يقول :

ألم ترَ مفتاحَ الفؤادِ لسانه إذا هو أبدى ما يقول من الفم
وكلُّن ترَى من صامت لك مُعجب زيادته أو نقصه في التكلم
لسانُ الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبقَ إلا صورة اللحم والدم

ومن بارع المديح :

إلى منك موعودٌ طلبتُ نجاحه وأنتَ امرؤٌ لا تخلف ^(٣) الدهرَ موعدا
وعودتنى اب لا تزال تُظلنى يدُ منك قد قدّمتَ من قبلها يدا

(١) كذا والمعنى ظاهر . (٢) الاكلار : الحراث . (٣) في الأصل « يخلف » .

فلو أن مجدداً أوندى أو فضيلةً تخذل شيئاً كنت أنت المخلداً
ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد عن الصُّولي عن أبي العبيد عن
الأصمعي للصوت الكلابي وقال مرة للصوت الكلابية امرأة :

لله درك أي جنة خائف ومتاع دنيا أنت في الحديثان
متخبط يظأ الرجال غلبة^(١) وطأ الفتيق^(٢) دوارح القردان
وتفرج الباب الشديد رناجه حتى يكون كأنه بابان
وتبعه أبو تمام فقال في ابن أبي داود :

فلتبك الأحساب أي حياة وحيا أزمة وحية واد
طابق معتق من اللوم^(٣) إلا من مقاساة مغرم أو نجاد
ومن أجود ما قيل في صفة الكمال قول كشاجم :

ومذهب الألفاظ منطقته مافيه من خطل ولا مين
ماشتت من ظرف ومن شيم مافي محاسنهن من شين
ما كان أحوج ذا الكمال اني عيب يوقيه من العين
قد أحسن وظرف ولم يقصر في تفليل الحز واصابة المفصل . ومثله قوله :
يا كامل الآداب منفرد العلا والمكرمات ويا كثير الحاسد
شخص الانام الى كمالك فاستعد من شر أعينهم بعيب واحد
وقال ابن الرومي يمدح بعض العمال وقد نكب :

لا يستطيعك بالتنقص حادث وأبي لك التكميل أن تزيدا
وكأنني بك قد نحت محمد في النائبات كما دعوت محمدا
ذمت كالسيف الحسام مجرداً للحق أو مثل الهلال مجددا

(١) المتخبط : القهار الغلاب . والغلبة بضممتين بمعنى الغلبة والقهر .

(٢) الفتيق : الفحل الم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب .

(٣) في ديوان أبي تمام « الهون » .

شهد النهار وكشفه غم الدجى ان الزمان مُبيضٌ ماضودا
ومثله قول الآخر :
فما كنت إلا السيف مُجَرَّدٌ في الوغى وأخمد في الهيجا وردٌ الى الغمد
ومن أبلغ المديح :
بديته وفكرته سواءٌ إذا مانابه الخطبُ الكبيرُ
وصدر فيه لهم اتساعٌ إذا ضاقت من الهم الصدور
ومن أبلغ المديح قول البحترى :
أخذوا النبوة والخلافة واشنوا بالمكرُماتِ كثيرها وقليلها
وإذا قریشٌ قاضلتك فضلتها بأبي خلائفها وعم رسولها
وجوادِها ابن جوادِها وكريمها ابن كريمها ^(١) ونيلها ابن نيلها
لو سارت الأيامُ في مسعاتهم لتناها لتقطعت في طولها
رفعتهم الآياتُ في تنزيلها وقضت لهم بالفضل في تأويلها
وإذا انشعبت أخذت خير فروعها وإذا رجعت أخذت خير أصولها
وقلت : لئن قلَّ أربابُ المكارم والعلا ليحيى كثيرٌ في العلا والمكارم
يذكرني جودَ النعمان جوده وشكرى له شكرَ الثرى للنعمان
تخال به بدرًا مع الليلِ باهرًا يلوحُ على عرف من الليل فاحم
يدبل من الأيام والدهر منصف بعزم على الأيام والدهر حاكم
يزُّ من الانجاء كل مساور ويعلو من الامجاد كل مكارم
بخلق كمن الصخر في كف لاس وطور كجى الماء في عين حاتم
ورأى كصدر الراغبة شارع وعزم كحدَّ المشرفة صارم
على بلدة يسقى الضراغم ماؤها ويسقى بها الالى دماء الضراغم
ومن بارع المديح قول أبى تمام :

(١) في ديوان البحترى «وشريفها ابن شريفها» مكان «وكريمها ابن كريمها» .

رأيت لعياش خلائف لم تكن له كرم لو كان في الماء لم يفيض
أخو عزّمت بذله بذل محسن يهولك أن تلقاه في صدر تحفل
وماضيق أخطار البلاد أضاعني وهدى ثياب المدح فاجر ذيولها
وقد أحسن التنوخي في أبيات له منها :

وغتية من حمير حمير الظبي بيض المطايا حين يسود الأمل
شموس مجد في سموات علا وأسد موت بين فلابات أسل
وقلت : ما المجد إلا سماء أنت كوكبها والجود إلا غمام أنت سلسله
فكل سابق قوم أنت سابقه وكل قاضل حزب أنت تفضله
بالعقد تحكمه والأمر تيرمه والعرض تمنعه والمال تبذله

وللمحدثين أبيات بارعة سائرة في المديح منها قول أبي تمام :

أيامنا مصقولة أطرافها بك والليالي كلها أنسحار
مأخوذ من قول عبد الملك بن صالح حدثنا أبو أحمد أخبرنا الصولي خدثنا شيخ
ابن حاتم العسكلي حدثنا يعقوب بن جعفر قال لما دخل الرشيد منبج قال لعبد
الملك أهذا البلد منزلك قال هو لك ولي بك قال كيف بناؤك فيه قال دون منازل
أهلي وفوق منازل غيرهم قال فكيف صفة مدينتك هذه قال هي عذبة الماء باردة
الهواء قليلة الأتواء قال كيف ليلها قال سحر كله قال صدقت إنها لطيبة قال لك
طابت وبك كملت واين بها عن الطيب وهي تربة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة
خضراء فياف فيح بين قيصوم وشيح . فقال الرشيد لجعفر بن يحيى هذا الكلام
أحسن من الدر المنظوم فأخذه ابن المعتز فقال :

يارب ليل سحر كله مفتضح البدر عليل النسيم

ثلثقطُ الأُنْفاَسُ برَدَ الندى فيه فتهديه لنار الهموم
وقال ابن الرومي * كَأَنَّ أَيْامَهُنَّ كَالْبَكْرِ * وقلت :
أَيَّامُنَا فِي جَوَارِهِ بُكْرٌ وَلِيلُنَا فِي فَنَائِهِ سَحَرٌ
ومنها قول أبي نواس :

أَنْتَ الْخَصِيبُ : وَهَذِهِ مِصْرُ فَتَدَقُّ فَكَلَّا كَمَا بِحَرِّ
وقوله : وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ
وقوله : قَتَى يَشْتَرِي حَسَنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ
فَمَا جَازَهُ جُودٌ وَلَا حَلَّ دُونَهُ وَلَكِنْ بَصِيرُ الْجُودِ حَيْثُ يَصِيرُ
وقول أبي العتاهية :

أَنْتَ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةٌ إِلَيْهِ تَجْرُرُ أَذْيَالَهَا
وَلَمْ تَكُ تُصْلِحُ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلِحُ إِلَّا لَهَا
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ لَزَلَّتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا
وقول مسلم إلا أنه مرثية :

وَأَيُّ وَاسْمَاعِيلَ يَوْمَ وَقَاتِهِ لَكَ انْغَمَدَ يَوْمَ الرُّوعِ فَارَقَهُ النُّصْلُ
فَإِنْ أَغْشَى قَوْمًا بَعْدَهُ أَوْ أَزُورِمَ فَكَأَلَوْحِشٍ يَدْنِيهَا مِنَ الْآنَسِ الْمَحِلُّ
الْآنَسُ جَمْعُ مِثْلِ خَدَمٍ . وَقَوْلُ بَعْضِ الْأَعْرَابِ فِي مَعْنَى بَنِ زَائِدَةَ :
أَنْتَ الْجَوَادُ وَمِنْكَ الْجُودُ أَوَّلُهُ فَإِنْ مُقَدَّتْ فَمَا جُودٌ لِمَوْجُودٍ
أَضْحَتْ يَمِينُكَ مِنْ جُودٍ مَصُورَةٍ لَا بَلْ يَمِينُكَ مِنْهَا صُورَةُ الْجُودِ
مِنْ نُورٍ وَجْهَكَ تَضْحَى الْأَرْضُ مُشْرِقَةً وَمِنْ ثَنَائِكَ يَجْرِي الْمَاءُ فِي الْعُودِ
وقول البحتري :

وَقَدْ قُلْتُ لِلْمَعْلَى إِلَى الْمَجْدِ طَرَفُهُ دَرَجَ الْمَجْدِ فَالْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ شَاغِلُهُ
صَفْتُ مِثْلَ مَا تَصِفُوا الْمَدَامُ خِلَالَهُ وَرَقْتُ كَمَا رَقَّ النَّسِيمُ شِمَائِلُهُ
وَالْعَرَبُ تَتَمَدَّحُ بِطُولِ الْقَامَةِ فَمَنْ أَجُودُ مَا قِيلَ فِيهِ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

أناس^(١) إذا يدعي ت زال إلى الوغى
 من المطربين الأولى ليس ينجلي
 جعلت نظام المكرمات فلم تدر
 إذا افتخرت يوماً ربيعة أقبلت
 ومن أجود ما قيل في قدم الشرف ووضوح النسب قول أبي تمام :
 نسب^٢ كأن عليه من شمس الضحى
 عريان لا يكبو دليل^٣ من عى
 شرف على أولى الزمان وإنما
 لو لم تكن من نبعة نجدية
 مطر أبوك أبو أهلة وابل
 ورثوا الأبهة والحظوظ فأصبحوا
 أكفأة تلد الرجال وإنما
 أخذه السرى فقال في المهلبى :
 نسب^٤ أضاء عموده في رفعه
 وشماثل^٥ شهد العدو بفضلها
 وهذا من قول البحترى :
 لا أدعى لأبى العلاء فضيلة
 وقلت : قد نلت بالرأي والتميز منزلة
 وبالتكرم والافضال مرتبة
 قالوا أيمطر من محل ألم^٦ به
 مال يسدده في جمع مكرمة
 كروضة أخذت بالغيث زخر^٧ فيها
 رأيتهم^٨ رجلى فكأنهم ركب^٩
 بغيرهم للدهر ضرف^{١٠} ولا كرب^(٢)
 رجا سودد^{١١} إلا وأنت لها قطب
 مجتنبى مجد وأنت لها قلب
 نوراً ومن قلق الصباح عموداً
 فيه ولا يبقى عليه شهوداً
 خلق^{١٢} المناسب ما يكون جديداً
 علوية لظننت^{١٣} عودك عوداً
 ملاً البسيطة عدة وعديداً
 جمعوا جدوداً في الملا وجدوداً
 ولد الخوف أسوداً وأسوداً
 كالصبح فيه ترفع^{١٤} وضياء^{١٥}
 والفضل^{١٦} ما شهدت به الأعداء
 حتى يسلمها إليه عداؤه
 ما نالها أخواك البحر والمطر^{١٧}
 لم يعطها خادماك السيف والقدر^{١٨}
 فقلت^{١٩} قد تمطر الانهار والغدر^{٢٠}
 فالجدر^{٢١} مجتمعه^{٢٢} والماء منتشر^{٢٣}
 فالروض منتظم^{٢٤} والغيث منتشر^{٢٥}

(١) في ديوان البحترى «كأية إذا» . (٢) في نسخة «لرب» وهى الشدائد .

مناقب^١ ما يكاد الدهر يهدمها
فابشر فانك رأس^٢ والعلا جسد
لولاك لم تك للأيام منقبة^٣
وقلت : هل أنت إلا البدر تم تمامه
والسيف^٤ أدهف^٥ للمضاء غراره
أنت الريح^٦ الغض^٧ رق^٨ نسيمه
خلق كنشر^٩ الروض^{١٠} ظل نباته
للأولياء رخاؤه ورخاؤه
يامن أدل على الزمان زمانه
يدنو فيغمر^{١١} كل^{١٢} شيء^{١٣} فضله
ما ان يزال من المآثر^{١٤} والعلا
عال^{١٥} تسور^{١٦} فوق قمة^{١٧} سؤدد
يبدو فيبدي^{١٨} الصبح^{١٩} غرة^{٢٠} وجهه
سبق الجياد^{٢١} فما يشق^{٢٢} غباره
ولئن أبر^{٢٣} على الحسام عزيمة^{٢٤}
وكأنما^{٢٥} أقلامه^{٢٦} أسيافه^{٢٧}
ما المجد إلا العقد^{٢٨} جودك^{٢٩} شذره^(١)
والجود^{٣٠} في يدك^{٣١} اليمين^{٣٢} عثانه^{٣٣}
ما زال فوتك^{٣٤} في اللواء^{٣٥} موليا
فاعمر^{٣٦} على زمن^{٣٧} أغر^{٣٨} محجبل
وقال آخر وأحسن :

(١) الشذر : قطع من الذهب تلتقط من معدنه بلا إذابة ، أو خرز يفصل
بها النظم ، أو هو اللؤلؤ الصغار - كما في القاموس .

كم صغروا منهم والله يكلوهم
وقال أبو يعقوب الخزيمي :

فلو لم يكن إلا بنفسك فخرها
جريت على مهل فأتعت من جرى
ويسئل دنياه ويمنع دينه
وقلت : وقفت على يحيى رجائي وأنا
إذا ما الليالي أدركت ماسحت له
إذا غاب جاء المزن في الجود سابقا
إذا الغيث باراه ثنى الغيث مقصرا
فتى لم تزنه بالقوافي وإنما
من الغر لا حوا أشمسا ومضواظي
رأيت جمال الدهر فيك مجددا
وقلت : في فنية أخلاقهم وفمالهم
حل السرور حياهم في مجلس
فهم إذا نظروا الصديق كواكب
أوقيل تلف الجياد بمثلها
فالليل منهم شامس والصبح منهم دامس^١ والدهر منهم وارس
وأظن ابن الرومي سبق إلى معنى قوله :

نفائس ماله أدناه مجنى من الأيدي جميعا والآماني
كذلك فوارض الثرات تدنو بلانيها فتمكن كل جاني

وأخبرنا أبو أحمد عن النيشي عن المبرد قال أتى شاعر أبا البختري وهب
ابن وهب وكان من أجود قریش كان إذا جمع المادح له ضحك وسرى السرور
بجوانحه وأعطى وزاد فأنشده هذا الشاعر :

لكل أخى فضل نصيب من العلا ورأس العلا طراً عقيد الندى وهب
وما ضرَّ وهباً عيب من جحد الندى كالا يضر البدر ينبحه الكلب
فتنى له الوسادة وهشَّ إليه ورفده وحمله وأضافه فلما أراد الرحيل وهو أشد
خلق الله اغتباطاً لم يخدمه أحد من غلمان أبى البختري ولا عقب له ولا حل فانكر
ذلك مع جميل ما فعل به فعاتب بعضهم فقال إنما نعين النازل على الإقامة ولا نعين
المرتحل على الفراق فبلغ ذلك جليلاً من القرشين فقال والله لفعل هؤلاء العبيد
أحسن من رقد سيدهم .

ومن بليغ المعاني في المديح قول ابن الرومي :

لما من طائر لك يا ابن يحيى يموت الكاشحون وأنت تحيا
على أن المات لكل حي وقيت به من الحدثان محيا
وقال خلف بن خليفة :

إن استجهلوا لم يغرب الحلم عنهم وإن آثروا أن يجهلوا عظم الجهل
هم الجبل الأعلى إذا ماتنا كرت ملوك الرجال أو تخاطرت النزل
مواعيدهم فعل إذا ماتكموا بتلك التي أن منيت وجب الفعل
ألم تر أن القتل غال إذا رضوا وإن غضبوا في موطن رخص القتل
وقلت : لقد علمت يحيى موافية العلا فضائل آباء تلها فضائله
فحاز طريف المجدي بعد تليده رفيع يطول النجم حين يطاوله
فتى غرة الأيام حسن صنيعه وتيجانها أخلاقه وشمائله
وما هو إلا المزن تصفو خلاله ويملو مبواه ويكره هاطله

﴿ الفصل الثاني من الباب الأول في الافتخار ﴾

قلوا أنفر بيت قاته العرب قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
وقالوا قال عبد الملك بن مروان للفرزدق وجرير والأخطل من أتاني منكم
بصدر هذا البيت « والعود أحمد » فله عشرة آلاف درهم فما كان فيهم مجيب
فأدخل أعرابي من عذرة اليه فأنشده :

فان كان منى ما كرهت فاني أعود لما تهواه والعود أحمد
فقال عبد الملك أحسنت ولكن لم تصب ما أردت فأنشد :
جزينا بنى شيبان قدما بفعلهم وعدنا بمثل البدء والعود أحمد
قال لم تصب ما أردت فأنشد :

وأحسن عمرو في الذي كان بيننا فان عاد بالاحسان فالعود أحمد
فقال هذا طلبت . ثم قال أخبرني عن أهجى بيت قاته العرب قال قول جرير :
فغض الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا
ولو وضعت ققاع بنى قميير على خبث الحديد إذا لذابا
قال فأخبرني عن أمدح بيت قاته العرب قال قول جرير :

أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
قال فما أنفر بيت قاته العرب قال قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
قال فما أغزل بيت قاته العرب قال قول جرير :

ان العيون التي في طرفها مرض^(١) قتلنا ثم لم يحين قتلنا
يصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا^(٢)

(١) وفي رواية « حور » . (٢) في هامش النسخ « انسانا » إشارة لنسخة .

قال فما أحسن بيت قيل ؟ قال قول جرير :

وطوى الطراد مع القياد بطونها طى التجار بحضرموت برودا

قال فما أقبح بيت قيل ؟ قال قول جرير :

ألم تر أن جعثن وسط سعد نسي بعد قضتها الرحابا^(١)

ترى برصاً بأسفل^(٢) إسكتيا كمنقعة الفرزدق حين شابا

قال فما أهجن بيت قيل قال قول جرير :

طربك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجي بسلام

قال فهل تعرف جريراً ؟ قال لا ولكن ترد علينا أقاويل الشعراء فلم أر شعراً

أرق في الوزن ولا أملاً للنم من شعره فقام جرير فقبل رأسه وجعل جائزته في

هذا العام له وأضاف عبد الملك إليها مثلها وكتب إلى عامله باليمامة أن ينصف

من خصم تظلم منه .

وقد قال عمار بن عقيل بن بلال بن جرير :

بدأتم فأحسنتم فأثنت جاهدآ وان عدتم أثنت والعود أحسن^(٣)

وقال ابن المعتز أو غيره :

خليلى قد طاب الشراب المبرد وقد عدت بعد النسل والعود أحمد

وقال ابن حبيب دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان فقال له

ممن الرجل ؟ قال من الذين قال لهم الشاعر :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

يزيد بنو سعد على عدد الحصى وأثقل من وزن الجبال حلومها

قال فمن أيها أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

(١) سقط من النسخ بعض كلمات فاستدر كناها من النقائص .

(٢) في النقائص (بجمع) مكان (بأسفل) . (٣) لعله «أحمد» .

ثياب بني عوف طهارى نقيه وأوجهم عند المشاهد غران
قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :
فلا وأبيك ما ظلمت قريع بأن بينوا المكارم حيث شاؤا
قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :
قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا
قال اجلس لاجست والله لقد خفت أن تفخر على .
وقالوا أفخر يديت قالته العرب قول الفرزدق :
تري الناس ما سرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
ورواه لنا أبو علي بن أبي حفص «أربأنا» قال والارباء الإشارة إلى خلف
والإيماء إلى قدام، والناس يجعلون هذا البيت لجيل في قصيدته التي يقول فيها :
وكانت تحيد الأسد عنا مخافة فهل يقتلى ذو بنان بطرف
لقد أخلفت ظني وكانت مخيلة وكم من مخيل يرتجي ثم يخلف
إذا انتهب الأقوام مجداً فأننا لنا مغرماً مجد والناس مغر
وضعنا لهم صاع القصاص رهينة بما سوف تنوفيه إذا الناس طففوا
تري الناس ما سرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
وكان جميل جيد الافتخار قال :

والشاعر المبتلى الشاعرون به كي يلمسوه ^(١) وأين اللبس من زحل
وعند الناس قصيدته الفائية أحسن وأسلم من قصيدة الفرزدق . وأخذ بعضهم
قوله * وكم من مخيل يرتجي ثم يخلف * فقال وأحسن :

ظننت به ظناً قصراً دونه فيارب مظنون به الخير يخلف
وما الناس بالناس الذين عرفتهم وما الدار بالدار التي كنت أعرف
وما كل من تهواه يهواك قلبه وما كل من أنصفته لك منصف

(١) في الأصل « يلمس » .

أخبرنا أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر بن العسى عن العسى قال من أحسن ممدح به الرجل نفسه قول أعشى ربيعة :

وما أنا في نفسي ولا في عَشِيرَتِي بمنهضم حتى ولا قارع سني
ولا مسلم مولايَ عند جنابة ولا خائف مولاي من شر ما أجنبي
وإن فؤادي بينَ جنبيَّ عالمٌ بما أبصرت عيني وما سمعت أذني
وفضلي في الشعر واللب أني أقولُ على غِلمٍ وأعلمُ ما أغني
فأصبحتُ إذ فضلت مروانَ وابنه على الناس قد فضلت خير أب وابن
وأنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي قال وهو من أجود ما مدح به الرجل نفسه ، قال أبو هلال وهو لسكين الدارمي :

ورُبَّ أمورٍ قد برئت لحالها وقومت من أصلابها ثم رشتها
أقيم بدار الحزم مالم آهن بها فإن خفت من دار هوانا تركتها
وأصلحُ جل المال حتى حسبتني بخيلاً وإن حقَّ عراني أهتها
ولستُ بولاج البيوتِ لفاقة ولكن إذا استغنيتُ عنها ولجتها
إذا قصرت أيدي الكرام عن العلا مددتُ لها باعاً طويلاً فنلتها
وعوراءُ من قيل امرئ ذي عداوة تصامتُ عنها بعد أن قد سمعتها
رجاء غداً أن يعطفَ الودُّ بيننا ومظلمة مني بجنبي عركتها
غيره : ومالي وجهٌ في اللثام ولا يدُّ ولكن وجهي في الكرام عريضُ
أصحُّ^(١) إذا لاقيتهم وكأني إذا أنا لاقيتُ اللثامَ مريضُ
وقلت في معناه :

وخلُّ الجهولِ وُبغضِي له فاني لبيبٌ أحبُّ الليبيا
بصادفتي الضيف طلقاً ضحوكا وإن كنتُ لم أرَ بدما عجبيا
وأستعملُ الحلمَ مالم أكن أضيتُ من الذلِّ فيه نصيبيا

(١) في الأصل « أصبح » وهو تصحيف لافائدة في كثرة التنبيه على مثله .

من الحلم ضربٌ إذا رُمته لقيت من الثل فيه ضروباً
وأنشدنا أبو أحمد قول أبي هذان * فان تسألني عنا فانا حلى العلا * ثم قال
ليس لقوله * فانا حلى العلا * نظير ، وأنشدنا له :

لعمرى لئن بيعت في دار غربة ثيابي^(١) إذ ضاقت على الماكل
فما أنا إلا سيف يأكل جفنه له حلية من نفسه وهو عاقل
وقد زاد في هذا البيت على النمر بن تولب في قوله وهو أول من أتى بهذا المعنى :
فان تك أثوابي تمزق عن بلى فاني كمثل السيف في خلق الغمد
ولا أبي هذان أيضاً :

تعجبت دُرٌّ من شبي فقلت لها لا تعجبي من يياض الصبح في السدف
وزادها عجباً أن رحت في سمل^(٢) ومادرت دُرٌّ أن الدر في الصدف
فرايت في هذا المعنى تكلفاً فقلت :

عيرتني إن رحت في سمل والدر لا تزي به الصدف

وله أيضاً في هذا المعنى :

يُعيرني عري رجالٌ سفاهةً فعزيت نفسي مصدراً ثم مورداً
بأنى مثل السيف أحسن ما يرى وأهيب ما يُلقى إذا هو مجرداً
في ألفاظه فضول لا يحتاج إليها . ومثله في المعنى قول علي بن الجهم أورده
في مصراع وهو * والسيف أهيب ما يرى مسلولاً *

ولا أعرف في الافتخار أحسن مما أنشده أبو تمام :

قل زهير إن شمت سراتنا فلسنا بشتامين * المتشتم
ولكننا نأبي الظلام وننصمى بكل رقيق الشفرتين مصمم
وتجهل أيدينا ويجهل رأينا ونشتم بالأفعال لا بالكلم
هذا أحسن من كل شيء في الافتخار ، وقريب من هذا المعنى قول

(١) في النسخ « ثيابي إن » . (٢) على الثوب ممولاً : أخلق فهو ثوب سمل .

لقيط بن ذرارة :

أغرّمُ أتى بأحسنِ شيمَةٍ بصيرٌ وأتى بالفواحشِ أخرق
وانك قد سايئتنا فغلبتنا هنيئاً مريئاً أنت بالفحشِ أفتدق
أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة قال يروى أنه قيل
للفرزدق أي بيت قالته الشعراء أفخر ؟ قال قول امرئ القيس :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاً ولم أطلب قليلٌ من المال
ولكنني أسعى لمجدٍ مؤثّلٍ وقد يُدرك المجدَ المؤثّلَ أمثالي
قيل له فأياها أحكم قال قوله :

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ به والبرُّ خيرُ حَقِيبةِ الرجل
قال فأياها أرق قال قوله :

وما ذرفت عيناكِ إلا لتضربي بسهميكِ في أعشارِ قلبِ مقتل
قال فأياها أحسن قال قوله :

كان قلوبَ الطيرِ رطباً ويابساً لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالي
وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول كعب بن مالك الأنصاري :
ويبترُ بدرٍ اذ يَرُدُّ وجوهكم جبريلٌ تحتَ لوائنا ومحمد
ومن بليغ^(١) الافتخار قول الحجاج :

صبرت سليمٌ للطعانِ وطامرٌ وإذا جَزِ عَنَّا لم نجد من يصبرُ
نحن الذين إذا علوا لم يضجروا يومَ اللقاء وإذا علوا لم يفخروا
وقال ضمرة بن ضمرة :

أذيقُ الصديقَ رافتي واحاطتي وقد يشتكي مني العداةُ الأبعدُ
وذى تِرّةٍ أوجعتهُ وسبقته فقصر عني سعيه وهو جاهدُ
(قصر وهو جاهد) بليغ جداً ، ومنه أخذ المحدثون .

(١) في نسخة (ومن أبلغ) .

ومن جيد الافتحار بالجود وطيب النفس به قول بعض العرب :
 تُسألني هوازنُ أينَ مالي وما لي غير ما أنفقتُ مال
 قلتُ لها هوازنُ إنَّ مالي أضربُ به الملماتُ الثقال
 أضرب به تَمَمٌ وتَمَمٌ قديماً على ما كان من مال وبال
 المعنى حسن جداً ، وفي الألفاظ تكرير شائن .

أبلغ ما افتخر به في كثرة العذد قول الأول :
 ما تطلعُ الشمسُ إلا عند أولنا ولا تغيبُ إلا عند آخرنا
 وقول أبي جندب :

قلو نَزادَ ألفَ ألفٍ لم تزد ولو قَدَدنا مثلهم لم نفتقد
 وهو من أبيات أخبرنا بها أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن عمه
 عن أبيه عن ابن الكلبي ، وأخبرنا به غيره فأوردنا أجود اللفظين وأصح الروايتين
 قال بلغني أن عبد الرحمن بن حسان كان يخبر عن أبيه قال خرجت حاجاً في الجاهلية
 فإذا أنا بشاب حسن العينين وضياء وبشيخ يسأله قال فسبه الفتى ثم إن الشيخ
 غيره بأن أمه من بني الأصفر فخرى الفتى فبلغ ذلك أمه فأقبلت ترقل أرقال الناقة
 الصعبة حتى أخذت بمنكبى الشيخ وهزته وقالت :

سائلٌ وخللٌ في إيادِ بنِ معدٍّ هل كانتِ الرومُ عبيداً لاحد
 همُ الربيعُ والسَّنامُ المعتمدُ والدُّرَّةُ العلياءُ والركنُ الأشد
 وأنتَ حرمةٌ لثيمُ المستندِ عُصارةُ اللؤمِ التي فيها تلد
 فسألت عن الشيخ فقيل المغيرة بن عبد الله المخزومي وسألت عن الشاب فقيل
 : رقة بن نوفل ، ثم مررت من فوري حتى آتيت منى فإذا رجل على جمل عظيم لا يمر
 بقوم إلا هجأهم لأنه مربا لأوس والخزرج فهجأهم لاهجوته فنظر إلى قباب بيض
 في شرفى الجبل فقال لمن هذه فقيل لقرن بن تميم من هذيل فأما وقال :
 هل ههنا من ولد قرن من أحد أعطيهم من رجزى اليوم وغد

نخرج أبو جندب وهو يقول :

نعم غلامٌ منهم جلدٌ عند
ينفرن من وقع العصي والقدد
واين هذيل واين أشياخ معد
فلو نزاك ألف ألف لم تزد
فارجع إلى معزك تيساً ذاجيد
أوفى على رأس بقاع فصبيد
قال فخلفت أنى لا أهجو أحداً مادام أبو جندب حياً .

والعرب تفتخر بكثرة العدد وتذم قلته قال الأخطل * الأكثرين حصي
والأطيبين ثرى * واحتج السموأل لقلة العدد فأحسن :

تُعيرُنا أنا قليلٌ عديدنا
وما قلٌّ من كانت بقاياهُ مثلنا
وما ضرُّنا أنا قليلٌ وجارُنا
عزیزٌ وجارُ الأكثرين ذليل
وهذه قصيدة في الافتخار ليس لها نظير وإنما تركت إيرادها كلها شهرتها .

ومن أجود ما افتخر به محدث قول أبي تمام :

لنا جواهرٌ لو خالطت الأرض أصبحت
مقاماتنا وقفٌ على الحليم والحجا
إذا زينة الدنيا من المالِ أعرضت
ليفتخر بجود من أرادَ فانه
جری حاتمٌ في حلبة منه لو جرى
فتى دخر الدنيا أناس ولم يزل
ومنها : كآةٌ إذا طل الكآةُ لدى الوغي
بخيل لزيد الخيل فيها فوارسٌ
طوى بطنها الآساد حتى لوانه
وبطناتها منه وظهراتها تيرٌ
وأمردُنا كهلٌ وأشيننا حبرٌ
فأزینُ منها عندنا الحمدُ والشكر
عوانٌ لهذا الخلق وهو لنا بكرٌ
بها القطرُ يوماً قيلَ أيها القطرُ
لها باذلاً فانظر لمن بقى الذخر
وأرماحهم حمرٌ وألوانهم صفر
إذا نطقوا في مسهب خرس الدهر
بدالك ما شككت في أنه ظهر

صبيته ما أن تحدث نفسها
فإن ذممت الأعداء سوء صباحها
منساع يضل الشعر في طرق وصفها
وقوله : منضوا وكان المكرمات لديهم
بهايل لو طابت قبض أكفهم
وأى يد في المجد مدت فلم تكن
أصارت لهم أرض العدو قطائما
إذا ما أغاروا فاحتوا مال معشر
فيعطى الذى يمطيهم الجود والقنا
يمدون بالبيض القواطع أيديا

وقلما نجد في الافتخار شعرا يدانى هاتين القطعتين . وقلت :

خليل باع الدهر بالعرف ضيق
وواقع نعماء عن الحر طائر
متى ما يصبني بالقوارع طرفه
وهما مثل للخطوب جواب
تريك اشتعالا بالنجوم طوالع
وتزرى على البيض الطوالع ان مضت
تخافى الأيام فهي تخفى
ولو كن في عيني لما قذيت بها
أطلع منها في ديارى طوالع
يقارع منى بأسلا ذا حفيظة
فتى بآتم الفضل ليس بقانع
فما صحبتته للأنام صنيعة
على كل ذى عقل وبالنكر واسع
وطائر بلواه على الحر واقع
أصابته همتى وهن قوارع
كما أنهن للخطوب دوافع
وهن إذا لاحت نجوم طوالع
وهن على العلات يفض قواطع
وللنكس تهديد إذا ريع رائع
فكيف ترى أنى إذا صلب خاشع
بسوء وهمتى عليها طلائع
يقوم ازاء النصر حين يقارع
ولكن بأدنى بلغة العيش قانع
ويصحبهم منه وفيه صنائع

ولم يتواضع في مصاداة منة
له شرف في آل ساسان باذخ^{ته}
إلى أن قلت: تؤدبه الأيام حين تضره
وما ضاع مثلي حيث حلت ركابه^ه
ومثلي مخضوع له غير أنه
ومثلي متبوع على كل حالة
وقال ديك الجن^(١) يفتخر بكلب:

كلب قبيلي وكنب خير من ولدت
وعزيرتنا وما انت طل^ه را؟
غلاة موة والاشراك^ه مكتهل^ه
ان تعبى لدم منا هريق بها
أقعد وقم طاماً انت لو تطوقها
أقام حصن عليهم حصن. مكرمة
إذا غدت خيلهم تستنجد المظلي؟
كم عرضوا أيدياً أيضاً مكرمة
أسديرون الردى المفضى بأنفسهم
وقال الجاني:

ونحن سننا الصبر في كل موطن
وقال: بنا يستشار العز عن مستقره
وقال ابن المعتز:

فقرى فتي وشبابي كهل^ه و كل^ه فضل لي عليه فضل^ه
أشكى لجودي حين يشكى البخل

(١) هو عبد السلام بن رغبان الكلبي، من الشعراء المجيدين في العصر العباسي.

وقرأت لقابوس بن وشمكير^(١) الخبلى^(٢) رسالة في الافتخار والعتاب ليس لها نظير في علوها وإفراطها وهي : الانسان خلق ألوا وطبع عطوفا فسا بال الاصبهذ لا يحيل عوده ولا يرجى عوده ولا يخال لفيه غيلة ولا تحال عن تنكره محيلة أمن صخر تدمر قلبه فليس يلينه العتاب أم من الحديد جانبه فلا يميله الاعتاب أخلق^(٣) من صفاقة الدهر حجير^(٤) بنوه فقد نبا عليه غرب كل حجاج أو من قساوته إباء مزاج آبائه فقد أبى على كل علاج ما هذا الاختيار الذي يعد الوهم فيها وهذا التمييز الذي يحسب الجهل علما. وهذا الرأي الذي يزين له قبح العقوق ويمقت اليه رغبة الحقوق وما هذا الاعراض الذي صار ضربة لازب والنسيان الذي أنساه كل واجب أين الطبع الذي هو الصدور صدور وللتألف ألوف ودود وأين الخلق الذي هو في وجه الدنيا البشري وفي مبسمها الثنايا الغر وأين الحياء الذي يجلى به الكرم وتحلى بمحاسنه الشيم كيف يزهد فيمن ملك عنان الدهر فهو طوع قياده وتبع مراده ينتظر أمره ليمثل ويرتقب نهيه ليعتزل وكيف يهجر من نضاءت الأرض تحت قدمه فصارت له في الاتقياد كبعض خدمه إذا رأت منه هشاشة أعشبت وان أحست منه بجفوة أجذبت وكيف يستغنى عن خيله العزمات والأوهام وأنصاره الليالى والأيام من هرب منه أدركه بمكائدها ومن طلبه وجده في مراصدها وكيف يعرض عن تعرض رفاة العيش باعراضه وتنقبض الأرزاق بانقباضه وأضاء نجم الاقبال إذا أقبل وأهل هلال المجد إذا تهلل وكيف يزهى على من تحقر في عينه الدنيا وترى تحته السماء العليا وقد ركب عنق الفلك واستوى على ذات الحبك فتبرجت له البروج وتكوكبت لعبادته الكواكب واستجارت بعزته المجرة وآثرت لمحاسنه أوضاع الثريا بل كيف يهون من لو شاء عقد الهواء وجسم الهباء وفضل ترا كيب الاشياء وألف بين النار والماء وأخذ ضياء الشمس والقمر وكفاها عناء السير

(١) في النسخ (وشمكير) . (٢) لعله (الخبلى) . وقابوس هو الملقب بشمس المعالي الأمير الأديب المنشئ . (٣) اعلمها مقبجة (٤) في نسخه « مجن » .

والسفر وسد مناخر الرياح الزعازع وأطبق أجفان البروق اللوامع وقطع إلسنة
العود بسيف الوعيد ونظم صوب الغمام نظم القريد ورفع عن الأرض سطوة
الزلازل وقضى مايراه على القضاء النازل وعرض الشيطان بمرض الانسان وكل
الميون بصور الفيضان وأثبت العشب على البحار وألبس الليل ضوء النهار أو لم يعلم
أن مهاجرة من هذه قدرته ضلال ومناينة من هذه ضروره خيال وأن من له هذه
المعجزات يشتري رضاه بالنفس والحياة ومن يأتي بهذه الآيات يتنقى هواه
بالصوم والصلاة ومن لم يتعلق منه بجبل كان بهما لا شية به ومن لم يأو منه الى ظل
ظليل ظل صريحا لا عصمة له ولم لا يسترد طارب الرأى فيعلم أنه مالم يعاود الصلاة
مأفون ويستعيد غائب الفكر فيفهم أنه ان أقام على الفرقة مغبون أظنه يقدر أن
الاستغناء عنى هو الغناء والغنى ولا يظن أن الالتواء على هو البلاء والبلى ويخال
أنه مكتف بماله وعرضه و متمرز بسمائه وأرضه ولا يشعر أنى كل لبعض وطول في
عرض وأن قوة الجناح بالقوادم دون الخوافى وعمل الرماح بالأسنة دون العوالي،
ليس إلخا على سيدى مستعيدا وصاله ومستصلحا بالأخاف خصاله وغدى عليه
هذه العجائب لاستماتته من جانب الى جانب لا تفى بمن يرغب فى راغب عن وصلته
أو ينزع الى نازع عن خلته أو مؤئل حالا عند من ينحت أثلته^(١) ومقبل بوده على من
لا يجعله قبلته فأنى لو علمت أن الأرض لا تسف تراب قدمى لما وضعت عليها
جانبا وان السماء لا تتوق الى تقبيل هامتى لما رفعت اليها طرفا ولكنى أكره أن
يمرى نحره من قلادة الحد ويحجب جنبه اكليل المجد ويظل وجهه الوقاء يقبضه
على يده مسوداور كن الإخاء بنته فى عضده منهدا ولا يعجبني أن يكسوه مكارمه
كف الخول ويأذن لطوال معاليه بالاقول فان فضل سيدى الخود على الوجود والعدم
على الوجود وتنزل من شامخ الى خفض ومن حالق الى دحض وجاهر بهجره وأصر على
صرمه ومال الى الملل ولم يصل نار الوصال حلت عنه معقود خصرى وشغل عن الشغل به

خاطري بل محوت ذكره من صفحة فؤادي وأعددت وده فيما سال به الوادي :
وفي الناس ان رئت حيا لك واصل^١ وفي الارض عن دار القلي^٢ متحول
وفي بعض ألفاظ هذه الرسالة تكلف إلا أني أوردتها لعلو معانيها .

وقال بعضهم :

ومن يفتقر منا يسأل^٣ حسامه^٤ ومن يفتقر من سائر الناس يسأل^٥
وقال ابن المعتز^(١) :

سألتكم بالله ما تعلماني ولا تكتم شيئاً فمعدكم خبري
أرفع نيران القرى لعفاتها وأصبر يوم الروع في ثغرة الثغري
وأسال^٦ نيلاً لا يُجَادُ بمثله فيفتحهُ بشري ويختمه عندي
ويارب يوم ما توارى نجومه مددت إلى المظلوم فيه يد النصر
وقال : وقمت إلى القوم الصفايا بمنصلي فصيرتها مجداً لقومي وأحسابا

وأفشدنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر لعبد العزيز بن زرارة^(٢) :

قد عشت في الدهر أطواراً على طرقي شتى فصادفت فيه اللين والقطعا
لا يملأ الأمر صدرى قبل موقعه ولا يضيق به ذرعى إذا وقعا
كلاً لبست فلا النماء تبطرنى ولا تخشعت من لأوائها جزعا
وسألتى بعض أدباء البصرة فقال ما أدل بيت على عقل صاحبه وحزمه ؟ فقلت
قول الأقبيل القيني :

إذا لم أجد بداً من الأمر خلتني كأن الذي يأبى على يسير

فقال ما عدوت ما في نفسي . ومثله قول أبي التشناس :

على أي شيء يصعب الأمر قد ترى بينك ان لا بد أنك راسكبه

(١) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسي ، أوقع بالشعر

وينبغي فيه ، قتل سنة ٢٩٦ . (٢) هو القائد الشجاع في زمن معاوية ، قتل

في إحدى وقائع القسطنطينية فلما بلغ معاوية قال : هلك والله فتى العرب .

وفي ألفاظ هذا البيت زيادة . وقلت في معناه :

علامَ تستصعبُ الأمرَ لا ترى منهُ مُبدا
بادر واخلُ الهويئنا وجدَّ كما تجبدا
فلن تلاقى جدًّا حتى تلاقى كدا

ومن بليغ الافتخار بذلاقة اللسان قول جرير :

وليس لسيفي في العظام بقيةٌ ولا السيفُ أسوى وقعهِ من لسانيا
وهي من قول حسان * ويبلغ مالا يبلغُ السيفُ مذودى *
وقلت : ولي لسانٌ إذا أطلقتهُ عرضاً منى مساعيَ ضرغامٍ وثمان
وقد نمتني أجمادٌ جحاجةٌ من نجل ماسان تزهو نجل ساسان
هم الكواكبُ في أطرافِ داجيةٍ أو العنان على أثباحِ أعنانِ
قومٌ إذا ما أتوا بالسوءِ ما اعتفروا ولا يمتنونَ إن منوا باحسانِ
وقلت : من يكن صائلاً بمثلِ لساني لم يضرهُ أن لم يصلُ بسنان

وأخبرنا أبو القاسم عن المقدى عن أبي جعفر عن المدائني قال قلت لرجل من جذام وأكثر من وصف ملوك الحيرة : لو كانت هؤلاء الأنصار لم ترد فقال لئن كان هؤلاء القوم نصروا الدين لقد نصر أولئك الكرم ولئن كان هؤلاء خصوا بالاسلام لقد خص أولئك بالانعام ولئن حاز هؤلاء شرف اليوم وغداً لقد سبق لأولئك شرف هو باق على الأبد ولو علا فعل هؤلاء على الهواء لجارت مكارم أولئك أعنان السماء ومن يقرن بالبلد الخراب اليباب بلداً نحل به السحاب في كل مغدى وما أب .
ومن جيد الافتخار قول مبشرين هذيل الشعمي :

ألم تعلمي يا عمر كـ الله أني كريمٌ على حين الكرام قليل
واني لا أخزي إذا قيل مملوكٌ جوادٌ وأخزي أن يقال بخيل
فان لم يكن عظمى طويلاً فانتى له بالخصال الصالحات وصول
وإن أك قصداً في الرجال فانتى إذا حل أمرٌ ساحتى للليل

إذا كنت في قوم طوال فضلتهم
ولا خير في طول الجسوم وعرضها
ولم أر كالمعروف أمّا مذاقه
وقلت : غنّى غنى نفسي ومالي قناعتي
ونفري إسلامي وذخري أمانتي
ولي عزّمت كالسيوف قواضيا
وتغشى صدور النائبات صدورها
ألا لا يذمّ الدهر من كان عاجزاً
فمن لم تبلغه المعالي نفسه
ولا أعرف في افتخار الجاهلية أجود ولا أبلغ من قول عمرو بن كلثوم^(١) :
ونحنُ الحاكمون إذا أطمعنا
ونحنُ التاركون لما سخطنا
ونحنُ العانفون إذا عصينا
ونحنُ الآخنون لما رضينا

وقد أحسن إبراهيم بن المباس في قوله :

إمّا تربى أمام القوم متبعاً
يوماً أنيخ فلا أدعى على نسب
لا تسأل القوم عن حيّ صحبتهم
وقال : أميل مع الزمام على ابن عمي
أفرق بين معروف وبنيني
فأما تلقى حرّاً مطاماً
فقد أرى من وراء^(٢) الخيل أتبع
واستبيح فلا أبقى ولا أدع
ماذا صنعت وماذا أهله صنعوا
وأقضي للصديق على الشقيق
وأجمع بين مالي والحقوق
فأنك واجدى عهد الصديق

وهذا من قول الأول :

(١) في الأصل « عمرو بن أم كلثوم » و « أم » مقحمة . وهو صاحب
المعلقة المشهورة ، كان سيد تغلب وفارسها وشاعرهما وخطيبها ، مات قبل الإسلام
بنحو نصف قرن . (٢) في الأصل « ورأى » .

وإني لعبدُ الضيفِ مادامَ ثاوياً وما فيَّ إلا ذاك من شيمة العبدِ
وقال الآخر * وعبد للصحابة غير عبد * .

وسمعت بعض الشيوخ يقول أبلغ شيء قيل في الافتخار قول الآخر :
أَبْنَى حَنِيفَةٍ أَحْكَمُوا مُسْفَهَاءَ كَمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضِبَا
قوله * أخاف عليكم أن أغضب * بليغ في الوعيد وفي دلائل القدرة
على ما يسوؤهم ، قال أبو هلال هو لجرير فهدد فيه بالهجرة ولو كان لمن يتمكن من القتل
والأسر والنكابة لكان أفخر بيت قيل . وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن
عبد الرحمن عن عمه قال ذكر أعرابي قوما فقال : ما نالوا بأطراف أنا ملهم شيئاً إلا
وطئناه بأخامص أقدامنا وإن أقصى منا هم لا أدنى فمالنا . وقال أبو دلف للمجلى :
وكن على الدهر فارساً بطالا فأنما الدهر فارسٌ بطلٌ
لأبدٍ للخيـلِ أن تحولَ بنا والخيلُ أرحامنا التي نصلُ
فرّةً باللجين ننقلها ومرةً بالدماء ننتقل
حتى ترى الموت تحت رابتنا نطفأ نيرانها وتشتعل

(الباب الثالث من الباب الأول في التهاني)

لم تكن من الأقسام التي كانت العرب تصوغ فيها شعراً وإنما كانت أقسام
الشعر في الجاهلية خمسة : المديح والمهجاء والوصف والتشبيب والمرأى حتى زاد
النايفة فيها قسماً سادساً وهو الاعتذار فأحسن فيه ولا أعرف أحداً من المحدثين
بلغ مبلغه فيه إلا البحترى فإنه قد أجاد القول في صنوفه وأحسن وأبلغ ولم ينر
لاحد مزيداً حتى قال بعضهم هو في هذا النوع النايفة الثاني . ولا أعرف للعرب

شيئاً ينسب^(١) الى التهماني ومهما جاء عنهم من شكلها شيء فهو عند العلماء معدود
في جملة المديح مثل قول أبي الصلت الثقفي يذكر سيف بن ذي يزن واتباعه بالفرس
ومحاربتهم بهم الحبشة حتى أزالهم عن أرضه وهو قوله بعد ذكر الفرس :

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتقاً في رأس غمدان دار منك محلاً
تلك المكارم لاقعبان من لبن شبيت بماء فعادت بعد أبو الـ^(٢)
أخذه بعض شعراء الجبل فقال في بعض رؤسائه :

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتقاً في شاذ مهروء غمدان لليمن
فأنت أولى بتاج الملك تقصده من هوزة بن علي وابن ذي يزن
ولست أختار من التهماني بالأعياد على أبيات أشجع شيئاً :

| | |
|--|-------------------------------|
| لازلت مبشر أعياد وتطويها | تمضي بها لك أيام وتثنيها |
| مستقبلاً غرة ^(٣) الدنيا وبهجتها | أيامها لك نظم في لياليها |
| العبد والعبد والأيام بينهما | موصولة لك لاتقي وتغنيها |
| ولا تقضت بك الدنيا ولا بزحت | تطوى بك الدهر أياماً وتطويها |
| ليهنك النصر والأيام مقبلة | اليك بالفتح معقود نواصيها |
| أمست هرقة تدمي من جوانبها | وناصر الملك والاسلام مدميها |
| إن الخليفة سيف لا يجرده | إلا الذي يملك الدنيا وما فيها |
| ما قارع الدين والدنيا عدوها | بمثل هارون راعيته وراعيا |
| وقلت : ما لليالي والأيام منقبة | غراء تسمو بها إلا مساعيك |
| ربي يتيك ماتهوى على فرح | كما يتيك ماتهوى ويعليكا |
| لألف فصل لهذا الفصل تبليغه | باليمين والخير تبايه وينميكا |
| ولا تزال لك الأيام موطاة | تمضي قضايك منها في أمانيك |

(١) في الاصل « ينسب » . (٢) في الاصل « شيبا بماء فعاد ابعداً أبو الـ » .

(٣) في النسخ « لغرة » .

ووجدت بخط أبي أحمد من أجود ما قيل في التهنئة بالنوروز قول هارون بن
علي بن محمد الحواري :

علي يا ذا الجود والمال يامعلن الانعام والافضال
يامن به نيطت عُرى الآمال فحكم الآمال في الاموال
جود بلا من ولا اعتلال مبتدأ يُبغى عن السؤال
قابله النوروز بالاقبال ونعم تأتي على اتصال
محروسة مأمونة الزوال شبهك في تصرف الاحوال
فليسله أزهر ذو اشتعال كأنه وجهك في الجمال
وصبحه بالمال ذو انهمال يحكي ندى كفك ذا الأسبال

جری بماء و جرت بمال

ومنها : قول غدا يوفي على الأقوال كمثل ما توفي على الرجال
فاشبهة الأجواد بالبخال وعدت^(١) مسروراً رضى البال
في نعمة ضافية الاذيال بعر ذى العزة والجلال
وأخبرني بعض اصحابنا قال كتب أحمد بن أبي طاهر إلى إسماعيل بن
بليلى : أنا وإن كنت في عدد الحشم والاتباع الذين يخرجون من تفضيل
الخاصة ويرتفعون عن الدخول في جملة العامة فاني في وسط القلادة منهم
وبمكان من نظام نعمتك التي تجمعهم وهذا يوم من أيام الملوك السادة الذين لم
تزل تجري لهم السنة^(٢) على عبيدهم وأصحابهم وقوادهم وكتائبهم بالاهداء اليهم
وقبول ما هدوه منهم ليعرف مكان التشريف في مرتبته من مكان المنحط عن منزلته
وموضع النعم من المنعم عليه في التقدم بقبول ما يهديه اليه وكل يهدي على قدر
بضاعته ورتبته ومقداره في نفسه وهمته وعلى حسب موضعه من سيده ومالكه
وما يحويه ملكه وتباغه مقدرة وكرهت أن أمسك عن البر فأخرج عن جملة

(١) في النسخ « عدت » بدون واو (٢) في النسخ مهمل من النقط .

العبيد والحشم وأهدى ما يصر عن الواجب اللازم والحق المفترض فجعلت هبتي مع
الثقة بعنرك والاعتماد على تفضيلك وصفحك أياتا اقتصرت فيها على الدعاء لك
والثناء عليك أسأل الله تعالى أن يقرنه بالاجابة فيك كما قرن مدحى لك بالتصديق فقلت:

أبا الصقر لا زالت من الله نعمة تجدد لها الأيام عندك والدهر
ولا زالت الأعياد تمضي وتنقضي وتبقى لنا أيامك الغرر الزهر
فانك . للدينا جمال وزينة وإنك للأحرار دخر هو الدخر
رأيت الهدايا كلها دون قدره وليس شيء عند مقداره قدر
فلا فضل إلا وهو من فضل جوده ولا ير إلا دونه ذلك البر
فأهديت من حلى المديح جواهرأ منصلة يزهي بها النظم والنثر
مدائح تبقى بعد ما نفذ الدهر وتبهي بها الأيام ما اتصل العمر
شكرت لاسماعيل حسن بلائه وأفضل ما تجزي به النعم الشكر

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن هفان قال دخلت
على سعيد بن حميد في يوم نيروز وهو مستعد يكتب إلى اخوانه فقرأت عليه
كتابك وشعرك إلى أبي الصقر - يعني الكتاب والشعر الذي تقدم - فكتب وأنا
حاضر إلى الحسن بن مخلد : أيها السيد النجيب عشت أطول الاعمار في زيادة
من النعم موصولة بقرائنها من الشكر لا تقضى حق نعمة حتى تتجدد لك أخرى
ولا يمر بك يوم إلا كان موفياً على ما قبله مقصراً عما بعده قد تصفحت أحوال
الاتباع الذين يجب عليهم الهدايا إلى السادة في هذا اليوم والتمست الناس بهم في
الاهداء اليك وإن قصرت الحال عن الواجب لك فرأيتني أن أهديت نفسي فهي
لك لاحظ فيها لغيرك ورميت بطرفي إلى كرائم مالي فوجدتها منك فكنت أن
أهديت شيئاً كهدي مالك اليك ولم يزد على أن نبه على نعمتك واقتضى نفسه
بشكرك وفرغت إلى مودتي وشكري فوجدتهما لك خالصتين قديمتين غير مستجدتين
وإني أن جعلتهما هديتي لم أجدد لهذا اليوم براً ولا لطفاً ولم أقس منزلة شكري بمنزلة

من نعمتك إلا كان الشكر مقصراً عن الحق والنعمة زائدة على ما لم تبلغه الطاقة ولم أسلك^(١) سبيلاً ألتبس بها ما أعتد به في مجازاتك الا وجدت فضلك قد سبقني اليها فقدم لك الحق وأحرز لك سبق فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية اليك تفي ما يجب لك والعذر في المعجز عن برك برا أتوصل به اليك :

ان أهد نفسي فهو مالكا وله أصون كرائم الذخر
او أهد مالا فهو واهبه وأنا الحقيق عليه بالشكر
أو أهد شكرى فهو ممرتهن^٢ بجميل فلك آخر الدهر
والشمس تستغنى إذا طلعت أن تستغنى بسنة البدر

ثم قرأه على ققلت أبا عثمان الساعة قرأت عليك لابن أبي طاهر هذه المعاني بأعيانها قال والساعة عملها وليس بيننا حشمة . ولا أعرف لهاتين الرسالتين في هذا الباب نظيراً في رقة معانيها وحسن تخريجها ، ورسالة سعيد بن حميداً كثرهما معاني . وأول من افتتح المكتبة في التهاني بالنوروز والمهرجان أحمد بن يوسف أهدى إلى المأمون سبط ذهب فيه قطعة عود هندي في طوله وعرضه وكتب معها هذا يوم جرت فيه العادة بالطاف العبيد السادة وقد قلت :

على العبد حق فهو لاشك فاعله وإن عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدي إلى الله ماله وإن كان عنه ذاغنى فهو قابله
ولو كان يهدي للقليل بقدره تقصر عمل البحر عنك وناهله
ولكننا نهدي إلى من نجله وإن لم يكن في وسعنا ما يشا كله .

فأخذ سعيد بن حميد هذه المعاني وكتب إلى ابن صالح بن يزيداد : النفس لك والمال منك والرجاء موقوف عليك والأمر مصروف اليك فما عسانا أن نهدي لك في هذا اليوم وهو يوم قد شملت فيه العادة للاتباع الأولياء بأهدائهم إلى السادة العظماء وكرهنا أن تحليه من سبته^(٢) فنكون من المقصرين أو ندعى أن

(١) في الاصل «أسألك» . (٢) في النسخ مهمة من النقطة .

في وسعنا ما يفي بحقك علينا فنكون من الكاذبين فاقصرنا على هدية تقضي بعض الحق وتقوم عندك مقام أجمل البر وهي الثناء الجليل والدعاء الحسن فقلت : لازلت أيتها السيد الكريم دائم السرور والعطية في أتم العافية وأعلى منازل الكرامة تمر بك الأيام المفرحة والأعياد الصالحة فتخلقها وأنت جديد .

فأول كلامه مأخوذ من قول المولى بن أيوب الله متصم : النفس لأمر المؤمنين والمال منه وليس فيما أوجبه الحق تقيصة ولا على أحد فيه غضاضة ، وباقية من كلام أحمد بن يوسف ، والدعاء الذي في آخره لمولى بن عبدة الريحاني لم يزد سعيد بن حميد فيه شيئا .

وأحسن ما سمعت من الدعاء قول علي بن هرون بن يحيى المنجم : أمتع الله الأمير بما خوله واستقبل به من العمر أسره وأطولاه وملاه من العز أمدّه وأكملاه وألبسه من الانعام أسبغاه وأجزله ومهد له من العيش أرغده وأفضله وجمع له من الخير آخره وأوله .

وللصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد فصول في التهنئة قليلة النظير منها ما كتب يهنئ بالوزارة : أنا أهني أطال الله بقاء سيدي الوزارة بالتقائها إلى فضله مقادتها وبلوغها في ظله ارادتها وانحيازها إلى ذراه واضحة المجد والفخر وتوشحها من كفايته بغرة سائلة على وجه الدهر واشكر له حسن أثره عليها وعطفه حنان الفكر إليها حتى قرت لديه قرارها وأتقبت يديه نهارها بعد أن هفا قلبها إشفاقا من استشراف أيادي النقص لها وخرج صدرها من تحدث احلام الجهل بها ولاغرو فهي وليدة ذراه قد آلت لا تخطت خطته وعاهدت لا برحت ساحته فالحمد لله الذي أقر عين الفضل ووطأ مهاد المجد وترك الحساد يتعثرون في ذبول الخيبة ويتسقطون في فضول الحسرة حمداً يديم أيام مولانا ويطيل بقاءه ويحرم عزه وينصر لواءه فقد شرح صدور المجالس وشد ظهور المحامد بتفويض الصدر إلى ولينه بمحققين قديم وحديث وبفضلين مكتسب وموروث .

وكتب : الأستاذ الربيع الذي يتصل مطره من حيث يؤمن ضرره ويلوم زهره من حيث يتعجل ثمره لازالت الايام مسعودة بقرعها الى انقاده وتقديره والازمان محسودة بانحيازها الى امضائه وتديره فما اكسى الدهر حلة أبهى من حصول عِنايه في يديه ومشوله من جملة العبيد لديه لازال آمراً ناهياً سامياً عالياً تنهياً الاعياد بمصادفة سلطانه وتستفيد المحاسن من رياض إحسانه .

وكتب : الأستاذ عبد الزمان وربيع الأيام وهذا الفضل الجامع لأحكام الفضل معتر إليه معتر بما لديه فغيثه من تشبه بكفه واعتداله مضاه خلقه وزهره مواز لنشره وان تسعد به سعادات لا يبلغ حدها ولا يحصر عدها وهو أطال الله بقاءه يحظر المهاداة بما يحضر ما خلا الكتب التي لا يترفع عنها كبير ولا يمتنع منها خفير لازال جنابه موروداً بالعلم ومتحملاً عنه بالغم .

ومثله ما كتب : قد أقبل النوروز إلى الأستاذ ناشر آخلة التي استعارها من شيمته ومبدياً حليه التي أخذها من سجيته ومستصحباً من أنواره ما اكتساه من محاسن أيامه ومن أمطاره ما اقتبسه من جوده وانعامه مؤكداً الوعد بطول بقاءه حتى يتحلى العمر ويستغرق الدهر ويستكمل من الرتب أعلاها ويحل من المنازل أسماها ويرى السادة الفتيان قد افتقروا سعيه واقتفوا هديه وأسعده سمادة تستوفي معها الهمة وما ترتقى إليه والامل وما يشرف عليه .

وكتب : أما بعد تهناء سيدي الموهبة التي ساقها اليه ومدرواقها عليه إذ كانت من عقائل المواهب مسفرة عن خصائص المراتب وكيف لا تكون كذلك وقد صدرت عن مالك الأرض وولي البسط والقبض ومصرف الثقلين ومدبر الخافقين أدام الله سلطانه وأيد أعوانه مكنوفة بكرم رأيه وشرف اختصاصه واجتبائه وخطبتها عناية مولانا الأمير أدام الله أيامه ونصر أعلامه وحلت من سيدي محل الايجاب والاستيجاب والاستحقاق دون الاتفاق فعرفه الله ميا من أغزر شريعة بأشرف ذريعة وأبرع فضيلة حصلها بأرفع وسيلة .

وكتب في فصل له يهنئ فيه عضد الدولة وقد ولد له ابنتان توأمان: وصل كتاب الأمير بالبشرى التي أبت النعمة بها أن تقع مفردة وامتنعت العارفة فيها أن تسنح موحدة حتى تسرت منحتان في موطن وانتظمت موهبتان في قرن وطلع من النجيين أبي القاسم وأبي كالتجار أدام الله عزها طالعا ملك ونجما سعد وشهابا عز وكوكبا مجد فأهلت بهما رباع المحاسن ووطئت لهما أكناف المكارم واستشرفت اليهما صدور الأسرة والمنابر، وفهمته وشكرت الله تعالى شكر من نادى الآمال فأجابته منكرة ودعا الأمانى فأجابته مصحبة وحمدته حمداً مكافئاً جسيم ما أتاح وعظيم ما أفاد واكتنفتي من السرور ما فسح مناهج الغبطة وسهل موارد وسعت ماورد أتساعه شرحت صدور الأولياء بمسارها وأزججت قلوب الأعداء عن مقارها وسألت الله اتمام ما أدناه من الأميرين السعدين من سعادة لا يهتدى إليها الاختيار علوا ولا ترتقي إليها الأفكار مموا وسلطان تضيق البحار عن اتساعه وتنخفض الأفلاك عن ارتفاعه وتبليغهما^(١) أفضل ما تقسمه السعود وتعلو به الجود حتى يستغرقا مع السابقين أخويهما مساعي الفضل ويشيدا قواعد الفخر ويرحما صروف الدهر ويغبطا أطراف الأرض وهو تعالى قريب مجيب .

وله تهنئة بتجدد رتبة : وصل كتاب الاستاذ من الحضرة البهية يشير أن آنسها الله وحرسها بذكر ما لقاها كرم مولانا وورقاها اليه من مراتب تشريف لا تكمل القرائح لاقتراحها واستدعائها ولا تتسع الخواطر لالتماسها واقتضاؤها فحمدت الله ولي الحمد والشكر وأخذت بالخط من قوة القلب وانشراح الصدر وسألته أن يطيل بقاء مولانا في العز الراهن والسلطان القاطن ويعرف الاستاذ بركة مآدره من شرف لا حل مقيم ولا يتحيف عميمه انه فعال لما يريد .

وكتب في تهنئة بالسلامة من الفرق : لولا ان الله تعالى عز اسمه حماني عن سماع المكروه إلا في ضمان المحبوب حتى تقدم نبأ التبشير ذكر السبب المحذور لما

(١) هذه الكلمة غير منقوطة في النسخ .

وجدت في التماسك به بضيرة ولا من ترك التهالك ذخيرة إلا أن لطف الله وعطفه
عجلا إلى خبر البشري فانتفت الروعة قبل استقرارها وانتقلت الوحشة قبل
استمرارها فتلقيت جميل صنع الله بالحمد لله رب العالمين أفضل ما قبلت به النعم
وشكرت الزغائب والقسم .

وللبحتري تهنئة للمتوكل يبلوغ المعتر يقول فيها :

| | |
|---|-----------------------------|
| يا كاليء الاسلام في غفلاته | ومقيم نهجي حبه وجهاده |
| يهنيك في المعتر بشري يئنت | فينا فضيلة هديه ورشاده |
| قد أدرك الحلم الذي أبدى لنا | عن حلمه ووقاره وسداده |
| ومبارك ميلاد ملكك مخبر | بقريب عهد كان من ميلاده |
| تمت لنا النماء فيك ممتما ^(١) | بملو همته ووروي زناده |
| وبقيت حتى تستضيء برأيه | وترى الكهول الشيب من أولاده |

وقلت في تهنئة بمولود :

| | |
|---|--------------------------|
| قد زادني عدد الكرام كريم | محض صريح في الكرام ضميم |
| على المحلة لا يزال كأنه | للز قرن والسماك نديم |
| فلا أمره التميم ^(٢) كيف تصرف | حالاته وإنشائه التفخيم |
| فابشر فقد وافتك يوم رزقه | حظ بتخليد السرور زعيم |
| فرع تكفل دهره بئانه | حتى يكر الدهر وهو أروم |
| إن الهلال يصير مدة كاملاً | وهو سد الليل وهو بهم |
| وهو الوجيه إذا تبدى وجهه | وغداً إذا نزل العظم عظيم |
| وجهه كتنوير الرياض وتحت | خلق لمحسود الرياح وخيم |
| فلا أهله شرف به متوطد | ولديهم شرف أشم عجم |
| فاقرر به عيناً فأن خلاله | تصفو وتسلس أو يقال نسيم |

(١) في ديوان البحتري « تمت لك النماء فيه ممتعاً » . (٢) في الاصل مهملة

ولخذه التصميم حين تلاحقت أقرانه . ولشاده التفسديم
ومن أعجب ما جاء في التهئة والتمزية قول عبد الملك بن صالح : أخبرنا أبو
أحمد عن الصولي قال قيل للرشيـد ان عبد الملك بن صالح يُعِدُّ كلامه فأنكر الرشيـد
ذلك وقال بل هو طبع فيه حتى جلس يوماً ودخل عبد الملك فقال للفضل قل له :
ولد لأُمير المؤمنين في هذه الليلة ابن ومات له ابن ففعل الفضل ذلك فدنا عبد الملك
فقال : يا أمير المؤمنين سرك الله فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجعلها واحدة بواحدة
نواب الشاكر وأجر الصابر . فقال الرشيـد : أهذا الذي زعموا أنه يصنع الكلام
مارأى الناس أطبع من عبد الملك في الفصاحة . وقلت في تهئة بمولود :

| | |
|-----------------------------------|------------------------|
| فاستقبل الخيرَ في نجيب | عما يعيبُ الوري نزيه |
| شمسُ نهارٍ وبدرُ ليلٍ | يملكُ أبصارَ ناظره |
| يملاها ^(١) بهجة إذا ما | كشفَ عن وجهه الوجيه |
| رُزقه كاملاً سويّاً | تكثرُ علات عائبه |
| جنى لذيق المذاق حلوً | يقربُ من كفٍّ محتنيه |
| وعن قليلٍ يصيرُ شهماً | يشقى به جد كاشحيه |
| ألا فمش في ضمانٍ خيرٍ | حتى ترى الشيبَ من بنيه |

وقلت في تهئة باملاك :

| | |
|---------------------------------|---------------------------------|
| تحكى لك الاملاكُ عما تحبه | فانك قد فصلت بالتبر جوهرها |
| قصيرتهُ للدهرِ عقداً مفصلاً | وطيرتهُ في الأفق نَشراً مُعطراً |
| هو اليمينُ لم يعدمك محبوبةً دنت | ومكروهة شطت وصعباً تيسرا |

ومر عجائب المعاني تهئة لأبي اسحق الصابي مشوبة بالعقد ^(٢) لرجل زوج أمة:
قد جعلك الله وله الحمد من أهل التحصيل والرأى الأصيل وخلوص اليقين فكما
انك لا تتبع الشهوة في محظور تهاه فكذلك لا تطيع الأنفة في مباح تحظره ويأوى

(١) في الأصل « بملاذها بهجة » . (٢) في الأصل « بالمقربة » .

الينا من ايقاعك العقدين بين الوالدة - نفس الله لها في مدتك وأحسن بالبقية منها
امتاعك - وبين فلان ما علمنا أنك فيه بين طاعة الديانة توخيها ومشقة فيها تجشمتها
وانك قد جدعت أنف الغيرة لها وأضرعت خد الحمية فيها وأسخطت نفسك
بارضاها وعصيت هواك لرأيها فتحن نعزيك على فائت مرادك ونسأل الله الخيرة
لك وان يجعلها أبداً معك فيما شئت وأتيت وتجنبت وأنتت والسلام . قال الشيخ
أبو هلال رحمه الله تعالى جدعت أنف الغيرة من قول رسول الله ﷺ وقد رأى
عليها وفاطمة عليهما السلام في بيت فرد عليهما الباب وقال «جدع الحلال أنف الغيرة» .
وهنا بعضهم بخروج اللحية وهو أبو نصر بن هبة الله : الحمد لله الذي له
عند خلقه في الأحوال التي يتصرفون فيها والطبقات التي ينتقلون بينها والمراتب
التي يندرجون عليها لطائف من حكمه وفوائد من نعمه توافق مصالحهم وتطابق
حوادثهم في تصارييف نشوهم الطفولية والايفاع والشبيبة والاجتماع والبلوغ
والاكتمال والانتها والكمال وجعل لكل واحد منهم في كل حد من الحدود
وسنن من الاسنان قدراً من الاسر والقوة وصنفاً من اللون والصورة ومسافة في
السعي والهمة وغاية في الطلب والبغية يكون به قوام عيشه وسداد أمره محطوطاً
من الاضطراب بزيادة في بعض ذلك يُعطاها قبل بلوغ أدواته منتهاها بناقص سائر
وبناقي نظائره فيفتح بالزيادة في الزوائد صورته ويظهر بالنقصان في الناقص آفته
حتى اذا تعالى في المراتب أمد النهاية وتوافقت اليه أقسامه في الكفاية كمل الله
احسانه اليه وأتم إنعامه عليه والله المنه والفضل وبه القوة والحول ، الحمد لله الذي
كساك باللحية حلة الوقار ورداك بها رداء الابرار وصانك عن ميسم الصبا ومطامع
أهل الهوى ماجلك من الهيبة البهية وألبسك من لباس ذوى الالب والروية وألحقك
في متصرفاتك بمن يستقل بنفسه ساعياً ويستغنى عن مصحبه حافظاً وجعلك بما جل
من صورتك وكل من ادانتك وآلتك قرناً لمن جاذبك وخصماً لمن نازعك ونفى
عنك ذلة الاحتقار من أهل المراتب والاختار تستوى معهم في المجالس الحافلة

وتجربى مجرام فى المشاهد الجامعة منسوعاً قولك اذا قلت مصفى لك اذا نطقت
 آمناً من انصراف الأَبصار عنك لقرب ولادك ونبو الاستماع من حديثك لقلة
 الثقة بسدادك وجارياً مجربى جلة الرجال على الحملة الى أن تكشف مخابرك بالمحنة
 وتعطى المهابة من الذاعر العادى ومن السبع الضارى إذا اتفق لكما مقام يخلو فيه
 كل واحد منكما من وفد يمدده وناصر يؤيده يملكه الاشفاق من صاحبه ويقطعه
 من مواليد اليه من ترك ابقائه فى السطوة عليه ولو كان طاريا من هذه الكسوة الشريفة
 والحلية النفيسة لسبقت اليه بالازدراء الأعين وبالاستصغار القلوب والألسن وبالطمع
 أصناف الحيوان من البهيمة والانسان ثم لا يحسن من نفسه قوة على الدفع عنها ولا من
 حريمه قدرة على ما يدهاها منها وتلك نعمة من الله حباك بمزيتها فى جمال غشاك وكال
 أذاك فليصدق بها اعترافك وشكرك وليحسن ثناؤك ونشرك قضاء لحق الله عليك
 واستدراراً للمزيد فى احسانه إليك .

وكتب الصاحب تهنة بتزوج أم وتعزية بموت أب : الأيام أطال الله بقاءك تجرى
 على أنحاء مختلفة وشعب متفرقة وأحكامها تتفاوت بيننا بما يسوء ويسر وينفع ويضر وبلغنى
 من نفوذ قضاء الله فى شيخك رحمه الله تعالى ما أزعجنى وأبهم طرق السلوة دونى وان كان من
 خلفك غير خارج عن رؤية الاحياء ولا حاصل فى زمرة الأموات والله بأسو كلمك
 ويسد ثملك وقد فعل ذاك بأن أتاح الله لك بعد أيك أباً لا يقصر عنه شفقة عليك وحنواً
 وإيثاراً لك وبراً وقد لعمرى وقت حين وصلت بحبك حبله وأسكنت الكبيرة حرسها
 الله ظله لئلا تنقد من الماضى عنا الله عنه إلا شخصه فالحمد لله الذى أرشدك لما يعيد الشمل
 مجتمعاً بعد فراقه والعدد موفوراً بعد انتقاصه حمداً يقضى لك بالمسرة ويحسم دونك
 مواد الوحشة ويكفيك ثواب ما قضيت من الحق وتحملته فيه من الارق انه فعال لما يريد .
 وكتب تهنة بقدم : قد جدد الله وله الحمد جمال الدنيا وضاعف بهاها
 وزادها محاسن ترفل فى حللها وتبخت فى حليها واكتنفها بميامن يمرع جنابها
 ويفتح بالخيرات أبوابها ما استأنف جل اسمه من النعمة الشامة والمنة الكاملة فى

ثَقِيرِب رَكْب مَوْلَانَا أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَكَبِتْ أَعْدَاءُهُ وَكَبِ حَسَادُهُ وَزَادَهُمْ رَغْمًا
بِزِيَادَتِهِ تَعَالَى إِلَیْهِ نَعْمَا لَا يَرْحَلُ مَقِيمَهَا وَلَا يَتَحَيَّفُ عَمِيمَهَا مَا اخْتَلَفَ الْعَصْرَانِ وَتَعَاقَبَ
النِّيرَانِ وَاسْتَقْبَلَ بِهِ فِي وَفْدَتِهِ مَا يَنْقَادُ لَهُ أَقْصَرُ الْأَسَارِ وَيَحْتَوِي عَلَيْهِ أَرْبَعَةُ غَايَاتِ
الْإِخْتِيَارِ بِمَنْهَ وَجُودِهِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا لَا يَبْلُغُ نِدَاءَهُ وَلَا يَنْفَصِلُ أَخْرَاجُهُ مِنْ أَوْلَادِهِ حَتَّى يَسْتَفِرَّقَ نِعْمُهُ
وَيَسْتَوْفِيَ فَوَاضِلُهُ وَقَسَمُهُ وَأَنَّى ذَلِكَ وَهِيَ مَطَرُفَةٌ إِلَى غَيْرِ غَايَةٍ وَمَمْدُودَةٌ إِلَى غَيْرِ نَهَايَةٍ
لَا يَتَخَطَّى إِلَى شُكْرِ بَعْضِهَا إِلَّا بِتَجَدُّدِ أَمْثَالِهِ مِنْ جَمَلَتِهَا وَتَرَادُفِ نِظَائِرِهِ مِنْ جَمَاعَتِهَا
وَأَنَّ اللَّهَ الَّذِي أُعْطِيَ كَثِيرًا وَقَبِلَ مِنَ الشُّكْرِ قَلِيلًا وَأَوْجِبَ بِهِ مَزِيدًا وَالصَّلَاةَ
عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ .

﴿ كِتَابُ الْمُبَالَغَةِ ﴾

فِي أَوْصَافِ خِصَالِ الْإِنْسَانِ الْمَحْمُودَةِ مِنَ الْجُودِ وَالشُّجَاعَةِ وَالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ
وَالْحَزْمِ وَالْعَقْلِ وَمَا يَجْرَى مَعَ ذَلِكَ وَهُوَ :

﴿ الْبَابُ الثَّانِي مِنْ كِتَابِ دِيْوَانِ الْمَعَانِي ﴾

سَمِعْتُ الشُّيُوخَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُونَ أَجُودُ بَيْتِ قَائِمَةِ الْعَرَبِ قَوْلَ مُسْلِمٍ
ابْنِ الْوَلِيدِ ^(١) :

(١) هُوَ الْمَلَقَبُ بِبَصْرِ بَعْضِ الْغَوَاتِي، تَأَدَّبَ فِي الْكُوفَةِ وَعَظَّمَ شَأْنَهُ فِي الشُّعْرِ، مَاتَ بِبَجْرَجَانَ .

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ
 وَأَوَّلُ مَنْ جَاءَ بِهَذَا الْمَعْنَى عَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدِ : (١)
 تَجُودُ بِنَفْسٍ لَا يَجَادُ بِمِثْلِهَا فَانْتَ بِهَا يَوْمَ الْقَاءِ خَصِيبُ
 وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي يَزِيدَ الشَّيْبَانِيِّ مَنْ جَادَ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْإِقَاءِ وَبِمَالِهِ
 عِنْدَ الْعَطَاءِ فَقَدْ جَادَ بِنَفْسِهِ كَلَّتِيهَا . وَقَالَ أَعْرَابِي : مَنْ جَادَ بِمَالِهِ فَقَدْ جَادَ بِنَفْسِهِ
 وَإِنْ لَا يَكُنْ جَادَ بِهَا فَقَدْ جَادَ بِقَوَامِهَا . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ (٢) :
 طَلَبْتُ هَدِيَّةً لَكَ بِأَحْتِيَالِي عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَسِيٍّ وَنَسِيٍّ
 فَلَا لَمْ أَجِدْ شَيْئًا نَفْسِيًّا يَكُونُ هَدِيَّةً أَهْدَيْتُ نَفْسِي
 وَكَتَبَ الْعَبَّاسُ بْنُ حَرْبٍ إِلَى بَعْضِ الْأُمَرَاءِ وَأَهْدَى إِلَيْهِ هَدِيَّةً : لَا أَعْلَمُ
 بِمَنْزِلَةِ تَوْحِشِهِ مِنَ الْأَمِيرِ أَعَزَّهُ اللَّهُ وَلَا تَوْحِشِهِ مِنِّي أَنَا مَوْقَرٌ مِنْ بَلَائِهِ وَفِي الطَّاعَةِ
 لَهُ كَيْدُهُ وَفِي الْمُوَدَّةِ لَهُ كَنْفُسُهُ وَفِي الْخَاصَّةِ كَأَحَدِ أَهْلِهِ وَإِنَّمَا أَلْطَفَهُ مِنْ مَالِهِ وَقَدْ
 بَعَثَ إِلَيْهِ مَا يَصْلَحُ لِيَوْمِهِ وَأَهْدَيْتُ لَهُ نَفْسِي الَّتِي هِيَ لِبَذَلَتِهِ وَخُدْمَتِهِ . وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ :
 وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ نَفْسِهِ لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهُ
 وَقَدْ أَنْكَرَ خَلْفُ بْنُ خَلِيفَةَ إِهْدَاءَ النَّفْسِ : قَدِمَ أَخٌ لَهُ مِنْ سَفَرٍ فَاقْتَضَاهُ خَلْفُ
 الْهَدِيَّةِ فَقَالَ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فَقَالَ خَلْفُ :
 أَنَا أَنَا أَخٌ مِنْ غَيْبَةٍ كَانَ غَابَهَا وَكَانَتْ إِذَا مَا غَابَ أَنْشَدَهُ الرُّكْبَا
 فَقُلْتُ لَهُ هَلْ جِئْتَنَا بِهَدِيَّةٍ فَقَالَ بِنَفْسِي قُلْتُ أَنْجِفْ (٣)
 هِيَ النَّفْسُ لَا أَمْسَى عَلَيْهَا إِذَا نَأَتْ وَلَا أَتَمْنِي مَا حَيَّتْ لَهَا قُرْبَا
 إِذَا هِيَ وَافَتْ مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً فَلَا السَّهْلَ أَتَمَّاها إِلَّا لَهْ وَلَا الرَّحْبَا

(١) هو علقة الفحل من بني تميم ، شاعر جاهلي ، كان معاصراً لأمير القيس .

(٢) كان معاصراً لأبي تمام ، نشأ بغير داء وخص بالمتوكل العباسي ، ثم غضب

عليه فنفاه إلى خراسان ، ورحل إلى حلب فقتل فيها . (٣) كذا في النسخ

ولعله سقط «بها التزبا» أو نحوه ولم نجد لها في الأغاني ولا الخزائن .

وقالوا قول مروان بن أبي حفصة ^(١) كأنه حين يعطى المال يغنمه * أجود
من قول زهير * كأنك معطيه الذي أنت سائله * لأن الغنيمة ^(٢) حلاوة
ليست للعطية . وأجود ما قيل عندي قول أبي العتاهية ^(٣) :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمدٍ قل «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا الحسن بن الحسين الأزدي حدثنا محمد
ابن حبيب ، وعن الصولي أيضاً عن إبراهيم ، بن المعلى عن ابن حبيب قال
قال أبو العتاهية يمدح العباس بن محمد :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمد قل «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
إن الساحةَ لم تزل معقولةً حتى حلتَ براحتيكِ عقالها
وإذا الملوكُ تسأرت في بلدةٍ كانوا كواكبها وكنت هلالها
فلم يثبه فقال :

هرزتك هزة السيف المحلى فلما ان ضربت بك اثنت
فهيها مدحة ذهب تضياعاً كذبت عليك فيها واقتربت
فلما قرأ العباس الأبيات غضب وقال والله لأجهدن في حتفه قال فمر أبو
العتاهية باسحق بن العباس فقال له اسحق أنشدني شيئاً من شعرك فأنشده :
ألا أيها الطالبُ المستغيثُ بمن لا يفيدُ ولا يرُفدُ
ألا تسأل الله من فضله فإن عطاياه لا تنفد
إذا جئت أفضلهم للسؤال ردّاً وأحشاؤه تُرعد
كأنك من خشية السؤال في عينه الحية الأسود

(١) من شعراء العصر العباسي ، اشتهر بمدح المهدي ، ومعن بن زائدة ،
وهارون الرشيد ، توفي سنة ١٨١ (٢) في النسخ «الغنيمة» .
(٣) هو إسماعيل بن القاسم ، اشتغل بالشعر ومذاهب الفلاسفة ،
ويغلب على شعره الزهد .

ففرّ إلى الله من تؤمهم فاني أرى الناس قد أصلدوا
 وإني أرى الناس قد أبرقوا بلؤمِ الفعّالِ وقد أرعدوا
 ثم مضى ققيل لاسحق ما هذا الشعر إلا في أيك فقال اسحق أولى له أن
 عرض نفسه وأحوج أبي العتاهية إلى مثل هذا مع ملكه وقعدته . ومثل قوله
 * كذبت عليك فيها وافتريت * قول علي بن جبلة وقال له أبو دلف أن
 تحسن أن تمدح ولا تحسن أن تهجو فقال المدم أيسر من البناء ثم قال :
 أبو دلف كالطبل يذهب صوته وباطنه خلوة من الخير أخرب
 أبا دلف يا كذب الناس كلهم سواي فاني في مديحك أ كذب
 وأخذ البحتري قوله * كانوا كوا كبها وكنت هلالها * فقال في المتوكل :
 اذا غبت عن أرض ويمت غيرها فقد غاب عنها شمسا وهلالها
 غدت بك آفاق البلاد خصيبة وهل تحمل الدنيا وأنت ثمالها ^(١)
 فأما قوله : كأنك من خشية للسؤال في عينه الحية الأسود
 فمن قول بعض العرب :

من دون سيبك وجه ليل مظلم وخفيف نافحة وكلب موسد
 وأخوك محتمل عليك ضغينة وخسيف قومك لاثم لا يحمد
 والضيف عندك مثل أسود صالح لا يل أحبهما اليك الأسود
 ومن جيد ما جاء في خلاف ذلك من الحث على الانفاق ومجانبة الامساك
 قول ديك الجن :

قالوا السلام عليك يا أطلال قلت السلام على المحيل محال
 حاج لا شقى مراده دمن البلى ومراد عيني قلة وحبال
 لأناد من ^(٢) الراج وهي زلال ولا طرقت البيت فيه غزال
 ولا تركن جليلها وبقليه حرق وحشو فؤاده بكبال

(١) في الأصل «ثمارها» . (٢) في الأصل (لأفاد من) .

وليشفين^(١) حبي فم^ه وحنى يد
 ماذا الغنى والبخل مالك من غنى
 أطلق يدك فان بين يديك ما
 قد تسلم الأوكال^ه وهي مواكل
 ورجال^ه هذى النائبات وان رأوا
 وقلت : ماذا يسرك من مال تجمع^ه
 ولم يكن لك مال^ه يوم تكسبه^ه
 تحب^ه من أجله الدنيا وتورثها
 سترته^ه عن عيون الناس كلهم
 ان لم تبكر اليه^ه في نوائبه^ه
 وقد أحسن القائل :

إذا أعجبتك خصال^ه امرئ
 فليس على الجود والمكرمات
 هو المال ان أنت لم تخترب
 فكنه^ه تكن مثل ما يعجبك
 حجاب^ه إذا جتته^ه يعجبك
 أباح^ه لك الدهر ما يخربك
 وإذا كان أفضل الجود ما كن مع الحاجة على حسب ما مدح الله تعالى به الانصار
 فقال (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) وأجود ما قيل
 قول عروة بن الورد^(٢) :

فلا تشتنى يا ابن^ه ورد قاتنى
 ومن يؤثر الحق^ه النؤوب^ه يكن به
 تعود^ه على مالى الحقوق^ه العوائد^ه
 خصاصة^ه جسم وهو طيان ماجد
 وقال عبد الملك بن مروان ماوددت ان أحداً من العرب ولدنى إلقائل
 هذه الأبيات .

(١) فى الأصل (ولاشفى) . (٢) هو شاعر جاهلى كان فارساً جواداً ، قال
 عبد الملك بن مروان : من قال أن حاتمًا أسمع الناس فقد ظلم عروة بن الورد .

ومن جيد ما قيل في الايثار على النفس قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كتبه
عبيد الله بن سليمان حين ولي الوزارة :

أبي دهرنا اسماقنا في نفوسنا فأسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له نعماك فيهم آثمها ودع أمرنا ان المهم المقدم
وهذا غاية لأنه جعل أمر المدوح أهم له من نفسه وإصلاح شأنه .

ومن جيد ما قيل في جود على قوم دون قوم قول البحتري :
سحاب عدائي جوده وهو هامر وبجر خطائي فيضه وهو منعم
وبرق أضواء الأرض شرقاً ومغرباً وموضع رجلى منه أسود مظلم
ومن أجود ما قيل في كبر الهمة قول بعض العرب :

له هم لا ينتهي لسكبارها وهمة الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها على البر كان البر أندى من البحر
أخذه المتنبي فقال وقصر :

تجمعت في فؤاده هم ملء فؤاد الزمان إحداها
وموضع التقصير فيه أن الأول جعل همته الصغرى أجل من الدهر وجعل المتنبي
أحدى هممه ملء فؤاد الزمان فإذا كانت ملء فؤاده فليس بأجل منها .
ومما يذكر في وصف كبر الهمة أن سيف بن ذي يزن دخل على كسرى فتطأطأ
في طاق رفيع من طيقان قصره وجلس فدفعت إليه مخدة فجعلها على رأسه وكسرى
يرمقه فلما سأل سيف حاجته قيل له ان الملك قد رأى منك خلتين عجبتين وضع
المخدة على رأسك وإنما أعطيتها لتجلس عليها وتطأطؤك في الطاق الرفيع فقال اما
المخدة فرأيت عليها صورة الملك فوضعتها على أكرم موضع عندي وأما تطأطئي في
الطاق الكبير فإني همتي أكبر منه . فاستحسن كلامه وضم إليه جيشاً أزاح بهم
الحبشة عن بلده .

ومن بليغ ما قيل في كبر الهمة قول علي بن محمد البصري :

قلبي نظيرُ الجبلِ الصعبِ وهمتي أكبرُ من قلبي
 فاستخر اللهَ وخذُ مرهناً وافكك بأهل الشرق والغرب
 ولا تمت إن حضرت ميتةٌ حتى تُميتَ السيفَ بالضرب
 ومن المذكور في ذلك قول أبي تمام :

رأى ابن دهرٍ عرقاً في خيله أعلم منه بحذاءِ أبيه^(١)
 قد امت أيدى النوى بشمله متمماً مضطجعاً بحمله
 مُنصلاً كالسيفِ عند سله مولودةً هتبه من قبله
 قد دانَ ذو الفضل له بفضلِهِ كالصابِ من بذقه لا يستحله
 إلا بأن يسكن تحت ظله

وقال : همةٌ تنطحُ النجومَ وجدُّ ألف للحضيضِ فهو حضيضُ
 أبغ ما قيل في يمن النقية^(٢) قول الإعشى :

ولو رحت في ظلةٍ قادحاً حصاةً ينبع لأوريت نارا
 الحصاة مع النبع لا توري قال فأنت من يمن تقيتكَ لو قدحت بهما لأوريت .
 وقال بعض الأعراب :

يذكرني سعداً دواءً بالقرى لو أشرف القومُ على أرضِ العدى
 واختلطَ الليلُ بألوانِ الحمى وأرسلوا سعداً إلى الماءِ سرى
 من غير دلو ورشاءٍ لاستقى

وهو بليغ في هذا المعنى جداً : وقلت :

ليس للعين وراءَ شاهِ إلى العلى والمكرماتِ مطرح
 قد شح بالعرض وجاد باللهي فحوى المجد بها جاد وشح
 فاذا همَّ بأمرٍ ناله فسواءٌ جدٌّ فيه أو مزح

(١) في الأصل « أهله »

(٢) النقية : النفس ، يقال فلان ميمون النقية إذا كان مبارك النفس .

وقلت : إذا ما بدت فينا عطاياهُ عقت وكم بادىء المزنِ غير معقب
ولما يفرره تقلب دهره فقلت لعل الدهر لم يتقلب
ويدنو له المطلوبُ حتى كأنما كواكب ضوء الصبح في كل مطلب
أبلغ ما قيل في اهتمام الرجل بأمر أخيه قول بعضهم :
سأشكرُ عمراً إن تراخت منيتي أيادى لم تُمن وإن هي جلت
فتي غير مفراح إذا الخيرُ مسه ولا مظهر الشكوى إذا النعلُ زلت
رأى خلتي من حيثُ يخفي مكانها فكانت قذى عينية حتى تجلت
قوله « قذى عينية » لا يقوم مقامه شيء في شدة الاهتمام لأن الإنسان إذا
قذبت عينه صرف الهممة إلى تقذتها من غير اشتغال بشيء غيرها وهو على قوله « من
حيث يخفي مكانها » أباح لأنه يدل على تفقد شديد وعناية تامة .

ومما هو في هذه الطريقة قول أمية بن أبي الصلت :
إذا ليلةً نابتك بالشكر لم أبت لشكواك إلا ساهراً أتعملُ
كأنى أنا المطروقُ دونك بالذي طرقت به دوني فعينى تهمل
وقالوا أشجع بيت قالته العرب قول عباس بن مرداس السلي^(١) :
أشدُّ على الكتيبة لا أبالي أحتفى كان فيها أم سواها
قالوا أربعة من الشجعان تبين دلائل الجبن في شعر ثلاثة منهم فمن الثلاثة
عنزة^(٢) في قوله :

فاذا شربتُ فأنى مستهلكُ مالى وعرضى وافرُ لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علتِ شمائلى وتكرمي

(١) هو الشاعر الفارس كان سيداً في قومه أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم قبل
الفتح وكان ممن ذم الجمر في الجاهلية .

(٢) هو عنزة بن شداد العبسي من شعراء الطبقة الأولى كان حليماً على
شدة بطشه اجتمع بامرئ القيس ، وقصته المشهورة خيالية لم يعرف واضعها .

وخليل غانية تركتُ مجندلاً تمكو قريصتهُ كشدق الأعم

هلاً سألتِ الخليل بابنة مالك إن كنتِ جاهلة بما لا تعلمي

يخبرك من شهد الواقعة أنني أخشي الوغى وأعفُ عند المنعم

ومدجج كره الكفاة تراله لا ممن هرباً ولا مستسلم

سبقت يدائي له بعاجل طمعة ليس الكريم على القنا بمحرم^(١)

نبئت عمراً غير شاكر نعمتي والكفر نجاسة لنفس المنعم

ثم قال: إذ يتقون بي الاسنة لم أحم عنها ولكني تضايق مقدي

قالوا فدل على أنه وقف ولم يقدم واعتذر بتضايق المقدم . وكان عنزة هجيناً أمه

أمة فاستعبده أبوه ، وهذه كانت العرب عاداتها في الهجناء فكان يرعى ثم اتخذ

سلاحاً وصنع مهرأ فأغارت طيء على عيس فسبوا أهله وجيرانه فركب مهره واتبع

القوم ثم جنبهم حتى أتى من أمامهم فما زال يطعن في أعين القوم حتى ردوا عليه

أباه وأمّه ثم عمه وابنته عبلة ثم قال لا أنصرف بأهلي وأترك جيرانى فكر عليهم فقتل

منهم أربعين فردوا عليه جيرانه وكان يقول له أبوه وعمه كر فيقول لا يحسن العبد

الكر وإنما يحسن الحلب والصر يقرعهم بذلك إذ كانوا قد استعبدوه فاستلجقة

أبوه يومئذ وزوجه عمه عبلة ابنته وكان عنزة يسمى الفلحاء وكانت أمه حبشية

تسمى زبيبة وقال النبي ﷺ « ما سمعتُ بأعرابي فاشتبهتُ أن أراه إلا عنزة » .

والآخر قول عمرو بن معد يكرب^(٢) في قوله :

ولقد أجمعُ رجلى بها حذر الموتِ وإني لفرور

ولقد أعطفها كلوهة حين للنفس من الموت هدير

كل ماء لك مني خلق وبكل أنا في الروح جدير

فقال « وإني لفرور » وقال بعض أهل الأدب إنما هو « لفرور » بالقاف

(١) روى « ورشاش نافذة كلون العندم » .

(٢) هو فارس اليمن ، صاحب الغارات المشهورة .

لأن الشجاع لا يمدح نفسه بالفرار سيما باللفظ البليغ من فرور . وليس كذلك لأن قوله « كل ما ذلك مني خلق » على أنه ذكر حال فرار وحال ثبات فحال الثبات قوله « ولقد أجمع رجلى بها » والحال الأخرى حال للفرار إذا كان ذلك أحزم ولو ذكرنا حالا واحدة لم يحسن أن يقول كل ماء لك مني خلق وإنما دل على أصالته وعقله في ثباته وقت الثبات وفراره ساعة الفرار وليس الشجاعة أن يحمل الرجل نفسه على الهلكة إنما ذلك هوج والشجاعة أن يتقدم وغالب ظنه أن يظفر فاما أنه إذا علم أنه إذا أقدم هلك ثم أقدم فان ذلك جنون لأن كل أحد يقدر أن يقدم على الهلكة فيهاك وإنما الشأن في أن يمدح بإقدامه وفي قريب من ذلك قوله :
فجاشت إلى النفس أول مرة فردت على مكروها فاستقرت

فما جاشت نفسه إلا وجبن ، ولو وصف عمرو هذه الأشياء من نفسه قيل إنه ممن يصدق عن نفسه ، على أنه ربما كذب الكذبة الصلحاء روى لنا أبو أحمد عن العباسي عن المبرد وعن غيره قال وقف عمرو بن معدى كرب وخالد بن الصمقب الهندي في جماعة بالكنامة يتحدثون فقال عمرو أغرنا مرة على بني نهد فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصمقب فحماة عليه فطعنته فأردبته ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه فقال خالد حلاً أبا ثور فان قتيلك هو الحديث فقال عمرو يا هذا إذا حدثت بحديث فاصمع فانما نرهب هؤلاء المدينة . مسترعفين أي متقدمين ، وقوله حلاً أبا ثور أي قل ان شاء الله ويقال حلف ولم يتحلل أي لم يستثن .

ويروى عن العرب كذب كثير فمن ذلك ما يزعمون أنهم يرون الجن ويكلمون الغيلان والسعالى حتى زعم تأبط شرا انه طلب نكاح السعلاة في قوله :

وادم حبيت ^(١) حلبابه فيا جارتا أنت مأهولا

فطالبتها بضعها فأنثت بوجه تهول واستغولا

(١) في النسخ زيادة (قد) قيل (حبيت) .

وكننت إذا ما هممت^١ اعتزمت وأخرى إذا قلت^٢ أن أفعل
وقال آخر :

أخو قفرات حالف^٣ الجن^٤ واتقى من الانس^٥ حتى ماتقضت رسائله
له نسب^٦ الانسى^٧ يعرف^٨ نخله وللجن^٩ منه^{١٠} خلقه وشبائله
وقال عبيد بن أيوب :

قله^{١١} در^{١٢} القول^{١٣} أى زفقه^{١٤} لصاحب قفر^{١٥} خائف متقفر
وكان كثير من شعرائهم يدعى أن له شيطاناً يعلمه الشعر منهم الفرزدق كان
يكنى شيطانه أبا لينى وذكر أنه ذهب الى جبل فناده فجاء مثل الذباب قد دخل
في حلقه فقتل قصيدته التى أولها * عزفت بأعشاش وما كنت تعزف *
وقال أبو النجم :

وجدت كل^{١٦} شاعر^{١٧} من البشر شيطانه انثى وشيطانى ذكر
وزعموا أن عروة بن عتبة صرخ بقومه فأسمعهم من مسيرة ليلة . ورووا أن
لقمان بن حاد لما ضعف بصره كان يفصل بين أثر الذكر والانثى والذر اذا دب
على الصفا فى الليلة الظلماء .

وقال رجل لأبى حنيفة ما كذبت قط قال هذه كذبة أشهد بها عليك .
وسأل الحجاج^(١) قاصاً عن اسم بقرة بنى امرائيل قال حنمة فقال له رجل
من أولاد أبى موسى الاشعرى فى أى كتاب وجدت هذا قال فى كتاب عمرو بن
الماص . ودخل عبد الله بن الزبير يوماً على معاوية فقال اسمع أيتها قلتها :

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته^{١٨} على طرف^{١٩} الهجران^{٢٠} ان كان يعقل^{٢١}
ويركب^{٢٢} حد^{٢٣} السيف^{٢٤} من أن تضيمه^{٢٥} اذا لم يكن عن شفرة^{٢٦} السيف^{٢٧} مزحل^{٢٨}
ثم دخل معن بن أوس المزنى فأنشد * لعمر^{٢٩}ك ما أدرى^{٣٠} وأنى لأوجل^{٣١} *
حتى صار إلى البيتين فقال معاوية ما هذا يا أبا بكر فقال أنا أصلحت المعانى وهو

(١) فى الأصل « الحجاج بن حنمة » .

ألف الكلام وهو بعد ابن ظري وما قال من شيء فهو لي وكان عبد الله بن الزبير مسترضعاً في مزيعة :

والثالث عمرو بن الاطنابة ^(١) حيث يقول :

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

فزعم أن نفسه جشأت وجاشت وليس ذلك إلا من الجبن .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن الرياشي حدثنا العتيبي عن أبيه قال دخل الحارث بن نوفل بابنه علي معاوية فقال ما علمت ابنك فقال القرآن والفرائض فقال روه من فصيح الشعر فانه يفتح العقل ويفصح المنطق ويطلق اللسان ويدل على المروءة والشجاعة ولقد رأيتني ليلة صفين وما يجبسنني إلا آيات عمرو بن الاطنابة حيث يقول :

أبت لي عتي وأبي بلائي وأخذى الحمد بالثمن الريح

واعطائي على المكروه مالي وضربي هامة الشيخ المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

لأدفع عن مآثر صالحات وأحمي بعد عن عرض صحيح

بذي شطب كلون الملح صاف ونفس لا تقر على القبيح

قالوا والذي يدل على الشجاعة الخالصة قول العباس بن مرداس :

أشد على المكتيبة لا أبالي أحتفي كان فيها أو سواها

وهذا على مذهب من ذكرنا قبل هوج ، والذي يدل على أن التثبت والثبات

وسكون النفس من تمام الشجاعة قول بلقاء بن قيس :

وقارس في غمار الموت منغمس إذا تأتي على مكروهه صدقا

غشيتة وهو في جاواء باسلة عضباً أصاب سواء الرأس فانفلقا

بضربة لم تكن مني مخالسة ولا تعجلتها جيناً ولا فرقا

فذكر أن مخالسة الضرب من الجبن . وأحسن ما قيل في التقدم في الحرب قول زهير :

ليث بعثر يصطاد الرجال إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا
يطعنهم ما رتموا حتى إذا ظعنوا ضارب حتى إذا مضاربوا اعتنقا
وصفه بالتقدم على كل حال . وقل أحد منهم لم يصف نفسه بالتأخر ، قال حصين
ابن حمام^(١) :

تأخرت أستبق الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما
فلسنا على الاعتقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما
ذكر أنه تأخر ثم رأى أن التقدم أحرز لظفر يعيش به عزيزاً أو موت بموته شريفاً .
وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن أبيه عن علي قال قال المهدي لابن داب
أنشدني أحسن ما قيل في وصف الفتى الشجاع فأنشده للشماخ :

وأشعث قد قدَّ السفر قميصه بجر شواء بالعصا غير منضج
دعوت إلى مانأبني فأجأبني كريم من الفتيان غير مزج^(٢)
فتي يملأ الشيزي^(٣) ويروى سنانهُ ويضرب في رأس الكمي المدجج
فالتفت إلى عبد الله بن مالك الخزاعي وقال هذه صفتك .

وقالوا أشجع بيت قالته العرب قول كعب بن مالك :
نصلُ السيوف إذا قصرن بخطونا قدماً وتلحقها إذا لم تلحق
ورأى بعض العرب سيفاً فقال ما أجوده لولا قصر فيه فقال صاحبه فصله
بخطوة فقال الرجل تلك الخطوة أشد من مشيتي إلى الصين .
وأبلغ ما قيل في سعة الخطو في الحرب قول أبي تمام :
خطو تثرى الصارم الهندي متصراً به من المارن الخطى منتصفاً

(١) هو ابن ربيعة سيد بني سهم بن مرة من قيس وكان يقال له مانع الضيم ،
بعد من أوفياء العرب ومن الشعراء المقلين ، وتقل في الأغاني أنه أدرك الاسلام .
(٢) مزج كمعظم : الناقص والدون من كل شيء . (٣) الشيزي بالكسر
خشب أسود للقصاع أو هو الأبنوس .

يقول لسعة الخطو ينصف صاحب السيف من صاحب الرمح .

وقالوا أشجع ما قيل قول الشاعر :

أقولُ لنفسي لا يجادُ بمثليها أقلى شكوكاً إنني غيرُ مدبر

وأجود ما قيل في صدق اللقاء مع قلة العدد قول أبي تمام :

قلوا ولكنهم طابوا فأتجدهم جيشٌ من الصبر لا يُحصى له عددٌ
إذا رأوا للمنايا عارضاً لبسوا من اليقين دُروعاً مالهـا زردٌ
نأى عن المصرح الأدنى فليس لهم إلا السيوفُ على أعدائهم مدد
وأجود ما قيل في وصف القتى الشجاع وصاحب الحرب من شعر المحدثين

قول مسلم بن الوليد في يزيد بن يزيد الشيباني :

لولا يزيد لأضحى الملكُ مضطرباً أو مائلَ الرأسِ أومسرخى الطولِ
حاط الخلافة سيفٌ من بنى مطر أقام قائمهُ من كانت ذا ميل
سيد الثغور يزيد بعد ما انفرجت بقائم السيف لا بالختل والهيل
موف على مهج في يوم ذى رهجٍ كأنه أجسلٌ يسعى إلى أمل
ينالُ بالرفق ما يعبى الرجالُ به كلوتٍ مستعجلاً يأتى على مهل
يكسو السيوف نفوس^(١) الباكثين به ويجعل الهام^(٢) تيجان القنا الذبل
يغدو فتغدو المنايا في أسنته شوارعاً تتحدى الناس بالأجل
قد عودَ الطيرَ عاداتٍ وثقنَ بها فمن يتبعنه في كلِّ مرحل
إذا اتضى سيفهُ كانت مسالكهُ مسالكَ الموتِ في الأبدان والقلل
الزائديون قومٌ في رماحهم خوفٌ الخيفِ وأمنٌ الخائفِ الوجل
كبيرُهم لا تقومُ الراسياتُ له حلاً وطفلهم في هدى مكتهال
إسلم يزيدُ فما في الملكِ من أودٍ إذا سلمت ولا في الدين من خلل

(١) في هامش نسخة « د.ء » مكان « نفوس » إشارة لنسخة فيها كذلك .

وهي موافقة لما في ديوان مسلم . (٢) في النسخ « الهامة » .

وانخر فمالك في شنيان من مثل كذلك مالبني شنيان من مثل
 لله من هاشم في أرضه جبل وأنت وابنك ركنا ذلك الجبل
 وقوله : سل الخليفة سيفاً من بني مطر يمضي فيخترق الأحشاء والهاما
 كالدهر لا ينتهي عمايهم به قد أوسع الناس إنعاماً وارغاما
 تظلم المال والاعداء من يده لازال للآل والاعداء ظلاما
 إذا بدا رفع الستار عن ملك تكسى العيون به نوراً واطلاما
 تمضي المنايا لما تمضي أسنته كأن في سرجه بدرأ وضرغاما
 وله أيضاً :

يلقي المنية في أمثال عدتها كالسيل يقذف جلوداً بجلود
 كالليث بل مثله الليث الهصور إذا غنى الحديد غناء غير تغريد
 وقالوا أشجع بيت قاله محدث قول أبي تمام :

فما بل في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخمصك الحشر
 وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه عليه الحفاظ المرء والخلق الوعر
 غدا غدوة والحمد نسج ردائه فلم ينصرف إلا وأكفائه الأجر

أخذ معنى البيت الأول من قول عوف بن قطن بقوله يوم الجمل :
 لا أبتغي اللحد ولا أبنى الكفن من هاهنا محشر عوف بن قطن
 وأجود ما قيل في سكون الجأش في الحرب قول البحري :

لقد كان ذاك الجأش جأش مسالم على أن ذاك الزى زى محارب
 تسرع حتى قال من شهد الوغى لقاء عدا (١) أم لقاء حباب
 وصاعقة في كفه ينكفي بها على أرواس الأقران خمس سحائب

وهذا البيت أجود ما قيل في معناه جعل السيف صاعقة وأصابع الضارب
 سحائب تجود على مؤملين بنيتها وتقتل معاوية بصاعقتها .

(١) في النسخ « أعداء » والوزن لا يستقيم بها .

(أصدق بيت قالته العرب) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العيناء
قال قال الأصمعي أصدق بيت قالته العرب وأحكمه قول الخطيئة :

من يفعل الخيرَ لا يَعمد جوازِ بهُ لا يذهبُ العرفُ بين الله والناس
وقال المحدث في معناه * ماضع عرف وان أوليته حجراً * وقال الافوه^(١) :

والخيرُ تزدادُ منه ما كُفيت^(٢) بهُ والشرُّ يكفيكَ منه قلما زاد

وقيل خير من الخير فاعله وخير من الذهب معطيه ، وقال عبيد الله الأبرص :

الخيرُ يبقى وان طالَ الزمانُ بهُ والشرُّ أخبثُ مأوِعتَ من زاد

وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا عمر بن شبة حدثنا

محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا سفيان بن سعيد عن عبد الملك بن عمير

قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يحدث بمحدث عن أبي هريرة قال قال رسول

الله ﷺ أصدق كلمة قالتها العرب :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ

وكل أناسٍ سوفَ تدخلُ بينهم دويبةٌ تصفرُّ منها إلا ناملٌ

وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا أبو زيد حدثنا

إبراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب أن

عثمان بن مظعون كان في جوار الوليد بن المغيرة وكان لا يؤذى كما يؤذى أصحابه

يعني من المسلمين فسأل الوليد أن ينزل من جواره فيرى منه فلما جلس مع القوم

ولبيد ينشدهم : ألا كل شيء ما خلا الله باطل . فقال عثمان صدقت ثم أنشد

لبيد رأس البيت : وكل نعيم لا محالة زائل . فقال عثمان كذبت فأسكت القوم

ولم يدروا ما أراد ثم أعاد ثانية فصدقه عثمان وكذبه لأن نعيم الآخرة لا يزول فقال

لبيد ما هكذا كانت مجالسكم فتزا رجل من قريش فلطم عين عثمان فأحضرت فقال

(١) هو صلاة بن عمرو الأودي أحد فحول شعراء الجاهلية وحكائها

وساداتها وفرسانها . (٢) وفي رواية « لقيت » .

له الوليد كنت في ذمة منيعة فخرجت منها وكنت عن الذي لقيت غيتك غنيا
 فقال بل كنت الى الذي لقيت فقيراً وعيني التي لم تلبط الى مثل ما لقيت صاحبها
 فقيرة فقال ان شئت أجزتك ثانية فقال لأربلى في جوارك ، وأول هذه القصيدة :
 ألا تسألان المرء ماذا يُحاولُ انحبُ فيقضى أم ضلالٌ وباطلُ
 حباثُهُ مبثوثةٌ بسبيله ويغنى إذا ما أخطأته الحباثُ
 إذا المرءُ أسرى ليلةً ظنَّ أنه قضى عملاً والمرءُ ما طاشَ عاملُ
 وأجود من هذا سبكاً ورصفاً قول الصلتان :

نُرُوحٌ وَتَعْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَنْقُضِي
 وأخبرنا أبو أحمد عن رحالة قال قيل لرجل سماه أنشدنا أصدق بيت قاله
 العرب قال الناس يقولون : كل امرئ في شأنه ساعي : وأنا أقول :
 كأن مُقَلًّا حين يغدو لحاجةٍ الى كلٍّ من يلقى من الناس مذنبُ
 وأصدق بيت قاله محدث قول البحترى :

نصليكَ في الأُكرومِتينِ قائِماً يسودُ الفتي من حيثُ يسخو ويشجعُ
 زرعْتُ رجاءً في ذراكِ مُبَكِّراً وجلُّ حصادِ المرءِ من حيثُ يزرعُ
 أجود ما قيل في القناعة قول الشاعر :

إذا سُدَّ بابٌ عنكَ من دونِ حاجةٍ فدعها لأخرى لينَّ لك بأُيها
 وإن قرابَ البطنِ يُغنيكَ ملؤه ويكفيكَ سواَتِ الأمورِ اجتنابها
 أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :

إذا ماشئت أن تعرفَ يوماً كذبَ الشهوة
 فكل ماشئت يغنيكَ عن العذبةِ والحلوة
 وطأمن شئت يغنيكَ عن الخناء في النروهِ
 فكم أنساك ما نهوا هُئيلُ الشيءِ لم نهوه

وقال ابن هرمة :

إذا مطيعٌ يوماً غزاني غزوةً. كتائب ناس كرها واطرادها
أمصّ ثمادى والمياه كثيرة أعالج منها حضرها واكتدادها
وأرضى بها من بحر آخر أنه هو الرأى أن ترضى النفوس ثمادها
وأبرع بيت قيل من قديم الشعر قول أبي ذؤيب :

والنفس رغبةٌ إذا رغبته وإذا تردُّ إلى قليلٍ تقنع
وقد أحسن أبو العتاهية في قوله :

أنت محتاجٌ فقيرٌ أبداً دون ما ترضى بأدنى مالديك
وذمّ بعضهم القناعة فقال هي خلق البهيمة ، معناه أنها إذا وجدت أكلت
وان لم تجد باتت على الخسف ليس لها محالة دون الانطواء على الجوع ولا نكير
دون الاقرار بالهزل كما قيل :

ولا يقيم على ضيمٍ يُرادُ به إلا الأذلّان غير الحى والوتدُ
هذا على الخسفِ مربوطٌ برمته وذا يُشجُّ فلا يرثى له أحدُ

وإلى هذا المذهب ذهب على بن محمد في قوله :

إذا اللئيمُ مطّاً حاجبيه وذادَ عن حرّيمٍ درهميه
فترك عنانَ البخل في يديه وقم إلى السيف ^(١) وشفريته
واستنزل الرزقَ بمضريه إن قعدَ الدهرُ قمم إليه
وقلت : سأستعطفُ الأيامَ حتى تردّنى إلى جانب منها يلينُ ويسهل ^(٢)
وأقنعُ لا أن القناعة لي هوى ولكنَّ صونَ العرض بالحر أجمل
وقال ديك الجن :

لا تنقم للزمانِ في منزلِ الضيمِ ولا ترتبطك رقةٌ حالٍ
وإذا خفتَ أن يراهنك المدُّمُ فعذِّ بالثقات العوالى
وأهن نفسك الكريمةَ للموتِ وقم بها على الأهوال

(١) في الأصل « وقم بالسيف » . (٢) في الأصل « تلين وتسهل » .

فلعمري للموت أجمل بالحر من العيش ضارعا للرجال
 أى ماء يجول في وجهك الحر إذا ما امتنته بالسؤال
 ثم لا سيما وقد عصف الدهر بأهل الندى وأهل النوال
 قليل من الورى من تراه يُرتجى أن يهـ سون عرضا بمال
 وفي المعنى الأول ما أنشدنا أبو أحمد رحمه الله تعالى، أنشدنا أبو بكر بن
 دريد أنشدني أحمد بن المثلث^(١) لأخيه عبد الصمد^(٢) :

رأت عذمي فاستراحت رحلي سبيلك إن نهـ واهـ سبيلي
 يرجى اليسار لها بالقول لعل المنية قبل القول
 لعمري التي وعدتك الثراء بجذوى الصديق وبر الخليل
 لقد قذفت بك صعب الرام واستجملت لك غير الجميل
 ساقى العفاف وأغنى السكفـ فليس غنى النفس جود الجزيل
 ولا أتصدى لشكر الجواد ولا استعد لدم البخيل
 وأعلم أن بنات الرجاء تحل العزيز محل الذليل
 وأن ليس مستغنيا بالكثير من ليس مستغنيا بالقليل
 قال أبو أحمد لو كان شعر عبد الصمد كله هكذا لرأيتني الشعر. وقال البهـ سير :

قلت لأهلى وراموا أن أميرهم بماء وجهى فلم أفل ولم أكره
 لا تجمعوا ان تهينوني وأكرمكم ولا تمدوا الى نيل اللثام يدي،
 تبلغوا وادفعوا الحاجات ما اندفعت ولا يكن همكم في يومكم لغد
 قرب ملتصق مالم ين يدركه ومدرك ما تمنى غير مجتمعه
 أبلغ ما قيل في مساعدة الرجل أخاه وأجوده قول دريد بن الصمة وقد أغ نار
 هو وأخوه عبد الله على نعم لقيس فاستاقروها فلما كانوا ببعض الطريق نزل عبد الله
 ليريح ويستريح ويقسم المال بين أصحابه قهـ دريد فينما هما كذلك رأوا غيرة

(١) في الأصل «ابن المعتزل». (٢) من شعراء العصر العباسي نشأ في البصرة.

فقالوا لرفيهم . ماترى قال خيلاً كالعقبان عليها فوارس كالصبيان فقال فزاره ولا
بأس ثم رأوا غيرة أخرى فقالوا له ماترى قال خيلاً كأن قوائمها تنقلع من صخر قال
تلك عبس والموت فلما خالطوهم قتل عبد الله فقال دريد :

أمرتهمُ أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد
فلما عصوني كنتُ منهم وقد أرى غوايتهم أنى ^(١) بهم غير مهتدى
وما أنا إلا من غزية إن غوت غويتُ وإن ترشُد غزيةُ أرشد
وأسر دريد ثم نجى فغزاهم من قابل فقتل قاتل أخيه . ووجه المبالغة فى هذا
الكلام أنه أخبر بموافقة أخيه على علمه بأنها غى وترك مخالفته مع معرفته أنها رشد
كراهة الخروج من هواه وترك مطابقتها على رضاه . وقريب منه قول عمر بن أبى
ربيعة وروى غيره :

وذى ودٍ أملتُ إليه نصحاً وكان لنا أشيرُ به جميعاً
أطافَ بغيه ونهيتُ عنها وقلتُ تجنبِ الامرَ الفظيماً
أردتُ رشادَهُ جَهدي فلما عصى وأبى ركبناها جميعاً
وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى عن الحسن بن محمد المهرى عن التوزى :
تنخلتُ آرائى وسقتُ نصيحتى إلى غير طلقٍ للنصيح ولا هشٍ
فلما أبى نصحى سلكتُ سبيله وأوسعته من زور قول ومن غشٍ
وقال آخر :

ألم تعلم يا ابنى رجا جةً أنى أغشُ إذا ما النصحُ لم يُقبل
ومن جيد ما قيل فى النصيحة قول مخيس بن أوطاة :
عرضتُ نصيحةً منى ليحيى فقال غششتنى والنصحُ مرُّ
ومابى أن أكونَ أعيبَ يحيى ويحيى طاهرُ الاخلاق برُّ
ولكن قد أتانى أن يحيى يُقالُ عليه فى نقاء شرِّ

(١) فى النسخ « أو أنى غير » .

فقلت له تجنب كل شيء يُقال عليك إن الحر حرٌ
ومثل ما تقدم قول الشاعر أنشدناه أبو أحمد عن جماعة :
إن أخا الصدق الذي إن يخذلك ومن يضر نفسه لينفك
ومن إذا صرف زمان صدك شئت شمل نفسه ليجمعك
وإن غدوت ظالماً غدا معك

فسروه بكفك عن الظلم ، وليس كذلك لأن معنى الأبيات لا يقتضيه وإنما
أراد أنه يعاونك على الظلم على حسب ما قال عمر بن أبي ربيعة « ركبناها جميعا »
وقال ابن ميادة في النصيحة :

نصحتك يارباح بأمر حزم فقلت هشبة من أهل نجد
نهيتك عن رجال من قرش على محبوبكة الأصلاب جرد
ووجداً ما وجدت على رباح وما أغنيت شيئاً غير وجدى
وقال العباس بن جرير :

إرعَ الأخاءَ أبا محمد الذي يصفو وصنه
وإذا رأيت منافساً في نيل مكرمة فكنه
إن الصديق هو الذي يراك حين تغيب عنه
وإذا كشفت غطاءه أهدت ما كشفت عنه
مثل الحسام إذا اتضا هـ أخو الحفيظة لم يخنه
يسعى لما تسعي له كرماء وإن لم تستعنه
ومن أبلغ ما قيل في ارضاء الرجل عن أخيه قول الراجز :

لم أقض من صحبة زيد أربى فتي إذا نهته لم يغضب
أبيض بسام وإن لم يعجب ولا يرض بالمتاع المحب
موكل النفس بحفظ الغيب أقصى رفيقين له كالأقرب

وهذا خلاف ما قيل * من غاب غاب نصيبه * وقلت في قريب منه :

بذلتُ من شكرى مالم يبذل لماجد أجملَ إذ لم أجمل
يحمل من ثقلِ مالم يحمل فعزَّ في عيني حين ذلَّ لى
إن جمالَ الحرِّ في التجمل وقد يكونُ العزُّ في التذل
والمجد شهد يجتنى من حنظل

ومن قديم ما جاء في هذا النحو قول أوس :
وليس أخوك الدائم العهد بالذى يلوئمك إن ولى ويرضيك مُقبلا
ولكنه النائي إذا كنت آمنا وصاحبك الأدنى إذا امرُ أعضلا
أبلغ ما قيل في النائي وأجوده وأشدّه اختصارا ما أنشدناه أبو أحمد للمرار الفعسى :
تقطع بالنزول الأرض عنا وبعد الأرض يقطعه النزول
وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ « ألا إن هذا الدينَ متينٌ فأوغل فيه
يرفق فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » وتقول العرب شر السير
الحققة ، وهى شدة السير . وقلت في نحو قول المرار :

وحطَّ بها كوار خوص لواغب يقلُّ إكثار الذميل ذميلها
نفض عبء حلَّ الفراق عقالها وأقلق هجران الحبيب مقيلها
فلا غرو إن فاضت دموع متيم على الدار يسقى ظهن طولها
ومن المشهور في الثاني قول القطامي :

قد يدركُ المتأني بعض حاجته وقد يكونُ مع المستعجل الزللُ
وقال غيره :

ومستعجل والمكث أدنى لرشده ولم يدر ما يلقاه حين يُبادرُ
وقيل لبعض العلماء لم لم يقل « كل حاجته » فيكون أبلغ قال ليس « كل » من كلام
الشعر ، وقد صدق ولو قال كل حاجته لكان متكلفا مردودا وكثيرا ما يقع « كل » في
الشعر قلق المكان كوقوعه في بيت ابن طباطبا :

فبالأئى دغى أظالى بقيمتى فقيمة كلِّ الناس ما يحسنونه

ولا أعرفُ أن «كلا» وقع في بيت أحسن منه في بيت أبي العتاهية :

أعلتُ عُتْبَةً أنى منها على أجل مطل

وشكوتُ ما ألقى إليها والمدامعُ تستهل

حتى إذا برمتُ بما أشكوكا بشكو الأذل

قالت فأى الناسِ نعرفُ ما تقولُ فقلتُ كل

ومن الذى يهوى فلا يزهى عليه ولا يذل

وقد أصاب القائل في صفة العقل :

وجدتُ العقلَ نوعين فطبعٌ ومسموعٌ

ولا ينفعُ مسموعٌ إذا لم يكُ مطبوعٌ

أجود ما قيل في الاختيار قول ابن المعدل أظنه :

إذا لم تقدحِ زنديك يوماً فما يدريك أيهما الوريُّ

وأول الأبيات :

رأنا أم عمرو فازدرتنا ونقضُ الحرب منظرُهُ زرىُّ

إذا لم تقدحِ زنديك يوماً فما يدريك أيهما الوريُّ

سلى بي تخبرى أنى طروب الى الإيسار أبلغُ بُخترىُّ

وانى حين يُختلفُ^(١) العوالى الى الأبطال أكيس قسورىُّ

كلنى للندى والبأسِ انى بكل بسالة وندى حرىُّ

ومثله قول الآخر :

زنى القومَ حتى تعرفى عندَ وزنهم إذا رُفِعَ الميزانُ كيفَ أميلُ

وقال النبي ﷺ (أخبر ثقله) معناه اختبر من شدت نجاد دون ما تظنه فيه

وتطلع على ما تكره منه فتبغضه ، وليس في جميع ما قيل في هذا المعنى أبلغ منه

ولا أوجز وقد شرحه ابن الزومي فقال :

(١) في الأصل «يختلف» .

دعني الى فضل معروفكم وجوه مناظرها معجبه
 فأخلقتم ما سمته وقل حميد على التجربه
 وكم لمة خلتها روضة فأنيتها دمنة معشبه
 ظلمتكم لا تطيب الفروع إلا وأعراقها طيبه
 وكنت حسبت فلما حسبت عني على الحساب مع الحسبه
 فهل تعذروني كعذركم بأن أصولكم المذنبه
 جزيت موازينكم بالسواء وعذرتي بعذر فلا معتبه

وقد قال الناس : الطمانينة قبل التجربة حق : والمثل السائر : لا تحمدن أمراً
 حتى تجربه . سمعت عم أبي يقول ما سمعنا في الشكر أوجز من قول يحيى بن خالد
 * الشكر كفو النعمة . ولا أطرف من قول البحتري . الشكر نسيم النعمة .
 وأنا أقول لم يسمع أجمع في الشكر من قول ابراهيم بن العباس : أخبرنا به أبو أحمد
 عن الصولي عن أحمد بن اسماعيل قال قال ابراهيم بن العباس : الشكر داعية المزيد
 وقيمة العارفة ورباط النعمة ولسان المعطفة . وأبلغ ما قيل في الشكر من الشعر
 قول يحيى بن زياد الحارثي أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :

حلفت برب العيس تهوى بركبها الى حرم ما عنه للركب معدل
 لما بلغ الانعام في الفضل غاية تفضل إلا غاية الشكر أفضل
 ولا بلغت أيدي النيلين بسطة من الطول إلا بسطة الشكر أطول
 ولا ثقلت في الوزن أعباء منه على المرء إلا منه الشكر أثقل
 فمن شكر المعروف يوماً فقد أتى أخا العرف من جنس^(١) المكافاة من عل
 وقال الآخر : فعلت خيراً كثيراً وأنت أكثر منه
 ونحن أكثر منه لشكرنا لك عنه

وأجود ما قيل في عظم النعمة وقصور الشكر من قديم الشعر قول طريح بن اسماعيل :

(١) في نسخة « حسن » مكان « جنس »

سَعَيْتُ ابْتِغَاءَ الشُّكْرِ فَمَا صَنَعْتَ لِي فَقَصَرْتَ مَغْلُوبًا وَإِنِّي لَشَاكِرٌ
 قَوْلُهُ وَإِنِّي لَشَاكِرٌ مَعَ قَوْلِهِ مَغْلُوبًا حَسَنَ الْمَوْقِعِ ، وَهُوَ مَا خُذَ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :
 فِرَاقٌ حَيِّبٌ لَمْ يَبْنِ وَهُوَ بَالُنُّ
 لِأَنَّكَ تَوَلَّيْتَنِي الْجَمِيلَ بِدَاهِيَةٍ
 فَأَرْجِعْ مَغْبُوطًا وَتَرْجِعْ بِالَّتِي
 وَقَوْلِ الْآخِرِ :

وَلَوْ أَنَّ لِي فِي كُلِّ مُنْبِتٍ شَعْرَةٌ
 لَسَأَلْتُ بِئِثَّ الشُّكْرِ فَبِكَ لَقَصَرَا
 وَقَوْلِ دَعْبِل :

هَجَرْتُكَ لَاعِنَ جَفْوَةٍ وَمَلَالَةٍ
 وَلَكِنِّي لَمَّا أَتَيْتُكَ رَاغِبًا
 فَمَلَّانَ (١) لَا آتِيكَ إِلَّا مَعْذِرًا
 فَإِنْ زِدْتَ فِي بَرِّي تَزَايَدْتُ جَفْوَةً
 وَلَا لِقَى أَبْطَأْتُ عَنْكَ أَبَا بَكْرٍ
 فَأَفْرَطْتُ فِي بَرِّي عَجَزْتُ عَنِ الشُّكْرِ
 أَزُورُكَ فِي الشَّهْرَيْنِ يَوْمًا أَوِ الشَّهْرِ
 فَلَا نَلْتَقِي (٢) حَتَّى الْقِيَامَةِ وَالْحَشَرِ
 وَقَوْلِ أَبِي نَوَاس :

قَدْ قُلْتُ لِلْعَبَاسِ مُعْتَذِرًا
 أَنْتَ أَمْرٌ قُلْدَتْنِي نَعْمًا
 لَا تَسْدِينُ إِلَى عَارِفَةٍ
 حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا
 وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ آتَى بِهَذَا الْمَعْنَى إِلَّا أَنَّهُ عَبَّرَ عَنْهُ بِعِبَارَةٍ طَوِيلَةٍ ، وَأَحَدُ أَدَوَاءِ
 الْكَلَامِ فَضْلُ الْفَافِظَةِ عَلَى مَعَانِيهِ . وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

هَاتِيكَ أَخْلَاقُ إِبْرَاهِيمَ فِي تَعَبٍ
 أَدَابَتْ شُكْرِي فَأَمْسَى مِنْكَ فِي نَصَبٍ
 لَا أَقْبِلُ الدَّهْرَ نِيْلًا لَا يَقُومُ لَهُ
 لَمَّا سَأَلْتُكَ وَاقَفَنِي نَدَاكَ عَلَى
 مِنْ الْعِلَالِ وَالْعِلَالِ مِنْهُمْ فِي تَعَبٍ
 اقْصِرْ فَمَا لِي فِي جَدِّوَاكَ مِنْ أَرْبٍ
 شُكْرِي وَلَوْ كَانَ مَسْدِيهِ إِلَى أَبِي
 أَضْعَافَ شُكْرِي فَلَمْ أَظْفِرْ وَلَمْ أُخْبِ

(١) أَصْلُهُ « فَمِنْ الْآنَ » . (٢) فِي الْأَصْلِ « نَكْتَنِي » .

وقلت في معناه :

تقاصرَ عن نداهُ باعُ شكري قصورَ الزجِّ عن زلقِ اللسان
وآسى أن تطولَ يداي منه إلى ما لا يطاولُهُ لسانى
كان ندى يديه عناقُ بين فليس يسرُّنى إلا شجاني
لهجتُ بذكره لا بينَ عنه فضاقَ بوصفه ذرعُ البيان
حناني ثقله ولو أنَّ قوماً تلقى منكبي لما حناني
فها أنا منه مفتقرٌ وغاف وقلبي فيه منطلقٌ وطان

وقال البحترى :

إني هجرتك إذ هجرتك وحشةً لا العودُ يذهبها ولا الابداءُ
أخجلتني بندى يديك فسودت ما بيننا تلك اليدُ البيضاء
وقطعتني بالجودِ حتى أننى متخوفٌ أن لا يكون لقاء
صلةٌ غدت في الناسِ وهي قطيعةٌ عجباً وبرٌّ راحَ وهو جفاء
ليواصلنك ركبُ شرٍ سائر يرويه فيك لحسنه الأعداء
حتى يتم لك الثناء مخلداً أبداً كما تمت لك النعماء
فتظلُّ تحسدك الملوكُ الصيدي وتظل تحسدني بك الشعراء
وقد أحسن ثمامة فيما كتب إلى بعضهم : قد حيرنى سوء رأبك فيَّ فما أهتدى
لطلب الاعتذار وأنت مولى نعمة أنا عبد شكرها فلا تظمنى من حسن رأبك
فأضوى ولا تسقطنى عن حيطتك فأثوى . وقريب من المعنى الأول قول البحترى
مَنْ مُعِينِي مِنْكُمْ عَلَى ابْنِ قُرَاتٍ ومكافاةٍ ما أنالَ واسدَى
كلما قلتُ أطلقَ الشكرُ رقى رجعتنى له أياديه عبداً
سمعت عم أبى يقول ما سمعنا بالرضا بالقسمة والشكر أحسن من قول صالح بن
مسارة: ما أدري النعمة الله فيما بسط على أفضل أم نعمته فيما زوى عني فجعل ما منعه
نعمة والناس يجعلونه محنة ونقمة . وكتب بعضهم في المعنى الأول : أنا وإن كنت

ذافاة إلى طولك فليست لي طاقة بما حملتني من برك وما أجد لنفسي معقلا ولا أعرف لها متعلا إلا في الاقتداء بمن عجز عن شكر ما أولى فخير تقيصته بالاعتراف والتقصير واعتمد من شكره على تصريف المآذير . وكتب إلى بعض الأصدقاء وصل كتابك مقرونا بالتوقيع في معنى المعيشة فأعاد الأمل جديداً والجد سعيداً والهمة سامية تمسح وجه النجم وتقبل طارض الشمس وتمسك بعنان البدر فأذن بعمارة الجاه وتكفل برفع القدر وضمن أعملاء الأولياء وكبت الحساد وكب الأعداء إلى غير ذلك من أنس أورده وسرور جده ووحشة صرفها وكربة كشفها ، وفهمته وتأملت التوقيع فتصور لي الغناء بصورته وقابلي بصدق مخيلته وعرفت أن الدهر قد غضت جفونه ونامت عيونه وتنحت عن ساحتي خطوته وهذه نعم أعيا بذكرها فكيف أطعم في أداء شكرها بل عسى أن يكون الاعتراف بقصور الشكر عنها شكراً لها ومقابلة لما خلص إلى منها وأنا معترف بذلك اعتراف الروض بحقوق الأنواء إذا تحلى بيوافيت الأنوار ولا تلى الأنداء .

وجعل جعفر بن يحيى البرمكي الشكر باظهار حسن الحال أبلغ من الشكر بالقول . أخبرنا أبو أحمد أخبرنا المبرمان أخبرنا أبو جعفر بن القتيبي عن القتيبي قال أراد جعفر بن يحيى حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعي فدفع إلى خادم له كيساً فيه ألف دينار وقال اني سأنزل في رجعتي الى الاصمعي ثم سيحدثني ويضحكني فاذا ضحكك فضع الكيس بين يديه فلما رجع ودخل عليه فرأى حجاباً مكسور الرأس وجرة مكسورة العنق وقصعة مشعبة وجفنة اعشار وراه على مصلى بال وعليه بركان أجرد فغمز غلامه أن لا يضع الكيس بين يديه فلم يدع الأصمعي شيئاً مما يضحك الشكلاان والغضبان إلا أورده عليه فما تبسم ثم خرج فقال لرجل يسايره من استرعى الذئب ظم ومن زرع سبيخة حصد الفقر إني والله لما علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل ما حلفت بنشره له باللسان وأين يقع مديح اللسان من آثار العيان ان اللسان قد يكذب والحال لا يكذب والله در نصيب حيث يقول :

فعادوا فأتنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق
ثم قال أعلمت أن ناس أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان .
قد أتى جعفر في هذا الفصل من المعاني بما لم يأت به أحد قبله وشرحه شرحاً ليس
مثله لأحد سواه . وقالت الحكماء لسان الحال أصدق من لسان الشكوى .

وقد أجاد ابن الرومي في هذا المعنى فقال :

حال تبيح بما أوليت من حسن وكل ماتدعيه غير مردود
كل هجاء وقتلي لا يحمل لكم فما يداويكم مني سوى الجود
وقالوا : شهادات الأحوال أعدل من شهادات الرجال .
ومما جرى في باب الشكر وهو من أبدع ما قيل في معناه ما أنشدناه أبو أحمد قال
أنشدنا الصولي قال أنشدنا أحمد بن إسماعيل الخطيب لنفسه :

واني وإن أحسنت في القول مرة فمك ومن آتارك امتار هاجسي
تعلمت مما قلته وفعلته فأهديت غصناً من حناي اغارمي

: أخذه ابن طباطبا فقال في ابن رستم الاصبهاني :

لا تنكرن اهداءنا لك منطقاً منك استفدنا حسنه ونظامه
فالله جل وعز بشكر فعل من يتلو عليه وحيه وكلامه

وفي غير هذا المعنى يقول أبو تمام :

كم غارة لك في المسكارم ضخمة غادرت فيها ماملكت قبلا
فرايت أكثر ما بذلت من اللهى نزراً وأصغر ما شكرت جزيلاً

وقد أحسن ابن الرومي :

هاجرت عنك إلى الرجا ل فكان عرفهم كنكرك
ورجعت من كذب اليك مفرغاً نفسي لشكرك
ولما أروم بما تم ل زيادة في رفع ذكرك
لك حق أوفيه عوانك بعد برك

كم نعمة لك ملء فكبرى لا تلاحظها بفكرك
(أحسن ما قيل في الصبر) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن ابن الرياشي عن
أبيه عن الأصمعي قال قال أبو عمرو أحسن ما قيل في الصبر قول أبي خراش^(١):

تقول أراه بعد عروة لاها وذلك رزء لو علمت جليل
فلا تحسبي أني تناسيت عهد ولكن صبري بأميم جميل
وبعده : ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خيلاً صفاء مالك وعقيل

وقال الأصمعي أحسن ما قيل فيه مع الشرح قول أبي ذؤيب :
وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعض
حتي كآني للحوادث مروءة بصفا الشعر كل يوم تفرع
وقوله : وإني صبرت النفس بعد ابن عتبس وقد لج من ماء الشؤون لجوج
لأحسب جلدًا أو لينبأ شامت وللشر بعد القارعات فروج
وأجود ما قاله محدث فيه قول ابن الرومي أنشدناه أبو أحمد عن ابن المسيب
رواية ابن الرومي عن أبيه الرومي :

أرى الصبر محموداً وفيه مذاهب فكيف إذا ما لم يكن عنه مذهب
هناك يحق الصبر والصبر واجب وما كان منه كالضرورة أوجب
فشد أمرؤ بالصبر كفاً فانه له عصمة أسبابها لا تقضب
هو المهرب المنجي لمن أهدت به مكاره دهر ليس عنهن مهرب
لبوس جمال جنة من شماتة شفاء أسى يثنى به ويشوب
فيا عجباً للشئ هذى خلا له وتارك ما فيه من الخطأ أعجب
وقد يتظنى الناس أن أساهم وصبرهم فيه طباع مركب
وانهما ليسا كشئ مصرف بصرفه ذو نكبة حين ينكب
فإن شاء أن يأسى أطاع له الأسمى وإن شاء صبراً جاءه الصبر يجلب

(١) هو خويلد بن مرة الشاعر الفارس المشهور بالعدو ، أسلم وعاش الى زمن عمر .

وليس كما ظنوها بل كلاهما لكل لبيب مستطاع^١ مسبب
 يصرفه المختار منها فتارة يرادُ فينأى أو يزادُ فيذهب
 إذا احتج^٢ محتج^٣ على النفس لم ينكد على قدر ما يعنى له يتعجب
 وساعدها الصبر^٤ الجليل فأقبات إليها له طوعاً جنائب تحب
 وإن هو منهاها الأباطيل لم تزل تقاتل^٥ بالغيب القضاء فتغلب
 فتضحى جزوعاً أن أصابت مصيبة وتسمى هلوغاً إذ تعذر مطلب
 فلا يعذرون^٦ التارك الصبر نفسه بأن قيل إن الصبر لا يتكسب

ومن أجود ما قيل في ذم الحقد قول ابن الرومي :

الحقد داء^٧ دفين^٨ لا دواء له يرى الصدور إذا ما جرم^٩ حرثا
 فاستشف منه بصفح أو معاتبة قائما يرى المصدور ما نقشا
 واجعل طلابك بالآوتار ماء عظمت ولا تكن لصغير الأمر مكثرنا
 ثم قال يمدحه :

وخير^{١٠} سجايات الرجال سجية^{١١} توفيك ما تسدى من القرض والقرض
 وما الحقد إلا توأم^{١٢} الشكر في الفتى وبعض^{١٣} السجايا ينتسب إلى بعض
 فحيث ترى حقداً على ذي إساءة فثم ترى شكراً على حسن القرض
 ولولا الحقود^{١٤} المستكنات لم يكن لينقض وتراً آخر الدهر ذو نقض

وأول من مدح الحقد عبد الملك بن صالح في قوله : إن كنت تريد الحقد بقاء
 الخير والشر عندي أنهما الباقيان . وأجمع كلمة قيلت في الصبر قول بعضهم الصبر
 مظنة النصر . وقال الآخر : الصبر مطية لا تكبو وإن عنف عليه الزمان . وسمعت
 عم أبي يقول : الصبر شرية^(١) شرارية^(١) وقال * فرج أيام الكريهة بالصبر *
 وقال آخر : * وهل جزع^{١٥} يجدي على فأجزع * فجعل الصابر الصبر
 ضرورة لعلمه أن الجزع غير مجد . وقلت :

(١) الشرى : شجر الحنظل والأرى : العسل .

قالوا صبرت وما صبرت جلادةً لكن ثقل حيلتي أنصبر
 وليس في الحيوان شيء أصبر من الحمار والجل وذلك أنهما يحملان الحمل
 الثقيل على الدبر ويبلغان به الغاية البعيدة على الحفا حتى قالت العرب «أصبر من ذى
 ضاغط» وهو أن يضغط موضع الابط أصل السكر ككرة حتى يدميه . ويقولون :
 أصبر من عود بجنيبه جلب قد أثر البطان فيه والحقب
 قاله جلجلة بن قيس من أشيم فصار مثلاً ، وقال سعيد بن أبان بن عينة بن حصن :
 أصبر من ذى ضاغط مُعَرِّك ألقى يوانى صدره للمسبرك
 ويقولون أصبر من ضب لما هو فيه من القشف واليبس . وقالوا حيلة من
 لا حيلة له الصبر . وسمعت والدي يقول لعن الله الصبر فإن مضرت حاجلة ومنفعته
 آجلة وذلك أنك معجل بالصبر ألم القلب لتنال المنفعة في المأقبة ولعلها تفوتك
 لعارض يعرض وكنت قد تعجلت الضرر من غير أن تصل إلى نفع . فنظمته
 بعد ذلك وقلت :

الصبرُ عن تحبه صبرٌ ونفعٌ من لأم في الهوى ضرر
 من كان دون المراد مُصْطَبراً فلست دون المرادِ أصْطَبِر
 منفعة الصبر غيرُ حاجلة وربما حال دُونُها الغير
 فقم بنا نلتبس ما ربنا أقام أولم يقم بنا القدر
 ان لنا أنفساً تسودنا أعانهم ^(١) الزمان أو يندر
 وابغ من العيش ما تسرُّ به ان عذل الناس فيه أو عذروا
 وقال أبو هلال أجمع كلمات معناها في الحلم ما سمعت عم أبي يقول الحلیم
 ذليل عزيز وذلك أن صورة الحلیم صورة الذليل الذي لا انتصار له واحتمال السفه
 والتغافل عنه في ظاهر الحال ذل وان لم يكن به . وقيل الحلیم مطية الجهول لاحتمال
 جهله وتركه الاتصاف منه . وقال الأول :

(١) في الاصل «أعانهم من» ولعل «من» زائدة .

وليس يتم الحلم للمرء راضياً إذا كان عند السخط لا يتعلم
 كما لا يتم الجود للمرء موسراً إذا كان عند العسر لا يتكرم
 ولهذا قال شيخ من الأعراب وقد قيل له ما الحلم قال الذي يصبر عليه وقال الشاعر :
 لن يدرك المجد أقوامٌ وإن كرموا حتى يذلوا وإن عزّوا لأقوام
 ويشتموا فتري الألوان مُسفرةً لأصفح ذلٍّ ولكن صفح أحلام
 وصحته يقول الحلم عقاب الشر وذلك أن من سمع مكروهة فسكت عنها انقطع
 عنه أسبابها وإن أجاب اتصلت بأمثالها . وأنشدوا في هذا المعنى :

وتخرج نفس المرء عن وقع شتمه ويشتم ألفاً بعدها ثم يصبر
 ولا أعرف في الحلم معنى أحسن من معنى معاوية في قوله أنى لأرفع نفسي أن
 يكون ذنبٌ أورثه من حلمي وما غضبي على من أملك أو ما غضبي على من لأملك .
 يريد أنى إذا كنت مالكا للمذنب فأنى قادر على الانتقام منه فلم ألزم نفسي
 الغضب وإن لم أكن أملكه فليس يضره غضبي فلم أغضب عليه فأضر نفسي
 ولا أضره . وقال الشاعر في الحلم والاعضاء عن المكروه مع القدرة على التغيير :
 مغمض على الموراء لو لا الحلم غيره انتصاره

وأسمع بعضهم الشعبي فقال له إن كنت صادقاً فغفر الله لي وإن كنت كاذباً
 فغفر الله لك . وهذا أعجب ما جاء في هذا الباب وأحسنه . وأجود شيء قيل في الحلم
 من الشعر ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا ابن حريذ أخبرنا أبو عثمان عن الأخفش
 قال نال رجل من الخليل بن أحمد وأسمعه فقال الخليل :

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب وإن كثرت منه على الجرائم
 وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقام
 فأما الذي فوق فأعرف فضله وأتبع فيه الحق والحق لازم
 وأما الذي مثل فأت زل أو هنا تفضلت إن الفضل بالعز حاكم
 وأما الذي دوني فإن قال صنت عن إجابته عرضي وإن لأم لأثم

قسم هذا الشاعر ثم فسر فأحسن ولم يدع مزيداً . ومن عجيب ما روي في
الحلم ما أخبرنا به أبو أحمد عن رجاله قال جى . قيس بن عاصم بابن له قتيلاً وابن
أخ له كتيفاً وقيل له هذا قتل ابنك فلم يقطع حديثه ولا نقض حيوته فلما فرغ من
حديثه التفت الى بعض بنيه فقال قم الى ابن عمك فاطلقه والى أخيك فادفنه والى أم
القتيل فاعطها مائة ناقة فانها غريبة لعلها أن تسلو عنه ثم اتكأ على شقه الأيسر وقال :

إني امرؤ لا يعتري خلقي دَسٌّ يغيرُهُ ولا أفنُّ

من منقر في بيت مكرمة والفرع يثبت فوقه الفصن

خطباء حين يقول قائلهم ييضُ الوجوه مصاقع لسن

لا يفتنون لعيب جارهم وهم لحفظ جوارهم فطن

ويوصف الحلم بالرزانة وأجود ما قيل في ذلك قول مروان بن أبي حفصة ^(١) :

ثلاثٌ بأمثال الجبال حياهم وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل

وقد ذكرناه . والعرب تسمى العلم حلمًا قال المتلمس :

لدى الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا وما علم الانسان إلا لعلها

ومن أشرف نعوت الانسان أن يدعى حليماً لأنه لا يدماه حتى يكون عاقلاً

وما لمّا ومضطرباً محتسباً وعفوّاً وصالحاً ومحتملاً وكافماً ، وهذه شرائف الاخلاق

وكرائم السجاياء والخصال . وقد خولف هؤلاء فقبل في خلاف مذهبهم هذا أنشد المبرد :

أباحسن ما أقبح الجهل بالفتى وللحلم أحياناً من الجهل أقبح

إذا كان حلم المرء عون عدوه عليه فإن الجهل أعنى وأروح

وقال غيره :

قليل الأذى إلا عن القرن في الوغى كثير الأذى واسع النزع بالفضل

ويحلم ما لم يجلب الحلم ذلةً ويجهل ما شئت قوى الحلم بالجهل

وقال غيره :

ترفعتُ عن شتم العشرة انتي رأيتُ أبي قد كفَّ عن شتمهم قبلي
 حلِيمٌ إذا ما الحِلْمُ كان جلالَةً وأجهلُ أحياناً إذا التمسوا جهلي
 وقال غيره : * إذا الحِلْمُ لم ينفك فالجهلُ أحزم * وقالوا ليس شيء خيراً من
 الحق إلا العفو وذلك أن عقاب المستحق للعقاب حق والعفو خير منه ، ومن أحسن
 ما جاء فيه قول بعضهم : لو أن المسيء لي عبد لأخ لي رأيت تغدده والصفح عنه
 إجلالاً لقد ر مولاه واعظاً ما لحق صاحبه فأنا بالصفح عن عبد الله أولى .
 وفي ذم العفو قول عميرة بن عقيل :

وما ينفكُ من سعدِ إلينا قطوعُ الرحمِ بادية^(١) الأديم
 ونفرتها كأن لم يفعلوها وطولُ العفو أدرب^(٢) للظلوم

أجود ما قيل في المشهورة قول بشار أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا
 الفلاحي حدثنا محمد بن عبد الرحمن التميمي قال دخل بشار على إبراهيم بن عبد الله
 ابن الحسن بن الحسين فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير برأى يستعمله في
 أمره فلما قتل إبراهيم خاف بشار قلب الكنية وأظهر أنه قالها في أبي مسلم ، أولها :

أبا جعفرٍ مأكلاً عيشٍ بدائم وما سالمٌ عما قليلٍ بسالم
 على الملك الجبارٍ يقتحمُ الردى وبصرُعه في المأزقِ المتلاحم
 كأنك لم تسمع بقتل متوجٍ عظيمٍ ولم تعلم بهلك الأتاجم
 تقسم كسرى رهطه بسيوفهم وأمسى أبو العباسِ أحلام نائم
 وقد ترد الأيام عزاً وربما وردن كلوماً باديات الكشائم
 ومروان قد دارت على نفسه الردى لا جرامه لابل قليل الجرائم
 وأصبحت تجري سادراً في طريقهم ولا تتقى أشباه تلك الققائم
 تجردت للإسلام تعفو رسومه وتعرى مطايا لليوث الضراغم
 فما زلت حتى استنصر الدين أهله عليك فعاذوا بالسيوفِ الصوارم

(١) في النسخ غير منقوطة . (٢) لعله (آدب) .

لحي الله قوماً رأسوك عليهم ومازالت مرؤساً خيثَ المطاعم
 أقول لبسام عليه جلالة غداً أريحياً عاشقاً للكارم
 من الفاطميين الدعاة إلى الهدى جهاراً ومن يهديك مثل ابن فاطم
 سراج لعين المستضيء وتارة يكون ظلاماً للعدو المراحم
 إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأى نصيح أو نصيحة حازم
 ولا تجعل الشورى عليك غصاصة فان الخواني قوة للقوادم
 وما خير كيف أمسك الفل اختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم
 واخل الهوينى للضعيف ولا تسكن تؤوماً فان الحزم ليس بناثم
 وحارب إذا لم تعط إلا ظلامة شبا الحرب خير من قبول المظالم
 هذا ما أورده أبو هلال العسكري وفي بعض الكتب زيادة في هذه القصيدة وهي :
 فأذن على الشورى المقرب نفسه ولا تشهد الشورى امرأ غيرك أتم
 فانك لا تستطردهم بالني ولا تباغ العلياً بغير المسكارم
 وما قارع الأقوام مثل مشيع أريب ولا جلي العمى مثل عالم
 وما خير كف - البيت . قال أبو بكر فحدثني الجمع قال سمعت المازني
 يقول سمعت أبا عبيدة يقول ميمية بشار هذه أحب إلى من ميميتي جرير والفرزدق .
 وقيل لبشار ما أحسن أبيانك في المشورة فقال المستشار بين صواب يفوز بشيرته
 أو خطأ يشارك في مكروهه فليل له هذا والله أحسن من شرك . ومن الأفراد
 التي لاشييه لها قول عبد الملك بن صالح في ذم المشورة : ما استشرت أحداً إلا تكبر
 على وتصاغررت له ودخلتني الذلة فعليك بالاستبداد فان صاحبه جليل في العيون
 مهيب في الصدور فاذا افتقرت إلى العقول حقرتك العيون فتضعضم شأنك ورجفت
 بك أركانك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وما عز سلطان لم يغنه
 عقله عن عقول وزرائه وآراء نصحاؤه . فدم المشورة ككاري وهي ممدوحة بكل لسان .
 وقال رومي لفارسي نحن لائملك من يشاور فقال الفارسي نحن لائملك من

لا يشاور ، وقد أجمع الناس ان الفرس أعقل من الروم .
ومن أوجز ما قيل في الطمع قول بعضهم إذا طمعت مللت . ويقولون
الطمع طبع ، والطبع الدنس وأنشد :

لاخير في طمع يدعو إلى طمع وغنة من قوام الغيش تكفيني
والغنة القوت وأصلها الفأرة ^(١) وجميت بذلك لأنها قوت للسنور . وأنا
أقول إن أول الطمع ذلة وأوسطه شقوة وآخره حسرة . وقال ثابت قطنة ^(٢) :

ألا ثمتي عميرة أن رأني عزفت النفس عما لم ينالا
أحزم كلمة بمعناها عن العرب قولهم « إن ترد الماء بماء أكيس » معناه ينبغي
أن تحتفظ بما عندك حتى تصل إلى غيره ولا تلقى ما في يدك رجاء لما هو
أكثر منه فملك لاتناله لحادث يحدث . ومثل ذلك قولهم « لا يرسل الساق إلا
ممسكاً ساقاً » أي لا يترك مفتتداً إلا إذا وجد مثله . وأصله في الحرباء لا يترك
ساق شجرة حتى يمسك بساق أخرى ، قال الشاعر :

أنني أتبع لها حرباء تنضبة ^(٣) لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقاً

أجود ما قيل في الحياء قول الخنساء :

ومخرق عنه القميص تخالته بين البيوت من الحياء سقيا

حتى إذا رفع اللواء رايته تحت اللواء على الخيس زعيا

أخذه بعضهم وأحسن :

يشبهون سيوفاً في صرامتهم وطول أنضبة الأعناق والقمم

إذا غدا المسك يجري في مفارقهم راحوا كأنهم مرضى من الكرم

(١) في الأصل تصحيف في بعض الكلمات ، والتصحيح من القاموس .

(٢) كان قائداً شجاعاً ، شهد وقائع خرايبان سنة ١٠٢ هـ وأصيب عينه فجعل

عليها قطنة فعرف بها . وفي الأصل (ثابت بن قطنه) .

(٣) في أمثال الميداني « يلت يا شوس من حرباء تنضبة » .

وقال غيره :

كريمٌ يغضُّ الطرفَ فضلُ حياته . ويدنو وأطرافُ الرِّيحِ دوان
وكأسيف إن لا ينتهُ لأن مسه . وَدَّاهُ إن خاشنته خشنان

وقال أبو دهبيل :

تَزُرُّ الكلامَ من الحياءِ تخالهُ صمتاً وليس بجسمه مقيم
عقمَ النساءُ فلا يلدن شبيههُ إن النساءَ بمثله عقم
غيره : انى كأتى أرى من لاهياء له . ولا أمانةً بين الناسِ عريانا

أجود ما قيل في تفضيل الجد على العقل والخبار بأن الحظ والعقل لا يجتمعان قول الاول :

ومالبُ اللبيب بغير حظ بأغنى في المعيشة من قليل
رأيتُ الحظَّ يسترُ عيبَ قومٍ وهياتَ الحظوظُ من العقول
والعرب تقول «اسع بجَدِّ أودع» .

أجود ما قيل في التنزه والتصون وترك السؤال قول بعضهم : السخاء أن
تكون بمالك متبرعاً وعن مال غيرك متورعاً . فجعل اليأس مما في أيدي الناس
سخاءً لأن النفس إذا سخت وصمحت لم تتطلع إلى مال الغير كما انها اذا ضاقت
وحرصت تاقت الى ما ليس لها ، وهو معنى حسن دقيق أخذه ابن أبي حازم فقال :

ومنتظر سؤالك بالعطايا وأفضل من عطاياك السؤال
إذا لم يأتك المعروف طوعاً فدعه فالتنزه عنه مالٌ

وما أحسب انى سمعت في هذا المعنى أحسن من هذا وقلت :

ألا إن القناعة خيرُ مالٍ لدى كريم يروحُ بغيرِ مالٍ
وان تصبر فان الصبر أولى بمن عثرت به نوب الليالى
تجمل إن بليت بسوءِ حالٍ فان من التجميل حسن حالٍ

أجود ما قيل في مضياء العزم وثبوت الرأى والفتنة من الشعر القديم قول

أوس بن حجر :

الألمى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا
وقالت الحكماء لا ينتفع الرجل بعلمه حتى ينتفع بظنه . وكان عمر رضى الله
عنه يقول إذا أنا لم أعلم ما لم أرماعلمت ما رأيت . وقلت :

أما نك مصروف^١ إلى كل راهب وسبيك موقوف^٢ على كل راغب
تباشرت الدنيا بجذواك واكتفت فلم تتباشر بالغيوث الصوائب
تبسم منك الدهر عن زائن^(١) له وعين عليه فى اختلاف النوائب
بصير^٣ له دون العواقب فكرة تكشف عن رأى وراء العواقب
ليشركك مجد^٤ لا تزال نحوطة وتحميه بالنصلين عزم وقاضب
كأنى إذا أمسكت منك بعروة أخذت باهداب الغيوم السواكب
وليس فى المضاء والعزيمة أجود من قول أى تمام :

وركب كأطراف الاسنة عرسوا على مثلها والليل تسطو غياهبه
لأمر عليهم ان تتم صدوره وليس عليهم أت تتم عواقبه
مأخوذ من قول الأول :

غلام وغى تقحمها فأودى وخان بلاد^٥ الزمن الخثون
وكان على الفتى الاقدام فيها وليس عايه ماجنت المنون
وقوله : وقد علم الافشين وهو الذى به يُصان رداء الملك من كل جانب
بأنك لما استبخل الأمر^(٢) واكتسى اهأبى سيفى فى وجوه التجارب
تجلت^٦ بالراى حتى أريته به ملء عينيه مكان العواقب
سللت له سيفين رأيا ومنصلا وكل لنجم فى الدجسة ثاقب
وكنست متى تهزز لخطب تغشه^(٣) ضرائب أمضى من رفاق المضارب
وقال : وسارت به بين القنابل والقنا عزائم كانت كالقنا والقنابل

(١) فى هامش النسخة (راقب له) اشارة لنسخة فيها كذلك .

(٢) فى الديوان (النصر) . (٣) فى الاصل (لحظ تعيشه) .

ومن جيد ما قيل في كتمان السر قول الأول :

تلاقت حيازي^(١) على قلب حازم كتوم لما ضمت عليه أصابعه
أواخي رجالاً لست أطلع^(٢) بعضهم^(٢) على سر^(٣) بعضي إن قلبي واسعه^(٣)
وقال الآخر: سأ كتمه سرى وأحفظ سره ولا غرنى أنى عليه كريم
عليم فينسى أوجهول يذيعه وما الناس إلا جاهل وعلیم
والمثل السائر :

إذا ضاق صدر المرء عن سر^(٤) نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيق^(٤)
أحسن ما قيل في العقل ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد :
وأفضل^(٥) قسم الله للمرء عقله فليس من الخيرات شيء يقاربه
إذا كمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه وضرائبه
يمش^(٥) الفتى بالعقل في الناس انه على العقل يجري علمه وتجاربه
ومن كان غلاباً بعقل ونجدة فذو الجدد في عقل المعيشة غالبه
يزين الفتى في الناس محبة عقله وإن كان محظوراً عليه مكاسبه
ويزري^(٥) الفتى في الناس قلة عقله وإن كرمتم أعراقه ومناسبه
ونحوه قول الآخر :

ولم أر مثلاً الفقر أوضع للفتى ولم أر مثلاً المال أرفع للنذل
ولم أر من عدم أضرب^(٥) على الفتى إذا عاش بين الناس منعدم^(٥) العقل
وقال سهل بن هرون : العقل راية الروح والعلم راية العقل والبيان ترجمان العلم.
أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أحمد بن عبد الواحد أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي
قال قال قيس بن ساعدة أفضل العقل معرفة الرجل بنفسه^(٦) وأفضل العلم وقوف

(١) في الأصل (حياذمي) . (٢) في النسخ (بينهم) .

(٣) في النسخ (ذاسعة) . (٤) سقط « القتي » من النسخ .

(٥) في الأصل (من عدم) . (٦) في نسخة (نفسه) .

المرء عند علمه وأفضل المروءة استبقاء الرجل ماء وجهه وأفضل المال ما قضيت منه الحقوق . ومن المعجب أن العرب تمثلت في جميع الخصال بأقوام جعلوهم أعلى ما فيها فضربوا بها المثل إذا أرادوا المبالغة فقالوا أحلم من الأحنف ومن قيس بن عاصم وأجود من حاتم ومن كعب بن أمية وأشجع من بسطام وأبين من سحبان وأرعى من ابن تقن وأعلم من دغفل ، ولم يقولوا أعقل من فلان فلعلهم لم يستكملوا عقل أحد على حسب ما قال الأعرابي وقد قيل له حد لنا العقل فقال كيف أحده ولم أره كاملاً في أحد قط .

ووصف بعضهم الحجاج بالعقل وعكس أمره آخر فوصفه بالحق قال عتبة بن عبد الرحمن رأيت عقول الناس تتقارب إلا ما كان من عقل الحجاج بن يوسف وإياس بن معاوية ، ثم قال أبو الصنفدي كان الحجاج أحق بنى مدينته في بادية النبط ثم حمام دخولها فلما رحل عنها دخلوها من قرب . وقال يونس بن حبيب كان والله يفتق ولا يرتق . ويخرق ولا يرفق ، وقال بعضهم ما دخل العراق أكثر أدباً من الحجاج فلما طال مكثه في ولايته واشتد في سلطانه وترك الناس الرد عليه فسد أدبه ، وقال له عبد الملك إن الرجل لا يكون عاقلاً حتى يعرف نفسه وأمير المؤمنين يقسم عليك لتخبره عن نفسك فقال أنا حديد حقود ذو قسوة خسود ، فانتحل الشر بحدافيره وجمعه بزوبره . ومن المعجب أنهم قالوا من عرف نفسه نجا وقد عرف الحجاج نفسه وهو هالك . وقالوا العاقل لا يخبر بعيب نفسه وقال بعضهم لا يعرف الرجل حقيقة ما اشتمل عليه من العيب كما أن آكل الثوم لا يجد رائحته من نفسه وقلت في ذلك :

لو تمَّ شيءٌ من الدنيا لذي أدب لا نضاف مال إلى علمي وآدائي
قمَّ جاهي عند الناس كلهم وطاب عيشي في أهلي وأصحابي
عز الكمال فلا يحظى به أحدٌ فكلُّ خلقٍ وإن لم يدرك ذوطاب

وقال اسماعيل بن غزوان كل علم لا يكون في مغرس عقل وبيان لا يكون في نصاب علم وخلق لا يجري على عرقه فليس له ثبات إذا احتيج إلى الثبات وقال أبو داود :

على أعراقه يجرى المذكي وليس على تكلفه وجهه
وقال بعض الملوك لحاجبه : أدخل عليّ رجلاً طاقلاً فأدخل عليه رجلاً قال
بم عرفت عقله قال رأيته يلبس الكتان في الصيف والقطن في الشتاء واللبس^(١)
في الحر والجديد في القبر . وما قيل في علامة العاقل أعجب إلى من قول الأول :
علامة العاقل أن يكون طامساً بأهل زمانه حافظاً للسانته مقبلاً على شأنه . وقال
بعضهم إنما تنفع التجارب من كان طاقلاً . ومما يدخل في الباب ما أخبرنا أبو أحمد
عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن عمه قال لم يقل أحد في التفرح بالمنادمة إلى
الاخوان والتسلي بمنامة أهل الحفاظ بمثل قول بشار حيث يقول :

وأثبتُ عمراً بعضَ ما في جوانحي وجرعتهُ من مرٍّ ما أتجرعُ
ولا بدُّ من شكوي إلى ذي حفيظة إذا جعلت أسرار نفسي تطلع
ومن أجود ما قيل في ترك الشيء إذا أدبر قول بعض الأعراب :
إذا ضيعت أولَ كل أمر أبت اعجازهُ إلا التواء
وإن حملت أمرك كلَّ وغد^(٢) ضعيف كان أمرُكاً سواء
وإن داويتَ دنيا بالتنامي وبالليان أخطأت الدواء
وقال الأعشى :

إذا حاجةٌ ولتكَ لا تستطيعها فخذطرقاً من غيرها حين تسبقُ
فذلك أحرى أن تنالَ جسيمها وللقصد أهدى في المسير وألحقُ
ومن أجود ما قيل في المهابة من قديم الشعر ما ينسب إلى الفرزدق وهو غيره
في علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما :

ينضي حياءً وينضي من مهابته فما يكلمُ إلا حينَ يبتسمُ
جعله مهيباً في السكون والاغضاء ولو جعله مهيباً مع الصولة والبطش لما كان

(١) في النسخ غير منقوطة، واللبس: الثوب قد أكل لبسه فأخلق كافي القاموس .

(٢) في الأصل « رغد » .

كذلك فهو بليغ جداً . وأنشدنا أبو أحمد عن بعض رجاله لشاعر في بعض العلماء
هو الامام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى :

يأبى الجوابَ فما يراجعُ هِيَةً والسائلونَ نواكسُ الاذقان
هدى التقى وعزُّ سلطانِ النهى وهو المهيَّبُ وليس ذا سلطان
ومن أحسن تشبيهه جاء في الهية قولهم (كأن على رؤوسهم الطير) وذلك أن الهائب
تسكن جوارحه فكأن على رأسه طائراً يخاف طيرانه إن تحرك وقال أبو نواس :
أضمرُ في القلبِ عتاباً له فان بدا أنسيتُ من هِيته
ومثل هذا في النسيب كثير وشبيهه قول الأول :

أهاؤُك إجلالاً وما بك قُدرةٌ على ولكن ملءُ عينٍ حبيبها
وما هجرتك النفسُ أنك عندها قليلٌ ولا أن قلَّ منك نصيبها
لا ترى أجود من قوله « ملءُ عين حبيبها » ولا أحسن ولا أبلغ ولعلك
لا تجد لفظة تقوم مقامها ، ويقولون حسن يملأ العين . وهية تملأ الصدر . وقال
« وتملأ عين الناظر المتوسم » وقال ابن الرومي :

في فتيةٍ من ولدِ المنصورِ أملأُ للعين من البدورِ
وقال آخر « إذا ذكرت أمثالها تملأ الفم » وقد أجاد أبو تمام في صفة
الهية والخافة فقال :

تَبَّتُ المقامَ يرى القبيلةَ واحداً ويُرى فتحسبهُ القبيلُ قبيلاً
وقال :

قد أترعت منه الجوانحُ هِيَةً ^(١) بطلت لديها سورةُ الأبطال
لو لم يزاحفهم لزاحفهم له ما في قلوبهم من الأوجال
ومثله قول ابن المعتز :

أنا جيشٌ إذا غدتُ وحيداً ووحيدي في الجحفل الجراء

(١) في ديوان أبي تمام « رهبة » .

وقلت في نحو ذلك :

قبيلكم في العز يعلو قبائلاً وواحدكم في المجد يكثر معشراً
وقال الأشجع في إبراهيم بن نهيك وقد ولي العمونة :

شد الخطام بأنف كل مخالف حتى استقام له الذي لم ينظم
لا يصلح السلطان إلا هبة تلقى البريء بفضل جرم المجرم
منعت مهابتك النفوس حديثها بالشئ تكرهه وإن لم تعلم
ونهجت من حزم السياسة منهجاً فهمت مذاهبه الذي لم يفهم
وأبلغ من هذا كله ما أنشدناه أبو أحمد عن العبد شمي عن المبرد :

وأنت حياً في الحروب محالهم والجيش باسم أيهم يستهزم
يقول به الجيش يستهزم إذا ذكر فليس أبلغ منه . ومثله قول الفرزدق :
لييك وكيف خيل ليل مغيرة تساقى الحمام بالردنية السمر
لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة دعوها وكيفاً والبياد بهم تجرى
ومثله قول الآخر :

سماؤك تخطر الذهباً وحربك يلتظي لها
وأى كتيبة لاقتك لم تستحسن الهرباً
فجعلها تستحسن الهرب إذا لاقته ولا تخشى اللائمة إذا فرت منه فهو غاية .
ومما هو بليغ في باب المهابة قول الأشجع :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والاضلام
فاذا تنبه رعته وإذا غفا^(١) سلت عليه سيوفك الاحلام
فنقله أبو نواس إلى غزل فقال :

قاسيت فيه اليوم والأطما وصرت فيه بين الورى علما
أكون يقظان في تذكره حتى إذا نمت كان لي حلا

(١) في الأصل « هدى » .

ومما هو أبلغ من ذلك كله قول النبي ﷺ «نُصرت بالزُّعب» وما وصف أحد هية صاحب السلطان إذا بدا كما وصفها البحتري في قوله :

إذا ما مشى بين الصفوف تقاصرت رؤسُ الرجال عن أشم ميمدع
يقومون من بُعد إذا أبصروا به لا يبلج موقورِ الجلالة أروع
ويدعون بالاسماءِ مثني وموحداً إذا حضروا بابَ الرِّواقِ المرفع
وان سار كفَّ اللحظ عن كل منظر سواه وغض الصوتُ عن كل مسمع
فلست ترى إلا إفاضةً شاخص إليه بعين أو مشير بأصبع
وقوله: تراءوك من أقصى الساطِ فتصروا خطاهم وقد جازوا الستورَ وهم عجل
ولما قضا صدرَ السلام تهافتوا على يدِ بسام سجيته رسل
إذا أسرعوا في خطبة قطعهمُ جلاله طلق الوجهِ جانبه السهل
إذا نكسوا أبصارهم من مَسْهابة ومالوا بلحظ خلت أنهم قبل

وقال أبو بكر الصولي وهو من البليغ :

إذا ما بدا والقومُ فوقَ سروجهم تنارتِ الاشرافُ منهم على الارض

وقال البحتري :

ومبجل وسطَ الرجالِ خفوفهم لقيامه وقيامهم لعوده
فاللهُ يكلؤه لنا ويحوطه ويمرّه ويزيدُ في تأييده

أبلغ ما جاء في وصف العلم قول علي رضي الله تعالى عنه : قيمة كل امرئ ما يحسنه .
وشد به بعضهم فقال : قيمة كل امرئ علمه .

ولا أعرف في مدح العلم وعدَّ خصاله أبلغ من كلامه رضي الله تعالى عنه خاطب به
كما بن زياد أثبتته لك هنا وان كان مشهوراً : أخبرنا أبو أحمد حدثنا الهيثم بن أحمد
ابن ربيعة حدثنا علي بن حكيم الأذري حدثنا الربيع بن عبد الله المدني حدثنا
عبد الله بن حسن عن محمد بن علي عن آبائه عن كميل بن زياد قال أخذ بيدي علي
رضي الله تعالى عنه فلما أصبحنا قال يا كميل ان هذه القلوب أوعية وخيرها أوطاها

فاحفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهم جرداء
 أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يأدوا إلى ركن وثيق
 يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة
 والعلم يزكو على الانفاق ، يا كميل محبة العلم دين تدين به تكتسب به الطاعة في
 حياتك وجميل الاحدثة بمد وفاتك والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، يا كميل
 مات خزان المال والعلماء باقون مابقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب
 موجودة هاهنا ههنا لعلماً جماً لو أصبت له حملة بلى أصبت لقناً^(١) غير مأمون
 يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا فيستظهر بحجج الله على أوليائه ، أو منقاداً لجملة الحق .
 لا بصيرة له في اجنائه فيقده الشك في قلبه عند أول عارض من شبهة ، أولاً إذا
 ولا إذا فمنهموم بالذات سلس القياد للشهوات ومغرم بالجمع والادخار ليس من رعاة
 الدين أقرب شياً بهم الانعام السائمة اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجة
 إظهار وإما خائف إثم لا تبطل حجة الله وتبينه وكم وأين أولئك الأقلون عدداً
 الأعظمون قدراً بهم يحفظ الله تعالى حججه حتى يودعوها أسماع نظرائهم ويزرعوها
 في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقائق الأمور فباشروا روح اليقين واستلانوا
 ما استوعده المترفون وآنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان
 أرواحها متعلقة بالمحل الأعلى ، يا كميل أولئك أولياء الله من خلقه وعماله في أرضه
 والادعاء إلى دينه هاهنا شوقاً إلى رؤيتهم .

ومما حث به على تحفظ العلوم قول بعض الاوائل : خير العلم ما إذا غرقت
 بسفينتك سبوح معك ، وقال الخليل :

افخر وكأثر بالقربة إنها فخر المسكائر

واعلم بأن العلم ما أوعيت في صحف الضمائر

وقال أبو هلال رحمه الله تعالى لو قال « ماضته صحف الضمائر » كان

(١) اللقن : السريع الفهم - كما في القاموس .

أجود ، وقال غيره :

استودعَ العلمَ قرطاساً فضيعةً وبئسَ مُستودعُ العلمِ القراطيسُ
وقلت : تقل غناءً عن جهولٍ مغمَرٍ دقاترُ تلقى في الظروفِ وترفعُ
تروح وتغدو عنده في مضجعةٍ وكأنَّ رأينا من نفيسٍ يضبعُ
ومن المختار في طلاقة اللسان قول الآخر :

إذا قال لم يترك مقالاً ولم يقف لمي ولم يثن اللسان على مُهجر
يصرفُ بالقولِ اللسانَ كما اتحى وينظرُ في اعطافه نظرَ الصقر
ونحوه : لا خيرَ في حشو الكلام م إذا اهتمت إلى عيوبه
وأجود ما قيل في إقامة الأعراب وترك التغير ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :
وبعجبني زىُّ الفقى وجماله ويسقط من عيني ساعةً يلحنُ
على أن للأعرابِ حداً وربما سمعت من الأعراب ما ليس يحسنُ
ولا خيرَ في اللفظ الكريه استماعه ولا في قبيح اللحن والقصد أزينُ

سمعت أبا أحمد يقول أحسن ما سمعت في السؤال قول عبد الله بن العباس وقد
سئل بم أدركت هذا العلم قال بلسان سؤال وقلب عقول . ثم أخبرنا قال أخبرنا
الحسن بن علي بن عاصم ثنا الهيثم بن عبد الله حدثنا علي بن موسى الرضى حدثني
أبي حدثني أبو جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسن رضى الله تعالى عنهم
قال قال رسول الله ﷺ « العلم خزائن مفتاحها السؤال فاسألوا فإنه يؤجر فيه
أربعة السائل والمستمع والعالم والمحِب لهم » وأجود ما جاء في السؤال من الشعر
ما أنشدناه أبو أحمد أنشدنا ابن الأثير عن أبيه :

شفا العي في طول السؤال وعدلك في المقال وفي الفحال
وبجثك في الأبر عن المعاني وتخريج المقال من المقال
وقولك بانصواب إذا أتت شواهد ورفضك للجدال
وصمتك بين تسمع من حكيم ليفهمك الصحيح من المحال

أجود ما قيل في صفة اللسان وأتمه ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أحمد بن عيسى العكلي حدثنا الخليل عن عبد الله بن صالح بن مسلم القاضي قال قال بعض الحكماء لابنه يا بني اللسان أداة يظهر بها البيان وشاهد يخبر عن الضمير وحاكم يفصل به الخطاب وناطق يزده الجواب وشافع تدرك به الحاجة ومزيرد الأحران وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو إلى الحسن وزارع يحرث المودة وحاصد يذهب بالضغين ومملح يوقف الاسماع ألا ترى أن الله تعالى رفع درجة اللسان بأن أنطقه بالتوحيد وليس شيء من الجوارح ينطق به غيره .

ومن أجود ما احتج به للكلام ما أخبرنا به أبو أحمد حدثني أبي حدثنا أحمد ابن أبي طاهر حدثنا أبو تمام قال تذاكرنا الكلام في مجلس سعيد بن عبد العزيز التنوخي وحسنه والصمت ونبله فقال سعيد ليس النجم كالقمر انك إنما تمدح السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وما أنبأ عن شيء فهو أكبر منه . ومثله ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن أحمد حدثنا أبو تمام حدثنا أبو عبد الرحمن الأموي قال ذكر الكلام في مجلس سليمان بن عبد الملك فذمه أهل المجلس فقال سليمان كلا إن من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن وليس كل من سكت فأحسن قدر أن يتكلم فيحسن .

ومن أجود ما احتج به للصمت ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبي أخبرنا أحمد بن أبي طاهر حدثنا حبيب بن أوس حدثني عمرو بن هاشم البيروقي قال تحدثنا يباب الأوزاعي وفينا اعرابي من بني عليم بن ضاب لا يتكلم قليل له بحق ما سمعتم خرس العرب ألا تتحدث مع القوم فقال إن الحظ للمرء في أذنه وأن الحظ في لسانه لغيره وإنما جعل للمرء أذنان ولسان ليكون استماعه ضعف كلامه . قال فحدثنا الأوزاعي فقال والله لقد حدثكم فأحسن .

وقد سوى بعضهم بين الصمت والكلام فحدثني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي تمام حدثني يحيى بن اسماعيل الأموي حدثني إسماعيل

ابن عبيد الله قال قال جدى : الصمت منام العاقل والنطق يقظته ولا منام الا يقظة ولا يقظة إلا بغير منام . قال أبو هلال : وأنا أقول الصمت يورث الحبسة والحصر وإن اللسان كلما قلب وأدير بالقول يكن أطلق له : أخبرني بعض أصحابنا قال ناطقت فتى من بعض أهل القرى فوجدته ذليق اللسان فقلت له من أين لك هذه الذلاقة قال كنت أعمد كل يوم إلى نخسيز ورقة من كتب الجاحظ فأقرأها برفع صوت فلم أجزع على ذلك مدة حتى صرت إلى مازى . وسمى البيان سحراً لدقة مسلكه وأول من نطق به رسول الله ﷺ وهو من أجمع ما مدح به البيان : حدثنا أبو القاسم عبد الوهاب بن إبراهيم أخبرنا أبو بكر أحمد بن حماد العقدي أخبرنا أبو جعفر أحمد بن الحارث الخزاز أخبرنا المدائني قال قال أبو الحسن بن مسلم بن محارب بن مسلم بن زياد عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب بن الهمم أخبرني عن الزبرقان بن بدر فقال مطاع في أذنيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره . فقال الزبرقان : إنه يعلم مني أكثر من هذا ولكنه حسدني . فقال عمرو : أما والله يا رسول الله أنه لزم المرءة ضيق العطن أحق الوالد لثيم الخال وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الأخرى رضيت فقلت أحسن ما أعلم وسخطت فقلت أسوأ ما أعلم فقال رسول الله ﷺ (ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة) وأما تعجب رسول الله ﷺ من نقضه وإبرامه في حال واحدة ومثل هذا من البلاغة أصعب مرأى وأعجز مطلباً وقد أشبعنا القول فيه في كتاب صنعة الكلام .

ومما يدخل في باب ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا الصولي حدثني الطيب بن محمد الباهلي قال . موسى بن سعيد بن . عن أحمد بن يوسف الكاتب قال دخل خالد بن صفوان التميمي على أبي العباس السفاح وعنده أخواله من بني الحارث بن كعب فقال له ما تقول في أخوالي قال هم هامة الشرف وخرطوم الكرم وغرس الجود إن فيهم لخصالاً ما اجتمعت في غيرهم من قومهم انهم لأطولهم أمماً وأكرمهم

شيئاً وأطعمهم طعاماً وأوفاهم ذمتاً وأبعدهم همأهم الجرة في الحرب والرفد في الجذب والرأس في الخطب وغيرهم بمنزلة المعجب . فقال لقد وصفت أبا صفوان فأحسنت فزاد أخواله في الفخر فغضب أبو العباس لأعماله فقال أفخر يا خالد فقال أعلى أخوال أمير المؤمنين فقال نعم وأنت من أعمامه فقال وكيف أفخر أقواماً هم من بين ناسج برد وسائس قرد ودابغ جلد دل عليهم الهدهد وغرقتهم الفأرة وملكتهم امرأة . فأشرق وجه أبي العباس وجعل يضحك . قال وحدثني ابن المزرع قال سمعت عمرو بن بحر الجاحظ وقد ذكر كلام خالد هذا يقول والله لو نفكر في جمع معانيهم واختصار اللفظ في مثاليهم بعد ذلك المدح المذهب سنة لكان قليلاً فكيف على بديه لم يرض فكراً .

وأجود ما قيل في كراهة المزاح قولهم ان المزاح هو السباب الاصغر ، وقيل المزاح سباب النوكى . وأجود ما قيل في تخوف طاقته قول أبي نواس :

انه نار وقدح القادح وأى جد بلغ المازح

ومثله : صارَ جداً ما فرحت به رُبَّ جدٍ جرَّه لعبٌ .

وقلت : غضبت للزح ولم تنظر في موقعه المزح في موضعه كالجد في موضعه

أجود ما قيل في التظاهر والتعاون قول قيس بن عاصم المنقري بوصى ولده وقومه وجدت في كتاب غير مسموع لما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة وطأنته وقال يا بني أوصيكم بتقوى الله وليعطف الكبير منكم على الصغير ولا يجهل الصغير حق الكبير وأكرموا مسلمة بن عبد الملك فانه نابكم الذي عنه تعبرون ومجنكم الذي به تستجرون ولا تقطعوا من دونه رأياً ولا تعصوا له أمراً ، وأكرموا الحجاج بن يوسف فانه الذي وطأ لكم المغابر وذلل لكم قارب العرب وعليكم بالتعاون والتظاهر وإياكم والتقاطع والتدابير . فقال قيس بن عاصم لبنيه :

بصلاح ذاتِ البينِ طولُ بقائكم إن مُدَّ في عمري وإن لم يمدد

حتى تلين جلودكم وقلوبكم لمسود منكم وغير مسود

إن القداح إذا جمن فرامها بالكسر ذو حنق ويطش أي
عزت ولم تكسروا إن هي بددت فالوهن والتكسير للمتبدد
ثم قام علي بن خالد بن يزيد بن معاوية وخالد بن عبد الله بن أسيد فقال لهما قد
حضر من الأمر ماريان فإن كان في نفوسكما شيء من بيعه الوليد تزعماء وجعلنا
الأمر حيث شئنا قالا بل رضينا أكل الناس لها وأقوامهم عليها قال أما والله لو
غيرها قلنا أما قبلي ثم رفع طرف فراشه فإذا تحته سيف مجرد فقال للوليد لا أعرفنك
إذا أنامت تعصر عينيك وتمسحها نعل الأمة الوعكاء شمر وبرز والبس جلد
النمر وادع الناس إلى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا ثم لم يزل
متمثلاً بقول الشاعر :

وهل من خالد أما هلكنا وهل بالموت بالناس عار
ثم قال الحمد لله الذي لا يبالي أصغير هلك في ملكه أم كبير ثم قضى . فقال هشام
ابن عبد الملك :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكن بنيان قوم تهدما
فسمعها الوليد فتطير منها فرفع يده فلطمه وقال إنك أعور مشؤوم هلاقت كما
قال التميمي :

إذا سيدنا ذرا حد نابه تخمطينا ناب آخر مكرم
فسمع مسلة الصبيحة فقال ذروا الصياح فانكم إن استقمتم استقام الناس
وإن اختلفتم اختلفوا .

أخبرنا أبو حمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال
كان عبد الملك بن مروان ذات ليلة في منزه مع ولده وأهل بيته وخاصته فقال ليقل
كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر وليفضل من رأى من الشعراء تفضيله
فأنشدوا وفضلوا فقال بعضهم أمرؤ القيس وقال بعضهم النابغة وقال بعضهم
الأعشى ، ولما فرغوا قال أشعر والله من هؤلاء جميعاً عندي الذي يقول :

وذى رحمٍ قلمتُ أظفارَ ضغنه
 إذا سُمتُهُ وصلَ القِرابَةُ سامنى
 وأسى لى أبى وبهدم مصالحى
 يحاولُ رغبى لا يحاولُ غيرهُ
 فإن أتصر منه أ كن مثلَ رائش
 فبادر متى النأى والمرءُ قادرُ
 فإن أعفُ عنه أغض جفناً على القذى
 حفظتُ الذى قد كن يبنى وبينهُ
 فما زلتُ فى لين له وتعطى
 لأستل منه الضغنَ حتى سلته
 وقالوا يا أمير المؤمنين من قائل هذه الاثبات فما أحسنها وأرضاها قال معن
 ابن أوس المزنى .

ومن أجمع ما قيل فى المعروف قول النبي ﷺ « المعروف كاسمه » أخبرنى
 عم أبى عن أبيه قال قال العتابى كنت واقفاً بباب المأمون أتتظر من يستأذنه لى
 فأقبل يحيى بن أ كتم فقلت اليه فقلت استأذن لى على أمير المؤمنين فقال لست
 بحاجة فقلت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان قال سلكت بى غير سبيل قلت
 ان الله قد أتحنفك بجاه وهو مقبل عليك بالزيادة ان شكرت وبالنقصان ان كفرت
 وأنا لك منذ اليوم أنفع منك لنفسك أدعو الى ازدياد نعمتك وتأبى على ولكل
 شىء زكاة وزكاة الجاه ردد المستعين وقد قال رسول الله ﷺ (أفضلُ المعروف
 فضلُ جاهك تعود به على من لاجاه له) فقلت ودخل فما لبث ان خرج
 الحاجب بسأل عنى فدخلت فقال حدثنا أبو نصر التمار عن سفيان بن عيينة عن
 ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله
 ﷺ على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وجعفر الطيار وعمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنهم أجمعين فتذاكروا المعروف فقال علي : المعروف حصن من الحصون وكنز من الكنوز فلا يزهدنك فيه كفر من كفره فقد يشكر الشاكر مأضاعه جحود الكافر . وقال العباس : المعروف أفضل الأمور وأوثق الحصون ولا يتم إلا بثلاثة تعجيله وتصغيره وستره فإذا عجلته هنأته وإذا صغرت عظمته وإذا سترته تيمته إن بأهل المعروف من الرغبة أكثر مما بأهل الحاجة اليهم وبيان ذلك أن لهم ذكره وسناؤه ونخره فهما أتيت من معروف فأنما أتيتك لنفسك . وقال عمر إن لكل شيء أنفًا وأنف المعروف السراح : فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال « فيم أتم » فقالوا تتذاكر المعروف فقال عليه الصلاة والسلام « المعروف كاسمه وأول من يدخل الجنة المعروف وأهله » .

ومن أجود ما قيل في بذل المعروف وإن كان قليلاً ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجوهري عن المنقري عن الأصمعي عن بعض العباسيين قال كتب كلثوم بن عمرو إلى رجل في حاجة : بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاءك وجعله يمتد بك إلى رضوانه وجنته . أما بعد فأنك كنت روضة من رياض الكرم تبسج النفوس بها وتستريح القلوب إليها وكنا نعفيها من النجعة استتماماً لزهرتها وشفقة على نضرتها وإدخاراً لثمرتها حتى مرت بنا في سفرتنا هذه سنة كانت قطعة من سني يوسف اشتد علينا كلبها وأخلفتنا غيومها وكذبتنا بروقها وقد ناصح الأخوان فيها فاتبعتك وأنا بالتجاعي بك كثير الشفقة عليك مع علمي بأنك نعم موضع الزاد واعلم بأن الكريم إذا استخنى من إعطاء القليل ولم يحقر الكثير لم يعرف جوده ولم تظهر همته وأنا أقول في ذلك :

| | |
|------------------------------|---------------------------|
| ظل اليسار على العباس محدود | وقلبه أبداً بالبخل معقود |
| إن الكريم ليخفي عنك عسرتة | حتى تراه غنياً وهو مجهود |
| وللبخل على أمواله عل | زرق الميون عليها أوجه سود |
| إذا تكرمت أن تعطي القليل ولم | تقر على سعة لم يظهر الجود |

بث النوال ولا يمنعك قلته فكل ماسد فقراً فهو محمود
قال فشاطره ماله حتى بث اليه قيمة نصف خاتمه وفرد نعله . ومن مليح ما جاء
في هذا المعنى قول ابن الرومي :

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| أبا عمرو لك المثل الملى | وجدت عدوك التربُّ الذليل |
| رأيت المطلَّ ميداناً طويلاً | يروضُ طباعه فيه البخيل |
| فما هذا المطالُ فدنك نفسي | وباعك بالندى باع طويل |
| أظنك حينَ تقدرُ لي نوالاً | يقُلُّ لديك لي منه الجزيل |
| فلا تقدر بقدرك لي نوالاً | ولا قدرى فيحقرُ ماتيل |
| وأطلق ماتهم به عساً | كفاني أيها الرجل النبيل |
| وإلا فالسلامُ عليك مني | نبت دارٌ فاسرع بي الرحيل |
| إذا ضاقت على أمل بلاد | فما سلت على عزم سبيل |

وقال غيره :

وما الجودُ عن فقرِ الرجال ولا الغنى ولكنهُ خيمُ الرجال وخيرها
ومن عجيب المعاني في عظم السؤال وموازنته للنوال بل رجاحته عليه ما
أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن
عباد قال دخل كوثر بن ذفرين الحارث الكلابي على يزيد بن المهلب فقال له أيها
الأمير أنت أعظم قدراً من أن تستعان أو يستعان عليك وليس تفعل من المعروف
شيئاً إلا وهو يصغر دونك وأنت أكبر منه وليس العجب أن تفعل ولكن العجب
أن لا تفعل . فقال سل حاجتك قال حملت عشر ديات وقد بهظتني فقال قدأمرت
لك بها وشفعتها لك بمثلها فقال أماما سألتك بوجهي فأقبله منك وأما ما ابتدأتني
به فلا حاجة لي فيه . قال ولم وقد كفيتك مؤنة السؤال ؟ قال لا أني رأيت الذي
أخذت مني بمسألتى إياك بوجهي أكثر مما نالتني من عرفك وكرهت الفضل على
نفسى . فقال له يزيد أسألك بحقوقك على لما رأيتني أهله من انزال الحاجة بي لإقبلتها فقبلها .

وسأل العنابي رجلاً فحصر وأقل قليل له قد أقللت فقال وكيف لا أقل
ومع ذل المسألة وحيرة الطلب وخضوع الهيبة وخوف الرد . وقيل لا آخر متى
يكون البليغ عيياً قال إذا سأل حاجة لنفسه . وقال أحمد بن أبي خالد الأثول :
ما استكثرت بذلاً بذلته قط لا ترى أرى الأجر والشكر أكثر منه ولا استصغرت
معروفاً قط لا ترى أراه أكبر من تركه .

ومن جيد ما قيل في الترغيب في المعروف قول الأول :
فأنك لا تدري إذا جاء سائل^{ته} أنت بما تعطيه أم هو أسعد^ه
عسى سائل^{ته} ذو حاجة أن منعه من اليوم سؤلاً أن يكون له غد^ه

هذا آخر كتاب الخصال والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
النبي الأُمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بصرنا سبل الحمد ووقفنا على طرق الذم لنضع كلاً منهما في موضعه
ونستعمله في حينه ونلحقه بمستحقه إذ ذكر من أحبه فقال (نعم العبد^ه إنه أوأب^ه)
ووصف من مقتله فقال (همأز مشأ^ه بنميم منأع^ه للخير معتد^ه
أثيم عتل^ه بعد ذلك زريم^ه) فدم قوله وفعله وطاب شيعته وخلقه وهتك
بالشم عرضه وسود بالدم وجهه جزاء بما اكتسب من ذميم الفعال ووفقاً لما أطلقه
من اسم المقال نكلاً من الله والله عزيز حكيم . وصلى الله على نبيه محمد البشير النذير
الداعي إلى الله بأذنه والسراج المنير وعلى آله الطيبين وعترته .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في المعاتبات والهجاء والاعتذار وهو :

﴿ الباب الثالث من كتاب ديوان المعاني ﴾

وهو يشتمل على ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المعاتبات ﴾

فمن أوائل ذلك ما أخبرنا به أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال قال عليه الصلاة والسلام لطلحة حين رأى تلونه عليه « فراق جميل خير من صُحبة على دَخْن » والدخن والدخل الفساد والمدخول الفاسد وقد دخل فسد ، وروى (على دخل) ومن قديم ما جاء في ذلك قول أبي ذؤيب :

تُريدنَ كما تجمعينِ وخالداً وهل يُجمعُ السيفانِ ويحك في غمد

يقول لأم عمرو امرأة من هذيل وكان رجل منهم يقال له وهب بن عمرو - وقيل وهب بن جابر - هوبها فامتنت عليه فخرج يوماً يتصيد فختل ظبية فلما أخذها أنشد :

فمالكِ يا شبيبةً أم عمرو إذا طابتنا لا تأمنينا
فمينك عينا اذ تنظرينا^(١) وجيدك جيدها لو تنطقينا
وساقك ساقها^(٢) ولا أم عمرو خدلجة يضيقُ بها البرينا
ورأسك أزعر ولا أم عمرو غداً يُعقرنَ وينثنينا

ثم خلا منها فبلغ ذلك أم عمرو فواصلته وكان رسوله اليها أبو ذؤيب فلما أبتع وترعرع رغبته اليه واطرحت وهباً وخشى أبو ذؤيب الفضيحة فقصر عنها

(١) «تنظرينا» غير موجودة في الاصل ، (٢) (ساقها) غير موجودة في الاصل .

وجعل يرسل اليها خالد بن ابراهيم^(١) فلم تلبث ان علفت خالداً وتركته ابا ذؤيب
فجعل أبو ذؤيب يعاتب خالداً ، مثل قوله :

فنفسك فاحفظها ولا تُبَدِّ^(٢) للعدي من السرِّ ما يُطَوِّى عليه ضميرُها
رعى خالدٌ سرِّي لياليَ نفسه توالى على قصدِ السبيلِ أمورُها
فلما تراماهُ الشبابُ وغيه وفي النفس منه غُدرةٌ ونحورُها^(٣)
لوى رأسه عني ومال بودَّة أغانيجُ خُودٍ كان فينا يزورها
تعلقه منها دلالٌ ومقلَّة تظلُّ لأصحابِ الشقاءِ تُديرُها
وما أنفُسُ الفتيانِ إلا قرائن تبينُ ويبقى^(٤) هامها وقبورُها
فأجابه خالد :

لا يبعدن الله حليمك اذ بغزا وسافرَ والاحلام جمُّ عثورها
لعلك إما أمُّ عمرو تبدلت سواك خليلاً شامئاً تستخيرُها^(٥)
فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها
وهذا جواب لا ترى أقطع منه لأنه ذكر أنه إنما جوزى بمثل فعله :
فان التي فينا زعمت ومثلها لفيك ولكني أراك تجوزها^(٦)

-
- (١) خالد هذا هو ابن أخت أبي ذؤيب وابن عمه ، على مافي ديوان أبي
ذؤيب ، وفيه (خالد بن زهير) لا (بن ابراهيم) . وأبو ذؤيب هو خويلد بن خالد
ابن محرث من بني تميم بن سعد بن هذيل ، شاعر مقلق ، أدرك الجاهلية والاسلام
قدم المدينة على النبي ﷺ وهو في مرضه فمات قبل وصوله بليلة وشهد دفنه ، وتوفي
في خلافة عمر ، وسئل حسان : من أشعر الناس فقال حياً أم زجلاً ؟ قالوا حياً
قال هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . (٢) في نسخة «تنفس» .
(٣) في ديوان أبي ذؤيب «فتنة وفجورها» . (٤) في الاصل (ويثني) .
(٥) تستخيرها : تستعطفها وأصله أن الغزال والعجل يخور إلى أمه فتجيبه ، معناه
تطلب منها أن تحيييك . (٦) تجوزها أي تعبدل عنها . وفي الديوان (تجورها) .

ألم تنقذها من ابنِ عُويمر وأنت صنيُّ نفسه وسجيرها
فإن يك يشكو من قريب مخانة ^(١) فتلك الجوازي عقيبها ونصورها
وفيه يقول أبو ذؤيب :

يُرَى ناصحاً فيما بدا فاذا خلا فذلك سكينٌ على الخلقِ حاذق
ثم ان وهباً بعث ابنه عمراً فوهب لها ذات يده فواصلته وكان لعمر وعلانيتهما
ونخالد سرها فجاء خالد ليلاً وعمر و معها على شراب فقتله وهرب فبلغ الخبر وهباً
فركب في جمع فتبعوه حتى لحقوه فقتلوه فقال أبو ذؤيب يرثيه :

لعمر و أبي الطيرِ المرية غدوة على خالد ان قد وقعن على لحم
كلية وربى لن تعودى بمثله عشية لاقته المنية بالردم
فأنك لو أبصرت مصرع خالد منعت ^(٢) الستار بين أظلم فالحزم
علمت بأن الباب ليست ؟ ولا البكر لاضمت بذاك على غنم
ضروب لهامات الرجال بسيفه إذا التفت الأبطال مجتمع الحزم
ومن قديم العتاب المزوج بالشكوى قول جميل :

لحي الله من لا ينفع الودُّ عنده ومن حبله إن مدَّ غير متين
ومن هو إن تحدث له العين نظرة تقصب لها أسباب كل قرين
ومن هو ذو لونين ليس بدائم على العهدِ خوانٌ لكل أمين
ومن هو عند العين أما لقاءه فحلوه وأما غيبه فظنون

وكتب بعض الكتاب : لو كنت أعلم أنك تعيب إذا طابتك سلكت في
ذلك مذهباً لا يبلغ فيه القصوى ولا اقتصر على الأدنى ولا أخليتك من الاستزادة
في غير شكوى والتعريف في غير تعنيف والاحتجاج في غير تنكيت ولا توقيف
ولكن شر القول ما لا يسمع وليس لقائله فيه متنعف وأشبه البر بالعقوب ما استكرهت

(١) في ديوان أبي ذؤيب (وان كنت تشكو من خليل مخانة) وفي النسخ

نقص كلمات في الايات استدر كناها من الديوان .. (٢) في النسخ غير منقوطة :

عليه النفوس : وقد قال الشاعر :

ويس بمن في المودة شافعٌ إذا لم يكن بين الضلوعِ شفيعٌ
وكتب الكرخي : قد واصلت أياماً تباغعدوا إليك ورواحا حتى ملني البكور
وسمى التهجير وشكائي الطريق ولحائي الصديق في كل ذلك أعاق بالحجاب
وتستقبلني ردة البواب :

ولا خير في ودّ امرئ متكاهٍ عليك ولا في صاحبٍ لا توافقه
وهذا ذره^(١) عتاب جاش به الصدر وضاق عن كتمان الصبر فان عطفك
حفاظ فأهل الفضل والبر أنت وإلا فاني على العهد الذي كان بيننا ولا أقول كما قيل :
فما ملني الانسانُ إلا ملتهُ ولا فاني شيءٌ فظلت له أبكى
ولا أقول كما قيل :

وإني على عهد الأخلاءِ دائمٌ ولست إذا مال الصديقُ على حرفٍ
إذا أنا لم أصفح وأغضض على القذى فلا انبسطت في الحادثات إذا كفى
ومن أطف الكلام قول بعض الكتاب : أنفذ إلى أبو فلان كتاباً منك
فيه ذره عتاب كان أحلى عندي من تعريسة الفجر وألذ من الزلال العذب
فلك العتي وليك وسعديك داعياً مستجاباً له وعاتباً معتذراً إليه ولو شئت مع
ذلك أن أقول إن العتب عليك أوجب والاعتذار لك ألزم لقلت ولكني
أسامحك ولا أشاحك وأسلم لك ولا رادك لأن أفعالك عندي مرضية وشيمك لدى
مقبولة ولولا أن للحجة موقعها لقصرت العنان عما أجريت إليه من هذا العتاب
وكففت اللسان عما أطلقته فيه من مر هذا الخطاب وقلت :

إذا مرضتم^(١) أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم ونعتذر
ولا ترى كلاماً أطف من هذا ولا أحسن في معناه . وكتب بعضهم لست
أقتضي الوفاء بكثرة اللاح فأنقل عليك ولا أقابل الجفاء بترك العتاب فأغتم

(١) في القاموس : ذره من خير : شيء منه . (٢) في الاصل (إذا مرضنا) .

القطيعة منك والمثل السائر « ويبقى الود ما بقي العتاب » . وقلت :

أمنماً إذا جئتكم أستعيرُ فكيف إذا جئتُ أستوهبُ
ومثلي إذا كان في معشرٍ فالعزُّ عندهم منكب
يقرب مثلي إذا ما نأى ويكرم مثلي إذا يقرب
عتبتك للود لا للقلبي وواصل صديقاً ماتعتب

ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :

إذا رأيتُ ازوراراً من أخى ثقة ضاقتُ على برحب الأرض أوطاني
فإن صدّدتُ بوجهي كي أكاثته فالعينُ غضبي وقلبي غيرُ غضبان

وقد أحسن العباس بن الأحنف في قوله :

كنا نعاتبكم لياليَ عودكم حلو المذاق وفيكم مستعتبُ
فالآن إذ ظهر العتبُ منكم ذهب العتابُ وليس عنكم مذهب

ومن مشهور العتاب قولهم :

طال المطالُ فلا خلودَ فحاجةٌ مقضيةٌ أو برٌّ ينفعُ
واعلمُ بأنّي لأسرُّ بحاجةٍ إلا وفي عمري بها مستمتع

ومن جيد المعانيات قولُ أبي تمام في أبي دلف :

يا أيها الملكُ النائي بفرّته^(١) وجوده لمرجى^(٢) جوده كُتبُ
ليس الحجابُ بمقصٍ عنك لي أملاً أن السماء تُرجى حين نحتجب
مادون بابك لي باب ألودُ به وما وراءك لي مشوى ومطلب

وقوله في أبي سعيد :

لعمرك لليأس غيرُ المريثِ خيرٌ من الطمع الكاذب
وللريبُ تحصره بالنجاحِ خيرٌ من الأملِ الخائب

وقال يمانب موسى بن إبراهيم الرافعي في ضئنه عنه بجاهه :

(١) في الأصل « برؤيته » . (٢) كذا في ديوان أبي تمام ، وفي الأصل « لمراعى » .

سأقطع أرسان العتاب بمنطق
وإن أمراً ضنت يدهاً على امرئ
أخذه من قول مسلم :

وأحببت من حبها الباخلين
إذا سئل عرفاً كسا وجهه
يفار على المال فعل الجواد
وقول أبي تمام :

لآل وهب أكف كلما اجتديت
قوم تراهم غيارى دون مجدهم
ومنها: دنيا ولكنها دنيا ستنصرم
ومنها: فلا تقل قدم أزرى يبهجته
. وقد أحسن ابن الرومي وأجاد في قوله لقوم إسمعان بهم فأعانوا خصمه :

تخذتكم درعاً وترساً لتدفعوا
وقد كنت أرجو منكم خيراً ناصر
فإن أنتم لم تحفظوا لمودتي
قفوا موقف المذور مني بمنزل
هي النفس إما أن تعيش عزيزة
عفاء على ذكر الحياة إذا حمت
وهذا مثل قوله أيضاً :

عفاء على الدنيا إذا مستحقها
بهاها ولن يرجى لديه منوعها
وسأل بعض الزهراء أن يكتب له كتاباً إلى رئيس فقال :

أتبخل بالقرطاس والخط عن نخ
وكفاك أتدى في العطايا من المزن

(١) في ديوان مسلم المطبوع «ثياباً من اللؤلؤ حمراً وسوداً» . (٢) في الديوان «أن يجوداً» .

فلا يكن المبدول للوم^(١) معمه وقرطاسه بين الصيانة والخزن

وهي طويلة. وقال جحظة يماثب على شدة الحجاب :

الله يعلم أننى لك شاكر^١ والحر للقل الجبل شكور
 لكن رأيت^٢ يباب دارك جفوة فيها لصفو صنعة تكدير
 ما بال دارك حين تدخل^٣ جنة ويباب دارك منكرو^٤ ونكير
 غيره :^(٢) سأترك هذا الباب مادام إذنه على ما أرى حتى يلين قليلا
 إذا لم أجد يوماً إلى الآن سلماً وجدت^٥ إلى ترك المجيء سبيلا
 وقول أبى تمام : ان السماء ترجى حين تحتجب * مأخوذ من قول الأول :
 وإنى لأرجوكم على بطء سعيكم كما في بطون الحاملات رجاء
 وقد أحسن أبو تمام في معاتبته ابن أبى دواد واستبطائه إياه في قوله :
 رأيت العلا معمورة منك دارها إذا اجتمعت يوماً^(٣) وقر^٦ قرارها
 وكم نكبة ظلماء تحسب ليلة تجل لنا من راحتك نهارها
 فلا جارك العافي تناول محلها ولا عرضك الوافي تناول فارها
 فلا تمكن^٧ المطل من ذمة الندى فبئس أخوالاً يبدى الكبار^(٤) وجارها
 فان الأيادى الصالحات كبارها إذا وقعت تحت المطال صغارها
 وما نفع من قدبات بالأس صادياً^(٥) إذا ما ساء اليوم طال انهارها
 وخير عدا^٦ المرء^(٦) محتضراتها كما أن خيرات الليالى قصارها
 وما العرف^(٧) بالتسويق إلا كخلة تسليت عنها حين شط مزارها

(١) (للوم) ساقطة من الأصل فاستدر كناها من ديوان ابن الرومى المخطوط .

(٢) نسبها ابن خلكان لأبى العيشل ، وفيه (يخف) مكان (يلين) و (اللقاء)

في موضع (المجىء) . (٣) في ديوان أبى تمام « جاشاً » .

(٤) في ديوان أبى تمام « الغزار » . (٥) في الأصل « ضارياً » .

(٦) في ديوان أبى تمام « الحر » . (٧) في الديوان « وما النفع » .

وقد أحسن في هذه الأبيات ما شاء وفي قوله أيضاً لما لك بن طوق وقد حجبته :
 قل لابن طوق رحاسعد إذا خبطت نوائب الدهر أعلاها وأسفلها
 أصبحت حاتمها جوداً وأحنفها حلمًا وكيسها علمًا ودغلها
 مالي أرى الحجرة الفيحاء ^(١) مقللة غنى وقد طال ما استفتحت مقفلها
 كأنها جنة الفردوس معرضة وليس لي عمل زاك فأدخلها
 . وليس لهذا التمثيل نظير في حسنه وبراعته ..

وكتب الصاحب أبو القاسم ^(٢) إلى بعضهم يعاتبه في صغر كتابه إليه : كتابي
 وعندي نعم من أعظمها خلوص ودك وبقاء عهدك ورد لي كتاب حسبه
 يطير من يدي خلفته ويلطف عن حسي لقلته وعهدي بك تروى إذا سقيت
 وتجزل إذا أعطيت فما الذي أحالك وبدل حالك أملال أم كلال أم اقلال وليس
 عندي أنك تمل صديقاً صدوقاً وشقيقاً شقيقاً ولا عندي أنك تكل ولو ملأت
 الأرض كلاماً وشعنت صفحات الجود نظاماً ولا عندي أنك تقل وبحر فضلك
 فياض وثوب علمك فضفاض فما أملك وقد نبوت وزهدت وجفوت إلا أن أصبر
 على هجرتك كما تمتعت بصلتك لتكون عني نسخة أخلاقك إذا قربت وبعدت
 ووصلت وصددت وأكره أن أطيل وقد قصرت وأكثرت وقد أقللت فتسأمني كما
 سئمت عادتك وتتركني وقد تركت شيمتك فأجب أن تطالعي بأخبارك وعوارض
 أوطارك إن شاء الله تعالى :

إذا أنت طابت الصديق ولم يكن يودك لم يعتبك حين تعاتبه
 ومن يرع شرقى البلاد سوامه وغريبها يملكه ؟ صاحبه
 ومن يخلط الماء الزلال بآجن من الماء تخبث ما تطيب مشاربه
 وكتب . . . أبا عن كتاب نقصت فيه من الخطاب : وقفت على الفصل
 المؤذن بالجفاء المستعمل على سوء الجاء وعلى ما احتواه من دق الخطاب ووضع الداء

(١) في ديوان بي تمام «البيضاء» . (٢) هو الصاحب بن عباد الوزير البليغ المشهور .

وعجبت كيف حطمت الدعاء من رتبة المعروفة وخففت الخطاب عن درجته
 المألوفة وأنت على منزلتك لم تردد تغيراً وأنا في درجتي لم أنقص قطيراً فكيف
 لو زدت زادك الله بصراً بمالك وعليك وأراك من عيبك ما لا يتصور لديك
 وكفاك من شر نفسك ما هاصر عليك من كيد عدوك وشماتة حسودك ولا
 أختار لك أن تتكبر كلما تكبر وتتجبر كلما تجبر فقد سمعت ما قال يحيى بن خالد :
 من بلغ رتبة فتاه أخبر أن محله دونها ومن بلغها فتواضع أعلم أن حقه فوقها
 فكيف والأحوال على ما كانت عليه لم يضر إلهلال بدراً ولا الشبل لثاً ولا الغصن
 ساقاً ولا القطوف معناقاً . والعرب تسمى الكبريتياً وهو الخيرة لأن صاحبه لا يهتدى
 لرشاد ولا يصل إلى سداد ولو لم يكن إلا التطير من اسمه دون التحلي بقبح سمته
 ورمحه لكان الماقل حقيقاً بتركه وخليفاً برفضه ، وقد قيل ليس لمعجب رأى
 ولا لتكبر صديق قايك أن تحرم نفسك بكبرك الذي يضرك ولا ينفعك ويحطك
 ولا يرفعك استفادة الإخوان الذين هم أبلغ في الخير والشر من البيض الحداد
 وأحضر عناء في الأمن والخوف من الطرائف والتلاد فان ذلك غين كبير وحرمان
 جسيم ، وقد قال الأول :

ما بال من أوله نطفة^{هـ} وآخره جيفة^{هـ} يفخر^{هـ}

ولبعض بني هاشم وهو الرضى رحمه الله تعالى :

ولرب مولى لا يفيض^{هـ} جاحه^{هـ} طول العتاب ولا عناء العذل

يطغى عليك وانت تلام^{هـ} شعبه والسيف يأخذ من بنان الصيقل

ضاق الزمان فضا^{هـ}ق فيه تقلى والماء يجمع نفسه في الجدول

وقال بعضهم في يزيد بن المهلب :

فمن يلزم النازلون^{هـ} محله^{هـ} ؟ فنزلكم للحمد والشكر منزل^{هـ}

رأى الناس فوق المجد مقدار^{هـ} مجدكم فقد بسألوك فوق ما كان يسأل

وقصر عن مساعكم كل^{هـ} آخر وما فاتكم ممن تقدم أول^{هـ}

بلغت الذي قد كنت أمله لكم
وملك حق واجب غير أني
قلت أنتم أنعمتم وبررتم
وان كنتم أوليتوني تفضلاً
وكم ملحف قد نال منكم رغبة
وعودتوني قبل أن أسأل الفنى
وقال ابن الرومي :

من الحيف تخسيس^(١) النوال ومطله
وكن نخلة تلوى وتسنى عطاءها
وقال : يا شبية البدر في الحسن
جُدْ فقد تنفجر الصخرة بالماء الزلال
وله في المعانيب مالا أعرف لغيره - قال :

يا ابن الوزير الذي تمت وزارته
ان كنت أحسنت في وصفى ما تركم
وإن أكن قلت مالا أستحق به^(٢)
ان المديح اذا ماسار منفرداً
قد يعز بليغ في بلاغته
أسهت فيكم لكنى أعلى فطاطانى
ان السلايم لا تبني أطاولها
لكن ليصعد انجاداً تشرفه
وقد هبطت بما شيدته لكم
لا تجمعن على العار والنار
فأثروا في بالاحسان آثارا
منكم ثواباً فردوه وما سارا
من الثواب كسى من قاله طازا
وقد يظن سوى المختار مختاراً
تقصيركم بي فقد أزمعت إقصارا
يوماً ليهبط بانيهن اغوارا
حتى يمد إليها^(٣) الناس أبصارا
من حائق ولعل الله قد خارا

(١) في الأصل « تطفيف » وفي ديوان ابن الرومي « تخسيس » .

(٢) في الديوان « أو كنت قد قلت مالا أستحق به » . (٣) في الديوان (إليه) .

كم هابط صاعد من بعد مهبطه^(١) وغائر متجدد من بعد ماغارا
 ثقلت في كفة الميزان فانكد رت تهوى وشال خفاف الناس^(٢) أقدارا
 صبرا فكم ناهض من بعد وقته يوما وكم واقع من بعد ماطارا
 لابني سمير^(٣) صروف غير غافلة يحسن تقضا كما أحسن امرارا
 وقال: وتابع بعد الفتح قوما سبقتهم فلم أنافي نماك ردف وهم صدر
 ولم يصف من شيء صفاء طوبى فلم شربهم صفو ولم مشربى كدر
 وما جاء مدح مثل مدحى فيكم فلم كسبهم مدح ولم مكسبى جزر
 ومالى لا أنفك أنى مسندا ولى منكم ظهر وما مثلكم ظهر
 لعمرى لقد غوثت غير مقصر لتجبر من مالى وقد أمكن الجبر
 وكم قاتل أبلغت فيما تقوله فقلت له غيت لوساعة الزمر
 وقلت: قد كنت توليت الحسنى وتكرمنى وكنت أشكر ماتأتى من الحسن
 فما بدا لك في جود ومكرمة تجرى من المجد مجرى الروح في البدن
 ارجع الى الحالة الأولى قالت لنا شكرا يكون لها من أوفر الثمن
 وحسن أحدىثة لو كنت تبصرها حسبها غرة في جبهة الزمن
 أركب من المسك فى أصداغ غانية كأنها قمر أوفى على غصن
 وللصاحب بن عباد فى الاستزادة والعتاب أبيات لم يمر بي من شعره أجود منها فنها:
 سيشهد أبناء المفاخر كلهم بأن مضيع الأكرمين مضيع
 يززعك الواشون عن حومة العلا وكان بعيدا أن يززع لعل
 وقد طرف البحرى فى قوله يستبطن محمد بن العباس الكلبي:
 المئة الدينار منسية فى عدة أشبعها خلفا
 لا صدق اسماعيل فيها ولا وقاء إبراهيم إذ وفى

(١) فى ديوان ابن الرومى المخطوط (مبطلته) . (٢) فى الديوان (القوم) .

(٣) ابنا سمير : الليل والنهار لأنه يسرف فيهما أى يتحدث — كما فى جنى الجنتين .

ان كنت لاتنوي نجاحاً لها . فكيف . لا تجعلها ألفاً
 وقوله : عمرت أبا إسحق مصلح العمر . ولا زال مزهواً بآثاك^(١) الدهر
 فأنت ندى نحيباً به حيث لا ندى . وقطر^٢ يرجى جوده حيث لا قطر
 على أنتى بعد الرضا متسخط^٣ . ومستعقب^٤ من خطه منهاها وعر
 وقد أوحشتني ردة^٥ لم أكن بها . بأهل ولا عندي بتأويلها خبر
 فلم جئت طوع الشوق من بعد غايي . الي غير مشتاق ولم ردتني بشر
 وما باله يأبى دخولي وقد رأى . خروجي من أبوابه ويدي صفر
 ومن جيد ما قيل في حسن الاقتضاء قول أبي تمام :

وإذا المجد كان عوفى على المر . وتقاضيته بترك التقاضى
 وقول الآخر : أروح بتسليم وأغبر بمثله . وحسبك بالتسليم مني تقاضيا
 وفي خلاف ذلك قول بعضهم : ثقتي بكرمك تمنع من اقتضائك وعلمي بشغلك
 يحدو على اذ كارك . ومما يجري مع هذا الباب قول الآخر :
 أنت أمضى من أن تحرك للمجد . ولكن شراة^٦ الشعراء
 وفي خلاف ذلك قول الآخر :

أروح وأغدو فحوائجي . فأصبح منها غدوة كالذى أمسى
 وقد كنت أرجو للصديق شفاعتي . فقد صرت أرضي أن أشفع في نفسي
 وقول الآخر : ولعموت خير من حياة زهيدة . وألمنع خير من عطاء مكدر
 ومن مליح الاستبطاء ما كتب بعضهم : كتابي ليس باستبطاء وامسا كي ليس
 باستغناء ولكن كتابي تذكرة لك وامسا كي ثقة بك . وكتب عثمان الى علي رضي
 الله تعالى عنهما : أما بعد فقد بلغ الماء الزبي والحزام الطبيين وطعم في من لا يدفع عن نفسه :
 فان كنت مأكولاً فكن خيراً آكل . وإلا فأدركني ولما أمرق
 ومما جاء في ذم العتاب قول بعض الحكماء : العتاب رسول الفرقة وداعي القلى وسبب

(١) في ديوان البحتری « بایامك » .

السلوان وباعث الهجران. وقال بعضهم: العتاب يبعث التجنى والتجنى ابن الحاجة والحاجة أخت العداوة والعداوة أم القطيعة. وقال بعضهم: سبيل من يأخذ على أيدي الأحداث أن لا يكدرهم بالتوبيخ لئلا يضطروا إلى القحة. وقال غيره العتاب داعية الاجتناب فإذا انبسطت المعاتبة اتقبضت المصاحبة. وقال آخر: حرك اخوانك يعض العتاب لئلا يستعذبوا أخلاقك وأغض عن بعض ماتكر منهم لئلا يوحشهم الحاحك. وهذا أقصد ما قيل في هذا المعنى. وكتبت في فصل لى: العتاب مقدمة القطيعة وطلبة الفرقة فتجنبه قبل أن يجنبك حظك من السرور بروية أحبابك وانتقل عنه قبل أن ينتقل بك عن مقر غبطتك بمشاهدة أودائك وإن لم تجد منه بداً فاقصد فيه ولا تكثر منه فإن الكثير من المحبوب مملول فكيف من المكروه والاقتصاد في المحمود ممدوح فكيف من المذموم. وقال ابن الرومي:

| | |
|--------------------------------------|-------------------------------|
| أرَّقه ما أرَّقه في التقاضى | وليسَ لديك غيرُ المطلبِ تقدُّ |
| خلا وعد مددت إليه كفى ^(١) | فأعرضَ دونه مظلُّ يمدُّ |
| إذا إنجازُ وعدك كان وعداً | فيكفيني من الوعدين وعد |
| وقال: سألتُ قفيزين من حنطة | فجذتَ بكرٍ من المنع واف |
| وأتبعته منكم لى بالمجاب | مهلاً بهدبتَ فنى المنع كاف |
| كأنى سألتك حبَّ القلوب | ذاك الذى من وراء الشفاف |
| وقد أجاد الآخر حيث يقول: | |
| وكن عند ما نرجوه منك فانتا | جميعاً لما أوليت من حسن أهل |
| ولا تعتذر بالشغل عنا فأنما | تناط بك الآمال ما اتصل الشغل |

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط «مددت إليه يميني».

﴿ الفصل الثاني من الباب الثالث في الهجاء ﴾

قالوا أهجى بيت قالته العرب قول جرير :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد حدثنا أبو عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس قال قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده جلساؤه : هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شعر ودوا أنهم اقتدوا منه بأموالهم ، وشعر لم يسرهم به حمr النعم ؟ فقال أسماء بن خارجة نحن يا أمير المؤمنين ، قال وما قيل فيكم ؟ قال قول الحارث بن ظالم :

وما قومي بشعبة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا

فو الله يا أمير المؤمنين إني لأبأس العمامة الصفيقة فيخيل لي أن شعر قفاى قد بدا منها . وقول قيس بن الخطيم ^(١) :

همنا بالاقامة ثم سرنا مسير حذيفة الخير بن بدر ^(٢)

فـاـا يسرنا أن لنا بها أوبه سنود النعم . فقال هانيء بن قبيصة أولئك نحن يا أمير المؤمنين ، قال ما قيل فيكم ؟ قال قول جرير :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

والله لو ددنا أننا اقتديناه بأملأ كنا ، وقول زياد الأعجم :

لمرك بارماح بني نمير الصدور ولا قصار ؟

فو الله ما يسرنا به حمr النعم . قال أبو بكر وذكر أن جريراً لما قال :

والتغلي إذا تنحنح للقرى حك استه وتمثل الأمثالا

(١) كان شاعر الأوس وأحد رجالاتها ، اشتهر بتبعه قاتلى أبيه وجده حتى

قتلها وقال في ذلك شعراً ، أدرك الاسلام وقتل قبل أن يسلم .

(٢) في النسخ تصحيف صحبناه من ديوان قيس .

قال قد قلت بيتاً فيهم لو طمن أحد في استه لم يحكما .

وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال مرت امرأة بيني
نمير فتغامزوا إليها فقالت يا بني نمير لم تعملوا بقول الله تعالى ولا بقول الشاعر :
يقول الله تعالى (قُلْ لِلدِّينِ قَضَاءٌ مَنِ انْقَضَوْا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) ويقول الشاعر :
* فنض الطرف إنك من نمير * فخبجوا وكان النميري إذا قيل له ممن أنت ؟
قال من نمير فصار يقول من بني عامر بن صعصعة .

ولو قيل إن أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد وهو :

ولو ترمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضحت لسارى
ولو يرمى بلؤمهم نهار لدنس لؤمهم وضح النهار
وهذا مثل قول الآخر :

ولو أن عبد القيس ترمى بلؤمها على الليل لم تبدُ النجوم لمن يرى
وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى بيتن خائفا
وكان من حديث هذا الشعر أن عامر بن الطفيل بن مالك وعلقمة بن علاثة
تنازعا الزعامة فقال عامر : أنا أفضل منك وهي لعمري ولم يمت - وعمه عامر بن
مالك بن جعفر بن كلاب وكان قد اهتز وسقط - وقال علقمة : أنا أفضل منك أنا
عفيف وأنت عاهر وأنا وفي وأنت غادر وأنا ولود وأنت عاقر وأنا أدنى إلى ريعة .
فداعيا إلى هرم بن قطبة ليحكم بينهما فرحلا إليه ومع كل واحد منهما ثلثائة من
الابل مائة يطعمها من تبعه ومائة يعطيها الخاك ومائة يعقرها إذا حكم . فأبى هرم
ابن قطبة أن يحكم بينهما مخافة الشر ، وأبى أن يرحلا فخلا بعلقمة وقال له : أترجو
أن ينصرك رجل من العرب على عامر فارس مضر أندى الناس كفاً وأشجعهم لقاء
لسان ومع عامر أذكر في العرب من الأخوص وعمه ملاعب الأستة وأمه كبشة
بنت عروة الرجال وجدته أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الفحفاء وأملك من

النخع وكانت أمه مهيبة وأم علانة^(١) من النخع ، ثم خلا بعامر فقال له أعلى علقمة
تفخر أنت تناوته أهل ابن عوف بن الأحوص أعف بن عامر وأحلمه وأسوده
وأنت أعور عاقر مشؤوم أما كان لك رأى يزعلك عن هذا أ كنت تظن أن أحداً من
العرب ينصرك عليه . فلما اجتمعوا وحضر الناس للقضاء قال أتما كر كبتى البعير فرجعا
راضين . والصحيح أنه توارى عنهما ولم يقل شيئاً فيهما ولو قال أتما كر كبتى الجمل
لقال كل منهما أنا اليمنى فكان الشر حاضراً . ولقد سأله عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنهما بعد ذلك لمن كنت حاكماً لو حكمت ؟ فقال اعفنى يا أمير المؤمنين فلو
قلتها لعادت جذغة فقال عمر صدقت مثلك فليحكم . فارتحلوا عن هرم لما أعياهم نحو
عكاظ فلقبهم الأعشى منحدرآ من اليمن وكان لما أرادها قال لعلقمة اعتدلى جبلاً
قال أعقد لك من بنى عامر قال لا تغنى عنى قال فمن قيس قال لا قال فما أنا رائدك .
فأتى عامر بن الطفيل فأجاره من أهل السماء والأرض ، فقيل له كيف نجبره من أهل
السماء ؟ قال ان مات وديته فقال الأعشى لعامر أظهر إنكما حكمتانى ففعل فقام
الأعشى فرفع عقيرته في الناس فقال :

حكمتموه فقصى بينكم أبلج مثل القمر الزاهر
لا يأخذ الرشوة في حكمه ولا يبالي غبن^(٢) الخاسر
علقم ما أنت^(٣) إلى عامر الناقض الاوتار والوتر
واللامس الخيل بخيل إذا ثار عجاج الكنه الثائر
ساد وألنى رهطه سادة وكبرآ سادوك عن كابر

وشد القوم على الأبل المائة فعقروها وقالوا عامر وذهبت به الفوغاء وجهد

علقمة أن يردّها فلم يقدر على ذلك فجعل يتهدد الأعشى فقال الأعشى :

أتانى وعبد الحوص من آل جعفر فباعبد عمر ولو نهيت الأحوصا

(١) بياض في الأصل ، وذ كر القصة صاحب الأغاني بغير هذه الرواية . (٢) «غبن»

ساقطة من الأصل فاستدر كنها من بلوغ الأرب . (٣) في الأصل «لانت» .

فما ذنبنا أن جاشَ بحر ابن عمك وبحرك سابع لا يوارى الدمامصا
 كلا أبويكم كنّ فرع دمامة ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا
 تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خائصا
 يراقبن من جوع خلال مخافة نجوم العشاء القائمة القوامصا
 رمى بك في أخراهم تركك الندى وفضل أقواماً عليك مراصا
 فمض حديد الأرض ان كنت ساخطاً بفيك وأحجار الكلاب الرواصا
 فبكي علقمة لما بلغه هذا الشعر وكان بكاؤه زيادة عليه في العار . والعرب تعبر
 بالبكاء ، قال مهلهل :

يبكى علينا ولا نبكى على أحد لنحن أغلظُ أكباداً من الابل
 وقال جرير :

بكي دوال لا يرفأ الله دمه ألا إنما يبكى من الذل دوال
 وكان الخطيئة مع علقمة وليد مع عامر ^(١) فقال الخطيئة :
 يا عام قد كنت ذاباع ومكرمة لو أن مسعاة من جاريتك أمم
 جاريت قرماً ^(٢) أجاد الأحوصان به ضخم الدسيعة في عرينه شمم
 لا يصعب الأمر إلا حيث يركبه ^(٣) ولا يبيت على مال له قسم
 وقال : فما ينظر الحكماء في الفصل بعدما ^(٤) بدا واضح ذو غرة وحجول

(١) كذا في النسخ ، وفي طبقات الجحى (وكان الخطيئة مع علقمة بن علاثة
 حين نافر عامر بن الطفيل) . (٢) وفي رواية (جاريت فرعا) وفي ديوان الخطيئة :
 جاريت قرماً أجاد الأحوصان به جزل المواهب في عرينه شمم
 والأحوصان : الأحوص بن جعفر بن كلاب - واسمه ربيعة وكان صغير العينين -
 وعمرو بن الأحوص ، كما في جنى الجنتين في المثنيين للمحبي .
 (٣) في طبقات الجحى وديوان الخطيئة (إلا ريث يركبه) .
 (٤) في الأصل (بعدها) والتصحيح من ديوان الخطيئة :

وها تان القصيدتان جيدتان بارعتان في معنيهما ولكن الناس استخفوا قول
الأعشى * علقم لالنت الى عامر * فر على ألسنتهم وسقط شعر الخطيئة .

أخبرنا أبو علي بن أبي جعفر أخبرنا جعفر بن محمد حدثنا أبو عبيدة العسكري
حدثنا محمد يعني ابن الوليد حدثنا أبو زكريا عن الأصمى قال قال عبد الملك
ابن مروان لأمية ^(١) مالك والشاعر إذ يقول :

إذا هتف المصفور طار فؤاده وليث حديد الناب عند الثرائد ^(٢)

قال أصابه حد من حدود الله تعالى فأقمته عليه ، قال فهلا درأته عنه بالشبهات ؟
قال كان أهون عليّ من أن أعطل حداً من حدود الله تعالى فقال يا بني أمية أحسابكم
أحسابكم أنسابكم أنسابكم لا تعرضوا للهجاء ^(٣) فان للشعر مواسم لا يزيد لها الليل
والنهار إلا جدة ^(٤) والله ما يسرني أني هجيت بيت الأعشى حيث يقول :

تبيتون في المشى ملاء بطونكم وجاراتكم غرني يبتن خائصا
ولي الدنيا بخذا فيرها ، ولو أن رجلا خرج من عرض الدنيا كان قد أخذ عوضاً
لقول ابن حريثان :

على مكثريهم حق من يعترهم ^(٥) وعند المقلين السباحة والبذل
هكذا رواء لنا والبيت لزهير . وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الخطيئة في
الزبرقان بن بدر :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
وأخبرني أبو أحمد سمعت بعض الشيوخ يقول اجتمع مطيع بن إلياس ويحيى
ابن زياد وحامد عجرد وجعفر بن أبي وزرة في مسجد الكوفة فامتروا ^(٦) في أهجى
بيت قالته العرب ثم اتفقوا على قول الفرزدق في جرير :

(١) في الاصل (لابنه) (٢) عجز البيت في الأصل غير منقوط فصحيحناه
من الامالى والعقد الفريد ، وفيه (صوت) مكان (هتف) . (٣) في الاصل (للفصحاء)
(٤) في الاصل (حيرة) . (٥) في الأغاني « رزق من يعترهم » .
(٦) في الأصل غير منقوطة .

أنتم قرارة كل معدن سوءٍ ولكل سائلة تسيل قرار
أخذه أبو تمام فقال :

وكانت زفرة ثم اطمأنت كذاك لكل سائلة قرار
وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأخطل لجري :

ما زال فينا رباط الخيل معلة وفي كليب رباط اللؤم والعار
قوم إذا استنبح الأضياف كبهم قالوا لأنهم بولى على النار
قالت بنو تميم ماهجينا بشيء هو أشد علينا من هذا البيت . وهو يتضمن
وجوها شتى جعلهم بخلاء بالقري وجعل أمهم خادمتهم يأمرونها بكشف فرجها ،
وجعلهم ييخلون بالماء أن يطفئوا به النار فيأمرونها بأن تطفئها بيولها ينسهم وبين
المجوس لتعظيم المجوس النار ، الى غير ذلك وان نارهم من قتلها كانت تطفئها بيولها .

وقالت بنو مشاجع ماهجينا بشعر أشد علينا من قول جرير :

وبرحان غداة كبل معبد نكحت نساؤهم بغير مهور

وقالت بنو كليب ماهجينا بشعر أشد علينا من قول الفرزدق :

ألسن كليباً إذا سيم سوءة أقر كقرار الحليلة للبعل

وقالوا بل أهجى بيت قالته العرب قول الطرماخ :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت
وقال بعض الشيوخ لو أن هذا البيت لجرير أولن في طبقة لحكم على جميع
ما في معناه . وبعده وهو أبلغ ما قيل في الاحتقار والتقليل والجبن :

ولو أن حرقوصاً على ظهر نملة تشد على صفي تميم لوئت

ولو جمعت يوماً تميم مجموعها على ذرة معقولة لاستقلت

ولو أن أم العنكبوت بنت لها مظلتها يوم الندى لاستظلت

ولو أن برغوثاً يرفق مسكه إذا نهلت منه تميم وعلت

وأبلغ ما قيل في الخول قوله أيضاً :

لو كان يخفى على الرحمن خافية^١ من خلقه خفيت عنه بنو أسد
 قسوم^٢ أقام بدار الذل أولهم كما أقامت عليه خدمة^٣ الوتر^(١)
 وقال ابن الأعرابي قال أبو عمرو بن العلاء أحسن الهجاء ما تنشده العاتق في
 خدرها فلا يقبح بها مثل قول أوس :

إذا ناقة شعرت برحل وتمرق إلى حكم تعدى فضل ضلالها
 وقال ابن الأعرابي وأنا أقول مثل قول جرير :

ولو أن ثعلب جمعت أحسابها يوم التفاخر لم تزن مثقالا
 وقيل أهجى ما قالته العرب قول الأعرابي :

اللؤم أكرم من وبر ووالد^٢ واللؤم أكرم من وبر وما ولدا
 قوم^٣ إذا جرجان منهم^(٢) أمنوا من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا
 وقال النجاشي^(٣) في بني المعجلان :

قبيلة لا يغدرون بنية ولا يظلمون الناس حبة خردل
 ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراء^٣ عن كل منهل
 فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب فقال ما قيل فيكم ؟ فأنشدوه :

إذا الله مادي أهل لؤم ورقة فعادي بني المعجلان رهط ابن مقبل
 فقال عمر إن كان مظلوما استجب له ، قالوا وقد قال :

قبيلة لا يغدرون بنية ولا يظلمون الناس حبة خردل
 فقال لبت آل الخطاب هكذا . قالوا وقد قال :
 ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراء^٣ عن كل منهل

(١) مقطع من النسخ بعض عجز البيت فاستدر كناه من النقد الفريد .

(٢) في الأصل « إذا ما حر جانهم » .

(٣) في الأصل هنا « النعاس » وفي موضع آخر (النعاش) والصواب

« النجاشي » وهو شاعر أمير المؤمنين على رضي الله تعالى عنه على ما في بلوغ الأرب وغيره .

قال عمر : ذاك أقل للكأك - يعني الازدحام ، قالوا وقد قال :
 تعاف الكلاب الضاريات لحومهم ويا كلن من عوف وكب ونهشل
 قال أحيا^(١) القوم قتلاهم ولم يضيعوهم ، قالوا وقد قال :
 وما سمي العجلان إلا لقليلهم أخذ القعب واحلب أيها العبد والعجل
 فقال عمر خير القوم خادمهم ثم بعث إلى حسان فسأله فقال ما بهجاءم ولكن
 سلح عليهم قهدهد النجاشي وقال ان عدت قطمت لسانك .

وكانوا يتمدحون بتقديم الورد وكان أعزهم أسبقهم إلى الماء بابلهم ومثل قوله :
 * تعاف الكلاب الضاريات لحومهم * قول البحري :
 ورددت العتاب عليك حتى شئت وآخر الود العتاب
 وهان عليك سخطي حين تغدوا برض ليس يأكله الكلاب
 ومن التناهي في الاحتقار والخول قول بعضهم^(٢) :

قالوا الأشاقر تهجوهم فقلت لهم ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
 قوم من الحسب الزاكي بمنزلة كالنقع بالقاع لا أصل ولا ورق
 ان الأشاقر قد حلوا بمنزلة لو يرهبون بنعل عندنا علقوا
 لا يكثرُونَ وإن طالت حياتهم ولو تبول عليهم فارة غرقوا
 وقول الآخر : لو يخلوا بالحرير ما وجدوا * وقول الآخر : أستغفر الله من قوله :

يكاد من رقة ولؤم يخفى على الباري القديم
 وقول أبي الهيثم :

يا جعفر بن القاسم بن محمد مالي أراك عن الندى معزولا
 إني أقول مقالة تجري بها لو كنت من كرم إسكنت قليلا

وقول أبي تمام :

ما كنت أحسب أن الدهر يمهلي حتى أرى أحداً بهجوه لا أحد

(١) في الأصل «أحياة» (٢) نسبت في العقد باختلاف في بعض الألفاظ لزيادة الاعمج .

ونحوه قوله: هب من له شيء يريد خجابه ما بال لا شيء عليه حجاب
وقال : وأنت أنزر من لا شيء في العدد .

ومن مشهور ما قيل في بلوى الأختار بالأشرار قول الأول :
فلو أتى بليت بهاشمي خولته بنو عبد الداني
صبرت على عداوته ولكن^(١) تعالى فانظري بمن ابتلاني
وشكار جل إلى أبي العيلاء رجلاً فقال فاك دخل في العدد وخرج من العدد ،
يقول هو يعد في الحساب ويخرج من عدد التحصيل ، وهو من قول القائل :
خرجنا العداة إلى زهرة وفينا زياد أبو صمصمه
فسته رهط به خمسة وخمسة رهط به أربعة
وقلت في معناه :

أنظر اليهم ولا تعجبك كثرتهم فأنما الناس قلوا كلما زادوا
ولا يهولئك من دهائهم عدد فليس للناس في التحصيل أعداد
عجبت من زهدهم فيما يزينهم والناس مذ خلقوا في الخير زهاد
ومن التناهي في صفة الخول قول عبد الصمد في أبي العباس محمد بن يزيد المبرد :
سألنا عن ثمالة كل حي فقال القائلون ومن ثمالة
فقلت محمد بن يزيد منهم فقالوا زدتنا بهم جهالة
ومن الاستحقار الشديد قول مسلم :

أمويس قل لي أين أنت من الوري لأنت معلوم ولا مجهول
أما الهجاء فدق عرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل
فاذهب أنت طليق عرضك إنه عرض عززت به وأنت ذليل
فجعله زور الاله والهجاء فوقه فلا يهجي لضعته وقلته .

ومن ههنا أنشد إبراهيم بن الزبير قوله :

(١) وفي نسخة « ليهان على ما ألقى ولكن » .

فكن كيف شئت وقل ما تشاء وأبرق يمينا وأرعد شمالا
 نجابك لؤم منجى الذباب حته مقاذيره أن ينالا
 وهذه الأبيات وإن كانت مشهورة فإن لايرادها ههنا معنى كبيراً وذلك أنى
 لست أجده خيراً منها فى معناها وأجود، وقد شرطت أن لأضمن هذا الكتاب
 الاكل جيد اللفظ بارع المعنى، وأنت أيضاً إذا احتجت إليه تتناوله من قرب.
 وأنشد الجاحظ :

ووثقت أنك لاتسبى حماك لؤمك أن تسبى
 وقال الآخر : بذلة والديك كسيت عزاً وباللؤم اجترأت على الجواب
 وقال غيره : دناءة عرضك حصن منيع ثقيك اذا ساء منك الصنيع
 ققل لعدوك ما تشتهى فأنت الرقيق المنيع الوضع
 وقلت : لست الوضع ولا الصغير وإنما أنت الوضع عن الوضع الأصغر
 لاتفخرون وإن غدوت مقدما فعلى جبينك سيباء مؤخر
 وقال أبو نواس :

ما كان لو لم أهجه غالب قام له هجوى مقام الشرف
 يقول قد أسرف فى هجونا وإنما زاد بذاك السرف
 غائب لاتسعى لتبنى العلا بلغت مجداً بهجائى قف
 قد كنت مجهولاً ولكنى نوهت بالمجهول حتى عرف
 فجعل شرفهم ونباهتهم بهجائه إياهم، وقوله :

وما أبقيت من غيلان إلا كما أبقت من البظر المواسى
 ومن قديم الهجاء لمن لا يقع فى حياته وفى موته فجيرة قول بعضهم :
 وأنت امرؤ منا خلقت لغيرنا حياتك لاتنفع وموتك فاجع
 وقال ابن الرومى :

فلا تخش من أسهى قاصداً ولاتأمن من العاير

ولكن وقال معراتها نضاؤل قدرك في الخاطر
وقال غيره:

إني هجوت بكل لفظ مقذع
قلت: يا أبا القاسم هل أبصرت
ونظيراً لك في شؤمك
إن من شبيهك الكلب
قلت: أهنت هجائي يا ابن عروة فاتحى
وقالوا أنهجو مثله في سقوطه
وقال ابن الرومي:

خسأت كلباً مرّياً مرة فقال مهلاً يا أخا خالد
حسبك خزيّاً ابني آدم شركتكم إياه في الوالد
ومثله ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني ابن لنكك^(١) لنفسه:

وعصبة لما توسّطتهم صارت^(٢) على الأرض كالخاتم
كأنهم من سوء أفهامهم لم يخرجوا بعد إلى العالم
يضحك إبليس سروراً بهم لأنهم طار على آدم
قلت: قلت للكلب حين مرّ بي أخساً فكأنني كويت قلبك كياً
أترى انني أعدك كلباً أنت عندى إذا نبحت الثريا

ومن التناهي في الاستصغار والخلول قول زياد الأعجم:

إذا ماتني الله امرؤ وأطاعه فليس به بأس وإن كان من جرم
وله جمعت جرم على رأس نملة لباتوا شباعاً يضرطون من الشحم
ومن بليغ ماجاء في الاستصغار ما رواه قدامة قال قال مجاهد بن نashed سألني

(١) هو أبو الحسن محمد شاعر البصرة وأهجي أهل زمانه بالقطعات.

(٢) في رواية «ضاقت».

فلان عن رجل قفلت يساوى فلس ، فقال قد زدت في قيمته درهمين .

ومن أبلغ ما قيل في الهجاء قول ذى الرمة :

وأمثل أخلاق امرئ القيس أنها صلاب^٢ على طول الهوان جلودها
وما انتظرت غياها للمة^(١) ولا استؤمرت^(٣) في حل^٢ أمر شهودها
إذا امرئيات^٢ حللن^(٣) يبلدة من الأرض لم يصلح ظهوراً صعيدها
وقال غيره : لعمر ك ما تبلى سرايل عامر^٢ من اللؤم ما دامت عليه ظهورها
وقال أبو سعيد الخزومي :

يأتابت بن أبي سعيد إنها دول^٢ وأحراها بأن^٢ تنتقلا
هلا جعلت لنا كحرمة دعبل في است^٢ أم كلب لا تساوى دعبلا
وقالوا أهجي بيت قاله يحدث بيت حماد في بشار :

نسبت إلى برد وأنت لغيره فبك لبرد نلت أمك^(٤) من برد
وأخبرني أبو أحمد أخبرني أبو الحسن الصيمري عن أبي الملاء قال حماد عجرد
* نسبت إلى برد وأنت لغيره * قال بشار نهياً لحمد في هجائي في هذا البيت
خسة معان أوردتها جرير في الفرزدق فلم يقدر عليها حيث يقول :

لما وضعت على الفرزدق ميسى وضع البعيث جدعت أنف الأخطل

ومن أجود ما هجي به الدعش قول دعبل في مالك بن طوق :

الناس كلهم يسعى لحاجته ما بين ذى فرح منها ومهموم
ومالك ظل مشغولاً بنسبته يرم منها خراباً غير مرموم
يبنى يوتاً خراباً لا أنيس بها ما بين طوق إلى عمرو بن كلثوم .

(١) في الشعر والشعراء (لعظيمة) . (٢) في الشعر والشعراء (استؤذنت) .

(٣) في الشعر والشعراء (نزلن) . (٤) سقط من الأصل (نلت أمك)

فاستدر كناها من الأغاني وهي بالكاف ، وفيه (دعيت إلى برد) .

وقال ابراهيم بن اسماعيل النسوي ^(١) :

لو أن موتى تميم كلهم نشروا وأثبتوك لقبيل الأمر مصنوع
إن الجديد إذا ما زيد في خلق تبين الناس أن الثوب مرقوع
وقالوا أهجى بيت قاله محدث قول الآخر :

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم حسنت مناظرهم لقبح الخبر
ولست أعرف أبلغ في الهجاء من قول الأول :

إن يفجروا أو يغدروا أو يبخلوا لم يخفوا
وغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا

هذا أبلغ من ذكر الفروج والقول الفاحش المقذع في الأمهات والاخوات .
ومن البليغ قول حسان :

أبناء طارف لن تلقى لهم شبيهاً إلا التيوس على أفتائها الشعر
ان نافروا نفروا أو كثروا كثروا أو قامروا الزنج عن أحسابهم قمروا
كأن ريحهم في الناس إذ خرجوا ريح الكلاب إذا مامسها المطر ^(٢)

قد استوفى المعنى عند قوله (ريح الكلاب) ثم قال (إذا مامسها المطر) فجاء
بتتميم حسن . وقالوا قول جرير * تفت شواربهم على الابواب * وقالوا قول حسان :

أبوك أبو سوء وخالك مثله ولست بخير من أيك وخالك
وإن أحق الناس أن لا تلومه على اللؤم من أنى أباه كذلك

ومن الافراط في صفة البخل قول ابن الرومي في سليمان بن عبد الله بن طاهر :

تجنب سليمان قفل الندى فقد يئس الناس من فتحه
فلو كان يملك أمر استه لما طعم الحش في سلحه

(١) في الأصل (النسوي) ولعل صوابه (النسوي) نسبة الى نسا التي يجوز

فيها نسوي ونسائي : وهو ابراهيم بن اسماعيل بن يسار النسائي شاعر ابن شاعر .

(٢) في ديوان حسان المطبوع اختلاف في بعض الألفاظ .

وأبلغ ما قيل في الهجاء باللؤم قول الفرزدق :

ولو تُرمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضحت لسا
ولو لبس النهارُ بني كليب^(١) لدنس لؤمهم وضح النهار
وما يقدو عزيزُ بني كليب ليطلب حاجةً إلا بجار
وقد مر البيتان الأولان فيما تقدم . ومن الإفراط في الهجاء قول الآخر :
لو أطلع الغرابُ على نعيم وما فيها من السواتِ شابا
وقول الآخر :

سأل الله ذا المن من فضله ولا تسألن أبا وائله
فما سأل الله عبداً له نجاباً ولو كان من باهله
وقال الآخر : ولو قيل للكلب ياباهلي لأعول من قبح هذا النسب
وأنشدني أبو أحمد أنشدني أبو مسلم بن بحر لابراهيم بن العباس وهي أبيات مشهورة أوردتها لأنني لست أجدها مثلاً في معناها :

ولما رأيتك لا فاسقاً تهاب ولا أنت بالزاهد
وليس عدوك بالمتقى وليس صديقك بالحامد
أنيت بك السوق سوق الرقيق فناديت هل فيك من زائد
على رجلٍ غادرٍ بالصديق كفورٍ لنعمائه جاحد
فما جاءني رجل واحد يزيد على درهم واحد
سوى رجلٍ حارٍ منه الشقا وحطت به دغوة الوالد
فبعتك منه بلا شاهد مخافة أدرك بالشاهد
وأبت إلى منزلي سالماً وحلّ البلاء على الناقد
وقد أحسن التصرف فيها فما قاربه في معانيها أحد .

وأبلغ ما قيل في البخل قول ابن الرومي :

(١) في الأصل « بنو كليب » والتصحيح من منتهى الطلب في أشعار العرب .

يُقْتَرُ عَيْسَى عَلَى نَفْسِهِ وَلَيْسَ يَبَاقُ وَلَا خَالِدٍ
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ لَتَقْتِيرَهُ تَنْفَسُ مِنْ مَنْخَرٍ وَاحِدٍ
رَضِيتُ لَتَشْتَيْتُ^(١) أَمْوَالَهُ يَدِي وَارِثٍ لَيْسَ بِالْحَامِدِ

والناس يظنون أن ابن الرومي ابتكر هذا المعنى وإنما أخذه مما رواه الجاحظ
أن فلاناً كان يقبر^(٢) إحدى عينيه ويقول إن النظر بهما في زمن واحد من السرف .
ومن الفرد الذي لا شبيه له قول بعضهم :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنِّي بَتُّ طَاهِرًا فَبَاءَ سُلُوكِي فَبَالَ عَلَى رَجُلِي
فَقُلْتُ أَقْطَعُوهَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ فَأَنَّى كَرِيمٌ غَيْرٌ مَدْخِلُهَا رَحْلِي
وَقُلْتُ : وَقَفْتُ لَدَيْكُمْ لِلْسَّلَامِ عَلَيْكُمْ وَقُوفِي عَلَى أَطْلَالٍ سَلَمَى وَطَانِكِهِ
يُرُومُكَ تَسْلِيمُ الْعَفَاةِ كَأَنَّهُ بَوَادِرُ طَعْنٍ فِي الضُّلُوعِ مَوَاشِكِهِ
وَمَا فِيكُمْ حَرٌّ يَكْرُمُ ضَيْفَهُ وَلَكِنْ إِذَا مَا سَاءَ أَكْرَمُ نَائِلِهِ
وَإِنْ كُنْتُمْ نَاسًا وَمَا أَنْتُمْ بِهِ فَإِنَّ الْقُرُودَ وَالْكِلَابَ مَلَائِكُهُ
وليس في هذا الباب أبلغ من هذا ولا أعرقى سبقت إليه . وقال بعضهم :

سَمِعْتُ الْمَدِيحَ أَنَا سَاءَ دُونَ مَا لَمْ رَدَّ قَبِيحٍ وَقَوْلٍ لَيْسَ بِالْحَسَنِ
فَلَمْ أَفْزَ مِنْهُمْ إِلَّا بِمَا حَلَّتْ رَجُلُ الْبَعُوضَةِ مِنْ فَخَّارَةِ اللَّبَنِ
وهذا كما تراه بليغ جداً . وقال الآخر * يعطيك مانعطيك مكحلة *

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبي طاهر الدعبل :

أَتَقْفَلُ مَطْبَخًا لَا شَيْءَ فِيهِ مِنْ الدُّنْيَا تَخَافُ عَلَيْهِ أَكْلُ
فَهَذَا الْمَطْبَخُ اسْتَوْتَقَتَ مِنْهُ فَمَا بِالْكَنِيفِ عَلَيْهِ قَفْلُ
وَلَكِنْ قَدْ بَخَلْتُ بِكُلِّ شَيْءٍ فَحَتَّى السِّلْحَ مِنْكَ عَلَيْكَ بَخْلُ
وَأَنْشَدْنَا : وَإِنَّ لَهُ لَطَبَاخًا وَخَبْرًا وَأَنْوَاعَ الْفَوَاكِهِ وَالشَّرَابِ
وَلَكِنْ دُونَهُ حَبْسٌ وَضَرْبٌ وَأَبْوَابٌ تَطَابِقُ دُونَ بَابِ

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « لتفريق » . (٢) في النسخ « يقتير » .

يذودون الذباب يمرُّ عنه
 وقال الخليل بن أحمد :
 لا تعجبنَّ لخير زلٍّ عن يديه^(١)
 وقال أبو تمام :
 صدَّقَ أليته^(٢) ان قال مجتهداً
 وان همت به فافتك بخبرته
 قد كان يعجبني لو أن غيرته
 وقال آخر : يزاد لؤماً على المديح كما
 وقلت : مخبرُ الأميرِ عشيةً
 وإذا بدا جلسه
 ومحوطه أحراسه
 فالزور يصفع عنده
 وقال آخر: قى لرغيفه فرط وشغف
 إذا كسر الرغيف بكى عليه
 ودون رَغيفه قلع الثنايا
 وقال آخر: إن هذا القى بصون رغيفاً
 هو في سفرتين من آدم الطا
 مختم كلُّ سلة برصاص
 في جراب في جوف تابوت موسى
 وقلت : لنا سيد واحد ماجد
 لئيم إذا جاءه طارق
 كأمثال الملائكة الغضاب
 قال كوكب النجس يسقى الأرض أحيانا
 « لا والرغيف » فذاك البر من قسمه
 فان موقعها من لجه ودمه
 على جرادقة كانت على حرمه
 يزاد نتن الكلاب بالمطر
 يندو عليه يلاعبه
 أفضى إليه يعاتبه
 وتذب عنه كتائبه
 والضيف ينتف شاربه
 واكيلان من دري وشذر
 بكاء الخنساء إذ فجعت بصخر
 وحرب مثل وقعة يوم بدر
 ما إليه لا كلي^(٣) من سبيل
 نف في سلتين في مندبل
 وسيور قد دنت من جلد فيل
 والمفاتيح عند ميكائيل
 يقتل في الجود آباءه
 فقد جاءه كلُّ ما ساءه

(١) في الاصل غير منقوطة . (٢) أي قسمه .

(٣) في العقد الفريد « لناظر » وفي الأصل تصحيف صححناه من العقد .

وهل يطعمُ الناسُ في خبزه إذا كان يمنعمهم ماءه
فما ولغ الكلب في لؤمه لما زال يقذفُ أمعاءه
وسمعت عن أبي حفص يقول قال جعفر بن محمد العسكري أبلغ ما قاله محدث
في البخل قول بعضهم :

الحابس الرُّوثَ في أعناق بغلته خوفاً على الحبِّ من لقطِ العصافير
وأجود ما قيل في البخل قول بعضهم :

وعدت فأكدت المواعيد بيننا وأقامت إقلاع الجهام بلا وبلا
وأجردت لي جبلاً طويلاً تبعته ولم أدر أن اليأسَ في طرف الجبل
وقال أبو نواس :

رأيتُ قدور الناسِ سوداً من الصلبي^(١) وقدر الرِّقاشين زهراء كالبدور
يُبيثُها للمعتنى بفنائهم ثلاثا كنقط الثاء من نقط الخبر
إذا ماتنادوا للرَّحيل سعى بها أمامهم الحولى من ولد الذر
ولو جثتها ملأى عبيطاً^(٢) مجزراً لاخرجت مافيها على طرف الظفر
غيره: يحصنُ زاده عن كلِّ ضرر ويعمل ضرره في كلِّ زاد
ولا يروى من الآداب^(٣) شيئاً سوى بيتٍ لا بُرْهَةَ الأيادي
قليلُ المالِ نُصلحه فيبقى ولا يبقى الكثيرُ مع الفساد
وقلت في مثله :

يطعمُ دُونَ الشعبِ أولاده ويختمُ البرمة والجفنه
لم يروِ إلا خبيراً واحداً قد تذهبُ البطنَةُ بالفطنة
وقال آخر: ظلمتك اذ سألتك ماء كرم وماء الكرم للرجل الكريم
وقلت : لك بُرْمَةٌ تزهتها من أن تدنسَ بالدَّسَمِ
بيضاءُ يُشرقُ نورُها كالبدْرِ في غسقِ الظلم

(١) الصلبي بالكسر: النار. (٢) لحم عبيط : أى صحيح طرى. (٣) فيرواية «الاشعار»

لو كانت عرضك مثلها كنت الممدح في الأمم
أو كن فملك مثل قو لك كنت تاريخ الكرم
ومن أبخل يكت قيل :

وما رَوْحَتَنَا لتذب عنا ولكن خفت مرزئة الذباب
وقال أبو نواس بصف قدراً :

بغص بخلقوم الجرادَة صدرها وتنضح ما فيها يعود خلال
وتغلي بذكر النار من غير حرها وتنزلها عفواً بغير جمال^(١)
هي القدر قدر الشيخ بكر بن وائل ربيع اليتامى عام كل هزال
وقال ابن الرومي :

رأى البخل طبأفهو يحمى ويحتمى فلست ترى في بيته غير جائع
ومن أجود ما قيل في زيادة البخل والشح مع زيادة المال قول ابن الرومي :
إذا غمر المال البخل وجدته يزيد به يديساً وان ظن^(٢) يرطب
وليس عجيباً ذاك منه فانه اذا غمر الماء الحجارة تصلب
وهو مأخوذ من قول بعض حكماء الهند . وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبي طاهر :
رغيفك في الحجاب عليه قفل وحراس وأبواب منيعه
رأوا في يته يوماً رغيفا فقال لضيغه هذا وديعه
وأنشدنا عنه :

له حاجب دونه حاجب وحاجب حاجبه محتجب
وقال أبو تمام :

لا تكلفن أرض وجهك صخرة في غير منفعة مؤونة حاجب

(١) في الأصل « جفال » بالفاء ، والتصحيح من القاموس حيث قال :
الجمال بالكسر : خرقه ينزل بها القدر . (٢) سقط من الأصل (يديساً وان
ظن) فاستدر كناها من ديوان ابن الرومي المخطوط .

وقال آخر: لا تتخذُ باباً ولا حاجباً
 وأنشدنا: أعجبت أن ركب ابن حزم بغلة
 وعجبت أن جعل ابن حزم حاجباً
 وقال آخر: إحتجب الكاتب في دهرنا
 القومُ يخلون بحجابهم
 وقال آخر وأحسن:

وصاحبٌ أسرفت في مدحه
 حجابهُ ألزمني منزلي
 وقلت في معناه:

مدحت فلم تصدق ولم تك مُذنباً
 وما الجهلُ إلا أن تقرُّظَ معشراً
 وأنشدنا أبو أحمد:

لا خيرَ في صاعدٍ فأذكرهُ
 ليسَ له ما خلا اسمه نسبهُ
 والخيرُ يأتيك من بدى عمر
 كأنَّهُ آدمُ أبو البشر

ومن أظرف ما قيل في هذا الباب قول ابن الرومي:

لك وجهٌ كآخر الصكِّ فيه
 كخطوطِ الشهودِ مشبهاتٍ
 وقلت: إن كانَ شكلك غيرَ متفقٍ
 من عصبيةٍ شتى إذا اجتمعوا
 لمحاتٌ كثيرةٌ من رجال
 معلماتٍ أن لستَ بآبنِ خلالٍ
 فكذاً خلاك غيرٌ مؤتلفه
 صورت من نطفٍ قد اختلفت
 فأتتَ خلاك وهي مختلفه
 وورثتَ ذاكَ خناه^(١) أو صلفه
 والدُّرُّ لا تزرى به الصدفة

(١) في الأصل غير منقوطة .

وأجود ما قيل في عظم الجسم مع قلة العقل من الشعر القديم قول حسان :
 * جسم البغال وأحلام المصافير * وقال ابن الرومي :
 طولٌ وعرضٌ بلا عقلٍ ولا أدبٍ فليسَ يحسنُ إلا وهو مصلوبٌ^١
 وقال وأحسن :

إذا فقت الذمِّمَ بحسن جسمٍ فلا يسبقك بالشيم الشريفة
 فيصبح أفضلَ الرجلين نفساً وتصبح أعظمَ الرجلين جيفة
 وأنشدنا أبو أحمد أنشدني ابن لنسكك لنفسه :

إثنان لم ينكرهما منكرٌ بغضُ أبي إسحقَ والموت
 ويدعى العلمَ على أنه قد طارَ بالجهلِ له الصوتُ^٢
 لا يلتقى والعلم في مجلس أو يلتقى الإدراكُ والفوتُ^٣
 وكتب ابن العميد :

وليت شعري بأي حلى تصدبت له وأنت لو توجت ^(١) بالثريا وتمنطقت
 بالجوزاء وتوشحت بالحجرة وتقلدت قلادة الفكة ما كنت إلا عطلاً ولو توضحت
 بأنوار الربيع الزاهر وشدخت في جبينك غرة البدر الباهر واستعرت من الصباح
 ثوباً وخضت أوضاع النهار خوفاً ما كنت إلا غفلاً .

وأبلغ ما قيل في صفة ثقيل ما أنشدناه ابن أبي حفص عن جعفر:
 وثقيل أشدَّ من غصص الموت ومن زفرة العذاب الأليم
 لو عصت ربها الجحيمُ لا كان نِ سواه عقوبةً للجحيم
 وأبدع ما قيل في هذا المعنى قول بشار :

ربما يثقلُ الجليسُ وإن كان نَ خفيفاً في كفةِ الميزان
 ولقد قلت حين طلَّ على القوم ^(٢) م ثقيلٌ أربى على ثهلان

(١) في الأصل «توجت» . (٢) في الأصل «ولقد قلت حين في الأرض» وفي
 العقد الفريد «ولقد قلت إذ أظلم على القوم» . وفيه «أبا عمران» بدل «أبا سفيان» .

كيف لم تحمل الأمانة أرضاً حملت فوقها أبا سفيان
أخذه ابن الرومي فقال :

أنتَ فضلٌ وفضلُ الشيءِ لغوٌ ثم أردفتَ ذلةَ التصغير
حقراً الفضلُ ثم صغرْتَ عنه زادك الله بالصغيرِ الخير
ثم عرجتَ فاحتواك انتقاصٌ في اسمِ سوءٍ وجسمِ سوءٍ ضرير
ثم بردتَ فانتصفتَ من النارِ ر برد يربى على الزمهرير
فقبولُ النفوسِ إياكَ عندي آيةٌ فيك للطيفِ الخير
إنَّ قوماً أصبحتَ تنفقُ فيهم لعلى غاية (١) من التسخير
أو أناسَ غدوا وراحوا من الظُّرِّ ف على حالةِ الفقيرِ الوقيير
فتى ظفروا بزورٍ ظريفٍ أعجبتهم زخارفُ التزوير
كلا عارِبٍ لم يروا درمك البرِّ فهم يعظمون خبزَ الشعر
وكذا القومُ لم يروا لجة البحرِ رفهم يكبرون ماءَ الغدير
يأثقبلاً على القلوبِ خفيفاً في الموازين دونَ وزنِ النقيير
طر سخيلاً وقع مقيتاً فطوراً كسفاةً وتارةً كثير
وله : وثقل نبحانه من ثقل وتعالى عن كلِّ مثلٍ وند
حل الله أرضه ثقلها وعلاها بثالث من أد

وأجود ما قيل في تباعد الأشباه من الأقرباء (٢) مأخوذاً به أبو أحمد عن
الصولي قال سمعت المبرد يقول لم يقل في تباعد الأشباه من الأقرباء أجود من قول
ابن أبي عيينة يهجو خالد بن يزيد المهلبى ويمدح أباه في كلمة :

أبوك لنا غيثٌ نعيشُ بفضلِهِ (٣) وأنتَ جرادٌ ليس يبقى ولا يذَرُ
له أثرٌ في المكرماتِ يسرُّنا وأنتَ تعفى دائماً ذلك الأثر

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط «لعلى خطة» وفي الأصل نقص كلمات إستكملناه

من الديوان . (٢) في نسخة «القرناء» . (٣) في الأغاني (يعاش بوبله) .

لقد قنمت قحطان خزيًا بخالد فهل لك فيه ينزك الله يا مضر
 فسمع المهدي يته هذا فقال بل تكرمون وتوثرون . وله في مثل ذلك يقول
 في قبصة بن روح بن حاتم يفضل عليه ابن عمه داود بن يزيد بن حاتم :
 أقبيصُ لستَ وإن جهدتَ ببالغ^(١) سعي ابن عمك في الندي داود^(٢)
 شتانَ بينك يا قبيصُ وبينه إن المذمم ليس كالمحمود
 داودُ محمودٌ وأنتَ مُذَمَّمٌ عجباً لذاك وأنتما من عود
 ولربَّ عود قد يشقُّ لمسجد^(٣) نصفاً وسائرهُ لحشَّ يهود^(٤)
 وقلت في خلاف ذلك :

كم حاجة أزلتها بكريم قوم أو لثيم
 فاذا الكريم من اللثيم أو اللثيم من الكريم
 سبحان ربِّ قادرٍ قدر البرية من أديم
 فشر يفهم ووضعهم بيان في شرف ولوم
 قد قلَّ خيرٌ غنيهم فقنبرهم مثلُ العديم
 وإذا اختبرت حميدهم ألفيته مثل الذميم
 لا (نفع فيه)^(٥) للصغير من الأمور ولا العظيم
 أنظر الى كبر الجسو م ولا تسل رفع الجسم
 وقالوا أنصف بيت قيل في الهجاء قول حسان :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
 أنهجوه ولست له بكفٍ فشر كما خير كما الفداء

(١) في الأغاني (بمدرك) . (٢) في الأغاني (ذى الملا داود) .

(٣) سقط من النسخ (لمسجد) فاستدر كناها من الأغاني .

(٤) في النسخ مصحفة ، والتصحيح من الأغاني .

(٥) في النسخ يفاض ولا يله سقط (نفع فيه) أو (خير فيه) أو ما يقاربها وزناً ومعنى .

يقوله في أبي سفيان بن الحارث ، وفيه يقول أيضاً :
 أبوك أبٌ حرٌّ وأمك حُرَّةٌ وقد بلد الحُرَّانِ غيرَ نجيب
 فلا يعجبُ الناسُ منك ومنهما فما خَبَثَ من فضةٍ بعجيب
 وأخبرنا أبو علي بن أبي حفص أخيراً نا جعفر بن محمد قال أهدى ما قالت العرب قول الشاعر :
 فصبراً على ذلِّ ربيع بن مالك وكلُّ ذليلٍ خبر عاداته الصبر
 تحالفكم فقرٌ قديمٌ وذلة وبئسَ الخليفان المذلة والفقر

.....

ومن غير هذا الفن ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال قال أبو سرج
 سمعني أبو دلف أنشد :

لا يمنعك خفضُ العيشِ في دعة نزوع نفسٍ إلى أهلِ وأوطان
 نلتقي بكلِّ بلادٍ إن حلتَ بها أهلاً بأهلٍ وجسيراًناً بجيران
 فقال هذا الأُم بيت قاتله العرب . والنزوع ههنا ردء . والجيد النزاع ، وإنما
 جعل هذا البيت أبو دلف الأُم بيت قاتله العرب لأنه يدل على قلة رعاية وشدة
 قساوة ، وحنين الرجل إلى وطنه من المناقب التي يستد بها ويمدح لأجلها لما فيه
 من الدلائل على كرم الطينة ووفور العقل ، وقد قالت الحكماء : حنين الرجل إلى
 وطنه من علامات الرشدة . وقال بزرجمهر : من علامات العاقل بره باخوانه
 وحنينه إلى أوطانه ومداراته لأهل زمانه ، وقال أهرابي : لا تشك بلداً فيه قبائك
 ولا تجف أرضاً فيها قوابلك . وقالت العرب : أكرم الخيل أشدها جزعاً من
 السوط وأكيس الصبيان أشدهم بغضاً للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حنيناً إلى
 أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لامهاتها وأكرم الناس آلفهم للناس .
 وقلت : إذا أنا لأشتاق أرضَ عشتري فليس مكاني في النهي بمكين
 من العقل أن أشتاق أولَ منزل غنيتُ بخفضٍ في ذراه ولين
 وروض رماه بالأصائل ناظري وغصنُ ثناءً بالنداءِ يميني

وَأَيَّ لَأَنْسَى الْعَهْدَ إِذَا أَتَتْ بَنَاتُ النَّوَى دُونَ الْخَلِيطِ وَحَوْنِي
 إِذَا أَنَا لَمْ أَرَعْ الْعَهْدَ عَلَى النَّوَى قُلْتُ بِمَأْمُونٍ وَلَا بِأَمِينٍ
 وَتَسْنَدُ كَرَمٍ مِنْ هَذَا الْبَابِ طَرَفًا فِيمَا بَعْدَ أَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى (١) . وَمِمَّا لَا تَسْكَادُ
 تَجِدُ أَجُودَ مِنْهُ فِي مَعْنَاهُ مَا أَخْبَرْنَا بِهِ أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصَّوْلِيِّ قَالَ دَخَلَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
 عَلَى بَعْضِ الْأُمَرَاءِ بِرَقْعَيْدٍ (٢) فَجَعَلَ يَنْشُدُهُ وَجَعَلَ الْأَمِيرُ يِعَاتِبُ جَارِيَةً بَيْنَ يَدَيْهِ
 وَلَا يَسْمَعُ مِنْهُ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ :

أَدَبٌ لَعَمْرُكَ فَاسِدٌ مِمَّا تُؤَدِّبُ بِرَقْعَيْدٍ
 مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ مَا يَرِيدُ فَكَيْفَ يَعْرِفُ (٣) مَا نَرِيدُ
 مَنْ لَيْسَ يَضْبِطُهُ الْحَدِيدُ فَكَيْفَ يَضْبِطُهُ الْقَصِيدُ (٤)
 مَالِي رَأَيْتُكَ مَرْسَلًا أَيْنَ السَّلَامُ وَالْقِيُودُ
 أَغْلَا الْحَدِيدُ بِأَرْضِكُمْ أَمْ لَيْسَ بِصَطِّكَ الْحَدِيدُ
 وَقُلْتُ فِي الْمَعْنَى الَّذِي تَقْدُمُ :

قُلْ خَيْرُ ابْنِ قَامٍ فَنَاءُ كَعْدَمِهِ
 كَادَ مِنْ خَشْيَةِ الْقَرْيِ يَخْتَبِي فِي حِرَامِهِ
 جَازَ فِي اللَّؤْمِ حَدَّهُ كَأَيْسِهِ وَعَمِهِ
 كَادَ بِعَدِيكَ لَوْمُهُ لَوْ تَسَمَّيْتَ بِاسْمِهِ
 وَقُلْتُ : قَرَأْنَا بِقَوْلَا إِذْ أَتَخْنَا بِيَابَهُ فَأَصْبَحَ فِينَا ظَالِمًا لِلْبِهَائِمِ
 وَقَفْنَا عَلَيْهِ الرَّكْبَ نَسْأَلُهُ الْقَرْيَ وَنَحْنُ عَلَى أَعْنَاقِ أَغْبَرٍ (٥) قَائِمِ

(١) وذلك في « القول في الحنين إلى الأوطان في الجزء الثاني ص ١٨٦ » .

(٢) بليدة في طرف بقاء الموصل . (٣) في معجم البلدان (يبرى) مكان

(يعرف) . (٤) هذه الآيات الثلاثة هي التي ذكرت في معجم البلدان ،

وأما البيتان الآتيان فلعلهما من أبيات أخرى أوردها ابن خلكان في ترجمة

يوسف البياسي . (٥) في الأصل هنا (أعبر) وسيأتي في موضع آخر (أعبر) .

فصامَ وصوم الليل ليس بجائز وان جازاً في فقه^(١) اللثام الأشائم
أجازَ صيامَ الليل حين استفرَّه^٢ تعاوَرُ ضيفٌ في دُجى الليلِ طائم
فبتنا أديمَ الليلِ تطوى على الطوى كأننا على غبراءَ من ظهرِ واشم
وأطعمنا لما مرقتنا^(٣) من الدُّجى دحاريجَ لا تنساقُ في حلقِ طاعم
مُدَوَّرَةً سودَ المتون^(٤) كأنها خصى الزَّنجَ لاحت تحت فيشِ قوائم^(٥)
فأبشارها تحكى بطونَ عقاربٍ وارؤسها تحكى أنوفَ محاجم
ومن أعجب الهجاء هجو الرجل نفسه وهو ماروينا للخطيئة ثم قال ديك الجن :

أيها السائلُ غنى لست بي أخبرمتنى .

أنا إنسانٌ برانى الله في صورةٍ جنى

بل أنا الاسمُجُ في العيسن فدع عنك التظنى

أنا لا أسلم من نفسى فمن يسلم منى

وهجاء أبو نواس نفسه من حيث لا يعلم فقال في رجل وعده أبو نواس وعداً ثم مطله :

وأخوس^(٥) ولاجٌ على ورائح^٦ رجاء نوال لو أعين^(٦) بجود

زَوَيْتُ^(٧) له وجهاً قطوباً عن الندى وأياسته من وعده بوعيد^(٨)

فان كنتَ لا عن سوء فعلك مقلماً فدونك فاستظهر بنعل حديد

فعدى مطلق لا يطير غرابه مطير ولا يدعى له بوليد

ومن خبيث الهجاء قول ابن الرومى :

منى الهجاء ومنك الصبر فاصطبر لشرٍّ منتظر ياشرٍّ منتظر

(١) فى الأصل (نقد) مكان (فقه) الواردة فى سياى .

(٢) فى الأصل (فرقتنا) . (٣) يريد الباذنجان . (٤) فى الأصل (قيس) .

(٥) فى ديوان أبى نواس (وأخوس) بإخاء المعجمة ، ولعل ما فى الأصل هو

الأقرب . (٦) فى ديوان أ : نواس (لويغان) . (٧) فى الديوان (قطبت له) .

(٨) فى الديوان (من نائل بوعيد) .

أنتَ اللّثيمُ فإن تصبر فمن قحّة على الهوان وإن تمجزع فمن خور
رأيت عيبك شعري حين تاله شبيه عضّ أخيك الكلب للحجر
فانظر إلى الكلب مرمياً لتعلم أن لم تترك شيئاً منه ولم تذر
وقال ابن الزمكدم :

وليل كوجه البرق عيديّ ظلمة وبرد أغانيه وطول قروته
سريت ونومي فيه نوم مشرّد^١ كعقل ابن هرون ورق قدينه^(١)
على أولق فيه اختبال^٢ كأنه أبو جابر في خطه وجنونه

ومن أبلغ ما قيل في الجبن من الشعر القديم قول الشاعر :

ولو أنها عصفورة لحسبتها مسومة تدعوا عبيداً وأزماً

أى لو رأيت عصفورة لحسبتها من جبنك خيلاً مسومة، ومثله قول عروة بن الورد :
وأشجع قد أدر كتهم فوجدتهم يخافون خطف الطير من كل جانب
ومثله قول الآخر :

ما زلت تحسب كل شيء بدم خيلاً تكرّ عليهم ورجالا
وقال أبو تمام :

موكل بفضاء الأرض يشرفه من خفة الخوف لا من خفة الطرب
وأبلغ ما قاله محدث في ذلك قول ابن الرومي :

وقارس أجبن من صفره يحول أويصور من صفره

لو صاح في الليل به صائح^٣ لكانت الأرض له طفره

يرحمه الرحمن من جنبه فيرزق الجنده النصره

وقال في سليمان بن عبد الله بن طاهر :

قرن سليمان قد أضرب به شوق^٤ إلى وجهه سيد نفه

لا يعرف القرن وجهه ويرى قفاه من فرسخ فيعرفه

(١) في معجم البلدان (كعقل سليمان بن فهدودينه) . (٢) في المعجم (فيه الهباب) .

وقال فيه : هو الأسد الورد في قصره . ولكنه ثعلب المعركة
ومن ظريف ما جاء في ذلك قول أبي الغمر هرون بن محمد من أهل آمل خرج
عليه اللصوص فسلم اليهم متاعه وهرب : أنشدناه أبو أحمد عن الأنباري :
طلبت تشجعتي ضللاً بتضليل وللشجاعة خطبٌ غير مجهول
هاتى شجاعاً بغير القتل مصرعه أوجدك ألف جبان غير مقتول
والله لو أن جبريلاً تكفل لي بالنصر ما خاطرت نفسي لجبريل
إسمع أحدك عن بأسى شكر؟ خلاف بأس المساعيز البهايل
لما بدت منهم نحوى ؟ تسرع الذعر في عرضي وفي طولي
حتى اتقيتهم طوعاً بذات يدي وانصبت أطوى الفلاميل إلى ميل
الله خلصني منهم و ؟ حتى تخلصت مخضوب السراويل
وهذا خلاف ما قاله المتنبي :

وإذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز أن تموت جياناً

وقال سعيد بن العاصي حين هرب مروان بن محمد :
لجَّ الفرارُ بمروانٍ قُلتُ لهُ عادَ الظلومُ ظليماً همُّ الهربِ
أنى الفرار وتترك الحرب إذ كشفت عنك الهوينا فلادين ولا حسبِ
فراسه الحلم فرعون العذاب وان تطلب نداء فكلب دونه كلبُ
فشبهه بالنعامة في الجبن وهو من أنفر الحيوان . وقال بعض العرب :
نِفْرِجَةٌ يَنْفِرُ مِنْ ظِلِّ الشَّجَرِ فَوَادِهِ أَنْثَى وَضُرْسُهُ ذَكَرُ
وَالنَّفْرِجَةُ الْجَبَانُ . ومن جيد ما قيل في النظر قول بعضهم :

الكوكب الذنبيُّ يخسر بالمعائب بعد سبعة
خلعوا عليه وبجلاو وصار في عزٍّ ومنعه
وكذاك يُفعلُ بالجذو ولنحراها في يوم جمعه
وقريب منه : وزارة العباس منكوسة تقتلع الدولة من أسها

كأنه حين غدا راكباً في خلعة يعجز عن لبسها
جارية السوء إذا جربت ثياب مولاها على نفسها
وأكسل ما سمعناه ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن عماد عن سليمان عن يحيى بن
سعيد الأموي لبعضهم :

سألت الله أن يأتي بسلي وكان الله يفعل ما يشاء
فياخذها ويطرأها بجني ويرقدها وقد كشف الغطاء
وياخذني ويطرأني عليها ويرقدها وقد قضى القضاء
ويرسل ديمة سحا علينا فيغسلنا ولا يلقى عناء
أخبرنا أبو أحمد عن أبي عمر عن ثعلب قال قلت لابن الأعرابي من أحق
الأعراب ؟ قال أعرابي سبق الناس إلى الموسم وجعل يدعو الله لحاله وشأنه
ويقول : اللهم اقض حاجاتي قبل أن يدهمك الوفد . قال ثعلب أفلا أدلك على أحق
منه الذي يقول :

خلق السماء وأرضه في ستة وأبوك يمدد حوضه في عام
وسألت بعض الأديباء من أهل البصرة فقال أي الشعراء أشد حمقاً ؟ قلت الذي يقول :
أتبه على إنس البلاد وجنّها ولو لم أجد خلقاً انتهت على نفسي
أتبه فلا أدري من التيه من أنا سوى ما يقول الناس في وفي جنسي
فان صدقوا أي من الانس مثلهم فما في عيب غير أي من الانس
فقال ما عدوت ما في نفسي . وقال بعضهم لابنه إياك والكبر وكيف الكبر مع
النفطة التي منها خلقت والرحم التي فيها حملت والغذاء الذي به غذيت .
ومن بليغ ما جاء في ذم الكبر قول بعضهم : التواضع مع السخافة والبخل أحد
من السخاء والأدب مع الكبر والعجب . وقلت في مثل هذا :

وعندهم مذنب منيب أحمد من محسن مدل

وأبلغ ما قيل في صلابة الوجه قول الأعرابي : لو دق بوجهه الحجارة لرضها

ولو خلا بالكعبة لسرقها .

ومن المنظوم قول بعضهم :

لو كنت من شيء خلافتك لم يكن ليكون إلا مشجباً في مشجب
يا ليت لي من جلد وجهك رقعة فأقد منها حافراً للأشهب
والبيت الأول مأخوذ من قول بعضهم : فلان يشجب من حيث رأيت وجدت (لا) .
وقد أحسن ابن أبي العتاهية في قوله :

قتلت (لا) فأنها خلعت خلعة العدم^(١)

فهي تستهلك الجنيس وتأتي على الكرم

وقول أبي تمام :

وسابح هطل التمداء هتاف على الجزاء آمين غير خوان

أظمي الفصوص ولم نظماً قوائمه فخل عينك في ظمآن ريان

قلو تراه مسيحاً في الحصى ريم تحت السنايك من مثني ووحدان

أيقنت ان لم تثبت أن حافره من صخرة تدمر أو وجه عثمان

وقال في معناه يمدح رجلاً ويهجو عثمان هذا :

عثمان لا تلهج بذكر محمد يرضيك طول المجد عنك وعرضه

بذلك كله امساكه ويفوت بسطك في المسكارم قبضه

وكان عرضك في السهولة وجهه وكان وجهك في الحزونة عرضه

وقال أبو الشعمق :

صلاية الوجه سلاح الفتي ورقة الوجه من الحرفه

من كان صلباً وجهه محكماً فأنت منه الدهر في طرفه

ومن أبخل ما قاله محدث قول ابن طباطبا الأصماني يخاطب غلامه :

اجعل الزوج من سراجهك فردا واقصد يا غلام والقصد أجدى

ان يكن قلبك الضياء ردياً فاقصادي للزر أردى وأزدي
وقد غير هذا البيت في وجوه الآيات المقولة في البخل .

ومن أملح ما قيل في مخالفة ظاهر الرجل باطنه قول بعضهم :
إذا ما جئتَ أحدَ مستمبحا فلا يفررك من نظره الأثيقُ
لهُ خلقٌ وليسَ عليه خلقٌ كبارقة - تروق ولا تريق
ومن ملح في الدعوة رزين العروضي :

لقد جئت يا ابنَ أبي تبع بأمِّ الدواهي لدى الجمع
حلفت بأنك^(١) من حمير وليس اليمين على المدعى
وملح أيضاً في قوله :

ان فخرَ الناسُ بآبائهم أنيتهم بالعجب العاجب
قلت وأرغمت أبا خاملاً أنا ابن أخت الحسن الحاجب
ومن أملح ما قيل في إفشاء السر قول بعضهم :
أودعته السرَّ فالفيتهُ أنم من كأسٍ على راح
وقال السري :

ثنى عنك فاستشعرت هجراً خلالُ فيك لست لها براض
وانك كلما استودعتِ سرّاً أنم من النسيم على الرياض
وقد أحسن كعب بن زهير غاية الاحسان في قوله :
ولا تمسك بالعهد الذي عهدتْ إلا كما يمسك الماء الغرايل
وأخذ الخطيئة فقال :

أغرباً لآ إذا استودعتِ سرّاً وكانونا على المتحدئينا
والكانون: الرجل الثقيل ، قال الشاعر :

ليت الكوانين في زبل معلقة تحت الثريا بجبل ثم ينقطع

(١) في الأصل «حلفت بآبائك» .

وقد مر فيا تقدم بيت الخطيئة .

ومدح ابن الرومي ابن المدير ^(١) فرمد يحه فقال فيه :

رَدَدْتُ عَلَى مَدْحِي بَعْدَ مَطْلٍ وَقَدْ دَسَّتْ مَلْبَسَهُ الْجَدِيدَا

وَقَلْتُ أَمْدَحُ بِهِ مَنْ شَتَّ غَيْرِي وَمَنْ ذَا يَقْبَلُ الْمَدْحَ الرَّدِيدَا

وَلَا سِيَا وَقَدْ أَعْلَقْتُ ^(٢) فِيهِ مَخَازِيكَ اللَّوَاتِي لَنْ تَبِيدَا

ثم أخنى عليه بالهجاء حتى قال فيه وقد ضربه الريح بالأهواز ضربة في وجهه
مدحه بها البحتري مدحاً كثيراً فمن ذلك قوله :

وَوَجْهُهُ ضِمَانُ الْبَشَرِ فِيهِ مَوْقِفٌ عَلَى النَّجْحِ وَالْحَاجَاتِ تُتْرَى عِبَالُهَا

بِهِ مِنْ صَفِيحِ الْهِنْدِ وَشَمُّ تَبِينِهِ صَفِيحَةٌ وَضَاحٌ يَرُوقُ جَمَالُهَا

مَتَى رِبْدَتُهَا عِزَّةٌ أَوْ حَفِيزَةٌ أُعِيدُ إِلَيْهَا بِالسُّؤَالِ صَقَالُهَا

مَتَى تَرَاهَا يَوْمًا عَلَيْهَا دَلِيلُهَا تَعْجِبُكَ مِنْ شَمْسٍ عَلَيْهَا هَلَالُهَا

وذكرها ابن الرومي فأفحش في قوله :

بُوجَهُ أَبِي اسْحَقَ صَدْعٌ كَعَرَضَةٍ لَهُ قِصَّةٌ غَيْرُ الَّذِي هُوَ يَظْهَرُ

يُخْبِرُ عَنْهُ أَنَّهُ أَثَرُ ضَرْبَةٍ يَبْعُضُ سَيْوْفِ الزَّيْنَجِ حِينَ يُخْبِرُ

وَمَا ضَرْبَتُهُ الزَّيْنَجُ فِي الْوَجْهِ بَلْ رَأَى أَبْوْرَهُمْ فَانْشَقَّ فِي وَجْهِهِ حَرُّ

فِي آيَاتِ سَخِيفَةِ فَطْلَبِهِ ابْنُ الْمَدِيرِ أَشَدَّ الْطَلْبِ فَلَمَّا ظَفَرَ بِهِ وَأَرَادَ قَتْلَهُ أَنْشَأَ يَقُولُ :

حَقُّكَ الصَّفْحُ عَنْ ذُنُوبِي وَحَقِّي أَنْ قَتْلِي مُحَلَّلٌ لَكَ طَلْقُ

فَاعْفُ عَنْ عَبْدِكَ الْمُسِيءِ وَلَا تَبْسُطْ بِمَا يَسْتَعُوْ مَا تَسْتَحِقُّ

فَعَفَا عَنْهُ وَأَجَازَهُ . وَقَالَ يَهْجُو بِخِيَلٍ :

نَعْمَاكَ عِنْدِي الَّتِي أَقْرَبُ بِهَا أَنْكَ أَصْبَحْتَ لِي مِنَ الْغَيْرِ

وَحَبْلُكَ الذَّمُّ لَا تُقْ بِكَ مَا أَشْبَهَ خَطْمَ الْخَنَزِيرِ بِالْقَدْرِ

أَبْدَيْتَ فِي أَوْلِيَاةٍ لِّؤْمُكَ مَا قَدَرْتَ فِي أَخْرِيَاةِ الْآخِرِ

(١) في دائرة المعارف للبستاني (ابن المهدي). (٢) في الأصل (أعبت). .

كالقطران الذي يرى أبدأً في رأسه ما اتقى من العكر
 وهو من قول الناس أول الدن دردى . وقالت العلماء البلاغة أن تجعل المعنى الدنى
 رفيعاً والمعنى الرفيع وضعياً . ومثل قول ابن الرومي قول الديلمي :
 في أوان الشباب عاجلني الشيب وهذا من أول الدن دردى
 وليس هذا بالمختار لا بتدال لفظه . وقلت في بخيل :

قفع البردُ ضيف عمر وفاضحي مثل من فيه بأخى زمانه
 بات للبرد في طهارة سوء ومن الجوع والطوى في بطانه
 وهو قدماً للضيف جوع وقر ولمولاه ذلة ومهانه
 جمع الرأس بين رأسه ورجلى فكأني في يته أرسانه ؟
 وقلت : ضفت عمراً فجاءني برغيف زادني أكله على الجوع جوطا
 ثم ولى يقول وهو كئيب لطف نفسى على رغيف أضيما
 كان خداعة الضيوف ولكن ربما أصبح الخدوع خديما
 كنت أنزلته محلاً رفيعاً ففدا ذلك الرفيع وضعيا
 عجباً منه إذ أتبع هجاء كيف لم يمتنع وكان منيعا
 (اتفاق الأسماء والألقاب وتباعدهما بينها في الأخلاق)

قال الأول في ذلك :

يزيد الخير إن يزيد قومي سميك لا يزيد ولا تزيد
 يقود عصاة وتقود أخرى فيرزق من يقود ومن تقود
 شبيهك في الولادة والتسني ولكن لا يجود كما تجود
 ومثله : على وعبد الله بينهما أب وشتان ما بين الطبائع والفعل
 ألم تر عبد الله يلحى على الندى علياً ويلجأ على البخل
 ومثله : فان بك جحرانا إلى جمع نسبة فني الرأى والأخلاق مختلفان
 وما أنت مثلي في مقام أقومه لدى البأس إلا أننا أخوان

آخر : لئن وصلت أوتنا انتساباً لقد قطعت مرارثنا العقول
 أبوك أبي وأنت أخي ولكن تبانت الطبائم والشكول
 أخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال قال لنا المكتفي بالله يوماً ما أهلك بيت
 من الشعر وأفجر قائل أتعرفونه ؟ فقال يحيى بن علي المنجم قول أبي نواس :
 ألا فاستنى خمرآة قل لي هي الخمر ولا تستنى سرّاً إذا أمكن الجهر
 فقلت له ان المأمون أمر أن يخطب بهذا البيت على منابر خراسان وقال من
 عيوب محمد أنه استجلس رجلاً يقول ألا استنى خمرآة ، ولكن الحسين بن الضحاك
 الخليع قد قال ما هو أهلك من هذا قال وما هو ؟ فأنشدته :

أتبعْتُ مُسْكراً بِسُكْرٍ وَابْتَعْتُ خُمْرًا بِقَدَرٍ

فقال هذا لعمري أهلك من ذلك . قال أبو هلال رحمه الله تعالى : وأبلغ
 الهجاء ما يكون بسبب الصفات المستحسنة التي تخص النفس من الحلم والعلم والعقل
 وما يجري مجرى ذلك ، وليس الهجاء بقبح الوجه وضوالة الجسم وقصر القامة
 وما في معنى ذلك بليغاً مرضياً ، وينبغي أيضاً أن يتضمن الهجاء والمدح من نعوت
 المهجو والمدوح وأسمائهما وصفاتهما ما هما مشهوران به فاذا ذكر لم يخفيا .

خبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي عثمان^(١) عن التوزي عن أبي عبيدة
 قال مدح مصعب بن عمير الليثي عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان فحرمه فقال^(٢) :

سِروا قَدْ جَنَّ الظَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَبُئْسَ امْرُؤٌ يَرْجُو الْقَرَىٰ عِنْدَ عَاصِمٍ
 دَفَعْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ كَلْرُحٍ خَاطِبًا^(٣) فَشَدَّ عَلَىٰ أَكْبَادِنَا بِالْعِمَامِ
 وَمَالِي مَنْ ذَنْبٍ إِلَيْهِ عَلِمْتُهُ سَوَىٰ أَنِّي قَدْ جِئْتُهُ غَيْرَ صَائِمٍ
 فَلَوْلَا يَدُ الْفَارُوقِ عِنْدِي رَمِيَتْهُ بِقَافِيَةٍ يَحْدِي بِهَا فِي الْمَوَاسِمِ

(١) (أبي عثمان) غير موجودة في الأصل فزدناها إعتقاداً على ماورد في أسانيد
 الكتاب في غير هذا الموضع . (٢) ذكر صاحب الاغانى ثلاثة أبيات منها منسوبة
 للحزبن باختلاف في بعض الألفاظ . (٣) في الاغانى « كالتيبس طاعماً » .

فليتك من جرّم بن زيانَ أوفى نعيم أو النوكى أبان بن دارم
 أناسٌ إذا ما الضيفُ حلّ بدارهم غداً جائعاً غرثان ليس بناعم
 فلما بلغ ذلك عاصماً قال ما أكثر من يسمي عاصماً حتى يقول : عاصم بن عمرو بن
 عثمان بن عفان فبلغه ذلك فقال :

جنبته عاصماً من أن تلمّ به أغنى ابن عمرو بن عثمان بن عفان
 إذا أناخت به الضيفان طارقة جاءت بنوه إلى الضيفان ضيفانا
 فبلغه ذلك فقال : الآن طوقى بها طوق الحمامة لعنه الله تعالى . وقال بعضهم :
 أرى ضيفك في الدار وكرُب الموت يغشاه على خبزك مكتوبٌ سيكفيكم الله
 وقال بشار^(١) :

وضيفٌ عمرو وعمرٌ يسهران ممّا عمرو لبطنته والضيفُ للجوع
 آخر : نوالك دونهُ خرطُ القناد وخبزك كالثريا في البعاد
 ولو أبصرت ضيفاً في المنام لحرمت المنام إلى التناد
 أرى عمرَ الرغيفِ بطولُ جدّ آ لديك كأنه من قوم عاد
 وما أهجوك أنك كفء شعري ولكنى هجوتك لانكساد
 وقال آخر : رأى الصيفَ مكتوباً فظنّ بخله وتصحيفه ضيفاً فقام يوابه
 ورأيت في ألفاظ هذا البيت زيادة فقلت :

قد كان لئال ربا فصار في البخل عبده وصحف الصيف ضيفاً فقام يلطمُ خده
 وقال أبو نواس : * على خبز إسماعيل واقيةُ البخل * أخبرنا أبو أحمد أخبرنا
 أحمد بن عماد أخبرنا ابن حدثني محمد بن عمران بن مطر الشامي حدثني خالي الحسن
 ابن محمد قال نصب إسماعيل بن أبي سهل في صحن داره فاصطحبنا أربعين يوماً
 ومعنا أبو نواس فبلغت نفقته أربعين ألف درهم فقال أبو نواس بعد ذلك فيه :
 خبزُ إسماعيل كالوشى إذا ماشق يرفا

(١) من المولدين ، كان رقيقاً ضريباً ، اتهم بالزندقة فضرب حتى مات .

عجيباً من أثر الصنعة فيه كيف يخفى
 إن رفاءك هذا أطف^(١) الأمة كفا
 فإذا ألصق بالنصف من الحروف نصفا^(٢)
 أطف الصنعة حتى ماترى مطعن أشفى^(٣)
 مثل ماجاء من التنويع ما غادر حرفاً
 وله في الماء أيضاً عملٌ أبدع ظرفاً
 مزجه العذب بماء السبر كي يزداد ضعفاً
 فهو لا يسقيك منه مثل ما يشرب^(٤) صرفاً

فلم يسبق أبو نواس إلى هذه المعاني وهي كما تراها غاية : قال وقال فيه أيضاً :
 على خبز إسماعيل واقية البخل فقد حلّ في دار الأمان من الأكل
 وما خبزُهُ إلا كعتقاء مغرب تصورُ في بسط الملوك وفي المثل
 يحدث عنها الناس من غير رؤية سوى صورة ما أن تمر ولا تحلى
 وما خبزُهُ إلا كأوى يرى ابنه ولم يراوى في الحزون وفي السهل^(٥)
 وما خبزُهُ إلا كليب بن وائل ليالى يحى^(٦) عزه منبت البقل
 وإذا هو لا يستب خصمان عنده ولا الصوت مرفوعٌ بجحدٍ ولا هزل
 فان خبزُ إسماعيل حلّ به الذي أصاب كليلاً لم يكن ذاك عن ذلّ
 ولكن قضاء ليس يسطاع رده بحيلة ذى مكر ولادهى ذى عقل
 وكان الجاحظ يفضل قوله * وإذا هو لا يستب خصمان عنده * على قول مهمل
 * واستب بهلك يا كليب المنزل * وغير ذلك قال ابن الرومي :

(١) في ديوان أبي نواس « أحرق الأمة » : (٢) في الديوان « وإذا قابل
 بالنصف من الجردق نصفا » والجردق : الرغيف . (٣) في الديوان (مغرأشفى) .
 والاشفى بالكسر : المثقب . (٤) في النسخ (يشرب) مكان (يسقيك) وبالعكس .
 (٥) في ديوان أبي نواس « في حزون ولا سهل » . (٦) في الديوان « ومن كان يحى » .

وقينة أبرد من ثلجة تظل منها النفس في ضجة
 كأنها من تنها ثومة لكنها في اللون أترجة
 تفاوتت خلقتها فاعتدت لكل من عطل محتجه ^(١)
 كأنها والوشم في جلدها زرينخة شيت بيلنجه
 خراجة للفسق دخاله تعجيبها الدخلة والخرجه
 كأنما قعقتها فحمة فت عليها طابث ثلجه

وهي أبيات سخيفة تركت أكثرها لسخفه . ونقل قوله * فهي لمن عطل محتجه *
 إلى موضع آخر فقال في اسماعيل بن بلبل :

لأُسقيت نعي تسربلتها كم حجة فيها لزنديق
 وقد أبدع أبونواس في قوله يهجو جعفر بن يحيى :

قالوا امتدحت فماذا اعتضت قلت لهم خرق النعال وإخلاق السراويل ^(٢)
 ذاك الأمير الذي طالت علاوته كأنه ناظر في السيف بالطول
 وكان جعفر طويل الوجه والقفا . وقال فيه أيضا * قفا ملك يقضي الهدوم على بشق *
 وقلت : سوداء يذرف دمعها مثل الاتون إذا وكف
 وكأنها من قبها سلح العليل على الخرف
 وقال أبو تمام :

فأشهد ^(٣) ماجست على إلا وزيد الخليل دونك في الشجاعة
 ووجهك إذ رضيت به نديما فانت نسيج وحدك في القناعة
 ولو بدلت وجهاً إذا لم أصل به نهراً في جماعه
 ومن أعجب ما قيل في كبر الأنف قول كشاجم :

لقد مرَّ عبد الله في السوق راكباً له حاجب من أنفه وهو مطرق
 رعبت له من جانب السوق مخطة نوهت أن السوق منها سيقرق

(١) في الأصل « فهي لمن عطل محتجة » . (٢) في ديوان أبي نواس

« إبلاء السراويل » . (٣) في ديوان أبي تمام « فأقسم » .

فأقتر به أنفأ وأقتر برُّه على وجهه منه كنيفٌ معلقٌ
وقال غيره : أنت في البيت وعرينك في البيت يطوفُ
ومن أقبح ما جاء في قبح الاسنان قول جرير :

إذا ضحكت شبهت أنيابها العلى خنافس سودا في صراة قلب
وأما خص الأنياب العلى دون السفلى لأنها تبدو في التبسم والتكلم وعند
الثأوب ، وهو كقول الآخر :

إذا كان يهدى برد أنيابها العلى لأقتر مني اثني لفقير
فشبه أسنانها بالخنافس وسعة فيها بالقلب ، والصراة : الماء الفاسد فشبه به فساد
نكمتها . وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن الرياشي عن ابن سلام قال دخلت ديباجة
المدنية على امرأة فقيل لها كيف رأيته قالت لعنها الله كأن بطنها قرية وكأن
تديها دبة وكأن استها رقعة وكأن وجهها وجه ديك قد نفش عرفه يقاتل ديكاً .
ومن بديع الهجاء بالتبرق والتمخط والبخر قول ابن الرومي :

تَحْسَبُ مَزْكُومًا وَإِنْ لَمْ تَزْكَمْ مِنْ سَدَّةٍ فِي أَنْفِكَ الْمَوْرَمِ
مُحْشَرَجَ الصَّدْرِ طَلَى بَلْغَمِ إِنْ لَمْ تَنْخَعْ مَرَّةً تَنْخَمِ
نَخَامَةً كَالضَفْدَعِ الْمَوْشَمِ دَكْنَاءَ رِقْطَاءَ بَقِيحِ أَوْدَمِ
مَمْتَخَطًا بِالسَّكْوَعِ أَوْ بِالْمَعْصَمِ تَضْرِبُ مِنْ أَنْفٍ وَتَفْسُومِنْ فَمِ
ذَانِكُهُ مِنْ لَمْ يَمْتَهُ يَصْدَمِ حَتَّى دَعَاكَ الْمَلَأُ أَرْحَمِ تَرْحَمِ
وقال جعظة^(١) في البحر :

تَنَفَّسَ فِي وَجْهِهِ فَكَدَّتْ أَمُوتُ وَأَعْرَضَ عَنِّي جَانِبًا فَحَيَّتُ
وَنَسَى ؟ حَتَّى حَسِبْتُ بَأْنِي وَرَبِّكَمَا يَا صَاحِبِي خَرِيتُ
وقال بعضهم في سرعة الكلام :

كَأَنَّ بَنِي رَالَانَ إِذْ جَاءَ جَمْعُهُمْ فَرَارِيجُ يَلْقَى بَيْنَهُنَّ سَوِيقُ

(١) هو أحمد بن جعفر البرمكي ، لقبه عبد الله بن المعتز بجعظة .

وقال دعبل في قصر الشعر :

فوهاءُ شوهاءُ لها شعرةٌ كأنها خملٌ على مسح

وقال ابن المعتز في أمر ديتنف :

وَخَدُهُ مُشَوِّكٌ مُزَوَّرٌ التلويز وَأَنْفُهُ كَسْتَرَةٌ مُشْتَرِقٌ الْأَفْرِيزُ (١)
وَقُلْتُ : لِمَبِّ الزَّيْمَانُ بِحَسَنِ وَجْهِ مُحَمَّدٍ قَدْ كَانَ مَعْرُوفَ الْجَمَالِ فَلَمْ يَزَلْ
عَمْدِي بِهِ مُتَكَفِّرٌ مُتَعَصِّرٌ ثُمَّ اغْتَدَى مُتَصَنِّدًا مُتَزَعِّفًا
وَكَأَنَّمَا صَدَّغَاهُ فِي وَجَنَاتِهِ جَعْلَانِ يَنْتَابَانِ سَلْحَاءَ أَصْفَرَا

وقال ابن الرومي في غير هذا المعنى يحكى عن امرأة :

أَنَا كَبَّةُ النَّبِكِ الَّتِي نَصَبْتُ لَهُ فَتَلَقَ مِنِّي (٢) حَيْثُ شَتَّتَ وَكَبِرَ
فَتَبَيْتُ بَيْنَ مُقَابِلٍ وَمَدَائِرٍ مِثْلَ الطَّرِيقِ لِمُقْبِلٍ أَوْ مَدِيرٍ (٣)
كَأَجِيرِ الْمُنْشَارِ يَجْتَذِبَانِهِ مُتَنَازِعِينَ فِي فُلُجٍ صَنِوِيرِ
وَلَا أَعْرِفُهُ سَبْقَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ مِنْ أَظْرَفِ مَعْنَى وَأَعْجَبِهِ .

وقال أيضاً وهو من ظريف المعاني :

رَأَيْتُ فِي دَارِ حَسَنِ مَشْرَعَهُ وَامْرَأَةً قَاعِدَةً مَرْبَعَةً
لَهَا بِظُورٌ فِي اسْتِهَا بِجَمْعِهِ كَأَنَّهَا أَتْرَجَةٌ مُقَقَّعَةٌ

وقال في خصي أراد أن يتزوج بامرأة :

قُلْ لِنَجْحِ أَخْطَأَتَ بَابِ النَّجَاحِ إِذْ تَعَاطَيْتَهُ (٥) بِلَا مِفْتَاحٍ
لَسْتُ بِالسَّابِحِ الْمَجِيدِ فَدَعِ عَنْكَ رُكُوبَ الْبَحَارِ لِلْسَّابِحِ

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (تحشى من الافريز) . (٢) في الأصل مبهمه من

النقط . (٣) في ديوان ابن الرومي (فتلق منها) . (٤) في الديوان (ولمدير) .

(٥) في ديوان ابن الرومي المخطوط (بل تعاطيته) .

فقطع الحب بالخصي كما يفسطم فقد المردى بالملاح
 ليت شكري بما تظنك تصبي قلب ودان يا كسير النجاح
 أبوجه كأنه وجه قرد حائل اللون جامد المصباح
 نمشة فوق صفرة قتراء كونيم الذباب في اللقاح
 إنما أنتم ققاح فمهلاً ماغناء الققاح في الأحرار
 إن من يعشق النساء بلا أبر كمثل الغازي بغير سلاح
 لن يكون الطمان إلا برمح فدعوا^(١) الطعن للطوال الرماح
 ثم قال: معشراً شبهوا القروود ولكن خالفوها في خفة الأرواح
 وهي طويلة. ومن أعجب ما قيل في البحر قول الخالدي في رجل حلق مباله بعد أن أطاله:

حلقت مبالك جهلاً بما يوارى من النكرات القباح
 فعذبت صعبك حتى المساء وعذبت عرسك حتى الصباح
 فلا أبعد الله ذاك السبال فقد كان متراً على مستراح
 وقال ابن السكن:

رجل يعبئ الكأس كل عشية ويعاقب المسواك كل صباح
 وقلت: قال لي صاحبي وقد صفقته نفحات الكرو من في وصف
 لعن الله ليلة بت فيها مع رفيقي كأننا في السكينف
 وقد أبدع ابن الرومي في قوله:

فسا على القوم فقالوا له إن لم تقم من بيننا قمنا
 فقال لاعدت فقالوا له من يصف فيه ذا كما كنا
 وقال أيضاً يذكر قينة:

مسمومة^(٢) الريق إذا قبلت صحفت التقييل تقييلاً

(١) في ديوان ابن الرومي (فاتركوا).

(٢) في الأصل «مسخوقة» والتصحیح من ديوان ابن الرومي المخطوط.

قبلها جلود عرارة يحسنُ للبخراءِ تقيلاً
 فاحشةُ النقصابِ لكنها قد كملت بالبظر تكبلاً
 أزرى بها اللهُ فلم يعطها إلا بطول البظر تفضيلاً
 إذا بدا الفيلُ وخرطومُهُ قلنا أمارتَ بظرها الفيلاً
 غول بيت الشرب من قبها يرونَ في النوم التهاويلاً
 ما أحسنَ الأرقم طوقاً لها وأحسنَ الأسود اكبلاً
 قد عذَّبَ اللهُ أمراً نالها طورينِ تعجلاً وتأجيلاً
 لها ضراطٌ ريمه عاصفٌ يطفىء في الليل القناديلاً
 حلت سراويلي على واسع ماخلته إلا سراويلاً
 أحلت تنكيلى ياب استها فكان للتنكيل تنكيلاً
 لورامت التوبة لم تستطع لسنه الشيطان تبديلاً
 يابسة العود وقد ذلت قطوفها للنيل تذليلاً
 وهي طويلة عجبية ليس لأحد في ملاحظتها وعلا وجودتها وكثرة معانيها شيء .

وبما قيل في طول اللحية قول ابن الرومي :

ولحية لو شاء ذو المغارج أغنى بها كواسد النواسج^(١)
 بنسج مسحين لخان الدارج^(٢) وفرق الباقي على الكواسج

ومن ذلك قول بعضهم وهو مشهور :

ألم ترَ أنَّ اللهَ أعطاك لحيةً كأنك منها قاعدٌ في جوائق
 وقال الآخر : ألم ترَ أنَّ اللهَ أعطاك لحيةً كأنك منها بين تيسين قاعدٌ

وكان العوفى إذا كتب كتاباً أخذ لحيته تحت إبطه وإذا كله انسان من
 الجانب الآخر التفت إليه فخلصت لحيته من تحت ابطه فمرت على الكتاب

(١) سقط من النسخ « كواسد النواسج » وكذلك في شعر ابن الرومي نقص

كثير في الأصل استكملناه من الديوان المخطوط . (٢) في الديوان (الديزج) .

فطمست جميع ما كتبه فيقول اللهم غفرا ، فقال فيه بعضهم أوفى غيره :
 لحية قاضي القضاة لو جهدت مجهودها لم تكن كمنفقتة
 إذا أراد الكرى توسدّها فقد كفته مكان مرفقة
 وقال رقة بن مصقلة لأبي شيبة القاضي : لو كانت لحيتك هذه من الذنوب
 لكانت من الكبائر . وقد قيل من تدلت لحيته فقد تقلص عقله .
 وقلت : قل للمدل بلحية موفورة ومما ولحية كل الحى جهله
 لا يجيبك طول نبتك إني من طال لحيته تكوسج عقله
 وقد أجاد ابن الرومي وأبلغ وجمع في آيات من المعاني ما لم يجمعه أحد في
 هذا الباب وهو قوله :

| | |
|---|--------------------------|
| ان تطل لحيّة عليك وتعرض | فالتحالي معروفة للحمير |
| علق الله في عذاريك مخلا | ولكنها بغير شعير |
| لو غدا حكمها على اطارت | في مهب الرياح كل مطير |
| ارع منها موسى فانك منها | شهد الله في أثام كبير |
| أيمّا كوسج رآها فيلقى | ربّه بعدها صحيح الضمير |
| هو أحرى بأن يشك ويغري | باتهام الحكيم في التقدير |
| ماتلقاك كوسج قط إلا | جور الله أيمّا تجوير |
| لحيّة أهملت فطالت وفاضت | قالها تشير كف المشير |
| مارأتها عين امرئ مارأتها | قط إلا أهل بالتكبير |
| روعة نستخف لم يرعها | من رأى وجه منكر ونكير |
| فاتق الله ذا الجلال وغير | منكرآ منك ممكن التغير |
| أوقصر منّا فحسبك منها | قيد شبر علامة التذكير |
| لو رآها النبي يوماً لا | في لحي الناس سنة التقصير |
| واستعجب الاحفاء فيهن والخلق مكان الاعفاء والتوفير | |

أراد قول النبي ﷺ « أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا عَنِ اللَّحَى »^(١) .

وقلت : ان أبا عمرو له لحيةٌ بعيدةُ البعض من البعض

مضى الى السوق وعُثِنُونَهُ أَقَامَ فِي الْبَيْتِ فَلَمْ يَمُضْ

وهو إذا مامراً في سكةٍ يَمْلَأُهَا بِالطُّوْلِ وَالْعَرْضِ

يَدُوسُهَا النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ كَانَتْهَا أَرْضٌ عَلَى الْأَرْضِ

وأخبرنا أبو أحمد عن أبيه قال قال الجراز كن لبعض أصحابنا في الظاهرة تل

تراب فأتاه غلامه برجل يضرب له اللبن وقد حمل في عنقه قالباً وإذا لحيته ملء

القالب فقلت له ليس في قالبك فضل يدخل فيه الطين مع لحيته فقال إني سأخرجها

من القالب قبل ضرب اللبن وإنما أردت أن أدفنها فيه قليلاً ، قال فلما رأيت حمقه

قلت يحتاج أن يضرب في كل يوم ألف لبنة . قال خريم أنا أقدر على ذلك .

وقال الناجم : لابن شاهين لحيةٌ طويلةٌ شطراً طولها

فهو الدهر كله عائرةٌ في فضولها

ولولا القصد لجمع أعيان المعاني والشرط المتقدم تركت التشنيع المفظوظ من

المنظوم والمنثور على أن العلماء لو تركوا رواية سخييف الشعر لسقطت عنهم فوائد

كثيرة ومحاسن جمّة موفورة في مثل شعر الفرزدق وجريز والبعيث والأخطل

وغيرهم ونولم يصلح ذكر الفروج بتصريح أممائها لسكان تسمية أهل اللغة

إياها بذلك خطأ وهذا محال^(٢) .

وبما قيل في الذمامة وقصر القامة ما ينسب لأبي نواس وهو لغيره^(٣) :

إذا استنّ في قوهية متبخترا فقل جرذٌ يستنّ في لبنٍ محضـ

(١) رواد البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم بالفاظ مختلفة - كافي

كشف الخفا . (٢) ونسب للكتابة محاسن ، وفي معنى الحديث الشريف

ان الله يكره الفحاش البذيء اللسان . (٣) نسبها القالي في الامالي لرجل من

أهل الكوفة : وفيها : إذا راح في قبطية متأزراً فقل جمل يستن في لبن محض

فأقسم لو خرت من استك بيضة^١ لما انكسرت من قرب بعضك من بعض
 وقال غيره: ألا يا بَيْدَقَ الشطرنج في القبة والقامه
 وقال آخر: يمشي الناس في الطريق من دمايته؟
 وقال آخر: فقام إلى الغلام أسي وغيظاً بقدر لم يزد فيه القيام^٢
 وقال ابن الرومي: أنت تشتم عرضي وأنت في طول أبري
 وقال الناجم: ينقص الأحرار من شأنه وهو أخو القلة والنقص
 كأنه البرغوث لم يخطه في صغر الجثام والقرص
 وقال: وما زب الرأي ضعيف مغرور مكاثر في العلم وهو مكثور

في جسم عصفور وحلم عصفور

وقال آخر: كأنهم كلهم غم الأضاحي إذا قاموا حسبتهم قموذا
 وفي غير هذا المعنى قول الآخر:

إذا لبس البياض فعدل قطن وأن لبس السواد فعدل فحم
 وقال ابن الرومي في القبح والسواد:

وجهك يا جعفر من قبحه أولى من العورة بالستر
 كأنما تأوى إليه الدجى إذا هي انقضت عن الفجر

وقال ابن طباطبائي مجذور:

ذو جُدَرِيٍّ وجهه يحميه جلد السمكه
 أو جلد أفعى ساخت أو قطعة من شبكه
 أو حلق الدرع إذا أبصرتها مشتبكه
 أو سفر محجب أو كرش منفرقة
 أو مشاة أو عرض رقعته منهنكه
 أو حجر الجا كم من وسخ قد دلكه
 أو كور زنبور إذا فرخ فيه تركه

أو كدر الماء إذا ظهر فيه جبهه
أو سلحة جامدة تنقر فيها الدبكه
بيغضه من قبحه كل طريق سلكه
وقد أبدع ابن الرومي :

جدري ما شأنها وهي شين كل أثر في ذلك الوجه نقش
بدلت من صفائر وقرون^(١) حمل أنف فيه لفرخين عش
وقلت في غير هذا المعنى :

قد حسن ظاهره وباطنه وأمر مخبره ومنظره
شعر تجدد في عوارضه مثل المسكا الرطب تسفره

وقال ابن طباطبا في أسودين : أخبرنا أبو بكر أحمد أخبرني عبد الله بن أبي
عامر قال كان أبو الحسن العلوي المعروف بابن طباطبا قصد يوماً أبا علي بن رستم
فصادف على بابه عثمانين أسودين كالنعم متعممين بعمامتين حمراوين فامتحنهما
فوجدتهما من الأدب خالين فدخل مجلس ابن رستم وكتب في درج :

رأيت ياب الدار أسودين ذوى عمامتين حمراوين
كجمرتين فوق فختين قد غادر الروض قبر العين
جد كما عثمان ذو النورين فإله أنسل ظلمتين
ياقبح شين صادر عن زين حدائد تطبع من لجين
ما أتيا إلا غرابا بين طيرا فقد وقعتا
ردا ذوى في المصرين المظهرين الحب للشيخين
وخلبا الشيعة للسبطين لا تدرما إبرام رب الدين
ستعطيان في مدى عامين صكا بخفين الى حنين

وقال أبو تمام يهجو عياشاً بعد ما مات :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (عوضت من ذوائب وقرون)

كُرت على اللؤم^(١) بما ساءه وساء كرمك الخاسره
 أسهرت عين اللؤم منذ انطوت عليك أثوابك بالساهره
 قد كانت الدنيا شفت لوعي منك ولكن أذنت بالآخره
 يا أسد الموت تخلصته من بين لحى أسد القاهره
 أبارك المكره من مثله فاقرة نجتك من فاقره
 وقال فيه : وتصور القبر الذى ضمتته^(٢) حتى ظننا أنه المقبور

فأتيج لأبى تمام مخلص الموصلى فهجاء بعد موته فقال :

سقى حمارك ياطأى غادته^(٣) من المني وقطمان من السكر
 حر الحلاق ويرد الشعر انلقه فجاءه الموت من حر ومن حصر
 ومما قيل فى البرد أيضاً قول بعضهم فى المبرد :

ويوم كنار الشوق فى القلب والحشا على أنه منها أحر وأومد^(٣)
 ظلت به عند المبرد قائلاً فما زلت فى الفاظه أتبرد
 وقلج أحد الشعراء فسل عنه رجل فقبل له ما كان سبب فالجه ؟ قال أكل يبتين
 من شعره . ومن جيد ما قيل فى برد الغناء قول بعضهم :

كاد من برده يحمد روحى ضرب الله شقه بعنائه
 وقال غيره : غنى لنا نصر قتلنا له مصعب جرأك على السبع
 وحرك العود بأطرافه فكان يحتاج الى الصفع
 فقامت من مجلسه هارباً أدعو على كفيه بالقطع
 وقال كشاجم : ومغن بارد النفسمه مختل^(٢) الدين
 مارآه أحد فى دار قوم مرتين
 صوته أقطع لذات من صبيحة بين

(١) فى ديوان أبى تمام (على البخل) . (٢) فى الديوان (الذى أسكنته) .

(٣) الومد : الحر الشديد مع سكون الريح .

وقلت : قد أسمعنا غناء لا خلاق به
حتى إذا ارتفعت في الصوت لا ارتفعت
وكلما انخفضت فيه مزمنة
لا تجد عنه بأبواب مصبغة

وقال ابن الرومي :

وإذا غنت ترى في حلقتها
وقال الناجم : وقنية شتمها قنوت
مقودة الكل غير بطن
وقال غيره : كأن أبا الحسين اذا تقنى
يلوك لسانه طوراً وطوراً
وقال المصيصي : وتحسب الندمان في حلقة
ماعجي منه ولكنى
وقلت في عواد : يقول لنا غير ما يضرب
ككيسان يكتب غير الذي
فيكتب غير الذي قاله
فصمتاً إذا شئت اطرابنا
ولا نامى ؟ إذا جئتني
وقلت : تقنى لنا فجعلنا عليه
جعلنا اللطام لها لمة

ومن جيد ما قيل في تغير وجوه الاحداث عند خروج اللحي قول البسامي :

قالوا تغير عن ملاحظته
يا زهرة ومحاسناً مسخت
قد كانت الأبصار تجرحه
قلت الزمان يريكم العبرا
ماذا لحاه الشعر لو شعرا
واليوم يجرحها إذا حصرا

وقال سعيد بن حميد :

قَالَ أَن حِينَ بَدَتْ بِخَدِّكَ لَحِيَةً ذَهَبَتْ بِمَلْحِكْ مَلءَ كَفَّ الْقَابِضِ

وقال ابن طباطبایا : یا من یزیل خِطَّةَ الرِّحْلِ عَمَّا خَلَقْتَ

تَبَّ وَخَفِ اللّٰهَ عَلٰی كَفِّكَ مِمَّا اجْتَرَحْتَ

هَلْ لَكَ عِنْدَ عُنْدِهِ إِذَا الْوَحُوشُ حَشَرَتْ

بِلَحِيَةٍ إِنْ سَأَلْتُ بِأَيِّ ذَنْبٍ تَفْتَتْ

وقلت : حصلت فی می ذَا غِلْظَةٍ كَأَنِّي مَشْطُ ابْنِ مَنْصُورٍ

بِلَحِيَةٍ هَتَكَ أَسْتَارَهَا بِأَصْبَعٍ مِنْهُ وَأُظْفُورٍ

فَخَدُّهُ مِنْ سَحَابَةٍ تَارَةٍ وَتَارَةٍ مِنْ قَشْرِ بَلُورٍ

فَتَارَةٍ كَالْمَسْكِ فِي لَوْنِهِ وَتَارَةٍ فِي لَوْنِ كَافُورٍ

يَعْبِجُهُ الْمَرْدُ فَيُحْكِيهِمْ حِكَايَةَ زُورٍ مِنَ الزُّورِ

يَقُولُ مَا أَحْسَنَ رَبُّ الْوَرَى إِذْ غَرَسَ الظِّلْمَةَ فِي النُّورِ

وقلت : من شقوة المرد أن تبدو شواربهم مَسْوَدَّةً قَبْلَ أَنْ تَبْدُوا عَوَارِضَهُمْ

يَا وَيْحَهُمُ مِنْ لَحْيٍ جَدَّتْ مَنَافِسُهُمْ فِيهِمْ أَوْ لَعِبَتْ فِيهَا مَقَارِضُهُمْ

قد أتيت في هذا الفصل على ما فيه مقنع وبالله التوفيق .

﴿ الفصل الثالث في الاعتذار ﴾

الاعتذار أيذك الله ذلة ولا بد منه لأن الإصرار على الذنب فيما بينك وبين

خالقك هلكة وفيما بينك وبين صديقك فرقة وعند سائر الناس مثلية وهجنة فعليك به

إذا وقعت الذنب وقارفت الجرم ولا تستنكف من خضوعك وتذلل لك فيه فريما

استثير العز من تحت الذلة واجتنى الشرف من شجرة الندلة ورب محبوب في مكروه

* والمجد شهد يجتنى من حنظل * ومما خص به الاعتذار ان الحق لا يثبت

لباطله والحقيقة لا تقوم مع تخيله وتمويهه وان رده لا يسمع مع الكذب اللائح في

صفحاته ، وقالوا المعاذير مكاذب ، ويقولون مع ذلك لا عذر في رد الاعتذار والمعتذر من الذنب كمن لا ذنب له . وهذه خصلة لا يشركه فيها غيره : ولم يرو عن أحد قبل النابغة الذي أتى في الاعتذار شعريه أجود منه ، ومما نرويه له فيه قوله حين سعى به المنخل اليشكري إلى النعمان وزعم أنه غشى المتجردة حظية النعمان وذلك حين وصفها النابغة فقال :

وإذا لمست لمست أختم^(١) جأثما متحيزاً^(٢) بمكانه ملء البد
وإذا طعنت طعنت في مستهدف رابي المجسة بالعبير مفرمد
وإذا نزعت نزعت عن مستحصف نزع الحزور بالرشاء المحصد

فقال المنخل للنعمان هذا وصف من ذاقها . فوفر في نفس النعمان ثم وفد عليه رهط من بني سعد بن زيد مناة من بني قريع فأبلغوه أن النابغة ما زال يذكرها ويصف منها فأجمع النعمان على الإيقاع بالنابغة فعرفه ذلك عصام حاجب النعمان وهو الذي قيل فيه * نفس عصام سودت عصاما * فصار يمثل به فيقال عصامي وليس بعظامي إذا كن بكسب المآثر لنفسه ولا يتكل على مآثر الأموات من أسلافه ، ويقولون كن عصامياً لأعظامياً . فانطلق النابغة إلى آل غسان وكانوا قتلوا المنذر ولد النعمان فزادهم لحاق النابغة بهم حشمة ثم اتصلت به كثرة مدائح النابغة لهم فحسدوا عليه فأمنه وراسله في المصير إليه فصار إليه وجعل يعتذر مما قرف به ومن مدحه لآل غسان في قوله :

حلفت فلم أترك لنفسك رية وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت غي خيانه لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ولست بمستيق أخاً لائله على شئت أي الرجال المهذب
وقد ذكرنا هذا في أول الكتاب ، وقوله :

وعيد أبي قابوس في غير كنهه أتاني ودوني راكس فالضواجم^(٣)

(١) في الأصل «أجثم» . (٢) في الأصل (متحيزاً) .

(٣) راكس : واد ، والضواجم : موضع .

فبت كآني ساورتنى ضئيلة^١ من الرقش في أنيابها السم نافع^٢
 أتاني أبيت اللعن انك لمتني وتلك التي تستك منها المسامح^٣
 إلى أن قال :

فان كنت لاذوا الضغن عني مكذب^٤ ولا حليفي على البراءة نافع^٥
 ولا أنا مأثوم^٦ بشيء أقوله^٧ وأنت بأمر لا محالة واقع^٨
 فأنك كالليل الذي هو مدركي وان خلت أن المتأني عنك واسع^٩
 وقال : أنبت أن أبا قابوس أو عدني ولا قرار^(١) على زأر من الأسد^{١٠}
 مهلاً فداء^{١١} لك الأقوام كلهم وما أثمر من مال ومن ولد^{١٢}
 لا تقذفني بركن لا كفاء له وان تأثمتك الأعداء بالرغد^(٢)
 ما قلت من شيء مما أتيت به إذا فلا رفعت سوطي إلى يدي^{١٣}
 ها إن ذي عذرة إلا تكن نفعت فأن صاحبها قد تاه في البلد^(٣)

فخلع عليه النعمان خلع الرضا وكن حبرات خضر امطرقة بالجواهر، وقد ذكرنا
 الحديث بطوله فيما تقدم . وما سلك أحد طريقته هذه فأحسن فيها كاحسان
 البحترى : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولي سمعت عبد الله بن المعتز يقول :
 لو لم يكن للبحترى إلا قصيدته السينية في وصف إيوان كسرى فليس للعرب مثلاً
 وقصيدته في صفة البركة * ميلوا إلى الدار من ليل نحيبها * واعتذاراته في قصائده
 إلى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذاراته النابغة مثلاً ، وقصيدته في دينار التي
 وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله وهي التي أولها * ألم تر تغليس الربيع المبكر *
 وصفه حرب المراكب في البحر لكان أشعر الناس في زمانه فكيف وقد انضاف
 إلى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه في قصائده . فمن اعتذاراته قوله في قصيدته التي
 أولها * لوت بالسلام بناً خضيباً * فقال فيها :

(١) في ديوان النابغة (ولامقام) . (٢) أي اختوشوك فصاروا حولك كالأنافي ،
 والرغد جمع رفدة وهي العصبة (٣) في ديوان النابغة (فان صاحبها مشارك النكد) .

فدَيْنَاكَ من أيَّ خطب عرا
 وإن كان رأيك قد حالَ فيَّ
 يريدني الشيء تآلى به
 واكره أن أتمادى على
 أ كذب نفسي بأن قد جنيت^(١)
 ولو لم تكن ساخطاً لم أكن
 أيصبحُ وردى في ساحتك
 وما كان سخطك إلا الفراق
 ولو كنتُ أعرف ذنباً لما
 سأصبرُ حتى ألقى رضاك
 أراقبُ رأيك حتى يصحَّ
 وقوله : عذيري من الايام رتقن مشربي
 واكسبني سخط امرئ بت موهناً
 تبلى عن بعض الرضا وانطوى على
 إذا قلت يوماً قد تجاوزَ حدّها
 وأصيد إن نازعتُ الطرف^(٢) رده
 ثناء العدى عني فأصبح معرضاً
 وقد كان سهلاً واضحاً فتوَعَّرت
 أمتخذُ عندى الاساءة محسن
 ومكتسبٌ في الملامة ماجد
 يخوفني من سوء رأيك معشر
 وقائبة أوشكت أن تنوبا
 فلقيتني^(١) بعد بشر قطوبا
 وأكبر قدرك أن أسرياً
 سبيل اغترار فألقى شغوبا
 وما كنت أعهد ظني كذوبا
 أذمُّ الزمانَ وأشكو الخطوبا
 طرقات ومرعاه محلاً جدياً
 أفاض الدُموع وأشجى القلوبا
 نخالجنى الشك في أن أتوبا
 إما بعيداً وإما قريباً
 وأنظر عطفك حتى يشوبا
 ولقيتني نجساً من الطير أشاماً
 أرى سخطه ليلاً مع الليل مظلاً
 بقية عتب شارفت أن تصرماً
 تلبث في أعقابها وتلوماً
 كليلاً وإن راجعت القول جمعاً
 وأوهه الواشون حتى توها
 رباه وطلقاً ضاحكاً فتجها
 ومنتقم مني امرؤ كان منما
 يرى الحمد غمّاً والملاحه مغرماً
 ولا خوف إلا أن تجور وتظلم

(١) في الاصل (فأوليتني) (٢) في ديوان البحتري (أ كذب ظني بأن قد سخطت) .

(٣) في ديوان البحتري (نازعتة اللحظ) .

أعيتك أن أخشاك من غير حادث تبين أو جرم اليك تقدما
ألست الموالي فيك نظم^(١) قصائد هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما
أعد نظراً فيما نسخت هل ترى مقالا دينياً أو فعلاً مذكماً
رأيت العراق ناكرتني وأقسمت على صروف الدهر أن أتشاماً
وكان رجائي أن أؤوب مملكا فصار رجائي أن أؤوب مسلماً
حياء فلم يذهب بي الغنى مذهباً بعيداً ولم أركب من الأمر معظماً
ولم أعرف الذنب الذي سوتني له فأقتل نفسي حسرة وتندماً
ولو كان ما خبرته أو ظننته لما كان غرواً أن ألوم وتكرماً
أذ كرك العهد الذي ليس سؤدداً تناسيه والودّ الصحيح المسلماً
وما حمل الركبان شرقاً ومغرباً وأنجد في أعلى البلاد وأنهما
أقر بما لم أجنه متصلاً اليك على أني أخالك ألوما
لي الذنب معروفاً وإن كنت جاهلاً به فلك العتي على وأنما
ومثلك من أبدى الفعال أعادة وان صنع المعروف زاد ونما
ونحن نقول ان لكل شيء ثمناً وثمان خضوع المعتذر قبوله . وكتبت: وسيلتي
اليك الثقة بكرم أخلاقك وشرف أعراقك وقد طلبت المساعدة منك بك وجعلت
كرمك أقوى أسبابي اليك وقد خفضت لك جناح الذل في التوصل مما فرط
فتفضل على بالقبول لئلا يلحقني هجتان هجئة تذلي لك وأخرى ردك لي . وقد
قيل: ارض لطالب الخضوع ذنباً مثله الاعتذار . وفي هذا المعنى ما كتب بعضهم:
لما تعذر على العذر جعلت معولي على فضلك أبلغ عذراً قدمه وأقوى سبباً أوكدته .
وأخبرنا أبو أحمد عن أبي روق عن السكري عن إبراهيم الندي قال قلت لرجل:
ما حملك على بذلك وجهك في حوائج الناس؟ قال اني لم أسمع شيئاً أحسن من بناء
حسن على رجل أحسن ومن شكر حر وشفاعة شفيع لطالب شاكر ولا أني لأبلغ

المجهود ولا أسأل من لا يجود وليس صدق العذر عندى بدون أنجاز الوعد ولا
اكداء السائل بأغلف من الاجحاف ، بالمسؤول ولا أرى السر أغبالى بالمسألة بحسن
ظنه بى أوجب حقاً على من المرغوب اليه الذى يتحملة من لدى والعرب تقول ان
مع الهيئة الخبيثة والفرصة خلسه قُتب عند صدور الأمور ولا تتبع اعجازها . وقال
ابن المعتز العذر مع التعذر واجب . ومن أعجب الاعتذار فى التقاضى قول بعضهم :

هَزَزْتُكَ لَأَنى ظَنَنْتُكَ نَاسِياً لَوْ عِدَّيْ وَلَا أَنى أَرَدْتُ التَّقَاضِيا

ولكن رأيتُ السيفَ فى حالٍ سَلِه الى الهزِّ محتاجاً وان كان ماضِيا

ومن مליح ما يجرى فى هذا الباب ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي
حاتم عن العتيبي عن أبيه عن شيخ من قريش قال قال رجل لسليمان بن عبد الملك :
ان القدرة تمنع الحفيظة وأنت تجل عن العقوبة وان تعف فأهل ذلك أنت وان تعاقب
فأهل ذلك أنا ، فعفا عنه ، فأخذ بعض المحدثين فقال :

فَإِنْ طَاقَبْتَنى فَبِسْوَى فَعَلِى وَمَا ظَلَمْتُ عَقوبَةً مُسْتَفِيدِ

وَإِنْ تَغْفِرَ فَاِحْسَانٌ جَدِيدٌ دَعَوْتُ بِهِ إِلَى شُكْرِ جَدِيدِ

تم الباب والحمد لله وحده .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم عونك . جمع الله شملك ووصل حبلك ومتعك بأحبتك وأعطاك مأمولك
فى نفسك وأعزتك وأعاذك من قطيعة أحبابك وجنبك تجنب أودائك ولا جعل
للهجر عليك سبيلا ولا للفراق عليك دليلاً لينعم باللذة جسمك ويعمر بالسرور قلبك
فتعيش فى ضمان الفرح ويؤى حاسدك بأعباء الترح انه حميد مجيد فعال لما يريد .
العشق أدام الله توفيقك من شرائف أخلاق الفتيان وكرائم سجايا الشبان

يطلق لسان العيسى ويفتق حيلة البليد ويبحث على السخاء بما تسمح به نفس الكريم
وينحردون بذله اللئيم ويدعو الى استعمال الفتوة واظهار المروءة في تنظيف اللباس
وتحسين الرياش ويجدد حب المساعدة والائتلاف وكراهة التباين والاختلاف
إلى غير ذلك من محمود الحال وممدوح الخصال وإذا رزقت منه نصيباً جزلاً فوفه
حقه واسلك به طريقه وتأمل ما أهديت اليك فيه فإنه يعينك عليه ويحسن أسبابه لك
ويكبت لأمنك فيه ويكون جلاء لناظر ك وشحذاً لناظر ك إن شاء الله سبحانه وتعالى .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في التشبيب وأوصاف الحسان وما يجري مع ذلك وهو)

﴿ الباب الرابع من كتاب ديوان المعاني ﴾

قالوا أرق بيت قالته العرب قول امرئ القيس :

وما ذرقت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل
يقول ما بكيت إلا لتجرحي قلباً معشراً أي مكسراً ، يقال برمة أعشار إذا
كانت مشعوبة ، يريد أن قلبه عليل وأنت تزيدينه علة بسهميك يعني عينيها ، والمقتل
المدلل . ومثله قول الشاعر :

رمتك ابنة البكري عن فرع ضالة وهن بنا خوص يخلن نعاماً
ولم نسمع للأعشار بواحد . وأخبرنا أبو أحمد قال حكى لي عن ابن سلام
أنه قال أنسب بيت قالته العرب :

ولما التقى الحيان ألقى العصا ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

وقالوا أنسب بيت قالته العرب قول الآخر :

إذا قلت إني مُشتفٍ بلقائها فم التلاقي يننا زادنا سقما

وأبلغ من هذا قول أبي نواس :
 ما يرجع الطرف عنها حين أبصرها حتى يعود إليها القلب مشتاقا
 وقد أحسن ابن الرومي ولا أعرف في معناه أبلغ منه :
 أطبقها والنفس بعد مشوكة إليها وهل بعد العناق تداني
 وألثم فاهها كي تموت حزازتي فيشتد ما ألقى من الهيجان
 وما كان مقدار الذي بي من الجوى يشفيه ما ترشف الشفتان
 فان فؤادي ليس بشئ رسيه سوى أن ترى الروحان تمتزجان
 ومن البليغ في الاشتياق ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن الحسين بن اسماعيل :
 هبت شمالاً فقال من بلد أنت به طاب ذلك البلد
 وقبل الريح من صبابه ما قبل الريح قبله أحد
 وأبلغ ما قيل في شدة الحب قول بعضهم وقد قيل له ما بلغ من حبك فلانة ؟
 قال انى أرى الشمس على حيطانها أحسن منها على حيطان جيرانها . وقال نصر بن
 الحجاج لامرأة أحبك حباً لو كان فوقك لا ظلك أو كان تحتك لا ظلك ، أخذه بشار فقال :
 إني لا أكنم في الحشى حباً لها لو كان أصبح فوقها لا ظلها
 ويبيت بين جوانحي وجد بها لو بات تحت فراشها لا ظلها
 وقلت : أحبك يا شبيه الشمس حباً تفرّد بالتمام فلا تمام
 فلو ألقته ما بين ماء وفار كان بينهما التمام
 وقال ابن الرومي في اجتماع الأهواء على محبوبه :
 سالة نور ليس يدركها^(١) اللمس إذا ما بدا أغضى له البدر والشمس
 به^(٢) أمست الأهواء يجمعها هوى كأن نفوس الناس في حبه نفس
 وقال بشار :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (يدركه) . (٢) (به) سقطت من

الأصل فاستدركناها من الديوان ، وفي الأبيات تصحيف صحيحناه منه .

ولستُ بناسٍ من يكونُ كلامُهُ بأذنى وإنْ غُيبتُ قرطاً معلقاً

ومن ظريف التشبُّب أيضاً قول ابن المعتز :

كذبت يا من لحاني في مودِّته ما صورة البدر الأدون صورته

ياربِّ ان لم يكن في وصله طمع ولم يكن فرج من طول جفوتيه

فاشف السقام الذي في لحظ مقلته واستر ملاحه خدَّيه بلحيتيه

ومن الظريف قول كشاجم :

كان الشفاء اللعس منها خواتم من التبر مختوم بهن على الدر

ولا أعرف في وصف الفم أحسن من هذا .

وأحسن ما قيل في حث الشوق من قديم الشعر قول عمرو بن شاس الأسدي :

إذا نحن أدبلنا وأنت امامنا كفى لمطايانا بذكرك حاديا^(١)

أليس يزبن^(٢) العيس خفة أذرع وان كن حسرى ان تكون اماميا

وآتم من ذلك شرحاً قول الآخر :

إذا عقلت خبت وإن هي خلَّيت لترتفع لم ترتفع بأذنى المراتع

كان لديها سائقاً يستحبها كفى سائقاً بالشوق بين الأضالع

ومن جيد ما قيل في ازدياد الشوق على القرب قول الآخر :

صب يحث مطاياه بذكركم وليس ينساكم اب حل أوسارا

يرجو النجاة من البلوى بقربكم والقلب يلهب في أحشائه نارا

ومن ظرف الاعرابي قوله أنشد المبرد :

وعود قليل الذنب عاودت ضربه إذا عاد قلبي في معاهدها ذكر

وقلت له ولقاء ويحك سببت لك الضرب فاصبر إن عادتك الصبر

ونحوه قول الآخر :

قد قطع الاحراج أغناق الابل فهي تسير سير مشتاق عسجل

(١) في الأغاني « بوجهك هاديا » . (٢) في الاصل « يزبن » وفي الأغاني (يزيد) .

وقول الآخر وقد ألفز :

إنَّ لها لسائغاً خَسِداً لم يُدَلِّجَ اللَّيْلَةَ فِيمَنْ أَدْبَلَا
وفي خلاف ذلك يقول العباس بن الأحنف :

أيام يقتلُ شوقها زيارتي كلما يقتلُ برده عطش الصدى
فأما أجود ما قيل في التذكر على البعد فقول بعضهم :

اذكرا أخانا تولى اللهُ صحبتهُ أنى وإن كنتُ لألقاهُ ألقاهُ
اللهُ يعلمُ أنى لستُ أذكره وكيف يذكركه من ليس ينساهُ
وقلت : ذكرتهم والنوى بينى وبينهم ذكرى الشباب الذى قد كان طاصانى
بل كيف أذكر عهداً لستُ ناسيهُ هل يعرضُ الذِّكرُ إلا بعد نسيان
ونحوه يقول البصرى :

غضبان ينسانى وأذكركهُ وينامُ عن ليلى وأسهرهُ
وبجوده ماضار موركهُ حظى وحظُّ سواى مشرهُ
وكفى الهوى لو كان مكتفياً مارحت أضمره وأظهرهُ
لم يقتسم فى العاشقين أسى إلا وحظى منه أوفرهُ
فأصبح فى نفس أصددهُ وأعوم فى دمع أجددهُ
ومن مליح ذلك قول بشار :

واستُ بناس من يكون كلاًهُ بأذنى وإن غيبت قرطاً معلقاً
أجود ما قيل فى إخفاء الحركة عند زيارة المعشوق من الشعر القديم قول امرئ القيس :
موت إليها بدم ما نام أهلاً مموت حباب الماء حالاً على حال
وأحسن من هذا وأظرف قول وضاح اليمن^(١) :
واسقط علينا كسقوط الندى ليللةً لانه ولا زاجرُ

(١) غلب عليه هذا اللقب لبهائه ، واسمه عبد الرحمن بن اسماعيل ، شاعر عجيب

فى تشبيهه ، قتله الوليد بن عبد الملك بتشبيهه بزوجته .

وهذا أبلغ أيضاً لأن سقوط الندى أخفى من ممح حباب الماء لأن لسو حباب الماء صوتاً خفياً ليس ذلك لسقوط الندى وهو من آيات ظريفة أولها :

قالتُ ألا لا تلجن دارنا إن أبانا رجلٌ غائرٌ
أما رأيتَ البابَ من دوننا قلتُ فاني وائبٌ ظافرٌ
قالتُ فانَّ القصرَ من دوننا قلتُ فاني فوقهُ ظاهرٌ
قالتُ فانَّ الليثَ عادٍ به قلتُ فسيني مُرهفٌ باترٌ
قالتُ فهذا البحرُ ما بيننا قلتُ فاني سابحٌ ماهرٌ
قالتُ أليسَ اللهُ من فوقنا قلتُ بلى وهو لنا غافرٌ
قالتُ فأما كنتَ أعيتنا فأت إذا ما هجمَ السامرُ
واسقط علينا كسقوط الندى ليلةً لانهٍ ولا زاجرُ

ومن مליح ما جاء في هذا المعنى قول المؤمل :

وطارقات طرقتني رسلاً والليل كالطيلسانِ مُعتركُ
فقلنَ جئنا إليك عن ثقةٍ من عند ضوءٍ كأنها قمرُ
هل لك في عادةٍ مُنعميةٍ يحار فيها من حسنها النظرُ
في الجيد منها طولٌ إذا التفتت وفي خطاها إذا مشت قصرُ
فقلتُ أسى الى مُحجبةٍ تضيء منها البيوتُ والحجرُ
قلتُ لما بدا تخفها جودي ولا يمنعك الخفرُ
قالتُ توقرٌ ودع مقالك ذا أنت امرؤٌ بالقبيح مشتهرُ
والله لا نلتَ ما تطالب أو ينبت في بطن راحتي شعرُ
لا أنت لي قيمٌ فتخبرني ولا أميرٌ عليٌّ مؤتمرُ
قلتُ ولكن ضيفٌ أذاك به تحت الظلام القضاء والقدرُ
فاحتسي الأجرَ في إنائه وباشري قد تطاولَ العسرُ
قالتُ فقد جئتَ بتبغى عملاً تكادُ منه السماءُ تنفطرُ

قلت لما رأيته حرجت وغشيتها الموم والفكر
 لا عاقب الله في الصبا أبداً أنثي ولكن بعاقب الذكر
 قالت لقد جئتنا بمبتدع وقد أتتنا بغيره النذر
 قد بين الله في الكتاب فلا وازرة غير وزرها ترر
 قلت دعى سورة لهجت بها لا تحرم لذاتنا السور
 وجهك وجه تمت محاسنه لا وأبي لا يمسه سقر
 ومثل هذا أصعب ما يرام من الشعر ولا يكاد يوجد في هذا المعنى أحسن من
 هاتين المقتطوعتين . ومن أحسن ما عذر به المعشوق في سوء فعله قول كشاجم:
 تستدفع الأعين عن حسنها بعوذة من سوء^(١) أفعالها
 وهي من آيات قليلة النظير :

هل حاكم يمدى على ظبية ظالمة في كل أفعالها^(٢)
 دائمة الأعراض غنى فلا يخطر لي ذكره على بالها
 صغيرة عظمها حبها عندي وأغراني باجلالها
 تستدفع الأعين عن حسنها بعوذة من سوء أفعالها
 لم أطمع العذال فيها وقد أصغت إلى أقوال عذالها
 تمضي بليل فاذا أقبلت أقبلت الشمس بأقبالها
 قلت وقد أبصرتها حاسراً عن ساقها فاضل سربالها
 لو لم يكن من برد ساقها لا حترقت من نار خلخالها
 وأحسن في هذا المعنى ولا أظنه سبق إليه .

وقد أحسن ابن الرومي في ذكر الخلخال والساق أيضاً وهو قوله :

وإذا لبسن خلخلا كذبن أسماء الخلخال

يقول لا تخلخل الخلخال في سوقهن أي لا تتحرك فقد كذبت أسماءها ، وذلك أن

(١) في ديوان كشاجم (من قبح) . (٢) في الديوان (جائرة في كل أحوالها) .

اشتقاقها من التخلخل وهو التحرك . وفي نحو ما تقدم قول كشاجم :

وكان الشمسَ نبط بها قمرٌ يمناهُ والقدح
صدٌّ إذ مازحتهُ غضباً ماعلى الأحاب إذ مزحوا
وهو لا يدري لنخوته أتنا في النوم نصطلح
ثم لا أنسى مقالته « أطفيلي » ويقترح

ومن أفراد المعاني قول الشاعر :

وإني لأغضى الطرفَ عنها تستراً ولي نظره لولا الحياءُ شديدُ
وسها قالتُ لقد نلت ودّه وما ضررتني بخلٌ فكيف أجودُ
وقالوا أنسب بيت قاتله العرب قول الآخر :

سبقي لها في مضمير القلب والخشا سريرةٌ ودَّ يومَ نبلي السرايرُ
ومن أجود ما قيل في حسن الحبيب في عين المحبوب قول عمر بن أبي ربيعة :
خرّجتُ غداةَ النحر أعرض الله بي فلم أرَ أحلى منك في العين والقلب
فوالله ما أدوى أحسنًا رزقه أم الحبُّ يعنى مثل ما قيل في الحب
وهو من قول النبي ﷺ « حُبُّكَ الشَّيْءُ يُعْمَى وَبِعَمِّ^(١) » وأنشدني أبو
أحمد عن الصولي عن أحمد بن سعيد الشامي عن الزبير بن بكار لعمر بن أبي ربيعة:

زعموها سألتُ جاريتها وتعرّتْ يومَ حرٍّ تبترد
أكما ينعتني تبصرنتي عمركن الله أم لا يقتصد
فتضاحكنَ وقد قلنَ لها حسنٌ في كلِّ عينٍ من تود
حسدًا حملنه من أجاها وقديماً كان في الناس الحسد

وأنشدنا عنه قال أنشدنا اسحق لرجل:

حلفت بصحراء الخجرون وناقتي لها بين قاع الأخشبين حنينُ
غموساً لقد فصلت في الحـ : بطة على الناس أوبى من هواك جنون

(١) رواه أبو داود والامام أحمد وغيرهما .

وأنكر بعض المحدثين أن يكون استحسناته لحبيبه لا فراط حبه أو لجنونه له فيه
فقال وأحسن :

حسنٌ والله في عيني وفي كل العيون
قينةٌ بيضاء سوداء القرون
لم يصبها سقم قط سوى سقم العيون
لم أصفها بجمال لهوى أم لجنون
بل لحسن وجمال قول حقٍ يقين
وقد أبدع الآخر في قوله في المعنى الأول :

يا مَنْ يَلُومُ عليه أنظر بعيني اليه
فلست تبرح حتى تصير ملك يديه
وقد جمع القائل جمعاً حسناً في قوله * وفي أربع منى حكّت منك أربع *
أجود ما قيل في صفة النساء من الشعر القديم ما أخبرنا به أبو أحمد قال قال
ابن سلام أحسن ما قيل في صفة النساء :

كأنَّ بيضَ نعامٍ في ملاحفها إذا اجتلاهنَّ قِظَ ليله ومد
وتشبيه النساء ببيض النعام تشبيه قديم وهو كثير مشتهر .

قالوا أحسن ما قيل في الوجه من الشعر القديم قول قيس بن الخطيم :
تبدّدت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب^(١)
مأخوذ من قول النمر بن تولب :

فصدّت كأنَّ الشمس تحت قناعها بدا حاجب منها وضنت بحاجب
وهو أحسن ما قيل في إعراض المرأة ، ونقله قيس إلى موضع آخر وزاد فيه فقال :
كانَ المتى بِلِقائِها فلقيتها وهوتُ من لهو امرئ مَكذوب
فرايتُ مثلَ الشمسِ عند طلوعها في الحسنِ أو كدنوَّها لغروب

(١) في منتهى الطلب من أشعار العرب « وضنت بحاجب » :

أراد في وقتين يمكن الناظر النظر إلى الشمس فيها . ونحو ذلك قول زهير :

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلة القدر

وفضلها كثير على الشمس فقال وأحسن :

بأبي وأمي أنت من معشوقة^(١) طين^(٢) العلو لها فقير حالها

وسعى إلى بعب^(٣) عزة نسوة^(٤) جعل الآله^(٥) مخدودهن^(٦) نعالها

ولو أن عزة خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موقف^(٧) لقضى لها

قوله عند موقف غاية ما يكون من الاحسان .

ومن أحسن ما قيل في حسن الوجه قول عمر بن أبي ربيعة :

قلما تواقفنا وسلت أقبلت^(٨) وجوه زهاها الحسن أن تتقنا

تباهن بالمرقان لما رأيتي وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا

وقربن أسباب الهوى لمتيم يقيس ذراعاً كلما قسن أصبعا

فذكر أنهم لم يتقنن لحسن وجوههن ، أخذه من قول الشماخ :

لها شرق من زعفران وعنبر أطارت من الحسن الرداء المحبرا

ثم تصرف المحدثون في تشبيهه أي الوجه بالشمس فقال ابن الرومي

* كالشمس غابت في حرة الشفق * وزاد أبو نواس فقال في الأمين قبل الخلافة :

تتية الشمس والقمر المنير اذا قلنا كأنها الأمير

فان يك أشبها منه قليلا فقد أخطأها شبه كثير

لأن الشمس تغرب حين تضيء وأن البدر ينقصه المسير

ونور محمد أبداً تمام على وضوح الطريقة لا يحور

وقد أحسن الآخر وقد جعل في البدر مشابة من وجه المرأة فقال :

(١) في أمالي القالي (من مظلومة) . (٢) أي فطن ، وفي الاصل غير منقوطة .

(٣) في الامالي « بصرم عزة » . (٤) في الامالي (جعل المليك) .

(٥) في الامالي (موفق) . (٦) في الأغاني « أشرفت » .

يأبدر إنك قد كسيت مشابهاً من وجه أم محمد ابنة صالح
وأراك تمصيح في الحاق وحسناً باق على الأيام ليس بماصح
وقال العباس بن الأحنف :

قالت ظلوم وما جارت وما ظلمت إن الذي قد أسي بالبيد قد ظلما
البدر ليس له عين مكحلة ولا محاسن لفظ يبعث السقما
وقال النظام : يامشرقاً ملأ العيو ن وطرفها ما يستقل
أوفى على شمس الضحى حتى كأن الليل ظل
وزاد آخر على هؤلاء كلهم فقال :

إذا عبتا شبهتها البدر طالما وحسبك من عيب لها شبه البدر
ومن أبلغ ما قيل في حسن الوجه من طريقة أخرى قول أبي نواس :

يزيدك وجهه حسناً إذا مازدته نظرا

فذكر أن حسنه يزاد على تكرار النظر والمعهود في كل شيء نقصانه على
كثرة التأمل ولا يكاد الشيء الرائع يروى عليك إذا اعتدته . وقريب منه قول كشاجم :
يضاء يحضر طيب العيش ما حضرت وإن نأت عنك غاب اللهو والفرح
كل اللباس عليها معرض حسن وكل ما تنفني فهو مقترح
والمعارضة تتخير للجوارى على حسب ألوانهن فالبيضاء تبرز في المعرض الأحمر
والأسود والأزرق والسوداء في الأصفر فذكر أن هذه تحسن في كل معرض
فهو غاية . وقريب من المعنى الأول قول كشاجم أيضاً :

منعمة يقربهما هواها وإن نزحت بمنزلها البلاد
يماد حديثها فيزيد حسناً وقد يستبح الشيء المعاد

وقال الحماني :

إذا كنت لم أفقد الغائبين وإن غبت كنت فريداً وحيداً
تباعد نفس إذا ما بعدت فليس تعاود حتى تعاودا

وهو من قول أبي نواس :

أشبهك الشيء حسناً فما أعم ذلك حتى تزيدا

وقال بعضهم : وكلما عدت فيه يكون في العود أحمد

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العيناء عن الأصمعي قال أحسن ما قيل

في اللون قول ابن أبي ربيعة :

وهي مكنونةٌ تحير منها في أديم الخدين ماء الشباب

قال وما أعرف أحداً أخذه فأحسن فيه مثل أحمد بن إبراهيم بن الصميل فإنه قال :

بات يسمي يعالج السهرا وراح نشوان يقسم النظرا

أغيد ماء الشباب يرغد في خديه لولا أديمه قطرا

وقال ابن الأحنف :

وقد ملئت ماء الشباب كأنها قضيب من الریحان ريان أخضر

وقال السري : ومخطف بهتز عن ماء الصبا كأنما يهتز عن ماء العنب

وقلت : ووجهه تشرب ماء النعيم فلو عصر الحسن منه انعصر

يمر فأمّنه ناظري فينشر ورداً عليه الخفر

تمتعت العين في نفسه فما جفلت بطلوع القمر

وقال ابن المعتز : يحرك الدل في أثوابه غصنا ويطلع الحسن من أزراره قمرا

وقال ابن الرومي : متعات وجهك في بديمتها جدد وفي أعقابها آخر

وقوله : مخففة مثقلة تراها كأن لم يعد نصفها الغذاء

إذا الاغياب جدّد حسن شيء من الأشياء جدّدّها اللقاء

ومثله قوله : لا شيء إلا وفيه أحسنه فالعين منه اليه تنتقل

فوائد العين منه طارقة كأنما أخرياتها الأول

وقد أطرف أبو نواس في قوله :

إن اسم حسن لوجهها صفة ولا أرى ذا غيرها اجتماعا

فهي إذا سميت فقد وصفت قديجمع^(١) اللفظ معنيين معا
وقد بالغ ذو الرمة في قوله :

فيا لك من خد أسيل ومنطقي رخم ومن خلق تعلل جادبه
إلا أنه ذكر خلقها أجمع ، والجادب : العائب ، هو يقول ان الذي يعيبها لا يجد
عيباً فهو يتعلل . وهو في خبر حسن : أخبرنا به أبو أحمد عن العبدشي عن
المبرد حدثنا عمر بن شبة^(٢) حدثني اسحق بن ابراهيم الموصلي حدثني أبو صالح
الفزاري قال ذكر ذو الرمة في مجلس فيه عدة من الاعراب فقال عصمة بن مالك
- شيخ منهم كان قد بلغ مائة وعشرين سنة - إياي فاسألوا عنه كان من أطرف بني
آدم خفيف العارضين حسن الضحك حلو المنطق وكان اذا أنشد بربر وحبس صوته
فاذا راجعك لم تسأم حديثه وكلامه ، وكان له أخوة يقولون الشعر : منهم مسعود
وحرفاس وهو أوفى وهشام وكانوا يقولون القصيدة فيزيدون فيها الأبيات فيغلب عليها ،
فجهمني وإياهم مربع فأتاني يوماً وقال لي يا عصمة إن مياً منقرية وبنو منقر أخبث حي وأقوفه
لا أثر وأبصره في نظر فهل عندك من ناقة تزدار عليها مياً قلت اى والله إن عندي
للجؤذر قال علي بها فركبناها جميعاً وخرجنا حتى نشرف على ميوت الحبي فاذا هم خلوف
وإذا بيت مية خلوف عرف النساء ذا الرمة فقمنا إلى بيت مية وجئنا حتى
أتخنا وسلمنا وقعدنا نتحدث واذا مية جارية المود؟ واردة الشعر صفراء فيها عسر
واذا عليها سب أصفر وكان أخضر فتحدثن ملياً ثم قلن له أنشدنا يا ذا الرمة فقال
أنشدن يا عصمة فأنشدن قوله :

نظرت إلى أظمان مية كأنها ذرى النخل أوائل^(٣) تميل ذوائبه
فأوشكت العينان^(٤) والصدر كأنهم بمغرورق نمت عليه سواكبه

(١) في ديوان أبي نواس (ويجمع اللفظ). (٢) في الاصل (شعبة) وكذلك في بعض

الفاظ الخبر تصحيف صححنا أكثره من مصارع العشاق والامالي وغيرها .

(٣) في ديوان ذي الرمة المخطوط «مولية ميس تميل ذوائبه» . (٤) في ديوان

بكى وامق^(١) جاء الفراق ولم تجل جوائلها أسرارها ومعاتبه
 فقالت ظريفة منهم لكن الآن فليجل فنظرت اليهامي ، ثم مضيت في القصيدة الى قوله :
 اذا سرحت من حب مي سوارح^٢ عن القلب اتته جميعاً عوازيه
 فقالت الظريفة قتله قتلك الله فقالت مي ما أصبح وهيناً له فتنفس ذوارمة تنفسه
 كدحرها يطير شروجه ، ومضيت حتى انتهيت الى قوله :

وقد حلفت بالله مية ما الذي أقول بها إلا الذي أنا كاذبه
 اذا فرماني الله من حيث لا أرى ولا زال في أرضي عدو أحاربه
 فقالت الظريفة قتله قتلك الله فقالت مي خف عواقب الله يا غيلان ، ثم مضيت
 حتى انتهيت إلى قوله :

اذا راجعتك^(٢) القول مية أوبدا لك الوجه منها أو نضالدرع سالبه
 فبالك من خد أسيل ومنطق رخم ومن خلق^(٣) تعلل جادبه
 فقالت الظريفة للنساء ان لهنين لشأنا فقمين بنا فقمين وقمت معهن فجلست في
 بيت أراها منه فسمعتها قالت له كذبت والله وما أدري ما قال لها وما كذبت به ، فلبث
 قليلاً ثم جاءني ومعه قارورة فيها دهن وقلائد فقال طيب أتحفتنا به مي وهذه قلائد
 للجؤذر ولا والله لا أقبل دهن بغيراً وشدهن بذؤابة سيفه ثم انصرفنا فكان يختلف
 اليها حتى تقضى الربيع ودعا الناس الصيف فأنا في فقال يا عصمة قد رحلت مي ولم
 يبق إلا آثار والنظر الى الديار فاذهب بنا ننظر في ديارها ونقفوا آثارها فخرج جناح
 أتينا منزلها فوق ينظر ثم قال :

أفاسلعي يا دارمي على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر

قال عصمة فما ملك عينيه فقلت مه فانتبه وقال إني لجلد وإن كان مني ماترى .

ذى الرمة « فأبديت من عيني » وفي المصارع والامالي (فأسبلت العينان والقلب

كاتم) . (١) في ديوان ذي الرمة (هوى الف جاء الفراق ولم تجل) .

(٢) في الديوان والمصارع (إذا نازعتك) . (٣) في الامالي « ومن وجه » .

قال فما رأيت أحداً كن أشد منه صباية ولا أحسن عزاءً وصبراً ثم انصرفنا وتفرقنا

وكان آخر العهد به . ومن بديع ما قيل في حسن الوجه قول الصوري :

الم قلبي ناره وما شعر دبت اليه عقرب وقت السحر

دبت الى ظي بعبيد حور بيت نوطي نوارى وانتشر

فظفرت لاطفرت أي ظفر وهكذا العقرب للقمر

أحسن ما قيل في العيون : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي

قال قال أبو عمرو لأصحابه : ما أحسن ما قيل في العيون ؟ قل بعضهم قول جرير :

إن العيون التي في طرفنا حور قتلنا ثم لم نجيب قتلنا

بصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركاناً

وقال آخر قول ذي الرمة :

وعينان قال الله كونا فكاتنا فعولان بالاباب ما تفعل الخمر

وقال آخر بل قوله :

يذكرني ميأ من الظبي عينه مراراً وفاها الاقحوان المنور

(مراراً) حشوا لا يحتاج اليه ، فقال أبو عمرو أحسن من هذا كله قول عدي بن الرقاع^(١) :

وكأنها بين النساء أمارها عينيه أحور من جاذر جاسم

وسنان أقصده الناس فرقت في عينه سنة وليس بشاتم

أخذ بعض المحدثين قول جرير وهن أضعف خلق الله أركاناً فقال :

كأنما ازدادت قوى أجفانها ضعفاً تقوين على ضعف القوى

ومثله أيضاً قول النابغة :

لا شيء أعجب في جفنيه أنهما لا يضعفان القوى إلا إذا ضعفا

وقد أحسن ذو الرمة في قوله :

(١) الرقاع هو جد جده وعرف بالنسبة اليه لشهرته ، كان شاعراً مقدماً عند بني

أمية مداحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك ، يعد في الطبقة الثالثة من شعراء الاسلام .

إذا عرضت بالرمل أو ماء عوهج لنا قلت هذا عينٌ ميّ وجيدٌها

ومن التمثيل القليل النظير قول ابن المعتز :

ويجرحُ أحشائي بعينٍ مريضة كما لأن مننُ السيف والحدُّ قاطع

ومن أحسن ما قيل في النظر قول ابن الرومي :

نظرتُ فأفصدت الفتوادَ بسهمها ثمّ اثنتُ عنه فكادَ يهيم

وبلاهُ إنْ نظرتُ وإنْ هي أعرضت وقعُ السهام ونزعهنّ أليم

ومن البديع النادر الغريب في ذلك قول بعضهم :

جعل الفتور بعينه كعلا فحفوته وحسن بها المسرة ؟

وقول الآخر :

ينظرون من خلل السجوفِ كأنما بمطرتِ أحشاءَ الكريم نبالا

ومن أظرف ما سمعناه في هذا المعنى قول محمد بن أبي الموج :

لله ما صنعتُ بنا تلك الحاجرُ في العاجر

أمضى وأنفذ في القلو بمن الخناجر في الخناجر^(١)

وقلت : فأرعى تحتَ حاشية الدّياجي شقائقَ وجنةٍ سقيتُ مدا

إذا اكرتُ لواحظُ مقتلتيه حسبتُ قلوبنا مطرتُ سهام

وإن مالتُ بعطفيه شمولُ سقانا من شمائله سقاما

(١) دخل أعرابي على ثعلب الراوية فقال أنت الذي تزعم الناس أنك أروى

لشعر العرب؟ قال كذا يزعمون، قال أنشدني أغزل بيت قيل في العيون فأنشده

بيتى جرير * ان العيون التي في طرفها حور * فقال لا هذا شعر غث قد لا كنه السفلة

بألسنتها هات غيره ، فقال ثعلب أفدنا فقال الاعرابي :

نبارزُ أبطالَ الوغى فنيدها ويقتلنا في السن لحظ الكواعب

وليست سيوفُ الهند تفتي نفوسنا ولكن سهامٌ فوقت بالحواجب

فحن ثعلب استحساناً لها وقال اكتبوها ولو بالخناجر على الخناجر - كما في هامش الاصل .

وقال ابن الرومي :

تقسمها نصفان نصف مؤث^١ ونصف كخوط الخيزران مذكر^٢
تعبد من شاءت^٣ بعين كأنها وإن سقيت ريامن النوم تسهر^٤
وقلت : راحت^٥ تميس^٦ وحولها خرد^٧ كالبدري بين كواكب شهب^٨
فلأت^٩ طرفي من محاسنها ونسيت^{١٠} ما يجني على الصب^{١١}
عين لعل السيف لحظها أصبحت آمنها على قلبي
وقال ابن المعتز :

كم ليلة عانقت^{١٢} فيها يده حتى الصباح موسداً كفيه
فسكرت^{١٣} لا أدري أمن سكر الهوى أم كأسه^(١) أم فيه أم عينيه
وغدا قم^{١٤} عليه عند سه^{١٥} أثر من التقييل في شفتيه
وسقام عين لم تذوق طعم الكرى يدعو العوائد في الصباح إليه
وقلت : إذا ما جاءني للأخذ^{١٦} غنى تشاغل^{١٧} طرفه بالأخذ^{١٨} مني
وقال البحتري :

أجد النار تستعار^{١٩} من النا روينشا من سقم عينيك سقى
وقلت : يسعى^{٢٠} إلى^{٢١} مقرطق^{٢٢} في كفه كأس^{٢٣} وبين جفونه كاسان
وقد أطرف البحتري في قوله :

والذي صير الملاحه في عيـنيه وقفاً والسحر في أجفانه
لا أظمت^{٢٤} العذول فيه وإن أسـرف في ظلمه وفي عدوانه
فدعا اللوم في التصابي فاني لأرى في السلو^{٢٥} ماتريانه
وقلت : ومقلة كحميا الكأس مسكرة وحاجب كلال الشهر مقرون
وقلت أيضاً :

ونسيتك في ليل^{٢٦} شنيه بفرعها شيباً بعينها وشكلاً بخدّها

(١) في نسخة « كنه » مكان (كأسه) .

فتسكرو من عين وكأس ووجنة تحييك أعتاب الكؤوس بوردها
وقالوا أجود ما قيل في الثغر من شعر المتقدمين قول جرير :
تجري السواك على أغر كأنه برد تحدر من ممتون غمام
وقالوا بيت النابغة :

تجلو بقادمتي حمامة أيكة برداً أسف لثاته بالأمس
كالأقحوان غداة غب ممائه جفت أطاليه وأسفله ندى
شبه الشفتين لرقتهما بقادمتي حمامة . وقالوا بيت بشر بن أبي خازم :
يُفلج الشفاء عن أقحوان^(١) جلاء غب سارية^(٢) قطار
ومن أحسن ما جاء في ذلك قول البحتري :

ولما التقينا والتقى موعده لنا تبين رامي الدر منا ولاقطه
فمن برد تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه
وهذا أحسن من قول الأول ومنه أخذ البحتري :

إذا هن ساقطن الأحاديث بالضحي سقاط حمى المرجان من كف ناظم
ومن أحسن ما قيل في بياض الثغر قول البحتري أيضاً :
ويرجع الليل مبيضاً إذا ضحكت عن أبيض خضل السمطين وضاح
فجعله يجلو الظلام لبياضه ، وذكر كثرة الريق فقال خضل لأن قلة الريق
تورث تغير الفم ، وذكر حسن تنضيد الثغر فجعله سمطين . فلا يرى في هذا المعنى
أجمع من هذا البيت . وقد أحسن ابن طباطبا :

نقره عند سرده كالغاب المزرد
مثل در منظم بين در منضد^(٣)

وقد أحسن البحتري وأبلغ في قوله :

(١) في الأصل «عن الخوان» والتصحيح من «منتهى الطالب من أشعار العرب» .

(٢) في الأصل (سائرة) : (٣) (منضد) غير موجودة في الأصل .

وأرتنا خدّاً يراح له الور دُ ويشتمه جنى التفاح
 وشتيناً يفضُّ من لؤلؤ النظم ويؤزى على شتيت الاقاحي
 فأضاءت تحت الدُّجّة للشر ب وكادت تضيءُ للمصباح
 وأشارت إلى الغناء بالحا ظي مراض من التصابي صحاح
 فطربنا لمن قبل الثاني وسكرنا منهم قبل الراح
 وتدير^(١) الجفون من عدم الألسباب مالا يدور في الأقداح
 وقلت : مخضبة الأطراف تحسب أنها أساريع في أفواههن عقيق
 دها في منها نرجس يرشق الحشا وهل نرجس بالرجال رشوق
 ومبتسم عذب المذاقة مونتق تجمع فيه لؤلؤ ورحيق
 وقلت لبعض البغداديين ما أحسن ما قيل في طيب النكهة والريق وحسن
 الثغر ؟ فقال قول ابن الرومي :

وقبلت أفواهاً عذاباً كأنها ينابيعُ خمر خضبت لؤلؤ البحر
 فقلت إلا أن قوله (لؤلؤ البحر) فضل لا يحتاج إليه لأن اللؤلؤ لا يكون إلا في
 البحر ولو كان في غير البحر لؤلؤ فليس لنسبته إليه فائدة .

وقد أحسن ابن الرومي في وصف طيب النكهة فقال :
 وما تعترها آفة بشرية من النوم إلا أنها تتخر
 كذلك أنفاس الرياض بسحرة تطيب وأنفاس الأنام تغير
 هذا التمثيل مليح جداً . وأجود ما قيل في الريق أيضاً قوله :
 يارب ريق بات بدر الدجى يمجُّه بين ثناياكا
 يروى ولا ينهاك عن شربه والماء يرويك وينهاكا
 ولا أعرف لهذا البيت نظيراً في معناه . وقد سبق ابن الرومي إلى قوله :
 سقته ابنة العمرى من خمر عينها ووجنتها كأساً يمجُّ ويدنف

(١) في ديوان البحترى (قد تدبر) .

فقال امزجها بالرشاب لعله يسكن من خمر الهوى ويخفف
فصدت ملياً ثم جادت بريقة يزد بها سكر الحب ويضعف
فراح بضعفى سكره من مزاجها وقد يسأل العدل الولاة فيسعف
فهل من مزاج زاد فى سكر شارب سوى ريق ذات الخال أم أنت تعرف
وقال : مزجت خمرة عينها بريقها كما تكفكف غنى من حياها
فاشتد إسكارها إياى إذ مزجت ومزجك الكأس ينهى عنك طفياها
وأخبرنا أبو أحمد عن يحيى عن الرياشى قال قال الأصمى أحسن ما قيل
في الثغر قول ذى الرمة :

وتجلى بفرع من أراك كأنه من العنبر الهندى والمسك ينفح
فرى أقحوان واجه الليل وارتقى إليه الندى غاديه والمروح
وقد أحسن ديك الجن في قوله :

وقهوة كوكبها يزهر ينفح منها المسك والعنبر
وردية محددا ؟ كأنها من خده تنصر

مهفف لم يتسم ضاحكا مذ كان إلا كنيذ الجواهر ؟
وقد جمع كشاجم فأحسن في قوله :

البدر لا يغنيك عنها إذا غابت وتغنيك عن البدر
في فمها مسك ومشولة صرف ومنظوم من الدر
فالمسك للنكهة والخر للريقة واللؤلؤ للثغر

جمع ثم قسم تقسيما صحيحاً ولم يترك مزيداً . ومن البارع المشهور في هذا المعنى
قول الصنوبرى :

تلك الثنايا من عقدها نظمت أم نظم العقد من ثناياها
وقال غيره وأحسن التقسيم :

وثنايا وريقة كغدير وعقار وروضة من أقاح

قال ابن المعتز : شرب عذب مشارعه جامد في خمره برد
وقال : قلت للكأس وهو يكرع منها ذقت منه والله أطيب منك
وقال : ياسر إن أنكرتني فلكم ليل رأتك معي كواكب
بأبي حبيب كنت أعهد عبق الكلام بمسكة نفحت
من فيه ترضى من يعاتبه وقد أحسن أبو تمام في قوله :

تعطيك منطقها فتعلم أنه بجنى عذوبته يمر بشعرها
وهو من قول بشار :

يا أطيب الناس ريقاً غير مختبر لإشهاد أطراف المساويك
وقول بشار من قول قيس :

كأن على أثوابها الخمر بماء الندى من آخر الليل غابق
وما ذقت إلا بعيني تفرساً كما شيم من أعلى السحابة بارق
ومثله قول الآخر : وتبسم عن ألى اللثام مفلج خليق الثنايا بالمذوبة والبرد
وقال ابن الرومي :

بدا لي وميض مؤذن أن صوبه عريض وما عندي سوى ذاك مخبر
وما ذقت إلا لشم ابتسامها فكم مخبر يديه للمين منظر
وقال عمار بن عقيل ^(١) :

كأن على أنيابها مبيت الكرى وقيمه يردى تهلل في تعب
تأمل عين لا تقيل إذا ارتأت وقلب وما أنباك أشعر من قلب
وقال آخر وأحسن : بأبي فم شهد الحبلة قبل المذاق بأنه عذب
كشهادة لله خالصة قبل العيان بأنه رب
وقلت في معنى الأول : أقول للملاح من خدره والليل يرخي الفضل من ستره

(١) شاعر مقدم فصيح ، كان يسكن بادية البصرة ، والنحويون فيها يأخذون عنه اللغة.

أبدره أحسن من وجهه أم وجهه أحسن من بدره
 قد مالت الرقة في شطره ومالت الغلظة في شطره
 فازره غصت بأردافه ووشحه جالت على خصره
 أصبحت لأدري وإن لم يكن في الأرض شيء أنا لم أدريه
 أشعره أحسن من وجهه أم وجهه أحسن من شعره
 ودره يؤخذ من لفظه أم لفظه يؤخذ من دره
 وثغره ينظم من عقده أم عقده ينظم من ثغره
 فمن عذير الصب من صدده ومن يجير القلب من هجره
 ياليت يعرف حبي له عساه يجزيني على قدره

أحسن ما قيل في حديث النساء قول القطامي :

فهن يبنذن من قول يصبين به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى
 وقد أحسن القائل :

هى الدر منشوراً إذا ما تكلمت وكالدر منظوماً إذا لم تكلم
 تبدد أحرار القلوب بذواها وتملأ عين الناظر المتوسم
 وقد أحسن ابن المعتز غاية الاحسان فى قوله :

لعمر ك ما أجدى هواك سوى المي على وما ألقاك إلا كما أخلو
 ثم قال : وشر أحاديث عذاب لوانها جنى النحل لم يمجج حلاوتها النحل
 الناس كلهم شبهوا حلاوة الحديث بحلاوة العسل وزاد ابن المعتز هذه الزيادة فأحسن.
 وعندى ان أحسن ما قيل فى وصف حديثهن قول بعض المحدثين وهو ابن الرومى :
 وحديثها السحر الحلال لوانه لم يجن قتل المسلم^(١) المتحرز
 ان طال لم يملل وان هى أوجزت ود المحدث أنها لم توز
 شرك القلوب وفتنة^(٢) مامثلها للمطمئن وعقلة المستوفز

(١) فى من غاب عنه المطرب (الماشق) . (٢) فى الأملالى (ونهوة)

ومن جيد ما قيل في الحديث ومشهوره قول ابن الرومي :

ولقد سئمت ما ربي فكان أطيها خبيث
إلا الحديث فانه مثل اسمه أبداً حديث

وقلت: وحديث كأنه عقد ربا بيت أرويه للرجال وتروى

وحديث الرجال روضة أنس بات يرماء أهل نبل ومرو

ومن جيد ما قيل في الحياء ما أخبرني به عم أبي قال قال أبو العباس الفضل

ابن محمد اليزيدي قال قال الهيثم قال لنا صالح بن حسان يوماً هل تعرفون بيتاً

شريعاً في امرأة خفرة ؟ قلنا نعم بيت حاتم إذ يقول :

يضيء بها البيت القليل خصاصه إذا هي ليلاً حاولت أن تبسما

قال لم يصف شيئاً ، قلنا فبيت الأعشى :

كأن مشيتها من بيت جاريتها مر السحابة لاريت ولا عجل

قال قد جعلها خرجت وهذا ضد الخفرة ، قلنا فهات ما عندك قال قول أبي

قيس بن الأسلت ^(١) :

ويكرمها جاراتها فيزرنها وتعل عن إتيانهن فتعذر

أجود ما قيل في العناق قول بكر بن خازمة ^(٢) :

أني رأيتك في نوم تعانني كما تعانق لأم الكاتب الألفا

وهذا من المقلوب لأن الألف تعانق اللام ، ويجوز أن يحتاج له بأن يقال

الألف لا تعانق اللام إلا واللام معانقة لها . ومن أطرف ما قيل في ذلك قول ابن المعتز :

كأنني عانقت ريحانة تنفست في ليها البارد

فلو ترانا في قميص الدجى حسبتنا من جسد واحد

وقلت في نحو ذلك :

(١) من شعراء الجاهلية ، كانت الأوس قد أسندت إليه حربها وجعلته رئيساً

عليها فساد . (٢) كان وراقاً ضيق العيش ، طيب الشعر مطبوعاً .

ونحن نظم في الهوى واحد^ه كأننا عتدنا في نحر

وقال التنوخي :

لله أيام^ه مَضِينَ قطعها وطوالها بالقاصراتِ قصار^ه
أخلو النهار على النهار واثني والشمس^ه لى دونَ الشعار شعار^ه
خدا^ه ورد^ه والنواظر^ه نرجس^ه والثغر سوسن^ه والرضاب^ه عغار^ه
حتى إذا ما الليل^ه أقبلَ ضمنا^ه دونَ الأزار^ه من العناقِ إزار^ه
فعلى النحور^ه من النحور قلادة^ه وعلى الحدود^ه من الحدود خمار^ه
وقد أحسن وطرف إلا أنه أخذ قوله «من العناق إزار» من قول ابن الرومي :

طالما التفت^ه الى الصبح لنا ساق^ه بساق

في قناع من^ه لثام^ه وإزار^ه من^ه عناق

وأشدد أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن سعيد لابن عبيد كأنه الكاتب :

وكلانا مُرتد^ه صاحبه^ه كارتداء^ه السيف في يوم الوغى

بحدود^ه شافيات^ه من جوى^ه وشفاه^ه مُرويات^ه من ظما^ه

نتساقى الريق^ه فيما بيننا^ه زامات^ه القطا زغب^ه القطا

أحسن ما قيل في الشعور من الشعر القديم قول الأعشى :

فأنضيت^ه منها الى جنب^ه تدلت^ه على^ه عناقيد^هها

ليس لأشعار المتقدمين نظير ، وكان بشار يتعجب من حسنه ويقدمه على جميع

ما قيل في الشعر . وقد أحسن القائل :

بيضاء تسحب^ه من قيام^ه فرعها^ه وتغيب^ه فيه وهو جثل^ه (١) أسحم

وكانها فيه^ه نهار^ه ساطع^ه وكأنه^ه ليل^ه عليها^ه مظلم

أخذه بعضهم فقال وأحسن :

(١) في الأصل غير منقوطة والتصحيح من (من غاب عنه المطرب)

وفي الامالى «وحف^ه أسحم» .

نشرت على ذوائباً من شعرها حذر الكواشح والعدو المحنق
فكأننى وكأنها وكأنه صبحان باتا تحت ليل مطبق
وقد أحسن السرى القول في سواد الشعر مع أوصاف آخر وهو قوله :

مصقولة بسنى الصباح وجوهاً^(١) مصبوغة بدجى الظلام طرارها
أغصان بان أبدعت^(٢) في حملها فغرائب الورد الجنى ثمارها
طالت ليالى الحب بعد فراقها وأحبهن إلى المحب قصارها
ولرب ليلات بهن تفرجت أسدانها وتأرجت أسعارها
ما كان ذاك العيش إلا سكرة رحلت لذاتها وحل خمارها
وقال ديك الجن :

أنظر إلى شمس القصور وبدورها وإلى خزامها^(٣) وبهجة زهرها
لم تبل عينك أيضاً في أسود جمع الجمال كوجهها في شعرها
وقال أبو تمام :

بيضاء تسحب شعرها من وجهها في حسنه أو وجهها من شعرها
وقال أبو نواس :

وسالت من عقيصتها سلاسل كسرت حلقا
وقال آخر : سيقرب منك الردى غنوة إذا مانت عنك أحماله
فهل أنت باك على اثره وهل تشجيتك أطلاله
سيكثر من بعد ترحاله توجع صب وإعواله
بنفسى الذى قلقه وشحه وضاق بما فيه خلخاله
يريك الخنادس إدباره ويبدى لك الصبح أقباله
مليح الدلال قليل النوال جميل وان قل أجماله
وقلت : رخم قاتر اللحظ رشيق مخطف الخصر

(١) في ديوان السرى (جياها). (٢) في الديوان (أغربت). (٣) في الأصل (حداها).

وقد مُعِمْ بِاللَّيْلِ وَقَدْ قَنَعَ بِالْفَجْرِ
وما يَنْفَعُنِي حَسَنُكَ يَا أَحْسَنَ مِنْ بَدْرِ
إذا كَانَ نَصِيبِي مِنْكَ طَوْلَ الْبَيْنِ وَالْهَجْرِ
وقال كشاجم :

بِاللَّهِ يَامْتَفَرِّدًا فِي حَسَنِهِ ^(١) وَمَقَلْنَا هَرَوْتَ بَيْنَ مُحَاجِرِهِ
وَمَحْكَمًا أَرْدَاهُ فِي خَصَرِهِ وَمَصَافِحًا خَلَخَالَهُ بِضَفَائِرِهِ
وَبِكَاتِمٍ الْأَسْرَارِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَصُونُهَا مِنْ أَنْ تَتَمَرَّ بِخَاطِرِهِ
لَا تَمْصِينَ عَلَى قَتَى يَرْضَى بِمَا أَوْلَيْتُهُ وَلَوْ اتَّقَلَّتْ بِنَظَرِهِ
أَخَذَ قَوْلَهُ * وَمَصَافِحًا خَلَخَالَهُ بِضَفَائِرِهِ * مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

بَاتُوا وَفِيهِمْ شَمْسٌ دَجَنُ يَنْعَلُ أَقْدَامُهَا الْقُرُونُ
تَعُومُ أَعْجَازُهُنَّ عَوْمًا وَتَنْثَنِي فَوْقَهَا الْمَتُونُ
غَرِيبٌ شَكْلٌ بَدِيعٌ حَسَنٌ أَفْرَدَهُ ^(٢) الْمَثَلُ وَالْقَرِينُ
بَانُوا بِرُوحِي فَصُرْتُ ^(٣) وَقَفًا لَا بِي حَرَكَ وَلَا سَكُونُ

وقال نصر بن أحمد :

سَلْسَلُ الشَّعْرِ فَوْقَ وَجْهِ فَحَاكِي ظَلَمَةُ اللَّيْلِ فَوْقَ ضَوْءِ الصَّبَاحِ
وقال السري :

قَصُرَتْ لَيْلَةُ الْخُورَنْقِ حَسَنًا وَالْيَالِي الطَّوَالُ فِيهِ قَصَارُ
إِذْ وَجُوهُ الْأَنَامِ فِيهِ رِيَاضٌ وَمِيَاهُ السَّرُورِ فِيهِ غَمَارُ
وَجَنَاتٌ تَحِيرُ الْوَرْدُ فِيهَا وَتَغُورُ جَرَتْ عَلَيْهَا الْعَمَارُ
فَضِيحَاءُ مِنَ النَّوَائِبِ لَيْلٌ وَدَجَاءُ مِنَ الْخُلُودِ نَهَارُ
وقال : وَمَالَتْ غُصُونُ طَوَقَتِهَا مَنَاطِقُ وَلَا حَتَّ شَمْسٌ تَوَجَّتْهَا خَنَادِسُ

(١) في ديوان كشاجم (بِاللَّهِ يَامْتَفَرِّدًا بِجَمَالِهِ) . (٢) في ديوان أبي نواس

(أَعُوزُهُ الْمَثَلُ وَالْقَرِينُ) . (٣) في الديوان (فَصُرْتُ شَخْصًا)

وقلت : وذى غنج يأوى إلى فرعه الدُّجى
 فنيه ظلام بالصباح معمم
 يروق سليمى منك جمل سلسل
 وفرعك من صبغ الشباب ممسك
 ووجهك مثل الروض يغسله الحيا
 أبلغ ما قيل في صفة الاصداع والعدار : فمن بديع ما قيل في الصدغ قول ابن المعتز :
 له ظمرة كجناح الغداف
 وفي عطفة الصدغ خال له
 وقوله : وكان عقرب صدغه وقفت
 وقوله : غلالة خدّه وردّ جنّى
 وقلت : وكان دارة صدغه وعذاره
 وقال ديك الجن :
 قدام مختلفاً كالبدر مطلقاً
 رقت غلالة خديه فلو رميا
 كأنّ لاما أديرت فوق وجنته
 وقالت : إذا التوى الصدغ فوق وجنته
 وقلت : الغيم بين ممسك ومكفر
 فإذا شربت فمن رحيق سلسل
 من ريق أهيف كالقضب مخضرا
 فإذا جلا لك غرة في طرة
 فانظر عناق ممسك لمكفر
 وإذا تعانق خدّه وعذاره
 وقال آخر : عجبي لخضرة زعفران عذاره
 ولكنها عن وجهه تنفرج
 وفيه صباح بالظلام متوجّ
 ويسليك منها أقحوان مفلج
 وخذك من ماء الجمال مخرج
 تمشطه أيدي الرياح فيهبج
 تلوح على غمرة مقمرة
 كما استلب الصرجان الكره
 لما دنت من نار وجنته
 ونون الصدغ منقوط بحال
 ألف تقوم تحت نون تعطف
 والخشنة ملتفتاً والغصن منقطفا
 باللحظ أو ماها بأن يكفا
 واختطّ كاتبها من تحتها ألفا
 رأيت تفاحة بها عضه
 والروض بين مجدد ومدبج
 وإذا رشفت فمن شتيت أفلج
 أو كفّ أبليج كالصباح الأبلج
 ألوى بقلبك أبلج في أدعج
 يجلوه حسن مفلج ومخرج
 فانظر عناق عقائق وندفسج
 ومن العجائب زعفران أخضر

وقال ابن المعتز :

من كفَّ ريم تثنى مناطقه على هضم الكشحين مشوق
يعطيك ماشاء من معانقة مقفلة من وراء مشوق
مسطر الخد بالعدار ولا يحسن غصن الا بتوريق
وقلت : له وجتنا ورَد وعينا غزالة وغرة اصباح وطرة غيب
وصدغ ينجى الاذن وهو معقرب وطورا بناغي الخد غير معقرب
له من ظلام الليل احسن ملبس وفوق ضياء الصبح احسن ملعب

وقال الصنوبري :

تلك طرار عليك أم حلق زانك صدغان أم هما زرد
وقلت : يفتن القلب بخد لم يدع للورد قدرا
مثلا تكتب بالمسك على الكافور سطرأ وعذار يسحر الصب
وبصدغ دار في الخد كما تعرف سحرا
كلما أظلم (ليلي) ^(١) كان (لي) وجهك فجرا

وقال ابن المعتز :

لعمرك ما أزررت يوسف حية ولكنه قد زاد حسنا وأضعنا
فلا تعتذر من حبه في التحائه فما يحسن الدينار إلا مسينا
وقال في خضرة الشارب :

تبسم إذ ما زحته فكأنما تكشف عن دُرِّ حجاب زبرجد ^(٢)
وقال بعض المتأخرين وأحسن :
ومعذرين كأن نبت خدودهم أقلام مسك تستمد خلوقا
قرفوا البنفسج بالشقيق ونظموا تحت الزبرجد لؤلؤا وعقيقا

(١) ما بين القوسين غير موجود في الأصل . (٢) في ديوان ابن المعتز (زمرد) .

وقلت : وعما فقت خلف من صدغه خلفا كالعين في العينِ وكالجيم في الجيم ؟

وقلت وليس من هذا الباب :

كأنما النور مضحكٌ يقق وعطفةُ الغصن شاربٌ خضر

وقلت : وترى النور مثل مضحك خود وترى الغصن مثل شاربٍ أمرد

ولعبد الرحمن السيلي رجل من أهل خراسان :

وشادن سائقات الشعر قد سلكت في عارضيه على جهد بها طرقا

هذا البيت متكلف جداً :

لما رأت أنها قد أخطأت وجنت ولت تعود فدارت كلها حلقا

وهو مأخوذ من قول كشاجم :

علم الشعر الذي عاجله أنه جار عليه فوقف

فقال هذا (وقف) وقال عبد الرحمن (دارت حلقا) الفرق بينهما هذا .

وقلت : لا والذي دار من صدغيك وانعطفنا وصار نونا إذا صيرته ألفا

ما كنت إذ خنتني إلا أخا ثبة لم تستعض منه إذ ضيعته خلفا

لم أسبق لمعنى البيت الأول . وقلت :

قد التوى ضدغه واختط عارضه كأنه ألف من فوقه نون

وقلت أيضاً ولم أسبق الى معناه :

ومفتج قال الكمال لوجه كن مجماً للطيات فكانه

زعم النفسج أنه كذاره حسناً فسلوا من قناه لسانه

أعنى الهنة النابتة تحت ورقة النفسج : وقلت :

بنفسج عارضه ينثى إلى حمرة من وجنتيه

فيجعل قلبي في كفه يبيء اليه ويمدو عليه

وقال ابن المعتز :

والصدغ فوق العذار منكسر كصولجارت يرد ضربته

وقال • وصدغه كالصولجان المنكسر •

أجود ما قيل في حسن القد ورقة الخصر وكبر العجيزة : أخبرنا أبو أحمد
أخبرنا أبي عن عسل بن ذكوان ، وأخبرنا به أبو علي بن أبي حفص عن جعفر
ابن محمد العسكري عن بعض رجاله قال قال أبو عمرو بن العلاء لأصحابه أنشدوني
أحسن ما قيل في حسن القد وعظم العجيزة فأنشده بعضهم قول علقمة :
صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة^(١) كأنها رشاً في البيت ملزوم
قال لم تأت بشيء ، فأنشديت ذى الرمة :

ترى خلفها نصفاً قناة قوينة ونصفاً نقا يرتج أو يتعرمر
وأنشديت الأعشى :

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة^(٢) إذا نمت يكاد الخصر ينحول^(٣)
وأنشديت ذى الرمة :

عجاء ممكورة خصانة قلق^(٤) عنها الوشاح وتم الجسم والقصب^(٥)
فقال أحسن من هذا كله قول الحارث :

غرثان محط وشاحها قلق شبعان من أردافها المرط

قال أبو هلال أخذه عبد الله بن عبد الله بن طاهر فقال :

سلى وتسلى تفوق المتى ؟ والوصف أنواعاً وألواناً

وشاحها يحسد خلخالها كجائع يحسد شبعانا

نقله إلى وصف السلو ، وأخذه ابن المعتز بلفظه ومعناه فقال :

وظباء غرائر مشبعات المآزر

ومن البديع قول أبي نواس :

وربان من ماء الشباب كأنه يظلم من ضمير الحشا ويجاع

(١) في ديوان علقمة (خربة) . (٢) في ديوان الأعشى (ينخزل) .

(٣) قلق وشاحها لضمور بطنها : والقصب : المظالم التي بها المنخ .

أخذه الآخر فقال :

ظبيٌّ كانٌ بخصره من ضربه ظمأ وجوعا
وقلت : وقد عصن أوقانا كشامات كافور
وقد شددت زنانيرا على مثل الزنابير

وقد أحسن ابن المعتز حيث يقول :

وتحت زنانير شددن عقودها زنانير عكان معاقدتها السرر
وقال مؤمل وأفرط :

من رأى مثلَ رجبتي تشبه البندر إذ بدا
مدخلُ اليوم ثم تدخلُ أردافها غدا
وأنشد أبو أحمد قال أنشدني أبو بكر بن دريد ^(١) :

قد قلتُ لما مرَّ يخطو ماشياً ^(٢) والرِّدفُ يُجذبُ خصره من خلفه
يا من يُسلمُ خصره من ردفه سلمُ فؤادٍ محبٍ من طرفه
وقد أحسن القائل في وصف لين القوام والسرغ :

ممن له حسن الرقيق وطيبه ومزاج شارب ومشي نريبه
وقلت : لا والظباء الآنسات إذارنت فاقن حسن عيونهن فتونا
ان لحن لحن كواكباً أو نحن ننحن لطائماً أو ملن ملن غصونا
ومدرن من مقل اليك فواتر يكسين قلبك بالفتور فتونا
ماخنت عهد هوى عليك وقفته وأخو المروءة لا يكون خؤونا
وقبل هذا مترجرج الارداف مضطمر الحشا لدن القوام يكاد يعقد لنا
داب النعيم له فائتر صدره ثمراً إذا حلت الثمار حلينا

يقال حلا الشيء في الفم وحلى في القلب . وكتبت في فصل لي : والله يعلم أني
أخدمه بالضميم خدمة لو تصورت له لرآها الرائي روضاً ممطوراً ووشياً منشوراً

(١) نسب البيتان في ذيل الأمالى لخالد الكاتب . (٢) في الذيل (لأن بدا متبخترا)

ولؤلؤاً منظوماً ومشوراً بل لا بصر أعطاف الفتيان تتثنى تتنى الأغصان في قراطق
الحبيرة ومن ررات الدياج والحرير وقد اطلعت أزراهم بواهر الأثمار مطرفة
بمقارب الاصداع وحلق الاطرار فأقبلوا يسفرون عن غرة الصباح ويسمون
عن حباب الراح ويمزجون الدلال بنجمل أثمارهم الوصال فاذا حضروا وكلوا
الابصار وإذا غابوا استوهبوا القلوب والافكار فهم الداء والدواء ومنهم السقم والشفاء .
ومن الافراط في ذكر النيد وهو لين القامة قول ماني ^(١) :

أتمنى الذي إذا أنا أوماً ت إليه بطرف عيني تجني
أهيف كالقضيبي لو أن ريمًا حركت هذب ثوبه لتثنى
وأجود ما قيل في النهود وعظم المجيزة قول الأعرابي : ييضأ جمدة لا يمس
الثوب منها إلا مشاسنه كتفيتها وحلمتي تديها . أخذه الشاعر فقال أو أخذه الاعرابي
من الشاعر :

أبت الرِّوادفُ والثديُّ لقمصها مَسَّ البطون وان تمسَّ ظهورا
وإذا الرِّياحُ مع المشي تَنَاولَحتْ تَبهنَ حاسِدةً وهجنَ غيورا
وقلت : تمشي بأردافٍ أبين قعودها بين النساءِ كما أبين قيامها
وقال ابن المعتز في النهود :

يا عُصْنًا ان هزَّه مشيه خَشيتُ أن يَسْقَطَ رُمانه
إرحم ملبكاً صارَ مستعبداً قد ذلَّ في حبك سلطانُه

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن العكلى عن ابن خالد عن الهيم
ابن عدي قال قعد اعرابي إلى جانب دار إسماعيل بن علي بالكوفة فخرجت جارية
فطلق الاعرابي ينظر اليها فقال له رجل ما نظرك إلى شيء غيرك أقبل على شأنك
واصبر ، والجارية تسمع - فقال الاعرابي ربلات تصطك وغصن يهتز وتدي محرق
أهابه وتقول اصطبر ، فضحكت الجارية وقالت والله ما مدحتني أحد مثل ما مدحتني

(١) هو مان الموسوس الشاعر المصري المشهور .

به . فقال بأبي أنت وأمي أن الهوى يظهر جيد القول ويبدى المستتر الكامن وانك
لما يما يكنى عنه الربلات مجامع الفخذين ؟ . وقلت :

أيا ورداً على غصن . بكرَّ اللحظ يلقطه
ورماناً على قن يكادُ المشي يسقطه
آتى والبدر يحسده . وشمس الدجن تغبطه
وخوف الناس يقبضه . وحب الوصل يبسطه

وأحسن ما قيل في الثدي :

قبيحٌ بمثلِكَ أن تهجرى وأقبح من ذاك أن تهجرى
أقاتلتى بتور الجفون ورمانتين على منبر
كحقين من لب كافورٍ برأسيهما نقطتا عنبر

والناس يستحسنون قول مسلم بن الوليد :

فأقسمت أنسى الداعيات إلى الصبا وقد فاجأتها العين والستر واقع
فقطت بكفيها ^(١) ثماراً فحورها كأيدى الأسارى أقتلتها ^(٢) الجوامع
وهو حسن جداً ومثله قول النميري :

أعميرُ كيفَ بحاجة طلبت إلى صم الصخور
لله درُّ عداكم كيف انتسبن إلى القرور
ولقد تبيت أناملى تمجينَ رمان الصدور

وقال على بن الجهم :

شاخص في الصدر غضبان على قُب البطن وطى العكن
يملاً الكف ولا يفضله وإذا أثنته لا ينثنى

وقد طرف ابن الرومي في قوله :

صدورٌ فوقهنَّ حقائق عاج وحلى زانه حسن اتساق

(١) في ديوان الصريح « فقطت بأيديها » . (٢) في الأصل « أقتلتها » .

يقول القائلون إذا رأوها أهذا الحل من هذى الحقائق
أجود ما قيل في الخضاب بأنامل المرأة من قديم الشعر قول الأسودين يعفر :
يسعى بها ذوؤنومتين مقرطق^(١) قتأت أنامله فمن الفرصاد
فأخذ المحدثون ذلك وتصرفوا فيه فمن أحسن ذلك قول أبي نواس :
يا قمرأ أبصرت في مآثم يندب شجوأ بين أتراب
بيكي فيلقى الدر من نرجس ويلطم الورد بعناب
وقال ديك الجن :

ودعتها لفراق فاشتكت كبدي وشبكت يدها من لوعة يدي
وحاذت أعين الواشين وانصرفت تعض من غيظها العناب بالبرد
فكان أول عهد العين يوم نأت بالدمع آخر عهد القلب بالجلد
ومن البديع في هذا المعنى قول الآخر :

قالوا الرّحيل فأمرعت أطرافها في خدّها وقد اكتسبن خضابا
فاخضر موضع كفها فكأتما غرست بأرض بنفسج عنابا
وقال النّاشيء وهو أحسن الواصفين لهذا المعنى :

من كف جارية كأنّ بنانها من فضة قد طرّفت عنابا
وكانّ يمناها إذا نطقت به يلقى على يدها الشمال حسابا
وقال أيضاً : لناقينة ترنو بناظرتين بما في قلوب الناس عالمتين
تخال تطاريف الخضاب بكفها فصوص عقيق فوق قضب لجين
وقال : متعاشقان مكأتمان هواهما قد نام بينهما العتاب قطابا
يتناقلان اللحظة من جفنيهما فكأتما يتدارسان كتابا
وإذا هدّت عين الرقيب تخالست كفاهما جلس السلام سلابا
بأنامل منه يلوح مدادها وأنامل منها كسين خضابا

(١) في الأصل «كأتما» وفي منتهى الطلب من أشعار العرب (مقرطق) .

فكأنما يجنى لها من كفه عنباً وتجنبيه له عذاباً
 يذكّر أثر المداد بأنامله وأثر الخضاب بأناملها. وقلت :
 انظر الى النقش من أطرافها البضة مثل البنفسج مشوراً على فضه
 أو خلتها أخذت أطراف جرمة فنضدته على جمارة غضة
 ومن غريب ما قيل في نظم حليهن قول النمر بن تولب :
 كعاب عليها لؤلؤ وزبرجد ونظم كأجوان الجراد مفصل
 قوله « كأجوان الجراد » غريب بديع لم يسبق اليه ولا أعرف أحداً أخذه منه .
 ومن البديع قول الدمشقي :

بدر بدا والشمس في كفه وأنجم الليل عليه رعات
 وهو من الليل ومن طرفه وشعره في ظلمات ثلاث
 أحسن ما قيل في صفة الدمع إذا امتزج بالدم قول أبي الشيب :
 لهوت عن الأحران إذا سفر الضحى وفي كبدى من حرهن حريق
 مزجت دماً بالدمع حتى كأنما يذاب عليها لؤلؤ وعقيق
 وقول أبي تمام : نثرت فريد مدام لم تنظم والدمع يحمل بعض ثقل المغرم^(١)
 وصلت نجماً بالدموع^(٢) فخذها في مثل حاشية الرداء المعلم
 وقال : أبيت أراعي أنجم الليل بعدكم فيا ليت شعري هل تراعونها بعدى
 ودمع نثرت كدره وعقيقه كأنى حلت العقد من طرف العقد
 ومن أجود ما قيل في بياض الدمع على حمرة الخدما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :
 لو كنت يوم الوداع حاضراً وهن يطفئن لوعة الوجد
 لم تر إلا الدموع جارية تسقط من مقلة على خد
 كأن تلك الدموع قطر ندى يقطر من نرجس على ورد
 ونحوه قول ابن الرومي :

(١) في ديوان أبي تمام (شجر المغرم) . (٢) في الديوان (وصلت دموعاً بالنجم)

لما دَنَا البينُ وراحَ الدَّلُّ ودُعَّتْها ودمعها مُنهلٌ
 وخدَّها من قطره مُخضَلٌ كأنَّه ورَدٌ عليه طلٌ
 ومن أجمع بيت قيل قول المحدثين :
 فأسلب لؤلؤاً من نرجسٍ وسقت ورَداً وعَضَّتْ على العنابِ بالبرَدِ
 ليس لهذا البيت نظير . وقلت :
 يبكي فيسقى الدَّمْعُ وجنته كما يسقى الطل وردة غضه ؟
 ومن المشهور قول بعضهم وهو حسن :
 كأنَّ الدُّموعَ على خدِّها بقيةُ طلٍّ على جلتار
 ونحوه ما أنشدناه أبو أحمد في العرق :
 يحذر من أرجاء صورة وجهه من الفم سح في الجبين وفي الخدِّ
 فرادى ومثني يستبين كأنَّه سقيطٌ ندى وفي على ورق الورد
 ومثله ما قلت :
 أخرجه الحمام كالغضه يحسدُ منه بعضه بعضه
 كأنما الماء على جسده طلٌّ على مَوسنة غضه
 وفي صفة الدمع :
 توريدُ دمعٍ من خدِّك مختلسٌ وسقم جسمي من عينيك مُسروق
 لم يبق لي رَمَقٌ أشكو هَوَاك به وإنما يتشكى من به رَمَقٌ
 وأبلغ ما قيل في امتلاء العين من الدمع قول بعض الأعراب أظنه :
 فظلتُ كأني من وراء زجاجةٍ إلى الدارِ من فرطِ الصباية أنظرُ
 وقول البحري في معناه :
 ويحسن دَلُّها والموتُ فيه وقد يستحسن الموتُ الصقييل
 وقفنا والعيونُ مُشغلاتٌ ببالِ دمعها طرفٌ قليل^(١)

(١) في أمالي القالي (بغالب دمعها نظر كليل) .

نَهْتُهُ رَقَبَةً الْوَاشِينَ حَتَّى تَمْلُقَ لَا يَغِيضُ وَلَا يَسِيلُ
قوله «يحسن دلها والموت فيه» أحسن ما قيل في الدلال .

ومن أعجب ما قيل في الدمع قول بعضهم وتسب إلى السرى ولا أظنه له :
بِنَفْسِي مِنْ رَدِّ التَّحِيَّةِ ضَاحِكًا . فَجَدَّدَ بَعْدَ الْيَأْسِ فِي الْوَصْلِ مَطْمَعِي
إِذَا مَا بَدَأَ أَبْدَى الْفَرَامُ سِرَّائِي وَأَظْهَرَ لِلْعَذَّالِ مَا يَنْ أَضْلَعِي
وَحَالَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ يَدْنِي وَيَنْتُهُ كَانَ دُمُوعَ الْعَيْنِ تَعَشَّقُهُ مَعِي
وهذا معنى ظريف حسن جداً .

ومن حسن الاستعارة في صفة الدمع ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :
قَدْ كَانَتْ فِي طَوْلِ الْبَكَاءِ رَاحَةً وَعَنَّانٌ سَرَّيْ فِي يَدِ الْكَيْتَانِ
حَتَّى إِذَا الْإِعْلَانُ نَبَهَ وَاشْيَاءَ رَقَاتُ دُمُوعِي خَشْيَةً الْإِعْلَانِ
ومن البديع في ذلك قول بشار وهو مشهور :

مَاءُ الصَّبَابَةِ نَارُ الشَّوْقِ تَحْذَرُهُ فَهَلْ مَمْتَمٌ بِمَاءٍ خَافَ مِنْ نَارِ
وَقُلْتُ : أَشْكُو الْهَوَى بِدُمُوعٍ قَادِمًا قَلْبِي حَتَّى عُلِقَنَ بِجَنَنِ رَدِّهَا الْفَرْقِ
فَنِي فَوَادِي سَبِيلٍ لِلْأَمْبِي جَدُّهُ وَفِي الْجَفُونِ مَقِيلٌ لِلْكَرَى قَلْقِ
لَهَيْبٍ قَلْبِي أَفْضَلَ الدَّمْعِ مِنْ بَصْرِي وَالْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً حِينَ يَحْتَرَقُ
ولا أظنني سبقت إلى هذا التمثيل . وقال ابن المعتز :

وَلَطْمَةٌ خَدٍّ تَجْعَلُ الْوَرْدَ دَخْرًا وَتَنْثُرُ دَمْعًا لَا يَبَاعُ بِأَثْمَانِ
ونظير المصراع الأول قول صاحب مصر :

وَاللَّهُ لَوْ لَا أَنْ يُقَالَ تَغْيِرَا وَصَبَا وَإِنْ كَانَ التَّصَابِي أَجْدَرَا
لَا طَادَ تَفَاجَ الْخُدُودِ بِنَفْسَجَا لَنِي وَكَافُورَ التَّرَائِبِ عَنْبِرَا
وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال أنشد الحسن بن رجاء عن المبرد يوم أبيت ذي الرمة :
لَعَلَّ الْخُدُودَ الدَّمْعُ يُعْقِبُ رَاحَةً مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجْبًا الْبَلَابِلِ
وقال له من قال في مثله ؟ فقال قد ملح الحسن بن وهب في قوله :

إبك فما أكثر نفع البكا والحبُّ إشفاقٌ وتعليل
إفزع إليه في ازدحام الجوى ففيه مسلاةٌ وتسهيلٌ
وهو إذا أنت تأملتُه حزنٌ على الخدين محلول

وقد ملح العباس بن الأحنف :

إني لأجحدُ حبكم وأسرُّه والدِّمعُ معترفٌ به لم يجحد
والدِّمعُ يشهدُ أنني لك عاشقٌ والناسُ قد علموا وإن لم يشهد
وقال : طالَ عهدي بها فلما رأني نظمتُ لؤلؤاً على تفاح

وقد أحسن الآخر في قوله :

إذ لا جوابَ لفحْمٍ متحير إلا الدِّمعُ موعِ نصانُ بالاطراف

قوله « نصان بالاطراف » عبارة صحيحة جيدة . وقال آخر :

تقول غداةَ البين عندَ وداعها لك الكبدُ الحرَّى فسرو لك الصبر
وقد سبقتها عبرةٌ فدموعها على خدِّها بيضٌ وفي نحرها حمر

معناه إذا انحدرت إلى نحرها إنصبغت بلون الطيب والزعفران بها .

ومن غريب المعنى قول الآخر :

غَدَتُ بأحبتى طولُ المطايا فبانَ النومُ وامتنعَ القرار
وكان الدِّمعُ لي ذخراً معدّاً فأنفقتُ الذَّخيرةَ يومَ ساروا

أجود ما قيل في طيب عرف المرأة : جميع ما مر بي من الشعر في هذا الفن

متقارب في المعنى لا يفضل بعضه بعضاً إلا في القليل ، ومنه ما هو جيد المعنى حلو

المعرض فتركته لأن الشرط قد تقدم بإيراد الجيد لفظاً ومعنى ورجحاً وذلك قليل

ليس يقع إلا بعد التصفح الطويل والتعب الكثير :

فمن أجود ما قيل في ذلك من قديم الشعر قول الأعشى :

ماروضةٌ من رياض الحزنِ معشبة خضراء جاد عليها مسبلٌ هطل
يضاحك الشمس منها كوكبٌ مشرقٌ مؤزرٌ بعيم النبتِ مكتهل

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

وقول القطامي وهو جيد النظم متضمن لماء الطلاوة :

وما ريح قاع ذي خزامى وحنوة له أرج من طيب النبات طازب

بأطيب من مى إذا ما تقلبت من الليل وسنى جانباً بعد جانب^(١)

إلا أنه جاء بالمعنى في بيتين. ومما هو مضطرب الرصف جيد المعنى قول ابن الطثرية:

خود يكون بها القليل يمسه من طبعها عبثاً يطيب ويكثر

هذا البيت على غاية اضطراب الرصف :

شكر الكرامة جلدها فصفا لها إن القبيحة جلدها لا بشكر

قوله (شكر الكرامة جلدها) في غاية من الحسن . أخذه ابن الرومي فقال :

ألف عطر تذكى وهى ذاكبة إذا أساءت جوار العطر أبدان

نعم كل نهار من بحامرها ويشمس الليل منها فهو ضحيان

كأنها وعشان الند يشملها شمس عليها ضبابات وادخان

وأخذ ابن المعتز قول القطامي ببعض لفظه إلا أنه زاد زيادة حسنة وجاء بالفاظ

بدیعة وهو قوله :

وما ریح قاع زاهر مست الندى وروض من الریحان سحت محائبه

فجاء سحيراً بين يوم وليلة كما جر من ذيل الغلالة صاحبه

بأطيب من أثواب شمر موهبا اذا الليل أدجى دابر كتابه

اذا رغبت عن جانب من فراشها تضووع مسكاً أين مالت جوانبه

وقد طرف ابن الاحنف في قوله :

ذكرتك بالریحان لما شمته وبالریحان لما قابلت أوجه الشرب

(١) الذى فى ديوان القطامى :

وما ریح رّوض ذى أقاح وحنوة وذى نفل من قلة الحزن طازب

بأطيب من ليلي إذا ما تمايلت من الليل وسنى جانباً بعد جانب

تذكرت بالربِّ يحان^(١) منك روائحاً^(٢) وبالرَّاح طعماً من مقبلك العذب
 وأنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني عبيد الله بن عبد الله لنفسه :
 تطيرتُ أيامَ اجتنابك أن ترى مكانك عيني لا خلا منك خاليا
 فأسكنته نوراً كريك طيبه بذكري منك الذي لستُ ناسيا
 وقد أحسن وحسنه قليل . وقيل لأعرابي أية رائحة أطيب؟ قال رائحة بدن
 تحبه أو ولد تربه فقال ابن الرومي * ريحه ربح طيب الاولاد * وقلت :
 يمرُّ بي وقد الصبا والليل يقضي نجيته
 مرَّ بروضٍ زاهرٍ ذرٌّ عليه عشبهُ
 فخاته من طيبه نشوة من أحبه
 ومن البليغ قول سحيم^(٣) :

فما زال بردى طيباً من ثيابها إلى الحول حتى أنهج البرد باليا
 وأبلغ من ذلك وصفهم طيب المواضع التي وطنها الحبيب ، وأول من قال
 ذلك النميري^(٤) :

تضوع مسكاً بطن نعانٍ إذ مشت به زينبٌ في نسوة خفرات
 ومن أحسنه وأرشقه قول جميل :
 ألا أيها الربيع الذي غير البلاد عنا وخلا من بعد ما كان لا يخلو
 تداوبَ ربح المسك فيه وإنما به المسكُ إذ جرَّت به ذيلها جملُ
 وقوله : وأنت الذي حببت سماءي يدا إلى وأوطاني بلاد سواها
 حلت بهذي مرّة ثم مرة بهذي فطاب الوادبان كلاهما

(١) في ديوانه (بالتفاح) في الموضعين . (٢) في ديوانه (سوالفا) . (٣) هو عبد بنى
 الحسحاس ، كان أسود حلو الشعر رقيق الحواشي . (٤) « النميري » ساقطة من الاصل
 فاستدر كناها من الأغاني حيث ذكر البيت في أخبار النميري وهو محمد بن عبد الله
 شاعر غزل مولد من شعراء الدولة الأموية ، وفيه « غطرات » بدل (خفرات) .

وقال الآخر :

أرى كل أرض يعمتها^(١) وإن مضت لها حجبٌ يزاد طيباً ترابها
وقد طرف ابن الاحنف في قوله :

وجدت الناس ساطع المسك من دجلة قد أوسع المشارب طيبا
فهم ينكرون ذاك وما يدرون أن قد حلت منها قريبا
وقال البحتري : فكان^(٢) العبير بها واثياً وجرس الحلى عليها رقيقا
وقلت : تأملت منها غزلاً ريبيا وبدراً منيراً وغصناً رطيبا
جلت لك عن خضل واضح بيت مناه عليها رقيقا
وهزت لنا بسراة الكتيب قضيباً تفرع منه كثيبا
عشبة راحت وأترابها يقلب بن للهجر طرفاً مريباً
كواكب ليل إذا مارأت كواكب شيب نهاوت غروباً
وأقمار روض قمرن^(٣) العقول وغزلان رمل قلبن القلوبا
إذا زدتها نظراً زدتنى جمالاً بديعاً وشكلاً غربياً
رحلن العشبة من ذى الفضا وخلفن فيه جمالاً وطيباً
وقد أحسن القائل في قوله :

جارية أطيب من طيبها والأطيب فيها المسك والعنبر
ووجهها أحسن من حليها والحلى فيها الدرُّ والجوهر
ولو قيل إن هذا أحسن ما قاله محدث في ذلك لم يكن بعيداً . ومما هو غاية قول
إمريء القيس :

ألم تر أنى كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب
وقد طرف القائل :

(١) في الأصل (دمتها). (٢) في الديوان (فصان) (٣) في هامش الأصل : ماعليه
لو قال «عقلن العقول» ليطابق الجنس كما قال «قلبن القلوب» فكان أوقع في النفوس .

أتأها بمطرٍ أهلها فتضاحكتُ وقالتُ وهل يحتاج عطرٌ إلى عطر
وقد أجاد البحترى :

لنا من ريقه راح ومن رياه ريحان
وأنشدنا أبو أحمد في طيب الريح إلا أنه وصف رجل :
سقى لأيام مضت . وكان معها حلوم
أيام بقي لي وفي رهنه الرجل العريم
إذ لا دليل على في برد الضحى إلا النسيم
أجود ما قيل في حب الصغار من شعر المتقدمين قول نصيب^(١) :
ولولا أن يقال صبا نصيب^٢ لقلت بنفسى النشء الصغار
بروحى كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصار^٣
إذا ما اللذ ضاعف الحشايا كفاها أن يلاث لها الأزار^٤
ومن مليح ذلك قول عوف بن محم^(٥) :

وصغيرة علقها كانت من الفتن الكبار
كالبدري إلا أنها تبقى على ضوء النهار
وأنشدني أبو أحمد عن الصولى قال أنشدني عبد الله بن الحسن وقد ملح وطرف :
جارية أذهلها اللعب عما يقامى الهائم الصب^٦
شكوت ما ألقاه من جها فأقبلت تسأل ما الحب^٧
ومن مليح ذلك ما روى أن عبد الملك بن مروان عرضت عليه جارية فقال لها
أبكر أنت أم تيب ؟ فقالت بل تيب فأنشد عبد الملك :

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم خير المطي لدى ما لم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة لبست وحة لؤلؤ لم تثقب

(١) هو نصيب بن رباح الشاعر الفحل المتقدم في المديح والنسيب .

(٢) الخزاعي الشاعر العالم الأديب الراوى صاحب البيت المشهور (إن الثمانين) :

فقلت الجارية: إن المطايا لا يلذُّ ركوبها ما لم تذلل بالزمام وترك
والدرُّ ليسَ بِنافع أربابه ما لم يؤلف في النظام ويثقب
قد أحسننا جميعاً إلا أن وجه الكلام أن يقال يثقب ويؤلف في النظام .
أصدق ما قيل في صفة الحب قول العباس بن الأحنف :

من كان يزعم أن يدارى في الهوى حتى يشكك فيه فهو كذوب
الحبُّ أملك للفؤادِ بقره من أن يرى للسرِّ فيه نصيب
وقلت : آفة السرِّ من جنو نِ دوامِ دواع

كيف يخفى مع الدمو ع الهوى في الموامع
مارأينا أخا هوى سره غير ذائع
أن نيرانَ حبه باديات الطوالم

من أظرف ما قيل في ذكر الشركة في الهوى ما أنشدني أبو أحمد :

مالي جفيتُ وكنت لأجنى وعلامةُ الهجرانِ لا تخفى
وأراك تمزجني ونشري ولقد عهدتك شاربى صرفا

وقد أحسن العباس بن الأحنف في هذا المعنى وهو قوله :

يا فور لم أهدركمُ للملاة منى ولالمقالِ واشِ حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم لا تصبرونَ على طعام واحد

وقد جاء أبو نواس بهذا المعنى إلا أن قول العباس أطبع ، قال أبو نواس :

أتيت فؤادها أشكو إليه فلم أخلص إليه من الزحام
فيا من ليس بكفيها محبَّة ولأننا محبِّ كلِّ عام
أظنك من بقية آل موسى فهم لا يصبرون على طعام

وبما سبق به العباس الشعراء كلهم قوله :

أحرم منكم بما أقولُ وقد نال به العاشقونَ من عشقوا
صرتُ كأتى ذبالةً نصبتُ تضیی للناسِ وهي تحترق .

وأول من ذكر هذا المعنى صاحب كلية ودمنة . وإلى معنى قول البيت الأول
يوميء قول البحري :

قصائد ماتنفاك فيها غرائب تألق في أضعافها وبدائع
مكرمة الانساب فيها وسائل^ه إلى غير من يحبي بها وخرائع
ومما سبقت إليه من المعاني ما قلته :

رفع الستر فاشتى غصن^ه بان يتجلى الهلال في معناه
ليس لي أن أنال ما أتمنى من جنى وصلة اللذيد جناه
فلو أني كنت في بعض شعري فاذا ماشداه قبلت فاه

ومن أبلغ ما قيل في بخل العشوق من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن أبي
بكر بن حريد عن عبد الرحمن عن عمه :

وما نطفة^ه كانت سلاله^ه بارق عمت عن طريق الناس ثم استظلت
بأطيب من أثياب تلم بعدما حدا الليل أعقاب النجوم فولت
وقد بخلت حتى لو أني سألتها قذى العين من ضاحي التراب لضنت

ومن أحسن ما قيل في وقوف النظر على العشوق قول بعضهم (قيد الحسن
الحدقا) وهو من قول امرئ القيس « قيد الأوابد » وقد أحسن الآخر في قوله :
ظبي^ه له من قلوب الناس نابتة^ه من المودة تجني أطيب الثمر
إذا بدا رمت الأبصار وجنته دمعاً فلم تختلف عينان في نظر
وتحوه قول المتنبي :

وخصر تثبت الأبصار فيه كأنت عليه من حدق نطاقا
ومن أجود ما قيل في كمال الحسن ما أنشدناه أبو أحمد :

كل شيء من محاسنها كامن في حسنه مثلاً
ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كلاً

وقال أبو نواس * لومني الحسن ما أعداها * أخذه أبو تمام فقال :

مستدل لم يعتدل عدله في عاشق طال به خيله
 أطرقه أحسن أم طرفه وحسنه أكل أم عقله
 انظر فما عابت في غيره من حسن فهو له كله
 لو قيل للحسن تمنّ النى إذا تمنى أنه مثله
 أى خصال حازها سيدى لو لم يكدر صفوها مطله
 وقال أبو نواس: تمت وتم الحسن في وجهها فكل شيء ما خلاها محال
 للناس في الشهر هلال ولى من وجهها كل صباح هلال
 وقال: متناه بجماله صلف لا يستطيع كلامه نيبها
 لو كانت الأشياء صورته حتى إذا كملت تاهت على التيهام
 وقال: ألاحظ حسن وجهته فتجرحني وأجرحها
 وقال غيره: شكوت إلى شبيبك إذ تجلى هواك فلم يزل شكوى الحزين
 وكان كأنك إشراقاً وحسناً وقلة رحمة المستكين

أحسن ما قيل في إعراض الحبيب قول النمر بن تولب :
 قصدت كأن الشمس تحت قناعها يداحجب منها وضنت بحاجب
 وقد مر قبل . ومن ظريف ما جاء في ذلك قول ابن الرومي :
 ما ساءنى إعراضه عنى ولكن سرّنى
 سالفناه هو ض عن كل شيء أحسن

وقال الآخر وأحسن :
 صدّ عنى محمد بن سعيد أحسن العالمين ثأنى جيد
 صدّ عنى من غير جرم إليه ليس إلا لحسنه في العبدود
 والفرد الذى لا شبهة له في كثرة اعتلال المعشوق على العاشق وكثرة تجنيه عليه قول بعضهم :
 شكوت فقالت كل هذا تبرما بجي أراح الله قلبك من جي
 فلما كتمت الحب قالت لشرما صبرت وما هذا بفعل الشجي الصب

وأدنو فتقصيني فأبعد طالبا
فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها
وقريب منه قول مسلم :

ويخطيء عذري وجه جرمي عندها
إذا أذنبت أعددتُ عذراً لذنبها
بذكرك مات اليأس في حضرة المتى
قد أصاب صفة الماشق . وقلت :

صبابة نفس لا ترى الهجر حاليها
نزلتُ على حكم الصبابة والهوى
ولولا الهوى ما كنتُ آملُ باخلا
ومن شأنه أني إذا ما ذكرته
على أنني أنأى فأدنو تذكراً
ويعجبني حبي له وصبابتي
فلوظنتُ أسلوه لم أكُ هاجراً
ولكن عشقي في ضمان جفونه

ومن أصاب وصف العاشق الصادق العشق على حقيقته الذي يقول :

إذا قربتُ داره كلفتُ وإن نأتُ
وإن وعدتُ زاد الهوى لا تتظارها
ففي كل حال لا محالة فرحة
ومثله قول الآخر :

وما في الأرض أشقى من محبٍ
تراه باكياً في كل حين
فيكي ان نأوا شوقاً إليهم
وان وجدَ الهوى حلواً المذاق
مخافةً فرقة أو لاشتياق
وبيكي ان دتوا خوف الفناء

فتسخن عينه عند التئاني وتبرد^(١) عينه عند التلاقي
 ووصفه الهوى بالحلاوة مع هذه الصفات وصف بديع غريب . ومثله قول ابن الاحنف :
 اذا رضيت لم يهنئ ذلك الرضا لصحة علمي أن سيتبعه عتب^(٢)
 وأبكي إذا ما أذنت خوف عتبها^(٣) فأسألها مرضاتها وإياها الذنب
 وصالك صرم وجبكم قلى وعطفكم صد وسلمكم حرب
 ومثل البيت الأول قول سعيد بن حميد وبرى لفضل الشاعرة :

ما كنت أيام كنت راضية . عني بذاك الرضا بمقتبط
 علماً بأن الرضا سيتبعه منك التجنى وكثرة السخط
 فكل ما ساءني فمن خلق منك وما سرني فمن غلط
 ومن البديع في طلب نيل المعشوق قول الآخر :

عدينا موعداً ثم اجعدينا فكم من مبطل حقاً بجحد
 وإلا قابضى من غير وعد فقد تكف السماء بغير وعد
 وقلت في نحو ذلك :

نسي على بعد الديار تنائياً وخلفك عند القرب من عصب البعد
 كثير سرورى في قليل وفائه وعند ابتسام البرق قهقهة الرعد
 ومن أبلغ ما قيل في الرضا عن المعشوق بالقليل قول جميل :

أقلب طرفى في السماء لعله يوافق طرفى طرفها حين تنظر .
 ومثله قول ابن المفلح :

أليس الليل يلبس أم عمرو وإيانا فذاك لنا تدار
 بلى وأرى السماء كما تراها ويلوها النهار كما علانى
 وأنشدنى أبو أحمد عن ابن الأنبارى لجميل^(٤) :

(١) في الأصل (تسخن) . (٢) في ديوان ابن الاحنف (لعمري به أن سوف يتبعه العتب)

(٣) في ديوان ابن الاحنف (خوف صدها) . (٤) هو جميل بن معمر العذرى

وَأَنى لأَرْضى من بَثْنَةٍ بالذى لو استيقن الواشى لقرتْ بِلابله
 بلا وبالا استطيع وبالمنى وبالأمل المكذوب^(١) قدخاب آمله
 وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى أوأخره لا للفتى وأوائله
 وكان جميل يصدق فى حبه وكثير يكذب . ومن ردىء هذا الباب قول بعضهم به
 وما نلتُ منها محرماً غير أننى إذا هى بأتْ بلتُ حيث تبول
 وعفة هذا كفة المتنبي فى قوله :

انى على شغفى بمافى خمرها لأعفُ عما فى سر او يلاتها
 سمعت بعض الشيوخ يقول من الفجور ما هو أحسن من هذه العفة إذ عبر
 عنها بهذا اللفظ . وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا الجوهرى عن عمر بن شبة قال حدثنى
 أبو يحيى الزهرى عن رجل ذكره قال قيل لكثير ما أنسب بيت قالته العرب ؟
 قال الناس يقولون :

أريدُ لأُنسى ذكراها فكأنما تمثُلُ لى لى بكلِّ سليل
 وأنسب عندى منه :

وقل أم عمرو داؤه ودواؤه لديها وريها الطيب الموافق
 وهذا البيت جيد المعنى ردىء الرصف . وأبلغ ما قيل فى شدة الحب ما أنشدناه قدامة :
 يودُّ بأنْ يمسى سقيماً لعلها إذا سمعتُ منه بشكوى ترأسله
 ويهتزُّ للمعروف فى طالب العلى لتحمدَ يوماً عندَ سلمى شمائله
 وقلت فى معناه :

وقلتُ عساها إن مرضتُ تعودنى فأحببتُ لو آتى غدوتُ مريضاً
 وزدتُ اتساعاً فى المكارم والعلا ليصبحَ جامي عندهنَّ عريضاً
 ومن الشعر المختار فى النسب قول أبي المطاع :

كان كثير راوية جميل وجميل راوية هدية وهدية راوية الخطيئة والخطيئة راوية
 زهير بن أبى سلمى . (١) فى وفيات الاعيان (وبالأمل المرجو) .

أفدى الذى زرتة والسيفُ يخترنى ولحظُ غيبه أمضى من مضاربه
فما خلعت نجاداً في العناق له حتى لبستُ نجاداً من ذوائبه
فباتَ أنعمنا بالآ بصاحبه من كان في الحب أشقانا لصاحبه
وقلت في معنى البيت الآخر :

بقدر الصباية عند المغيب تكونُ السرَّةُ عند الحضور
وأطيب ما كان برد الثفور إذا هو صادف حرَّ الصدر
ومن المختار في صفة العذار :

وقلت الشعرُ يسلىنى هواهُ ولم أعلم بأن الشعرَ حينى
فظلتُ لشقوتى أفدى وأمى سوادَ عذاره بسوادِ عيني

ومن أعجب ما قيل في التهاك في الحب ونهاية التقرب الى المعشوق قول ديك الجن :

بانوا فصارَ الجسمُ من بعدهم ما تصنعُ الشمسُ له فيا
بأى وجهٍ أتلقاهم إذا رأوني بعدهم حيا

ومن أبدع ما قيل في عدم السلو قول ابن الرومى :

أسماءُ أى الواعدين ترينهُ أشدَّ كما مطلاً فانى لأدرى
أأنتِ بنيل منك يبردُ غلى أم النفس بالسوانِ عنك وبالصبر

لم يقل في بعد الحبيب أحسن من قول ابن الاحنف : أخبرنا أبو أحمد عن الصولى
عن هارون بن عبد الله المهلبى قال كنا عند دعبل فذكر العباس بن الأحنف فقال
جيده قليل ولا أعرف أحسن من شعره في الشعر :

هي الشمسُ مسكنها في السماء فمزَّ الفؤادَ عزاءَ جيلا
فلن تستطيعَ إليها الصعودَ ولن تستطيعَ إليك النزولا

ومن البديع القليل النظير قوله أيضاً يذكر كلام الناس فيه وفي معشوقه :
قد مسحب الناس أذيالَ الظنون بنا وفرَّقوا الناسَ فينا قولهم فرقا

فكاذب^(١) قد رمى بالظن غيركم وصادق^(٢) ليس يدري أنه صدقا

وهذا معنى غريب بديع ما أظنه سبق إليه .

ومما هو في معنى قوله * هي الشمس مسكنها في السماء * الخ قول الآخر :

شكوت^(٣) إلى بدر^(٤) هواي فقال لي ألت تری بدر السماء الذي يسرى

فقلت بلى قال التمس^(٥) فأنه نظيري ومثلي في علوي وفي قدر

فان نلت^(٦) فاعلم^(٧) بأنك نائلي وإن لم تنله^(٨) فابغ^(٩) أمرا سوى أمري

فكان كلا البدرين صعبا^(١٠) مرامه^(١١) فويلي من بدر السماء ومن بدري

ومن الغريب البديع في مدح الفراق لمكان القبلة والاعتناق قول محمد بن

عبد الله بن طاهر :

ليس عندي شحط^(١٢) النوى بعظيم فيه غم^(١٣) وفيه كشف^(١٤) غموم

من يكن^(١٥) يكره^(١٦) الفراق فاني أشبه^(١٧) لموضع التسليم

إن فيه اعتناقة لوداع واتظار اعتناقه لقدوم

فلكم قبلة^(١٨) وغيبة شهر (هي) خير^(١٩) من امتناع مقيم

وأخبرنا أبو أحمد عن ابن المسيب لابن الرومي :

فاذا كن^(٢٠) في الفراق عناق^(٢١) جعل الله^(٢٢) كل يوم فراقا

أجود ما قيل في خفتان القلب قول قيس بن ذريح^(٢٣) :

كان^(٢٤) القلب ليلة قيل يمدى بيلي^(٢٥) العامرية أو يراج^(٢٦)

قطاة^(٢٧) عزها^(٢٨) شرك^(٢٩) فباتت تهاذبه^(٣٠) وقد علق^(٣١) الجناح

فلولا التضمين الذي فيه لكان غاية. ومن الغريب في ذلك قول ديك الجن :

ومملوء من الحزن يعالج سورة الأرق

(١) في ديوان ابن الأحنف « فجاهل^(١) » . (٢) في الاصل (صعباً فراقه) .

(٣) الكناني من شعراء العصر الأموي من سكان المدينة شعره عالي الطبقة في التشبيب

والحنين . (٤) كذا في الأثالي ، وفي الأصل « غرها » وفي الصناعتين « غرها »

تَكَادُ غُرُوبُ مُقْلَتِهِ تَعْمُ الْأَرْضَ بِالْفَرْقِ
كَأَنَّ قَوَادِهِ قَلَقَا لِسَانُ الْحَيَةِ الْفَرْقِ
وقد أحسن في قوله أيضا :

علمت قلبي وجيئاً لست أعرفه ما أنكر القلب إلا كما خفقا
ياشوق إلفين حال البين بينهما فهاقصاه على التوديع قاعتنا
لو كنت أملك عيني ما بكيت بها تطيراً من بكائي بدم شقنا
وقد أحسن القائل وجاء بما في نفس العاشق :

ولو داوأك كل طيب (ركب) بغير كلام ليلى ما شفاكا
ولو أصبحت تملك كل شيء سوى ليلى عتبت على غناكا
ومن أعجب ما قيل في الشفقة على المَشُوق قول أبي دلف العجلي :
أحبك يا حيان وأنت مني مكان الروح من جسد الجبان
ولو أني أحبك أحب نفسي نلخت عليك بادرَةَ الطعان
لاقدامي إذا ما الخيل جالت وهاب شجاعها وقع الطعان

خص الجبان لأنه أشد شفقة على نفسه من الشجاع وهذا من جيد الاستطراد.
ومن بليغ ما قيل في الحب مع الشجاعة ومن أجود ما قيل في اليأس عن الوصل
قول مجنون ليلى أو غيره :

خرجت فلم أظفروعدت فلم أفز بنيل كلا اليومين يوم بلاء
فيا حسرتي ما أشبه اليأس بالقتي وإن لم يكونا عندنا بسواء
وقال : وقد أيقنت نفسي بأن حيلَ بينها وبينك لو يأتي يأس يقينها
أرى النفس عن ليلى تعاني بلاعنا وقد جن من وجدى بليلى جنونها
ومثل ذلك : فإن يك عن ليلى غنى وتجلد فرب غنى نفس قريب من الفقر
ومن أطرف ما قيل في النحول ما أنشدنيه أبو أحمد :

إذا (يوماً) بليت وذاب جسمي لعل الريح تحملي إليه

وقال ابن المعتز :

ماذا ترى في مدنف يشكوك طول سقمه
أضنيته فما يطبق ضعفه^(١) حل اسمه
فلا يراك طائداً إلا بعين وهمه

وقال كشاجم :

وما زال يرى أعظم الجسم حبها وينقصها حتى لطفت عن النقص
وقد ذُبتُ حتى صرتُ إن أنا زرتها أمنتُ عليها أن يرى أهلها شخصي
وقال ديك الجن وبالع :
أنحلَّ الوجدُ جسمه والحنين

لم نفس أنه جليدٌ ولكن وبرآء الهوى فما يستبين
دقَّ جداً فما تراء العيون

وقال نصر بن أحمد :

قد كنَّ لي فما مضى خاتمٌ فاليوم لو شئتُ تمنطقتُ به
وذُبتُ حتى صرتُ لوزجٍ بي في مُقلَّةِ النَّائم لم ينتبه
الحسن بن وهب^(٢) :

أبليتُ جسمى من بعد جدته فما تكادُ العيون تبصره
كأنه رسمٌ منزل خلق تعرفه العين ثم تنكره
ومما لا أظن أن له شبيهاً قول بعض الحول وليس في هذا المعنى :

حدثتُ إلهي إذ بليتُ بحبها على حَوْلٍ يغني عن النظرِ الشرر
نظرتُ إليها والرقيبُ يغتنى نظرتُ إليه فاسترحتُ من العذر
ومن فصيح ما قيل في إنشاء الهوى صاحب ؟ قول بعض نساء الأعراب :
ألا قاتل الله الهوى ما أشده وأصرعه للمرء وهو جليدٌ

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (فلم يطبق من ضعفه)

(٢) هو الكاتب الشاعر الوجيه صاحب الاخبار مع أبي تمام ، رثاه البحري لمات .

دماي الهوى من نحوها فأجبتهُ فأصبح بي حيثُ يريدُ
وقال كشاجم وأحسن في قوله وليس من هذا المعنى :
أقبلتُ ثمَّ عرَّجتُ ليتها لم تُعرِّج
في حدادٍ كأنها وردةٌ في بنفسج
ومن أحسن ما قيل في محبَّة الفراق بعد التلاق قوله أيضاً :
لم أسنِّمُ عناقهُ لِقْدومه حتى بدأتُ عناقهُ لوداعه
فمضى وأبقى في فؤادي حسرةً تركته موقوفاً على أرجاعه
وأنشدني أبو أحمد قال أنشدني الصولي أنشدني الحسين بن يحيى أنشدني
الحسين بن الضحاك لنفسه :

بأبي زورٌ تلفت له فتنفتُ عليه الصعدا
بينما أضحك مسروراً به إذ تقطعتُ عليه كدا
وأنشدنا عنه لأبي العيثل (١) :

أقيمتُ ابنةَ السهمي زينبَ عن عُفْرِ ونحن حرامٌ مَسِيَّ عَاشِرَةِ الْعَشْرِ (٢)
فكلمتها ثنتينِ كالثلجِ منهما وأخرى على لوحٍ آخرٍ من الجر
الأولى تسليم اللقاء فهي باردة طيبة والأخرى تسليم الوداع .

ومن جيد ما قيل في تجديد الشوق على قرب الديار قول بعض العرب :
ويزدادُ في قرب الديار صباةً ويعدُّ من فرطِ اشتياقٍ طريقها
وما ينفع الحرَّ أن ذا اللوع أن يرى حياضَ القرى مملوءةً لا يدوقها
ومن جيد ما قيل في رد العذول :

(١) هو عبد الله بن خليل ، كان كاتب عبد الله بن طاهر وشاعره ، كان
مكثراً من نقل اللغة عارفاً بها ، شاعراً مجيداً . (٢) في البيت تصحيف صححناء
من الأمل ، وفيه : عن عفر : عن بعد أي بعد حين ، ونحن حرام : أي محرمون ،
ومسيَّ عَاشِرَةِ الْعَشْرِ يعني أنه أقيمت بعرفت عشية عرفة وهو مَسِيَّ عَاشِرَةِ الْعَشْرِ .

إذا أمرتني العاذلاتُ بهجرها هفت كبدٌ مما يقلنَ صديع
وكيفَ أطيعُ العاذلاتِ ووجهها يؤرقتني والعاذلاتُ هجوع
ومن جيد ما قيل في رياضة النفس على الهجر ما أنشده أبو اسحق الموصلي :
واني لأستحيى كثيراً وأتقى عيوباً وأستبقى المودةَ بالهجر
وأندرُ بالهجرانِ نفسي أروضاها لأعلمَ عندَ الهجرِ هل لي من صبر
وقال غلام من فزارة :

وأعرض حتى يحسب الناسُ انما هي الهجرُ لا والله ما بي لك الهجرُ
ولكن أروضُ النفسَ أنظر هل لها إذا فارقتُ يوماً أحبتها صبرُ
وزاد العباس بن الأحنف فقال :

أروضُ على الهجرانِ نفسي لعلها تمسك لي أسبابها حينَ تهجر
والزيادة في قوله :

وأعلمُ أنَّ النفسَ تكذبُ وعدها إذا صدقَ الهجرانَ يوماً وتغدر
وما عرَّضتَ لي نظرةً مذ عرفتُها فأنظر إلا مثلتُ حينَ أنظر
وهذا من قول جميل :

أريدُ لأنسى ذكراً فكأنها تمثُلُ لي ليلي بكلِّ سبيل
وذكر بعضهم أنه بهجرها مخافة العين تصيب وصلها : أنشدناه أبو أحمد عن
الصولي عن أحمد بن يحيى ، وأحمد بن سعيد الدمشقي عن الزبير :

خشيتُ عليها العينَ من طول وصلها فهاجرتها يومين خوفاً من الهجر
وما كانَ هجراني لها من ملالةٍ ولكنني جرَّبتُ نفسي على الصبر
ومن فصيح الشعر الداخل في هذا الباب قول إبراهيم بن العباس أنشدناه أبو
أحمد عن الصولي عن ثعلب وأبي ذكوان قالاً أنشدنا إبراهيم بن العباس لنفسه :
يمرُّ الصبا صفحاً بساكن ذى الغضا فيصدعُ قلبي أن يهبَ هبوبها
قريةً عهدٍ بالحبيب وإنا هوى كلِّ نفس أين حلَّ حبيبها

تطلع من نفسى اليك طوالم عوارف أن اليأس منك نصيبها
 وإنما أغار إبراهيم بن العباس على ذى الرمة حيث يقول :
 إذا هبت الأرواح من نحو جانب ^(١) به أهل مي زاد شوقى ^(٢) هبوبها
 هوى تدرى العيان منه وإنما هوى كل نفس أين ^(٣) حل جيبها
 مو قال العباس بن الأحنف في غير هذا المعنى :

متى تبصرنى يا ظلوم تبينى شمائل بادی البث منصدع القلب
 بريثاً تمنى الذنب لما هجرته ^(٤) لكما يقال الهجر ^(٥) من سبب الذنب
 وقد كنت أشكو عتبتها وعتابها فقد فجعنى بالعتاب وبالعتب
 أشفق عليها من أن تهجره بنير ذنب فيقال إنها ملول فليحقها هجنة .
 ومن أجود ما قيل في الوقوف على الديار قول امرئ القيس * قفا نيك من
 ذكرى حبيب ومنزل * وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في
 مصراع فليس له شبيه في جميع أشعارهم . وأحسن ما قيل في وصف الديار وبلاها
 ما أنشدناه أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر عن أبيه :

ولم يترك الأرواح والقطر والندى من الدار إلا ما يشفق ويشفق
 وقلت : قد عريت أمانها حين اكنت أردية الرّيح عشياً وضحى
 لم يبقَ فيها غير ما يذكى الجوى ويصرف النوم ويبعث البكى
 وأنشدنا أبو القاسم :

ألا حى من أجل الحبيب المغايا لبسن البلى مما لبسن الليالي
 ولا عرابى : طللان طال عليهما الأبد دثرا فلا علم ولا نضد
 لبسا البلى فكأتما وجدا بعد الأوبة مثل ما أجد

(١) في ديوان ذى الرمة (من كل جانب) . (٢) في الديوان (هاج شوقى)

(٣) في الديوان (حيث حل) . (٤) في ديوان العباس المطبوع (صرمته)

(٥) في الديوان (الصرم) .

وهذا مثل قول جرير * أحب لحب فاطمة الديارا * والذي أورد من أنواع
 هذه المعاني إنما هو إشارة إلى جمهورها وتنبية على معظما ولو اتبعت كل ما فيه أمثاله
 وعلقت عليه أشكاله لكثرت واتصلت وتوفرت حتى أملت وأضجرت وتجاوز
 الحد في القول من هذه فيه وهجنة على قائله . ومن أجود ما قيل في حب السودان :
 أحبُّ النساء السودَ من حبِّ تكتم ومن أجملها أحبيتُ من كانَ أسودا
 فبحثنى بمثل المسكِ أطيب نفحة وجثنى بمثل الليل أطيب مرقدًا
 البيت الثاني على غابة الجودة وحسن التمثيل . وقلت :

صرفتُ ودِّي إلى السودان من هجر وما (أميل) إلى روم ولا خزر
 أصبحتُ أعشقُ من وجهٍ ومن بدن ما يعشقُ الناسُ من عينٍ ومن شعر
 فإنَّ حسبت سوادَ الجلودِ منقصةً فانظر الى سفةٍ في وجنة القمر
 وروى للجاحظ :

يكونُ الخيالُ في وجهٍ مليح فيكسوه الملاحاةُ والجالا
 ولستَ تملُّ من نظري إليه فكيفَ إذا رأيتَ الوجهَ خالا
 وقد ملح بعضهم في خلاف ذلك :
 إنَّ الذي يعشق من لا
 وإنَّ من يعشقُ زنجيةً كالذي ذلك في الظلمة

أجود ما قيل في الخيال من قديم الشعر قول قيس بن الخطيم :
 أتى سريت وكنت غير سروبٍ وتقربُ الأحلامُ غير قريبٍ
 ما تمنى يقضى فقد تؤتينه في النوم غير مكدر^(١) محسوب
 كان المنى بلقائها فلقيتها ولهوتُ من لهو امرئ مكذوب
 وقول عمرو بن قميئة^(٢) :

(١) في ديوان قيس (غير مصرد) . (٢) من قدماء الشعراء في الجاهلية ،
 يقال إنه أول من قال الشعر من تزار وهو أقدم من امرئ القيس ، وهو شاعر فحل .

نأتك أمانة إلا سؤالا وإلا خيالاً يوافي خيالاً
خيالى يخيل لى نيلها ولو قدرت لم يخيل نوالا
وهذا من معانى القدماء غريب وهو أبلغ ما قيل فى بخل المشوق ، ومن هاتين القطعتين
أخذ المحدثون أكثر معانيهم فى الخيال ، ومن البارع النصيح فى هذا المعنى قول البعيث^(١) :
أزارتك ليلى والركاب خواضع وقد بهر الليل النجوم الطوالع
فأعطتك آيات المني غير أنها كواذب إن حصلتها وخوادم
على حين ضم الليل من كل جانب جناحيه وانقضت نجوم ضواجم
وأعجلها عن زورة لم أفز بها من الصبح حاد يزعج الليل ساطم
وأحسن النميرى حيث يقول :

عجباً لطيفك أنه يشكو الجوى وهو الجوى

أخذه مسلم فقال :

طيف الخيال عهدنا منك إلما داوبت سقماً وقد هيبت أسقاما
ومن اللفظ الغريب قوله : * ز الكرى طيفها وهنا خيالى *
لأعرف أنه سبق الى هذا اللفظ . وقال أبو تمام :

استزارتته فكرتى فى المنام فأتاهانى خيفة^(٢) واكتنام

يا لها ليلة تراورت^(٣) الأرح فيها سرّاً من الأجسام

مجلس لم يكن لنا فيه عيب غير أنا فى دعوة الأحلام

وهذه معان إلا أنه ليس لأفانها طلاوة . ومن غريب المعانى فى هذا قول دعبيل :

سرى طيف ليلى حين حان محبوب وقضيت شوقى حين كاد يؤوب

ولم أر مطروقاً يحل بطارق ولا طارق يقرى المني ويثيب

(١) هو خداش بن بشر من بنى مجاشع ، كان أخطب بنى تميم وصلى البعيث بقوله :

تبعث منى ماتبعث بعدما استمر قوادى واستمر عزيمى

(٢) فى ديوان أبى تمام « فأتانى فى خيفة » . (٣) فى الديوان (تزهت) .

يقول ان العادة أن يقرى الطارق المطروق والخيال طارق يقرى المطروق .

ومن الغريب الدقيق قول ابن الرومي :

طرقتنا فأناالت . فأنالا شكره لو كان في النبة الجحود
ثم قالت وأحست عجي من سراها حيث لا تسرى الأسود
لا تعجب من سر أنا فالسرى عادة الأقبار والناس هجود
فرأيت في هذه الأبيات زيادة وتضميناً فقلت :

رقت غفلة الرقيب فزارت تحت ليل مطر ز بهار
فتعجبت من سراها فقالت غير مستطرف سري الأقبار
ثم مالت بكأسها فسقتني جلتارية على جلتار
آخر : فباليت طيفاً خيلته لي المنى وإن زادني شوقاً اليك يعود
أكلف نفسي عنك صبراً وسلوة وتكليف مالا يستطيع شديد
الجيد أن يقول (تكلف مالا يستطيع) وأما تكليفه في الحقيقة فغير شديد على المكلف
وأما جعل هذا التكليف مكان التكلف هو رديء . وقال الحمدوني :

لم انله فنلتته بالاماني في منامي سرّاً من الهجران
واصل الحلم بيننا بعد هجر فاجتمعنا ونحن مقتربان
وكان الارواح خافت رقيباً فطوت سرها عن الأبدان
منظر كان كزهره العين إلا أنه ناظره بغير عيان

وقال ابن المعتز :

لا فرج الله عن عيني برؤيته ان كنت أبصرت شيئاً بعده حسنا
إلا خيالاً عسى ان نمت يطرقني وكيف يحلم من لا يعرف الوسنا
وقال : كلامه أخدع من لحظه ووعدته أ كذب من طيفه
وليس لأحد في الخيال ما للبحترى كثرة فمنه قوله :

بعينيك اعوالى وطول شهيقي وإخفاق عيني من كرى وخفوق

على أن تهويماً إذا عارض اطبي^(١) سرى طارقاً في غير وقت طروق
فبات يماطيني على رقبة العدى ويمزج ريقاً من جناه بريقي
وبت أهاب المسك منه وأتقى رداع عير صائك وخلق
أرى كذب الاحلام صدقاً وكم صفت إلى خبر أذناي غير صدوق
وما كن من حق وبطل فقد شفى حرارة متبول وخبل مشوق
وقلت في خلاف ذلك:

طرق الخيال فزار منه خيالا فسرى يغازل في الرقاد غزالا
يا كشفه للكرب إلا أنه ولي على دبر الظلام فزالا
فندا المتيم وهو أكبر صبوة وأشدّ بلبالاً وأكف بالاً
وما قيل في الامتزاج والاختلاط مثل قول الخريبي^(٢):

ليالى أرعى في جنابك روضةً وآوى إلى حصن منبع مراتبه
وإذا أنت لى كالحمر والشهد ضعفاً بماء اصاف ضعفته جنائبه
وقال بشار:

لقد كان ما بينى زماناً وبينها كما بين ربح المسك والعنبر الورد
أجود ما قيل في صفة الركب: أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولى حدثنا محمد بن
سميد عن عمر بن شبة قال كان الناس يقدمون قول أبي النجم وبتعجبون من حسنه:
كان تحت درعها المنعطف ضخم القذال حسن المخط
وقد بدا منها الذى تغطي كأنما قطعاً على مقطع
شطاً رميت فوقه بشط كهامة الشيخ اليماني الشط
لم يعمل في البطن ولم ينحط

حتى قال بشار:

(١) في الاصل (اطأى) (٢) هو اسحق بن حسان ، اتصل بمحمد بن منصور بن
زياد كاتب البرامكة ، وله فيه مدائح جياذ ، عى بعد ما أسن ، وقال في ذلك شعراً .

عجزاء من سرب بني مالك لها حرٌّ من بطنها أرفع
 زينَ أعلاهُ بأشراقه وانضمَّ من أسفله المشرع
 قال أبو هلال رحمه الله تعالى أول من أتى بهذا المعنى النابغة حيث يقول :
 وإذا طعنت طعنت في مستهدفٍ رابى المجسة بالعبير مقررمد
 وإذا نزع نزعاً عن مستحصفٍ نزع الحزور بالرشاء المحصد
 يصف ضيقه ويقول إن النازع منه يتعب من نزعها كما يتعب الحزور - وهو
 الغلام - إذا استقي من البئر .

وأحسن ابن الرومي في وصف الضيق والحرارة حيث يقول :
 لها هنٌ نستعيرٌ وقده من قاب صبٍّ وصدر ذى حنق
 كأنما حره نلجابه ما أوقدت في حشاه من حرق
 يزداد ضيقاً على المراس كما تزداد ضيقاً أنشوطه الوهق
 وقال في سخته :

يسعُ السبعة الأقاليم طرّاً وهو في أصبعين من إقليم
 كضمير الفؤاد يلتهم الدُّنيا وتحويه دفنا حيزوم
 ومن النادر قول الناجم :

إن ردفَ الفتاة عجنةُ خبا زي وقد أمها من الأدم جينه
 وقال المذلل بن غيلان ^(١) :

ومركب كيضة الأُدجى كأن نبت الشعر المطفى
 عليه شونيزٌ على فرنى

ومما يجرى مع ذلك قول بعضهم :

أقولُ والقومُ تعادى بهم إلى الوغى مضمرة قرح
 استعمل الله على مركبٍ يحثُّ بالسير ولا يبرح

(١) هو والد عبد الصمد بن المذلل الشاعر المشهور .

وهو مثل قول مسلم :

ما مركب من ركوب الخيل - بعجني
ومثل الأول : فبات يسرى ليله ولم ينم
وقال الفرزدق : ثم اتقتني بجهم لاسلاح له
كأن رمانة في جوفه انفجرت
وأبلغ ما قيل في كبره قول الفرزدق :

إذا بطحت فوق الأثافي رفعتها
يقول إنها إذا بطحت على وجهها لم يمس الأرض منها شيء لان نهود ثدييها وكبر
ركبها مثل أثافي القدر لبدنها ، وهذا أبلغ من قول بشار الذي اختاره الأصمعي .
وقال الراجز في وصف الضيق :

كأن هجأماً^(١) شديداً أبهره يدارك المص ولا يفتره

ومما قيل في حب الكبار قول المجنون :

وعهدى بليلي وهي ذات موصد ترد علينا بالعشي المراميا
فشب بنو ليلى وشب بنوا بنها وأعلاق ليلى في الفؤاد كاهيا
ابن المعتز : من معيني على السر وعلى الهمة والفكر
وابلائي من شادن كبر الحب إذ كبر

ومن البديع قول ابن الأحنف :

لعمري لقد كذب الزاعمون بأن القلوب تمأذي القلوب
ولو كان حقاً كما يزعمون لما كان يشكو حب حبيباً

ومما يلحق بالفصل الأول ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن البلعي عن أبي
حاتم قال سمعت الأصمعي يقول سمعت الرشيد يقول قلب العاشق عليه مع معشوقه
فلت له هذا يأمر المؤمنين أحسن من قول عروة بن حزام العذري^(٢) في آخر

(١) في نسخة (هماماً) (٢) شاعر اسلامي من المتيمين .

أياته التي أنشدها :

أراني نعروني لذكرك رعدة^(١) لها بين جلدی والعظام ديب
وما هو إلا أن أراها فجأة فأبته حتى ما أكاد أجيب
وأصرف^(٢) عن رأبي الذي كنت أرثي ويعزب عني ذكره ويغيب^(٣)
ويضمّر قلبي عندها وبينها عليّ فمالي في الفؤاد نصيب
فقال الرشيد من قال هذا وهما قاني أقوله علماً والله درك يا أصمى قاني أجد عندك
ما يضل عنه العلماء ، فأخذه محدث فقال :

يؤازرهُ قلبي عليّ وليس لي يدان بمن قلبي عليّ يؤازرهُ
وأخذه سهل بن هرون فقال :

أعان طرفي على جسدي وأعضائي بنظرة وقفت جسمي على دائي
وكنت غراً بما تجني عليّ يدي لاعلم لي أن بعضي بعض أعدائي
وهذا شعر فيه تكاف ، أخذه البحري :

ولست أعجب من عصيان قلبك لي عمداً إذا كان قلبي فبك بعصيتي
وقال ابن الأحنف :

قلبي إلى ما ضرّني داعي يكثر أسقامي وأوجاعي
كيف احترازي من عدوّي إذا كان عدوّي بين أضلاعي
ومن جيد ما قيل في قرب الدار مع تباعد القلوب قول النظار الفعسي :
يقولون هذي أم عمرو قريبة دنت بك أرض نحوها وسما
ألا إنما بعد الحبيب وقربه إذا هو لم يوصل إليه سواء
وفي خلافة : وإني زوار لمن لا يزورني إذا لم يكن في ودّه بمرّيب
يقرب لي دار الحبيب وإن نأت وما دار من أبغضته بمرّيب

(١) في الأغاني (وإني لتعشاني لذكرك هزة) (٢) في الأغاني (وأصدف)

وهما بمعنى . (٣) في الأغاني (وأنسى الذي أزمعت حين تغيب) .

ومن غريف الشكاية قول ابراهيم بن العباس :

فدعنى راغماً أشقى بوجدى ومُخذ قلى إليك بغير حمد
سقام لا يرقُّ علىَّ منه ووجد لا يكافئه بودٌ
وقد أصفيتُه ودّى بجهدى فمارضَ في الجفاء بمثل جهدى

ومن جيد مامدح به الفراق قول بعض الكتاب : في الفراق مصافحة التسليم
ورجاء الأوبة والسلامة من المسلال وعمارة القلب بالشوق والدلالة على فضل
المواصلة واللقاء . وقال الشاعر :

جزى الله يومَ البين خيراً فانه أرانا على علاته أم ثابت

وكتب بعضهم في معنى قول الشاعر * وما في الأرض أشقى من محب * وقد تقدم :
تفكرى في مرارة البين بمنعنى من التمتع بحلاوة الصبر وتكره عيني أن تقربك مخافة
أن تسخن يبعدك فلى عند الاجتماع كبد ترجف وعند التناهي مقلة تكف . ومثله :
لا والذي بيده السلامة بروح دارك وبعد مزارك ما زادنى اللقاء إلا مصابة وأسفاً والاجتماع
إلا نزاحاً وكلفاً لا نئى منقسم القلب بين رجاء يعدنى بقربك وحذر يوعدنى يبعدك وإذا
قربت دارك كلفت وإن نأت أسفت فلا فى القرب أسلو ولا البعد .

ومعنى لما فى الموسوس^(١) معنى أظنه ابتكره وهو :

بكت عيني غداة البين دمعاً وأخرى بالبكى بخلت علينا
ضاقتُ التى بخلت علينا بأن غمضتها يومَ التقينا
وسبكه البيت الأول ورصفه ردى جداً لا خير فيه وإنما استغربت المعنى

فأوزدته . وقد أخذ ابن الرومي فشرحه وزاد فيه وهو من قوله :

ولقد يؤلفنا اللقاء بليلة جعلت لنا حتى الصباح نظاماً
نجزى العيون جزاءهن عن البكى وعن السهاد فلا نصيبُ أنا
فنيحهن مرأدهن يردنه فيما أدعين ملاحه ووساما

(١) هو أبو الحسين محمد المصري ، شاعر لين الشعر رقيقه ، لم يقل غير النزل .

ونكافي الأذان وهي حقيقة^١ إذ لا تزال تكابد اللواما
فتشبهن من الحديث مشوبة^٢ تشفى الغليل وتكشف الأسقاما
ونكافي الألفواه عن كتابها إذ لا يزال لها الصمات لجاما
فنبههن ملائماً ومراشفاً ماضرها أن لا تكون مدا
نجزي الثلاثة أنصباء ثلاثة مقسومة آناؤها أقساما

ونخلد الكاتب معنى يلحق بما تقدم وهو قوله :

بكيت دماً حتى بكيت بلا دم بكاء قتي فرد على شجن فرد
أبكي الذي فارقت بالدمع وحده^٣ لقد جل قدر الدمع فيه إذا عندي
وكتبت في فصل لي : قد جل شوقي إليك ووجدى بك عن أن يبرد نارهما
ويسكن أوارهما دمع ينصب على مثله فتحسبه درأ يتكسر على در ويمتزج بالدم
فتخاله شذور عقيق في نظام فريد .

ومما يلحق بما تقدم أيضاً قول سعيد بن حميد^(١) :

وما كان حبيبها لأول نظرة ولا غمرة من بعدها فتجلت
ولكنها الدنيا تولت فما الذي يسلى عن الدنيا إذا ماتت
وقال أعرابي :

أعلل أصحابي بجدي وباطلي وأسماء جد القلب منى وباطله
ومن بديع المعاني قول ابن أبي فتن :
أدميت بالأحاطير وجنته^٤ فاقص ناظره من القلب
أخذه على بن حاصم فقال :

ضربت إلفي يدي خان يميني جلدي
فاقص لما اغرورقت^٥ مقلته من كبدي
فلا أقلت بعدها سوطي من الأرض يدي

(١) هو الشاعر الكاتب المترسل ، كان حسن الكلام فصيحاً ، وكان والده شاعراً .

ومن أجود ما قيل في تكافؤ الحسن قول الراجز وكان ينبغي أن يقدم :
 جاءت تهض الأرض أي هض يدفع منها بعضها من بعض
 يقول يتحير الناظر فيها ولا تقف عينه على واحدة فيصيبها بعين لأن بعضها
 يشغل عن بعض . ومن بديع المعاني قول بعض الشعراء :

قصاراك مني الود ما دمت حية وودك ماء المزن غير مشوب
 وآخر شيء أنت في كل مضجع وأول شيء أنت عند هبوب
 ومن جيد القول في الفراق قول أبي محلم :

وما خفت وشك البين حتى رأيتهم معض ؟ أنماط لهم وقطوع
 لعمرك ما شيء مررت بذكره كآخر يأتي بقتة فيروع
 ومما لا أعرف في معناه أجود منه قول بعضهم :

ما بين باب الوزير والمسجد الجا مع ظبي كالظباء في جيده
 أطماره رثة فقد ضاع لا ضاع وضاع التميز في بلده
 ليس له ناقد فيعرفه وآفة التبر ضعف متقدده
 وفي خلاف ذلك قول صاحب البصرة :

ولست بوصف أبداً حيباً أعرضه لأهواء الرجال
 تراني آمن الشركاء فيه وآمن فيه أحداث الليالي
 معنى آخر :

وقائلة متى يفنى هواه فقلت لها إذا فنى المـلاح
 معنى آخر : وإذا أتيتك زائراً متشوقاً قصر الطريق وطال عند رجوعي
 معنى آخر : إذا طلعت شمس النهار فأنها أمارة تسليى عليك فسلمى
 آخر التشبيب والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قال فأبلغ وأنعم فأسبغ ، أحل الملاذ ومنح لينعم
عباده في العاجل ويدل على ما أعد لهم في الآجل فقال (يَا أَيُّهَا النَّاسُ
كُلُوا مِنَّمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا) وقال (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ
وَأَعْمَلُوا صَالِحًا) وقال تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) وله الحمد على كمال بره وتمام لطفه والصلاة على خير خلقه
محمد النبي وآله .

(هذا كتاب المبالغة)

(في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب
وما يجري مع ذلك - ثلاثة فصول وهو :)

(الباب الخامس من كتاب ديوان المعاني)

(الفصل الأول في ذكر النار)

فأول ما نذكر فيها قول الله تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ) الى
قوله (فَمَنْ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ) فذكر منفعتها وحسن
عائدها في الدنيا والدين فأما منفعتها في الدين فأنها تذكر ما أعد الله تعالى لعصاته
منها في دار العذاب فيكون ذلك مزجرة لمن تذكر ومنهارة لمن تبصر ، وأما منافعتها
في الدنيا وكثرة مرافقتها فغير مجهولة وقد خص الانسان بخيرها دون سائر الحيوان

فليس يحتاج إليها شيء سواه وليس به عنها غنى في حال من الأحوال ولهذا عظمها
المجوس وقالوا إنها قد أفردتنا بنفعها فينبغي أن نفردها بتعظيمنا على أنهم يظنون
جميع ما فيه نعمة على العباد فلا يدفنون موتاهم في الأرض ولا يستنجون في الأنهار،
رؤى على عهد كسرى رجل يغتسل في دجلة فضربت رقبتة ، وكانت العرب إذا
تحالفت تحالفت على النار ويدعون على من يغلد ويتنقض العهد بجرمان منافعها . وقد أحكمتنا
ذلك في كتاب الأوائل . ومن عجيب التشبيه في النار قول الأول :

كَأَنَّ الرِّيحَ تَقْطَعُ مِنْ سَنَاها بَنَاقِ حَبَّةٍ مِنْ أَرْجَوَانِ
وقول ابن المعتز :

وموقدات بن^(١) يضر من اللهب^٢ يشبعنه من فحم ومن حطب^٣
يرفعن نيراناً كأشجار الذهب^٤

وقال آخر : كأن نيراننا في جنب قلعهم مصبغات على ألسان قصار
وقول أبي تمام في إحراق الأفشين :

نارٌ يساورُ جسمه من حرِّها لهبٌ كما عصفت شوقٌ إزار
صلى لها حياً وكان وقودها ميتاً ويدخلها مع الفجار

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا أحمد بن اسمعيل حدثني جعفر بن علي بن
الرشيد فقال أنشدنا المعتصم قول بعض الهاشميين في فتحه هرقة :

رِيعَتْ هَرْقَلَةٌ لَمَّا أَنْ رَأَتْ عَجَباً جَوَّ السَّامِ^(٢) تَرْتَمِي بِالْفَنَطِ وَالْقَارِ
كَأَنَّ نِيرَانَنَا فِي جَنْبِ قَلْعِهِمْ مَصْبِغَاتُ^(٣) عَلَى أَرْسَانِ قِصَارِ

فقال لابن داود وقد أنشدنا شاعر طائي أوصلته إلى في حرق القادر أفشين شيئاً من
هذا الجنس استحسنته فقال أحمد ما أحفظه وإنما أحضر الشاعر فقال بعض أولاد
الحجاب أنا أحفظ القصيدة والموضع فقال هات فأنشد :

ما زال سرُّ الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سرُّ الزناد الواري

(١) في الأصل غير منقوطة. (٢) في الأصل (جوائم) (٣) في الأصل (مصبرات) (

ناراً يساورُ جسمه من حرّها لهبٌ كما عصفت شقٌّ إزار
طارت لها شررٌ ^(١) يهْدَمُ لفتحها أركانهُ هدماً بغيرِ منار ^(٢)
ففتلنَ منه كلُّ مجمعٍ مفصل وفعلنَ فاقرةً بكلِّ فقار
رمقوا أعالى جذعه فكأنما رمقوا هلالَ عشيّة الاِفطار
كروا وراحوا في متون ضوامرٍ قيدت لهم من مرتبط النجار
لا ينزلون ^(٣) ومن رآهم خالهم أبداً على سفرٍ من الأسفار
فقال المعتصم أحسن ما شاء قد أمرت له بعشرة آلاف درهم ولهذا الذي حفظها
بنصفها ، قال فتعجبنا من فطنة المعتصم ومن رزق هؤلاء على غير طلب ولا أمل
قال فلم يبق في العسكر أحد إلا حفظ قصيدة أبي تمام . وقلت :

أوقدتُ بعدَ الهدوءِ نارا لها على الطارقين عَيْنُ
شرارها إنْ علا نضارُ لكنَّهُ إنْ هوى لجين
دعتهُم فأنثى إليها محبهم قرة رأين ؟
إلى كريم الفعاليِّ سمح عطاؤه للكرم زين
يقضى ديونَ العلا يبدلُ إذ ليس يقضى لهنَّ دين

وقال ابن المعتز :

وقد تعلّى شررُ الكاتون كأنه شارٌ يسمين
وقلت : نار تلعب بالشقوق كأنها محلٌّ مشققةٌ على حبسان
رَدَّتْ عليها الريحُ فضلَ دخانها فأتَتْ به سباحاً على عصان
فالجوُّ يضحك في ايضاضٍ شرائر منها ويعبسُ في اسوداد دخان

وقال أبو فضلة :

اشربْ على النار في السكوانين إذ ذهبتْ دولةُ الرّياحين

(١) في ديوان أبي تمام (شعل) . (٢) في الديوان (بغير غبار) .

(٣) في ديوان أبي تمام (لا يبرحون) .

بَدَّتْ لَنَا وَالرَّمَادُ بِحُجْبِهَا كَجَلَنَارٍ مِنْ تَحْتِ نَسْرِينَ
وقلت في معناه :

قَصُرَتْ يَدَ الشَّتَاءِ بِحَرِّ جَمْرٍ وَأَخْتِ الْجَرِّ صَافِيَةِ الرَّحْبِ
تَرَى نَبْذَ الرَّمَادِ بِوَجْنَتَيْهِ كَكَافُورٍ يَنْدُرُ عَلَى خَلْقٍ
وَقَلْتُ : تَحَرَّكَتِ الشَّمَالُ فَرَّ لَيْلَى فَهَاتِ الرَّاحَ مِنْ أَيْدِي الْمَلَايحِ
جَرَادِ الْجَرِّ يَسْتَرُهُ رَمَادُ كَثَلِ الْوَرْدِ يَسْتَرُهُ الْأَقَايحِ
وَأَنْفَاسُ الرِّيَاضِ مَمْطَرَاتُ تَطِيرُ مِنْ أُنْفَاسِ الرِّيَّاحِ
وَأُرْدِيَةُ الظُّلَامِ مَمْسَكَتُ مَطَرَزَةُ الْحَوَاشِي كَالصَّبَاحِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ فِي مَقُولِ الشَّرَرِ عَلَى الثِّيَابِ وَالْبَسْطِ :

فَتَرَكِ الْبَسَاطَ بَعْدَ الْحَدِّ ذَا نَقْطِ سَوْدٍ كَجِلْدِ الْفَهْدِ
وَقَالَ أَيْضًا * وَصِيرَتْ جِبَابُهُمْ مَنَاخِلًا * وَقَلْتُ :
كَأَنَّ النَّارَ بَيْنَهُ ذَهَبٌ وَالْجَمْرُ مِنْ تَحْتِهِ يَوَاقِيتُ
وَمَنْ بَدِيعَ مَا قِيلَ فِي الْقَدُورِ عَلَى النَّارِ قَوْلَ بَعْضِ الْعَرَبِ :
كَأَنَّ صَوْتَ غَلِيهِ الْمُسْتَعْجِلِ قَصْدُ الشُّبُوحِ لِلشُّيُوخِ الْجَهْلِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

وَالسَّيْفُ رَاعِي إِبِلِي فِي الْحَلِيِّ يَسْلُمُهَا ^(١) إِلَى قَدُورٍ تَغْلِي
تَرْقُلُ فِيهَا بِالْوَقُودِ الْجَزْلِ أَرْقَاهَا فِي السَّيْرِ تَحْتَ الرَّحْلِ
وَقَالُوا أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الْإِثْنَانِ وَالرَّمَادِ قَوْلُ ابْنِ هَرْمَةَ ^(٢) :
نَبِكِي عَلَى زَمَنِ وَنَوَى هَامِدٍ وَجِوَالِمِ سَقْعِ الْخُلُودِ رِوَاكِدِ
عَرِينٍ مِنْ عَمْدِ الْقَدُورِ وَأَهْلِهَا فَمَكْفَنَ بَعْدَهُمْ بِهَابِ لَا بَدِ
فَوْقَيْنِهِ عِبَتْ الصَّبَا فَكَأَنَّهُ دَنَفٌ يَرِنُ الدَّمْعُ بَيْنَ عَوَائِدِ ؟

(١) فِي دِيْوَانِ ابْنِ الْمُعْتَزِ (بِسَوْقِهَا) . (٢) إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ الْكِنَانِيُّ

الْقُرَشِيُّ ، مِنْ سُكَّانِ الْمَدِينَةِ ، مَدَحَ الْوَلِيدَ الْأُمَوِيَّ بِدَمَشْقٍ فَأَجَازَهُ .

وقال أبو تمام : أئاف كاخلدود لظمن حزنًا وتؤى مثل ما انفصم السوار
ومما يجري مع ذلك القول في الشمعة ، ومن أجود ما قيل فيها قول السرى
* شفاؤها ان مرضت ضرب العنق * وقول الآخر * موقوف بين حريق وغرق *

وقلت : كم قد جنيتُ اللهو من غصنه ما بين أنوار ونوار
من روضة بلل أعطافها سقيطُ أنداء وأمطار
وأوجه تحسبها أشمسًا في ليل أصداع وأطرار
وشقت عنها ستور الدجى نارٌ على نارٍ على نار

وقلت في السراج :

وحيةٌ في رأسها دُرَّة تعملُ في وجه الدجى غرَّة
وجنتها أكبرُ من رأسها فهي إذا أبصرتها عبره
كم من مريبٍ أهتكت ستره وصيرته في الورى شهره
يردفها أصفرٌ في أصفر يقدمها أسودٌ في حمرة

وقال السرى في الكانون :

وكأتما الكانونُ ألبَ جره أحداق أسدٍ يدَّرينَ أسودا
يكسو خدود الشرب من نفحاتها قبل الكؤوس وحسنها توريدا
وقلت في الكانون :

وبركةٌ مترعة الأرجاء فارغةٌ من سبل الأنواء
بغسل فيها حلة الظلماء أقامت النارَ مقامَ الماء
نارٌ كوجه غادة حسناء ترقصُ في مبدعة صفراء
والجرُّ في حلتِه الحمراء مثل بنانٍ عل بالحناء
وأسمهم تصبغ بالحناء فها كها ريحانة الشتاء
واشرب عليها حلب الصهباء فشربُ صهباءٍ على شقراء

يطرف عين البؤس والضراء

ومن أجود ما قيل في الفحيم قول بعضهم :
 فحيمٌ كيومِ الفراقِ . تشعله نارٌ كنارِ الفراقِ في الكبدِ
 أسود قد صارَ تحت حمرتها مثلَ العيونِ اكتحلنَ بالرمَدِ

﴿ الفصل الثاني من الباب الخامس ﴾

(في ذكر ألوان الطعام)

العرب تشبه البر بقراضة الذهب ويمناقير النقران ، والنقران جمع نفرة ^(١) وهي عصفورة : أخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال شيخ من أهل البادية ضفت فلاناً فأتاني بخبزة من حنطة كأنها مناقير النقران قد انتفخت في الملة حتى رأيت الجمر يتحدر منها تحدر الحشو من البطان وتراها حين غمرت بالسمن يجول فيها المثراد كما يجول الضبعان في الضفرة ، ثم أتانا بتمر كأنه أعناق الورلان يدخل فيها الفرس . الحشوصغار الابل ، والضفرة الرمل المتعقد . وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن عبد الله بن محمد القرشى عن المثني بن معاذ العنبري عن بشر بن الفضل عن عقبة الراسبي قال دخلت على الحسن وهو يأكل خبزاً ولحماً فقال لي هلم إلى طعام الأحرار . والعرب تدعو الخبز أم جابر .

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا الجلودى حدثني محمد بن زكريا حدثني مهدي بن سابق حدثنا شبيب قال استأذن خالد بن صفوان على يزيد بن المهلب فأذن له فوجده يتغدى فقال يا ابن صفوان أذن فكل فقال أصلى الله الأمير لقد أكلت أكلة لست ناسيها قال وما أكلت ؟ فوصف ما أكل ثم قال أتيت بخبز أرز كأنه قطع العقيق وكأنما تجري عليه سبائك الذهب ثم أتيت بينائي ميض البطون زرق العيون سود المتون حذب الظهور مقفعات الأذنان صفار الرؤوس غلاظ القصر عراض السرر مع بصل

نظيف كأنه قطع الزند وخل ثقيف مري حريف ، قال أبو هلال ما سمعت في وصف السمك أحسن من هذا ولا آتم .

وقريب منه ما أخبرنا به أبو خليفة عن ابن سلام عن محمد بن القاسم قال قال الأعمش لجليس له أما تشتهي بناني زرق العيون بيض البطون سود الظهور وأرغفة باردة لينة وخلا حاذقا ؟ قال بلى قال فانهض بنا قال الرجل فنهضت معه فدخل منزله وقال خذ تلك السلة فكشفها فاذا فيها رغيفان يابسان وسكرجة كامنخ وشبت قال فجعل يأكل وقال لي تعال كل قلت فأين السمك فقال ما عندي سمك وإنما قلت أتشهيته وأنا والله أشتيه . أخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن المغيرة بن محمد عن أبي عثمان المازني عن الأصمعي قال قال أبو صوارة ^(١) وكان بمكة مثل الأشعب بالمدينة في شهوة الأكل : يا أبا سعيد الأرز الأبيض بالبن الحليب بالسكر السليمانى بالسمن السلى ليس من طعام أهل الدنيا . ومن أحسن ما قيل في الرقاق قول ابن الرومي :

مائسَ لَأَنسَ لَأَنسَ خَبَازاً مَرَرْتُ بِهِ يَدُ حَوَالِ رَقَاقَةٍ وَشَكَّ اللَّحْمَ بِالْبَصَرِ
مَائِنَ رَوَيْتَهَا فِي كَفِّهِ كَرَةً وَبَيْنَ رَوَيْتَهَا قُورَاءَ كَالْقَمَرِ
وَقُلْتُ : وَخَبِرَ بِأَيْدِي الْخَازِرِينَ كَأَنَّهُ تَرَأَسَ تَعَاطِيهَا الْجُنُودَ جُنُودَ
وَأَطْعَمَهُ حَلْتُ بِسَاحَتِهَا الْمَنَى إِذَا جَاءَ مِنْ أَرْدَاهِنٍ يُرِيدُ
وَضُمْتُ إِلَى الْحُلُوءِ فِيهِ فَوَاكِهِ عَلَيْهِنَ أَهْوَاءُ النَّفُوسِ وَفُودُ
وقال الصنوبري في رقاق ورؤوس :

غير ما راج من رقاق رقيق فوق هام على عداد الهام
ذاك كالماء ذى الجباب وهاتيك عليه كطير ماء نيام
يا لأقياهم وما يمسدين من مضر شديد الضرام
كأناس يؤشعون مناديل إذا خرجوا من الحمام
ورصف هذه الأبيات غير مختار عندي ولكني أوردتها لجودة معانيها

(١) (أبو صوارة) غير موجودة في الأصل فاستدر كناها من العقد الفريد .

وإصابة التشبيهات فيها، وقوله (غير مارج) فإن الرواج لفظ عامي لا يستعمله الفصحاء.

وقال ابن الرومي :

هامٌّ وأرغفةٌ وضاءٌ فغمةٌ قد أخرجت من جاحم فوارٍ
كوجوه أهل الجنة ابتسمت لنا مقرونةً بوجوه أهل النار
وقال غيره في :

وقادم من جاحم فوارٍ مخلل الشفق والأنوار
ملبساً حلةً جلنارٍ يقصر منه جلده النضار
عن بدن أبيض كالخمار

ومن النادر البديع في هذا المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجلودى عن محمد بن زكريا عن عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد قال كان عوانة يكثر أكل الرأس فقل له إنها متخمة فقال انها فاكهة اللحم . وأخبرنا عن محمد بن زكريا عن الأصمعي قال قيل لأعرابي كيف تأكل الرأس قال أفك لحبيه وأبخص عينيه وأفص أذنيه وأخديه وأرسي بالدماع الى من هو أحوج مني اليه فقل له إنك لأحق من ربع قال وما حق ربع إنه ليتجنب العدوى ويتبع المرعى ويرأوح بين الأطباء فاحقه ياهلاً^(١) وقيل لأحدهم ما أحب الفاكهة إليك قال أما الرطب فاللحم وأما الياض فالقديد . وقلت في صفة لحم :
تركتُ سمينَ اللحم يبيضُ بعضه ويحمرُّ بعضُ خلطك الدرَّ بالتبر
وأعرضتُ عن حلواء شق فتونها فيبيضُ الى حمرٍ وحمرٌ الى صفر
الى ثردةٍ رقطاعٍ قطع فوقها مقفعةٌ خضراءُ في ورق خضر
وحاجة الانسان إلى الطعام إنما هي من أجل ما يأخذ الهواء من جسده فيحدث فيه خلل فاذا أكل اللحم فقد رم الجسد بما هو من جنسه فكأنه وقع الديباج بالديباج فاذا أكل غير اللحم فكأنه وقع الديباج بالكرباس، وفي الحديث «مَنْ

(١) في أمثال الميداني (وما حق الربع والله إنه ليتجنب العدوى ويتبع أمه في المرعى

ويرأوح بين الأطباء ويعلم أن حنينها له دعاء فأين حمقه) .

ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه .

وأحسن ما سمعت في جمل مشوى قول السرى :

أنعتهُ معصر البردين أبيض صافي حمره الجنين
خلف شهرين على خلقين ثم رعى بعدهما شهرين
فجسه شبران في شبرين يا حسنه وهو صريع الحين
بعرفه مرهفة الحدين بكف شاو عطر الكفين
كسارق حد من اليدين ذو طرف يستوقف العينين
يريك مرآة من اللجين مذهبة المقبض والوجهين
شق حشاه عن شقيقتين أختين في القد شبيهتين
كما قرنت بين كأتين أو كرتى مسك لطيفتين^(١)
ان شين ذورقين ناجين فانه زين بغير شين

ومن المشهور قول ابن الرومى فى دجاجة مشوية :

وصبيطة صفراء دينارية^٢ ثمناً ولونا زفها لك حزور^٣
طفقت تجول بنربها حوذاً^٤ فأتى لباب اللوز فيها السكر
ظلفنا نقشر جلدها عن لحمها فكان تبراً عن لجين يقشر^٥
يا حسنها فوق الخوان وبنتها قدأما بصهرها تنفر غر^٦
وتقدمتها قبل ذاك ثرائد^٧ مثل الرياض بمثلهن^٨ يصد^٩
ومدقات كلهن^{١٠} مزخرف^{١١} بالبيض منها ملبس ومدنر^{١٢}
وأنت قطائف بمدذك اطائف^{١٣} ترضى اللهاة بها ويرضى الخنجر^{١٤}
ضحك الوجوه من الطبرزد فوقها دمع العيون من الدهان تعصر^{١٥}

وقلت فى سكباجة :

سكباجة طيبة نشرها كأنها عود على مجمر

(١) سقط هذا العجز من الاصل فاستدر كناه من ديوان السرى المخطوط .

حسنها في القدر إذ أقبلت
ويستنير الشحم في لحمها
يا حسن باذنجانها إذ بدا
كأنه ماء خلوق جرى
وقال ابن الرومي في دجاجة :

عظيمة الزور بصدر نهدي أجريت منها في مجال العقد
مرهنة ذات شباً وحداً لغير ما دخل وغير حقد
بل رغبة فيها شبيه الزهد

وقلت في قدور على نار :

كتبت أستعجل الندامي والنار تستعجل القدورا
وقد أتاني السلام يسمي بأرغف تشبه البدورا
وعندنا قهوة فحول لو قطعت صيرت شذورا
تكون قبل المزاج ناراً فانقلبت بالمزاج نورا
فانهض إلى سرعة إلينا تنثر على نفسك السرورا

وقال الشعبي ما رأيت فارسياً أحسن من زبد على تمر ، وأنشد لبعض الاعراب :

ألا ليت لي خبزاً تسربل رائباً وخيلاً من البرني فرسانها زبد

ومن عجيب ما روى عن الاعراب في شهوة الطعام ما أخبرنا به أبو أحمد عن
أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي عن جعفر بن سليمان قال لقيت اعرابياً فقلت
هل لك في ثردة ؟ فتنفس الصعداء ثم قال :

واهاً على محسومة وصحفة مكتومة
بالدسم مؤسومة واللحم مغسومة
قد كملت عراقا وألحفت رفاقا
منقوشة الحواشي بطيب التماشي

بلفلسل وحص فكل هنيئاً وارقص

فأخنت بيده وذهبت إلى المنزل فأمرتهم فصنعوا ثردة كما وصف فلما قدمتها ارتعش طرباً ثم قال أي بأبي والله هذه المرقصة ثم وثب على رجله فرقص ساعة وجلس فأكل أربعة أرغفة في ثردة وستة ثم قبل رأسى وقال بأبي أنت وأمي لك حاجة في بدونا؟ قلت تمضي ، ثم قال أي والثردة والله مادخلت الحضر إلا في طلبها ثم أنشأ يقول :

عمرتُ بطناً لم يزل مصفراً لم يعرف الرغف ولا المزدرا

حتى لقد أوجعت والله ترى ماصنت كفاي في جنب القرى

وقال ابن خلاد في خبز الأرز والملح :

إذا الطابق المنصوب ألقى ثيابه وقدت جيوب الخبز شبرين في شبر

رغيف بملح طيب النشر خلطة خوارجه تنيك عن أرج القطر

عليه من الشونيز آثار كآب وجلباب وراق ينقط بالحبر

ومن ممسم قد زعفرؤه كأنه قراضة تبر في لجينة غر

وقال في الباقلاء :

فلا تنس فضل الباقلاء فانه

إذا جعلوا فيه سذلباً وتنعماً

فما صدف العاج المغشى ظواهرآ

بأحسن من مخضرة الغصن إذ بدت

تم قال : ويالك يا ذنجانة سايرة

فجاءت بأثواب الحداد مد لها

وأكرم بها نياً إذا يز ثوبها

فنجعلها شطرين نلقم شطرها

وقال ابن الرومي في الهريسة :

من المرق قد وافي به الفضل في الزبر

وجزءاً من الزيت المقدس في الذكر

بطاشني أفرند معقدة الخصر

بواكر منها في المجاسد والازر

جلاها نسيم الليل نائرة الفجر

بأذناها العم المعققة الخضر

فأبدت لنا عن واضح الكشح والصدر

وتبعه قبل الاساغة بالشطر

أيا هنتاه هل لك في هريس بلحمان الفراخ أو البطوط
أمل الليل صانعها بضرب فبجاء بها تمدد كالخيوط
وبين يديك من مري عتيق توارثه النبط عن النبط
أرانا حول صحفتها^(١) بروكا كما برك البعير على الخبط
فيا لله من لقم هنا كم تجاذب بالشجيج وبالغيط

وقال مسكين الدارمي في قدور على النار :

كان قدور قومي كل يوم قدور البرك ملبسة الجلال
كان الموقدين لها جمال طلائها الزيت والقطران طالي
بأيديهم مغارف من حديد نشبها مغيرة الدوالي
وقلت في هريسة :

هريسة يضاء كافورية في قصعة صفراء دينارية
للدرء فيها حمة مسكية وللسلام لمعة تبرية
تدور في مبيضة فضية مثل السوار في يد الرومية

ومن عجيب ما قيل في قلة الطعام على المائدة ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني

نصر بن أحمد لنفسه :

من حديثي أن ابن بكر دعاني لشقائي فليتسه مادطاني
غرني منه منظر ولباس وثلاث ومجلس وأوان
مجلس كالجنان حسناً ولكن قبح الجوع حسن تلك الجنان
قلعمرى كان الخوان ولكن لم يكن ما يكون فوق الخوان
وجفان مثل الجوابي ولكن ليس فيهن ما يرى بالعيان
وغضار الألوان جاءت ولكن ليس فيها روائح الألوان
فاذا ما أدبرت فيها بناني لم أجده ما أسه بيناني

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « فنبرك فوق صحفتها بروكا » .

إنني ماضغٌ على غير شيء غير صكِّ الأسنانِ بالأسنان
ترجعُ الكفُّ وهي أفرغُ منها عند مدّي لها فدأبى وشانى
لو ترائى والجوعُ يضحك منى عند غسلى يديّ بالاشنان
زادَ في السفرِ مسرفاً مثلاً أسرفَ عند الطعامِ بالنقصان
والغضاراتُ فارغاتٌ أتتنا وسقانا بالترع الملان
سكرة فوق جوعٍ تركنى راحماً كلَّ جائع سكران
وقلت في قريب منه :

أتدعوني وتطعمنى بسيراً وتسقبنى الكثيرَ على اليسير
فأصبح منك في يوم عسير فلا ينفكُ في يوم عسير
ها حراًن من جوع وسكر فيالك من سكير في سكير
أقولُ وفي غضارُه عظامٌ أعرق من قدور أم قبور
ومن جيد ما قبل أيضاً في ذم الدعوة قول أبي الحسن بن طباطبا ^(١) وقد
دعا الكراريسى فقرب إليه مائدة عليها خيار وفي وسطها جامات عليها قطر ولم
يصحبها بوارد فساها مسيحية لأنها أشبهت موائد النصارى ، وقدم سكباجة بعظام
عارية فساها شطر نجية ، ثم قدم مضيرة في غضارة بيضاء فساها معقدة ^(٢) لأن البياض
لبس المعقد وهي لآمس الدهن والطيب ، ثم قدم زير باجة بأطراف جدى صفراء
لقلّة زعفرانها فساها عابدة لأن ألوان العباد صفر ثم قدم لوناً بقضبان محلوّة فساها
قنينة ثم قدم لوناً بزبيب أسود فساها موكبية ثم قلية بعظام الأضلاع فساها
حسكية لتشنج لحمها ثم قرب زعفرانية فساها سلحية صفراء ثم قرب فالودجة قليلة
الزعفران والملاوة فساها صابونية ثم اعتل على الجماعة بأن ابنته عليل فحولهم من
منزله إلى بستان قد طبق بالكراث وأحضرهم جرة مثلمة يمزجون منها شرابهم

(١) هو محمد بن إسماعيل العلوى الشاعر المفلق العالم المحقق ، من أهل خراسان.

(٢) في معجم الأدباء لياقوت (معتدة) .

وإذا ضرب أحدهم الغائط ثقلها معه وربط الأكار^(١) بحذائهم عجلة تخور عليهم
خواراً شبيهاً بغناء فاطمة وكان اسمها فاطمة فقال :

يادعوة مغبرة قائمة كأنها من سفر قادمه
قد قدّموا فيها مسيحية أضحت على أسلافها^(٢) ناديه
ثم بشطرنجية لم تزل أيدٍ وأيدٍ حولها حائمه
فلم تزل في لعبها ساعة ثم نفضناها^(٣) على قائمه
وبعدها معتدة^(٤) أختها عابدة قائمة صائمه
في حجرها أطراف مژودة قد قتلها أمها ظالمة
والقنبيات فلا تنسها فحيرتى في وصفها دائمه
أقرب ما امتد في أصبعي أم حية في وسطها نائمه
والحسكيات فلا تنس في خندقها أوتادها قائمه
والموكبيات بسطانها قد تركت آنافا راغمه
والسلحة الصفراء فاعجب بها إذ سلحتها أنفُسُ هائمه
وجام صابونية بعدها فانخر بها إذ كانت الخائمه
ظل الكرازيسى مستعبداً من عصبة في داره طاعمه
وقال إن ابني عليل ولى قيامة من أجله قائمه
وولدت دايته حوله فليس إلا عبرة ساجمه
وليس هذا لسوى كسرة تكسر ما زالت له سالمة
وقد أكلناها فكم هيبت من لاطم خدأ ومن لاطمه
ثم هربنا نحو بستانه خوفاً من المنية العازمه
ظلنا لدى الكراث نلهوبه فباله من زهرة قائمه

(١) أى الحراث. (٢) كذا في الاصل ومنعجم الأدباء لياقوت، وفي نسخة

(إسلامها). (٣) في الاصل (ثم تقضيها). (٤) في الاصل (مقبلة).

وغاية اللطف فني جرّة
نبول فيها ثم نسقى بها
وعجلة تشدو بالحانها
فكان فيما أنشدت أذشدت
من لي من بعدك يا فاطمه
نشتم من أسمعنا صوتها
وهي لنا من بعد شأمة
ظلت تبكي شجوناً فما
أبصرت من أربابه عالمه
فلو ترانا وترى زادنا
حيأوفت منا نعماً سأمه؟

فلما سمعها الكراريسى حلف لا يدخل أبوالحسن ولا أحداً من أصحابه داره واتخذ
دعوة ودعا قوماً من الشطرنجيين فقال أبو الحسن انما دعاهم لينظروا في الشطرنجية
التي كنا نفصناها على قائمة هل يمكن فيها من حيلة ، وكتب إليه من وقته أيأنا منها :
طبعتم بأحق في قمرها لو أمكن القمر قمرناها
فان أقاموها فما ذنبنا كنا على ذاك نفصناها
ثم كتب إليه أبو الحسن :

يامن دعاني أطل الله عمرك لي
ما أنس لا أنس حتى الحشر مائدة
اذ أقبل الجدى مكشوقاً ترائبه
قد مدّ كلنا يديه لي فذكرني
كأنه عاشق قد مدّ بسطته
وقد تمدى بأطوار الرقاق لنا
فليت شعري ماذا كان أنجحه
مددت كفى فلم ترجع بفائدة
كأنما وقعت منه على طلال

وأخذ أبو الحسن قوله شطرنجية من قول جحظة أظنه :

قدم لي أعظم حولة قد طبخت بالماء في برمته

فلم أزل زلت به نعلهُ ألبُ بالشرنج في قصته
ومن جيد الوصف قول أبي الفضل بن العميد في وسط: أنشدنا أبو أحمد أنشدنا
أبو الفضل بن العميد لنفسه :

ودونك وسطاً أجاد الصنائعُ تلفيفَ شطريهٍ بالهندمة
فمن صدر فائقةٍ قد نوت ومن عجز ناهضةٍ ملقمة
ودنر بالجوز أجوازه ودَرهمَ بالوز ما دَرهمه
وقابل زيتونها والجبن صفائح من بيضةٍ مدغمة
فمن أسطير فيه مشكولة بملح ومن أسطير معجبة
وطرز بالبقل أعطافه فوافي كحاشيةٍ معلمة
مرشا تخال به مطرفا بديع التغايف والنمنمة
وأنشد في الشواريز (١) :

مامنة العين من خدٍ توردهُ يزهي عليك بخال فيه مركز
مستغرق الحسن في توسيع وجنته بدائع بين تسهيم وتطريز
يوفي على القمر الموفى إذا اتصلت يسراه بالكأس أو يمتناه بالكوز
انهى اليك من الشيراز إن وضحت في صحنٍ وجنته خيلان شونيز (٢)
وقد جرى الزيت في مثنى أسرته فصارعت فضة تعلو بأبريز
وقال ابن خلاد :

وسوف يزورك شيرازها فتقسم بالله ان تكرمه
يميس بشونيزة كالعروس تخطر في الحلة المسهمه
وتغشى موائد قد عولبت أطايب كالبردة المعلمه
تباهى بجاماتها والغضار كواكب في الليلة المظلمه

وأول من ذكر القالوذ أبو الصلت جاهلي يذكر عبد الله بن جدمان :

(١) جمع شيراز وهو اللبن الرائب المستخرج ماؤه . (٢) أي الحبة السوداء .

لَهُ دَاعٌ بِمَكَّةَ مَشْعَلٌ^(١) وَآخِرُ فَرْقٍ دَارَتَهُ^(٢) يَنَادِي
 إِلَى رُدْحٍ^(٣) مِنَ الشَّيْزِيِّ عَلَيْهَا لِبَابُ الْبِرِّ يَلْبِكُ^(٤) بِالشَّهَادِ
 لِبَابِ الْبِرِّ يَعْنِي النَّشَأَ^(٥) . وَكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا الْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ وَالرَّاكِبُ
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُنْتُ أُسْتَظَلُّ بِجَنَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْحَانَ فِي الْهَوَاجِرِ .
 وَمِنَ النَّوَادِرِ فِي هَذَا مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو أَحْمَدَ عَنْ رَحَالَةَ قَالَ سَأَلَ أَعْرَابِي عَنْ رَأْيِهِ فِي
 الْقَالُودِ فَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى أَتَى فِرْعَوْنَ بِالْقَالُودِ لَأَمَّنَ بِهِ وَلَكِنَّهُ أَتَاهُ بِعَصَاهُ .
 وَمِنْ مَصِيبِ التَّشْبِيهِ فِيهِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَلَا طِفْهَ بِالشَّهْدِ الْمُخْلَقِ وَجْهَهُ وَإِنْ كَانَ بِالْإِطَافِ غَيْرَ خَلِيقِ
 كَأَنَّ أَصْفَرَارَ اللَّوْزِ فِي جَنْبَاتِهِ كَوَاكِبُ تَبَرٍّ فِي سَمَاءِ عَفِيقِ
 وَقُلْتُ : حَمَاءٌ فِي يَبْضَاءَ فَضِيَّةٍ وَظَرْفٌ كَافُورٍ وَحَشْوُ الْخُلُوقِ
 يَطُوفُ^(٦) الدَّهْنَ بِأَرْجَائِهِ إِطَافَةُ الدَّمْعِ بِجَفْنِ الْمَشُوقِ
 كَأَنَّمَا اللَّوْزُ بِحَبَافَاتِهِ أَنْصَافُ دُرٍّ رَكِبَتْ فِي عَفِيقِ

وَمِنَ الْمَشْهُورِ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي اللَّوْزِ بِنَج :

كَأَنَّمَا قَرَّتْ^(٧) جَلَابِيْبُهُ مِنْ أَعْيُنِ الْقَطْرِ إِذَا قَبِيا
 مَسْتَكْتَفٍ الْحَشْوِ عَلَى أَنَّهُ أَرْقُ جَسَماً مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا
 يَدُورُ^(٨) بِالنَّفْحَةِ فِي جَامِهِ دَوْرًا تَرَى الدَّهْنَ لَهُ لَوْلَا
 لَوْ أَنَّهُ قَرَّ^(٩) لِرُومِيَّةٍ لَكَانَ مِنْهُ الْوَاضِعُ الْإِشْبَا
 وَقُلْتُ فِي قَطَائِفِ :

كَثِيفَةُ الْحَشْوِ وَلَسْكَنَهَا رَقِيقَةُ الْجِلْدِ هَوَانِيهِ
 رَشَتْ^(١٠) بِمَاءِ الْوَرْدِ أَعْطَافَهَا مَنْشُورَةُ الطِّيِّ وَمَطْوِيهِ

(١) فِي الْأَصْلِ «وَارْتَهُ» . (٢) فِي الْأَصْلِ (لَدَى رُوحِ) (٣) اشْمَعَلُ : أَشْرَفَ وَالْقَوْمُ فِي
 الطَّلَبِ بَادَرُوا فِيهِ ، وَالرَّدْحَةُ سِتْرَةٌ تَكُونُ فِي مَوْخِرِ الْبَيْتِ أَوْ قِطْعَةٌ تَزَادُ فِيهِ ، وَالشَّيْزِيُّ
 خَشَبٌ أَسْوَدٌ يَتَخَذُ مِنْهُ الْقَصَاعُ ، وَالْبَيْتُ الثَّانِي نَسَبٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ لِابْنِ الزُّبَيْرِ .

كأنها من طيب أنفاسها قد سرقت من شر ماريه
جاءت من السكر فضية وهي من الأدهان تبريه
قد وهب الليل لها برده ووهب الخصب لها زيه
وقلت في ذم الباذنجان :

قرانا بقولاً إذ أنخنا يابه فأصبح فينا ظالماً للبهائم
وقفنا عليه الركب نسأله القرى ونحن على أعناق أغبر قاتم
فصام وصوم الليل ليس بجائز وإن جاز في فقه اللثام الأشائم
أجاز صيام الليل حين استفرزه تعاور ضيف في دجى الليل حاتم
فبتنا أديم الليل نطوى على الطوى كأننا على غبراء من ظهر واشم
وأطعمنا لما مرقنا من الدجى دحاريج لا تنساق في حلق طاعم
مدورة سود التون كأنها خصي الزنج لاحت تحت فبش قوائم
فأشارها تحكى بطون عقارب وأرؤسها تحكى أنوف محاجم^(١)

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن اسحق القاضي حدثنا نصر قال قال
الأصمعي قيل للفاخرى أى التمر أجود ؟ قال الجرد الفطس الذى كأن نواه ألسن
الطير تضع الواحدة فى فيك فتجد حلاوتها فى كعبك يعنى الصبحانى تمر العلية .
وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن أبى أويس حدثنى أبى حدثنى عبد الله بن
دينار عن عبد الله بن عمر قال اجتمع أربعة رهط سروي ونجدي وحجازي وشامي
فقالوا تعالوا نتناعت الطعام أيه أطيب : قال الشامي إن أطيب الطعام ثريدة
موسعة زيتاً تأخذ أدناها فيضطرط عليك أقصاها تسمع لها وقياً فى الحنجرة كتقحم
بناب المخاض فى الخرف ، قال السروي ان أطيب الطعام خبز بر فى يوم قر على
حمر عشر موسع سمناً وعسلاً . فقال الحجازي أطيب الطعام خنس فطس باهالة
حمس يغيب فيها الفرس . فقال النجدي أطيب الطعام بكر سنمة مقبضة نفسها

ير ضمنه في غداة شعبة بشفار خدمه في قدور جنمه . ثم قال الشامي دعوني أنعت
لكم الطعام إذا أكلت فأبرك على ركبتيك وافتح فاك وأجحظ عينيك وامرح أصابعك
وعظم تمتك واحتسب نفسك . قال عبد الله بن دينار ما سمعت ابن عمر حدث هذا
الحديث قط فبلغ قول الشامي « واحتسب نفسك » إلا ضحك . وقلت في عصيدة :

وعدت عَصيدةً شقراءَ تحكي طرارَ الصبح في ثوبِ الظلام
تراها حينَ تَبْرُزُ في ظلام كمرِّ الطرفِ في زمنٍ قتام
كذى دَلَّ عليه معصِراتُ^١ يدلُّ على المشوقِ المستهام
فلما أت صبا قلبي إليها ومدت نحوها عين اهتمام
تقاصرَ دونها كفايَ حتى كأنَّ الدبسَ علقَ بالغمام
فدونَ السجَن أطرافُ الموالى ودونَ النارِ بادرةُ الحسام
أتلك عَصيدةً أم طرفُ سلى فليس يزورُ إلا في المنام
وقلت في سمكة طرية :

يقبضُ للمكتوبِ ماجرٌ حتفه فجازَ بنا في الغيظِ شرٌّ مجاز
بعثنا اليه ينسر الباز فأنثى إلينا بظهيرٍ مثل جوجو باز
فأطفا نيرانَ الطهارةِ كأنها سحابٌ يسح الودق فوق عزاز
العزاز : الأرض الصلبة . وقال كشاجم في السمك :

ومحجوبة في البحر عن كل ناظرٍ ولكنها في حجبها تتخطفُ^٢
أخذنا عليهم السيلَ بأعينٍ روادٍ إلا أنها ليسَ نظرفُ^٣
فجاءَ بها بيض المتونِ كأنها خناجرُ في أيامتنا تتعطفُ^٤

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن القاسم عن الأصمعي قال دخلت على الرشيد
وهو يأكل الفالوذ فقال يا أصمعي هل قالت العرب في هذا شيئاً ؟ فقال يا أمير
المؤمنين وأنى لها هذا ولكن قالت فيما دونه ، قال وما قالت ؟ قال قال مُزَرَّد^(١)

(١) في الأصل « مرز » وفي العقد الفريد طبعة بولاق « مزود أخي سماح »

ابن ضرار أخو الشماخ :

ولما غلت أُمى ترورُ بناتها أغرتُ على العمى الذى كان يمنع
خلطتُ بصاعى حنطة صاع عَجْوَةٍ إلى صاعِ بمن قوتها يترجع
ودبلتُ^(١) أمثالَ الأثافي كأنها رؤوسُ نقادٍ قُطعت يومَ تجمَع^(٢)
وقلتُ لبطنى أبشرى اليومَ أنه حى آمناً مما تفيدُ وتجمع
فإنْ تكُ مصفورا فهذا دواؤه وإنْ تكُ جوعانا فذا يومَ تشيع
فضحكك الرشيد وقال يا أصمى ما الدنيا ليس فيها مثلك حسن ، فدعوت له وفضلته
على الملوك بالعلم ، فقال يا أصمى نحن كل يوم نشبع .
ومما يجرى مع هذا القول فى الرحاة : فمن أجود ما قيل فيها ما أنشدناه أبو أحمد :
عجبتُ من سائرة لا تَبْرَحُ بنهاك عن ركوبها من ينصحُ
دائبة تَمسى ببحيثُ تصبحُ
والحمد لله وحده .

(الفصل الثالث)

(فى ذكر الشراب وما يجرى معه من رقيق المعانى)

للقدماء فى صفة الخمر قول الأعشى : تريك القذى من دونها وهى دونه *
يريد أنها من صفاتها تريك القذى عالية عليها وهى فى أسفلها .
ومن أطرف ما قيل فى صفاء الخمر قول أبى نواس :
ترى حيثما كانت من البيت مشرقا ومالم تكن فيه من البيت مغربا

وهو تصحيف على ما فى مقدمة « القصد والاسم فى التعريف بأنساب العرب
والعجم لابن عبد البر » . (١) دبل اللقمة : جمعها بأصابعه وكبرها ، وفى العقد الفريد
طبع بولاق « وذبلت » وهو تصحيف ، وفى العقد اختلاف فى بعض الألفاظ .
(٢) كذا فى اسان العرب ، وفى الأصل « ما تجمَع » .

إذا عبّ فيها شاربُ القوم خلتُهُ يقبلُ في داج من الليل كوكبا
أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :
ومنهف تمت محاسنه حتى تجاوزَ منيةَ النفسِ
وكانه الكأسُ في فيه قمرٌ يقبلُ عارضَ الشمسِ
فجعل الشارب قمرًا وليس هذا في بيت أبي نواس . وقال أبو نواس يذ كر صفاء
الخمر ورقتها وحيابها :

فإذا ما اجتليتها فهباءٌ يمنعُ الكفَّ ما يبيحُ العيونا
ثم شجت فاستضحكت عن جان (١) لو تجمعنَ في يدٍ لاقتيننا (٢)
في كؤوس كأنهنَّ نجومٌ دثرات (٣) بروجها أيدينا
طلعاتٌ مع السقاءِ علينا فإذا ما غرنَ يغربنَ فينا
لو ترى الشرب حولها من بعيدٍ قلتَ قومٌ من قرّةٍ يصطلونا
وقلت في لطافة الخمر والزجاجة :

قلتُ والراحُ في أكفٍ الندامى كنجوم تلوحُ في أبراج
أمداماً فرطمُ لمدام أم زجاجاً سبكتُم في زجاج
وكانُ النجومَ والليلُ داج نقشُ حاج يلوحُ في سقف ساج
ومن أعجب ما قيل في صفائها قول الناشئ * فليس شيء عندها إلا القذى *
وقلت : ومشولة دارت على كؤوسها فرحتُ كأنّي في مدار الكواكبِ
أنازعها بدرًا مع الليلِ طالماً وليسَ بمردودٍ مع الصبحِ غاربِ
وقد شابَ لينا بالشماس وإنما تطيبُ لك الصهباء من كف قاطب
وأنشدني أبو أحمد :

فنبهتني وساقى القوم يمزجها . فصارَ في البيتِ للمصباحِ مصباحُ

(١) في ديوان أبي نواس (عن لآل) . (٢) في الأصل (لضيننا) .

(٣) في الأصل « طالعات » .

قلنا على علمنا والشك يغلبنا أراحنا دارنا أم دارنا الراح
ومثله قول البحري :

فأضاءت تحت الدجنة للشر ب وكادت تضي للمصباح
وأحسن ما وصفت به كأس على قم قول ابن المعتز :
ظبي خلى من الأحزان أو دغى ما يعلم الله من حزن ومن قلق
كأنه وكان الكأس في فيه هلال أول شهر غاب في الشفق
وقول الآخر :

كأنما الكأس على ثغرها موصولة بالأتمل الخمس
ياقوتة صفراء قد صيرت واسطة للبدر والشمس
قد ذهب نفسى على نفسها وآفة النفس من النفس
وقلت : فيسقينى ويشرب من عقيق خليق أن يشبه بالخلق
كأن الكأس من يده وفيه عقيق في عقيق في عقيق
الكأس الحمراء مثل العقيق واليد المحضوبة كالعقيق والشفة مثل العقيق في لونها . وقلت :
ودار الكأس في يد ذى دلال رشيق القد يعرف بالرشيق
يحلى بالتبسم در ثمر تخلله شواير العقيق
رأيت الكأس في يده وفيه وجنح الليل منصرف الفريق
ففي فيه هلال في غروب وفي يده الثريا في شروق
وأحسن ما قيل في الشروق وآمنه قول ابن الرومي وأني بشيء لم يسبق إليه
وهو تشبيه الحجاب بقلق اللؤلؤ وهو على الحقيقة تشبيهه والناس قبله إنما شبهوه
باللؤلؤ الصحيح ، وهو قوله :

لها صريح كأنه ذهب ورغوة كاللاليء الفائق

فشرحت ذلك وقلت :

وكأس تمتطي أطراف كف كأن بناتها من أرجوان

أنازعها على العلاتِ شرباً لهنّ مضاحكٌ من أقحوانِ
 يلوحُ على مفارقها حجابٌ كأنصافِ الفرائدِ والجمانِ
 وفي هذا زيادة لأن في الحجاب ما هو كبير يشبه بأنصافِ الفرائدِ وهي كبار
 اللؤلؤ ، ومنه ما هو صغير يشبه بأنصافِ الجمانِ وهي صغار اللؤلؤ :
 وطالعتي الغلامُ بها سحيراً فزاد على الكواكبِ كوكبانِ
 ووافقتها بنجدٍ أرجوانِ وخالفها بفرعِ أرجوانِ
 وأغرب ما قيل في الحجاب قول أبي نواس :
 فإذا علاها الماءُ ألبسها حبياً كمثل^(١) جلاجلِ الجبلِ
 حتى إذا سكنتُ جوامحها كتبتُ بمثلِ اكراعِ النملِ
 ومن غريب ذلك وبديعه قول الأول ويقال انه ليزيد بن معاوية :
 وكأس سبأها البحرُ من أرضِ بابلِ كرقعة ماء المزنِ في الأعمى النجلِ
 إذا شجها الساقى حسبتُ حبابها عيونَ الدبا من تحت أجنحةِ النملِ
 وأبدع ما قيل في الحجاب قول أبي نواس :
 قامت ترينى وأمرُ الليلِ مجتمعٌ صبحاً تولدَ بينَ الماءِ واللهبِ^(٢)
 كأنَّ صغرى وكبرى من فواقها حصباءُ دُرٍّ على أرضٍ من الذهبِ
 وخطأه النحويون في قوله « كبرى وصغرى من فواقها » ، أخذه ابن المعتز فقال :
 يا خايلي^(٣) سقياني فقد لا حَ صباحٌ وأذنَ الناقوسُ
 من كيتٍ كأنها أرضُ تبرٍ في نواحيه لؤلؤٌ مغروس
 وقلت : راحٌ إذا ما الليلُ مدَّ رواقه لاحَتَ نظرٌ حُلَّةَ الظلماءِ
 حتى إذا مَرَّ جَتَ أراك حبابها زهراتِ أرضٍ أو نجومِ سماءِ
 وقلت في المعنى الأول :

(١) في الأصل « نمشاً كـ » وفي ديوان أبي نواس « حبياً شبيه » .

(٢) في الأصل « والعنب » . (٣) في ديوان ابن المعتز « يا نديمي »

تَبَيَّنَتْ لِي اللَّذَاتُ مُعْقُودَةُ الْعَرَى إِذَا مَا أَدَارَ الْكَأْسَ أَحْوَرُ مُقَادُّ
يَدْبُ الدُّجَى عَنْ وَجْهِ نَارٍ تَحْلُهُ كُؤُوسٌ لَا عُتَاقَ الْبَالَى قَلَانِدُ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

قَدْ حَتَّى بِالْكَأْسِ أَوَّلَ فُجْرِهِ سَاقُ عِلَامَةٍ دِيْنُهُ فِي خَصْرِهِ
فَكَانَ حُمْرَةً لَوْنَهَا مِنْ خَدِهِ وَكَأَنَّ طَيْبَ نَسِيْهِهَا مِنْ نَشْرِهِ
حَتَّى إِذَا صَبَّ الْمَزَاجُ تَبَسَّمتْ عَنْ ثَغْرِهَا فُحْسِبَتُهُ مِنْ ثَغْرِهِ
وَقَالَ : لَمَاءٌ فِيهَا كُتَابَةٌ عَجَبُ كَمَثَلِ تَقْشٍ فِي فَصٍّ يَاقُوتِ
وَقُلْتُ : دَارَ فِي الْكَأْسِ عَقِيْقُ فُجْرِي وَاطْفَأَ الدُّرُّ عَلَيْهِ فَطَفَحَ
نَصَبَ السَّاقِي عَلَى أَقْدَاحِهَا شَبَكَ الْفَضَّةَ تَصْطَادُ الْفَرْحِ
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي لَطَافَتِهَا :

لَطْفَتْ قَدْ كَادَتْ تَكُونُ مُشَاعَةً فِي الْجَوْثِ مِثْلَ شِعَاعِهَا وَنَسِيْهِهَا
وَمِنْ الِاسْتِعَارَةِ الْبَدِيعَةِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ : فَاضْحَكْ عَنْ ثَغْرِ الْحَبَابِ فَمِ الْكَأْسِ
وَقُلْتُ : وَشَرَابُ طَوِي الزَّمَانِ فَاكِى نَفْسَ الْوَرْدِ رَقَّةً وَنَسِيْمَا
إِنْ يَكُنْ بِالْعَقُولِ غَيْرُ رَحِيْمٍ فَهُوَ بِالرُّوحِ لَا يَزَالُ رَحِيْمَا
وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي خِيَالِ الْكَأْسِ عَلَى الْبِدْقِ قَوْلُ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ :
كَأَنَّ الْمُدِيرَ لَهَا بِالْيَمِينِ إِذَا قَامَ لِلسَّقَى أَوْ بِالْيَسَارِ
تَدَرَّعَ ثَوْبًا مِنَ الْيَاسْمِينِ لَهُ فَرْدٌ كَمِ مِنَ الْجَلَنَارِ
وَقَالَ السَّرِيُّ فِي مَعْنَاهُ :

وَبَكَرَ شَرِبْنَاهَا عَلَى الْوَرْدِ بَكْرَةً فَكَانَتْ لَنَا وَرْدًا عَلَى خَيْرِ مُوَرِّدِ
إِذَا قَامَ مَبِيضُ الْجَبِينِ يُدِيرُهَا تَوَهَّمَتْهُ يَسْعَى بِكُمْ مُوَرِّدِ
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ : أَلَا رُبَّمَا كَأْسُ سَقَانِي سَلَا فَمَا رَهِيْفُ الثَّنْيِ وَاضِحُ الثَّغْرِ أَشْنَبِ
إِذَا أَخَذْتَ أَطْرَافَهُ مِنْ قَنُوهَا ^(١) رَأَيْتَ اللَّجِينَ بِالْمَدَامَةِ يَذْهَبِ

(١) فِي دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِّ (إِذَا ذَكَرْتَ أَطْرَافَهُ مِنْ قَنُورِهَا) .

وقلت : وقد شغلت كلنا يديه بقهوة فقلت أرى قدمين أم قدحين
 كأن خيال الكأس فوق ذراعه غشاء من العيان فوق لجين
 وقلت أيضاً :

يسعى إلى مقرطق في كفه كأس وبين جفونه كأسان
 وتناوبت فيها بغير قرابة كف المدير وجنة الندمان
 ومن أحسن ما قيل في الزجاجة ورقتها وصفائها قول بعضهم :

رق الزجاج وراقت الخمر وتشابها فتقارب الأمر
 فكانها خمر ولا قدح وكأنه قدح ولا خمر

وقال ابن المعتز في رقة الخمر وصفائها وذكر الكأس ولطافتها :

وكأس تحجب الأبصار عنها فليس لناظر فيها طريق
 كأن غمامة بيضاء بينى وبين الراح تحرقها البروق
 وقلت : وندمان سقيت الراح صرفاً وجنح الليل مرتفع السجوف
 صفت وصفت زجاجتها عليها لمعني دق في ذهن نصيف

وليس هذا التشبيه بالمتحار ولو أن بعض الناس يستملحه لأنه أخرج ما يرى
 بالبيان إلى ما يعرف بالفكر^(١) . وقال بعضهم :

خفيت على شرايها فكانهم يجدون رياء من إناء فارغ
 وقال غيره : وزنا الكأس فارغة وملأى فكان الوزن بينهما سواء

وقال ابن الرومي :

لطفت فقد كادت تكون مشاعة في الجو مثل شعاعها ونسيمها^(٢)
 وقلت : حملت بخصرها إناء مدامة صفراء تلمع في زجاج أقر
 فكانها واللحظ ليس يحورها شمس النهار تختتم بالمشتري

ومن أجود ما قيل في الأباريق وفضول الكأس وأنشده إسحق :

(١) لعل في الأصل نقصاً لأن الشعر المتقدليس من قول المصنف . (٢) تقدم قريباً .

كَأَنَّ أَبَارِيقَ الْمَدَامِ لَدَيْهِمْ ظَبَاءٌ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ قِيَامُ
وَقَدْ شَرَبُوا حَتَّى كَانُوا رِقَابَهُمْ مِنْ اللَّيْنِ لَمْ يَخْلُقْ لَهُنَّ عِظَامُ
وَقَدْ أَحْسَنَ مُسْلِمٌ فِي قَوْلِهِ :

إِبْرِيْقُنَا سَلْبَ الْفَزَالَةِ جِيْدَهَا وَحَكِي الْمَدِيرُ بِمَقْلَتَيْهِ غَزَالَا
وَأَحْسَنَ الْآخَرُ وَيَنْسَبُ إِلَى بَشَارِ :

كَأَنَّ إِبْرِيْقُنَا وَالْقَطْرُ فِي فَمِهِ طَيْرٌ تَتَاوَلُ يَأْقُوْنَا بِمَنْقَارِ
إِلَّا أَنْ قَوْلَهُ « طَيْرٌ » رَدِيءٌ وَالْجِيْدُ طَائِرٌ ، وَأَجَازُهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَلَمْ يَجْزِهِ غَيْرُهُ .
وَقُلْتُ : تَضَحُّكَ فِي الْكَأْسِ إِبْرِيْقُنَا وَحَسَبَ مَا يَضْحَكُنْ يَبْكِيْنَا
كَأَنَّ أَعْلَاهَا إِذَا أَسْفَرَتْ تَعْقِدُ فِي الْكَأْسِ تَلَايِنَا
وَأَوَّلُ مَنْ شَبِهَ الْإِبْرِيْقَ بِالْأَوْزِ لَبِيدٌ ^(١) فِي قَوْلِهِ وَلَمْ يَذْكُرِ الْخَمْرَ :
تُضَمَّنُ يَضًا كَالْأَوْزِ ظُرُوفُهَا إِذَا تَأَقَّوْا أَعْنَاقَهَا وَالْحَوَاصِلَا
فَأَخَذَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ :

وَيَوْمَ كَظَلَّ الرُّمَحُ قَصْرَ طَوْلِهِ دَمُ الزُّقْعَانَا وَاصْطَكَاكَ الْمَزَاهِرُ
كَأَنَّ أَبَارِيقَ الْمَدَامِ عَشِيَّةً إَوْزٌ بِأَعْلَى الطَّفِّ عَوْجُ الْخَنَاجِرِ
وَقَالَ أَبُو الْمُهَنْدِي ^(٢) :

سَيَغْنَى أَيُّهَا الْمُهَنْدِيُّ عَنْ وَطْبِ سَالِمٍ أَبَارِيقٌ لَمْ يَلْقَ بِهَا وَضْرُ الزَّبْدِ
مَقْدَمَةٌ قَرَأَ كَأَنَّ رِقَابَهَا رِقَابُ بَنَاتِ الْمَاءِ تَفْزَعُ لِلرَّعْدِ
وَقَوْلُهُ (تَفْزَعُ لِلرَّعْدِ) زِيَادَةٌ عَلَى مَا تَقْدِمُ .

وَأَمَّا فَضُولُ الْكَؤُوسِ فَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهَا قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ :

قَرَارَتَهَا كَسْرَى وَفِي جَنْبَاتِهَا مَهْمَا تَدْرِيبُهَا بِالْقَسَى . الْفَوَارِسُ

(١) هُوَ صَاحِبُ الْمَعْلُوقَةِ الْمَشْهُورَةِ لَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيِّ ، الشَّاعِرُ الْحَكِيمُ

الْجَوَادُ الْفَارِسُ الْفَتَاكُ الْمَعْرُ .

(٢) هُوَ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ الْقَدُوسِ الشَّاعِرُ الْمَطْبُوعُ الْمُسْرِفُ فِي وَصْفِ الْخَمْرِ .

فلخمر ما زرت عليه جيوبهم وللماء مادارت عليه القلائس
وقال السري الموصلی :

كان الكؤوس وقد كلت بفضلاتهن أكاليل نور
جيوب من الوشي مزرورة يلوح عليها يياض النحور
فجئت به في بيت وقلت :

ويض تهاوى في مزعفرة صفر وهبت لها قلبي وأخدمتها فكرى
فدارت بأقداح كأن فضولها سوائف تبدو من معصرة حمر
وقال السري أيضاً :

وصفراء من ماء الكروم شربتها على وجه صفراء الغلائل غضة
تبدت وقض الكأس يلمع ساطعاً كأنرجة زينت باكاليل فضة
وقال الناشي : ملوك ساسان على كأسها كأنها في عز سلطانها
فخمرها من فوق أذقانها وماؤها من فوق تيجانها
يصف كأساً نقش فيه صور ملوك ساسان .

ومن أجود ما قيل في صفة صفاء الاناء وحسنه مع صفاء الخمر قول ابن الممتز :
غدا بها صفراء كرخية كأنها في كأسها تتقد
فتحسب الماء زجاجاً جرى وتحسب الأقداح ماء جمد
ومن أجود ما قيل في صوت الأباريق ما أنشدناه أبو أحمد :

وقد فجت الغيم السماء كأنها يمد عليها منه ثوب ممسك
ومجلسنا في الجو بهوى ويرتقى وإبريقنا في الكأس يبكي ويضحك •
ومن أحسن ما قيل في ابتداء السكر قول بعضهم :

ولها ديب بالعظام كأنه فيض النعاس وأخذ باللفصل
عبت أكنهم بها فكأنما يتنازعون بها سخاب قرنفل
وقول أبي نواس :

فأرسلت من فم الأبريق صافيةً كأنما أخذها بالمين إغفاء
 وقوله: ثم لما مزجوها وثبت وثب الجراد
 ثم لما شربوها أخذت أخذ الرقاد
 ومن شعر المتقدمين قول الأخطل^(١):

أناخوا فجرًا وشاصيات كأنها رجال من السودان لم يتسر بلوا
 « لم يتسر بلوا » تميم حسن ، والبيت من أحسن ما قيل في الزقاق :

فقلت اصبحوني لا أبا لأبيكم وما وضعوا الاثقال إلا ليفعلوا
 تدب ديباً في العظام كأنه ديب نمل في نقا يهيل
 أحسن ما قيل في خروج الخمر من الميزال قول أبي نواس :

وخندريس باكرت حائتها فودجوا خصرها بميزال
 فسال عرق على ترائبها كأن مجراه قتل خلخال

وقال ابن المعتز : تخرج من دنها وقد حدثت مثل هلال بدا بتقويس
 قوله « بدا بتقويس » فضل لا يحتاج إليه لأن الهلال لا يبدو إلا بتقويس . وقال :

جاءتك من بيت خمار بطيبتها صفراء مثل شعاع الشمس تنقد
 فأرسلت من فم الأبريق فانبعثت مثل اللسان بدا واستمسك الجسد

إلا أن هذا في وصفها جارية من فم الأبريق ، وقال في المعنى الأول :

سعى إلى الدن بالميزال يبقره ساق توشح بالمنديل حين وثب
 لما وجاها بدت صفراء صافية كأنه قد سيرا من أديم ذهب
 وقلت : قد زل الدن فتومى انظري زنجية تفتل خلخال
 واسقنيها واشربي واطربي وجردى في الهواء أذيالا
 تنعمى ما استطعت واستمتعي إن وراء المرء أهوالا

(١) هو غياث بن غوث التغلبي ، يشبه من شعراء الجاهلية بالنابغة الذبياني

كان يمدح الأمويين .

أبلغ ما قيل في الكبر الذي يمتري المنتشى قول الأخطل يخاطب عبد الملك :
 إذا ماندبى على ثم على ثلاث زجاجاتٍ لمن هدير
 خرّجتُ أجرُ الذيل حتى كأنني^(١) عليك أمير المؤمنين أمير
 وإنما صار ذلك أحسن من غيره لأنه خاطب به ملك الدنيا وقال أنا أمير
 عليك في ملك الحال . والأصل فيه قول حسان :

ونشربها فتركنا ملوكاً وأسداً ما ينهنها اللقاء
 ومنه قول الأخطل :

وإذا سكرتُ فأنى ربُّ الخورنقِ والسرير
 وإذا صحتُ فأنى ربُّ الشوبةِ والبعير
 وأجاد ابن الرومي القول في تفسيح أمل السكران حتى يأمل ما لا يجوز وجوده وهو قوله :
 ومدامة كحشاشة النفس لطفتُ عن الإدراك والحس
 لنسيمها في قلبٍ شاربها روحُ الرجاءِ وراحةُ النفس
 وتمدُّ في أمل ابن نشوتها حتى يؤمل مرجع الأمل
 وأجود ما قيل في صفة السكران قول عبد الله بن عبد الله بن عتبة :
 وشربك من ماء الكروم كأنه إذا مَجَّ صرفاً في الأناء خضابُ
 صريع مدام والتدامي يلونه وفي الشدقِ قى سائل ولعاب
 وقريب منه قول الآخر في حماد الراوية :

نعم القى لو كن يعرفُ ربُّه ويقيمُ وقتَ صلاته حمادُ
 هدلت مشافره المدام وأنفه مثل القدوم بسنها الحدادُ
 وبيض من شرب المدامة وجهه فيياضه يوم الحساب سواد
 وأبدع ما قيل في صفة أنف السكران إذا تورم من السكر قول الآخر :
 وشربت بعد أبي ظهير وابنه سكر الدنان كأن أنفك دمل

(١) في ديوان الأخطل « جعلت أجر الذيل مني كأنني » .

ومن جيد ما قيل في مبادرة اللذات قول أحمد بن أبي قتن :^(١)
 جَدُّدِ اللذاتِ فالיום جديد وامض فيما تشتهي كيف تريد
 انى ان أمكن يوم صالح انَّ يوم الشرب لا كان عتيده
 وقال ديك الجن^(٢) :

تمتع من الدنيا فانك فاني وإنك في أيدي الحوادث فاني
 ولا تنظرون اليوم في لهو غد ومن لغدٍ من حادث بأمان
 فاني رأيتُ الدهرَ يسرعُ بالفتى وينقله حالينِ يختلفان
 فأما الذي يمضي فأحلامُ نائم وأما الذي يبقى له فأماي
 ونحوه قول عمران بن حطان^(٣)

يأسفُ المرءُ على ما فاتهُ من ليلاتٍ إذا لم يقضها
 وتراهُ فرحاً مستبشراً بالتي أمضى كأن لم يمضها
 عجباً من فرح النفسِ بها بعد ما قد خرجتُ من قبضها
 أنا عندي ذاق أحلام الكرى لقريب بعضها من بعضها
 وقال ابن المعتز :

وبادر بأيام السرورِ فانها سراعٌ وأيامُ الهمومِ بطاءُ
 وخَلَّ عتابُ الحادثاتِ لوجهها فانَّ عتابَ الحادثاتِ عناءُ
 تعالوا فسقوا أنفساً قبل موتها ليالى ما يأتي وهنٌ وراءُ
 ونحوه عجير السلولي^(٤) جملة لأصحابه وجعل يشرب معهم ويقول :
 عللاني إنما الدنيا عللٌ واطركاني من عتاب وعذل
 وانشلا ما غبر من قدريكما واسقياني أبعد الله الجلل

(١) في الاصل (قدس) وهو تصحيف . (٢) نسبها في الأُمالي لسعيد بن حميد باختلاف
 في البيت الثاني . (٣) شاعر فصيح ، طال عمره فضعف عن الحرب وحضورها فاقصر
 على الدعوة والتحريض بلسانه . (٤) شاعر إسلامي مقل من شعراء الدولة الإسلامية

وقال أحمد المادرائي :

طَاقِرُ الرِّاحِ وَدَعَّ نَعْتَ الطَّلَلِ وَاعْصِي مِنْ لَامِكٍ فِيهَا وَعَذَلِ
غَادِهَا وَاسِعَ لَهَا وَاغْرَبَهَا وَإِذَا قِيلَ نَصَابًا قُلْ أَجَلُ
إِنَّمَا دُنْيَاكَ قَاعِلٌ سَاعَةٌ أَنْتَ فِيهَا وَسَوَى ذَاكَ أَمَلُ
وَلَا بِنِ بَسَامٍ^(١) :

وَاصِلُ خَلِيلِكَ إِنَّمَا السُّدُ نِيَا مُوَاصِلَةُ الْخَلِيلِ
وَانْعَمْ وَلَا تَتَعْجَلِ السُّكْرُوهَ مِنْ قَبْلِ التَّزْوِلِ
بَادِرْ بِمَا تَهْوَى فَمَا تَدْرِي مَتَى وَقْتُ الرَّحِيلِ
وَارْفُضْ مَقَالَةَ لَائِمٍ إِنَّ الْمَلَامَ مِنَ الْفَضُولِ
وَقَدْ أَجَادَ دِيكَ الْجَنِّ فِي قَوْلِهِ بِصِفِ السُّكْرِ ، وَاسْمُهُ عَبْدِ السَّلَامِ بْنُ رَغْبَانَ الْحَصِي :
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِدُنْبِي كُلِّهِ قَتَلْتُ إِنْسَانًا بِغَيْرِ حِلِّهِ
وَانصَرَمَ اللَّيْلُ وَلَمْ أَصْلِهِ وَالسُّكْرُ مُفْتَاخٌ لِهَذَا كُلِّهِ
قَدْ أَوْطَأَ إِلَّا أَنَّهُ أَصَابَ الْمَعْنَى . وَقَالَ أَيْضًا :

مَشْمَعَةٌ^(٢) مِنْ كَفِّ ظِلِّي كَأَنَّمَا تَنَاوَلَهَا مِنْ خَدِّهِ فَأَدَارَهَا
فَظَلْتُ بِأَيْدِينَا تَتَعْنَعُ رَوْحَهَا وَتَأْخُذُ مِنْ أَقْدَامِنَا الرِّاحُ ثَارَهَا
وَهَذَا مَعْنَى بَدِيعِ حَسَنِ أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ مِنْهُ وَكَانَ كَثِيرَ الْأَخْذِ مِنْهُ فَقَالَ :
إِذَا الْيَدُ نَالَتْهَا بَوْتَرٌ تَوَقَّدَتْ^(٣) عَلَى ضَعْفِهَا^(٤) ثُمَّ اسْتَقَادَتْ مِنْ الرَّجْلِ
وَيَدُ عَبْدِ السَّلَامِ أَجُودُ مِنْهُ .

أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ السَّاقِ إِذَا أَخَذَ الْكَأْسُ قَوْلَ الْآخَرِ :

يَعْدُ فِي الطَّبَقَةِ الْخَامِسَةِ مِنْ شُعْرَاءِ الْإِسْلَامِ . (١) هُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ،
كَانَ مِنْ أَهْلِ الشُّعْرَاءِ وَمُحِبِّ السُّكْرِ لَسْنَا مُطْبُوعًا فِي الْهَجَاءِ ، يُشَبِّهُ بِالْحَطِيبَةِ فِي الْهَجَاءِ .

(٢) فِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ (مُورَدَةٌ مِنْ كَفِّ) .

(٣) فِي دِيْوَانِ أَبِي تَمَامٍ (تَوَقَّدَتْ عَلَى ضَعْفِهَا) .

كَأَنَّهُ وَالْكَأْسُ فِي كَفِّهِ بِدُرٍّ إِلَى جَانِبِهِ كَوْكَبٌ
 وَقُلْتُ : وَطَالَعَنِي الْفَلَامُ بِهَا سَحِيرًا فزَادَ عَلَى الْكَوَاكِبِ كَوَكَبَانِ
 وَمَا يَدْخُلُ فِي مَخْتَارِ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ * وَمَهْمُفٌ تَمَّتْ مُحَاسِنُهُ *
 وَقَدْ مَرَّ . وَلَمْ أَسْمَعْ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَجُودَ مِنْ قَوْلِ الْآخَرِ :

فَكَأَنَّهُ وَكَأَنَهَا وَكَأَنَّهُمْ قَمَرٌ يَدُورُ عَلَى النُّجُومِ بِأَشْمَسِ
 وَمِثْلُهُ فِي الْجَمْعِ قَوْلُ الْآخَرِ :

فَالْكَفُّ عَاجٌ وَالْجَبَابُ لَالِيٌّ وَالرَّاحُ نَبْرٌ وَالزُّجَاجُ زَبْرَجِدٌ
 وَأَجُودُ مَا قِيلَ فِي قِيَامِ السَّقَاةِ بَيْنَ النَّدَامِيِّ قَوْلُ ابْنِ الْمَعْتَزِ :

بَيْنَ أَقْدَاحِهِمْ حَدِيثٌ قَصِيرٌ هُوَ سَحَرٌ وَمَا سِوَاهُ الْكَلَامِ
 وَكَأَنَّ السَّقَاةَ بَيْنَ النَّدَامِيِّ أَلْفَاتٌ بَيْنَ السُّطُورِ قِيَامٌ
 فَشَبَّهِهُ أَصْطَفَانُفُ الشَّرْبِ جُلُوسًا بِالسُّطُرِ وَالسَّقَاةَ بَيْنَهُمْ بِالْأَلْفَاتِ فَأَحْسَنَ .
 وَمِنَ الْبَارِعِ الدَّخْلُ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ عَنَتْرَةَ :

وَإِذَا سَكِرْتُ فَأَنْتَى مُسْتَهْلِكٌ مَالِي وَعَرْضِي وَافِرٌ لَمْ يَكَلِمِ
 وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرَ عَنِ نَدْيِ وَكَأَ عَلَتِ شِمَائِلِي وَتَكَرَّمِي
 أَخَذَهُ الْبَحْتَرِيُّ فزَادَ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ :

وَمَا زِلْتُ خَلَاً لِلنَّدَامِيِّ إِذَا انْتَشَوَا وَرَاحُوا بِدُورًا يَسْتَعْشُونَ أَنْجِمَا
 تَكَرَّمْتُ مِنْ قَبْلِ الْكَؤُوسِ عَلَيْهِمْ فَمَا اسْطَعْنِ أَنْ يَحْدِثَنَّ فَيْكَ تَكَرُّمًا
 وَالزِّيَادَةَ أَنَّ عَنَتْرَةَ ذَكَرَ أَنَّهُ يَسْتَهْلِكُ مَالَهُ إِذَا سَكِرَ ، وَالْبَحْتَرِيُّ ذَكَرَ أَنَّهُ تَكَرَّمَ
 قَبْلَ الْكَؤُوسِ فَيَبَالِغُ حَتَّى لَا تَسْتَطِيعَ الْكَؤُوسُ أَنْ تَزِيدَهُ تَكَرُّمًا .

وَمِنْ أَطْرَفِ مَا قِيلَ فِي حَسَنِ النَّدَامِيِّ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

لَقَدْ عَلَّمَ الرِّيحَانُ وَالرَّاحُ أَنِّي عَلَى الْكَأْسِ وَالنَّدَامَانِ غَيْرُ جَهُولٍ
 فَإِنْ سَاءَ لِي مِنْهُمْ مَقَامٌ غَفَرْتُهُ وَلَسْتُ إِلَى مَا سَاءَ لَهُمْ بِعَجُولٍ

قَوْلُهُ * لَقَدْ عَلَّمَ الرِّيحَانَ وَالرَّاحَ أَنِّي * فِي غَايَةِ الظَّرْفِ . وَشَبَّهِهُ الْبَيْتُ

الثاني قول الآخر :

ليس من شأنه إذا دارت الكأس من فادري أمانة بالخلوم
قول ما أسخط النديم وإن أسخطه عند ذاك قول النديم
إلا أن في هذين البيتين عيين أحدهما التضمين والآخر قوله (عند ذاك)

وهي زيادة لا يحتاج إليها . وقال يحيى بن زياد^(١) :

ولست له في فضلة الكأس قائلاً لأصرفه عنها تحس وقد أبي
ولكن أحبيه وأكرم وجهه وأشرب ما أبقى وأسقيه ما اشتهى
وليس إذا ما نام عندي بموقف ولا سامع يقظان شيئاً من الأذى
وهذا جامع جداً . ومن جيد ما قيل في مدح النديم قول اعرابي وقد قيل له :

كم تشرب من النبيذ ؟ قال على قدر النديم . ومن المنظوم قول بعضهم :

ورضيع أرضعت في كبر السن فأضحى أخاً لدى مطاعاً
لم يكن بيننا رضاعاً ولكن صيرت بيننا المدام رضاعاً
وهو من قول الناشيء : المدام الرضاع الثاني . ويقولون ذكر الرجل عمره الثاني .
وروى ابن عون عن ابن سيرين أنه قال : لا تكرم أخاك بما يشق عليه ، قالوا مغناه

لا تسقيه من النبيذ ما لا يقوم به . وجعل آخر النديم قطب السرور في قوله :

| | | |
|-------------------------|-----------------------|------------|
| أرى للراح حقماً لا أراه | لغير الراح | إلا للنديم |
| هو القطب الذي دارت عليه | رحا اللذات في الزمن | القديم |
| وقلت : لما تبدى وجهه | كالبدر من خلل الغمام | |
| وكأنه ضوء الصبا | ح يمس في خلع الظلام | |
| آثرت طاعة جبه | واخترت معصية المدام | |
| لا أستفيد من المدا | م سوى منادمة الكرام | |
| فاذا حننت إلى النداء | م فقد حننت إلى المدام | |

(١) هو أبو الفضل الحارثي شاعر مقل .

خلق النديم اذا صفا أغناك عن صفو المدام
 وفاخر كاتب نديماً فقال : أنا معونة وأنت مؤونة وأنا للجد وأنت للهزل وأنا
 لاشدة وأنت للرخاء وأنا للحرب وأنت للسلم . فقال النديم : أنا للنعمة وأنت للخدمة
 وأنا للحظوة وأنت للمهنة تقوم وأنا جالس وتحشم وأنا مؤانس تدأب لمرضاتي ^(١)
 وتسعى لما فيه سعادتي فأنا شريك وأنت معين كأنك تابع وأنا قرين فمثلته وقلت :

ما أظفُ النبيذَ خيفةً إثمٍ إنما عفتُه لفقْدِ النديم
 ليس في اللهو والمداومة حظٌّ الكريم دون النديم الكريم
 فتخير قبل النبيذِ نديماً ذا خلالٍ معطرات النسيم
 وجمالٍ إذا نظرتَ بديعٍ وضميرٍ إذا اختبرتَ سليم
 وأحسن ما قيل في احمرار لون الشارب من الشعر القديم قول الاعشى :
 وسبيئة مما تعتقُ بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها
 الجريال : اللون . وقال بعض المحدثين :

نفضت على الأيامُ حجرةً لونها وسرتْ بلذتها الى الأرواح
 وأخذ الناجم قول الاعشى (سلبتها جريالها) فقال :
 فخذها مشعشة قهوة تصبُّ على الليل ثوبَ النهار
 ويسلبها الخلدُ جريالها فتهديه للعين يومَ الخمار
 إلا أن هذا فيه زيادة وهو قوله * فتهديه للعين يوم الخمار * وهو في صفة حرة
 العين من الخمار جيد إلا أن قوله (مشعشة قهوة) رديء ووجه نظم اللفظ أن يقال
 قهوة مشعشة ، ألا ترى أنك تقول خمر ممزوجة ولا تقول ممزوجة خمر ، وإن كن
 جائزاً فليس كل جائز حسن فاعلم ذلك . وقلت :

شقائقُ كساطرِ الخمرِ وأقحوانٌ كسغورِ الخور
 ونرجسٌ كاتجمِ الديجورِ

فشبهت ما يعتري بياض العين والحماليق من الحمرة عند الخمار مع سواد الخدقة
بحمرة الشقائق حول سوادها. وقد أحسن أبو نواس في ذكر مراح الكأس حيث يقول:

ألا دارها بالماء حتى تليتها فلن تكرم الصهباء حتى تهينها
أغالى بها حتى إذا ما ملكتها أدلت لا كرام الصديق مصونها
وصفراء قبل المزج بيضاء بعده كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
ترى العين تستعفيك من لعانها وتحسر حتى ما تقل جفونها
أخذه ابن دريد فقال:

وحمرء قبل المزج صفراء بعده بدت بين ثوبي زرجس وشقائق
حكى وجنة المعشوق صرفاً فسلطوا عليها مزاجاً فأكنت لون عاشق
ومن أجود ما قيل في صفة القيان:

بدت في نشوة مثل السهما أدجن إدماجا
يجاذبن من الأردا في كشياناً وأمواجا
وقضبناً من الفضة قد أثمرت العاجا
ويسترن من الأبخار في الدياج ديباجا
وقد لاثت من الكور على مفرقا ناجا
فلما طفن بالمجلس أفراداً وأزواجاً
تجاذبن فغنينك أرمالاً واهزجا
وحركن من الأوتار امسداً وادراجا
فلا لوم على قلبك إن هيج فاهتاجا

ومن جيد ما قيل في بحثة خلق المغنى قوله أيضاً:

أشهى في الغناء بحثة خلق ناعم الصوت متعب مكدود
كأنين المحب أضعفه الشوق ق فضاهاى به أنين العود
لأحب الأوتار تملو كما لا أشهى الضرب لازماً للعود

وأحبُّ المجنَّبات كحبي للمبادي موصولة بالنشيد
كهبوب الصبا توسط حالاً بينَ حالين شدة وركود
وقد أحسن ابن المعتز في صفة أنامل القينة :

وتلفظُ بمناسها إذا ضربت بها وتثرُ يسراها على العودِ عناها
وقلت: وهيجت لي من شوقٍ ومن فرح أيدٍ ثرنَ على الأوتارِ عناها
لا عيبَ في العيش إلا خوف غيتكم إنَّ السرور إذ ماغبتمُ غابا
ومن أحسن ما قيل في وصف المغنى قول ابن المعتز :

ومغنٍ ملحقٌ كلَّ نفسٍ بهواها وهو للسكر عذر
لا يمدُّ الصوت فيه نفورٌ لا ولا يقطعنه منه بهر

وأجمع من ذلك قول ابن الرومي :

تتغنى كأنها لاتغنى من سكون الأوصالِ وهي تجيد
مدٌّ في شأو صوتها نفسٌ كما في كأنفاسِ عاشقها مديد
ولها الدهر لائمٌ مستزيد ولها الدهر سامعٌ مستعيد
وللناجم من أبيات :

مندرة في كلِّ أصواتها لا كاتى تندرُ في الندرة

وقول الآخر :

إذا وقع بالعود زمنا بالكؤوس (٤)

فأما أعجب ما قيل في ذم المغنى والتنائى من صماعة فقول ابن الرومي :
فظلتُ أشربُ بالارطال لا طربا عليه بل طلباً للسكر والنوم
ومن أحسن ما قيل في مجالس الشرب قول أبي نواس :

في مجلسٍ ضحك السرورُ به عن ناجذيه وحلت الخمر

وقد أحسن ديك الجن في قوله :

كأنما البيتُ بريحانه ثوبٌ من السندسِ مشقوق

ومثله قول الصنوبري :

وقد نظم الروض ممطيه من سنان تؤيق إلى زجه
كفرجك خفتان وشى بد يياض الغلالة من فرجه
ورأيت قوماً يستحسنون هذين البيتين وهما بالاستهجان أولى لا لرداءة
معناها ولكن لتكلف ألفاظهما ، وليس التكلف أن تكون الألفاظ غريبة
وحشية، بل وقد يكون الكلام متكلفا وان كان ظاهر اللفظ إذا لم يوضع في موضعه
وخولف به وجه الاستعمال . وقال السري ولا أعرف في معناه أحسن منه يدعو صديقاله :

أست ترى ركب الغمام يساق^١ وأدمعه بين الرياض^٢ ثراق^٣
وقد رقت جلباب النسيم على الثرى^(١) ولكن جلاليب الغيوم صفاق^٤
وعندى من الریحان نوع تحية وكأس^٥ كرقراق الخلق دهاق^٦
وذو أدب جلت صنائع كفه ولكن معاني الشعر فيه دفاق^٧
لنا أبداً من ثره ونظامه بدائع^٨ حل مالهن^٩ حفاق^{١٠}
وأغيد مهتر على صحن خده غلائل^{١١} من صبح الحياء رفاق^{١٢}
أحاطت عيون العاشقين بخصره فهن^{١٣} له دون النطاق نطاق^{١٤}
هذا البيت من قول المتنبي :

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حلق نطاقا
وقد مر ، ويبت السرى أجود منه سبكاً ونظماً ورصفاً :

وقد نظم المنشور فهو قلادة علينا وعقد مذهب^{١٥} وخناق^{١٦}
وغرفتنا بين السحاب تلتقى لهن علينا كلة ورواق^{١٧}
تقسم زوار^{١٨} من الهند سقفا خفاف على قلب النديم رشاق^(٢)

وليس في هذه الأبيات عيب إلا هذا الإيطاء ، وهو من أسهل العيوب التي تعثر القوافي . . .

أما جيم تلند^{١٩} الخصاص كأنها كواعب^{٢٠} زنج راعهن^{٢١} طلاق^{٢٢}

(١) في ديوان السري « على الندى » . (٢) في الأصل (قلب الكريمر قاق) .

أنسن بنا أنس الأمان تهيئت وشيبتها غدر بنا وإباق
 مواصلة والورد في شجراته مفارق ألف حان منه فراق^(١)
 فزرقية برد الشراب لديهم حيم إذا فارقهم وغساق
 وقلت : وليل ابتعت به لذة وبعث في العقل والديننا
 أصاب فيه الوصل قلب الجوى وبات فيه الهم مسكينا
 وقد خلطنا بنسيم الصبا نسيم راح ورياحينا
 واكؤس الرّاح نجوم إذا لاحت بأيدينا هوت فينا
 تضحك في الكأس أباريقنا وحسبا يضحكن يبيكنا
 كأن أعلاها إذا كفرت بمقد الكأس ثلاثينا
 وقلت : هذا حبيب وصول وذا رقيب صروم
 وذاك شرخ شباب أغر وهو بهم
 وقهوة وغناء وسامر ونديم
 فخذ نصيبك منه فليس شيء يلدوم

وهذا من أجمع ما قيل في هذا الباب . وقال الصنوبري :

يوم ذبول مزنه على الثرى منسجبه
 بروقه سافرة وشمسه منتقبه
 فما سي ؟ سماء ضاحكة منتجبه
 طلبت أقصى أملى منه فنلت الطالبه
 بسيد بن ارتقيا منقبة فمنتقبه
 واتقيا في كنية والتقيا في مرتبه
 نشربها عذراء قد قامت بحق الشربه
 أكرم زخر زخر من كرمه في عنبه

في مجلس أطنابه على الملا مطنبه
 أكرم به يوماً مضت ساعاته المستعذبه
 كلحظة مغلوصة وقبلة مستلبه
 وقلت : عندنا طيب وريحاً ن وقيل وغناء
 ومن المشروب لونا ن شمول وطلاء
 ومن اللحم خليطاً ن طيخ وشواء
 ومن الحلواء ألوا ن أحاد وثناء
 ولنا غلمان صدق أدباء أرباء
 أرسلوا في الصحن ماءً فكان الصحن ماء
 واثنوا للحسن عدواً فحواشيه رداء
 فارشف الهم غناءً أما الهم بلاء
 واغتنم لذة يوم قد تخطاه العناء
 فهو بطورك ويمضي ليس للدنيا بقاء

ومن المشهور في صفة السكارى قول بعضهم :

مشوا إلى الرّاح مشى الرّخ وانصرفوا والرّاح تمشى بهم مشى الفرازين
 غدوا إليها كأمثال السهام مضت عن القسي وراحوا كالمراجين
 وكان شربهم في صدر مجلسهم شرب الملوك وناموا كالساكنين
 ومثل البيت الأول :

راحوا عن الرّاح وقد بدّلوا مشى الفرازين بمشى الرّخاخ
 وبما يجري مع هذا قول الآخر :

تزيد حسا الكأس السفية سفاهةً وتترك أخلاق الكريم كاهيا
 وإن أقل الناس عقلاً إذا انتشى أقلهم عقلاً إذا كان صاحيا
 ومن أحسن ما أنشد في الخيش ما أنشدناه أبو أحمد ولم يسم قائله ورأيت

بعد في ديوان السرى :

وقد نشأت بين الكؤوس غمامة^١ من الندى إلا أنها ليس تهطل
وعلى بماء الورد خيش كأنه على جلده ثوب العروس المصنل
وقلت : غلي يروق الناظرين بأبيض وبأسود وبأخضر وبأشكال
ومقوم مثل القضيبي مهفوف ومعوج كالصولجان محبل
ومفرج من خده ومكفر ومخلق من شعره ومسلسل
وبياض وجهه بالصباح مقنع وسواد فرع بالظلام مكلل
علقت أباريق المدام بكفه كالبرق يعلق بالسماك الاعزل
وعلا دخان الندى أبيض ماطعاً مثل الغمامة غير أن لم يهمل
فكأنما الكاسات في حافاته شقر الخيول تجول تحت القسطل

ومن أبدع ما قيل في لذة الغناء قول الناجم :

شدو^٢ الذئب من ابتداء العين في اغنائها
أحلى وأشهى من منى نفس وصدق رجائها
وأجود ما قيل في الاصغاء إلى الغناء والسكوت له قول الآخر :
وأصغوا نحوها الأذان حتى كأنهم وما ناموا نيام
ومن عجيب المعاني في الغناء قول أبي تمام :

حمدت^٣ ليلة شرفت وطابت أقام سهادها^(١) ومضى كراها
معمت بها غناء كان أولى بأن يقتاد نفسى من عناها
ومسمعة تفوت السمع حسناً^(٢) ولم تصممه لا يصمم صداها
مرت أوتارها فشفت وشاقت ولو يستطيع حاسدها فداها^(٣)
ولم أفهم معانيها ولكن ورت كبدى فلم أجعل شجاها

(١) في ديوان أبي تمام (شكرتك ليلة حسنت وطابت أقام سرورها) .

(٢) في الديوان (يحار السمع فيها) . (٣) هذا البيت سقط من النسخ

فكنتُ كأننى أعمى معنى بحبِّ الفانياتِ ولا يراها
وكان ينبغى أن يقول (فداها حاسداً) وليس لقوله (فلا يستطيع حاسداً)
معنى مختار . وأول من آتى بهذا المعنى حميد بن ثور ^(١) في قوله :

عجبت لها أنى يكون غناؤها فصيحاً ولم تفقر ^(٢) بمنطقها فما
ولم أرَ محقوراً لها مثل صوتها أحس وأشجى للحرين وأكلم
ولم أرَ مثلى شاقه صوتٌ مثلها ولا عرياً شاقه صوتٌ أعجما
ومن أحسن أوصاف العود إذا احتضن تشبيههم إياه بالولد في حجر أمه
وتشبيه إصلاحه بعرك أذنه فمن أحسن ما قيل في ذلك وأجمعه قول بعضهم :
فكأنه في حجرها ولدٌ لها ضمتُ بينَ ترائبٍ ولبان
طوراً تدغدغ بطنه فإذا هنا عركتُ له أذنًا من الآذان
ومثله قول الناجم :

إذا احتضنتُ عابثٌ عودها وناغتهُ أحسنَ أن يعربا
تدغدغُ في مهلِ بطنه فتسمعنا مضحكاً معجبا
وذكر الضحك مع الدغدغة جيد .

ونظم كشاجم قول الحكماء إن العود مركب على الطبائع الأربع فقال :
شدتُ فجلتُ أسمعنا بمخفف يحدُّثها عن سرِّها وتحدُّثه
مشكلة أوتاره في طباعها عناصر منها أحدث الخلق محدثه
فلنار منه الزيرُ والأرض وللريح متناهٍ وللماء مثله
وكلُّ امرئٍ يرتاحُ منه لتغمة على حسبِ الطبع الذى منه يبعثه
شكاً ضربَ يمناها فظلتُ يسارها تطوقهُ طوراً وطوراً ترعشه
فما برحتُ حتى أرتنا مخارقا يجاذبهُ فى أحسنِ النقر عثعته

فاستدر كناه من ديوان أبي تمام . (١) الهلالى من فحول المخضرمين والمعمرين .

(٢) أى لم تفتح .

وحتى حسبت البابلين القنا ؟ على لفظها السحر الذي فيه تنفثه
 وأجود ما قيل في اتفاق الضرب والزمر قول هرون بن علي المنجم :
 غصن على دعص تقا منهال . سعى بكأسٍ مثل لمع الآل
 وفاتنات الطرفِ والدلالِ هيف الخصورِ رجج الا كفال
 يأخذن من طرائف الأرمال ومحكم الخفاف والنعال
 يجري مع الناس بلا انفصال مثل اختلاط الخمر بالزلال
 يدعو إلى الصبورة كل سال يصرع كل فاتك بطل
 ومن حرام اللهو والحلال أكرم من مصارع الأبطال
 وقال كشاجم في وصف العود والقينة وأحسن :

تميس من الوشى في حلة تجرر من فضل أذيالها
 وتحمل عوداً فصيح الجواب يضاهي اللحون بأشكالها
 له عنق مثل ساق الفتاة ودستانه مثل خلخالها
 فظلت تطارح أوتارها بهزاجها وبأرمالها
 وتعمل جساً كبجس العروق وتلوي الملاوي بأمثالها

وقيل لرجل أي المغنين أحذق ؟ قال ابن شريح كأنه خلق من كل قلب فهو
 يعني لكل إنسان بما يشتميه . وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر
 عن المدائني قال قال المغيرة للوليد بن يزيد بن عبد الملك أتى خارج إلى
 العراق فاستهد ما أحبيت فقال إهدني بربطاً من عمل زري فأهدى إليه عوداً وكتب
 إليه : قد بعثت به أرسح البطن أحذب الظهر صافي الوتر رقيق الجلد وثيق الملاوي
 كهيئة طاليه وملاحة محتضنه وحسن الضارب به وطرب المستمع له .

ومن أحسن ما قيل في حسن الضارب ما تقدم ذكره وهو قول الناشي :
 * وكان يمتاها إذا ضربت بها * وقال ابن الحاجب :

إذا هي جست حكت متطياً يجيل يديه في مجس عروق

وقد استحسنَ الناسَ هذا البيتَ وأجازوه وليس هو في طريقة الاختيار
لأنَّ الطيبَ يجس يد واحدة وكذلك الضارب فليسَ لذكر اليدين وجه .
ومن جيد ما قيل في صحة عبارة العود عن الغناء قول ابن أبي عون :

تناجيك بالصوت أوتاره فتوفيك ألسنه أحرف

وأبين منه قول الناجم :

إذا نوتَ الضربَ قبلَ الغناء أنشدنا شعرها عودها
وقلت: رُبَّ ليلٍ كساكَ ثوبَ نعيم بينَ ساقٍ وسامرٍ ونديم
وكؤوسَ جرَّتْ وراءَ كؤوسٍ وأعانتْ على طريقِ الهوم
ولنا مزهرٌ كمثلِ فطيم في يدي مطربٍ كأنَّ الفطيم
وسموا صدرهُ بعايجٍ وذبلَ فزهتهُ محاسنُ التوسيم
مثلَ أرضٍ تحبَّرتْ بأقاح أو سماءَ تكَلَّتْ بنجوم
ذو ملاوٍ سودِ الفروعِ وُحمر مثلَ أطرافِ فرحةٍ ونعيم
ووساينَ لا تَجُولُ عليه كخلائيلِ ماردٍ وظلوم
أحمر الزيرِ أسودِ المِ أحوى هل رأيتَ جداولَ التقويم
ومن جيد ما قيل في سرعة الضرب والجلس قول كشاجم :

وترى لها عوداً تحركهُ وكلامه وكلامها وقفا
لو لم تحركهُ أناملها كأنَّ الهواءَ يفيدُهُ نطقا
جستهُ عالمةٌ بحالتِه جسَّ الطيبِ لمدنفِ عرقا
فحسبتُ يَمْنَاها تحركهُ رعداً وخلتُ يمينها برقاً
وقال بعضهم في رقاص :

عجبتُ من رجليه تتبعانه يعلوها طوراً ويعلوانه
كأنَّ أفمين تلسمانه

ومما لم يقل مثله في إزالة الخمار بمعاودة الشرب قول الأعشى :

وكأس شربتُ على لذة وأخرى تداويتُ منها بها
كل من أخذ هذا المعنى منه قصر في العبارة عنه ولا يجوز أن يؤتى بمثله ، قال
أبو نواس * وداوني بالتي كانت هي الداء : فحشا الكلام بمالا وجه له وهو قوله
كانت هي الداء ، وقال المجنون : ولا يتداوى شارب الخمر بالخمر * ولا يقع هذا مع
قول الأعشى موقعا ، ومثله قول البحترى :

تداويتُ من ليلي بليلى فما اشتفى من الداء من قد بات بالداء يشتفى
ومن جيد ما قيل في الدنان والزقاق قول الأخطل * أناخوا فجروا شاصيات *
وقد مر . وقد أحسن ابن المعتز في صفة الدنان :

ودنان كثل صف رجال قد أقيموا ليرقصوا دستبندا
وقال العلوي الأصفهاني في الزق :
عجبتُ من حبشي لا حراك به لا يدركُ الثَّارَ إلا وهو مذبحٌ
طوراً يرى وهو بين الشرب مضطجع رغو الزقاق وطوراً وهو مشبوح
وفي ألفاظ العلوي زيادة على معناه في أكثر شعره ، وأخذ البيت الأول من
قول بشار يصف ركب المرأة :

وصاحب مطرق في طولٍ صبيته لا ينفعُ الدهرَ إلا وهو محجومُ
وإن كان المعنيان مختلفين إلا أن حذو الكلامين جنس واحد . وقال ابن المعتز :
إن غدا ملآن أمسى فارغاً كأسير الرِّقِّ أدى فتق
وقال القطامي :

استودعتها رواقيداً مقيرة قد برسن بالطين
مكافآت لحر الشمس قائمة كأنهن نبيطٌ في بساتين
وقال آخر : تحسبُ الزق إذا أسندته حبشياً قطعت منه الشوى

وقال العلوي الأصفهاني يصف شراباً في ظرف خرف :

مخدرة مكنونة قد تكشفت كراهية بين الحسان الأوانس

وأترابها يلبسنَ ييضَ غلائلَ هي العرىُ مقرورٌ بها كلُّ لابسٍ
 مشعشة مرهاء ما خلتُ أنثى أرى مثلها عنراء في زى طانس
 المعنى جيد وفي الألفاظ زيادة وليس لها حلاوة . وقال آخر في الراووق :
 كأنما للراووق^(١) وانتصابه خرطومٌ فيل سقطت أنيابه
 وفيه : مماء لا ذطرها رحيق رَحِب الذرى ينحط فيه الضيق
 ماء حقيق لو جرى العقيقُ حتى إذا ألهبها التصفيق
 صمنا إلى جيراننا الحريق

وأنشد أبو عثمان :

فبتُ أرى الكواكبَ دانياتٍ ينلنَ أناملَ الرّجلِ القصيرِ
 بالكفين غنى وأمسحُ عارضَ القمرِ المنيرِ
 أبو حكيم فمن حكمت كأسك فيه فاحكم له بأقالة عند العثار . ؟ في ضعف السكر :
 فديتك لو علتَ بضعفٍ سكرى أما سقيتي إلا بمسقط
 بحسبك أنْ خاراَ بجني أمرُ يابه فأكادُ أسقط^(٢)
 ولابن الرومي في نبيذ حامض :
 قد لعمرى اقتصصت من كلِّ ضررٍ كان يجنى عليك في رغفانك
 قد ردّدناه فأتخذه لسكبا جك والنائبات من أدقانك
 واتخذه على خوانك خلا^(٣) فهو أولى بالخل من إخوانك
 أضرمتنا حوضه فيه تمحكي رعدة^(٤) تعريك من ضيفانك
 معنى آخر : إسقني بالكبير إلى كبير إنما يشرب الصغير الصغير
 لا يفرنك يا عبيد خشوعى تحت هذا الخشوع فسق كثير

(١) الراووق : ناجود الشراب الذي يروّق به ، والكأس بعينها .

(٢) نسبها الثعالي في النهاية لابن لتكك باختلاف في بعض الألفاظ .

(٣) في ديوان ابن الرومي (أدماً) . (٤) في ديوانه (ضجرة)

وكان ابن مائشة ينشد :

لما رأيتُ الحظَّ حظَّ الجاهل ولم أرَ المغبونَ غيرَ العاقل
رحلتُ عنا من كروم بابل فبتُّ من عقلٍ على مراحل
وقال غيره في نبيذ الدبس :

على أحد من الدوشاب شربة نفضت سوادَ الشباب
لو تراني وفي يدي قدحُ الدو شاب أبصرتَ بازياً في غراب
وقال بعضهم في كيزان القناع :

لستُ بناف خمار مخمور إلا بصافي الشرابِ مقرر
يطيرُ عن رأسه القناع إذا نفست عنه خناق مزور
يميلُ أعلاه وهو منتصبٌ كأنه صولجانٌ بللور
وقلت : وأبيض في أحشاء خضر كأنها قصارُ رجال في المسول قعود
وقال بعضهم في الطنبور :

مخطف الخصر أجوف جيدٌ نصفٌ سائر
أنطقته يدا فتى قاتن اللحظِ ساهر
فككى عن ضميره ماجرى في خواطره

وقال آخر في المعزقة :

معلنة الأوتارِ صخابةٌ لها حنينٌ كحنينِ الغريب
مكسوةٌ أحشاؤها حلةً بيضاء من جلد غزالٍ ريب
كأنما نسمة أوتاره نصبن أشراكاً لصيد القلوب

آخر الباب والحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل السماء سقفاً محفوظاً شيد بنيانها ووثق أركانها فأمنها من
التهافت وبرأها من التفاوت فأرجع البصر هل ترى من فطور ثم أرجع البصر
كرتين يتقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير وصير لونها أوفق الألوان لأبصار
الناظرين وأحلاها فى أنفس المتوسمين وحبرها بالنجوم وطرزها بالرجوم وبيض
أعلام صبحها وسود ذوائب ليلها وجلا غرة شمسها ومسح صفحة قمرها وقدره فى
منازله وخالف بين مناظره لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق .
وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنبياء وأكرم الأصفياء وعلى عترته وأصحابه المختارين
وسلم تسليماً كثيراً .

(هذا كتاب المبالغة)

(فى وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر)
وما يجرى مع ذلك : وهو

الباب السادس من كتاب ديوان المعانى - ثلاثة فصول

(الفصل الأول)

فى ذكر النجوم

أحسن ما قيل فى النجوم من الشعر القديم قول امرئ القيس :
نظرتُ إليها والنجومُ كأنها مصايحُ رهبان تشبُّ لُقُفَالُ^(١)

(١) تشب : أى توقد ، والقفال : الراجعون من السفر .

وقول الآخر :

سرينا بليل والنجوم كأنها قلادة درّ سلّ عنها نظامها
وقد أصاب القائل التشبيه في قوله :

ورأيت السماء كالبحر إلا أن مرسوبه من الدرّ طافي
فيه ما يملأ العيون كبير وصغير ما بين ذلك خافي
المعنى جيد وليس للألفاظ رونق . وقال ابن طباطبا في معناه :

أحسن بها لججاً إذا التبس الدجى كانت نجوم الليل حصباءها
وأحسن من هذا كله لفظاً وسبكاً مع إصابة المعنى قول ابن المعتز :
كأنّ سماءها لما تجلت خلال نجومها عند الصباح
رياضٌ بنفسج خضل نداه تفتح بينها نور الأقاحي
إلا أنه مضمن . وقلت :

لبسنا إلى الخمار والنجم غائر غلالة ليل بالصباح مطرر
كأن يياض النجم في خضرة الدجى تفتح ورد بين رند^(١) وعبقّر
وقلت : كم سرور زرعت بين الندامى وهوم طردت بين الكؤوس
وتلوح^(٢) النجوم في ظلمة الليل كعاج يلوح في ابنوس
وقلت : بليل كما ترفو الغزالة أسود على أنه من نور وجهك أبيض
كواكبه زهر^٣ وصفر^٤ كأنها قبائع منها مذهب^٥ ومفضض
وفي النجوم ماهو أبيض ومنها ماهو أصفر وأحر فشبه الأبيض بقبعة
مفضضة والأصفر والأحر بالذهبة والذهب يوصف بالحبرة والصفرة ، ومثل هذا
التمييز قليل في الشعر . وقال ابن المعتز :

(١) الرند : شجر طيب الرائحة .

(٢) في هامش الأصل : ما عليه لو قال « وياض النجوم » لتتم المقابلة ويخلص

من تكلف « تلوح » .

وخلتُ نجومَ الليلِ في ظلم الدُّجى خصاصاً أرى منه النهارَ نقاباً
وقد أحسن النّاشيء القول في اشتباك النجوم والتفافها حيث يقول :
وردت عليها والنجوم كأنها كئائبُ جيشٍ سوّمتْ لكئائب
وقلت : وأتجم كزرب في شهب كالشهب تجري في خلال خطب
والحور ترنو من خلال الحجب

ومن أحسن ما قيل في الثريا قول امرئ القيس :
إذا ما الثريا في السماء تعرضت . تعرضَ أثناء الوشاح المفصل
وقد استحسّن الناس هذا البيت في صفة الثريا على قديم الدهر وقدموه ، ثم
قال بعضهم وهو معيب لأنّ التعرض إنما هو أن يبدي لك عرضه أي جانبه قال
والثريا تشق وسط السماء شقاً . وقالوا أحسنه قول ذى الرمة :
وردت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء محلق
وقالوا أحسنه قول ابن الطرية :

إذا ما الثريا في السماء كأنها جمانٌ وهي من سلكٍ فتبدّدا
أنشد عبد الملك بن مروان هذا البيت فقال ما هي متبددة ولكنها مرصوفة .
قال أبو هلال : وإنما أرادها عند غروبها وهي متبددة عند الغروب ، وامرؤ القيس
أيضاً أرادها حين تغيب لأنها حينئذ تنحرف من وسط السماء إلى جانب ، وأحسن
الوصف ما يتضمن أكثر صفات الموصوف ، والوشاح وابن الماء إنما شبها بها من جهة
البياض فقط . وأخذ معنى ابن الاسلت بعض المحدثين فقال :

قد انقضت دولة الصيام وقد بشرَ سقمُ الهلالِ بالعيد
تبدو الثريا كفاغرٍ شرٍ يفتحُ فاهُ لأكلِ عنقود
والأول أجود لذكر وهذا ذكر العنقود ولم يصفه وقد يكون العنقود أسود
أو أحمر . وكان أبو عمرو بن العلاء : يقول أجود ما قيل فيها قول الآخر :

ولاحت لسايرها الثريا كأنها على الأفق الغربي قرطٌ مسلسل
أخذه ابن الرومي فقال :

طيب طعمه^(١) اذا دُذِقَتْ فاهُ والثريا في جانب الغرب قرط
وقد قصر عن الأول أيضاً ، ومثله قول أبي فضلة :

وتأملتُ الثريا في طلوع ومغيب

فتخيرتُ لها التشبيهَ بالمعنى المصيب

فهي كأسٌ في شروقٍ وهي قرطٌ في غروب^(٢)

وقلت : شربنا والنجوم مغفرات تمرُّ كما تصدعت الزخوف

وقد أصغت الى الغرب الثريا بوالد لو يسلمها الضعيف

وأجود ما قال فيها محدث عندي قول بعضهم :

كان الثريا هو دَجٌّ فوقَ ناقةٍ يسيرُ بها حادٍ من الليل مزعج

وقد لمت بين النجوم كأنها قواريرُ فيها زئبقٌ يترجرج

وتروى لابن المعتز ، وفي ألفاظ البيتين زيادة على معناهما ، وقال مخلص الموصلي :

وترى النجوم المشرقات كأنها دررُ العصا به

وترى الثريا وسطها وكأنها زردُ النؤابه

وزرد النؤابه يشبه نجومها وتأليفه يشبه تأليفها فهو تشبيه مصيب . وقال ابن المعتز :

فناولنيها والثريا كأنها جنى نرجس حيا الندامى به الساقى

قالوا لو قال باقة نرجس كان أتم ، فقلت :

أراعى نجومَ الليل وهي كأنها نواظرُ ترنو (نحو) رافع سندس

كأنَّ الثريا فيه باقة نرجس وما حولها منهن طاقات نرجس

(١) في ديوان ابن الرومي (طيب ريقه). (٢) في هامش الاصل : وقد وصفها

الصنوبرى على كل حالاتها فقال :

في الشرق كأسٌ وفي مغاربها قرطٌ وفي أوسطِ السماء قدم

وأنشدني بعض العمال :

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعَتْهُ بِفَنُونٍ مِنْ غِنَاءٍ وَقَهْوَةٍ وَمُجْحُونٍ
وَالثَّرِيَا كَنَسُوهُ خَفَرَاتٍ قَدْ تَجَمَّعَ لِلْحَدِيثِ الْمَصُونِ
وَقَدْ أَحْسَنَ وَأَطْرَفَ . وَقَدْ أَصَابَ الْفَائِلُ بَعْضَ وَصْفِهَا فِي قَوْلِهِ
« كَأَنَّ الثَّرِيَا حَلَّةَ النُّورِ مَنْخَلٌ » وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

أَلَا فَاسْتَقْنِيهَا وَالظُّلَامُ مُقَوِّضٌ وَخَيْلُ الدُّجَى نَحَرَ الْمَغَارِبِ تَرَكُضُ
كَأَنَّ الثَّرِيَا فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا تَفْتَحُ نَوْرًا أَوْ لَجَامًا مَفْضُضٌ
وَشَبَّهَتْ بِالْقَدَمِ ، قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

قَمِّ يَا نَدِيمِي نَصْطَبِحُ بِسَوَادٍ قَدْ كَادَ يَبْدُو الصَّبْحُ أَوْ هُوَ بَادٍ
وَأَرَى الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا قَدَمٌ تَبَدَّتْ فِي ثِيَابِ حَدَادٍ
وَقُلْتُ : كَأَنَّ نَهْوضَ النُّجُومِ وَالْأَفَاقِ أَخْضَرُ تَبْلُجُ تُغْرِقُ تَحْتَ خَضِرَةٍ شَارِبٍ
وَقُلْتُ : تَلُوحُ الثَّرِيَا وَالظُّلَامُ مُقْطَبُ فَيَضْحَكُ مِنْهَا عَنْ أَغْرٍ مَفْلَجٍ
تَسِيرُ وَرَاءَ وَالْمَلَالُ أَمَامَهَا كَأُومَاتٍ كَفَّ إِلَى نَصْفِ دَمَلَجٍ
وَقُلْتُ : شَمْسٌ هَوَتْ وَهَلَالٌ أَلْفَقَ بِتَبْعِهَا كَأَنَّهَا سَافِرٌ قَدَامَ مَنْتَقَبٍ
يَبْدُو الثَّرِيَا وَأَمْرُ اللَّيْلِ يَجْتَمِعُ كَأَنَّهَا عَقَرَبٌ مَقْطُوعَةٌ الذَّنْبِ
وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهَا عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ قَوْلُ الْآخِرِ :

وَكَأَنَّ الصَّبْحَ لَمَّا لَاحَ مِنْ تَحْتِ الثَّرِيَا
مَلِكٌ أَقْبَلَ فِي النَّاسِ جُيُنْدَى وَيُحْيَا
وَقُلْتُ : وَبِالثَّرِيَا أَثَرُ الْخُودِ كَالنَّارِ لَا تَسْعَفُ بِالْوَقُودِ
فِي أَنْجَمٍ كَرَّ بَرْبٍ فِي يَدٍ يَلُوحُ فِي التَّصَوُّبِ وَالتَّصْعِيدِ
كَشَرَفَاتٍ فَلَنْ مَشِيدِ

وَقُلْتُ : قَمِّ بِنَاظِرُ الدُّهُومِ بِكَأْسِ وَالثَّرِيَا لِمُفْرِقِ اللَّيْلِ تَاجُ
وَقَدْ انْجَرَّتِ الْمَجَرَّةُ فِيهِ كَسِيْبٍ يَغْدُو نَسَاجُ

وقال العلوي الأصفهاني في حسن الاستعارة :

رُبَّ لَيْلٍ وَهَتْ لآلِي مُدْمُوعِي فِيهِ حَتَّى وَهَتْ لآلِي الثُّرَيَّا
وَرَدَاءُ الدُّجَى لَيْسَ دَرِيسٌ بِيَدِ الصَّبْحِ وَهُوَ يَطْوِيهِ طَيًّا
وشبه أبو فراس الثريا بالنخذ من النمر وهو من المقلوب لأن أنجم الثريا بيض
والنقط على فخذ النمر سود . وقال السري :

تَرَى الثُّرَيَّا وَالبدر في قَرْنٍ كَمَا يَحْيَا بَنرجسٍ مَلَكٌ
أَجُودٌ مَا قِيلَ فِي الْجُوزَاءِ مِنَ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ قَوْلِ كَعْبِ الْغَنَوِيِّ (١) :
وَقَدْ مَالَتِ الْجُوزَاءُ حَتَّى كَانَتْهَا فِساطِيطُ رُكَبٍ بِالْمَغْلَاةِ تَزُولُ
ولو شبهها بفساطيط واحد كان أشبه . ومن شعر المحدثين قول ابن المعتز فيها وفي الثريا :
وَقَدْ هَوَى النُّجُومُ وَالْجُوزَاءُ تَبَعُهُ كَذَاتِ قِرْطٍ أَرَادَتْهُ وَقَدْ سَقَطَا
مع أن المصراع الأخير غير مختار الرصف ، والنجم اسم مخصوصة به الثريا .
وقال فيها وفي الشعرى العبور :

وَلَا حَتَّ الشَّعْرَى وَجُوزَاؤُهَا كَكُلِّ رُوحٍ جَرَّهْ رَامِحٌ
وَقُلْتُ : سَقَانِي وَالْجُوزَاءُ بِحِكْيِ شَرِّهَا طِفْوَ غَرِيقٍ فَوْقَ مَاءٍ مَطْحَلِبٍ
وهذا وصفها عند طلوعها . وقلت فيها حين توسط السماء :
شَرِبَتْهَا وَاللَّيْلُ مُسْتَوْفِزٌ يَجْرُ فِي جَلْبَابِهِ كَوَكْبَةٍ
كَأَنَّ الْجُوزَاءَ رَقَاصَةٌ تَرْقُصُ فِي مَنْطِقَةِ مَذْهَبِهِ
كَأَنَّهَا الْجُوزَاءُ طَبَالَةٌ تَحْتَضِنُ الطَّبْلَ عَلَى مَرْقَبِهِ
وقلت فيها عند غروبها :

إِسْقِنِيهَا وَاللَّيْلُ فَرْعُ عُرُوسٍ زَيْتُونُهُ بِدُرَّةٍ وَجْهَانُهُ
وَكَأَنَّ الْجُوزَاءَ حِينَ تَهَاوَتْ فَارِسٌ مَالٌ عَنْ سَرَاةٍ (٢) حَصَانُهُ
وقال آخر : وَكَأَنَّ الْجُوزَاءَ وَاتَرُ قَوْمٌ أَخَذُوا وَتَرَمَ بِقَطْعِ بَدْنِهِ

(١) . . . غنى ، وهو في الطبقة الثانية من شعراء الجاهلية . (٢) سرادة كل شيء : أعلاه .

وقد استحسن قول العلوي الاصفهاني فيها :

وتلوح لي الجوزاءُ سكرى كلما نادت بها الجرباءُ كادت تنثني
ونطاقها متراصفٌ في نظمه فكأثما انتطقت بقطعة جوشن
الجرباء اسم للسماء ، وفي الفاظها تكاف كما ترى والمعنى جيد .

وقلت : وليل أسود الجلبابِ داج كفرع الخود أوعين الغزال
كأنَّ كواكبَ الجوزاءِ فيه زميلة^(١) مفجرة البزال
تمس بالخلي قرط الثريا إذا انخفضت وتوج بالهلال
ركبت صدوره وتركت خيلي توالى تحت أنجبه التوالى
ويخبطن الصباح إذا تبدى كما يكرعن في الماء الزلال
ومن ظريف ما قيل في الشعرى قول عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر :
أقول لما هاج شوقُ الذِّكرى واعترضت وسط السماء الشعرى
كانها ياقوتة في مدى ما أطول الليل بسرِّ مرى
وقد أكثروا من وصفها بالعبر وأخذوا ذلك من اسمها وهو العبور .

أحسن ما قيل في سهيل وبعده من الكواكب قول بعضهم :
ولاح سهيل من بعيد كأنه شهاب ينحبه عن الرَّمح قابس
وقال ابن المعتز :

وقد لاح للساى سهيل كأنه غلى كلَّ نجم في السماء رقيب
وأجود ما قيل في خفقانه واضطرابه قول جبران العود :
أراقب لهما^(٢) من سهيل كأنه إذا ما بدا من آخر الليل مطرف^(٣)
وقلت : وبسهيل رعدة المزود^(٤) وهو من الأنجم في محيد
حلَّ محلَّ الرجل الطريد

(١) في نسخة « زميرة » . (٢) في ديوان جبران العود « أراقب لهما »

(٣) في ديوانه « يطرف » . (٤) أى المزور .

وقال ابن طباطبا في المعنى الأول :

كأن سهيلاً والنجوم أمامه يمارضها راع أمام قطيع

أجود ما قيل في النسر الواقع قول الحامي :

وركب ثلاث كلاً ثاني تمارروا دُجى الليل حتى أو مضت سنة البدر

إذا اجتمعوا سميتهم باسم واحد وإن فرقوا لم يعرفوا آخر الدهر

وهو من اللفز المليح . ومن جيد ما قيل في الفرقدين قول ابن المعتز :

ورنا إلى الفرقدان كما رنت زرقاء تنظر من نقاب أسود

وفي الهجرة قول بعضهم :

كأن الهجرة جدول ماء نور الاقح في جانيه

وقال ابن طباطبا :

محبرة كالماء إذ ترققا شقت بها الظلماء برداً أزرقا

لباس تشكلى وشيها المشتقا

ونقله إلى موضع آخر فقال :

كأن التي حول الهجرة أوردت لتكرع في ماء هناك صيب

فوجدته متكلفاً جداً فقلت في معناه :

ليل كما نفص الغراب جناحه متبعم الأعلى بهيم الأسفل

تبدو الكواكب من فنون ظلامه لمع الأُسنة من فتون القسطل

وترى الكواكب في الهجرة شرعاً مثل الظباء كوارعاً في جدول

وقلت : تبدو الهجرة منجر فوائبها كلماء ينساح أو كالايم ينساب

وزهرة بازاء البدر واقفة كأنه غرضه ينحوه نشاب

أغرب ما قيل في صفة الهلال من الشعر القديم قول الأعراب :

كأن ابن مزته جانحاً قسيط لدى الافق من خنصر

أي كأن ابن مزته وهو الهلال لدى الأفق قسيط من خنصر والقسيط القلامة

وهذا البيت على غاية سوء الرصف . وقد أخذه ابن المعتز فحسنه في قوله :
ولاح ضوء هلال كاذب يفضحه مثل القلامة قد قدت من الظفر
وقال ابن طباطبا :

وقد غمض الغرب الهلال كأنما يلاحظ منه ناظر ذات أشفار
كأن الذي أبقي لنا منه ألقه قصيص سوار أو قراضة دينار
ولا خير في رصف قوله * كأن الذي أبقي لنا منه ألقه *

ومن غريب ما قيل فيه وعجيبه قول ابن المعتز :
إذا الهلال فارقته ليلته بدا لمن يبصره وينعته
كهامة الاسود شابت هامته

قد سبق إلى هذا المعنى ولم يأخذه من أحد أعرفه ، ونقله إلى موضع آخر فقال :
وقد بدا فوق الهلال كرتة كهامة الاسود شابت لحيته
ومن أطرف ما قيل فيه قوله أيضاً :

أهلاً بنظر قد أنار هلاله فالآن قاغد إلى المدام وبكر
وانظر إليه كزورق من فضة قد أثقلت حمولة من عنبر
وقال : في ليلة أكل المحاق هلالها حتى تبدى مثل وقف العاج
وقلت : لست من عاشق أضل السبيل فسقى دمه الهطول طلولا
برد الليل حين هبت شمالا فجعلت الصلاء فيها الشمولا
في هلال كأنه حية الرمس أصابت على البقاع مقبلا
بات في معصم الظلام سواراً وعلى مفرق الدجى إكليلا
وقلت : وكؤوس إذا دجى الليل أسرت تحت سقف مرصع بالاجين
وكأن الهلال مرآة تدير تنجلي كل ليلة أصبعين

هذا البيت يتضمن صفته من لذن هو هلال إلى أن يتم . وقلت في هلال شهر رمضان :
جلب المجاعة ضامر بجمل قد خلت فيه لضعفه سلا

طفلٌ ولنكنزُ أمرُهُ عجبٌ قد عاد بعد كهولةٍ طفلاً

قد كانَ حماً، يلتين فلم ترَ مثله طفلاً ولا حملاً

ومن العجائب أن يعودَ فتى في سبع عشرة ليلةً كهلاً

وقال السرى :

قم يا غلامُ فهايتها في كأسها كالجلائرة في جنى نسرين

أوما رأيت هلالَ شهرٍ قد بدا في الأفق مثل شعيرة السكين

جعل الزجاج كأساً ولا يقال كأس إلا إذا كانت مملوءة ، ولا أعرفه سبق إلى هذا

التشبيه . وقال بعضهم :

والجو صاف والهلal مشنف بالزهرة الزهراء نحو المغرب

كصحيفة زرقاء فيها نقطة من فضة من تحت نون مذهب

جعل النقطة تحت النون والعادة أن تكون فوقها .

وقلت : والبدر زين للعيون هلاله فرمقن منه حاجباً مقرونا

يبدو ويبدو والنجم فوق جبينه وكأن جنح الليل ينقط نونا

وقد استحسنت للعلوى الأصفهاني قوله :

لاح الهلال فويق مغربه والزهرة الزهراء لم تغب

تهوى دوين مغيها فهوت تبكى بدمع غير منسكب

فكأنها أسماء باكية عند انفصام سوارها الذهب

ومن البديع قول الآخر :

لم أنس دجلة والهوى متضرم والبدر في أفق السماء مغرب

فكأنها فيه رداء أزرق وكأنه فيها طراز مذهب

حق الدجى ان تؤث لانها جمع دجية . وقلت :

كأن الهلال الشهر قطعة دملج تلوح على أعضاء معسكر غاس

تري الزهرة الزهراء تهوى وراءه كما مر سهم قاصد نحو قرطاس

ومن أجود ما سمعته في الليلة القمرية ما أنشدني أبو أحمد :

هل لك في ليلة بيضاء بمقبرة كأنها فضة ذات على البلد
وقلت: كم قد تناولت اللذاز من كشب والدَّهر مسكون الحوادث والنوب
في ليلة قراء تحسب أنها تلقى على الآفاق أردية قصب
ومن البديع قول ابن المعتز :

ما ذقت طعم النوى لو تدرى كأنما جنبي على جمر
في قمر مشرق نصفه كأنه بحرقه المطر
فريسة للبق منهوشة قد ضعفت كفى عن النصر
وقال في ذم القمر :

وبات كما سر أعداؤه إذا رام قوتا من النوم شد
تعرزه شررات البعوض في قمر مثل ظهر الجرذ

(الفصل الثاني من الباب السادس)

(في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره وما يجري مع ذلك من سائر أوصافه)
فمن أحسن ذلك قول ذي الرمة :

وليل كجلباب العروس ادرعته^(١) بأربعة والشخص في العين واحد
أحم علاف^(٢) وأبيض صارم وأعيس مهري وأروع ماجد^(٣)
فأخذ ابن المعتز ونقله إلى ما هو أظرف لفظاً منه وهو قوله :

وليل كجلباب الشباب قطعته بفتيان صدق يملكون الأمانيا
جلباب الشباب أظرف من جلباب العروس .

(١) في الأصل (ودعته) والتصحيح من ديوان ذي الرمة .

(٢) أحم : أسود يعني الرجل ، علاف : منسوب إلى علاف حي من العرب يعملون
الرحال ، والأعيس : الأبيض يعني بعيره ، والمهري منسوب إلى مهرة حي من اليمن .

قالوا من أبلغ ما قيل في ظلمة الليل قول مضر بن ربيعي^(١).

وليل يقولُ الناسُ من ظلماته سواء صحباتُ العيونِ وعورها
 كأنَّ لنا منه ميوتا حَصِينَةً مسوحاً أعالها وساج كسورها^(٢)
 وقريب من هذا قول الأعرابي : خرجنا في ليلة حندس قد أنقت على الأرض
 أكلعها فمحت صورة الأبدان فما كنا نتعارف إلا بالأذان . وقلت في هذا المعنى :

وليلة كرجائي في بني زمني مسودة الوجه منسوباً إلى الفهم
 سدت على نظر الرائي منهجه حتى تعارفت الاشخاص بالكلم
 لا أسامُ الجهد فيها أن أكابده ولا ترى صاحب الحاجات ذا سام
 أحاولُ النجح في أمر أزاوله والنجح في دلجات الأبنقِ الرسم
 ومن جيد التشبيه قول أبي تمام :

إليك هتكنا جنح ليل كأنه^(٣) قد اكتحلت منه البلادُ بأمد
 أخذه من قول أبي نواس :

أين لي كيف صرت إلى حريمي وحنح الليل مكتحلٌ بقمار
 وقول أبي تمام أجود لأن الاكتحال بالأمم لا بالقار، وأظرف ما قيل في ذلك
 قول مسلم بن الوليد :

أجذك ما تدرين أن رب ليلة كأن دجاها من قرونك تنشر
 صبرت لها حتى تجلت بغرة كغرة يحيى يوم يذكر جعفر
 وقد طرف القائل في قوله :

لاتدغني لصباح إن الغبوق حبيبي
 فالليل لون شبابي والصبح لون مشيبي

ومن الاستعارة قول ذي الرمة :

(١) نسب البيتان في زهر الآداب إلى ابن محكان السعدي . (٢) في زهر الآداب
 (مسوحاً أعالها وساجاً) . (٣) كذا في ديوان أبي تمام ، والذي في الأصل (كأنما) .

وَدَّوِيَّةٌ مِثْلَ السَّمَاءِ عَسَتْهَا وَقَدْ صَبَغَ اللَّيْلُ الْحَصَى بِسَوَادٍ^(١)

أَخَذَهُ الْبَحْتَرَى فَقَالَ وَقَصِر :

عَلَى بَابِ قَنْسَرِينَ وَاللَّيْلُ لَا طُخْ جَوَانِبُهُ مِنْ ظُلْمَةٍ بِمَدَادٍ

ليس البيت على السكة المختارة وقوله (لا طخ جوانبه من ظلمة بمداد) من بعيد الاستعارة . وأخذ ابن أبي طاهر قول مسلم * كَأَنَّ دَجَاهَا مِنْ قُرُونِكَ تَنْشُرُ * فقال :

سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِشَعْرَهَا شَبِيهَةً أَخَذَهَا بِغَيْرِ رَقِيبٍ

فَوَقَعَ بِمَبْدَأٍ عَنْهُ وَاخْتَلَفَ فِي النِّظْمِ وَأَقْلَقَ الْقَافِيَةَ . وقلت في معناه :

تَسْقِيكَ فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِفَرْعِهَا شَبِيهًا بِعَيْنَيْهَا وَشَكْلًا بِخَدَّهَا

فَتَسْكُرُ مِنْ عَيْنٍ وَكَأْسٍ وَوَجْنَةٍ تَحْيِيكَ أَعْقَابَ الْكَؤُوسِ بِوَرْدِهَا

ومن البديع في هذا المعنى قول ابن المعتز :

أَرَقْتُ لَهُ وَالرَّكْبُ مِيلٌ رُؤُوسُهُمْ يَخْوضُونَ ضَحَضَاحَ الْكُرَى وَبِهِمْ قُرُ

عَلَامٌ جَلِيدٌ اللَّيْلُ حَتَّى كَانَهُمْ بَزَاةٌ تَجَلَّى فِي مَرَاقِبِهَا قُرُ

إِلَى أَنْ تَعْرِى النُّجُومُ مِنْ حُلَّةِ الدُّجَى وَقَالَ دَلِيلُ الْقَوْمِ قَدْ نَقَبَ الْفَجْرُ

وَقَدُوا أَدِيمَ الْفَجْرِ حَتَّى تَرَفَعَتْ لَهُمْ لَيْلَةٌ أُخْرَى كَمَا حُومَ^(٢) النَّسْرُ

وقال ديك الجن :

سِرْضِيكَ أَنِّي مَسْخَطُفِيكَ كَاشِحًا وَمَرْتَقِبٌ هَوْلَانٍ مَوْتٍ مَرْقَبُ

وَجَانِبُ لَيْلٍ لَوْ تَعْلَقُ قِطْعَةً بِقِطْعَةٍ صَبَحَ لَا تَنْتُ وَهِيَ غَيْبُ

وَقُلْتُ : وَمَدَّ عَلَيْنَا اللَّيْلُ ثَوْبًا مَنَعًا وَأَشْعَلَ فِيهِ الْفَجْرَ فَهُوَ مُحْرَقُ

وَصَبَحْنَا صَبَحًا كَأَنَّ ضِيَاءَهُ تَعْلَمُ مِنَّا كَيْفَ يَبْهَى وَيُشْرِقُ

وقال ابن المعتز :

نَحَلْتُ الدُّجَى وَاللَّيْلُ قَدْ مَدَّ خَيْطَهُ رَدَاءٌ مَوْشَى بِالْكَوَاكِبِ مَعْلَا

وهو من قول الله تعالى (الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)

(١) في الأصل نصحيف صححناه من ديوانه . (٢) في ديوان ابن المعتز (خلق) .

ومن أتم أوصاف الظلمة الذي ليس في كلام البشر مثله قول الله عز وجل
 (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ
 سَحَابٌ مِّمَّ ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) وقال الأصفهاني العلوي :
 وَرُبَّ لَيْلٍ بَاتَتْ عَسَاكِرُهُ تَحْمِلُ فِي الْجَوِّ سُدَّ رَايَاتِ
 لَامِعَةٍ فَوْقَهَا أَسْتَهَا مِثْلَ الْأَزَاهِيرِ وَسَطَرٍ وَضَاتِ
 ولست أورد أكثر شعره إلا لاصابة معناه دون لفظه لأن أكثر لفظه متكاف
 وجل صنعته فاسد وهذا من العجب لأنه من أكثر الناس نقداً لشعر غيره وقد
 صنف كتاب عيار الشعر فأجاده وهو إذا أراد استعمال ما ذكرناه لم يكمل له
 فهو كالمن يشخذ ولا يقطع .

ومن أحسن الـ ارة في ذكر الليل قول ابن أبي قنن :

أَقُولُ وَجَنَحُ الدُّجَى مَلْبِدُ وَلَيْلٌ فِي كُلِّ فَجٍّ بَدِ
 وَنَحْنُ ضَجِيمَانِ فِي مَسْجِدِ فَلَهُ مَاضِيَنَ الْمَسْجِدِ
 أَيَالِيَةُ الْوَصْلِ لَا تَنْفَدِي كَمَا لَيْلَةُ الْهَجْرِ لَا تَنْفَدِ
 وَيَاغْدُ إِنْ كُنْتُ لِي رَاحِمًا فَلَا تَدْنُ مِنْ لَيْلَتِي يَاغْدِ

وقال السري :

وَشَرُُّ الصَّبِيحِ عِنَا اللَّيْلِ فَانْضَحَتْ سَطُورُهُ الْبَيْضُ فِي رَايَاتِهِ السُّودِ
 وَقُلْتُ : لَيْلٌ كَفَرَعِ الْخُودِ تَخْلِفُهُ ضَحَى زَهْرَاءُ مِثْلَ عَوَارِضِ الزَّهْرَاءِ
 عَبَقْتُ بِأَنْفَاسِ الرِّبَاضِ كَأَنَّمَا نَفْضُ الرَّقِيبِ غَلَالَةُ الدَّلَاءِ
 وَقُلْتُ : وَاللَّيْلُ يَمْشِي مَشْيَةَ الْوَيْدِ فِي الْخَضِرِ مِنْ لِبَاسِهِ وَالسُّودِ
 وَالصَّبِيحُ فِي أَخْرَاهِ ثَانِي الْجِيدِ

فأما أجود ما قيل في طول الليل من الشعر القديم فقول امرئ القيس :

وَلَيْلٌ كَمَوْجِ الْبَحْرِ ^(١) أَرْخَى سِدُولَهُ عَلَى بَأَنَوَاعِ الْهَيُومِ لَيْتَلِي

(١) أي كوج البحر في شدة ظلمته .

فقلتُ له لما تَطى بصلبه ^(١) وأردف أعجازاً وناء بكل كل
 ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجلِ بصبح وما الاصبحُ منك بأمثل
 وهذا من أفصح الكلام وأبرعه إلا أن فيه تضييماً يلحق به بعض العيب
 وهو من أدل شيء على شدة الحب. والهم لأنه جعل الليل والنهار سواء عليه فيما
 يكابده من الوجد والحزن وجعل النهار لا ينقصه شيء من ذلك وهذا خلاف العادة
 إلا أنه دخل في باب الغلو. والذي أخبرنا بما في العادة الطرماح في قوله :
 ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا اصبح بصبح وما الاصبحُ منك بأروح
 فهذا معنى قول امرئ القيس ، ثم استدرك فقال :
 على أن للعينين في الصبح راحةً بطرحيهما طرفيهما كل مطرح
 فجاء بما لا يشك أحد في صحته إلا أن لفظه لا يقع مع لفظ امرئ القيس
 موقعاً والتسكف في قوله * بطرحيهما طرفيهما كل مطرح * بين والكرهية ظاهرة.
 وقال ابن الدمينية في معنى قول الطرماح :

أظُلُّ نهارى فيكم متعللاً ويجمعنى والهم بالليل جامع
 وقال المجنون :

يضمُّ إلى الليلُ أطفالَ حبها ^(٢) كماضمُّ أزرارَ القميصِ البنائِقُ .

جعل ما ينشأ من الهم بالليل أطفالاً ، وفي هذا المعنى يقول النابغة :

كلينى لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بظى الكواكب
 تطاول حتى قلتُ ليس بمنقضى وليل الذي يرعى النجوم ^(٣) بآيب
 وصدير أراح الليل عازباً هم تضاعف فيه الحزن من كل جانب

(١) وفي رواية « بجوزه » وهو ضعيف المعنى . (٢) في الاصل
 « حبكم » وفي اللسان « حبها » وقال فيه : يروى « أثناء حبها » ويروى « أبناء
 حبها » . وأراد بالاطفال الاحزان المتولدة عن الحب . (٣) في ديوان النابغة
 « يهدى النجوم » وهو الذى يتقدمها .

فجعل الهمَّ يأوى إلى قلبه بالليل كأنه كائن مع العازبة تريحها الرعاة مع الليل إلى
أما كنها ، وهو أول من ذكر أن الهموم تتزايد بالليل . وقلت :

وذكريه البدرُ والليل دونهُ فبات بحدَّ الشوق والصبر يلعب
كذكرى الحى والحى في منعج اللوى وذكر الصبا والرأس أخلس أشيب
فأزدادُ في جنح الظلامِ صبايةً فلا صعبَ إلا وهو بالليلِ أصعبُ
وقلت: ورأيتُ الهمومَ بالليلِ أدهي وكذاك السرورُ بالليلِ أعذب
ومما استجذبت من شعر أبي بكر الصولى فى معنى امرئ القيس قوله :

أسرَّ القلب فى هواه وسارا وتجنى على ظلماً وجارا
فتهاوى أراءه للبعدِ ليلاً وأرى للسهادِ ليلى نهارا
أنتَ فرقتَ بالتفرُّقِ صبرى فأعرتنى لما عراني اضطبارا

ويستجد هذا بالاضافة إلى جملة شعره فأما لتفاسته لنفسه فلا .

وقال إسحق الموصلى فى معنى النابغة :

إنَّ فى الصبحِ راحةً لمحَبٍّ ومع الليلِ ناشئاتُ الهمومِ
وهذه اللفظة مأخوذة من قول الله تعالى (إنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ
وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً) وقال طاهر بن على بن سليمان :

إذا لاحَ لى صبحٌ فهمى مقسم وفي الليلِ همى بالتفرُّدِ أطول
وتمنى بعض المثقلين بالدين المبتلين بالفقر دوام الليل لما يلقى النهار من الغرماء
ولما يحتاج اليه من النفقة فى كل يوم فقال :

ألا ليتَ النهارَ يعودُ ليلاً فإنَّ الصبحَ يأتى بالهمومِ
حوائج لا تطيقُ لها قضاءً ولا رداً وروحات الغريمِ
قوله « ولارداً » من التميم الحسن . وقال التنوخى فى طول الليل :
وليلة كأنها طولُ الأملِ ظلامها كالدهر مافيه خللُ
كأنما الاصبحُ فيها باطل أزهقه الله لحقَّ فبطلُ

ساعاتها أطولُ من يوم النوى وليلة الهجرِ وساعات العذل
موصدة على الوردى أبوابها كالنار لا يخرجُ منها من دخل
وهذا يستملح وإن لم يكن مختاراً من التشبيه لأن إخراج المحسوس إلى
ماليس بمحسوس في التشبيه ردى . ومن التشبيه الغريب في ذلك قول بعض العرب :
ويوم كظل الرَّمح قصرَ طوله دم الزَّقِّ عنا واصطكاك المزاهر
وقال البحتري :

وقاسين ليلاً دون قاسان لم تكد أواخرُهُ من بعد قطربه تلحق
وقال ابن المعتز في نحوه :
وحلت عليه ليلةٌ أرحيةٌ إذا ماصفا فيها الغديرُ تكدراً
بعيدة ^(١) ما بين البياضين لم يكد يصدق فيها صبحها ^(٢) حينَ بشرا
وقال : بمخشية الاقطار حيلة الصدى معطلة الآيات محذورة القصد
كأنَّ نجومَ الليلِ في حجراته دراهمُ زيف لم يحزن على النقد
يريد أن نجومه واقفة ليست تسير فكأنها دراهم زيفت ليست تنقد . وقد
أبر بعض المحدثين على من تقدم حيث يقول في طول الليل على دناءة لفظه :
عهدي بنا ورداء الليل مُنسدل والليلُ أطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلى من باتوا فديتهم ليلُ الضريرِ فصبحى غير منتظر
وهذا أبلغ معنى من قول امرئ القيس الذي تقدم إلا أنه لا يدخل في مختار
الكلام لا بتدال لفظه وزيادته على معناه وسوء صنعه ، والمعنى أن ليله ممدود
بلا انقضاء كالليل للضرير كله عند الضرير ليل . وقال على بن الخليل :
لا أظلم الليلَ ولا أدعى أن نجومَ الليلِ ليست تعول
ليلى كما شاءت قصيرٌ إذا جادت وإن ضنت قليلى طويلٌ
فأغار عليه ابن بسام فقال :

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع « طويلاً » . (٢) في ديوانه (فجرها) .

لا أظلمُ الليلَ ولا أدعى أنْ نجومَ الليلِ ليستْ تغور
 ليلى كما شاءتْ فانْ لم تَزُرْ طالَ وإنْ زارتْ فليلى قصير
 إلا أن يئته الثاني أحسن تقسيماً من بيت الخليل . وممعت كافي الكفاة يقول
 لأبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد وقد أنشده * جُلُّهمي وهمتي جُرْجانُ *
 فقال هذا المصراع خطبه ، قال أبو هلال العسكري وأنا أقول إن قوله :
 ليلى كما شاءت خطبه . وقال سعيد بن حميد :

يا ليلُ بلْ يا أبداً أناثمُ عنك غداً
 وقال ابن الرومي وأحسن التشبيه * ليست تزول ولكن تزيد * وقلت :
 غابوا فلم أدر ما ألقى مسٌّ من الوَجْدِ أوجنون
 ليلى لا يبتغي براحاً كأنه أدمُ حَرُونُ
 أجيلُ في صفحته عينا ما تتلاقى لها جُفون
 وملح ابن الأحنف في قوله :

حدَّثوني عن النهار حديثاً وِصفوه فقد نسيتُ النهارا
 وقد أنبا بشار عن العلة التي يستطال لها الليل وهو السهر فقال :
 لم يطل ليلى ولكن لم أنمُ ونفى عنى الكرى طيفٌ ألمٌ
 ولا أرى في قلة النوم أجود من قول المجنون :

ونوم كحشر الطير بتنا ننوشه على شعب الاكوار والليل غاسق
 على أن زهيراً قد قال * وكصفقة بالكف كان رقادي * والاول أفصح .
 وأنبا العجاج أيضاً عن العلة التي لها يطول الليل * تطاول الليل على من لم ينم *
 وقال بشار :

لخدِّيك من كفيك في كلِّ ليلةٍ إلى أن ترى ضوء الصباح وسادُ
 وهذا مأخوذ من قول أبي ذؤيب * نام الخلى وبت الليل مشتجرا * والاشتجار
 وضع اليد على الخد والاعتماد عليها وهو جلسة المتفكر :

نبيتُ نواعي الليلَ نرجو نفاذهُ وليس ليلَ العاشقينَ نفاذ
وقال : خليلي ما بال الدُّجى لا تزحزحُ وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
كأن الدجى زادت وما زادت الدجى ولكن أطالَ الليلَ همٌ مبرِّح
وقال ديك الجن :

من نامَ لم يدري طالَ الليلُ أم قصرا ما يعرف الليلَ إلا عاشقٌ مهرا
وقد أجاد ابن طباطبا العلوى القول في طول الليل وهو :
كأنَّ نجومَ الليل سارتْ نهارها ووافَتْ عشاءٌ وهى أنضاءُ أسفار
فمخيمٌ حتى تستريحَ ركابها فلا فلكٌ جار ولا فلكٌ سارى
وذكر خالد الكاتب^(١) أنه ليس يدري أطال ليله أم قصر لتحيره وتبلده فقال :
لست أدري أطال ليلى أم لا كيف يدري بذاك من يتقلى
لو تفرَّغتْ لاستطالة ليلى ولرعى النجوم كنتُ مخلى
وتبعه أبو بكر الصولى فقال :

وطولتُ ليلى لو دريتُ بطوله ولكنه يمضى لما بي ولا أدري
وقال بشار :

طالَ هذا الليلُ بل طالَ السهر ولقد أعرفُ ليلى بالقصر
لم يطلُ حتى دهاني بالهوى ناعمُ الأطرافِ فتانُ النظر
فكأنَّ المهجرَ شخصٌ مائل كلما أبصره النومُ نفر
وقلت : صيرنى البينُ عرضةَ الحين لا أربحَ اللهُ صفقةَ البين
قد طالَ يومي ولبقى بهمُ لما يزالا بهمُ قصيرين
كانَ قليلاً لدى مكثهما فكنتُ أدعوها الجديدين
فطالَ بعدَ الحبيبِ لبثهما فصرتُ أدعوها عتيقين

(١) هو خالد بن يزيد ، من أهل بغداد ، وأصله من خراسان ، وكان أحد

كتاب الجيش في أيام المعتصم العباسى . أ كثر شعره في الغزل .

وقال آخر :

باليلة طالَت على عاشقٍ منتظري في الصبح ميعاد
كادت تكونُ الحولَ في طولها إذا مضى أولها عادا
أجود ما قيل في قصر الليل وأشدّه اختصاراً قول إبراهيم بن العباس :
وليلة من الليالي الزُّهر قابلتُ فيها بدرها يبدرى
لم تكُ غيرَ شفيٍّ وفجر حتى تولّتْ وهي بكرُ الدهرِ
وقال غيره : ليلة فيأ قصر عشاؤها مثل السحر

وهذا على غاية الاختصار . وقال العلوي الاصفهاني في قصر الليل واليوم :

ويوم دجن ذو ضمير متهم مثل سرور شابه عارض غم
صحوٌ وغيمٌ وضياءٌ وظلمٌ كأنَّهُ مستعرٌ قد ابتسم
مازلتُ فيه عاكفاً على صنمٍ مُهفّف الكشح لذيد الملتزم
تفاحه وقفٌ على لثمٍ وشمٍ وبانه وقفٌ على هصرٍ وضمٍ
باطيه يوم تولى وانصرم وجوده من قصر مثل العدم
وقلت : قصر العيشُ بأكناف القضا وكذا العيشُ إذا طاب قصر
في ليالٍ كأباهيم القطا لستَ تدري كيف تأتي وتمرّ
وقلت : إذا البرق من شرقي دجلة ينبري على صفحات البارق المتألق
أشبهه دهرًا أغرَّ محجلاً فقمنا به في ظلّ فينان مورك
فرّ كرجع الطرفِ ليس يمسه حنينٌ إلى مخبورة المتعشق
وقد بعرض المحذور من حيث يرتجى ويمكنك المرجو من حيث تنق
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن سعيد عن أبي عكرمة قال أنشدت
اعراباً قول جرير :

أبدّل الليلُ لا تسري كواكبهُ أم طال حتى حسبت النجم حيرانا
فقال هذا حسن وأعوذ بالله منه ولكن أنشدك في ضده من قولي وأنشدني :

وليس لم يقصره رقاد وقصره لنا وصل الحبيب^(١)
 نعيم الحب أروق فيه حتى تناولنا جناء من قريب
 بمجلس لذّة لم نقو فيه على الشكوى ولا عدّ الذنوب
 بخلنا أن نقطعه بلفظ فترجت العيون عن القلوب
 فقلت له زدني فما رأيت أظرف منك شعراً ، فقال أمان هذا فحسبك
 ولكن غيره وأنشدني :

وكنّت إذا علق حبال قوم صحبتهم وشيتي الوفاء
 فأحسن حين يحسن محنوم وأجنب الاماءة إن أساؤا
 أشاء سوى مشيتهم فآتي مشيتهم وأترك ماأشاء
 وأنشدنا عن محمد بن يزيد :

لله ليلتنا بجو سوية والعيش غص والزمان غرير
 طابت فقصر طيبها أيامها فكأنما فيها السنون شهور

وأنشدنا عن عون بن محمد بن إسحق الموصلي :

ظللنا في جوار أبي الجنب يوم مثل سائلة الذباب
 يقصره لنا شغف التلاقي ويوم فراقنا يوم الحساب
 وأخبرنا عنه عن محمد بن الحسن أبي الحسن العتابي عن عيسى بن اسماعيل
 قال سمعت الأصمعي يقول قرأت على خلف شعر جرير فلما بلغت إلى قوله :
 ويوم كاهام القطاة محبب إلى هواه^(٢) غالب لي باطله
 رزقنا به الصيد العزيز ولم نكن^(٣) كمن نبه محرومة وجبائله
 فيالك يوم خيره قبل شره تغيب واشيه وأقصر عاذله

(١) في زهر الآداب « وقصر طوله وصل الحبيب » . (٢) في زهر الآداب

« إلى صباه » . (٣) في الأصل (الصيد العزيز ولم يكن) .

فقال وبه وما ينفعه خير يؤول إلى شر؟ فقلت كذا قرأته على أبي عمرو ، قال صدقت وقال كذا قال جرير وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع ، قلت كيف كان يجب أن يقول؟ قال الأجود له لو قال * فيا لك يوماً خيره دون شره * فاروه هكذا ، وكانت الرواة قديماً تصلح من شعر القدماء ، فقلت والله لا أرويه بعدها إلا هكذا .

ومثل ذلك أن أبا الفضل بن العميد أنشد قول أبي تمام :
وكشفت لي عن صفحة الماء الذي قد كنت أعهده كثير الطحلب
فقال إنما قال (عن جلدة الماء) فقال إذا أمكن أن يصلح قصيدته بتغيير لفظة
فمن حقها وحق قائلها أن تغير . قال أبو هلال وبين الصفحة والجلدة بون بعيد .
وقال ابن طباطبا :

بأبي من نعمت فيه يوم لم يزل للسرور فيه نمو
يوم لهو قد التقي طرفاه فكان العشي فيه غدو
ومن قول إبراهيم بن العباس والناس يروونه لغيره :

ليلة كاد يلتقي طرفاها قصر أوهى ليلة الميلاد
وقلت : وطال عمرك في دهر به قصر تعد فيه شهور العيش أياما
وقال القصافي :

ذكرتكم ليلاً فنور ذكركم دجى الليل حتى انجاب عنا دياجره
فوالله ما أدرى أضوء مسجر لذكركم أم يسجر الليل ساجره
وبت أسقى الشوق حتى كأننى صريع مدام لم ينهنه دائره
وظلت أكف الشوق لما ذكرتكم تمثل لى منكم خيالاً أسايره
فلو كنتم أقصى البلاد لزرتكم إلى حيث يعي ورده ومصادره
أرى قصرأ بالليل حتى كأنما أوائله مما تدانى أواخره
وقد أحسن ابن المعتز في صفة ليلة طيبة فقال :

يا ليلة نسي الزمان بها احداثه كوني بلا فجر
 راح الصباح يبدوها ووشت فيها الصبا بمواقع القطر
 ثم انقضت والقلب يتبعها في حيث ماسقطت من الدهر
 وقلت : وصلت نعم ولكن صلة تشبه اللحظة في اتقاها
 لست أدري اتممت بها أم بزور الزور من خيالها
 ومضى الليل سريعا مثلها أنشطت دهاء من عقابها

(الفصل الثالث من الباب السادس)

في ذكر الصباح والشمس والنهار ومايجرى مع ذلك

أجود ما قيل في الصباح من شعر الاعراب : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر
 ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال نزلت بقوم من غنى وقد جاؤوا
 قبائل من بني عامر بن صعصعة^(١) فحضرت ناديهم وهناك شيخ طويل الصمت
 عالم بالشعر^(٢) قد جعل الناس يأتونه من كل ناحية فيجلسون اليه وينشدون
 أشعارهم فاذا سمع الشعر الجيد قرع الارض بمحجنه فينفذ حكمه على من حضر منهم
 بشاة^(٣) إذا كان ذا غم وابن مخاض ان كان ذا إبل فذبح أو نحر لأهل الوادي
 فقال حضرتهم يوما والشيخ جالس فأنشده بعضهم يصف القطا :

غَدَت في رَعِيل ذِي أَدَاوَى مَنُوطَةٍ بِلِبَاتِهَا مَرْبُوعَةٍ^(٤) لَمْ تُمَرِّخْ^(٥)
 إِذَا سَرَّ بَخْ عَطَتْ^(٦) مَجَالَ سِرَائِهِ تَمَطَّتْ فَحَطَّتْ بَيْنَ أَرْجَاءِ سَرَبِخٍ
 فَرَقَعَ الشَّيْخُ الْأَرْضَ بِمَحْجَنِهِ وَهُوَ صَامِتٌ ، ثُمَّ أَنْشَدَهُ آخِرُ يَصِفُ لَيْلَةً^(٧) :

(١) في الأصل (من بني صعصعة) . (٢) في أمالي القالي زيادة (وأيام الناس)
 (٣) في الأمالي (فينفذ حكمه على من حضر يبكر للنشد ، وإذا سمع مالا يعجبه
 قرع رأسه بمحجنه فينفذ حكمه عليه بشاة) . (٤) في الأصل (مدبوعة)
 (٥) تمرخ أي تلسن . (٦) السربخ : الأرض الواسعة ، وعطت : شقت .
 (٧) في الأصل (يصف إبلا) والاستدراك من الأمالي .

كَأَنَّ شَمِيطَ الصَّبْحِ فِي أَخْرِيَاتِهَا مُسْلًا يُنْقِي مِنْ طَيَالِسَةِ خُضْرٍ
تُخَالِ بَقَايَاهَا الَّتِي أُسَارَ^(١) الدُّجْبِي تَمْدُّ وَشِعْبًا^(٢) فَوْقَ أَرْدِيَةِ الْفَجْرِ
فَقَامَ الشَّيْخُ كَالْمَجْنُونِ مُصَلِّيًا سَيْفَهُ حَتَّى خَالَطَ الْبَرْكَ^(٣) فَجَعَلَ يَضْرِبُ يَمِينًا
وَشِمَالًا وَهُوَ يَقُولُ :

لَا تُفْرَغُنْ فِي أُذُنِي بَعْدَهَا مَا يَسْتَفْزُ فَارِيكَ فَقَدْهَا
إِنِّي إِذَا السَّيْفُ تَوَلَّى نَدَّهَا لَا أُسْتَطِيعُ بَعْدَ ذَلِكَ رَدَّهَا

قَالَ أَبُو هَلَالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ عِلْمَ الشَّعْرِ وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ جَيِّدِهِ
وَرَدِئِهِ كَانَ غَرِيزًا عِنْدَ أَهْلِ الْبَوَادِي وَهُمْ أَصُولُهُ وَمَنْبَعُهُ وَمَعْدَنُهُ ، وَكَانَ فَعَلَ هَذَا
الشَّيْخُ وَاسْتَفْزَا زَجِيدَ الشَّعْرِ لَهُ قَرِيبًا مِمَّا رَوَى عَنْ مُحَمَّدِ الْأَمِينِ أَنَّهُ قَالَ إِنِّي لَا أُطْرِبُ
عَلَى حَسَنِ الشَّعْرِ كَمَا أُطْرِبُ عَلَى حَسَنِ الْغَنَاءِ .

وَمِنْ غَرِيبٍ مَا قِيلَ فِي الصَّبْحِ مِنَ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ ، وَقَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ
عَلَى أَنَّهُ أَحْسَنُ الْعَرَبِ تَشْبِيهًا :

وَقَدْ لَاحَ لِلسَّارِي الَّذِي كُلُّ الشَّرَى عَلَى أَخْرِيَاتِ اللَّيْلِ فَتَقَى^١ مُشَهَّرٌ
كُلُونِ الْحِصَانِ الْأُنْبِطِ الْبَطْنِ قَائِمًا تَمَّائِلَ عَنْهُ الْجِلُّ وَاللَّوْنُ أَشْقَرُ
وَهَذَا أَحْسَنُ تَشْبِيهِ وَأَكْمَلُهُ ، الْأُنْبِطُ : الْأَبْيَضُ الْبَطْنُ ، شَبْهُ بَيَاضِ الصَّبْحِ تَحْتَ
حِمْرَتِهِ بَيَاضُ بَطْنِ فَرَسٍ أَشْقَرٍ . أَخَذَهُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فَقَالَ :

وَمَارَاعَنَا إِلَّا الصَّبَاحُ كَأَنَّهُ جَلَالُ قِبَاطِيٍّ عَلَى فَرَسٍ وَرَدٍ
وَقَالَ أَوْ قَالَ غَيْرُهُ :

بَدَا وَالصَّبْحُ تَحْتَ اللَّيْلِ بَادٍ كَمَهْرٍ أَشْقَرٍ مَرُخِي الْجَلَالِ
وَمِنْ أَغْرَبِ مَا قَالَهُ مُحَدِّثٌ فِيهِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِّ :

(١) السُّورُ : الْبَقِيَّةُ وَالْفَضْلَةُ ، يُقَالُ إِذَا شَرَبْتَ قَاسِئًا . (٢) الْوَشِيعَةُ : لَفِيفَةٌ مِنْ
غَزَلٍ ، وَتَسْمَى الْقَصَبَةُ الَّتِي يُجْعَلُ النَّسَاجُ فِيهَا لَحْمَةُ الثَّوْبِ لِلنَّسِجِ وَشِيعَةً . (٣) الْبَرْكَ
إِبِلٌ أَهْلُ الْحَوَاءِ بِالْفَاءِ مَا بَلَغَتْ ، وَقِيلَ الْبَرْكَ الْإِبِلُ الْبَرْوَكُ ، وَقِيلَ الْبَرْكَ : أَلْفُ بَعِيرٍ .

وقد رفع الفجرُ الظلامَ كأنه ظلمٌ على يضرٍ تكشفَ جانبه
وقد أبدع أيضاً في قوله :

قد اغتدى والليلُ في جلبابه كالخبثي قرٌّ من أصحابه
والصبحُ قد كشفَ عن أنيابه كأنما يضحكُ من ذهابه
وقال أبو نواس :

فقتُ والليلُ يجلوه الصباحُ كما جلا التيسمُ عن عُمرُ الثنيات
وفي ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه .

وقال : لما تبدى الصبحُ من حجابهِ كطلعةِ الأشمطِ من جلبابه
وهذا من قول الآخر : كطلعةِ الأشمطِ من بردِ شملٍ وقال ابن المعتز :
ولقد قفوتُ الغيثَ ينطفُ دجنه والصبحُ ملتبسٌ كمينِ الأشملِ
وقلت : باكرتها والخيلُ في البكورِ والصبحُ بالليلِ مكوثُ النورِ
كما خلطت المسك بالكافور

وقال ابن المعتز :

أما ترى الصبحَ تحتَ ليلته كوقدٍ باتَ ينفخُ الفحما
وقال : والليلُ قد رُق وأصفى نجمه واستوفز الصبحُ ولما ينتقب
معتزاً بفجره في ليلة كفريس بيضاء دهاء اللب

وقال العلوي وأجاد المعنى :

والصبحُ في صفحِ الهواءِ مورداً مثل المدامةِ في الزُّجاجِ تشعشع
وقلت : إلى أن طويْنَا اليومَ إلا بقيةً يضلُ ضياءُ الشمسِ عنها فيزلق
وجلل وجه الشمسِ بردٌ ممسك وقابلهُ للغربِ بردٌ ممشق
فلاح لنا من مشرقِ الشمسِ مغربٌ وبان لنا من مغربِ الشمسِ مشرق
ومد علينا الليلُ ثوباً منمقاً وأشعل فيه الفجرُ فهو يحرق
وصبحنا صبحٌ كأنَّ ضياءه تعلم منا كيف يهوى ويشرق

وقلت : ركبت أعجاز ليلٍ مظلمةٍ مطرراتٍ بالصباح معلمة
أخطرُ في بردتها المسهم والروضُ في حلتها المنمنمة
قد نثر الليلُ عليه أتجمه والنبتُ قد دَنَرَهُ وحده
وقدوشى رداءه ورقمه

وقال بعض الأعراب :

والليلُ يطردُهُ النهارُ ولا أرى كالليلِ يطردُهُ النهارُ طريدا
وتراءهُ مثل البيتِ مالَ رواقهُ هتك المقوص شره الممدودا
وهذا شعر مطبوع . وقال أبو نواس :

قد اغتدى والليلُ في حريمه معسكر في العزِّ من نجومه
والصبحُ قد نسّم في أديمه بدعهُ بطرُ في حيزومه
دعى الوصى في قنا يتيمه

ومن الاستعارة المصيبة في صفة الصبح قول سالم بن وابصة :

على حين أثنى القومُ خيراً على السرى وطارَ بأخرى الليلُ أجنحة الفجر
والنصف الأول من قول الآخر ه عند الصباح يحمد القوم السرى ه
وقال العلوى الأصفهاني :

وليل نصرتُ النى فيه على الرشد وأعديتُ فيه الهزل منى على الجد
وضيقتُ فيه من عناقٍ معانق فظنُّ وشأنى أنى نائمٌ وحدى
الى أن تجلى الصبحُ من خلل الدجى كما انخرط السيفُ اليماني من الغمد
وقلت : حتى أزال الصبحُ فاضلَ ذيله كالنيل يخطرُ في نوادي يعرب

وقد أحسن ابن المعتز في صفة النجم يبدو في حمرة الفجر حيث يقول :

قد اغتدى على الجياد الضمر والصبحُ قد أسفرَ أولم يسفر
كأنه غرةُ مهرٍ أشقر حتى بدا في ثوبهِ المعصر
ونجمه مثل السراج الأزهر

وقال الشمر دل بن شريك^(١) :

ولاحَ ضوء الصبح فاستبيننا كما أرتنا المفرق الدهينا
وقال التنوخي: والثرىا كلواء خافق من فوق مرقب
وبدا الفجرُ كسيفٍ في يدِ الجوزاء مذهب
وقلت: أديرأعلى الكأس والليل راحل وفي اثره للصبح بلق شوائل
ترفع عنه منكب الليل فانجلي كما ابتسمت لمياء والستر مائل
وقال التنوخي :

وبدا الصبح كالحسام علاه علق فوق شفرتيه متاع
وقال: أسامره والليل أسود أورك إلى أن جلا الاصبح عن أشقرورد
تبسم محمراً خلال سواده تبسم ورد الخد في الصدغ الجمعد
ومن حسن الاستعارة في الشفق قول ابن المعتز :

ساروا وقد خضعت شمس الاصيل لهم حتى توقد في جنح الدجى الشفق
لحاجة لم أضاجع دونها وسنا وربما جر أسباب الكرى الأرق
وأبرع بيت قيل في الصبح من شعر المحدثين قول ابن المعتز :

والصبح يتلو المشتري فكأنه عريان يمشى في الدجى بسراج
والناس يظنون أنه ابتداءً وابتكره وإنما أخذه من قول ابن هرمة في
وصف السحاب والبرق :

تؤام الودق كالزاحف يزجي خلف اطلاق صدوق البرق كالسكران يمشى خلفه الصاحي
كأن العازف الحنى أو أصوات نواح على أرجائه والبرق يهديه بمصباح
وهذا البيت مضطرب الرصف مضمن لاخير فيه والمعنى بارد .

(١) شاعر إسلامي من شعراء الدولة الاموية كان في أيام جرير والفرزدق .

ومن أطرف ما قيل في الليالي الطيبة قول ابن المعتز :

تلتقطُ الأنفاسُ بردَ الندى فيه فتهديه حرُّ الهوم
وقلت: وقد غدوت وصبح الليل متقص وغرة الصبح مصقولٌ حواشيها
وغربت أنجمُ الظلماءِ وانحدرتُ فشالَ أرجلها وانحطَّ أيديها
فأما أجود ما قيل مما أنشدناه أبو القاسم عن عبد الوهاب عن العقدي عن أبي
جعفر عن ابن الأعرابي قديماً في صفة الشمس فقال وهو أحسن وأتم ما قالته العرب فيها :

مخبأةٌ أما إذا الليلُ جنها فتخفي وأما بالنهار فتظهرُ
إذا انشقَّ عنها ساطعُ الفجر فأنجلي دُجى الليل وانجاب الحجابُ المستر
وألبس عرض الأرض لوناً كأنه على الأفق الشرقى ثوبٌ معصر
ولون كدرع الزعفران مشبه شعاع يلوح فهو أزهرٌ أصفر
إلى أن علت وأبيض عنها اصفرارها وجالت كما جال المليحُ الشهر
ترى الظل يطوى حين تعلق وتارة تراه إذا مالت إلى الأرض ينشر
وتدنف حتى ما يكاد شعاعها يبين إذا ولت لمن يتبصر
وأفنت قروناً وهي في ذاك لم تزل نموتُ ونحيا كل يوم وتنشر

وأنشدناه أيضاً أبو أحمد عن الصولي عن علي بن الصباح عن ابن أبي محلم علي
غير ما تقدم هنا أخذ ابن الرومي قوله * وقد جعلت في مجنح الليل تمرض *

ومن بديع ما قيل في انقلابها عند الغروب قول الراجز :

صبٌ عليه قانصٌ لما غفل والشمسُ كالرآة في كف الأشل
ونحوه قول أبي النجم * وصارت الشمس كعين الأحول *

ولأعرابية تذكر السحاب :

تطالعي الشمس من دونها طلاع فتاة تخافُ اشتهارا
تخافُ الرقيبَ على سرِّها وتحذرُ من زوجها أن يفارها

فتستر غُرَّتْهَا بِالْحَمَارِ طَوْرًا وَطَوْرًا تَزِيلُ الْحَمَارَا ^(١)
وقال ابن المعتز وأغرب :

تَظَلُّ الشَّمْسُ تَرْمَقْنَا بِلَحْظِ خَفَى مَدَنٍ مِنْ خَلْفِ سِتْرِ
تَحَاوُلُ فَتَقَّ غَيْمٌ وَهُوَ يَأْبَى كَمَنِينَ يَرِيدُ نَسْكَاحَ بَكْرِ

وقال ابن طباطبا :

وَأَقْدَبَتْ عَيْنَ شَمْسٍ فَحَكَتْ مِنْ خَلَلِ الْغَيْمِ طَرْفَ عَمَّاشِ
وَقُلْتُ: فَيَا بَهْجَةَ الدُّنْيَا إِذَا الشَّمْسُ أَشْرَقَتْ كَمَا أَشْرَقَتْ فَوْقَ الْبَرِيَّةِ زَيْنَبُ
يَفْضُضُ مِنْهَا الْجَوُّ عِنْدَ طُلُوعِهَا وَلَكِنْ وَجْهَ الْأَرْضِ فِيهَا مُذْهَبُ
وَتَحْسِبُ عَيْنَ الشَّمْسِ إِذْ هِيَ رَفَعَتْ عَلَى الْإِفْقِ الْغَرْبِيِّ شَبْرًا يَنْدَرْبُ
وقلت في يوم صحو :

مَلَأَ الْعَمِيونَ غَضَارَةً وَنَضَارَةً صَحْوٌ يَطَالَعُنَا بِوَجْهِ مَوْتَقِ
وَالشَّمْسُ وَاضِحَةٌ الْجَبِينِ كَأَنَّهَا وَجْهٌ الْمَلِيحَةِ فِي الْحَمَارِ الْأَزْرَقِ
وَكَأَنَّهَا عِنْدَ انْبِسَاطِ شِعَاعِهَا تَبَرُّ يَذُوبُ عَلَى فُرُوعِ الْمَشْرِقِ
جَرَّتْ إِذَا بَكَرَتْ ذُبُولَ مَرْعَفِ وَتَجَرُّ إِنْ رَاحَتْ ذُبُولَ مِمَشَقِ
فَشَرِبَتْهَا عَذْرَاءٌ مِنْ يَدِ مِثْلِهَا تَحْكِي الصَّبَاحَ مَعَ الصَّبَاحِ الْمَشْرِقِ

وقال ابن طباطبا :

وَشَمْسٌ تَجَلَّتْ فِي رَدَاءٍ مَعْصِفِ كَأَسْمَاءَ إِذْ مَدَّتْ عَلَيْهَا إِزَارَهَا
وقال ابن المعتز فيها عند غروبها :
حَتَّى عَلَا الطُّودُ ذَيْلَ مِنْ أَصَانِلِهِ كَمَا يَصْفَرُ فَوْدِي رَأْسَهُ الْحَرْفِ
وقال أبو نواس :

قَدْ اغْتَدَى وَالشَّمْسُ فِي حِجَابِهَا مِثْلَ الْكَعَابِ الْخُودِ فِي نَقَابِهَا
وقال ابن الرومي وهو من المشهور :

(١) ستأتي هذه الأبيات قريباً في أوائل الجزء الثاني .

كَأَنَّ خَبِيرًا^(١) الشَّمْسُ ثُمَّ غُرِبَتْ بِهَا وَقَدْ جَعَلَتْ فِي مَجْنَحِ اللَّيْلِ تَمْرُضُ
تَخَاوَصَ عَيْنَ بَيْنِ أَجْفَانِهَا الْكَرَى يَرْتَقِ^(٢) فِيهَا النَّوْمُ ثُمَّ تَقْمِضُ
وَمِنْ جِيدِ مَا قِيلَ فِي أَحْمَارِهَا عِنْدَ الْمَغِيبِ قَوْلُ ابْنِ الْحَاجِبِ :

وَكَاثُهَا عِنْدَ الْغُرُوبِ بِجُنُونِ عَيْنِ الْأَرْمَدِ

وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ وَهُوَ مِنَ الْمَشْهُورِ :

إِذَا رَقَّتْ^(٣) الشَّمْسُ الْأَصِيلُ وَنَفَضَتْ عَلَى الْأَفْقِ الْغَرْبِيُّ وَرَسًا مَذْعَدًا^(٤)
وَوَدَّعَتْ الدُّنْيَا لَتَقْضَى نَجْمُهَا وَشَوَّلَ بَاقِيَ عَمْرُهَا وَتَشَعَّشَعَا
وَلَا حِظَّ النُّوَارِ وَهِيَ مَرِيضَةٌ وَقَدْ وَضَعَتْ خَدَّهَا عَلَى الْأَرْضِ أَضْرَعَا
كَأَنَّهَا لَحِظَتْ عَوَادَةً^(٥) عَيْنُ مَدَنَفٍ تَوَجَّعَ مِنْ أَوْصَابِهِ مَا تَوَجَّعَا
وَضَلَّتْ عَيُونُ الرُّوضِ^(٦) تَخْضَلُ بِالنَّدَى كَمَا اغْرَوْرَقَتْ عَيْنُ الشَّجِيِّ لَتَدْمَعَا
وَبَيْنَ إِغْضَاءِ الْفِرَاقِ عَلَيْهِمَا كَأَنَّهَا خَلَا صَفَاءِ تَوَدَّعَا

وَقَالَ الْآخَرُ :

وَالشَّمْسُ تُؤْذَنُ بِالشَّرُوقِ كَأَنَّهَا خَوْدَةٌ تَلَاخِظُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ

وَقَالَ السَّرِيُّ :

وَمِنْ قُصُورِ عَلَيْهِ مُشْرِفَةٌ^(٧) تَقْضَى وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ الْحُجْبِ
يَبِضُ^(٨) إِذَا الشَّمْسُ حَانَ مَغْرِبُهَا حَسِبْتَ أَطْرَافَهُنَّ مِنْ ذَهَبِ

(١) كَذَا فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرَّومِيِّ الْمَخْطُوطِ ، وَفِي الْأَصْلِ « جَثْوَةٌ » .

(٢) كَذَا فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرَّومِيِّ الْمَخْطُوطِ ، وَفِي الْأَصْلِ (يَرْفُقُ) .

(٣) كَذَا فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرَّومِيِّ الْمَخْطُوطِ ، وَفِي الْأَصْلِ « إِذَا أَرَقَّتْ » .

(٤) الْوَرَسُ : نَبَاتٌ كَالسَّسَمِ ، وَمَذْعَدًا : مَتَفَرِّقًا .

(٥) فِي الْأَصْلِ « عَوَادَهَا » .

(٦) فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرَّومِيِّ « عَيُونُ النَّوْرِ » .

(٧) كَذَا فِي دِيْوَانِ السَّرِيِّ ، وَفِي الْأَصْلِ « عَلَى مُشْرِفَةٍ » .

ومن بديع ما قيل فيها من شعر المتقدمين قول أبي ذؤيب :
سبقت إذا ما الشمس عادت^(١) كأنها صلاة طيب ليطها واصفرارها

ومن جيد ما قيل في النهار قول أعرابي :

فاذا أشرقَ النهارُ تراها راملات في مثل ماء زلال
وقلت : ويخبطنَ الصباح إذا تبدى كما يكرعن في الماء الزلال
وقلت : وعلى الصباح غلالة فضية فيها طراز من خيالك مُذهَّب
آخر الباب السادس والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
وعلى آله وصحبه أجمعين .

(انتهى الجزء الأول)

(إستدراكات وتصويبات)

| الصفحة | السطر | |
|--------|-------|--|
| ٥٨ | ١٦ | هذا البيت يجب أن يكون قبل سابقه . |
| ٦٠ | ١٩ | يقول كان المأمون يتعصب للاوائل من الشعراء ويقول انقضى الشعر مع ملك بني أمية ، وكان عمي الفضل بن سهل يقول الاوائل وقال غيره |
| ٦٣ | ١٦ | |
| ١٥٩ | ١١ | علبت بأن الناب ليست رزية |
| ١٩٨ | ١٣ | من صخر تدمر أو من وجه عثمان |

(١) في ديوان أبي ذؤيب « أضت » .

﴿ فهرس الجزء الأول من ديوان المعاني ﴾

| الصفحة | |
|--------|---|
| ٢ | ترجمة المؤلف . |
| ٦ | صورة آخر النسخة الشنقيطية . |
| ٧ | مقدمة الديوان . |
| ٨ | أحسن ما قيل في وصف شعر . |
| ١٠ | النضر بن شميل والمأمون ، والكلام على « سداد » . |
| ١٠ | أخلب بيت قاله العرب . |
| ١١ | أنصف بيت قاله العرب ، أقنع بيت للعرب . |
| ١٤ | أبواب ديوان المعاني . |
| ١٥ | الباب الأول : في المديح والتهاني والافتخار . |
| ١٥ | الفصل الأول : في المديح . |
| ٧٦ | الفصل الثاني : في الافتخار . |
| ٩١ | الفصل الثالث : في التهاني . |
| ١٠٣ | الباب الثاني : في أوصاف خصال الانسان المحمودة من الجود والشجاعة والعلم والحلم والحزم والعقل ، وما يجري مع ذلك . |
| ١٥٧ | الباب الثالث : في المعاتبات والهجاء والاعتذار . |
| ١٥٧ | الفصل الأول : في المعاتبات . |
| ١٧٠ | الفصل الثاني : في الهجاء . |
| ٢١٦ | الفصل الثالث : في الاعتذار . |
| ٢٢٢ | الباب الرابع : في التشبيب وأوصاف الحسان وما يجري مع ذلك . |
| ٢٨٦ | الباب الخامس : في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب وما يجري مع ذلك . |
| ٢٨٦ | الفصل الأول : في ذكر النار . |
| ٢٩١ | الفصل الثاني : في ذكر ألوان الطعام . |
| ٣٠٥ | الفصل الثالث : في وصف الشراب . |

٣٣٤ الباب السادس : في وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر ومايجرى مع ذلك .

٣٣٥ الفصل الاول : في ذكر النجوم .

٣٤٢ الفصل الثاني : في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره ، وما يجرى مع ذلك من سائر أوصافه .

٣٥٤ الفصل الثالث : في ذكر الصباح والشمس والنهار ، ومايجرى مع ذلك .

(استندراكات وتصويبات)

الصفحة السطر

٢٠٣ ٢٠ نصب اسمعيل بن نوبخت طارمة في صحن

٢٠٤ ١٩ وما قيل في قبج الحلقة وغير ذلك

٢١٥ ٤ لا تخدعه بأثواب مصبغة

٢٣٧ ١٠ وغدا قم عليه عند رقيه

٢٤١ ١١ كأن على أنيابها الخر شجها

٢٤٩ ١ وعانقت خلق من صدغه حلقا

٢٦٥ ٩ لو كانت الأشياء تعرفه أجلله اجلال باريها

لو تستطيع الأرض لاجتمعت حتى يكون جميعه فيها

٢٧١ ٢٣ أسر اذا بليت وذاب جسمي

٢٧٦ ١٥ ان الذي يعشق من لا يرى كيت من شدة الغلبة

٢٩٣ ٧ يقشر جلداً منه كالنضار

٣٠٠ ٦ ظلت تبكي شجو ما أبصرت من أمرنا وهي به عالمه

٣١٤ ٧ هذا الشعر للبخل اليشكري لا للاختل

٣١٥ ١٣ انها عندي وأحلام الكرى

٣١٩ ٥ كما أنك تابع وأنا قرين فقلبه

٣٢٣ ٢٢ أكرم زخر ذخرته كرمه في عنبه

٣٢٤ ١١ فأت نف الم عنا

(إختلافات نسخة المتحفة البريطانية وغيرها من الروايات والتصويبات في الجزء الأول)
وأكثرها من استدراك المشرق الأستاذ الدكتور كركو

| الصفحة السطر | | |
|---------------|--------|-------------------|
| ١١ | ١ | تقول لي.. هاجعة |
| ١١ | ٥ | أبو عروة المديني |
| ١١ | ٨ | نصرى |
| ١١ | ١٥ | الثرة الصفي |
| ١١ | ١٨ | السوء لا |
| ١٢ | ١ | لعيس |
| ١٢ | ٣ | وأتمزرها |
| ١٢ | ١٦ | كالسيوف أوجههم |
| ١٢ | ١٩ | اللحاء |
| ١٨ | ١٠ | السبك |
| ١٨ | ١٤ | خضرا |
| ٢٠ | ١٢ | حول سريره |
| ٢٠ | ١٧ | أغر أروع |
| ٢٠ | ١٨ | فانك كالليل |
| ٢١ | ٢ | كحى أدركته مقادير |
| ٢١ | ٥ | مبتوثا |
| ٢١ | ٨ | لا عار |
| ٢١ | ١٠ | فيه عار |
| ٢١ | ١١ | سرار |
| ٢٢ | ١ | من أخذ |
| ٢٣ | ٢ | ترنو |
| ٢٣ | ٧ | إلى باب |
| ٢٥ | ١٥ | أبقى.. الصم |
| ٢٦ | ٢ | بن فاتك |
| ٢٧ | ٧ | أبو أحمد |
| ٢٧ | ١٧ | مجرد |
| ٢٧ | ١٨ | للممدوح |
| ٢٨، ٢٨، ١٠، ٧ | ١٧ | ابن دواد |
| ٣٠ | ٤ | الفيض |
| ٣١ | ١٠ | أحسن لحظة |
| ٣٢ | ١٢ | بغضبتها |
| ٣٣ | ٥ | ليسقط عنه |
| ٣٣ | ٧ | عند إتيان |
| ٣٣ | ١٣ | الماطرة |
| ٣٣ | ١٤ | ومنا التاء |
| ٣٤ | ١٦ | قمطل |
| ٣٥ | ٧ | وأنت مليح |
| ٣٥ | ١٦ | ذمارها |
| ٣٨ | ٥ | وفوا |
| ٤٠ | ١٤ | دماذ |
| ٤٠ | ١٦ | ضيف.. الخفريات |
| ٤١ | ١٢ | أبى عكرمة |
| ٤٤ | ٩ | بخفان |
| ٤٤ | ١٩، ٢٠ | ثامل |
| ٤٧ | ٥ | وبصدره |
| ٤٧ | ٨ | الكوماء.. تتحرى |
| ٥٧ | ٣ | من الشجاعة |
| ٥٨ | ١٣ | غر الرداء |
| ٦٠ | ٢١ | وأحسن منهما |
| ٦٠ | ١٩ | تفريعا إلى أن |
| ٦١ | ١١ | مركز |
| ٦٣ | ٢٠ | يا فيض |
| ٦٥ | ٣ | ابن حرى |
| ٦٥ | ٢٢ | هفان.. ثوابة |
| ٦٦ | ٤ | أبو الغراف |
| ٦٦ | ٩ | أنلمته حوامله |
| ٦٦ | ١١ | فيوم تحوط |
| ٦٦ | ١١ | ماتعب نوافله |
| ٦٨ | ٥ | دوارج |
| ٦٨ | ١٩ | كما دعيت |
| ٧١ | ١٥ | أو أزرهه |
| ٧٢ | ١٢ | أكفاؤه |
| ٧٤ | ٢ | الخريمى |
| ٧٨ | ١٧ | المثالى الشاعرون |
| ٧٩ | ١٠ | أمون.. لحامها |
| ٨١ | ١٦ | الجحاف |
| ٨٢ | ٧ | أخرانا |
| ٨٥ | ١٧ | الحمانى |
| ٨٥ | ٢١ | فقري غنى |
| ٨٦ | ٣ | ولا يحال |
| ٨٦ | ٥ | نبوه |
| ٨٧ | ١٨ | جيينه |
| ٨٧ | ٢٠ | بالأفول |
| ٨٧ | ٢٠ | على الوقود |
| ٨٨ | ١ | واعتدت |
| ٨٨ | ١١ | إلى الكوم |
| ٨٩ | ٦ | أشوى |
| ٨٩ | ١٠ | أو القنان |
| ٩٠ | ١١ | العاصمون |
| ٩٠ | ١١ | العارمون |
| ٩٠ | ١٨ | ومنى |
| ٩١ | ١٤ | الفصل الثالث |
| ٩٢ | ٥ | شيا بما فعاذا |
| ٩٢ | ١٠ | تنشر أعيادا |
| ٩٢ | ١٣ | راعيه |
| ٩٢ | ٢٠ | كهذا |
| ٩٣ | ١٥ | بلبل |
| ٩٤ | ١٢ | أبى هفان |
| ٩٥ | ١٧ | يهدى للجليل |
| ٩٦ | ١٦ | عنان الفكر |
| ٩٦ | ١٧ | يديه نارها |
| ٩٦ | ٢٢ | إلى من وليه |

| | | | | | |
|--------|----------------|--------|---------------|--------|----------------|
| ٩٧ ١٥ | اقتفروا | ١٥٣ ٤ | أن يحل به | ٤٩ ٩ | شيئت |
| ١٠٠ ١ | ولشأوه | ١٥٣ ٦ | وبأذرت منه | ٥٠ ٦ | وما ظلم |
| ١٠٠ ١٧ | تجلى لك | ١٥٥ ١٦ | زفر | ٥٣ ٧ | ويمرع |
| ١٠٢ ٦ | من مواليه | ١٥٨ ١٢ | راضى سنة | ٥٤ ١٠ | وتدولا. وعتودا |
| ١٠٢ ٢٠ | ويليقك ثواب | ١٥٩ ١٠ | بجنب الستار | ٥٥ ٧ | مد العلاء |
| ١٠٦ ٥ | إنك | ١٧٠ ١٧ | بطائشة الصدور | ٥٦ ١٦ | ٢٠ خدى |
| ١٠٦ ٢٢ | بلبال | ١٧٣ ١١ | دوبل.. دوبل | ١٤٥ ٧ | مذهبه |
| ١٠٩ ١٠ | آلف | ١٧٥ ٢٢ | يزقق | ١٤٩ ١٨ | عليم بن جناب |
| ١١٠ ٣ | يواكب | ١٧٦ ٢ | جذمة | ١٥٠ ٢٠ | سعيد بن مسلم |
| ١١٠ ٩ | تقذيتها | ١٧٦ ٧ | تغلب | ١٩٦ ٧ | بذى شكر |
| ١١١ ١ | مجدلا | ١٨١ ١٦ | به الدعى | ١٩٦ ٨ | نحوى جمعة |
| ١١١ ٢ | بمالم | ١٩٨ ٣ | تكن لتكون | ١٩٦ ١٩ | فى التطير |
| ١١١ ٣ | أغشى | ١٩٨ ١٠ | أمين | ١٩٩ ١١ | وأدغمت أبا |
| ١١١ ٧ | أخم | ٢٠٦ ٢ | الدار يطوف | ١٩٩ ١٥ | ثنتى عنك |
| ١١١ ٢٠ | ماذلك | ٢١٣ ١٥ | غادر الرفض | ٢٠١ ٦ | فيه منذ زمان |
| ١١٢ ١٣ | الصقعب النهدي | ٢١٣ ١٨ | وقعتما للحين | ٢٠١ ٧ | ظهارة سوء |
| ١١٢ ٢١ | قدجبت جلبابه | ٢١٣ ١٩ | زوراذوى السنة | ٢٠١ ١٧ | كما تريد |
| ١١٣ ٦ | رفيقة | ٢٣٣ ١١ | فيزيد فيها | ٢٠٢ ١١ | بسلب الصفات |
| ١١٤ ١٨ | بلعاء | ٢٣٣ ١٦ | أملود | ٢٠٢ ١٥ | عن الأشناندانى |
| ١١٥ ١٠ | يبحر | ٢٣٣ ١٧ | سب. وطاق | ٢٠٢ ١٨ | كالذبيح |
| ١١٨ ٦ | عبيد بن الأبرص | ٢٣٤ ١٩ | يا اسلى | ٢٠٣ ١٩ | ابن مهرويه |
| ١٢٢ ٥ | وأنتى غير | ٢٣٧ ٨ | فيها بدرما | ٢٠٦ ٢٠ | وتنتنى حتى |
| ١٢٢ ١٨ | دجاجة | ٢٥٣ ١٤ | الغرى | ٢٠٨ ٢ | كسير الجناح |
| ١٢٣ ٨ | ابن ميادة | ٢٥٥ ١٣ | يذاب بعينى | ٢٠٨ ٣ | خامد المصباح |
| ١٢٦ ٥ | عنى الحساب | ٢٥٦ ٤ | فأسبلت | ٢١٠ ٦ | وسباد الحية |
| ١٢٨ ٢٢ | أنعمة الله | ١٧ ٥ | غضبة | ٢١٢ ٣ | به من دمامته |
| ١٣١ ٩ | المشقر | ٤٢ ١ | تكذرعيشة | ٢١٣ ١ | أظهر فيه |
| ١٣١ ١٣ | راوية.. ابن | ٧٦ ١٤ | خبث | ٢١٤ ٨ | غادية |
| ١٣٢ ٣ | تتعب | ٩٢ ٥ | قعبان | ٢١٥ ١٧ | ولا تأتبنى |
| ١٣٢ ٤ | تجنب | ١٢٥ ١٥ | بختري | ٢١٦ ٧ | فى بيتى |
| ١٣٣ ٦ | حلحلة | ٢٤٩ ٤ | شارب | ٢٢٠ ١٨ | وللقارف ذنباً |
| ١٣٣ ٧ | بوانى | ٤٩ ٥ | آراؤهم | ٢٢١ ٤ | أرى الراغب إلى |
| ١٣٦ ٧ | قول عمارة | | | | الهيئة الحية |
| ١٥١ ١٥ | التضافر | | | | |
| ١٥٣ ٣ | ويهدم صالحى | | | | |

| | | | | | | | | |
|-----|----|----------------|-----|----|-----------------|-----|----|----------------|
| ٢٢٥ | ١٥ | دمع احدره | ٢٦٣ | ٨ | الهوامى الهوامع | ٢٩٦ | ١٥ | من المن |
| ٢٢٦ | ١٣ | عند خود | ٢٦٣ | ٢٠ | قوم موسى | ٢٩٦ | ٤ | فى السقى |
| ٢٢٨ | ٨ | ونبتها قالت | ٢٦٤ | ٨ | كنت فى | ٢٩٨ | ١١ | أتعرف من |
| ٢٢٨ | ٢٢ | الحسن بسطة | ٢٦٤ | ١٤ | الحسن عليه | ٢٩٨ | ١٦ | المعدة |
| ٢٢٩ | ٤ | بيضاء كالفضة | ٢٦٤ | ١٧ | معاً فلم | ٣٠٠ | ٣ | الكيسة الحازمة |
| ٢٣١ | ٤ | قاسنى بالبدرد | ٢٦٥ | ٢ | أظرفه | ٣٠٠ | ٧ | صادفت منا |
| ٢٣٢ | ١٥ | حسنه .. حفلت | ٢٦٥ | ٢٣ | لشدها | ٣٠٠ | ١٩ | وقد تردى |
| ٢٣٧ | ٦ | عين تفل | ٢٦٦ | ٨ | الوصل شافيا | ٣٠١ | ١٠ | موشى تخال |
| ٢٤٠ | ١٣ | يحتتها أحور | ٢٦٦ | ١٠ | وأرحم | ٣٠٢ | ١٧ | ثغر .. الواضح |
| ٢٤١ | ١ | مشرب عذب | ٢٦٦ | ١٤ | لم يك | ٣٠٤ | ١٠ | فدون السمن |
| ٢٤٢ | ١٤ | بدلها | ٢٦٩ | ١٨ | فى الشمس | ٣٠٤ | ١١ | طيف سلى |
| ٢٤٤ | ٤ | وأثنى | ٢٧١ | ٥ | فغافصاه | ٣٠٤ | ١٤ | منسر الباز |
| ٢٤٤ | ١٤ | زق أمات | ٢٧١ | ١١ | ياجنان | ٣٠٨ | ١١ | سباها التجر |
| ٢٤٤ | ١٦ | فأفضيت | ٢٧٢ | ١٠ | يعش .. المنون | ٣١٠ | ١ | أرى نجمين |
| ٢٤٥ | ١٩ | قلقت وشحه | ٢٧٢ | ٢٠ | اقياد .. صاحبه | ٣١٠ | ٥ | ووجنة |
| ٢٤٦ | ٨ | تغضبن .. اتعلت | ٢٧٣ | ١ | فى يستن | ٣١٠ | ١٣ | ذهن لطيف |
| ٢٤٧ | ٧ | طرة .. طرة | ٢٧٦ | ١٠ | سفعة | ٣١٢ | ١٨ | وقد حجب |
| ٢٤٧ | ١٤ | أوبالى | ٢٧٧ | ١٠ | يشقى الجوى | ٣١٥ | ٣ | اله ان |
| ٢٤٨ | ٢٢ | قرنوا | ٢٧٧ | ١٣ | زف .. خياني | ٣١٥ | ٦ | لهوا الى |
| ٢٤٩ | ١ | أو كالجيم | ٢٧٧ | ١٨ | معان جياذ | ٣١٥ | ١٧ | ليأتى ما |
| ٢٥٠ | ١٦ | وما سلى | ٢٧٧ | ٢٠ | ولا طارقاً | ٣١٨ | ٢ | فأزرى |
| ٢٥٠ | ١٨ | وصف الساق | ٢٧٨ | ١٥ | ونحن مغترقان | ٣١٨ | ١١ | راضعت |
| ٢٥١ | ٣ | نقطن أذقانا | ٢٨١ | ٥ | ليلة القرر | ٣١٩ | ١٣ | على الأجسام |
| ٢٥١ | ١٣ | القوام والترنح | ٢٨١ | ١١ | حجاماً | ٣٢٠ | ٢ | ذكر مزاج |
| ٢٥٢ | ١٠ | إلامشاشة | ٢٨٣ | ١٢ | من نزوح | ٣٢٥ | ٥ | يميل |
| ٢٥٢ | ٢١ | يخرق | ٢٨٤ | ٢ | فتبين | ٣٢٦ | ١٨ | والارض به |
| ٢٥٤ | ٢١ | خلس | ٢٨٥ | ٨ | تنفض | ٣٢٧ | ١٥ | ابن سريج |
| ٢٥٥ | ٤ | أطراف خرمة | ٢٨٩ | ١٩ | وجواثم سفح | ٣٢٧ | ١٨ | عمل زلزل |
| ٢٥٦ | ٦ | كما سقى | ٢٩٠ | ٣ | موقوفه بين | ٣٢٧ | ٢١ | فى جس |
| ٢٥٦ | ٢١ | السيف الصقيل | ٢٩٠ | ٢١ | تصبغ بالدماء | ٣٢٨ | ٤ | أحرفه |
| ٢٥٧ | ١٢ | فاضن من | ٢٩٠ | ٥ | فى جوذابة | ٣٢٩ | ٤ | كما يتداوى |
| ٢٥٨ | ١٥ | كوم المطايا | ٢٩٣ | ٥ | فى جوذابة | ٣٢٩ | ١٩ | دكن الظواهر |
| ٢٥٩ | ٦ | من طيبها | ٢٩٦ | ١١ | أرج العطر | ٣٢٩ | ٢٠ | فى تباين |
| ٢٥٩ | ١٠ | بغى كل | | | | | | |

ديوان المعصاني

للإمام اللغوي الأديب أبي هلال العسكري

عن نسخنا لأمامين العظمين: الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي
مع مقابلة الشكل بنسخة المتحف البريطاني

الجزء الثاني

عالم الكتب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على نعمه التامة وأياديه الخاصة والعامة في إنشاء السحاب الثقال وإجراء العذب الزلال وتفجير البارد السلسال ليغذويه النجم والشجر ويرب الحب والتمر رحمة للأنام ونظراً للأنعام فله الحمد أولاً وآخرآ. والصلاة على نبيه محمد الذي أرسله بالحق شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بأذنه ومنراجاً منيراً وعلى آله المختارين وعترته المنتجبين .

وقد رأينا الحكماء في كل زمان يجتهدون في تقريب الحكمة وتسهيل سبلها وشرح مشكلها وإيضاح أبوابها وإدناء أمبيائها ليخف عملها ويقرب منهاؤها ويرغب فيها كل أحد ويأخذ منها بنصيب ويفترف منها بذنوب .

و كنت جعلت كتابي الموسوم بديوان المعاني مشتملاً على اثني عشر باباً يتضمنها خمسمائة ورقة فرأيت بعض الناس يستكبر حجمه ويستثقل نسخه فجعلت كل باب منها كتاباً ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليقرّب أمره ويسهل نسخه ولتسرع الرغبة اليه فيكثر الانتفاع به إن شاء الله تعالى وبه التوفيق .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياض
والنبات والأشجار والرياحين والثمار والنسيم وما يجري من ذلك وهو :
﴿ الباب السابع من كتاب ديوان المعاني وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد والثلج والضرب
أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن حريز عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال
أبو عمرو لذي الرمة أي قول الشعراء في المطر أشعر ؟ قال قول امرئ القيس :
ديعة هطلاء فيها رطفٌ طبق الأرض تحرى وتدر
قوله طبق الأرض غاية في صفة عموم السحاب أراد أنها على الأرض بمنزلة
الطبق على الأبناء . ولا أعرف أحداً أخذه فأجاده كاجادة ابن الرومي حيث يقول :
سحابٌ قيسٌ بالبلادِ فالتيتُ غطاءً على أغوارها ونجودها
هدتها النعامى مُثقلاتٍ فاقبلتُ نهادى رويداً سيرها كركودها
قوله سيرها كركودها غاية في وصف ثقلها وثقلها من كثرة ماها .
والبيت البليغ المشار إليه من أبيات امرئ القيس قوله :
وترى الشجراء في ريقه كرؤوس قطعت فيها الخمر
الشجراء الأرض ذات الشجر وإذا غرقت الشجر من ريقه حتى لا يبين منها
إلا فروعها فكيف يكون في شدته ، وريق المطر أوله وأخفه ، وشبه رؤوس الشجر
خارجة من الماء برؤوس قطعت عليها عمام ، والخمار ههنا العمامة .
وقالوا أجود ما قيل في المطر قوله :

كَأَنَّ أَبَانَا فِي أَفَانِينَ وَبِلَهٍ كَبِيرٍ رَجَالٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ^(١)
 يقول كأن أبانا - وهو جبل - من التفاف قطره وتكاثفه في الهواء شيخ في كساء،
 وخفض مزمل على الجواب وهو نعت كبير كما تقول جحر ضب خرب .
 وقالوا أجود ما قيل فيه قول أبي ذؤيب :

لكل مسيل من تهامة بعد ما تقطع أقران السحاب عجيج
 وهذا مع جودة معناه فصيح جداً . أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن
 ذكوان قال قال الأصمى قلت لأبي عمرو ما أحسن ما قيل في المطر فقال قول القائل^(٢) :
 دَانِ مَسْفٍ فَوَيْقَ الْأَرْضِ هَيْدَبُهُ يَكَادُ يَدْفَعُهُ مِنْ قَامٍ بِالرَّاحِ
 فَنَ بَنَجَوْتَهُ كَمَنْ بَعْقَوْتَهُ وَالْمُسْتَكْنَ كَمَنْ يَمْشِي بِقَرَوَاحٍ^(٣)
 يقول قد عم هذا السحاب فاستوى في شيم برقه وأصاب مطره المنجد والناثر
 والمستكن والمصحر ، قرب من الأرض لثقله بالماء حتى يكاد يدفعه القائم براحته
 وهذا غاية الوصف .

ومن أبلغ ما جاء في ذلك من نثر الأعراب ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي
 بكر بن دريد عن أبي حاتم وعبد الرحمن عن الأصمى قال سألت أعرابياً
 من عامر بن صعصعة عن مطرٍ أصاب بلادهم فقال نشأ مريضاً فطلع ناهضاً ثم ابتسم
 وامضاً فاعترض الأمطار فأعشاها وامتد في الآفاق فغطاها ثم ارتجز فهمهم ثم
 دوى فأظلم فأرك^(٤) ودث وبغش ثم قطقط فأفرط ثم ديم فأغبط ثم ركد فأجثم ثم

(١) في ديوان امرئ القيس «ودقه» مكان «وبله» و«أناس» مكان (رجال) .

(٢) قيل هو أوس بن حجر وقيل عبيد بن الأبرص ، وقيل البيت :

يَا مَنْ لَبِرَقَ أَيْتَ اللَّيْلِ أَرْقَبَهُ فِي طَارِضٍ كَمْضَى الصَّبْحِ لِمَاحٍ

(٣) القرواح الأرض الواسعة التي لانبات فيها ، ومطلع القصيدة :

ودع ليس وداع الضارم اللاحي إذ فنكت في فساد بعد إصلاح

(٤) أرك آتى بمطر ركبك أى قليل .

وبل فستح وجاد فأنعم قمس الربى وأفرط الزبى سبماً تباعا لا يريد اقشاما حتى
ارتوت الحزون وتضحضحت المتون ساقه ربك الى حيث شاء كما جلبه من
حيث شاء . الدث والبغش المطر الخفيف ، والقطقط المطر الصغار ، وقوله أنعم أى
بالغ من قولهم دقه دقا ناعماً ، وقس أى غوص ، وأفرط ملاً . والزبى جمع زبية وهى
حفرة تحفر للأسد ويجعل فيها طعم فيجىء حتى يقع فيها ولا تحفر إلا فى مكان
حال فاذا بلغها السيل فهو الغاية ، وفى المثل « بلغ السيل الزبى » والمتن صلابة من
الأرض فيها ارتفاع ، وتضحضح أى صار عليه ضحضاح وهو الماء يجرى على
وجه الأرض رقيقاً .

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن ابن أبي طاهر عن ابن الاعرابى لأعرابية :

| | |
|------------------------|----------------------------|
| فبيننا نرْمُقُ أحشاءنا | أضياء لنا عارضٌ فاستناراً |
| فأقبل يزحف زحف الكسير | سياق الرماء البطاء العشارا |
| تغنى وتضحك خافاته | امام الجنوب وتبكي مرارا |
| كأنا تضىء لنا حرة | نشدٌ إزاراً وتلقى إزارا |
| قلنا حسبنا بأن لا نجاء | وأن لا يكون فرار فرارا |
| أشارَ له أمرٌ فوقه | هلم فأم إلى ما أشارا |

وأنشدنا لغيرها :

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| تبسمت الريحُ ريح الجنوب | فهاجت هوى غالباً وادّكرا |
| وساقت سحاباً كمثل الجبال | إذا البرق أومض فيه أنارا |
| إذا الرعد جليجل في جانبيه | فروى النبات وأروى الصغارى |
| تطالمننا الشمس من دونه | طلالع فتاة تخاف اشتهارا |
| تخاف الرقيب على سرها | وتحذر من زوجها أن يفارا |
| فتسترُ مغرتها بالخنار | طوراً وطوراً تزيل الخنارا |

وقد مرت هذه الايات الثلاثة قبل :

فلما مراها هبوبُ الجنوبِ وانهمرَ الماءُ منهُ انهارا
تبستِ الأرضُ لما بكت عليها السماءُ دُموعاً غزارا
فكان نواجذها الاقحوان وكان الضواحك منها البهارا
وقال ابن مطير وهو أجود ما قيل في سحب :

مستضحكٌ بلوامعٍ مستعبرٌ بدوامعٍ لم تمرها الاقضاء
فله بلا حزن ولا بمسرة ضحكٌ يؤلفُ بينه وبكاء
ثقلت كلاله وأنهرت^(١) أصلابه^(٢) وتبعجت^(٣) من مائه الاحشاء
غدقُ ينتج بالاباطح فرقا تلدُ السيولَ وما لها اسلاء^(٤)
وكان ريقه ولما يحتفل ودقُ السحابِ عجاجة كدراء
غرٌ محجلةٌ روائحُ ضمنت حقلَ اللقاءِ وكلها عذراء
سحمٌ فهن إذا كظمن فواحمٌ وإذا ضيكن قاننٌ وضاء^(٥)
لو كان من لجج السواحلِ ماؤه لم يبقَ من لجج السواحلِ ماء

ومن هذا البيت أخذ المتكلمون الحجة على الفلاسفة في قول الفلاسفة المطرانما هو البخارات ترتفع من البحر ، قالوا لهم لو كان الأمر كذلك لكان ماء البحر ينقص عند كثرة الأمطار فقالت لا يلزم ذلك لأن البحر مغيص لمياه الأرض فمسير ما يتحلب من الثلوج اليه ومنه مواد هذه الأشياء فمثله مثل المنجنون يعرف من بحر ثم يصب فيه فليس له نقصان والذي ينقص هذا ان ماء البحر يزيد عند كثرة الأمطار وينقص عند قلتها والعادة في ذلك معروفة ولو كان الأمر على ما يقولون لكان ماء البحر ينقص على مرور الأوقات لاحالة لأن الشمس

(١) من أنهر العرق لم يرقأ دمه . (٢) تبعج السحاب تبعجاً وهو إنفراجه في الودق . (٣) ينتج أي يولد ، وقرقت الناقة أخذها الخاض فندت في الأرض فهي فارق ج فوارق وتشبه بها السحابة المنفردة عن السحاب . والاسلاء جمع سلى وهي الجلدة فيها الولد من الناس والمواشي (٤) وضاء جمع وضيئة .

والهواء لا شك تأخذ مما يتفرق عنه في الأرض بزعمهم ، والكلام فيه يتسع
 وإنما أشرت الى موضع الدلالة على فساد قولهم .
 وقال النظار الفعسى :

يا صاحبي أعيناني بطرفكما أنى تشيان^(١) برق العارض الساري
 أبصرته حين غاب النجم وانسرفت عنا غفائر^(٢) من دجن وأمطار
 فبات ينهض بالوادي وجلته^(٣) نهض الكسير بذى أوتنين جرار^(٤)
 حيران سكران يغشى كل راية من الروابي بأرجاف وأضرار
 مفرق^(٥) لدمت الأرض منهمر رباب أفشدة شعال^(٦) أبصار
 كأن يلتقا عراباً تحت ريقه عوداً تذب برمح عند امهار

وشبه البرق برمح الابلق ، وهو من قول أوس بن حجر :

كأن ريقه لما علا شطبا^(٥) أقراب أبلق ينقى الخيل رماح

ومن أبلغ ما قيل في ذلك قول الاعرابية التي سألتها ذوارمة عن الغيث فقالت :
 غشنا^(٦) ماشئنا . فكان ذوارمة يقول قاتلها الله ما أفصحها . وترك ذوارمة هذا
 المذهب على إعجابه به واختياره له وقال :

ألا يا سلمى يادارمي^(٧) على البلى ولا زال منهلاً بجمرائك القطر

ف قيل له هذا بالداء عليها أشبه منه بالداء لها لأن القطر إذا دامت فيها
 فسدت . والجيد قول طرفة :

فسقى بلادك غير مفسدها صوب^(٨) الريح وديمة^(٩) نهى

وقال اعرابي : أصابتنا سحابة وأنا لبنوطة بعيدة الأرجاء فاهرمع مطرها حتى
 رأيتنا ومارأينا غير السماء والماء وصهوات الطلح ففرب السيل النجاف وملاً

(١) شام البرق : نظر اليه أين يقصد وأين يمطر .

(٢) الغفائر جمع غفارة ما يوضع على الرأس نحو العمامة . (٣) الجلمة : الجانب .

(٤) الاونان : جانبنا الخرج . (٥) اسم جبل . (٦) أى أصابتنا الغيث .

الأودية فرعها فما لبثنا إلا عشرًا حتى رأيتها روضة تندى . قوله مارأيت غير السماء والماء وصهوات الطلح غاية في صفة كثرة المطر . وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن حريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال خرج النعمان بن المنذر في بعض أيامه في عقب مطر فلقى أعرابيًا فأمر بأحضاره فأتى به فقال كيف تركت الأرض وراءك ؟ قال فيح رحاب منها السهولة ومنها الصعاب منوطة بجبالها حاملة ثقالتها . قال أنا عن السماء سألتك قال مطلة مستقلة على غير مقاب^(١) ولا أطناب يختلف عصرها ويتعاقب سراجها ، قال ليس عن هذا أسألك قال فسل عما بدالك قال هل أصاب الأرض غيث يوصف قال نعم أغمطت^(٢) السماء في أرضنا ثلاثًا رهوًا قثرت وأرزغت^(٣) ورسفت ثم خرجت من أرض قومي أقروها^(٤) متواصية^(٥) لاخطيطة^(٦) منها حتى هبطت تعشار فتداعى السحاب من الأقطار فجاء السيل الجرار فعفا الآثار وملا الجفار وقوب الأشجار وأجحر الحُضار ومنع السفار ثم أقلع عن نفع واضرار فلما اتلأبت في الغيطان ووضعت السبل في القيعان تطلعت رقاب العنان من أقطار الاعنان فلم أجد وزرًا إلا الغيران فقات وجار الضب فعادت السهول كالبحار تتلاطم بالتيار والحزون متلفعة بالغشاء والوحوش مقذوفة على الأرجاء فمازلت أطال السماء وأخوض الماء حتى أطلعت أرضكم اه . أغمطت السماء دام مطرها ، رهوًا كثرًا ، ثرت تركته ثرية^(٧) ، أرزغت تركت الأرض في رزغة والرزغة والردغة الطين اذا أعطي القدم ، رسفت بلغت الرسف ، متواصية متصلة ، الخطيطة والخطيطة أرض لم يصبها مطر بين أرضين ممطورتين ، وتعشار موضع ، والعنان السحاب والاعنان نواحي الشخب فقات من القى وجار الضب وهو عندهم غاية

(١) أي أعمدة . (٢) أي دامت . (٣) أرزغ المطر الأرض : بلها

ولم تسل . (٤) أي أتبعها قرية قرية . (٥) أي متصلة .

(٦) الخطيطة الأرض غير المطورة بين أرضين ممطورتين ، أو التي مطر بعضها .

(٧) أي ترابا مبلولا .

ما يوصف به المطر وهو عندهم الذي يجر أنضب من وجارها فيخرجها من كثرة
سيله . وقوله والحزون متلفعة بالغناء يقول بلغ الماء رؤوس الحزون ثم نضب عنها
فبقى الغناء في موضعه .

ومن الوصف الجيد التام في تكاثف المطر قول بعضهم : وقع مطر صغار
وقطر كبار وكأن الصغار لحمة للكبار ، جعل الهواء كالثوب المنسوج من كثرة
المطر وتكاثفه . ومن أجود ما قاله محدث في وصف السحاب والقطر
والرعد والبرق ما أنشدناه أبو أحمد عن فطويه للمعاني :

| | |
|---|---------------------------------|
| أرقت للبرق يخفو ثم يأتلق | يخفيه طوراً ويبيديه لنا الا فتق |
| كأنه غرة شهاب لانحة | في وجه دهاء ما في جلد لها بلق |
| أو ثغر زنجية تفر ضاحكة | تبدو مشافرها طوراً وتنطبق |
| أوسلة البيض ^(١) في جأواء مظلمة | وقد تلقت ظباها البيض والبرق |
| والغيم كالثوب في الآفاق منتشر | من فوقه طبق من تحته طبق |
| تظنه مصباً لا فتق فيه فان | سالت عوايه قلت الثوب منفتق |
| ان مغمع الرعد فيه قلت ينخرق | أولاً لا البرق فيه قلت يحترق |
| تستك من رعد أذن السبع كما | تمشى إذا نظرت من برقه الحدق |
| قال رعد صليق ^(٢) والريح منخرق | والبرق مؤتلق والماء منبعق |
| قد حال فوق الرثي نور له أرج | كانه الوشي والدياج والسررق |
| من صفرة بينها حمراء قانية | وأصفر فاقع أو أبيض يتق |

فاستحسننت هذه الطريقة فقلت :

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| برق يطرز ثوب الليل مؤتلق | والماء من ناره يهيم فينبق |
| توقدت في أديم الأرض حمرة | كأنها غرة في الطرف أو بلق |
| مالمتد منها على أرجائه ذهب | إلا تحذر من حاقاته ورق |

(١) السيوف . (٢) الصهصليق من الأصوات : الشديدة .

كأنها في جبين المزن إذ لمت سلاسل التبر لا يبدو لها حلق
 فالرعد مرتجس^١ والبرق مختلس والفيث^٢ منبجس^٣ والسيل مندفق
 والضال فيما طما من مائه غرق والجزع فيما جرى من سيله شرق
 والغيم خز^٤ وأنهاء^(١) اللوى زرد والروض يزهو^٥ عشب أخضر^٦ نضر^٧
 والروض يزهو^٥ عشب أخضر^٦ نضر^٧ وما ورد في المياه^(٢) :

من سيول يعجها الواديان وتلوج^٨ يذيتها^٩ العصران
 فواستواء إذا جرى والتواء هل تأملت مزحف^{١٠} الأنفوان
 فهو حيث استدار وقف^{١١} لجين وهو حيث استطار سيف^{١٢} يمان
 وقال ابن المعتز :

لا مثل منزلة الدويرة منزل^{١٣} يدار جادك وابل^{١٤} وسقاك
 بؤساً لدهر غبرت^{١٥} صروفه لم يمح^{١٦} من قلبي الهوى ومحاك
 لم يحل^{١٧} بالعينين بعدك منظر^{١٨} ذم المنازل كلهن سواك
 أي^{١٩} المعاهد منك أندب^{٢٠} طيبة ممساك ذا الآصال أو مفداك
 أم برد ظلك ذى الفصون وذى الحيا أم أرضك الميثاء^(٣) أم رياك
 وكأنما سطمت بجامر^{٢١} عنبر^{٢٢} أوفت^{٢٣} قار المسك فوق ثراك
 وكأنما حصباء^{٢٤} أرضك جواهر^{٢٥} وكان ماء^{٢٦} الورد دمع^{٢٧} نداك
 وكأن^{٢٨} درما^{٢٩} مفرغاً من فضة ماء^{٣٠} الغدير جرت عليه^{٣١} صباك
 وهذه الأبيات أحسن أبيات قبلت في صفة دار . وقلت :

شقق^{٣٢} بنا تيار^{٣٣} بحر كأنه إذا ماجرت فيه السفين^{٣٤} يعربد^{٣٥}
 ترى مستقر^{٣٦} الماء منه كأنه سيب^{٣٧} على الأرض الفضاء^{٣٨} ممدد^{٣٩}

(١) جمع نهى وهو انتهى الرمل الذى يسكن إليه الماء .

(٢) هنا يياض فى النسخ . (٣) الأرض الميثاء : السهلة .

ويجري إذا الأرواح فيه تقابلت
فان تسكن الأرواح خلت متونه
فطوراً تراه وهو سيف مهند
نصعد فيه وهو زرق جسمه
كأمال من كف النهامي^(١) مبرد
متون الصفايح البيض حين تجرد
وطوراً تراه وهو درع مسرد
فنجسب أنا في السماء نصعد
وقال ابن طباطبا العلوى في مدد الوادى :

ياحسن وادينا ومدد الماء
يختال في حطبه الكدراء
في صخب عال وفي ضوضاء
ترى به تتأطح الطباء
قد جاء بين الصيف والشتاء
أكدر يمتد على غبراء
يصافح الرياح في الهواء
جاء قد شدت إلى جواء
فانظر الى أعجب مرأى الرأى
من كدر ينجاب عن صفاء
تتسع الغيم عن السماء

وقال السرى في المد وانقطاع الجسر ببغداد :

أحذركم أمواج دجلة إذ غدت
فظلت صغار السفن يرقصن وسطها
تغرقها هوج الرياح وتغلى
فهن كدم الخيل جالت صفوها
مصنعة بالمد أمواج مائها
كرقص بنات الزنج عند انتشائها
ربى الموج من قدامها وورائها
وقد بدرتها روعة من ورائها
وقد سامها ضياء أسود سمائها
على تربة محمرة من فضائها
فأبصرت أقماراً تروح وتغرب
وغودر فوق الماء يطفو ويرسب
فكم من خشف^(٢) على الماء لاعب
كأن السميريات فيه عقارب
فكأنهم دري تقطع سلكه
فكأنهم دري تقطع سلكه

(١) النهامي بالنون : الحداد . (٢) الخشف مثلثة الخاء : ولد الظبي .

وقال أبو بكر الصنوبري :

إذا السماء أعنقت منها إلى شطّ وشطّ
حسبت أن بطها الأمواج والأمواج بطّ
وقال : وروضة أريضة الأرجاء من ذهب الزهر لجين الماء
يجري على ذمرد الجصباء بين استواء منه والتواء
كما نفضت جوفّة الحواء

وقال أبو فراس بن حمدان :

أنظر إلى الزهر البديع والماء في برك الربيع
وإذا الرياح جرت عليه في الذهاب وفي الرجوع
ثرت على بيض الصفا نحت يئنها حلق الدروع
ومن أوائل ما جاء في ذكر الماء المظلل بالأشجار قول لبيد :
فتوسطا عرض السماء فصدعا مسجورة متجاوزة قلامها
محفوفة وسط البراع يظلمها منه مصرع غابة وقيامها
وقال بشر بن أبي خازم في البحر :

ونحن على جوانبها قعود نفص الطرف كالابل القماح
إذا قطعت براكبها خليجا تذكر مالدیه من الجناح

﴿ الفصل الثاني من الباب السابع ﴾

في ذكر الرياض والآتوار والبساتين والثمار وما يجري مع ذلك
أخبرنا أبو أحمد عن رجاله عن أبي عمرو وغيره قالوا أجود ما قيل في وصف
روضة قول الأعشى :

ماروضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هيطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بقميم النبت مكتمل

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل
قال المصنف خص العشى لأن كون الانسان بالعشى أحسن منه بالغداة لركة
تعلوه بالعشى وتهيج^(١) يعتاده بالغداة وتعتري الألوان بالعشيات صفرة قليلة
تستحسن ولذلك شبهها بالروض لما في الروض من الزهر وهو أصفر ، ومن
هذا قوله أيضاً • وصفراء العشية كالمرارة • وقال بعضهم بل خص العشى
لنقصان الحسن فيه قال فشبهها في نقصان الحسن بالروضة في حال تمام حسنها ،
وليس كذلك لأن الروض بالغداة أحسن منه بالعشى .

والتشبيه المصيب من الشعر القديم قول بشر بن أبي خازم :
وروض أحجم الرواد عنه له نفل^(٢) وحوزان^(٣) تؤام
تعالى نبتة واعتم حتى كأن منابت العلجان^(٤) شام
الشام جمع شامة أى ظاهر كظهور الشامة في الوجه ويقال ما أنت إلا شامة
أى أمرك ظاهر . وأنشد الجاحظ قول النمر بن تولب المكي :

ميثاء جاد عليها مسبل هطل^(١) فأمرعت لاحتيا لفرط أعوام
إذا يجف ثراها بلها ديم^(٢) من كوكب نازل بالماء سجام
لم يرعها أحد وارتبها زمنا فأومن الأرض محفوف بأعلام
تسمع للطير في حافات زجلا^(٣) كأن أصواتها أصوات مخدام
كأن ريح خزاماها وحنوتها^(٤) بالليل ربح يلنجوج وأهضام
ولم يدع شيئاً يكون في الخصب إلا ذكره . ومن أبلغ ما وصف به كثرة الكلام ما أخبرنا
به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عمه عن ابن الكلبي عن أبيه قال خطب
ابنة الخس ثلاثة نفر من قومها فارتضت أنسابهم وجالهم وأرادت أن تسير

(١) التهيج بالباء قبل الجيم : شئ من التورم في الوجه يظهر عند القيام من النوم .

(٢) النفل والحوزان نبتان ، وتؤام أى توأمان (٣) العلجان : نبت .

(٤) الخزامي والحنوة : نبتان طيبا الرائحة .

عقولهم فقالت لهم انى أريد أن ترنادوا إلى مرعى فلما أتوها قالت لأحدهم ما رأيت
قال رأيت بقلًا وبقيلًا وماءً غدقًا سيلًا يحسبه الجاهل ليلًا قالت أمرعت .
وقال الآخر رأيت ديمة فوق ديمة على عهد غير قديمة فالناب تشيع قبل الفطيمة .
وقال الثالث : رأيت نبتاً ثمداً معداً متراكباً جمداً كأنخاذ نساء بنى سعد
تشيع منه الناب وهي تعدوا هـ . بقلًا وبقيلًا : يقول بقل قد طال وتحتة عمير
قد نشأ ، والغدق : الكثير يحسبه الجاهل ليلًا من كثافته وشدة خضرته ، والديمة
المطر يدوم أياماً في سكون ولين ، والعهد أول ما يصيب الأرض من المطر
الواحد عهد ، تشيع منه الناب قبل الفطيمة : يريد أن العشب قد اكتمل وتم
فالناب وهي المسنة من الابل تشيع قبل الصغيرة منها لأنها تنال الكلاء وهي قائمة
لا تطلبه ولا تبرح موضعها والفطيمة تتبع ما صغر والصغير فيه قليل . وهذه صفة
بليغة . وأبلغ منها قول الآخر تشيع منه الناب وهي تعدوا أى من طول النبات
وكثرته وعمومه تعدوا وتأكل لا تحتاج إلى تتبعه وطأ طأة رأسها له . ولا أعرف
في جميع ما وصف به كثرة الكلاء أبلغ من هذا . والثعد : الرطب اللين والمعد
اتباع . والثرى الجعد الذى قد كثر نداءه فإذا ضمته يذكرك اجتماع ودخل بعضه
في بعض كالشعر الجعد ، وخص نساء بنى سعد لأن الأدمة فيهم فاشية .

ومن أبلغ ما قيل في طول الكلاء قول الآخر أنشده ابن السكيت وتعلب :
أرعبتها أطيب أرض عودا الصل والصفصل والبعضيدا
والخازباز السنم المجودا بحيث يدعو عامر مسعودا

يقول قد سد النبات من طوله وسبوغه مسعوداً فليس يراه عامر فهو يصيح
به ، الصل والصفصل وخازباز ضرب من النبات . وليس ألفاظ الآيات بالمتخارة
إنما اخترتها لجودة معناها .

ونظر أعرابي إلى يوم دجن وإلى نبات غص فاستحسن فقال ارتجالاً :
أنت والله من الأيسام لأن الطرفين

كلما قلبت عيني في قرّة عين
 وقلت: أناه يُريدُ المزنَ ينشدهُ الصبا
 فدوّمَ من أعلى رُباهُ ودّيما
 ولاحَ اليه بالبروقِ مُطرزاً
 فأصبحَ منها بالزواهرِ معلماً
 ومن بديع ماقاله محدث في صفة الرياض والبساتين قول عبدالصمد بن المعدل
 أنشدناه أبو أحمد وغيره :

| | |
|----------------------------------|---|
| معان من العيش التبرير ومعمّر | ومبدى أنيق بالعذيب ومخضّر |
| نما الروض منه في غداة مريّة | لها كوكب يستأنق العين أزهري |
| تري لامع الانوار فيها كأنه | إذا اعترضته العين وشي مدّثر |
| تسابق فيه الاقحوان وحنوة | وسامها رند نضير وعيهر |
| يمج تراها فيه عفراء جمدة | كان نداها ماء ورد وغنبر |
| أطاد نسيم الريح أنفاس نشره | وخايل فيه أحر اللون أصفر ^(١) |
| بدا الشبح والقبصوم عند فروعه | وشت وطباق وبان وعرعور |
| وناضر رمان يرف شكيره | يكاد إذا ماذرت الشمس يقطر |
| ويانع تفاح كأن جنينه | نجوم على أغصانه الخضر تزهري |
| إذا زرته يوماً تفرد طائر | وراناك ظي بين غصنين أحر |
| فاذهاج نوح الأيك في درون الضحى | تذكر محزون أوارتاح مقصر |
| تجاوبن بالترجيع حتى كأنها | ترنم في الأغصان صنج ومزهر |
| مرانة موموق وترجيع شائق | قلقلب ملهاة والعين منظر |
| واني إلى صحن العذيب لتائق | واني اليه بالمودة أصور |
| مرعت ولازالت تصوبك ديمة | يجود بها جون الغوارب أقر |
| أحم الكلى واهى العرى مسبل الجدوى | إذا طعنت فيه الصبا يتفجر |
| كان ابتسام البرق في حجراته | مهندة ييض تشام وتشهر |

(١) أي فاجر الأصفر الأحمر.

وقول ابن المعتز يتضمن صفة الأنوار على التام ولا يكاد يشذم منه شيء البتة وهو :

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| والروض مفسولٌ بليلى ممطر | جلا لناوجه الثرى عن منظر |
| كالعصب أو كالوشى أو كالجوهر | من أبيض وأحمر وأصفر |
| وطارق أجفانه لم تنظر | تخاله العين فمالم يففر |
| وقاتق كاد ولم ينور | كأنه مبتسم لم يكشر |
| وأدمع الغدران لم تكدر | كأنه دراهم في منثر |
| أو كمشور المصحف المنشر | والشمس في أصحاء جو أخضر |
| كدمة حائرة في محجر | تسقى عقاراً كالسراج الأزهر |
| مدامة تنقير إن لم تعقر | يدبرها كف غزال أحور |
| ذى طرة قاطرة بالعنبر | وملثم بكشفه عن جوهر |
| وكفيل يشغل فضل المنزر | تخبر عيناه بفسق مضمر |

يعلم الفجور إن لم يفجر

| | |
|---------------------------|-------------------------|
| وقلت : جواهر عشب ونور نظم | وأفراد ظل وقطر ثير |
| فمن بين صفر وأحمر وأخضر | على القضب غيد وزور وصور |
| ولعن تناسب لعن الشفاء | ويض تمارض ييض الثغور |
| نواظر من بين يقظى ووسنى | ونجل وخزير وخول وحور |

وقد استوفى في هذه الأبيات جميع أوصاف الأنوار على اختلاف حالاتها .

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا التنوخي لنفسه :

| | |
|--------------------------------|----------------------------|
| أما ترى الروض قد وافتك مبتسماً | ومد نحو الندامى للسلام بدا |
| فأخضر ناضر في أبيض يقق | وأصفر فاقع في أحمر تضدا |
| مثل الرقيب بدا للعاشقين ضحى | فأحمر ذا خجلا وأصفر ذا كدا |

ومن المشهور قول الجاني :

| | |
|----------------|---------------------|
| ديم كأن رياضها | يكسين أعلام المطارف |
|----------------|---------------------|

وكأنا غدراؤها فيها عُشور^١ في مضاحف
وكأنا أنوارها تَهْتَزُّ^(١) بالريح القواصف
طرر الوصائف يلتفت - ن بها إلى طرر الوصايف
وقلت : وروضة حالية الصدر كاسية البطون والظهور
محمودة المحبور والمنظور موقنة المطوى والمنشور
معجبة الظاهر والمستور ضاحكة كالوافد المحبور
باكية كالعاشق المهجور شذرها النيث بلا شذور
شقائق كناظر المحمور واقحوان كغور الحور
ونرجس كأنجم الديجور والطلّ منشور على منشور
يرصع^٢ الباقوت بالبلور

وقال السري وأحسن . وليس فيمن تأخر من الشاميين أصفى ألفاظاً مع الجزالة
والسهولة وألزم لعمود الشعر منه :

وجنات يهجي الشرب وهنا جنى وهداتها حتى رباها
إذا ركذ الهواء جرت نسباً وان طاح الغمام طفت مياها
يُفَرِّجُ^٣ وشبها عن ماء ورد يفيض^٤ على اللاآلى من حصاها^(٢)
تعانق ريحها لم الخزامى وأعناق القرنفل في سراها
ويأبى زهرها إلا هجوعاً ويأبى عرفها إلا انتباها
وقال البحترى :

قطرات من السحاب وروض ثرت وردها عليه الخدود
فالرياح التي تهب نسيم والنجوم التي تغلّ سعاد
وقال ابن الرومي :

أصبحت الدنيا تروق من نظري بمنظر فيه رجاء^٥ للبصر

(١) في نسخة « تَهْتَزُّ » . (٢) في نسخة « صفاها » .

واهاً لها مصطنعاً لقد شكر أثنت على الله بالآاء المطر
والارض في روض كأفواه الحبر تبرجت بعد حياء وخفر
تبرج الانثى تصدى للذكر

وقال وأحسن :

وحلس من السكتان أخضر ناضر يُياكره دان الرباب مطير
إذا درجت فيه الرياح تتابعت ذوائبه حتى يقال غدير
وقلت: أنظر إلى الصحراء كيف تزخرت وإلى دموع المزن كيف تُذرف
وعلى الربى حلال وشاهن الحيا قسمهم ومقصب ومفوف
وملابس الأنواء فيها مُسندس ومضاجع الانداء فيها زخرف
نم الرياح على الرياض نماماً ذكر نك الكفور حين يدوف^(١)
وعلى التلاع من الاقاصي حلة وعلى البقاغ من الشقائق مطرف
والغيم تنقشه الرياح عشيّة كالقطن في زرق الثياب يندف
والقطر يهيم وهو أبيض ناصع وبصير سيلاً وهو أغبر أكلف
والبرق يلمع مثل سيف ينتضي والسيل يجري مثل أفعى ترجف

وقال أعرابي : يا كرومى^(٢) ثم خلقه ولي فالأرض كأنها وشتى منشور عليه لؤلؤ
منشور ثم أتتنا غيوم جرار بمناجل حصاد فاختربت البلاد وأهلكت العباد فسبحان
من يهلك القوى إلا كول بالضعيف المأكول: وقال أبو تمام :

الروض ما بين مغبوق ومصطبوح من ريق محتفلات بالحيا دُح
جون إذا هطلت في روضة طفيقت عيون نوارها تبكي من الفرح
وقال أبو الغضبان البيماسي :

غدونا على الروض الذي طله الندى سحيراً وأوداج الأباريق تسفك
فلم أر شيئاً كان أحسن منظراً من الروض يجري دمه وهو يضحك

(١) أي يذاب . (٢) الومى : أول المطر ، والولي الذي يليه .

وقال غيره : وإذا الزمردُ مشر ذهباً

لا زال يُمتنعنا بِجِدته

وقال غيره في تلون الأرض :

فترى الرياض كأنهن عرائسُ

وقال أبو تمام :

رقت حواشي الدهر وهي تَمَرَمَرُ

مطرٌ يروقُ الصحو منه وبعده

وندى إذا أذهنت به لمُ الثرى

ما كانت الأيامُ تسلبُ بهجةً

أولا ترى الأشياءَ إذ هي غيرت

بأصابعيُ تقصيا نظريكما

ترياً نهاراً مشمساً قد شابه

دنيا معاشٍ للورى حتى إذا

أضحت تصوغُ ظهورها لبطونها

من كل زاهرة ترقرقُ بالندى

تبدو ويحجبها الجيمُ كأنها

ومن اللجين لسعبد ورق

وجدیده بجديدنا خلق

يُنقلن في ضفراء من حمراء

وغدا الندى في حليه يتكسرُ

صحوً يكادُ من النضارة يطر

خلت السحابُ أتاه وهو معذرُ

لو أنَّ حُسنَ الروضِ كان يُعمرُ

تمجّت وحسنُ الروضِ حين يغيرُ

ترياً وجوه الأرض كيف تصورُ

زهرُ الربيعِ فكأنما هو مقررُ

جلّى الريحُ قائماً هي منظرُ

نوراً تكادُ له القلوبُ تنورُ

فكأنما عينٌ عليه تحدرُ

عذراءُ تبدو تارة وتختفرُ

الجيم متكاثف النبت، يقول بظهر بتحريك الرياح إياه ويستتر عند سكونها

فيغطيه الجيم :

صنعُ الذى لولا بدائعُ لطفه

ماطاد أصفرَ بعد إذ هو أخضر

وقلت في مديح :

إني أرى لك في الساحة والندى

طَلَقَ الغمامُ سرى بوجهٍ بامر

ثقلت على عنق الصبا أعباؤه

طلقاً ذرّيتَ به على الأطلاق

يُروى الوجوه ومبسم براق

مثل الضعيف ينوء بالأوساق

فترى النبات يروق وسط رياضه
وقال البحتري :

إذا أردت ملأت العين من بلد
يمسى السحاب على أجيالها فرقا
فلست تبصر إلا وا كفا خضلا
وقال أيضا: ولا زال مخضر من الأرض يانع
بذكرنا ربا الأجنة كلما
شقائى يهمل الندى فكأنه
ومن لؤلؤ فى الأرجوان منضد
كأن جنى الحوذان فى رونق الضحى
رباع تروت بالرياض مجودة
إذا راوحتها مزنة بكرت لها
كأن يد الفتح بن خاقان أقبات
وقلت : أما ترى عود الزمان نصرا
أنته الطاف السحاب ترى
تبسط فى الصحراء بسطا خضرا
ونرجسا مثل العيون زهرا
كأننا يصوغ فيها تبرا
كأننا ينثر فيها دررا
كلما لونا والعبير نشرنا
والعيش أن تسر أو تسرا
ثم مر الزير بناغى الزمرا
لا تفسدن بالغرام العمرا

أحسن ما قيل فى النرجس بل أبى نواس :

(١) أى يذيب .

لدى نرجسٍ غضُّ القطافِ كأنه إذا مامحناهُ العيونَ عيونُ
مخالفة في شكاهنَّ فصفرة مكانَ سوادٍ والبياضُ جفون
والناس يشبهونه بالعيون ولا يفضلون هذا التفضيل . ومالم يقل مثله قول ابن الرومي:
خبطتُ خُذودُ الوردِ من تفضيله لم ينجل الورد المورود لونه
لأن نرجس الفضل المبينُ وإن أبي فصل القضية أن هذا قائدُ
شتانَ بين اثنين هذا مُوعِدُ وإذا احتفظت به فأتممتُ صاحب
يحكي مصاييحَ السماءِ ونارةُ بنى النديمَ عن القبيح بلحظه
أن كنتَ تطلبُ في الملاحِ سميه هذى النجوم هي التي ربتهما
فانظر إلى الأخوين من أدناهما أين العيون من الخدود نفاسة
وقلت : ونرجس مثل أ ك ف خرد ناوانيه مثله في حسنه
مبتسم عنه وناظر به وقلت في معناه :

ألم ترنا نعطى الغواية حقها ونجري مع الذات جري السوابق
بمحمرٍ الاجساد مبيضة الذرى كمثل سقيطِ الطل فوق الشقائق
لدى الصفر في أوساطٍ يبيض كأنها كؤوسٌ عُقار في أ ك ف عواتق
وقا ابن الرومي :

للنرجس الفضلُ يرغم من رغم
العينُ قبل السنُّ وهي المبتسم
ماطيبَ الريح وما أزكى النسم
ومن التشبيه المصيب قول الآخر :

ونرجسٌ لاحظني طرفها بشبه ديناراً على درهم

وقال ابن الرومي في الخمر والنرجس :

ريحانهم ذهبٌ على درر
وقلت : يركبُ الاقحوانُ فيها نهراً
وشراهم دررٌ على ذهب
فترى درهماً على دينار
فرشت فوقها فرائدٌ طلَّ
علقت بالنبات والأشجار
وتدلت على الفصون فجاءت
كشوف الكواعب الابكار

وقال الآخر :

ونرجس قامَ فوقَ منبره
نامَ الندى في عيونه سحراً
مثلَ عروسٍ تجلى وتشتهرُ
لم يغمض والظلامُ حلَّ به
فاعتاده من منامه سهر
تخيرَ الطلُّ في مداامه
كأعسا في جفونه قصر
فليس يرقا وليس ينحدر
كدمعة الصب كاد يسكبها
فردّها في جفونه الحذر
وقلت : وغنت الطيرُ بالحنانها
فاتتبه النرجسُ من رقدته

وأحسن ما قيل في الورد قبل أن يتفتح قول بعض الحديثين :

قد ضمه في الفصن قرصٌ يرد ضمٌّ فم لقبله من بعد

وقلت فيه إذا تفتح :

مرّاً بنا يهتزُّ في خطرهِ
يديرُ في أمله وردةً
مايينَ أغصان وأقمار
يلوحُ في حمرتها صفرةً
جاءت من المسك باخبار
كأنه منقوطةً بدینار

وقال ابن المعتل :

عشيةً حياني بورد كأنه خلودٌ أضيفت بعضهم إلى بعض
وقلت: قومي انظري ورداً كخذك أحمرًا ترك الريح وراءه وتقدما
قد ضمه بردٌ ففتقه ندى كالصب قبل فاك ثم تبسما
ولم أجد في تشبيه الورد أبدع مما ذكرته ، وتشبيهه بالخلد تشبيه مصيب
ولكني تركت إلا كثار منه لشهرته وكثرته ويقال للوردة الحمراء الحوجة والبيضاء
الوتيرة ويشبه بها قرحة الفرس^(١) قال عمرو بن معدى كرب :

يبارى قرحةً مثل الوتيرة لم تكن معدي

وقد أحسن علي بن الجهم في قوله يصف الورد :

كأنهن يواقيتٌ يطيفُ بها زمردٌ وسطها شذرٌ من الذهب
وهو من قول أزدشير : الورد ياقوت أحمر وأصفر ودراييض على كرامى زبرجد
يتوسطه شذور ذهب . وقال البحتري :

وقد نبه النيروز في غلس الدحي أوائل ورد كُنْ بالأمس نوماً
يفتحه بردُ الندى فكأنه بيتٌ حديثاً كان قبلُ مكثاً
وقات في تفضيل الورد على الترجس :

أفضلُ الورد على الترجس لا أجعلُ إلا نجمَ كالأشمس
نيس الذي يقعدُ في مجلس مثل الذي يمثُلُ في المجلس

وقال ابن بسام :

مداهنٌ من يواقيت مُنضدة على الزمرد في أوساطها الذهبُ
كأنه حين يبدو من مطالعه صَبُّ يُقبلُ صباً وهو مرتقب
ومن الياقوت الأزرق والأصفر والأحمر وليس في البيت دليل على أنه أراد
الأحمر دون الأزرق فهو معيب من هذه الجهة . وقلت في الورد على الشجر :

(١) القرحة في وجه الفرس دون الفرة .

أصبحَ الورد في النصوص يحاكي
مثل فرسان غارة يستلبهم
ويلوحُ النهارُ أسفلَ منه
بين نبذ من الشقائق يحكي
وقال ابن المعتز :

ولازوردية أوفت بزرقها
كانها فوق طاقات ضعفن بها
والصحيح أنه في الحرم والشاهد قوله :

بنفسج جمعت أطرافه فحكمت
قوله : كأنها فوق طاقات ضعفن بها * يدل على أنه أراد الحرم لأن ساق البنفسجة
لا يضعف عن حمل وردتها وهذا الوصف بالحرم أشبه منه لكبر نوره ودقة ساقه
فاعرف ذلك . وقلت في البنفسج :

وروضة كأنها من حسنها
قد نثر الليل على أنوارها
بكت عليها مزنة فابتسمت
وحولها بنفسج كأنه
وقال آخر :

وكان البنفسج الغض فيه
أثر اللطم في خدود الفيد
وقلت : وبخافاتها البنفسج يحكي
أثر القرص في خدود العذارى
وقلت في الهنة النادرة تحت ورقة البنفسج ولم أسمع فيها من الشعر العربي شيئاً :
ومغنج قال الكمال خلقة
كن مجمعا للطيبات فكانه
زعم البنفسج أنه كعذاره
حسناً فسألوا من قفاه لسانه

وقال ابن الرومي :

أشرب على ورد البنفسج قبل تأنيب الحسود
فكأما أوراقها آثار قرص في الحدود

أغرب معنى جاء في الشقائق قول الأخطل :

هذي الشقائق قد أبصرت حرمتها مستشرقات على قضبانها الذال
كأنها دمة قد مسحت كحلاً جالت به وقفة في وجنتي خجل
وأظن الأخطل ابتكره إلا أنه أوردته في أهجن معرض وفي أشد ما يكون من
التكلف وأتى بالمحال لأن الوقفة لا تجول فنظمته وقلت :

وشقائق نقش الربيع ثيابها فبرزن بين مكحل ومجسد
كالخلد بصبغة الحباء بحمرة وجرى عليه الدمع خلط الأمد
ومن غريب ما قيل فيها قول بعض المتأخرين :

طرب الشقائق للحمام وقد شجا شجوة القيان فشق فضل رده
وتحيرت ما بين إمد ماته في الخلد دمه وبين حياته
فكانه الحبشي بضع جسمه قتيابه منحضلة بدمائه
وجعل الشقائق واحداً وهي جماعة مؤنثة والواحد شقيقة فاذا ذكر فعلى
معنى النور وتسميه العرب الشقر . وقلت :

والشقائق خال فوق وجنتها ووجنة الورد بالدينار منقوطة

وقال التنوخي :

شقائق مثل خدود نقشت شوارب بالمسك فيها ولحي
وهو بعيد لأن السواد الذي فيها لا يشبه الشوارب .

ومن أحسن ما قيل في الآخرين قول ابن المعتز :

يا ربما نازعني روح دنان صافيه
في روضة كأنها جلد سماء طربه

(٤ - ثاني المعاني)

كأنما أنهارها بماءٍ وردٍ جاريه
 كأن آذريونها غيبٌ سماءٍ هامية
 مداهنٌ من ذهبٍ فيها بقايا غالية

وقال أيضاً :

وصير آذريونه فوقَ أذنه
 وقلت : ولاح آذريونها
 وقال الشمشاطي^(١) :

تراهُ مُعيوناً بالنهارِ نواظراً
 وبعدَ غروبِ الشمسِ أضرارَ ديباج
 وقال ابن المعتز :

كأنها مداهنٌ من ذهبٍ مُشرفاتٌ وسطهنَّ غالية
 أتم التشبيه ههنا بقوله « مشرفات » . ومن جيد ما قيل في البهار قول ابن الرومي :
 وروضة عذراء غيرُ حائسه
 فيها شمسٌ للبهارِ دارسه
 ترُوقك النّورةُ منها الباكسه
 وخُرّمٌ في صبغهِ الطيالسه
 وقال ابن المعتز :

في روضة كحل العروسِ وخُرّم كمامة الطاووسِ
 وقلت في المذهب الذي بساكه ابن الرومي :

خرّمه كمامة الطاووسه
 والعين في فنائها محبوسه
 تعجبتى منظورة ملوسه
 مرفوعة الهامة أومنكوسه

(١) هو علي بن محمد الشمشاطي اتصل بأبي جحان ، له تصانيف في الأدب .

باقوتة لكنها مفروسة في زهر^(١) كالشعل المقبوسة
كحلل ألوانها ملبوسة

وقال التنوخي :

ومن خرم غص خلال شقائق بلوح كخيلا ن على وردتي خد
وإذا كان في الخلد خيلان لم يستحسن الخلال الواحد . وقلت :
على رياض خرم كأنها رؤوس هدايا حرير الحبل
وقال ابن طباطبا :

وطوس فيها خرم فكأنها صمامات وشي هبشت لمخازن
وقلت في البهار والورد :

ورد إلى جنبه بهار كالخد أصفى إليه قرط
وقد جمعت أصناف المنشور في أبيات وما جمعها أحد إلا بعض الكتاب
في أبيات غير مختارة الرصف فقلت :

ألوان منشور يريك حسنبا
ياحسنبا في كف من يشبهها
من أشهل كينه وأبيض
وأصفر مثل صريع حبه
وقال السري في الورد :

أما ترى الورد قد باح الربيع به
وكان في حل خضر وقد خلعت
وقلت : ليس ينفك للغيام أباد
فترى رعدده يشق حريراً
وترى للزمان غصناً وريقاً
من بعد مامر حول وهو اضمار
إلا عرى أغفلت منها وأززار
تكافأ وأنعم تتجدد
وسنى برقه يطرز مطرد
يملك الطرف إذ يقوم ويأود

أنبت الأرض عسجدًا ولجينًا قالوا بى مكلل ومقلد
 وجرى الريح سرجسجًا^(١) ورخاء فاللناهي^(٢) مسلسل ومسرّد
 وسبى العين لؤلؤ وعقيق نظما في زمرد وزبرجد
 قرى ثم مضحكًا يتجلى وترى ثم وجنة تتورد
 قطرات الندى أحاد ومثنى مثل در منظم ومبدد
 وكأن الشقيق كأس عقيق طرح المسك في قرارتها ند
 قرى النجد في رداء موشى وترى الوهد في قبص معد
 وعليه من البهار عطاف ومن الورد والشقائق مجسد
 وترى النور مثل مضحك خود وترى الغصن مثل شارب أمرد
 ومن بديع ما قبل في كون النيلوفر وظهوره قول ابن الرومي :
 فكأنه في الماء صاحب مذهب أغراه وسواس بأن لا يطهر
 وقال السرى^(٣) :

ونيلوفر أوراقه الخضر تحته بساطه إليه الأعين النجل شخص
 هذا البيت غير مختار الرصف ظاهر التكلف :
 إذا غاص في الماء النمر حسبه رؤوس إوز في الحياض نفوس
 وقوله « النمر » لا يحتاج إليه . وقال آخر من أبيات :
 كأنما كل قضيب بها يحمل في أعلاه ياقوته
 وقلت : فشربتها عذراء من يد مثلها تحكى الصباح مع الصباح المشرق
 في روضة تلاقك حين لقيتها بمنمنم من نبتها ومنعق
 فانظر إلى عشب هناك مجمع وانظر إلى زهر هناك مفرق

(١) في نسخة « سجدًا » . (٢) المنهى : المحل الذي ينتهى إليه الماء .

(٣) هو السرى الرفاء الموصلى ، مدح سيف الدولة والوزير المهلبى والكبار ،

وكان بينه وبين الخالدين معاداة .

تجبي بورِد كاللجينِ مكفرٍ منها وورد كالعقيقِ مخلق
وكذاك تتحف من مناقع مائها بمخلقٍ يعلو ذؤابةً أخلق
يبدو ويكمن في الغديرِ كأنه جانٍ يحاول أن يبينَ ويتقى
قال السرورِ لنا عنانٌ مطلقٌ إن الفوائدَ في العنانِ المطلق

وقد أحسن القائل في صفة الرياض :

بكينَ فأضحكنَ الرُّبى عن زخارف من الروضِ عنهنَّ الثرى متهاملٌ
ترى قضبَ الباقوتِ تحتَ زبرجد تنوء به أعناقهنَّ الموائل
تلقحها الاتداء ليلاً بريقها فيصبحنَ أبكاراً وهنَّ حوامل
وقلت في الآس ولا أعرف لأحد فيه شيئاً بديعاً :

ومهرجانٌ معجبٌ موقٌ كالنَّورِ غبَّ السَّبلِ الساجم
طالعتُ فيه غرراً وضحا كمثلَ أيامِ أبي القاسم
والآس في كفى أحبيهم مثلَ شوايرِ بنى هاشم

وقلت في الريحان :

وخضرٌ يجمع الأعجاز منها مناطق مثل أطواقِ الحمام
لها حسنُ العوارض حين تبدو وفيها لين أعطافِ الغلام
وقال كشاجم وأحسن :

أرتك يدُ الغيثِ آثارها وأعلنت الأرض أسرارها
وكانت أكنَّت لكانونها خبيثاً فأعطته آذارها
والنصف الأول من هذا البيت متكلف :

فما تقعُ العينُ إلا على رياضٍ تصنّف أنوارها
يفتح فيها نسيم الصبا جناها فيهتك أستارها
ويسفح فيها دماء الشقيق ندى ظل يفتض أبكارها
وتدنى إلى بعضها ببعضها كضمٍّ الاجبة زوارها

كَأَنَّ تَفْتَحَهَا بِالضَّحَى عَذَارَى تَحُلُّ أَرْزَارَهَا
تَفْضُّ لَتَرْجِسَهَا أَعْيُنًا وَطُورًا تَحْدَقُ أَبْصَارَهَا
إِذَا مَزْنَةٌ سَكَبَتْ مَاءَهَا عَلَى بَقْعَةٍ أَشْعَلَتْ نَارَهَا
وَقَالَ فِيهَا: وَأَقْبَلَ يَنْظُمُ أَتْجَادَهَا
وَأَرْضَعَ جَنَاتَهَا دَرَّةً فَعَسَمَ بِالنُّورِ أَشْجَارَهَا
وَدَارَ بِأَكْنَافِهَا دَوْرَةَ تَنَسَّى الْإِوَائِلَ بِرَجَارَهَا
وَقَالَ أَيْضًا فِي الْبَاقِي :

جَنَى يَوْمٍ لَمْ يُوْخَرْ لَعْدٍ وَلَمْ يَنْتَقِلْ مِنْ يَدٍ إِلَى يَدٍ
كَالْعَقْدِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُعْقَدِ أَوْ كَالْفَصُوصِ فِي أَكْفٍ الْخُرْدِ
أَوْ كَكِبَارِ اللَّؤْلُؤِ الْمُنْضَدِ فِي طَيِّ أَصْدَافٍ مِنَ الزَّبَرْجَدِ
مَفْرُوشَةً بِالْكَرْمَفِ الْمَلْبَدِ

وَقُلْتُ فِيهِ أَيْضًا :

أَبْدَى الرَّيِّعُ لَنَا مِنْ حُسْنِ صِنْعَتِهِ شَبَابُهُ اتَّفَقَتْ فِي الشَّكْلِ وَالصُّورِ
خَضِرٌ ظَوَاهِرُهَا يَبِضُّ بَطَانَتُهَا تَحْكِي الْقِبَاطِي تَحْتَ السَّنْدُسِ النَّضْرِ
يَبِضُّ شَبَابُهُ فِي خَضِرٍ مَلْمَلَةٍ مِثْلَ الزَّبَرْجَدِ مِثْنِيًّا عَلَى دُورِ
يَنْشَقُّ أَخْضَرُهَا عَنْ أَيْضٍ يَقْقِرُ كَالْغَرِّ يَشْرِقُ تَحْتَ الشَّارِبِ الْخَضِرِ

وَمِنَ الْمَشْهُورِ فِي وَرْدِ الْبَاقِي قَوْلُ الصَّنُوبَرِيِّ :

وَبَنَاتُ بَاقِلِي يُشْبِهْنَ تَوْرُهَا بَلَقَ الْحَمَامِ مُشْبِلَةً أُذُنَايَهَا
وَقُلْتُ فِيهِ : وَيُزْهِمِي وَرْدُ بَاقِلِي كَأَطْوَاقِ الشَّعَانِينِ

وَقَالَ السَّرِيُّ فِي غَيْرِ ذَلِكَ :

فِي زَاهِرٍ عَيْقُ تَضْوَعُهُ فَكَأَنَّ عَطَارًا يَمْطُرُهُ
ضَاهِي مَمْسَكُهُ مَعْنَبُهُ وَحَكِي مُدَرِّمُهُ مَدْرَرُهُ

وَمِنَ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي الْبَسَاتِينِ وَمَوَاضِعِ الْأَشْجَارِ قَوْلُ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ أَخْبَرَنَا

أبو أحمد عن رجل عن الرياشي قال كان في يد الخليل بن أحمد أرض من
أراضي البصرة ليقيم فلما بلغ اليتم مضى به الخليل إلى الأرض ومعه قارورة من
ماء زمزم فلما جاء المد صب ما فيها في فوهة نهرها ليخلص إلى جميعها ثم قال يا بني
هذه أرضك فقم فصل فيها ركبتين واشكر الله على ما أعطاك منها وادع بالبركة
لك ولمن بعدك ، تم أنشأ يقول في وصفها :

ترفعت عن يدِ الأعماق وانخفضت عن المعاطش واستغنت بسقياها
فالتف بالزهر والريحان أسفلها ومال بالتخل والمان أعلاها
وصار يحسده فيها أصادقه ولائم لأم فيها من تمنها
أبا معاوية اشكر فضلَ واهبها وكما جئتها فاعمر مصلاها
وقال ابن المعتز في السرو والفرجس :

لدى فرجس غص وسرو كأنه قدود جوار رحن في أزر خضر
وقلت : لبس الماء والهواء صفاء واكتسى الروض بهجة وبهاء
فكان النهاء صرن رياضاً وكأنَّ الرياض عدن نهاء
وكانَّ الهواء صارَ رحيقاً وكانَّ الرحيق صارَ هواء
وتخالَّ السماء بالليل أرضاً وترى الأرض بالنهار سماء
جللتها الأنواء زهراً وصفراً يومَ ظلت تنادمُ الأنواء
قراها ما بين نوء ونور تكافأ تبسماً وبكاء
وتظلُّ الأشجار تتخذُ الحسنَ قيصاً أو الجمالَ رداءً لبست حينَ أثمرت مُخلدات^(١)
وترى السرَّ كالنابر تزهي وترى الطير فوقها خطباء
وقال أبو عيينة :

تذكرني الفردوسُ طوراً فأرعوى وطوراً نواتيني على القصف والفتك

(١) أي أقراط . (٢) نوع من الثياب .

بفرس كأبكار الجوارى وتربة كأن ثراها ماءً وردٍ على مسك
وقال السرى في تفاح ودستنبورى ورمات :

إنَّ شيطانك في الظَّرِّ في شيطانٍ مريدٍ
فهذا أنتَ فيه مُبدىءٌ ثم مُعيدٌ
قد اتَّنا طَرَفٌ منك على الظرفِ تزيدهُ
طبقٌ فيه خدودٌ وقدودٌ ونهودٌ

وقد أحسن التنوخي في وصف النارج حيث يقول :

لم لا تجنُّ بها القلوب وقد غلت مثل القلوب
وقلت: تطالنا بين الفصون كأنها خدودٌ عذارى في ملاحفها الخضر
أنت كلُّ مشتاقٍ بريا حبيبهِ فهاجته الأحران من حيث لا يدري
وقال : إذا لآح في أغصانه فكأنه شمسٌ عقيقٍ في قبابٍ زبرجد
وقلت في المركب :

مركب تعجبٌ من حسنه قد كنز الفضة في تهره
يشأ كلُّ العاشق في لونه ويُشبهُ المعشوق في نشره

وقال الصنوبرى في التفاح وقد ظرف :

أعطت يداهُ محبةً تفاعه تعطى المحب أمانه من صدّه
وهذا البيت متكلف جداً :

فعلتُ حينَ لثمتها من كفه أنى سأئثمُ أختها من خدّه
وقال أيضاً في الترجة وأحسن :

جاءَ فحيانى بأترجة من ذهبٍ قد حُشيت فضه
أتى بها ناعمةً غضةً من كفه الناعمة الفضه
يُبذلُ للقبلة حسناً ولا تصلحُ أن يُبذلَ للعضه
أحبب بها من مسكة محضة ناولنيها مسكة محضة

وقلت في الأُترج والتارنج :

ترى التارنج في ورقٍ نضيرٍ فتحسبه عقيقاً في زبرجد
وأترجٌ على الأغصان يزهي كما رفع القتي قنديل عسجد
وقال بعضهم في دستنبوية :

بأحبذا تحيةً رحت بها مسرورا
مخزنة من ذهبٍ قد ملئت كافورا
وقال غيره في الليمون :

وقهوة تزهر في السراج نشربها على كراة حاج
ملبسات أصفر الدياج

وقلت فيه : أحرق ليمونٌ بأترجة كأنجم تحرق بالبدر
مخرطة الأجساد من فضة ملبسات قمص التبر
قد شد من هاماتها زرها يا عجباً من ذلك الزر
اشرب عليها وتمتع بها فانها من تحف الدهر

وابعض الكتاب رسالة في التفاح ليس لها نظير في معناها وهي التي أخبرنا بها
أبو أحمد قال أخبرنا الجلودى قال حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال أهدى ظريف من الكتاب
تفاحة وكتب : لما رأيت تنافس أحبابك وثقات أصدقائك على الهدايا وتواتر الطافهم
عليك تفكرت في هدية تحف مؤنتها ويعظم خطرها ويجل موقعها تجمع الخصال
المحمودة وتنظم الخلال الموموقة فلم أجد شيئاً يجتمع فيه ما أحببنا ويكمل له ما وصفنا
غير التفاح فأهديت إليك منه واحدة وأحييت أن أنبهك على فضلها وأثفك على
نبلها وأكشف لك عن سر أثرها وأعرفك لطائف ممانيتها وأنعت لك مقالة الأطباء
فيها وما نظمت الشعراء في مدحها حتى تراها بعين الجلالة وتنظر إليها نظر الصبابة
فانه يحكى عن أمير المؤمنين المأمون أنه قال : اجتمع في التفاح الصفرة الدرية والحمرة
الخرية الذهبية وياض الفضة ونور القمر يلتذ بها من الحواس ثلاث العين لحسن لونها

والأنف لطيب عرفها والقم للذة طعمها ، وقال حكيم من الحكماء : الخمر صديقة
الجسم والتفاح صديق الروح ، وقال آخر منهم وقد حضرت وفاته واجتمع إليه
تلاميذته وأراد مناظرتهم فضعف عنها فقال : إئتوني بتفاحة أعصم برائحها ريحا
أقضى وطري من المناظرة . فلم يستخفها إلا لفضلها على غيرها ، وقال آخر : جسم التفاح
صديق الجسم وريحه صديق الروح ، وقال حكيم من الأطباء : إن أجود الأشياء
لعلاج المزاج الحاد الكائن في المعدة مع المزاج البارد الكائن في الرأس وغشيان
النفس وقلة الاستمرار للطعام التفاح ، وقال إبراهيم بن هاني : ما علل المريض المبتلى
وسكنت حرارة الشكلى وردعت شهوة الحبل ولا كسرت فورة السكران ولا أرضى
الغضبان ولا ردت عرامة الصبيان بشيء مثل التفاح . والتفاحة إن حملتها لم تثقلك
وإن رميت بها لم تؤلمك وقد اجتمع فيها لون قوس قزح من الحمرة والخضرة ولو حل
التفاح لكان قوساً ولو عقدت القوس لكانت تفاحاً ، وقال بعض الشعراء :

حمرة التفاح في مخضرتة أقرب الأشياء من قوس قزح
والحمرة تفاحة ذائبة والتفاحة حمرة جامدة . وقال الشاعر : الخمر والتفاح شكلان *
وقال آخر : تفاحة حمراء منقوشة ركبتهافي غصن الآس
ألبستها ورداً وكللتها إكليل نسرین علی الراس
وقال آخر في التفاحه :

كانما حمرة حمرة خد خجل

وقال ابن أبي أمية :

مازلت أرجوك وأخشي الردى معتصماً بالله والصبر

حتى أنتنى منك تفاحة زحزحت الأحران عن صدرى

حشوتها مسكاً ونقشتها ونقش كفيك من السحر

واهأ لها تفاحة أهديت لو لم تكن من مخدع الدهر

فاذا وصلت اليك - أوصاك الله إلى رحمته وعطفه - فتأمل وصفها بعينك وتناولها

ييمينك وأحضرها ذهنك وفرغ لها شغلك واجمع لها عقلك وغازلها ساعة وهازلها
أخرى ولا تكن متهاونا بقدرها غير طام بفضائها فتتناولها بحركة باردة وطبيعة
جامدة وقلب ساه وعقل لاه وذهن غبي وشرافية نهم عساه أن يكلمها بأستغاثه
ولا يدري ماقدرها عند إخوانه ويقتصر بمن حباه وينتقص من أهداه ولا يتخذشها
بيدك ولا تثلمها بظفرك ولا تبتذلها للغبار ولا تعرضها للدخان فاذا طال لبثها لديك
وخفت أن يرميها الزمان بسهمه ويقصدها بريبه ويذهب بهجتها ويحول نصرتها
فهنيئاً لك أكلها والسلام .

وشبه بعضهم ورق الريحان بقافات وفآت في شعر غير جيد قدر كته ولم أذكره .
وقلت في الريحان :

ثم اثنتيننا الى خضير مُنعمَةٍ كأنَّ أوراقها آذانُ مُجرذان
وقهوة كجنيِّ الوردِ وشحَّة من لؤلؤِ القطرِ والأنداءِ ممحطان
وقال السري في دستنبوية :

وأغنَّ كالرُشَا الغريبِ نشا خلالَ الربرب
في آخذٍ وردٍ حمَّا دُ من القطافِ بعقرب
حيَّا بدستنبوية مثل السنان المذهب

وقال أيضاً فيها :

صفراء ماغنَّت لعيني ناظرٍ إلا توهمها سناناً مُذهبا
وقلت : وأترج يحفُّ بها أقاح كبدِ الليلِ تكتفه النجوم

وقال السري في نارنجية :

أهدت على نأيِ المحلِّ وقد أناي التصبرِ طُولُ هجرتها
نارنجيةً منها استعيرَ لها ما ألبست من حُسنِ بهجتها
وتساعها من نورِ وجنتها وسيمها من عطرِ نكبتها
وكأنتُ ما يخفيه باطنها ما أضرت من سوءِ غدرتها

وحكى اخضرار^ه شاب^ه وجنتها قرص^ه الا^ه كف^ه اديم^ه وجنتها
 فأتتك مكملة^ه محاسنها تختال^ه في أثواب^ه زيتتها
 فشعارها صفو^ه اللجين ومن ذهب^ه مصوغ^ه ثوب^ه بذلتها
 تُهدى إلى الأرواح من بعد تحف^ه السرور لطيب^ه نشوتها
 وبصونها مسرى رواثعها من أن تباشرها بشمتها
 فاشرب^ه عليها من شقيقتها في نمت^ه رايها وصبغتها
 واعطف^ه عنان^ه النفس عن فكر راحت معذبة بفكرتها^(١)

وقال ابن طباطبا العلوى في الاثرج :

ريحانة^ه في اصفرار^ه موهبها شبهتها بعد^ه فكرة^ه فيها
 أحبة^ه لم تُصنخ^ه لعاذها تسد^ه آذانها بأيديها

فأورد المعنى في ييتين فقصر من غرابة معناه . وجعلت دستنبوية مقفعة في غصن آس

فسقطت فناولنيها بعض الأحبة فقلت :

وأصفر^ه يهوى من ذؤابة^ه أخضر كما انقض^ه نجم^ه في الدجنة ثاقب
 له شعب^ه تهوى^(٢) على سرواته كثل بنان الكف يلويه حاسب
 فناولني^ه ذو دلال كأنما له الشمس أم^ه والبدور أقارب
 فأصبح مشهور^ه الجمال مشهراً له الحسن خدن^ه والملاحدة صاحب

وقال بعضهم في الاثرج :

لها ورق^ه ريحها ريح^ه وما ذاك في غيره أو طلب
 كأن تعطف أوراقها أكف^ه تشير^ه إلى من تحب

وقال ابن خلاد في شجر الزيتون :

إذا ذلت الأشجار يوماً لجفوة فان^ه لها عز^ه القناعة والصبر
 تصرف^ه في الذات من كآ^ه طعم تصرف^ه زيد آخذاً بقفا عمرو

(١) في نسخة (بصحبته) . (٢) في نسخة (تلوى) .

وقلت في التفاح :

ليس ریحُ التفاح عندی بريحٍ لاولكنه صدیقٌ لروحي
مُهرَةٌ الخدُّ واخضرارٌ عذارٍ فلیحٌ يطوفُ حَوْلَ ملیح
وقال نصر بن أحمد :

أكلتُ تفاحةً فعاتبني فنی رأها كخدٍّ معشوقه
فقال خدُّ الحبيب تأكله فقلتُ لا بل أبصُّ من ريقه

وقال السري :

لو جُمِدَتْ رَأْحُنَا اغتدت ذهباً أوداباً . تفأخنا غدا راحا
وقلت في الرمان ولا أعرف فيه شيئاً مرضياً :

حكي الرمانُ أوَّلَ ما تبدى حِقاقَ زبرجدٍ يُحشِنُ دُرّاً
فجاءَ الصیفُ بِحشوه عقیقاً ويكسوه مرورُ القیظِ تبراً
ويحكى في الغصونِ ثدى حور شققن غلائلاً عنهن خضرا
وقلت في خوخة :

وخوخة ملء يدِ الجانية تملكُ لحظَ الأعینِ الرانية
مصفرة الوجنة محمرة كأنها طاشقةٌ سالية
وأجود ما قيل في العنب قول ابن الرومي :

ورازقيَّ مخطفِ الخصورِ كأنه مخازنُ البلورِ
قد ملئت مسكاً إلى الشطورِ وفي الاعالی ماءً وردٍ جوری
لم يُبقَ منها وَهَجُ الحرورِ إلا ضياءٌ في ظروفِ نورِ
له مذاقُ العسلِ المشورِ وبردٌ مسٌّ الخصرِ المقرورِ
ونفحةُ المسكِ مع الكافورِ لو أنه یبقی مع الدهورِ
قرظ آذانِ الحسانِ الحورِ

وقال في معناه :

ورازق^١ مخطف^٢ خصوره^٣ قد أينعت أنصافه^٤ الأسافل^٥
 كأنها مخازن^٦ مملوءة^٧ من ماء^٨ ورد^٩ فيه مسك^{١٠} ثافل^{١١}
 لا يزيد على هذا الوصف أحد... ودخل اعرابي على هشام بن عبد الملك فقال
 له هشام ما أطيب العنب عندكم؟ قال ما خضر عوده وغلظ عموده وسبط عنقوده
 ورق لحاؤه وكثر ماؤه. فقال له كم عطاءك؟ فقال ألفين فسكت ساعة ثم قال له
 كم عطاؤك؟ قال ألفان. قال فلم لحنت أولاً؟ قال لم أشته أن أكون فارساً وأمير
 المؤمنين راجلاً لحنت فلهنت ونجوت فتحوت. فاستحسن أدبه وأجازه. وقلت:

باكرنا الدهر^{١٢} بسبرائه^{١٣} وكف عنا بأس^{١٤} بأسائه^{١٥}
 وجاءنا أيلول^{١٦} مستبشراً^{١٧} يثنى على الدهر^{١٨} بآلائه^{١٩}
 أما ترى الرقة^{٢٠} في جوه^{٢١} تناسب^{٢٢} الرقة^{٢٣} في مائه^{٢٤}
 أنظر الى أنواع^{٢٥} أمهارة^{٢٦} قد ضمه^{٢٧} في برد^{٢٨} أحشائه^{٢٩}
 راحت عليها^{٣٠} نسائم^{٣١} الصبا^{٣٢} تقرصها^{٣٣} في برد^{٣٤} أفنائيه^{٣٥}
 أما ترى حسن^{٣٦} ملاحيه^{٣٧} يهدى الى بهجة^{٣٨} شعرائه^{٣٩}
 أنظر الى رمانه^{٤٠} ضاحكاً^{٤١} حمراؤه^{٤٢} في وجه^{٤٣} بيضائه^{٤٤}

وقال ابن المعتز في العنب:

ظلت عناقيد^{٤٥}ها يخرجن^{٤٦} من ورق^{٤٧} كما اختبى^{٤٨} الزنج^{٤٩} في خضر^{٥٠} من الأزر^{٥١}
 ويروى لابن المعتز في التفاح:
 وتفاحة^{٥٢} صفراء^{٥٣} حمراء^{٥٤} غضة^{٥٥} كخذ^{٥٦} محب^{٥٧} فوق^{٥٨} خد^{٥٩} حبيب^{٦٠}
 أحبابها^{٦١} طوراً^{٦٢} وأشرب^{٦٣} مثلها^{٦٤} من الراح^{٦٥} في كفى^{٦٦} أغن^{٦٧} ربيب^{٦٨}

وقلت في النارنج:

روض^{٦٩} زهاه^{٧٠} المزن^{٧١} في كراته^{٧٢} بمكفر^{٧٣} (١) ومزعفر^{٧٤} ومضرج^{٧٥}
 فتبسم^{٧٦} النارنج^{٧٧} في شجراته^{٧٨} مثل^{٧٩} العقيق^{٨٠} بلوح^{٨١} في الفيروزج^{٨٢}

(١) أى ممزوج بالكافور.

والكأس يحملها أغن^ه يزينه^ه وجنات^ه ورد^ه في عذار^ه بنفسج
ومن أجود ما قيل في النخل من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن الجلودى
عن محمد بن العباس عن أبيه عن الأصمعي للنمر بن تولب :

ضربن العرق في ينبوع^ه عين^ه طلبن^ه معينه^ه حتى ارتوينا^(١)
بنات الدهر لا يخشين^ه محلاً إذا لم تبق^ه سائمة^ه بقينا
كان^ه قروعه^ه بكل ريح عذارى^ه بالنوائب^ه ينتصينا^(٢)
وقد ملح النابغة في قوله :

صغار^ه النوى مكنوزة^ه ليس قشرها إذا طار^ه قشر^ه التمر^ه عنها بطائر
من الواردات الماء بالقاع تستقى بأعجازها قبل استقاء^ه الحناجر
وهذا أجود من الأول لأنه ذكر أنهم وردن الماء يعني الماء الذي في
بطن الأرض معنا . وقال النمر « طلبن معينه » فجعل الماء الذي في بطن الأرض
معيناً ، والمعين إنما هو الماء الجارى على وجه الأرض ظاهراً .

ومن أجود ما قيل في الطلع من الشعر القديم قول كعب بن الأشرف^(٣) :
ونخيل في تلاع^ه جمة^ه تخرج^ه الطلع^ه كأمثال^ه الكف
وقال الربيع بن أبي الحقيق :

أذلك أم غرس^ه من النخل مترع^ه بوادي القرى فيه^ه العيون^ه الرواجم^ه
لها سعف^ه جمد^ه وليف^ه كأنه^ه حواشي^ه برود^ه حاكهن^ه الصوانع^ه
وهذا في وصف الليف حسن . وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن الحرث بن
اسماعيل عن سهل بن محمد عن علي بن محمد عن أسلم الأزدي عن يونس عن الشعبي
قال كتب قيصر إلى عمر : إن رسل^ه أخبروني أن بأرضك شجرة كالرجل القائم تفلق

(١) في نسخة « حتى روينا » . (٢) أى يأخذ بعضها بنواصي بعض .

(٣) هو كعب الطائي الشاعر الشجاع الجاهلي كان ينادى من المسلمين

فقتله الأنصار .

عن مثل آذان الحمر ثم يصير مثل اللؤلؤ ثم يعود كالزمرد الأخضر ثم يصير كالياقوت
 الأحمر والأصفر ثم يرطب فيكون كأطيب فالوذ اتخذ ثم يجف فيكون
 عصمة للمقيم وزاداً للمسافر فان كان رسلي صدقوني فهي الشجرة التي نبتت على مريم
 بنت عمران . فكتب عمر اليه : إن رسلك صدقوك وهي شجرة مريم فاتق الله
 ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله .

وهذه تشبيهات مصيبة أخذها عبد الصمد بن المذل فقال يصف النخل :

| | | | |
|------------------|-------------|---------------|---------------|
| حدائق ملتفة | الجنان | رست نشاطي ترع | ريان |
| تمتار بالاعجاز | للأذقان | لا تهرب المحل | من الأزمان |
| ولا توفى | تخل الذوبان | ولا ترى ناشدة | الريان |
| ولا تخاف | عرة الاوطان | سحم الرؤوس | كمت الأبدان |
| لها يوم البازح | الحنان | مثل تناصي | الخررد الحسان |
| إذ هي أبدت زينة | الرهبان | لاحت بكافور | على إهان |
| بطلع منها | كيد الانسان | إذا بدت ملومة | البنان |
| علت بورس | أوبزعفران | حتى إذا شبه | بالآذان |
| من حمر الوحش | لذي عيان | وهذا لفظ زائد | على معناه : |
| شقه علبان | ماهران | من لؤلؤ صيغ | على قضبان |
| مصوغة من ذهب | خلصان | ثم ترى لل سبع | والثمان |
| قد حال مثل الشدر | في الجمان | يضحك عن مشتبه | الأقران |
| كأنه في باطن | الأفتان | زمرد لاح | على التيجان |
| حتى إذا تم له | شهران | وانسدلت | عشاكل القنوان |
| كأنها قضب | من العقيان | فصلن بالياقوت | والمرجان |
| من قاني | أحمر أرجوان | وفاقع | أصفر كالنيران |

مثل الأكاليل على الغواني

ولا أعرف في النخل من شعر المحدثين أجود من هذه الأرجوزة . وقلت :

ونخيل وقفن في معطف الرمسـل وقوف الحبشان في التيجان
شربت بالأعجاز حتى تروّت ورائت بزينة الرحان
طلع الطلع في الجماجم منها كأ كف خرجن من أردان
فتراها كأنها كُت الخيل توافت مُصرة الآذان
أهو الطلع أم سلاسل طاج مُحلت في سفائن العقيان
ثم حادت شبائها تباهي بأعلى شبائهم أقران
خرزات من الزبرجد خضر وهبتها السلوك للقضبان
ثم حال النجار واختلف الشكل فلاحت بجوهر ألوان
بين مُصفر فواقع تباهي في شماليها ومُحمر قواني
وقال بعض العرب * طلماً كآذان الكلاب البيض *

وقال ابن المعتز في الرطب :

كقطع العقيق يانعات بخالص التبر مُنوعات
وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن حريد قال أخبرنا السكن بن السعيد
قال أخبرنا محمد بن عباد قال تكلم صمصمة عند معاوية بكلام أحسن فيه فحسده
عمرو بن العاص فقال : هذا بالتمر أبصر منه بالكلام ، قال صمصمة : أجل أجوده
مادق نواه ورق سحاؤه وعظم لحؤه والريح تنفجه والشمس تنضجه والبرد
يدججه ولكنك يا ابن العاص لا تمرأ نصف ولا خير تعرف بل نحسد فتعرف^(١)
فقال معاوية رغباً فقال عمرو أضعاف الرغم لك وما بي إلا بعض ما بك .

ومن الغلو في صفة التمر ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأثير عن اسماعيل
ابن أسحق القاضي عن أبي نصر قال قال الأصمعي قيل للقاضي أي التمر أجود ؟
قال : الجرد الفطس الذي كأن نواه ألسن الطير تضع الواحدة في فمك فتجد

(١) أي تنذف .

حلاوتها في كعبك يعني الصبحاني . وقال الخباز البلدي :

ذري شجر للطير فيه تشاجر^١ كأن بنات الورد فيه جواهر
كأن القمارى والبلايل بينها قيان^٢ وأوراق الغصون ستائر
شربنا على ذاك الترنم قهوة^٣ كأن على أحداقها الدر^٤ دوائر

وقال غيره :

أى يوم لنا على التل^٥ بالما (١) وعيش تضيق^٦ عنه النعوت^٧
وردد^٨ الدر فيه في شجر اللو ز^٩ وفي الخلوخ ورد^{١٠} الياقوت
وقلت : ظل يسقى حدائقنا وجنانا^{١١} يالها من حدائق وجنان
خطرت بينها الرياح^{١٢} سحيرا^{١٣} فتناصت^{١٤} (٢) تناصى^{١٥} الأقران
وتناجى الغصون فيها سرارا^{١٦} وتنادى الطيور بالاعلان
فتناجى الغصون شبه عتاب^{١٧} وتنادى الطيور مثل أغاني
من كروم تمايلت بعناقيد^{١٨} كجعد الزنوج^{١٩} والخبشان
وملاحية تميل^{٢٠} أخرى كوجوه الخرائد^{٢١} الفران
كلآلى تشبث^{٢٢} بلآل^{٢٣} وبنان تشبكت بينان
فهى كالنجم في فروع كروم^{٢٤} وهى كالشمس في بطون الدنان
وقلت في البطيخ :

وجامعة لأصناف المعانى صلحن^{٢٥} لوقت إكثار^{٢٦} وقله
وإحداهن تبرز^{٢٧} في عباء^{٢٨} وأخراهن في حبر^{٢٩} وحله
ومنها ما تشبه^{٣٠} بدورا^{٣١} فان قطعتها رجعت أهله

وقلت : ولون واحد يلقى فيأتينا^{٣٢} بالوان
بسمران^{٣٣} وسودان^{٣٤} وحران^{٣٥} وصفران^{٣٦}
كوشى في يدى^{٣٧} واش^{٣٨} وشهد^{٣٩} في يدى جاني

(١) الماء : اسم لناحية. (٢) أي أخذت كل واحدة بناحية الأخرى.

فمن أدم ومن مُقلٍ وريحانٍ وأشنانٍ
وأُشدنا أبو أحمد في الكرم :

لهنَّ ظلٌّ باردٌ الودائق يحملنَ لذاً طعمه للذائق
كأنها غدائرُ العوائق تُنَاطُ في حُجيرٍ من المعالق
كأنها أناملُ الفرائق

وهو من قول الآخر : * يحملنها بأنامل النقران * وقلت في الألفاح :
انظر الى الألفاح تنظرُ معجباً يجلو عليك مُفضضاً في مذَّهب
يعلو مفارقة قلانسُ أخفيت من تخننٍ دراهم لم تضرب
وقلت في قصب السكر ولا أعرف فيه شيئاً لأحد :

ومشوقة القامات ييضُ نحرُها وخضر نواصيها وضفرُ جُسومها
لها حقبٌ لا تستطيعُ اطراحها وليس يطيقُ سلبها من يرومها
وهنَّ رِمَاحٌ لا تريقُ دَمَ العدى ولكن يراقُ في القدود صميمها
يميل على أعرافها عذباتها كحور تناصى هندها ورميمها^(١)
تناهى بها الإدراكُ حتى كأنها يُعلُّ بماء الزعفران أدِيمها
تري الريح بُغريها بنجوى خفية إذا ماجرى قصرَ العشي نسيمها
ومن جيد ما قيل في السدر والطلح قول بعضهم :

لم ترَ عَيْننا ناظرَ مَنْظراً أحسن من أفنانِ طلح مروح^(٢)
كأنها والريحُ تسمو بها ألويةٌ منشورةٌ للفتوح
وسِدرَةٌ مدت بأفنانها على سواقٍ كتونٍ البصيح
إلا أن قوله « للفتوح » فضلٌ لا يحتاج إليه لأن الألوية إذا نشرت للفتوح
مثلها إذا نُشرت لغير الفتوح فذكر الفتوح لغو .

وإنما أورد في هذا الكتاب مثل هذا الشعر لأن غيرى اختارها فأريد أن

(١) رميم : اسم امرأة كهنة . (٢) مروح : أى أصابته الريح .

أدُلُّ على موضع العيب فيه ليوقف عليه . ومن جيد ما قيل في النبق قول بعضهم :
 أنا في فحْياني بنبق كأنه حُلِيَّ عُرُوسِ زان ليتاً وأخذعا
 بأحرَ كالباقوتِ يَقْطُرُ ماؤُهُ وأصفرَ كالعقيانِ ضَمَّهما معا
 وقال آخر :

أقبلَ تحتَ الليلِ كالظبيِ الفَرْقِ بالراحِ والرَّيحانِ والمسكِ عِيقِ
 فجَادَ بالوصلِ وحيًا بالنبقِ وقلتُ نبقٌ هكذا وتنطق
 ما أخضرٌ عودٌ أبداً لا تفترق

وقلت في النبق :

| | | | |
|--------------|---------------|----------|---------------|
| جلى الربيعُ | علينا | كواعباً | أبكرا |
| مُتَوَجَّاتٌ | عقيقاً | مسورات | نهارا |
| ترى لمن | من الور | د شوخراً | وخمارا |
| أهدى لنا | جواهرات | تجبرُ | الابصارا |
| يا حسنَ | حمرٍ وُصْفَرٍ | تريك | جمرًا ونارا |
| قد راقَ | ذاك اجمراراً | وراعَ | ذاك اصفراراً |
| وخلتُ | هذا عقيقاً | وخلتُ | ذاك نُضاراً |
| وذاك | شهداً مشاراً | وذاك | راحاً عُقاراً |
| لو كان | يبقى سليماً | نظمتُه | تقصاراً (١) |

وقلت في الشمس ولا أعرفُ فيه لأحد شيئاً مرضياً :

جنيتها والصبيحُ وَرَدَى العَذَبُ بنادقاً مخروطةً من الذهب
 قد ضُمَّنتُ أمثالها من الخشبِ والتفُّ منها خشبٌ على غُرب
 وصار منه السَّمُّ حشواً للضربِ فهى لعمري عجبٌ من العجب
 الغُربُ الفضةُ ، والضربُ العسلُ . ولا أعرفُ في التين أجود من قول القائل :

(١) التقصار : القلادة تحيط بالنبق .

أهلاً بينِ جاءنا مُبتسماً على طبق
يحكى الصباحَ بعضُه وبعضُه يحكى الغسق
كُسُفٍ مضمومةٍ قد جُمِعت بلا حلق
وقال الحلبي في الفستق :

من الفُستقِ الشاميَّ كلُّ مصونةٍ
زبرجدة ملفوفة في حريرةٍ
تصانُ من الأحداثِ في بطنِ تابوت
مضمونةٍ ذُراً ممقشٍ يياقوت
وقلت في خيارة :

زبرجدةٌ فيها قراضةٌ فضّة
تلم بناطورين في كلِّ حَجّة
فان رجعت تيراً فقد خَسَّ أمرُها
فيكثر فينا خيرُها ثم شرُّها
فعند المصيفِ ليسَ يقدُّ نفعُها
وعند الخريفِ ليسَ يؤمِّنُ ضرُّها
وأما ذمُّ الدساتين فمن أجود ما قيل فيه قول ابن الرومي :

للهِ ما ضيعته من الشجرِ أطفال غرسٍ تُرقي وتُنظر
ومُعجباتٍ من بقولٍ وزهرِ مصفرةٍ قد هرمت لامن كبر
في بقعةٍ لا سقيت صوبَ المطرِ حاليقةٍ لنبتها حلقَ الشعرِ
ضميرها النارُ وان لم تستعرِ كلُّ امرئٍ غيري من هذا البشرِ
بستانه أنثي وبستانِي ذكر

ومما يجري مع هذا قول الاعرابي :

مُطِرنا فلما أن رويانا تهادرت
ورامت رجالٌ من رجالِ ظُلامةٍ
ونصّت ركابٌ للصبا فتروحت
بنى عمنا لا تمجّلوا نضبَ^(١) الثرى
شقا شق فيها رائبٌ وحليب
وعدت ذُحولٌ يئتنا وذُئوبُ
ألا ربما هاجَ الحبيبَ حبيبُ
قليلاً ويشقى المترفينَ طيبُ
وحنّت ركابُ الحى حين تنوب
ولو قد تولى النضبُ وامترت القرى

وصارَ غَبُوقُ الْخُودِ وَهِيَ كَرِيمَةٌ عَلَى أَهْلِهَا ذُو جِدَتَيْنِ مَشُوبٌ
وصارَ الَّذِي فِي أَنْفِهِ خُنْزُورَانَهُ يَنَادِي إِلَى هَادِي الرِّيحِ فِيجِيبُ
أُولَئِكَ أَيَّامُ تَبَيَّنٍ لِلْفَتَى أَكَابَ سَلِيبُ أَوَّاشٍ نَجِيبِ

﴿ الفصل الثالث من الباب السابع ﴾

في ذكر النسيم

من غريب ما قيل فيه قول ابن المعتز :

ونسيمٌ يُبَشِّرُ الْأَرْضَ بِالْقَطْرِ كَذِيلِ الْفَلَاةِ الْمَبْلُولِ
وَوُجُوهُ الْبِلَادِ تَنْتَظِرُ الْغَيْسَتَ اتِّظَارَ الْمَحَبِّ رَدَّ الزُّسُولِ

وقال ابن الرومي :

حَبَّتْ عَنَا شَمَالٌ طَافَ طَائِفُهَا بِجَنَّةٍ فَجَرَتْ رَوْحًا وَرِيحَانَا
هَبَّتْ سَحِيرًا فَتَنَاجَى الْغُصْنَ صَاحِبَهُ مِرًّا بِهَا وَتَنَادَى الطَّيْرُ إِعْلَانَا
وَرَقٌّ تَغْنَى عَلَى خُضْرٍ مُهْدَلَةٍ تَسُو بِهَا وَتَشُمُّ الْأَرْضَ أَحْيَانَا
تُخَالُ طَائِرُهَا نَشْوَانَ مِنْ طَرَبٍ وَالْغُصْنُ مِنْ هَزِهِ عَطْفِيهِ نَشْوَانَا

وقال ابن المعتز :

يَشْقُ رِيَاضًا قَدْ تَبَقَّظَ نَوْرُهَا وَبَلَّلَهَا دَمْعٌ مِنَ الْمَزْنِ ذَارِفٌ
كَأَنَّ عِيَابَ الْمَسْكِ بَيْنَ بَقَاعِهَا يَفْتَحُهَا أَيْدَى الرِّيحِ الضَّعَائِفِ
وَقُلْتُ : وَالصَّبَا يَجْلِبُ الْغَمَامَ إِلَيْنَا قَتَرَى الْقَطَرَ لِلرِّيَاضِ تَدِيمَا
وَتَرَى لِلْغُصُونِ فِيهَا نَجِيًّا وَعَلَى زَهْرَةِ الرِّيَاضِ نَمِيًّا

وقال ابن الرومي :

كَأَنَّ تَسِيمَهَا أَرْجُ الْخُزَامِيِّ وَلَاهَا بَعْدَ وَصْمِيٍّ وَلِيٍّ (١)

(١) الولي المطري يأتي بعد الأول وهو الوصمي .

هدية شمال هبت بلبيل لأفتان العُصون بهايجي
إذا أنفاسها نسمت سُحيراً تنفس كالشجي لها الخلي

وقال ابن المعتز:

وماريج قاع عازب طله الندى وروض من الريحان درت سحائبه
فجاءت سُحيراً بين يوم وليلة كما جرّ في ذيل الغلالة ساجبه
وقد أحسن التشبيه أيضاً في قوله:

ومهمه كرداء الوشي مُشْتَبِه فنذته والدجى والصبح خيطان
والريح تجذب أطراف الرداء كما أفضى الشفيق إلى تنبيه وسان
وقلت:

وأقبل نشر الروض في نفس الصبا فبات به ثوب الهواء مُكفراً (١)
ومما لم يحج في معناه مثله قول بشار: أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا
المكتفي بالله يوماً أنه كان نائماً فسمع دق باب فانتبه له مرتاعاً ثم سكن قليلاً ثم
عاد فنظر فإذا الريح تحرك الباب حركة كأنها دق بيد، قال فقلت له قد ذكر
الشاعر ذلك وما هو فأنشدته لبشار:

طرقني صبا فحركت الباب ب هـدوءاً فارنعت منه ارتياها
فكأنني ممعت حس حبيب نقر الباب نقرة ثم هاها
قال ما كنت أظن أنه قيل في هذا شيء، وما أقل ما يجري مما لم يذكره الناس.
وقال ابن الرومي وأحسن:

لولا فواكه أيلول إذا اجتمعت من كل نوع ورق الجو والماء
إذا لما حفلت نفسي متى اشتملت عليه هائلة الحالين غبراء
يا حبذا ليل أيلول إذا بردت فيه مناجمنا والريح سجواء
وجش القر في الجلد وأنلفت من الضجيعين أحشاء وأحشاء

وأسفر القمر السارى فصَفَحَتْهُ رِيَالُهَا مِنْ صَفَاءِ الْجَوِّ لَا أُلَاءِ
 يَاجِبِذَا نَفْحَةٌ مِنْ رِيحِهِ سَحَرَاءُ يَأْتِيكَ فِيهَا مِنَ الرِّيحَانِ أَنْبَاءُ
 قَلَّ فِيهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَهْرِ تَعَهَّدُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَدُ اللَّهِ يَبْضَاءُ
 وَقُلْتُ : وَلَهُ مَجْنَحُ الْأُصِيلِ نَسِيمُ لَيْلِنُ الْعُطْفِ هَيْنَ الْخَطَرَانِ
 أَرْجُ يَقْتَدِي بِهِ نَفْسُ الْمَسْكِ وَتَحْكِيهِ نَكْمَةُ الزَّعْفَرَانِ
 كَمْ غَدَا مُدْنَفًا وَرَاحَ حَسِيرًا يَتَهَادَى فِي دَجَلَةِ الْمَسْرِ قَانِ
 فَرَأَيْنَا لَهُ لِبُوسَ شَجَاعٍ وَوَجَدْنَا بِهَا ارْتِعَاشَ جَبَانِ
 وَإِلَى هَذَا انْتَهَى بِنَا الْقَوْلُ فِي هَذَا الْبَابِ وَلَوْ أَرَدْنَا اسْتِقْصَاءَهُ أَضْجَرْنَا وَأَمْلَلْنَا وَلَمْ
 نَأْتِ عَلَى مَا فِي نَفْسِنَا مِنْهُ ، وَالْاِقْتِصَارُ عَلَى الْمَشَاهِيرِ ^(١) وَالْأَعْيَانِ مِنْهُ أَوْلَى بِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .
 انْقَضَى الْبَابُ السَّابِعُ مِنْ كِتَابِ دِيْوَانِ الْمُعَانِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَصَلَوَاتُهُ عَلَى
 سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كَلِمَا ذَكَرَهُ الْذَاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ
 وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَمَعَ الضَّلَالَةَ وَدَمَغَ الْجَهَالََةَ وَقَذَفَ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَأَزْهَقَهُ
 وَأَزَالَهُ مِنْهُ حَتَّى أَوْبَقَهُ بِمَا أَقَامَ مِنَ الدَّلَائِلِ الْوَاضِحَةِ وَبَيَّنَ مِنَ الشَّوَاهِدِ اللَّائِحَةِ
 وَجَعَلَ خَلْقَهُ حُدُودًا حَذَرَهُمْ تَعْدِيهَا وَخَوَّفَهُمْ تَخْطِئُهَا بِالْقَوْلِ الصَّادِقِ وَالْبَيَانِ الصَّادِعِ
 إِعْذَارًا وَتَحْذِيرًا وَحُجَّةً وَتَنْبِيْهَا فَمَنْ لَمْ يُقْنَعْهُ مَا سَبَقَ مِنْ صَدَقِ قَوْلِهِ وَحُتِمَ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ
 حُكْمَ فِيهِ السَّيْفُ وَسُلْطَ عَلَيْهِ السُّوْطُ لِيُرْدَّاهُ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ بَعْدَ أَنْ يَجْعَلَهُ نِكَالًا
 لِلْخَلْقِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ . وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ .

(١) يرى بعضهم عدم جواز جمع (مشهور) على (مشاهير) بل مشهورين .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفات الحرب والسلاح والطعن والضرب وما يجري مع ذلك ، وهو :

﴿ الباب الثامن من كتاب ديوان المعاني ﴾

قالوا أبلغ ما قيل في صفة الحرب قول الأول :

كَأَنَّ الْأُفُقَ مُحْفُوفٌ بِنَارٍ وَتَحْتَ النَّارِ آسَادٌ تَزِيرُ
وقريب منه قول مُحدث^(١) :

وَيَوْمَ كَأَنَّ الْمِصْطَلِينَ بِحَرِّهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ جَرٌّ وَقُوفٌ عَلَى جَرٍّ
صَبَرْنَا لَهُ حَتَّى تَجْلَى وَإِنَّمَا مُنْفَرِّجُ أَيَّامِ الْكَرْهَةِ بِالصَّبْرِ

ومن بليغ ما قيل في شدة الروع قول زيد الخيل :

وَالْخَيْلُ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ فَارِسَهَا يَوْمَ الْأَكْسِ بِهِ مِنْ تَجْدَةِ رَوْقٍ
وقول المفضل الكندي :

فَدَاءُ خَالَتِي لِبْنِي حَبِيٍّ خُصُوصًا يَوْمَ كَسُ الْقُرْمِ رَوْقُ
معناه ان الأكس وهو القصير الأسنان قد كلح من كراهة الحال وشدة
الروع حتى تراه كأنه أروق وهو الطويل الأسنان ، أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَأَجَادَهُ
في قوله * فخيّل من شدة التعيس مبتسماً * على أنه ليس فيه مدح لأن
الكلوح في الحرب لا يدل على الشجاعة . ومما يدخل في هذا الباب وليس منه
قول أبي فراس بن حمدان في خيل طاردت يوم تلج :

وَيَوْمَ كَأَنَّ الْأَرْضَ شَابَتْ لَهْوَلِهِ قَطَعَتْ بِخَيْلٍ حَشَوُ فَرَسَانِهَا الصَّبْرُ

(١) هذا البيت لنهشل بن حري التميمي فهو ليس لمحدث وقد خضر حرب

صنين ، ولعله أراد بمحدث أنه ليس بجاهل - كما في هامش الأصل .

تسيرُ على مثلِ الملاءِ منشراً وآثارها طرزٌ وأطرافها حُرٌّ
أجود ما قيل في اصطاف الخيل قول الأسعر :

وكتيبة لبستها بكتيبة حتى تقول نساؤهم هذا الفنى
يخرجن من خلل الغبار عوايساً كأنامل المقرور اقصى فاصطلى
يتخالسون نقوسهم برماخهم فبمثلهم بآهى المباهى واتسمى
ومن أجود ما قيل في انصباب الخيل في الغارة قول ضمرة بن ضمرة :
والخيل من خلل الغبار خوارج كالتمر ينثر من جراب الجريم^(١)
وقال آخر :

وربت غارة أوضعت فيها كسح الخزرجى جريم تمر
وقد أحسن الاعرابي في قوله :

مُقاذفُ بالغاراتِ عبساً وطيثاً وقد هربت منا تميمٌ ومذحجٌ
بغزو كولغ الذئبِ غادٍ ورائح وكسر كصدع السيف لا يتعرج
وقال أبو فراس :

وسمر أعاد يلمع البيض بينهم ويبيض أعاد في أكفهم السر
وخيل يلوح الخير بين عيونها ونصل إذا ما شمتته نزل النصر
وقوم متى ما ألقهم روى القنا وأرض متى ما أغزها سبع النسر
ومن أبلغ ما قيل في اعمال السيف قول عمرو بن كلثوم :

كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق^(٢) بأيدي لاعبيننا

وقول قيس بن الخطيم « كأن يدي بالسيف مخراق لاعب »

ومن أحسن ما قيل في الضرب قول الحماني :

وإنا لتصبح أسياقنا إذا ما انتضين ليوم سفوك
منابرهن بطون الكف وأغادهن رؤوس الملوك

(١) جمع جارم الذي يجنى التمر. (٢) المخراق خرقه يلويها الصبيان ويديرونها بسرعة.

أخذه من قول سعيد بن ناشب :

فان أسيافنا ييض^ه مُهند^ه عتق^ه وآثارها في هامكم جدد^ه
وإن هويتم سللناها فما غمدت إلأوهام^ه بنى بكر لها غمد^ه
وقال مسلم * ونعمد السيف بين النحر والجيد * وقال أيضاً :

لو ان قوماً يخلقون منية^ه من بأسهم كانوا بنى جبريلا^ه
قوم^ه إذا احمر^ه الهجير من الوغى جعلوا الجاجم^ه للسيوف مقيلا^ه
وقال حسان : ويثرب^ه تعلم^ه أنا بها أسود تنفض^ه ألبادها
إذا ما غضبنا بأسيافنا جعلنا الجاجم^ه أغنادها

وأحسن ما قيل في الضربة الدامية قول ابن المعتز :

شق^ه الصفوف بسيفه^ه وشق^ه حرازات^ه الأحن^ه
دامي الجراح كأنه ورد^ه تفتح في فن^ه

ومن عجيب ما قيل في كثرة الطعن يقع في الجسد قول بعضهم :

قلولاً الله^ه والمهر^ه المفدى^ه لرحمت وأنت غربال^ه الأهاب

وقال قيس بن الخطيم في سبعة الطعنة :

طعنت^ه ابن عبد القيس طعنة^ه نائر لها نفذ^ه لولا الشعاع^ه أضاءها
ملك^ه بها كفى فأنهرت^ه فتفها يرى قائم^ه من دونها ما وراءها

ومن أبلغ ما قيل في مضاء السيف قول النمر بن تولب :

أبقى الحوادث^ه والأيام^ه من نمر^ه أسباد^ه سيف^ه قديم اثره^ه بادي
تظل^ه تحفر^ه عنه^ه ان ضربت به بعد^ه الذراعين^ه والساقين^ه والهادي

وهذا من الإفراط والغلو وهو عند بعضهم مذموم إذا كان في هذا الحد وعند
آخرين ممدوح ، يقول إذا ضربت به قطع المضروب وتجاوزته حتى غاص في
الأرض فاحتجبت أن تحفر عنه فتستخرجه . ودون ذلك في الغلو قول النابغة :

يطيرُ فُضاضاً بينهم كلُّ قَوَسٍ ^(١) ويتبعها منهم فراشُ الحوارج
تَقْدُ السَّلَوقُ المضاعفَ نسجه ^(٢) وتوقد بالصُّفَّاح نارَ الجباح ^(٣)
يقول انها تقدُّ الدرعَ التي مُضوعف نسجها والفارس حتى تبلغ الأرض فتقذح
النار بالصُّفَّاح وهي حجارة . ومن بليغ ما قيل في صفة السيف قول ابن
يامين قال محمد بن داود بن الجراح عن أبي هذان عن الأياسي القاضي عن الهيثم بن
عدي قال لما صار سيف عمرو بن معدى كرب الذي يُسمى الصمصامة إلى الهادي
وكان عمرو وهبه لسفيد بن العاص فتوارثه ولده إلى أن مات المهدي فاشتراه موسى
الهادي منهم بمال جليل وكان موسى من أوسع بني العباس مُخلقاً وأكثرم عطاءً
للمال قال فجرّده ووضع بين يديه وأذن للشعراء فدخلوا ودما بمكثل فيه دنانير
فقال قولوا في هذا السيف فبدرهم ابن يامين فقال :

حازَ صمصامةَ الزُّيْدِيُّ من يمينِ جميعِ الأتامِ موسى الأُمِينُ
سيفُ عمروٍ وكانَ فيما مَعْنَا خيراً ما أغمدت عليه الجفون
أوقدت فوقهُ الصواعقُ ناراً ثم شابت به الزُّطافُ القيون
فاذا ما هزّزته ^(٤) بهرَ الشمسَ ضياءً فلم تكن تستبين
يستطيرُ الأبصارُ كالقَبسِ المشعلِ ما تستقرُّ فيه العيون
وكانَ الفرندَ والجوهرَ الجا رى في صفحته ماءً معينُ
نعمَ مخراقُ ذي الحفيظة في الهيبة بضائتها ونعمَ القرينُ
ما يبالي إذا انتضاهُ لضربِ أشمالٍ سطت به أم يمين
وكانَ المنونَ فيطت اليه فهو من كلِّ جانبيه مَنون
أخذَ عليه من هذه الأبيات تشبيهه السيف بالشمس ثم بالقبس لأنه قد حطه
درجات ، فقال موسى أصبت ما في نفسي واستخفه الفرح فأمر له بالملكثل والسيف

(١) فُضاضاً متفرقا : والف. نس أعلى الرأس . (٢) السالوق : درع منسوب

لبدة سالوق ، والجاحب ما اقتدح من شرر النار . (٣) في نسخة « سلته » .

فلما خرج قال للشعراء : إنما حرمت لأجلي فدونكم المكنل ولي في هذا
السيف غنى ، قال ققام موسى فاشتري السيف منه بمال جزيل .

وذكر الهيثم بن عدي هبة عمر بن معدى كرب^(١) الصمصامة لسعيد بن العاص
فقال قال سعيد بن العاص وهو بالسكوفة لعمر بن معدى كرب هبلى الصمصامة
فانك قد ضُفْتُ عن حمله وكن وزنه سِتَّةَ أَرْطَالٍ فقال عمرو ما ضُفْتُ قَنَاتِي
ولا جناني ولا لسانِي وان اخلَّ جُنَاتِي وهو لك على انه اوحش من لا يؤنسه
وأظلم من لا يقبسه^(٢) ثم قال :

خليلٌ لم أهبهُ من قِلاهٍ ولكن المواهبَ في الكرام
خليلٌ لم أخنه ولم يخُنِّي على الصمصام أضفاف السلام

قوله « أوحش من لا يؤنسه وأظلم من لا يقبسه » يقول اذا كنت أستوحش
من جانب العدو آنستى واذا أظلم لى الليل اضاء لى . وقال البحرى :

مُصْنَعٌ إِلَى مُحْكَمِ الرَّدَى فَإِذَا مَضَى لَمْ يَلْتَفِتْ وَإِذَا قَضَى لَمْ يَعْدِلْ
مَتَوَقِّدٌ يَسْبِرُ بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ مَا دَرَكْتُ وَلَوْ أَنَّهَا فِي بَذَلٍ
فَإِذَا أَصَابَ فَكُلُّ شَيْءٍ مَقْتَلٌ وَإِذَا أَصِيبَ فَسَالَهُ مِنْ مَقْتَلٍ
يَغْشَى الْوَغَى فَالْتَرَسُ لَيْسَ بِجَنَّةٍ مِنْ حَدِّهِ وَالْدِرْعُ لَيْسَ بِمَعْقِلٍ

وذكر عمرو بن معدى كرب أنواع السلاح فأجاد : أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا
أبو عبد الله بن عرفة قال أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال حدثني رجل
من ولد أبي سريحة الغفاري قال قدم عمرو بن معدى كرب على عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فسأله عن سعد بن أبي وقاص فقال عمرو اعرابي في نمرته طاق في
حجلته أسد في تامورته نبطي في جبايته . فقال كيف علمك بالسلاح ؟ فقال
بصير قال فأخبرني عن النبل قال منايا تخظى وتصيب قال فأخبرني عن الرمح

(١) كذا، ولعل صواب رصمها « معدى كرب » . (٢) لعل المعنى أن من لم يؤنسه

هذا السيف أصابته الوحشة ومن لم يقبسه عمته الظلمة . كما في هامش الأصل .

قال أخوك وربما خانك قال فأخبرني عن الترس قال هو المجنُّ وعليه تدور الدوائر
قال فأخبرني عن السيف قال عنده قارعت أمك الثكلي قال بل أمك والحمى أضرعتني
لك . ألمرة كساء أسود تلبسه الاعراب ، والعاتق الجارية الكعاب وصفه بالحياء
والتامورة ههنا الاجة ، فقال نبطي في جبايته وصفه بالاستقصاء في جباية الخراج ،
وقوله الحمى أضرعتني لك أي الاسلام قيدني لك وأذلتني ولو كنت في الجاهلية
ما كلمتني بهذا الكلام ، وهو مثل العرب تضربه عند الشيء بضطرها الى الخضوع .
ومثل ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن دُرَيْد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة
قال قال الاغرُّ النهشلي ووقع بينه وبين قومه شرٌّ فأرسل ابنه وقال يا بُنَيَّ كن
يداً لأصحابك على قتالهم وإياك والسيف فانه ظلُّ الموت وأتق الرمح فانه رشاً
المنية ولا تقرب السهام فانها رُسُلٌ تعصي وتطيع قال فبم أقاتل ؟ قال بما قال الشاعر :
جلاميدُ املاء الاكُفُّ كأنها رؤوسُ رجالٍ حلَّقت في المواسم
فعليك بها فالصقها بالاعتقاب والسوق .

وقد أحسن التنوخي في صفة الحرب حيث يقول :
في موقف وقفَ الحمامُ ولم يَزِغْ عن ساحته وزاغت الابصارُ
فَقَنَّا يسيلُ من الدماء على قنا بطوالهنَّ تُقَصِّرُ الاعمارُ
ورؤوسُ أبطالٍ تطايرُ بالنظي فكانها تحت الغبار غبارُ
وقد أجاد ابن المعتز في هذا المعنى حيث يقول :

قومٌ اذا غضبوا على أعدائهم جَرُّوا الحديدَ أزجةً ودُروما
وكانَ أيديهم تُنْقَرُ عنهم طيراً على الأبدانِ كُنَّ وقوما
وقال أيضاً :

بطعنَ تضيغُ الكفُّ في لهواته وضربٍ كماشقُ الرداءِ المرعبل
وقال أيضاً :

قَرَيْنَا بعضهم طعنًا وجيعًا وضربًا مثلَ أفواهِ اللقاح

وقال البحتري وأحسن في ذلك :

ألوى إذا طمن المدجج صكه^١ ليديه أونسثر القناة كعوبا
فأنا النذير لمن تغطرس أوطنى من مارن يدع النحور جيويا
وقد ظرف في قوله أيضاً :

ولولم يحاجز لؤلؤ^٢ بفراره لكان لصدر الرمح في لؤلؤ ثقب
ومن المختار قول مالك بن نويرة :

بُسْمِر كاشطان^(١) الجزور نواهل يجور بها ذو المنايا ويهتدى
يقعن ممّا فيهم بأبدى كاتنا كأن المنايا للرماح بموعدا

ومن أبلغ ما قيل في صفة الضرب والطعن من قديم الشعر قول عبد مناف بن ربيع :
قالطمن^٢ شعشة^٣ والضرب^٤ هيقة ضرب المَعَوَّل تحت الديمة العضدا
وللقسى^٥ أزاميل^٦ وغنمة^٧ حسّ الجنوب تسوى الماء والبردا
الهيقة : وقع الشيء الصلب على مثله سمعت هيقة الحجر والحديد ، وشبه
أصوات القسى بصوت السحاب الذى فيه برد ، والمعول الذى يتخذ العالة وهو
أن يعمد الراعى إذا خاف المطر إلى الشجر يتعضده ويجعل عضده على شجرتين
متقاربتين ويستكن تحته ، والعضد ما يعضد من الشجر أى يقطع والعضد المصدر .

ومن أجود ما قيل في نفوذ التدبير في الحرب مع الغيبة عنها قول ابن الرومي في صاعد :

يَظَلُّ من الحرب العوان بمزل وآثاره فيها وإن غاب شُهد^٨
كما احتجب المقدار والحكم حكمة^٩ على الناس طراً ليس عنه مَعَرَد^(٢)
أخذه من قول بشار بن برد :

الدهرُ طلاع^{١٠} بأحدائه ورُسله^{١١} فيها المقادير
محجوبة تُنفذ أحكامها ليس لنا عن ذاك تأخير^{١٢}
وقال : حصرت عميد الزنج حتى تخاذلت قواه وأودى زاده المتزود^{١٣}

(١) جمع شطن وهو الجبل . (٢) أى مهرب .

وكانت نواحيه كثافاً فلم تزل
تُفرقُ عنه بالكايد جندَه
تجيفُها حتى كأنك مبرد
وتزدارهم جنداً وجيشك محصد^(١)
سكنت سكوتاً كان رهناً بوثة
عماس كذاك الليث للوثب يلبد
فما رمته حتى استقل برأسه
مكان قناة الظهر أسمر أجرد
مناك له مقدارُه فكأنما
تقوض شعلان عليه وصندد

فقال صندد بفتح حرف الردف وهو خطأ وليس في العربية فعلل إلا درهم
وهجرع وهو الطويل الأحمق، وهبلع وهو الكثير البلع، وقلم وهو الكثير
القلع للأشياء، وكانت بني قصيدته على فتح الردف ولم يلزمه ذلك وكابر على
فتح صندد ورمدد وهما مكسوران فزعم محمد بن حبيب أنه رواهما بالفتح، وكابر
أيضاً على فتح الراء من «درم» في قصيدته التي أولها :

* أفيضاً دماً أن الرزايا لها قيم * وإنما هو «درم» .

وأحسن ما قيل في الكيد والحرب قول أبي تمام :

هزرت له سيفاً من الكيد أنا تجذ به الاعناق مالم يجرد

يسر الذي يسطو به وهو منغمد ويفضح من يسطو به غير منغمد

يقول أن أخفيت الكيد ظفرت وسررت وأن أظهرته افتضحت وخبت .

وقد أحسن في وصف الرماح حيث يقول :

أنهيت أرواحه الأرماع إذ شرعت فما تُردُّ لرب الموت عنه يد

كأنها وهي في الأرواح والغة وفي الكلى تجد الغيط الذي يجد

من كل أزرق نظار بلا نظير إلى المقاتل مافي منه أود

كأنه كان خدن الحب منذ زمن فليس يُعجزه قلب ولا كبد

ويشبهه يياض السيف بالملح فمن أجود ما قيل فيه قول النمرى :

ذكر يروقه الدماء كأنها يملو الرجال بأرجوان فاقع

وترى مضارب شفرته كأنها ملح تنثر من وراء الدارع
ويشبه الفرند بمدب الدر فمن قديم ما قيل فيه قول امرئ القيس :
متوسداً غضباً مضارباً في متنه كدبة النمل

وقول أوس بن حجر :

وذو شطبات قدّه ابن مجدّع وأشبرنيه الهالكى كأنه
وأخرج منه القين أثراً كأنه وقال ابن المعتز وأبدع :

وجرد من اغماره كل مرهف ترى فوق متنيه الفرند كأنما
وقال اسحق بن خلف :

ألقى بجانب خصره وكأنا ذرّ الهبا

وقال قيس بن الخطيم :

أجالدّم يوم الحديقة حامراً بسيف كأن الماء في صفحاته
أخذه ابن المعتز فقال :

ولي صارم فيه المنايا كوامن ترى فوق متنيه الفرند كأنه

وقد أجاد ابن الرومي في قوله :

خير ما استعصمت به الكف غضب ماناً ملته بعينك إلا
مثله أفزع الشجاع الى الدر ذكر متنه أنيث ألمهز
أبرقت صفحاته من غير هز ع فغالي به على كل بر

(٨ - ثاني المعاني)

ما أبالي أصبغت شفرتاهُ في محزٍ أوجازتا عن محزٍ
 وقال آخر : جرّدوها فألبسوها المنايا عوضاً عوضت من الاغمارِ
 وكأنّ الآجالَ ممن أرادوا ومُطابها كانت على ميعادِ
 وقلت : تميلُ كفى من سيفٍ الى قلمٍ والعزُّ نصفانِ بينَ السيفِ والقلمِ
 وقال ابن المعتز :

وسيوفٍ كأنها حينُ سُلتِ ورق هزّه سُقوط قطارِ
 ودروعٍ كأنها تَمَطَّ جَمَدٌ دهنٌ يضلُّ فيه المدايرِ
 وقال ابن الأعرابي أحسن ما قيل في صفة الرماح :
 وبكلِّ عَرَّاصٍ المِهْزَةُ مارٍ فيه سنانٌ مثلُ ضوءِ الفرقِ
 أحسن ما قيل في صفة الرماح قول المزد :

أصم إذا ما هُزَّ مالت سراته كما مال ثعبانُ الرمالِ الموائِلِ
 له رائدٌ ماضٍ الغرارِ كأنه هلالٌ بدا في ظلمةِ الليلِ ناحِلِ
 وقال الأصمعي أحسن ما قيل في صفة الرمح قول أبي زيد :

وأصمّ مربعٌ يرى مأريته بصيرٌ إذا صوّبته للمقاتلِ

وقال ابن الأعرابي أحسن ما قيل في ذلك قول مسكين :

بكلِّ رُدِّيٍّ كأنَّ كعوبه قطانسق يستورد الماءَ صائفِ

كأن هلالاً لآح فوق سراته جلا الغيم عنه والقنم الحراجف^(١)

وأحسن ما قيل في سرعة وقع الرماح وتداركه قول دريد بن الصمة :

نظرتُ إليه والرماحُ تنوشهُ كوقع الصياصي في النسيج الممددِ

الصيصية الشوك الذي يسوى به الحائك الثوب ، والصيصية أيضاً الحصن

ويقال للناشر من ساق الديك الصيصية أيضاً . وقد أحسن البحتري في قوله :

في معركِ ضنكٍ تخالُّ به القنا بين الضلوع إذا انحنين ضلوما

(١) الحراجف : فاعل جلا وهي الرياح الشديدة :

وأجود ما قيل في إدمان حمل الرمح قول الآخر :
 وقد طال حمل الرمح حتى كأنه على فرسى عُصْنٌ من البان نابتُ
 بطول لسانى في المشيرة مُصلحاً على أنه يوم الكريهة ساكتُ
 والسكوت في الحرب دليل على سكوت الجأش ، وكثرة الصوت فيها أماره
 الفزع ، وقد قيل * وكثرة الصوت والايعاد من فشل * وقلتُ في الرمح :
 يغدو بصدق الكعوب لَدُن يهتَزُّ ما بين كوكبينِ
 أغنى الزج والسنان . وقال البحتري :

كأما الحربة في كفه نجمٌ دجى شيعهُ البدرُ
 وقد شبهت العرب الرماح بالأشطان والاسنة بالشهبان فتركنا ذكر ذلك
 لشهرته واستفاضته . أجود ما قيل في القوس من قديم الشعر قول أوس بن
 حجر^(١) وهو أوصف العرب للسلح :

فجردها صفراء لا الطول طابها ولا قصرٌ أرزى بها فتعطلا
 كتوم طلاع الكف لا دون ملها ولا عجسها عن موضع الكف أفضلا
 وحشو جفير^(٢) من فروع غرائب تنطع فيها صانعٌ وتأملا
 تخيرن أنضاءً وركبن أنصلا كجمر الغضا في يوم ربيع تزيلا
 وقال الشماخ في صوت القوس :

إذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنمٌ تمكلى أوجعتها الجنائز
 وقال آخر : وهي إذا أنبضت عنها تسجع ترنم الشكلى أبت لا تهجم
 وقال آخر : نسمع عند التزع والتوتير في سيتها رنة الطنبور
 وقال الأصمعي : أحسن كلام في الإيجاز قول عكلى في صفة قوس :

* في كفه معطيةٌ ممنوع * ومن أحسن ما قاله محدث في القوس قول ابن المعتز بالله :

(١) هو الشاعر التميمي المشهور ، عمر طويلاً ولم يترك الإسلام .

(٢) أى ورب حشو الخ ، وحشو الجفير هو السهام ، والجفير الكنانة .

أُتِيحَ لَهَا هَفَانٌ يُخْطَمُ قَوْسُهُ ^(١) بِأَصْفَرِ حَنَانِ الْقَرْيِ ^(٢) غَيْرَ أَعْزَلَا
فَأَوْدَعَهُ سَهْمًا كِيدَرِي مَوَاشِطَ بَعْنٍ بِهِ فِي مَفَرِّقٍ فَتَغْلَغَلَا
بَطِيئًا إِذَا أَسْرَعْتَ إِطْلَاقَ فَوْقِهِ وَلَكِنْ إِذَا أَبْطَأْتَ فِي النَّزْعِ عَجَلَا
وَأَجُودَ مَا شُبِّهَ بِهِ أَفْوَاقُ السَّهَامِ قَوْلَ الْآخِرِ :

أَفْوَاقُهَا حَشْوُ الْجَفِيرِ كَأَنَّهَا أَفْوَاهُ أَفْرِخَةٍ مِنَ النَّغْرَانِ

وَالنَّغْرَانِ جَمْعُ نَغْرَةٍ وَهِيَ عَصْفُورَةٌ . وَقَالَ الْفَنْدُ الزَّمَانِي ^(٣) :

* وَبَلَى وَقَفَاها كَعَرَاقِيبٍ قَطَا طَحَل * أَخَذَهُ عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ فَقَالَ ^(٤) :

وَحَطَّ عَنْ مَنْكِبِهِ شَرِيَانَةً مِمَّا ابْصَطَنِي بَارِي الْقَسِيِّ وَاتَّقَى

أُمَّ بَنَاتٍ عَدَّهَا صَانِعُهَا سَتِينَ فِي كِنَانَةٍ مِمَّا يَرَى

ذَاتَ دُؤُوسٍ كَالْمَصَايِجِ لَهَا أَسَافِلُ مِثْلَ عَرَاقِيبِ الْقَطَا

إِنْ حُرِّكَتْ حَنْتَ إِلَى أَوْلَادِهَا كَحَنَةِ الْوَالِهِ مِنْ فَقْدِ الْطَلَا ^(٥)

حَتَّى إِذَا مَا قُرْنَتْ يَبْعُضُهَا لَانَتْ وَمَالَ طَرْفَاها وَانْثَنَى

وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي قَوْسٍ بَنَدَقٍ ^(٦) :

كَأَنَّ قَرَاها وَالغُرُورَ ^(٧) الَّتِي بِهَا وَإِنْ لَمْ تَجِدْهَا الْعَيْنُ إِلَّا تَبْتُعُهَا

مَذَرْتُ سَحِيقَ الْمَسْكِ فَوْقَ صَلَايَةِ أَدَبٍ عَلَيْهَا دَارِجُ الدَّرِّ أَوْ كَرُهَا

لَهَا أَوَّلُ طَوْعِ الْيَدَيْنِ وَآخِرَتُهُ إِذَا مُسِمَّتُهُ الْإِغْرَاقَ فِيهِ تَمْنَعُهَا

تَطْوَعُ لِرَامِيهَا الرَّمَايَا كَأَنَّهَا دَعَاها لَهُ دَاعِي الْمَنَايَا فَأَسْمَعُهَا

يُقَلِّبُ نَحْوَ الْجَوْعِ عَيْنًا بِصِيرَةٍ كَمِنْكَ بَلْ أَذْكَاءَ وَأَسْرَعُهَا

(١) جَمْعُ الْإِثْرِ بِمَنْزِلَةِ الْخَطَامِ . (٢) الْقَرْيُ : الظَّهْر . (٣) الْفَنْدُ الزَّمَانِي :

أَسْمُهُ شَهْلُ بْنُ شَيْبَانَ ، وَهُوَ الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ ، كَانَ سَيِّدَ بَكْرٍ وَقَائِدُهَا فِي زَمَانِهِ .

(٤) مِنْ أَمْرَاءِ الْعَرَبِ الْأَبْطَالِ . (٥) هُوَ الصَّغِيرُ مِنْ أَوْلَادِ الْحَيَوَانِ .

(٦) كُرَّةٌ صَغِيرَةٌ يَقْدِفُونَ بِهَا . (٧) الْغُرُورُ : الْغَضَبُ

لها عولة أولى بها من تصيبه وأجدر بالأحوال من كان موجعا
وهذا مثل قوله في امرأة :
تشكى المحب وتلفى الدهر شاكية كالقوس نصى الرمايا وهي مرنان
وقال المتنبي في سداد الرمي :
يُصيبُ ببعضها أفواقَ بعض فلو لا الكسرُ لا تصلت قضيبا
وقال الراجز في ضد ذلك :
مستهتر بالرمي وإه عاضده بطيعة القلب وتعصيه يده
أحصن شيء يوم يرمي طرده كأنه فزاده أو كبده
وقال ابن الرومي في سهام :
وكل ابن ريح يسبق الطرف معبه مروق ومنزوع لدى حومة الجذب
صنيع مريش قوم القين منه فجاء كما بيل النخاع من الصلب
يفلغله في الدرع نصل كأنه لسان مشجاع مخرج هم بالسلب
وقال ابن المعتز في قوس البندق :
وماء به الطير مربوطة تحاكي الحلي بأطواقها
غدونا عليه وشمس النهار لم تكه ثوب إشراقها
فظلنا وظلت عيون القسي ترمى الطيور بأحداقها
وقد أحسن القائل في صفة الرماح على العواتق :
ترى غابة الخطى فوق رؤوسهم كما أشرفت فوق الصوار (١) قرونها
ومما يجرى مع ذلك قول أبي فراس بن حمدان :
وما الذنب إلا العريكة الفتى وما ذنبه أن جاوزته المطالب
ومن كل غير السيف كافل رزقه فلذل منه لا محالة جانب
وما جاء عن أهل الجاهلية في النشاب شيء إلا قول سيف بن

(١) الصوار : جماعة بقر الوحش .

ذی یزن ید کر القوس :

هَزُوا بناتِ الرياحِ نحوهمُ أعوجُها طامحٌ وزمزمها
كانها بالفضاءِ أرشيّةٌ يخفُّ متقوضها ومبرمها
فأما النبلُ فقد جاء فيها عنهم شيءٌ كثيرٌ.

أجود ما قيل في الدروع : قال أبو عبيدة أحسن ما قيل فيها قول كعب بن زهير :
وبيض من النسج القديم كأنها نهاء ^(١) بقاع ماؤها مترايع ^(٢)
تصفقها هوجُ الرياح إذا صفت وتعقبها الأمطارُ قالماءُ راجع
وهو مأخوذٌ من قول امرئ القيس :

تَفِيضٌ على المرءِ أردانها كَفِيضُ الأتقى ^(٣) على الجددِ
وقال البحتري :

يمشون في زرد كأنَّ مُتونها في كل معركةٍ مُتونَ نهاءِ
بيضٌ تسيل على الكفاةِ فضولها سيلَ السرابِ بقرّةٍ يبداءِ
وإذا الأسنةُ خالطتها خلتها فيها خيال كواكبٍ في ماءِ
ومعنى البيت الأخير دقيقٌ غريبٌ حسنٌ مصيبٌ ما أظنه سبق إليه .

ومن مليح ما جاء في صفة الدرع قول بعض بني هاشم :

وعلى سابعةِ الدُّيولِ كأنها سلخٌ كسانيه الشجاعُ الأرقم

ومن مليح ما جاء في صفة الحرب ما أخبرنا به أبو القاسم عن العقدي عن
أبي جعفر عن المدائني قال قال رجل من بني تميم لعبادي : لم يكن لآل نصر بن
ربيعة صولة في الحرب قال لقد قلتُ بطلاً ونطقتُ خطلاً كانوا والله إذا أطلقوا
عقل الحرب رأيت فرساناً تمور كرجل الجراد وتدافع كتدافع الامداد في فيلق
حافاته الاسل يضطرب عليها الاجل إذاهاجت لم تنهه دون بلوغ ارادتها ومنتهى غايات
طلباتها لا يدفعها دافع ولا يقوم لها جمعٌ جامع وقد وثقت بالظفر لعز أنفها

(١) جمع نهى وهو القدير (٢) أي متردد. (٣) أي الجدول .

وأيقنت بالغلبة اضراوة عادتھا فإھا العلوُّ والتمكينُ ولن ناوأھا الذلُّ والتوهينُ
خصت بذاك على العرب أجمعين . ومما يجري مع ذلك ما أخبرنا به أبو القسم
عن العقدي عن أبي جعفر قال أنشد جرير هُشام بن عبد الملك :

لقومٍ أحمي للحقيقة منكم وأضربُ للجبار والنقع ساطع
وأوثقُ عند المرذقاتِ عشيةً لحاقاً إذا ماجردَ السيفُ لامعُ
فقال هُشام لم تركت نساءك حتى أُرَدفن ألا جعلتهن كنسوة الحَبَل فما
سمعتنا بمریات قط أَمنع منهن حيثُ يقول :

وساقطة كُور الخمار حيةً على ظهر عُمرى زال عنها جلالها
تشدُّ يديها بالسنام وقد رأت مُسوَّمةً يأوى إليها رمالها
تزلنا فساقينا الكُماة دِماءها سجال المنايا حيثُ نُسقى سجالها

وأجود ما قيل في ثبات الرجال في الحرب قول الحرث بن عباد :

قرباً مربوط النعامِ مني لقحتُ حربُ وائل عن حبال
قرباًها فأن كفى رهنٌ أن تزولَ الجبالُ قبل الرجال

وقد وصف الله ذلك في كتابه فقال (ان الله يُحبُّ الذين يُقَاتِلُونَ فِي
سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) ولم يصف أحد من المتقدمين والمتأخرين
القتال في المراكب إلا البحري : أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال سمعتُ
عبد الله بن المعتز يقول لو لم يكن للبحري إلا قصيدته السينية في وصف ايوان
كسرى فليس للعرب سينية مثلها ، وقصيدته في البركة * ميلوا الى الدار من ليل نحيها *
واعذاراته في قصائده الى الفتح التي ليس للعرب بعد اعذارات النابغة الى النعمان
مثلها ، وقصيدته في دينار بن عبد الله التي وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله أولها
* ألم تر تغايس الربيع المبكر * ووصف حرب المراكب في البحر لكان أشعر
الناس في زمانه فكيف إذا أضيف الى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه . وكان كثيراً
ما ينشد له ويعجب من جودته :

غدوتُ على المأمونُ صَبَحًا وإنما
 إذا زَجَرَ النوقى فوقَ علاته
 يَغضُّونَ دُونَ الاستنَامِ عيونهم
 إذا ما علت فيه الجنوبُ اعتلى له
 إذا ما انكفا في هبوةِ الماءِ خلتَه
 وحولك رَكابونَ للهولِ عاقروا
 تميلُ المنايا حيثُ مالت أكَفهم
 إذا رشقوا بالنارِ لم يكُ رشقهم
 صدمت بهم صُهبُ العثانينِ دونهم
 كأن ضجيجَ البحرِ بينَ رماحهم
 تقارب من زحفهم فكأنما
 فما رحت حتى أجلت الحرب عن طلي
 على حين لا تقعُ يطوحُه الصبا
 وكنت ابن كسرى قبل ذاك وبمده
 جدحت له الموتَ الزعافَ فعافه
 مضى وهو مولى الريح يشكرُ فضلها
 ومن أجود ما قيل في السهم من قديم الشعر قول عنتره :

أيدنا فما نُعطي السَّوامنِ عدونا قياماً بأعضاء السراء ^(١) المعطَّف
 بكلِّ هتوفٍ عجبها رَضْوِيَّة ^(٢) وسهم كسيرٍ الحيرى الموقفِ
 وقال راشد بن سهاب ^(٣) اليشكرى :

ونبلِ قران كاتسور سَلاجِمِ وفلقِ هتوفٍ لاسقى ولا نَشَمِ

(١) السراء : شجر تصنع منه السهام . (٢) نسبة إلى رضوى .

(٣) سهاب ككتاب بالسين المهملة - على ما في القاموس .

وَمُطَرِدِ الْكُعْبِينَ أَحْمَرُ حَاقِدٌ وَذَاتُ قَتِيرٍ فِي مَوَاصِلِهَا دَرَمٌ
وَصِفَ النَّبْلِ وَالْقَوْسِ وَالرَّمْحِ وَالِدِرْعِ فِي يَتَيْنِ فَأَحْسَنُ ، وَالْأَدْرَمُ الْأَمْلَسُ الَّذِي
لَا حِجْمَ لَهُ ، وَالسَّلَاجِمُ الطَّوَالُ ، وَالسَّقْيُ الَّذِي يَشْرَبُ الْمَاءُ ، وَالنَّشْمُ شَجَرٌ .
وَمِنْ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي الْبَيْضِ مِنْ قَدِيمِ الشَّعْرِ قَوْلُ سَلَامَةَ بْنِ جَنْدَلٍ ^(١) :
إِذَا مَا عَلَوْنَا ظَهَرَ نَشْرُكَ كَأَنَّمَا عَلَى الْهَامِ مَنَاقِيضُ مَيْضٍ مَفْلُوقِ
وَقَوْلُ الْآخَرِ * كَأَنَّ نَعَامَ الدَّوِّ بَاضَ عَلَيْهِمْ * وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ :
كَأَنَّ نَعَاجَ الْجَوِّ بَاضَ عَلَيْهِمْ * قَلِيلٌ لَهُ أَخْطَأْتُ مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدَهُمَا أَنَّ النِّعَاجَ
لَا يَكُونُ فِي الْجَوِّ وَالْآخَرُ أَنَّهَا لَا تَبْيِضُ . وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِيهِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ :
وَبَيْضٌ كَأَنصَافِ الْبَدْرِ أَيْةٌ إِذَا امْتَحَنْتَهُنَّ السِّیُوفُ خِيَارُ
فَتَشْبِهُهَا بِأَنصَافِ الْبَدْرِ تَشْبِیهٌ غَرِيبٌ مُصِیْبٌ .

أجود ما قيل في اتباع الرجال الرئيس في الحرب قول البحترى :
 حرُّ السِّوْفِ كَأَنَّا ضَرَبْتُ لَهُمْ أَيْدِي الْقِيُونِ صَفَائِحًا مِنْ عَسْجَدِ
 فِي فِتْيَةٍ طَلَبُوا غُيَّارَكَ إِنَّهُ رَهْجٌ تَرْفَعُ عَنْ طَرِيقِ السُّودِ
 كَالرَّمْحِ فِيهِ بَضْعُ عَشْرَةِ فَقْرَةٍ مُنْقَادَةٌ خَلْفَ السَّنَانِ الْإَصِيدِ
 وقد أحسن ابن هرمة في قوله وهو في غير هذا المعنى :

إذا شددوا عما بينهم ثنوها على كريم وان سفروا أناروا
 يبيع ويشترى لهم سوام ولكن في الطمان هم التجار
 ومن أجود ما قيل في صفة الشجاع الجواد قول الآخر:

وَلَبِثُ عَارِفَةٌ وَذَرُوهَ مِنْسَبِرٍ
وَيُقِيمُ هَامَتُهُ مَقَامَ الْمَغْفِرِ
فَهَدَمْتُ رُكْنَ الْجِدِّ إِنْ لَمْ تَعْقِرِ
مُتَسَرِّبِلٍ سَرِبَالٍ لَيْسَ أَغْبِرِ

(١) هو الشاعر الجاهلي التيمي الحجازي، يُعَدُّ في طبقة ائمة.

أوما الى الكوماء هذا طارق^١ نَحَرَتْنِي الْأَعْدَاءُ إِنْ لَمْ تَنْحَرِ^(١)
ومن أبلغ ما حذّر به الحرب قول بعض المعجم : دافع بالحرب ما أمكن فان
النفقة في كل شيء من الأموال إلا الحرب فان النفقة فيها من الأرواح^١.

وقال النابغة الجعدي :

وتستلبُ المالَ الذي كانَ رُبِّها ضنيناً به^(٢) والحربُ فيها الخرائبُ
فتبعه أبو تمام فقال : والحربُ مشتقة من الحرب : وقول جدل الطمان :
دعاني أشبُّ الحربِ بيني وبينه فقلتُ له لا بل هلمَّ الى السلمِ
وياك والحرب التي لأديهما صحيحٌ وماتنكُ تأتي على الرغمِ
فان يظفر الحزبُ الذي أنتَ منهم وينقلبوا ملءَ الأُكفِ من الغنمِ
فلا بُدَّ من قتلى لملك فيهم وإلا فجرحٌ لا يكون على العظم
فلما أبى خلّيتُ فضلَ ردائه عليه فلم يرجع بحزيم ولا عزم
وكان صريع الخيلِ أوّلَ وهلةٍ فبعداً له غتارَ جهلٍ على علم
ومن أجود ما قيل في تهوين الحرب والقتل ما أنشدناه أبو أجمد في خبر أخبرناه
عن الصولي عن عبيد الله السكوني قال دخل محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن
عليّ على بعض أمراء الكوفة وقد جرى عليه ظلمٌ فلم ينصفه فخرج من عنده وقال :
يا أيها الرجلُ الذي يمينه غيثُ الزمانِ وصولُهُ الحدَّانِ
أنعم صباحاً بالسيوفِ وبالقنا انّ السيوفَ تحيةُ الفتيانِ
قد أبطرتك سلامةٌ فسيت ما أسلفت من ير ومن إحسانِ
والدهرُ خدنٌ مَسْرَةٌ ومضرةٌ مُتَقَلِّبٌ بالناسِ ذو ألوانِ
يخاطب نفسه ويأمرها بمجاهرة السلطان بالعصيان إذ ليس عنده للظلم نكير فيكون
ذلك سبباً للحرب فيحيي بالسيوفِ فلا يفرع فانها تحيةُ الفتيانِ .

وقال علي بن جبلة :

(١) تقدم بعض هذه الأبيات في الجزء الاول . (٢) في الاصل « بها » .

كَأَنَّ أَرْمَاحَهُ تُعْطَى إِذَا عَمِلَتْ تَحْتَ الْعِجَاجِ أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا
وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي تَقْسِيمِ الْخَلِيلِ فِي الْحَرْبِ قَوْلُ النَّابِغَةِ : أَخْبَرْنَا أَبُو أَحْمَدَ
قَالَ أَنْشَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ أَنْشَدَنَا الْمُبَرِّدُ قَوْلَ النَّابِغَةِ وَذَكَرَ أَنَّهُ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي
تَقْسِيمِ الْخَلِيلِ فِي الْحَرْبِ :

خَيْلٌ صَيَّامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعِجَاجِ وَخَيْلٌ تَمَلِّكَ اللَّجْجُ
قَالَ تَعْلَبُ قُلْتُ لَابْنِ الْأَعْرَابِيِّ الصَّائِمَةُ الَّتِي لَا تَصْهَلُ وَغَيْرُ الصَّائِمَةِ الَّتِي
تَصْهَلُ فَمَا هَذِهِ الْأُخْرَى ؟ قَالَ الَّتِي تَمَلِّكَ اللَّجْجُ فِي الْكَمِينِ .

أَخَذَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ الْبَشْرَى يَصِفُ تَأْدِيئَهُ فَرَسَهُ :
عَوْدَتُهُ فِيمَا يَزُورُ حَبَائِئِي إِمَاهُهُ وَكَذَلِكَ كُلُّ مُخَاطَرِ
فَإِذَا احْتَبَى قُرْبُوسَهُ بَعْنَانَهُ عَلِكَ الشَّكِيمَ إِلَى انْصِرَافِ الزَّائِرِ
وَمَنْ أَجُودَ مَا قِيلَ فِي ارْتِفَاعِ الْغُبَارِ وَلِمَعَانِ الْأَسْنَةِ فِيهِ مِنْ قَدِيمِ الشَّعْرِ قَوْلُ النَّابِغَةِ :
تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِمَةٌ نُورًا بَنُورٍ وَإِظْلَامًا بِإِظْلَامِ
قَالُوا أَرَادَ قَوْلُ النَّاسِ : لَا أَرَيْنَاكَ الْكَوَاكِبَ نَهَارًا ، وَقَالُوا أَرَادَ تَوْضِيحَ الْأَسْنَةِ
فِي سَوَادِ الْعِجَاجِ . وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ بَشَّارٍ :

كَأَنَّ مِثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ
وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : لَيْلٌ مِنَ النَّقْعِ لَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ إِلَّا جَبِينُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشَّرْعُ
وَقَوْلُ ابْنِ الْمَعْتَزِ :

وَعَمَّ السَّمَاءَ النَّقْعُ حَتَّى كَأَنَّهُ دُخَانٌ وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ شَرَارٌ
وَأَبْلَغَ مَا قِيلَ فِي الْإِقْدَامِ وَالْإِقْتِدَارِ عَلَى الْعَدُوِّ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :
عَشِيَّةً كُنَّا بِالْخِيَارِ عَلَيْهِمْ أَنْتَقَصُ مِنْ أَعْمَارِهِمْ أَمْ نَزِيدُهَا

وَمَنْ بَدِيعُ الْمَعَانِي فِي صِفَةِ الْقَاءِ قَوْلُ بَعْضِ الْأَعْرَابِ :
عَلَى كُلِّ جَرْدَاءٍ الْقَرَى ^(١) أَعُوجِيَّةٌ إِذَا طَرَدَتْ لَمْ يَنْجُ مِنْهَا طَرِيدُهَا

وما قاد من قوم البنا جياذهم . فنلقاهم إلا رجعنا نقودها
وقلت في معناه :

إلى ابن الأولى شادوا المعالي بالظبي وعثموا البرايا باللهي والרגائب
إذا طلبوا روح الحياة وطيبها فبين سواقٍ للردى وحواصب
إذ البيض في سود القساطل أنجم غوارب تهوى في الطلي والغوارب
وتحملهم يوم الكريهة مضمر تشول إلى الهيجاء تشول العقارب
فكم وقفة في الروع منهم وحلة أثار بنات الحنف من كل جانب
ترد الجياد تحت قسطة الوغي جنائب أو تقتادها في الجنائب
بأبيض مصقول كأن بحدء ضرائب من تصديه في الضرائب
ومن أجود ما قيل في كثرة الجيش قول الأخنس بن شريق^(١) :

بجأواء يننى وردّها سرعانها كأن وميض البرق فيها كواكب
الجأواء : الكتيبة يضرب لونها إلى الكلفة وذلك من صداد الحديد ، والسرعان :
الأوتائل ، يقول ان المياه لا تسعمهم والأمكنة تضيق بهم فكما نزل فرقة منهم رحل
من تقدمهم . وقال أوس بن حجر :

تري الأرض منا بالفضاء مريضّة معضلة منا بجمع عرمرم
التعضيل ان ينشب الولد في بطن أمه . ومثله قول النابغة :
جمع يظل به الفضاء معضلاً^(٢) يدع الأكام كأنهن صحرارى
وأعجب من هذا قول زيد الخيل^(٣) :

(١) لعله الأخنس بن شهاب التغلبي الشجاع الجاهلي الذي حضر حرب البسوس
وقال فيها شعراً . (٢) عضل المكان تعضيلاً ضاق ، والأرض بأهلها غصت .
(٣) لقب يزيد الخيل لكثرة خيله ، وهو زيد بن مهمل أحد أبطال الجاهلية
كان إذا ركب الفرس خطرت به في الأرض ، كان خطيباً شاعراً كريماً ،
وقد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد قومه طيء ، وأسلم وُسراً به الرسول ﷺ

بجيش تفضل البلق في حجراته . ترى الأكم فيه سُجداً للحوافر
وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى كثير تواليه سريع البوادر
أخبرنا أبو أحمد عن العيشي عن المبرد قال يروي عن حماد الراوية قال
قالت ليلى بنت غروة بن زيد الخيل لأبيها كم كانت خيل أهلك حيث يقول
* بجيش تفضل البلق في حجراته * قال ثلاثة أفراس أحدها فرسه .

قالوا وقتلت خشم رجلاً من بني سليم بن منصور فقالت أخته ترميه :
لعمري وما عمري على بهين لنعم الفتى غادرتُم آل خشم
وكن إذا ما أورد الخيل ييشة^(١) إلى جنب اشراج أناخ فالجما
فأرساها رهوا كأن رعاها جراد زهته ريج نجد فأتها
فقبل لها كم كانت خيل أخيك قالت اللهم لا أعرف إلا فرسه . قوله « تفضل
البلق في حجراته » غاية في صفة الكثرة لأن البلق مشاهير فاذا خفي مكانها
في جمع فليس وراءه في الكثرة شيء ، والعرب تقول أشهر من فارس الأبلق ،
ورؤساء العرب لا يركبون البلق في الحرب لئلا ينم عليهم فيقصدوا بشر .

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة أن
النبي ﷺ لما انصرف من بدر الموعد لم يلق كيداً وأصحابه سبعون راكباً
وفيه فرسان فرس الزبير وفرس المقداد^(٢) قال حسان بن ثابت :

أقمنا على الرس النزوع^(٣) لياليا بأد عن جرار عريض المبارك
ترى العرفج الحولي^(٤) تزدى أصوله مناسم أخفاف المطى الرواتك
إذا ارتحلوا عن منزل خلت أنه قريب المدى بالموسم المتبارك
نسیر فلا تنجو اليعافير وسطنا وان دأمت منا بشد مواشك

(١) ييشة : بلد . (٢) كان هذا في بدر الأولى لا بدر الثانية .

(٣) في ديوان حسان « النزيع » وكلاهما جائز .

(٤) في الديوان « العامي » وكذلك في بعض الالفاظ اختلاف .

دعوا فلبجات الشام قد حال دونها ضراب^{هـ} كأفواه المظي^{هـ} الأوارك
 بأيدي رجال هاجروا نحورهم وأنصاره حقاً وأيدي الملائك
 إذا أقبل الغضروط من أرض مالج فقولاً له ليس الطريق هنالك
 ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ويضحك . ومثل هذا في ترهيب
 العدو حسن . وقال أبو دغغل بن شداد الكلابي في المعنى الذي تقدم :

وأقبل عامر^{هـ} من لبن سيراً إلينا ثم أقسم لا يديم
 بجمع تهلك^{هـ} البلقاء فيه فتشدد^{هـ} والمفضضة^{هـ} اللطيم^{هـ}
 ومن بليغ ما قاله محدث في كثرة الجيش وتكاثفه واجتماعه قول أبي نواس :
 امام خميس أديوان^{هـ} كأنه قميص^{هـ} محوك^{هـ} من قنا وجياد^{هـ}
 الأديوان : الأسود واشتقاقه من الدحي ، وروى الارجوان وهو الأحمر
 وقال البحتري :

لما أتاك يقود^{هـ} جيشاً أرعنا^{هـ} يمشى^{هـ} عليه كثافة^{هـ} وجوعا^{هـ}
 وقال ابن الرومي :

فلو حصبتهم بالفضاء سحابة^{هـ} لظل عليهم حصبها يتدحرج^{هـ}
 وهو من قول قيس بن الخطيم :

لو أنك تلقى حظلاً فوق بيضنا تدحرج عن ذى سامة^{هـ} المتقارب
 السام^{هـ} : عرق الذهب والفضة وهو هنا الطرائق المذهبة في البيض . وقلت :

ولقد نقود^{هـ} الخيل تخطر^{هـ} بالقنا فتصبن^{هـ} على العدى أجالا^{هـ}
 ما إن يلين لها مدى فتخالها تجرى بطاء^{هـ} إذ جر^{هـ} بن عجالا^{هـ}

وقال أبو عمرو بن العلاء أحسن ما قيل في صفة جيش قول النابغة :

أويجزوا مكفهرأ لا كفاء^{هـ} له كاليل^{هـ} يخلط^{هـ} أصراماً باصرام
 تبدو كواكب^{هـ}ه الشمس طالمة^{هـ} نوراً بنور^{هـ} وإظلاماً باظلام^(١)

(١) في ديوان النابغة الطبع اختلاف عما ورد هنا .

فذكر ذلك ليونس فقال أحسن منه قول العجّاج :
 كأننا زهاؤه لمن جهر ليل ورز وغره إذا وغر
 سار برى من قبل العين فجر

والأول أحسن عندي . ومن أجود ما قيل في صفة السوط قول الشعبي :
 أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال كان الشعبي إذا تحدّث كأنه لم يسمع
 من غيره لحلاوة منطقه وعذوبة لفظه فتحدّث يوماً فقال له رجل كان يجالسُه
 يقال له حنّيش : اتق الله ولا تكذب فقال له الشعبي ما أحوجك الى محذرج
 عظيم الثمرة لين المهزّة أحد من مفرز عنق الى عجب ذنب فيوضع على مثل ذلك
 منك فيكثر لك رقصاتك من غير جذل . قال وما هو بأبي أنت وأمي ؟ قال أمره
 لك فيه أدب ولنا فيه أرب . يعنى السوط .

ومن أحسن ما وُصف به الرأس إذا حُمِل على القنّاة قول مُسلم :
 ويحمل الهام تيجان القنّاة بل : مأخوذ من قول جرير * تيجان كسرى وقبصرا :

ومن أجود ما قيل في المصلوب ما أنشدني بعض البصريين :
 أنظر اليه^(١) كأنه في جذعه لما توشح بالجبال ودُرّعا
 رام رمى عن قوسه بمذّلق وأراد صيحة رمية فتسمعا
 وهذا من أتم ما قيل فيه . ومن المستحسن فيه قول البحترى :
 قدّراه مُطرّداً^(٢) على أعواده مثل أطراد كواكب الجوزاء
 وقول ابن الرومي :

يلعبُ الدستبند^(٣) فرداً وان كان له شاغل عن الدستبند
 وقال مُسلم بن الوليد :

(١) في الأصل « الى » . (٢) أى مستقيماً . (٣) هل الدستبند لعبة يأخذ

فيها الرجال أو النساء بعضهم بأيدي بعض ويرقصون ، وهذا يمدّ يده ليرقص وحده .

كَأَنَّهُ شَلُو^(١) كَبَشٍ وَالْهَوَاءُ لَهُ^(٢) تَنُورٌ شَاوِيَةٌ وَالْجُدْعُ سُفُودٌ^(٣)
 وَمَا يَجْرَى مَعَ ذَلِكَ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو الْقَاسِمِ عَنِ الْمُقَدِّي عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَنِ
 الْمَدَائِنِيِّ قَالَ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ خُرَاسَانَ لَوْ كَيْفَ قَتَلْتَ ابْنَ خَازِمٍ؟ قَالَ لَمَّا صَرَعَ
 قَعَدْتُ عَلَى صَدْرِهِ فَحَاوَلْتُ الْقِيَامَ فَلَمْ يَقْدِرْ فَغَلَبْتُهُ بِفَضْلِ الْقِتَاءِ وَقُلْتُ يَا ثَارَاتِ دُوبَلَةٍ
 فَقَالَ لَعَنَكَ اللَّهُ أَتَقْتُلُ كَبَشٍ مُضَرَّ بِأَخِيكَ عَلِيجَ لَا يَسَاوِي كَفَّ نَوِيٍّ وَتَنْخَسِمُ فِي
 وَجْهِهِ فَمَا رَأَيْتَ أَحَدًا أَكْثَرَ رِيقًا مِنْهُ . فَذَكَرَ ابْنُ هُبَيْرَةَ يَوْمًا هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ
 هَلْ الْبَسَالَةُ إِلَّا أَنْ يَكْثَرَ الرِّيقُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ .

وَمَنْ جَبَدَ مَا قِيلَ فِي طَرَائِقِ الدِّمِّ عَلَى الْمُطْعُونِ قَوْلَ أَبِي خُرَاشٍ الْهَذْلِيِّ :
 وَنَهْنَهَتْ أُولَى الْقَوْمِ عَنِّي بِطَعْنَةٍ كَأَوْشَعَةِ الْعِذَاءِ ذَاتِ الْقَلَائِدِ
 أَوْشَعَةُ جَمْعٍ وَشَاحٍ وَهُوَ سَيْرٌ كَأَنَّهُ شَرَاكٌ عَلَيْهِ وَدَعَّ فَشِبَهُ لَوْنُ الدِّمِّ
 بِالسَّيْرِ وَالزَّبْدُ بِالْوَدْعِ . وَمَا يَجْرَى مَعَ ذَلِكَ ذِكْرُ الْخَنْزِرِ مِنَ الْمُتَوَتِّرِ مَا قُلْتُ فِيهِ :
 لَا تَأْمَنَنَّ أَخَا الْعِدَاوَةِ إِنَّهُ إِنْ أَمَكَّتَهُ فُرْصَةٌ لَمْ يُمَهِّلْ
 اللَّهُ دَرَكَكَ كَيْفَ تَأْمَنُ مُحَنَقًا تَغْلِي عِدَاوَةً صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ
 مَا الْحَزْمُ إِلَّا فِي اجْتِنَاثِ أَصُولِهِ وَالْإِيْمُ^(٣) لَمْ يُوْمَنُ إِذَا لَمْ يَقْتُلِ
 وَمَنْ الْجَبَدُ مِمَّا قِيلَ فِي سَعَةِ الطَّعْنَةِ قَوْلَ بَشَرٍ :

إِذَا نَفَذْتَهُمْ كَرْتٍ عَلَيْهِمْ بَطْعِنٍ مِثْلَ أَفْوَاهِ الْخَبُورِ^(٤)
 الْخَبْرُ الْمَزَادَةُ وَالْجَمْعُ خَبُورٌ . وَقَالَ غَمْرُ بْنُ شَاسٍ^(٥) :

بَطْعِنٍ كَأِيزَاغٍ^(٦) الْخَاضِ إِذَا تَنَقَّتْ وَضُرِبَ كَأَفْوَاهِ الْمَفْرَجَةِ الْهَدَلِ
 شَبَهُ اللَّحْمِ الَّذِي يَتَدَلَّى مِنْ فَمِ الْجَرْحِ بِمُشْفَرِ الْبَعِيرِ الَّذِي بِهِ قُرُوحٌ فِي فَمِهِ

(١) الشلو : المساوخ . (٢) السفود كتنور : الحديد التي يشوي بها .

(٣) الإيم : الثعبان . (٤) الخبور : القرب .

(٥) هو الشاعر الجاهلي الاسدي ، شهد القادسية في الاسلام ، وله أشعار فيها .

(٦) إيزاغها أن ترفع ذيلها وتقذف بشيء من حياها على سائقها .

فيه دل لها مشفره . وقال عمرو بن شاس أيضاً :
 وأسيفنا آثارهنَّ كأنها مشافر قرحى في مباركها هـدلُ
 وقال غيره :

بضربٍ كآذانِ الفراءِ فضولهُ وطمن كإزاعِ الخاضِ تبورها
 الفراء جمع الفراء وهو حمار الوحش . وقال خلف الأحمر :
 وأطمن الشجساجة المشلشله على غشاش دَهش وعجله
 يردُّ في نحرِ الطيبِ فتله

أى يسح الدم، ويشلشله : يفرقه . وقال خدّاش بن زهير^(١) :
 وطعنةٍ خلّس كفرع الأزاء^(٢) أفرغ في مشعبٍ الحائر
 تهالُ الموائدُ من فرغها^(٣) تَرَدُّ السبار على السابر
 السبار الشيء الذى تسبر به الطعنة أى تقدر والسابر الذى يسبرها ، والحائر
 المطمئن من الأرض المرتفع الحروف والجمع حوران ، والمثعب مسيل الماء .

هذا آخر صفة الحرب والسلاح وما يجرى معهما ، والحمد لله حق حمده
 وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين وعلى الخلفاء الراشدين .

(١) شاعر جاهلى من أشرف بنى تميم وشجما نهم ، أكثر شعره فى الحماسة والفخر .
 (٢) هو منفذ الماء إلى الخوض . (٣) أى أن من يمدنه فى مرضه يهولن فرغ الضربة .
 (١٠ — ثانى المعانى)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قسم البيان بين القلم واللسان لتكون النعمة فيه مشتركة بين الغائب والحاضر والمقيم والمسافر أتماماً للنعمة على عباده وإكلاً للعارفة في عمارة بلاده ودل على موضع الصنعة في البيان ونبه على موضع العارفة في اللسان حيث يقول تعالى (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) وأخبر عن عظيم قدر القلم وما تضمن من سوابغ النعم حيث يقول تعالى (إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) وأعلى قدره وفخم أمره حين أقسم به على أجل أمرٍ وأنبله وأشرفه وأفضله فقال (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) فسبحان من جعل جلائل النعم وسوابغ الآلاء والقسم في شخصٍ ضئيل وقد قصير تقل قيسته وتصغر قسته مع جلالة شأنه وعلو مكانه .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفة الخط والقلم والدواة والقرطاس ، وذكر البلاغة

وما يجرى مع ذلك ، وهو :

﴿ الباب التاسع من كتاب ديوان المعاني وهو ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في ذكر الخط والقلم والدواة والقرطاس وما يسلك مع ذلك

من أحسن الاستعارة في ذكر الخط قول عبيد الله بن العباس بن الحسن

العلوى الخط اسان اليد . وقال جعفر بن يحيى : الخط سمط الحكمة به يفصل
شذورها وينظم منشورها . وقلت في معناه :

الكتبُ عُقْلُ شِوَارِدِ الكَلَمِ . والخطُ خِيطُ فَرَائِدِ الحَكَمِ
بالخطِ نُظْمٌ كُلُّ مُنْتَثِرٍ منها وفُصْلٌ كُلُّ مُنْتَظَمٍ
والسيفُ وهو بِحَيْثُ تُعْرَفُهُ فَرَضٌ عَلَيْهِ عِبَادَةُ القَلَمِ
واختلف الناسُ في الخط واللفظ فقال بعضهم الخط أفضل من اللفظ لأن
اللفظ يُفهم الحاضر والخط يُفهم الحاضر والغائب . وقال بعضهم الخط كلامٌ
ميت والمحاط به حي يُمكن صاحبه أن يُبصره حتى يبلغ منه غرضه .
ومن أعاجيب الخط كثرة اختلافه والأصل واحدٌ كاختلاف صور الناس مع
اجتماعهم في الصفة وخط الانسان كحليته ونعته في الزوم له والدلالة عليه والاضافة اليه
كاضافة القافة الآثار الى أصحابها .

ومن أحسن ما قيل في حُسن الخط والشكل قول أحمد بن المصملي :
مستودعٌ قِرطاسُهُ حَكَا كالروضِ مَيِّزٌ بَيْنَهُ زَهْرَةٌ
وكانَ أَحْرَفَ خَطِهِ شَجَرٌ والشكلُ في أضعافِهِ ثَمَرُهُ
ووصف أحمد بن صالح جاريةً كاتبةً فقال كان خطها أشكال صورتها وكان
مدادها سواد شعرها وكان قرطاسها أديم وجهها وكان قلمها بعض أناملها وكان
بيانها منحرٌ مُقْلَتِها وكان سِكِّينها سيفٌ لحظها وكان مِقطها قلب عاشقها .
وقلت : وخط من التصحيح فيه معالمٌ من الحسن إذ يبدو عليه سببٌ
يَعْبُرُ عنه الروضُ وهو مُنَمِّعٌ ويُخبر عنه الوشْيُ وهو قَشِيبٌ
سوادٌ مدادٌ في بياض صحيفةٍ يقول شبابٌ بالمشيبِ مشوبٌ
كانَ ظلامَ الليلِ أذرى دموعه فظَلَّتْ على خدِّ الصباحِ تصوبُ

ومن غريب ما قيل في الشكل ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدنا الصولي قال
أنشدني عبد الله بن المعتز لنفسه :

فدو نكته مؤشئ نمنته
 بشكل يؤمن الاشكال فيه
 وقلت : يياض صحيفة تلتاح حسناً
 كقيم رق في أطراف جور
 ويحكى أرض كافور صريح
 كمثل الليل في صبح صديق
 وبين سطورهم عجم^(١) مصيب
 كمثل الخلال في الخلد المليح

وأحسن ما قيل في صفة الخط الجيد ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولي
 قال سئل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة فقال : إذا
 اعتدلت أقسامه وطالت ألفه ولامه واستقامت سطورهم وضاهى صعوده وحدوره
 وتفتحت عيونهم ولم تشبه راؤه ونونه وأشرق قرطاسه وأظلمت أنقاسه^(٢) ولم تختلف
 أجناسه وأسرع في العيون تصوره وإلى العقول ثمره وقدرت فصوله واندمجت
 وصوله وتناسب دقيقه وجليله وخرج عن نمط الوراقين وبعده عن تصنع المحررين
 وقام لكتابته مقام النسبة والحلية كان حينئذ كما قيل في صفة الخط :

إذا ما تجلّل قرطاسه وساوره القلم الأرقش
 تضمن من خطه حلة كمثل الدنانير أو أنقش
 حروفاً تعيد لعين الكلّيل نشاطاً ويقرؤها لاخفش

ومن هنا أخذ المتنبي قوله :

أنا الذي نظرت الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم
 إلا أنه أحسن الأخذ وأجاد اللفظ . ومن ملبح التشبيه قول الأعرابي وقد قال له
 هشام بن عبد الملك أنظر كم على هذا الميل من عدد الأميال، ولم يكن الأعرابي

(١) المعجم : النقط. (٢) النفس بالكسر : المداد ج أنقاس .

يحسنُ القراءة فمضى فنظر ثم عاد فقال رأيتُ شيئاً كرأس المحجن مُتصلاً بحاقة صغيرة تتبعها ثلاث كاطباء الكلبة يفضي الى هنةٍ كأنها قطاةٌ بلا منقار . ففهم هشام بالصفة أنها « خمسة »^(١) .

أخبرنا أبو أحمد عن الصُّولي عن أبي العباس الرُّبى عن الطلحي عن أحمد ابن ابراهيم قال دخل اعرابيٌّ الى الرشيد فأنشده أرجوزةً واممعل يكتب بين يديه كتاباً وكان أحسن الناس خطاً وأسرعهم يداً وخاطراً فقال الرشيد للاعرابي صف هذا الكاتب فقال مارأيت أطيّش من قلعه ولا أثبت من كلمه ثم قال ارتجالاً :

رقيقٌ حواشي الحليم حين تَبورُهُ يريك الهوينا والأُمورُ تطيرُ
له قلمٌ بُؤسى ونُعمى كلاهما سحابتُهُ في الحالتينِ درُورُ
يناجيك عما في ضميرك لحظةً ويفتحُ بابَ الأمر وهو عسيرُ

فقال الرشيد قد وجب لك يا اعرابي حق عليه هو يقضيك إياه وحق علينا فيه نحنُ نقومُ به ، ادفعوا اليه دية الحرّ ، فقال اسماعيلُ وله على عبدك دية العبد . قوله « رقيق حواشي الحليم » ردىء لاف الحليم يُوصفُ بالرزانة لا بالارقة ، واستعمل أبو تمام هذا اللفظ فيعب به . وقوله « يريك الهوينا والأُمور تطير » رويناه لمنصور النرى .

وقاخر صاحبُ قلم صاحبَ سيف فقال صاحبُ القلم أنا أقتل بلاغرر وأنت تقتل على غرر . قال صاحبُ السيف القلمُ خادمُ السيف ان بلغ مراده وإلا قالى السيف معاده أما سمعت قول أبي تمام :

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتبِ في حدِّهِ الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ
وأبى ذلك ابن الرومي فقال :

كذا قضى الله للأقلامِ مِذْبُورِيَّتَ ان السيفَ هَامِذٌ أرهفت خدام

(١) كانت مكتوبة بالحروف فرأس المحجن الخاء والحلقة الصغيرة الميم .

وقال أيضاً :

لعمرك ما السيفُ سيفُ الكميِّ له شاهدٌ إنْ تأملتَهُ
أداةُ المنيةِ في جانبيه سينانُ المنيةِ في جانبِ
ألم ترَّ في صدره كالسنانِ وقد أحسن الخالدي في قوله :

ففي كفٍّ ليث الورى للندى وقلت : أيت بالليل غريب الكرى
وقيمُ الحكمةِ في أملي أنفٌ ضميري حين أرعفته
لسانٌ كفي حين أنطقته منحنفٌ في خلقه ذابلٌ
ان لم يكن كالمضرب في حده ينكسه الرء فيعلو به
ومذ عرفنا لذّة العليم لا

وقال البحتري في تفضيل السيف على القلم :

ولما التقت أقلامكم وسيوفهم أبدت بُغاثَ الطير زرقُ الجوارح
فلا غرتني من بعدكم عزُّ كاتبٍ إذا هو لم يأخذ بمحجزة راح
ومن أحسن ما وصِف به القلم قول أبي تمام في محمد بن عبد الملك الزيات :

لك القلمُ الأعلى الذي بشبابه تُنالُ من الأمر الكلي والمفاصل
لعابُ الأفاعي القاتلات لعابه وأرى جنى شارته أيد عواسل
له ريقةٌ طللٌ ولكن وقعها بآثاره في الشرق والغرب وابل

فصيح^ه إذا استنطقته وهو راكب^ه وأعجم^ه إن خاطبته وهو راجل^ه
 إذا ما امتطى الخس اللطاف وأفرغت عليه شعاب^ه الفكر وهي حوافل
 أطاعته أطراف الرياح وقوضت^ه . لنجواه تقويض الخيام الجحافل
 إذا استفزّر الذهن الذكي وأقبلت^ه أعاليه في القرطاس وهي أسافل
 وقد رفدته الخنصران وسدّدت^ه ثلاث^ه نواحيه الثلاث^ه الأنامل
 رأيت جليلاً شأنه وهو مرهف^ه ضني ومحميلاً خطبه وهو ناحل
 وقد أحسن القائل في تشبيه أنامل الكاتب على القلم بالقلم أنشدناه أبو أحمد
 عن الصولي عن أحمد بن محمد بن إسحق :

ماضر من أضنى بهجرانه قلب^ه كئيب^ه القلب^ه حرّانه
 لو فرج^ه الكربة عن مدنف^ه تشفّ^ه لوعة^ه أحزانه
 برقعة^ه ينظمها كفه نظم^ه لآله ومرجانه
 برهف^ه الأحشاء ذي حلة^ه موشية^ه ترفع^ه من شأنه
 لعابه^ه بسر^ه وعسر^ه إذا جاد^ه به تغليج^ه أسنانه
 إذا امتطاه بشيبياته^(١) كشف^ه أسراراً باعلانه
 يركض في ميدان قرطاسه ركض^ه جواد^ه وسط ميدانه
 وأحسن القصار في هذا المعنى يصف جارية كاتبة اسمها علم :

أفدى البنان وحسن الخط من علم^ه إذا تقمّن بالحناء والختم^(٢)
 حتى إذا قابلت قرطاسها يدها ترى ثلاثة أقلام على قلم
 ومن أحسن ما قيل في الدواة والأقلام قول أحمد بن إسماعيل :

في كفه مثل^ه سنان الصعده أرقش^ه بز^ه الأفعوان^ه جلده
 يلتهم^ه الجيش^ه اللّهام^ه وحده لو صادم^ه الطود^ه المنيف^ه هده
 لو صافح^ه السيف^ه الحسام^ه قدّه يأوى^ه إلى ظئر^ه له^ه محتدّه

(١) في الأصل « امتطاه شبيهاً به » . (٢) ثبت بخط الحناء، وإذا طبخ صار مداداً .

يُمزَجُ فيها صَبْرُهُ بِشُهدِهِ يُرَضُّها مِنْ مَقْلَةٍ مُسَوْدَةٍ
يَمُدُّها جَارٍ كَثِيفِ الْمُدَّةِ كَأَنَّهُ اللَّيْلُ إِذَا اسْتَمَدَّهُ
مُقْلَتُها مَكْحُولَةٌ بِنَدِّهِ

وقلت في القلم :

أَنْظُرْ إِلَى قَلَمٍ تَنْكَسُ رَأْسُهُ لِيَضُمَّ بَيْنَ مُوَصِّلٍ وَمُفَصِّلٍ
تَنْظُرُ إِلَى مَخْلَابٍ لَيْثٍ ضَيْغِمٍ وَغَرَارٍ مَسْنُونٍ الْمُضَارِبِ مَفْصِلٍ
يَسِدُو لَنَاظِرِهِ بِلَوْنٍ أَصْفَرٍ وَمَدَامَعٍ سَوْدٍ وَجَسِيمٍ مُنْحَلٍ
فَالدَّرَجُ أَيْضُ مِثْلِ خَدٍ وَاضِحٍ يَشْتَبِهُ أَسْوَدُ مِثْلِ طَرَفٍ أَكْحَلٍ
قَسَمِ الْعَطَايَا وَالْمَنَاطَا فِي الْوَرَى فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ فَاحْذَرِ وَأَمَلِ
طَعْمَانٍ شَوْبُ حَلَاوَةٍ بِمَرَارَةٍ كَالْهَرِّ يَخْلُطُ شُهدَهُ^(١) بِالْحَنْظَلِ
فَإِذَا تَصَرَّفَ فِي يَدَيْكَ عِثَانُهُ أَلْحَقْتَ فِيهِ مُؤَمَّلًا بِمُؤَمَّلٍ
وَمَذَلَّلًا بِمُعَزَّزٍ وَلَرْبَمَا أَلْحَقْتَ فِيهِ مَعَزَّزًا بِمَذَلَّلٍ
وَقَلْتُ : لَكَ الْقَلَمُ الْجَارِي يَبُوسُ وَأَنْعَمُ فَمِنْهَا بَوَادٍ تَرْجِي عَوَائِدُ
إِذَا مَلَأَ الْقُرْطَاسُ سَوْدَ سَطُورِهِ فَتَلُكُ أَسْوَدُهُ تَتَّقِي وَأَسَاوِدُ
فَتَلُكُ جَنَانُهُ تَجْتَنِي ثَمَرَاتُهَا وَيَلْقَاكَ مِنْ أَنْفَاسِهِنَّ بَوَارِدُ
وَهْنٌ بِرُودٍ مَالِهِنٌ مَنَاسِجُ وَهْنٌ عَقُودُ مَالِهِنٍ مَعَاقِدُ
وَهْنٌ حَيَاةٌ لِلْوَلَى رَضِيَّةٌ وَهْنٌ خُتُوفٌ لِلْعَدُوِّ رَوَاكِدُ

وَأَنْشَدَنَا أَبُو أَحْمَدَ قَالَ أَنْشَدَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ الْفَضْلِ الطَّائِي قَالَ

أَنْشَدَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ أَبِي الْبَغْلِ :

لَهُمْ هِمٌّ تَنْطَاطُ إِلَى الثَّرِيَا وَتَحْكُمُ فِي الطَّرِيفِ فِي الثَّلَادِ
وَأَقْلَامُ تَشْبِهُا سُيُوفًا مَهْنَدَةٌ هَوَادٍ فِي الْهَوَادِي

(١) فِي الْأَصْلِ « شُهدَهُ » بضم الشين وهو سائح فقد جاء في القاموس

« الشهد بالفتح ويضم » .

يُخَطُّ بِهَا سَوَادٌ فِي يَاضٍ فَتَحْسَبُهُ يَاضاً فِي سَوَادٍ
 إِذَا فَرَّعَ الصَّرِيخُ أَمْدُخِيلاً بِخَيْلٍ تَسْتَنَارُ مِنَ الْمَدَادِ
 وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي وَصْفِ الْكِتَابِ حَيْثُ يَقُولُ :
 مَتَمَنَّقٌ مِنْ جِلْدِهِ مَتَخَمٌّ مِنْ خَصَرِهِ
 أَبَداً تَرَاهُ وَصَدْرُهُ فِي بَطْنِهِ أَوْ ظَهْرُهُ
 وَقَالَ ابْنُ الْمَتَزِيدِ كَرِ أَرْضَةً أَكَلْتَ كِتَاباً :

شَغْلِي إِذَا مَا كَانَ لِلنَّاسِ شَغْلٌ دَفَقْتُ قَلْبِي أَوْ حَدِيثٌ أَوْ غَزَلٌ
 أَرْقَطُ ذَوُلُونِ كَشِيبِ الْمَكْتَهْلِ تَخَالُهُ مَكْتَحِلاً وَمَا كَتَحَلٌ
 رَاكِبٌ كَفٌّ أَيْنَ مَا شَاءَ رَحْلٌ وَهُوَ دَلِيلٌ لِمَقَالٍ أَوْ عَمَلٍ
 يَقِيمُ وَزْنَ الْعَقْلِ حَتَّى يَغْتَدِلَ وَيُذَكِّرُ النَّامِيَ مَا كَانَ أَضَلُ
 كَأَنَّهُ يَنْشُرُ عَنْ نَقْشِ حُلٍّ يَخَاطَبُ اللَّحْظَ بِنُطْقٍ لَا يَكُلُ
 وَلَا يَمْلُ صَاحِباً حَتَّى يَمْلُ

ثُمَّ قَالَ فِي وَصْفِ الْأَرْضَةِ * تَأْكُلُ أَثْمَارَ الْقُلُوبِ لَا أَكُلُ * وَكَتَبَ الصَّاحِبُ
 فِي وَصْفِ كِتَابٍ : وَصَلَ كِتَابُكَ فَجَعَلْتَ يَوْمَ وَصُولِهِ عِيداً أَوْ رَخٍ بِهِ أَيَّامٌ بِهِجَتِي
 وَأَفْتَحْتَ بِهِ مَوَاقِيتَ غِبْطِي وَعَرَفْتَ مِنْ خَبَرِ سَلَامَتِكَ مَا سَأَلْتَ اللَّهُ الْكَرِيمُ أَنْ
 يَصِلَهُ بِالْدَوَامِ وَيَرْفَعَهُ عَلَى أَيْدِي الْأَيَّامِ . وَكَتَبَ أَيْضاً : وَصَلَ كِتَابُهُ أَبَدَهُ اللَّهُ بِضَحْكَ
 عَنْ أَخْلَاقِهِ الْآرِجَةِ وَيَتَهَلَّلُ عَنْ عَشْرَتِهِ الْبَهْجَةِ وَيُنْخَبِرُ عَنْ طَارِيَةِ اللَّهِ إِيَّاهُ عَمَّا رَأَيْتَ
 شَمْلَ الْحَرِيَةِ بِهِ مَنَظْمًا وَشَعْبَ الْمَرْوَةِ لَهُ مَلْتَمًا وَيَتَحَمَّلُ مِنْ أَنْوَاعِ بَرِّهِ مَا أَقْصَرَ عَنْ
 ذِكْرِهِ وَلَا أَطْمَعُ فِي شُكْرِهِ وَيُؤْدِي مِنْ لَطِيفِ اعْتِدَارِهِ فِي أَثْنَاءِ عَتَبِهِ مَا تَزْدَادُ بِهِ
 أَسْبَابَ السَّرُورِ تَمَهِّدًا . وَقُلْتُ فِي كِتَابِ أَكَلْتَهُ الْأَرْضَةُ :

وَجَلِيسٌ حَسَنٌ الْمَظْضِرُ مَأْمُونٌ الْمَغِيبُ
 مَيْتٌ يُخْبِرُ حَيًّا بِخَفِيَّاتِ الْغُيُوبِ
 أَبْلَهُ غَيْرُ لَيْبٍ وَهُوَ فِي حَالِ اللَّيْبِ

جاهلٌ غيرٌ أديبٍ وهو عوفٌ للأديب
 أخرسٌ غيرٌ خطيبٍ وله لفظٌ الخطيب
 مفهمٌ ينظمٌ شعراً مثل إقبال الحبيب
 ساكتٌ يروى حديثاً مثل إعراض الرقيب
 نطقه الكفُّ حتى هو كالوشى القشيب
 من سوادٍ وبياضٍ كشبابٍ ومشيب
 فيه إمتاعٌ لأبصارٍ رِ وأنسٌ للقلوب
 دبٌ فيهنّ ديبٌ كان من شرّ الديب
 من صغيراتٍ جسومٍ وكبيراتٍ الذنوب
 أخذت منها نصيباً فالتوى منها نصيبى
 أفرحت قلباً جهولٍ وكوت قلباً لبيب
 ويل هاتيك المعانى من بديعٍ وغريب
 وأفانينٍ كلامٍ بين سهلٍ وصايب
 من بديعٍ وفصيحٍ وصحيحٍ ومُصيب
 بُدِّلَ الإصلاحُ منها من بفسادٍ عجيب
 فنجومُ العلمِ والفهمِ تهاوت للغروب
 كلُّ شيءٍ سوفَ يبقى عن بعيدٍ وقريب

ومن بديعٍ ما وُصف به الورّاق ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى
 عن أحمد بن يزيد المهلبى عن أبي هفّان قال سألت ورّاقاً عن حاله فقال :
 عيشى أضيق من محبرة وجسى أدق من مسطرة ، وجاهى أرق من الزجاج
 وحظى أخفى من شق القلم ويذى أضعف من قصبة وطعائى أمر من العفص وشرابى أسود من
 الحبر وسوء الحال ألزم لى من الصمغ . فقلت عبرت عن بلاءٍ يبلاء فحسبك .
 وقلت في المحبرة والاقلام :

منهله من أشرف المناهل تضمن رى الصفر الذوايل
مركبها ذوائب الأناهل إذا مشى عالية الأسافل
بكت على الطرس بدمع هامل قارتبطت شوارد المسائل
وكشفت عن غرر الدلائل ييضاء تبدو في لباس الثاكل
لكنها تلبسه من داخل

ومما لا أعرف في معناه خيراً منه قول كشاجم الكاتب^(١) :
لا أحب الدواء تحشى براعاً هي عندي من الدوى معيه
قلم واحد وجودة خط فاذا زدت فاستزد أنبويه
هذه قعدة الشجاع عليها أبداً سيره وتلك جنيبه
ومن البديع الظريف قول أحمد بن إسماعيل :

كأنما النفس إذا استمدته غالية مذوقة بنده
ونتن الكرسف^(٢) مما يُعاب به . ومن البديع المشهور ما أنشدناه أبو
أحمد عن الصولي عن أحمد بن إسماعيل للحسن بن وهب^(٣) :
مداد مثل خافية الغراب وأقلام كرهفة الحراب
وقرطاس كرقراق السراب وألفاظ كأيام الشباب
وقلت : أكثر ما تُثبتهُ الأقلام لم تسع في زواله الأيام
يا لك من مُخرس لها كلام موتى إليها النقض والابرأ

(١) هو أحد فحول الشعراء ، قيل إن لقبه هذا منحوت من عدة علوم كان يتقنها : فالكاف من كاتب والشين من شاعر والألف من أديب والجيم من الجنل والميم من المنطق . ثم طلب علم الطب فمهر فيه فزيد في اسمه طاء من طبيب فقيل طكشاجم ولكنه لم يشتهر . كان من شعراء عبد الله به حمدان والد سيف الدولة .
(٢) الكرسف : القطن ومنه كرسف الدواء .
(٣) كان معاصراً لآبى تمام وهو من الشعراء الوجهاء ، لاملت رثاء البحرى .

قِوَامٌ بِمَجْدِ مَالِهِ قِوَامٌ نِظَامٌ مَلِكٍ خَانَهُ النِّظَامُ
أَصَاغَرُ شُؤْنِهَا الْعِظَامُ

ومن المختار في معناه قول الآخر :

إِنَّمَا الزَّعْفَرَانُ عِطْرُ الْعَذَارَى وَسَوَادُ الدُّورَى عِطْرُ الرِّجَالِ

وقلت في سكين :

أَنْجَازُ وَعْدِكَ فِي السَّكِينِ مَكْرَمَةٌ غِرَاءُ فَضْلِكَ فِيهَا غَيْرُ مَجْهُودِ

أَحْسَنُ بِهِ أَزْرَقَانِي أَيْضٌ يَقْوِي لَهَا مَنَاطِقُ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سَوْدِ

خَلْفُ الْوَعْدِ حَمِيدٌ لَا يَذْمُ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ خَلْفُ مَوْعُودٍ بِمَحْمُودِ

وكتب كافي الكفاة في ذم قلم فأبدع : وليس العجب إلا من قلم منيت به

لا يستقر إذا تأنيت ولا يستمر إذا جريت طوله عرض وإبرامه نقض تستغيث

الحروف من التوائه وتستأنس السطور من استوائه ان قلت سر وقف وان

حشنته بالانامل قطف فالفاظي في سنيه مأسورة ومعاني في شقيه محصورة وقد

صبرت عليه ألبسه مع سوء عشرته وأستمنحه مع فضل عشرته وأقول لعله يصلح

بطول المداراة وعساه ينجح بكثرة المناواة وهو يزدد نفاراً ويتضاعف زائلاً وعشاراً .

ومما يدخل في هذا الباب قول كشاجم في غلام رآه يكتب ويخطيء فيمحو

ما يخطئه بريقه وهو :

وَرَأَيْتُهُ فِي الطَّرْسِ يَكْتُبُ مَرَّةً غَلَطًا يَوَاصِلُ مَحْوَهُ بِرُضَايِهِ

فَوَدِدْتُ أَنِّي فِي يَدَيْهِ صَحِيفَةٌ وَوَدَّتْهُ لَا يَهْتَدِي لِصَوَابِهِ

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي

ابن سابق قال رأى المأمون في يد جارية له قلماً وكان ذا شغف بها واسمها منصف فقال :

أَرَانِي مَنَحْتَ الْوَدَّ مِنْ لَيْسَ يَعْرِفُ، فَمَا أَنْصَفْتَنِي فِي الْمَحَبَةِ مُنْصَفُ

وَزَادَتْ لَدَيَّ حَظْوَةً يَوْمَ أَعْرَضْتَ وَفِي أَصْبَعِهَا أَسْمَرُ اللَّوْنِ أَهْيَفُ

أَصَمُّ سَمِيعٌ سَاكِنٌ مَتَحَرِّكٌ يَنَالُ جَسَمَاتِ الْمَدَى وَهُوَ أَعْجَفُ

عجبتُ له أنى ودهرك معجبٌ يقومُ تحريفَ العبادِ مُحَرِّفٌ
وكتبُ الصاحبُ أبو القسمِ في وصفِ كتابٍ : ومن هذا الذى لا يحبُّ أن يواصل
علمَ الفضلِ وواسطةَ الدهرِ وقرارةَ الأدبِ والعلمِ وجمعَ الدرايةِ والفهمِ أم من لا يرغب
فى مكاثرةٍ من ينتسبُ الربيعُ إلى خلقه ويكتسبُ محاسنَه من طبعه ويتوشح
بأنوار لفظه ويتوضحُ بآثار لسانه ويده ، ووصل كتابه فارتحتُ لعنوانه قبل عيانه
حتى إذا فضضتُ ختامَه أقبلتُ الفكرةُ تتكاثرُ والذُررُ تتناثرُ والغُررُ تتراكمُ
والنُّكتُ تتزاحمُ فإذا حكمتُ للفظه بالسبقِ أنت أختها تنافسُ وأقبلتُ لدتها
تفاخر حتى استعفيتُ من الحكومةِ ونفضتُ يدي من غبار الخصومةِ وأخذتُ
أقولُ كلُّكُنَّ صوادرٌ عن أصولٍ بل أصلٌ واحدٌ فتسالمن ونواقِدٌ عن معدنٍ فاردٍ
فتصالحن وقد وليتُ النظرَ بينها من كمل لتسج برودها ووفى بنظم عُقُودها .
ومثل ما تقدَّم من قوله فى ذم القلم قوله أيضاً : على آتى يامولاي أنشأتُ هذه
الأحرفَ وحولى أعمالٌ وأشغالٌ لا يسلمُ معها فكرٌ ولا يسمحُ بينها طبعٌ وتناولتُ
قلماً كالابنِ العاقِ بل العدوِ المشاقِ فإذا أدركته استطال وإذا قومته مال وإذا حشته
وقف وإذا أوقفته انحدر أجدل الشق مضطرب الشق متفاوت البرى معدوم
الجرى مُحَرِّفُ القط مشبج الخط ثم رأيتُ العدوَّ عنده ضرباً من الانقياد لا أمره
والانخراط فى سلكه فجهدته على رغبته وكددته على صغره لاجرم أن جنابة
اللجاجِ بادية على صفحات الحروف لا تخفى وطادية المحك لا تُخفى على وجوه تتجلى .
وكتبتُ فى وصفِ كتابٍ : والله أعلم أنى أخبرتُ بورود كتابه فاستغزنى
الفرحُ قبل رؤيته وهزَّ عطفى المرحُ قبل مشاهدته فما أدري أسمعتُ بورود كتاب
أم ظفرتُ برجوع شباب ثم وصل بعد انتظار له شديد وتطلع إلى وروده طويلاً
عريضاً فتأملته فلم أدر ما تأمات أخطأ مسطوراً أم روضاً ممطوراً أم كلاماً منشوراً أم
وشياً منشوراً ولم أدر ما أبصرتُ فى أثنائته آيات شعر أم عُقُودٌ دُرٌّ ولم أدر
ما حملته أغبثُ حل بواد ظلمان أم غوثٌ سيق إلى لَهْيان .

وكتب صاحب^١ : ووصل كتاب^٢ القاضي فأعظمت قدر النعمة في مطالعه
وأجلت محل الموهبة بموقعه وفضضته عن السحر الحلال والماء الزلزال وسرحت
الطرف منه في رياض رقت حواشيها وحلل تأنيق واشيها فلم آتجاوز فصلا إلا
إلى أخضر منه فضلا ولم أخط سطرًا إلا إلى أحسن منه نظما ونثرا .
ورفع رَجُل^٣ إلى محمد بن عبد الله بن طاهر قصةً يعتزفها فرأى خطه رديئاً
فوقع : قد أردنا قبُولَ عذرِكَ فاقطعنا دونه ما قابلنا من قبَحِ خطِكَ ولو كنتَ
صادقاً في اعتذارِكَ لساعدتكَ حركةُ يَدِكَ أوْنا علمتَ أن حسن الخطِّ يُناضِلُ
عن صاحبه بوضوح الحجة ويمكن له درك البغية .
وقال عليّ رضي الله عنه : الخطُّ الحسنُ يزيد الحق وضوحاً .
وقيل : حسن الخط أحدى البلاغتين .

ووصف الجاحظ الكتابَ فقال : الكتاب وِطاءٌ مُبَلِّغٌ علماءَ ظَرْفٍ^٤ حَشِي
ظَرْفًا^(١) وإِناءٌ شِعْنٌ مُزاحاً^(٢) وجدّاً ان شئتَ كلن أئين من سحبان وائل وان شئتَ
كان أعيا من باقل وان شئتَ ضحكت من نوادره وان شئتَ شجعتك مواعظه
ومن لك بواعظٍ مله ويزاجرٍ مغرٍ ويناسكٍ فاتك وبناطقٍ أخرس وبياردٍ حار
ومن لك بطبيبٍ أعرابي وبروي هندي وفارسي يوناني وبقديم مولد وبميت
مُتمتع ومن لك بشيء يجمع الأول والآخِر والناقص والوافر والشاهد والغائب
والرفيع والوضيع والفث والسمين والشكل والمثل وخلافه والجنس وضده .
ودخل المأمونُ على بعض بنيهِ فوجدَهُ يُنظرُ في كتابٍ فقال يا بُنى ما في
كتابِكَ ؟ قال بعضُ ما يشغذُ الذهن ويؤنس الوحدة . فقال الحمد لله الذي رزقني
ولداً يرى بعين عقله أكثر مما يرى بعين جسده وظلّ مفكراً في قول ولده الطفل .

(١) الظرف بفتح الظاء بمعنى الظرافة ، ويضم بعضهم الظاء وهو غلط .

(٢) المزاح بضم الميم : الاسم من المزح .

﴿ الفصل الثاني من الباب التاسع ﴾

في ذكر البلاغة

قال بعض الحكماء : البلاغة قول تضطر العقول الى فهمه ، قال الشيخ أبو هلال
يعنى قولاً واضح المعنى غير مُشكل المغزى . وسأل معاوية عمرو بن العاص من
أبلغ الناس ؟ قال من اقتصر على الإيجاز وترك الفضول . وليس يصلح الإيجاز في
كل مكان كما لا تصلح الإطالة في كل أوان بل لكل واحد منهما حينٌ يحسن فيه
ومقام يليق به ان أزلته عنه لم توفه حقه ولم تسلك به طريقه . وقال محمد الأمين
عليكم بالإيجاز فان للإيجاز افهاماً وللإطالة استنبهاً . أى عليكم بالإيجاز فيما كن
الإيجاز فيه أحسن وأنجع فأما اذا كانت الإطالة أرد وأنفع فليس للإيجاز موقع
يحمّد ولا حالٌ تعتمد . والإيجاز بجميع الشعر أليق وبجميع الرسائل والخُطب
وقد يكون من الرسائل والخُطب ما يكون الإيجاز فيه عيباً ولا أعرفه إلا بلاغة
في جميع الشعر لان سبيل الشعر أن يكون كلامه كالوحي ومعانيه كالسحر مع قربها
من الفهم . . . والذي لا بدّ له منه حسنُ المعرض ووضوحُ الغرض كقول النابغة
الذياني * فانك كالليل الذي هو مدركي * وقال الفرزدق :

والشيبُ ينهض بالشباب كأنه ليلٌ يصبحُ بجانبه نهارُ
وقال أعرابيٌ : أبلغُ الناس أسهلهم لفظاً وأحسنهم بديهةً . وهذا
حسنٌ جداً لأن سهولة اللفظ وحسن البديهة يدلان على جودة القرينة
والبلاغة الغريزية ، ووعورة اللفظ تدل على تكلف وتعسف ولا شيء أذهب بماء
الكلام وطلاوته ورواقه منهما ولا يحسن معهما الكلام أصلاً وان كان لطيف
المعنى نبيل الصنعة . وقد أجاد ابن الرومي في قوله : البلاغةُ حسنُ الاقتضاب
عند البديهة والغزارة يوم الإطالة . فجعل البلاغة في الغزارة كما جعلها غيره في الإيجاز .

وقيل لهندي ما البلاغة ؟ فقال وضوح الدلالة واتساز الفرصة وحسن الإشارة .
وقيل لآخر ما البلاغة ؟ فقال تصحيح الأقسام واختيار الكلام .
وقال الحسن بن سهل : البلاغة ما فهمته العامة ورضيته الخاصة . وقال عبيد الله بن
عتبة : البلاغة دنو المتأخر وقرع الحجة وقليل من كثير . وروى هذا عن أكرم بن صفي
أيضاً . وقال ابن المقفع : البلاغة اسم لمعان تجري في وجوه فنائها ما يكون شعراً
ومنها ما يكون سجعاً ومنها ما يكون خطباً ومنها ما يكون رسائل فعامية ما يكون من
هذه الأحوال فالوحي فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ والإيجاز البلاغة . وتأويل
هذا ما قدمناه . وقال غيره : البلاغة قول يسير يشتمل على معنى خطير .
وقال الآخر : البلاغة علم كثير في قول بسير . وقال جعفر بن يحيى :
البلاغة أن يكون الاسم محيطاً بمعناك ويجلي على مغزاك ولا تستعين عليه بطول
الفكرة ويكون سليماً من التكلف بعيداً من سوء الصنعة بريئاً من التعقد
غنياً عن التأمل . وقال اعرابي : البلاغة التقرب من معنى البغية والتبعد من
حشو الكلام وقرب المأخذ وإيجاز في صواب وقصد إلى الحجة وحسن الاستعارة .
وقال محمد بن الحنفية : البلاغة قول مفقّه في لطف . وقال علي رضي الله عنه : البلاغة
إيضاح المتبسات وكشف عوار الجهالات بأحسن ما يمكن من العبارات .
ومثله قول الحسن بن علي رضي الله عنهما : البلاغة الإفصاح عن حكمة
مستغلقة وإبانة علم مشكل . ومثله قول محمد بن علي رضي الله عنه : البلاغة تسير
عسير الحكمة بأقرب الالفاظ . وقال ابن المقفع : البلاغة كشف ما غص من الحق
وتصوير الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق . والذي قاله صحيح
لا يخفى موقع الصواب فيه على أحد من أهل التمييز وذلك أن الأمر الظاهر الصحيح
الثابت المكشوف ينادي على نفسه بالصحة ولا يحوج إلى التكلف لتصحيحه
حتى يوجد العيب فيه خطيباً وإنما الشأن في تحسين ما ليس بحسن وتصحيح ما ليس
بصحيح بضرب من الاختيال والتخييل ونوع من العلل والمعاريض ليخفى موضع

الاساءة ويغمر موضع التقصير فيه . وقد فسرت في كتاب صنعة الكلام مواضع الاشكال من هذه الفصول فتركتُ إعادتها ههنا فإذا أردتها فاطلبها في مظانها هناك تطفر يفتيك منها إز شاء الله تعالى . وقد أحب قوم الإيجاز في بعض المواضع منهم جعفر بن يحيى قال - كتابه : إن استطعتم أن يكون كلامكم مثل التوقيع فافعلوا . وقال بعضهم في المذهب الأول إذا كان الإيجاز كافياً كان التطويل عيًّا وإذا كان التطويل واجباً كان التقصير عجزاً . وقيل لأعرابي ما البلاغة ؟ فقال الإيجاز من غير عجز والاطناب من غير خطل . فانظر إلى كلام هذا الأعرابي فهو بليغ .

(جمل من بلاغات العجم)

العجمُ والعربُ في البلاغة سواءٌ فمن تعلم البلاغة بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى أمكنه فيها من صنعة الكلام ما أمكنه في الأولى ، وكان عبد الحميد الكاتب استخراج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها إلى اللسان العربي ، ويدل ذلك على هذا أيضاً أن تراجم خطب الفرس ورسائلهم هي على نمط خطب العرب ورسائلها ، وللفرس أمثال مثل أمثال العرب معنى وصنعة ورسم . كان اللفظُ الفارسي في بعضها أفصح من اللفظ العربي ، من ذلك قول العرب « ولَدُكَ مِنْ دَمِي عَقِيكَ » ^(١) وقول الفرس « هرك نژاد نرود » واللفظُ الفارسي في هذا أفصح من اللفظ العربي وأحسن ، وقولهم « كشند ميد » مثل قول العربي « من يسمع يخل » سواء في المعنى ، والفارسي أقل حروفاً ، وقولهم « أصيد بركة خورده » ^(٢) وليس للعرب في معنى هذا المثل شيء ومعناه « المأمول »

(١) كانت امرأة الطفيل بن مالك ولدت له عقيل بن الطفيل فتبنته كبشة فعر به

عقيل على أمه فضربته فجاءتها كبشة وقالت ابني ابني فأجابتها أمه بهذا المثل .

(٢) لعله « أريد به أرخوردن » كما يقوله بعض العارفين باللغة الفارسية حيث

سأله عن صحة ذلك .

خير من المأكل « ولا يعبر عنه بكلام عربي أقل حروفاً مما ذكرته ومع ذلك فان حروف تفسيره بالعربية ضعفاً حروفه بالفارسية ، وقد جاء عن بعضهم في معنى هذا المثل «انتظار الحاجة خير لك من قضائها» وقد خالفهم الفرس في مثل واحد وهو قولهم « به شاء أشناه نرود همدوره » والعرب تقول «جاور بحراً أو ملكاً» . وليس قصدنا لهذا المعنى فتطيل فيه ولكن لا يراد أمثلة في البلاغة تكون مادة لصانع الكلام : فمن ذلك قول ابرويز : إذا نزل الخول استكشف النقص ، بحث على طلب النباهة والتماس جلائل الأمور . وقال بهرام جور : الحاكم ميزان الله في الأرض فوافق الله تعالى في قوله (والسما رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) يعنى العدل في الحكم . ونحوه قول على رضى الله عنه : السفر ميزان القوم . وقول الآخر : العروض ميزان الشعر وقال الآخر منهم : أغلق أبواب الشهوات تفتح لك أبواب المحاسن . وقال آخر منهم : الصواب قريب الثبوت والخطأ شريك العجلة . وقال بزرجمهر : طاملوا أحرار الناس بمحض المودة وطاملوا العامة بالرغبة والرغبة وسوس السفلة بالخافة والهيبة . وقريب من ذلك قول بعضهم : الكريم يلين إذا استعطف والثلثم يقسو إذا ألطف . وقال بعضهم : ينبئى للوالى أن يتفقد أمور رعيته فيسدفأقة أحرارها ويقمع طغيان سفلتها فأنما بصول الكريم إذا جاع والثلثم إذا شبع . وقال بعض حكماء الفرس : أحزم الملوك من غلب جده هزله وقهر رأيه هواه وعبر عن ضميره فعله ولم يخدعه رضاه عن حظه ولا غضبه عن كيده . وقال أنوشروان : القصد غاية المنافع ، وقال لابنه هرمز لا يكن عندك لعمل البر غاية في الكثرة ولا لعمل الاثم غاية في القلة . ووافق هذا من العربى قول الافوه الأودى :

والخير تزداد منه ما تقيت به والشر يكفيك منه قلما زاد

وقالوا أيضاً : يوم العدل على الظالم أشد من يوم الظلم على المظلوم .

وقال ابرويز : لا تغشوا قليلا فتغصوا به كثيراً . وقال يوماً لجنده لا يشحذا مرو

منكم سيفه حتى يشهد عقله . وأظن المتأني أتم بهذا فقال :

الرأي قبل شجاعة الشَّجَمَانِ هو أولٌ وهي المحلُّ الثاني

وقال لكتابه : إذا فكرت فلا تعجل وإذا كتبت فلا تستعن بالفُضول

فإنها علاوة على الكفاية ولا تقصرن عن التحقيق فإنها مُهجنة في المقالة ولا تلبس

كلاماً بكلام ولا تباعدن معنى من معنى واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول .

ووافق هذا قول العربي : ما رأيتُ بليغاً إلا رأيتُ له في المعاني اطالةً وفي الالفاظ

تقصيراً . بحث على الإيجاز . وقال له إذا أمرت فأحكم وإذا كتبت فأوضح وإذا

ملكيت فأسجع وإذا سألت فأبلغ ، ووافق هذا النمط قول أبي تمام :

يقول فيسمع ويمشي ^(١) فيسرع ويضرب في ذات الآله فيوجع

وقال ازديشير بن بابك : من لم يرض بما قسم الله له طالت معتبه وفحش

حِرْصه ومن فحش حِرْصه ذآت نفسه وغلب عليه الحسدُ ومن غلب عليه

الحسدُ لم يزل مغموماً فيما لا ينفعه حزينا على ما لا يناله ، وهذا معنى قول الشاعر :

* ليس للحاسد إلا ما حسد * وقال : من شغل نفسه بالئني لم يخل قلبه من الأسي .

وقال بعضهم : الحقوقُ أربعةٌ حقُّ الله تعالى وقضاؤه الرضا بقضائه والعمل بطاعته

واكرامُ أوليائه ، وحقُّ نفسك وقضاؤه تعهدا بما يصلحها ويصحها ويحسم مواد

الادواء عنها ، وحقُّ الناس وقضاؤه منحوتهم بالمودة ثم تخصيص كل واحد منهم

بالتوقير والتفضيل والصلة ، وحقُّ السلطان وقضاؤه تعريفه ما خفى عليه من منفعة

رعية وجهاد عدوٍّ وعمارة بلدٍ وسدِّ ثغري . وقال بُزرجهر : لا ينبغي للعاقل أن

يجزع من حطِّ السلطان إياه عن منزلة رفع اليها خاملاً فإن الاقدار لم تجر على قدر

الاحطار . وقال بُزرجهر : الزام الجهول الحجة يسير واقارره بها عسير .

وقال بُزرجهر : ثمرة القناعة الراحة وثمره التواضع المحبة من قلوب الخلق .

﴿ ومن كلام الفلاسفة ﴾

قال ارسطاطاليس : ليس الحاجة الى العقل أقبح من الحاجة الى المال .
وقيل له ما أشد الأشياء على الأحمق ؟ قال الشكوت . وقيل له ما أحسن الأشياء ؟
قال الانسان المزين بالأدب . وقال : العقل سبب تنقيص العيش . والى هذا
المذهب ذهب ابن أبي البخل في قوله :

الصَّغْوُ يَصْفِرُ دَائِبًا وَلَا جُلَّةُ تُحْبِسُ الْهِزَارُ لِأَنَّهُ يَتَرَنَّمُ
لو كنتُ أَجْهَلُ مَا عَلِمْتُ لَسَرَّني جَهْلِي كَمَا قَدْ سَاءَ نِي مَا أَعْلَمُ

وقال المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعمُ
وقلتُ : أَوَاصِلُ الْهَمِّ فِي ضَيْقٍ وَفِي سَعَةٍ كَأَنَّ يَسْنَى وَبَيْنَ الْهَمِّ أَرْحَامَا
إِنْ إِمْرَأً عَظُمَتْ فِي النَّاسِ هِمَّتُهُ رَأَى السُّرُورَ جَوْيًى وَالْوَفْرَ إِعْدَامَا
وقلت : وَأَكْثَرُ حَالَاتِ الزَّمَانِ يَغْمِي وَلَيْسَ لِنَعْمٍ الْعَارِفِينَ مَفْرَجُ
ورؤى الحسنُ البصري حزيناً فقيلاً له في ذلك فقال : غمى مكتسبٌ من
عقلي ولو كنت جاهلاً لكنت في راحة من عيشي . وافتخر قومٌ بالمال عند
فيثاغورس فقال : وما حاجتي إلى المال الذي يعطيه الحظ ويحفظه اللؤم ويهلكه السخاء
وقيل له ما أصعب الأشياء على الانسان ؟ قال أن يعرف قدر نفسه ويكتف سره .
وقال بعض أهل الهند : ليس شيء أعرفُ بنفسه من الانسان ولا أجملُ بهامنه .
وقيل لسقراط أي السباع أجمل ؟ قال المرأة . ومن التشبيه المصيب قول سقراط لرجل
استشاره في التزويج : ان المتزوجين مثل السمك الذي يصاد بالقفاف فما حصل
فيها يروم الخروج منها وما كان خارجاً يبغي الدخول فيها . وقيل لرجل منهم ما سبب
موت أخيك ؟ قال كونه . ومثل ذلك ما أخبرني به عم أبي أبو سعيد الحسن بن سعيد
أظنه عن أبيه قال : ورد البريد الى المأمون من خراسان بموت ابن المؤيد فاستدعاه

وجعل يعظه ويعزيه من غير أن يذكر له المصيبة فقال المؤيد لا عهد لي من أمير المؤمنين بمثل هذا الكلام فما السبب فيه؟ قال مات ابنك قال قد عرفت ذلك قال ومتى عرفته وما سبق البريد خبر؟ قال عرفت ذلك يوم وُلد. فعجب المؤمنون من فهمه وقال بمثل هذا قدمت هذه العصابة وجعلت قوام دينها ومفرزها فيما ينوبها. وقال بعضهم حب المال وتدابيلها. وقال سقراط اللذة خناق من عسل. وقيل لجاوس توفي ما نيدس فقال الويح لي قد ضاع مسنٌ عظمي. وقيل له ما أحلى الأشياء قال الذي تشتهي. وقريب منه قول الاعرابي * وقلة ما قرئت به العين صالح * وقال سقراط الحظ في إعطاء ما لا ينبغي ومنع ما ينبغي سواء. ومثل ذلك قول طاهر بن الحسين: التبذير للمال ذمة كذب التقدير فاجتنب التقدير وإياك والتبذير. وقريب منه قول العربي وقد قيل له إن فيك إمساكا فقال لا أجد في حق ولا أزور في باطل. ورأى بعضهم شاباً جاهلاً جالساً على حجر فقال هذا حجر على حجر. ونحو هذا قول بعض المحدثين:

ما ان يزالُ يبتعدُ يزاحنا على البراذين أمثالُ البراذين
وقلتُ وقد رأيتُ غلاماً مليحاً طريراً يخدم لثيماً دميماً:

ان كنتَ ترتادُ منظراً عجيباً فانظر الى البدر في يدِ القردِ
وانظر الى الضبِّ كيف يفترسُ السَّطَّيَّ على مرقدٍ من الوردِ
وذُمَّ دهرًا يفيضُ أنعمه على اللثيم المنعم اليغدِ
وانظر الى حمرة وأتمه فوق متون السوابح الجردِ
فأسخنَ اللهُ عينهُ زمناً ماذا رأى في تجنبِ القصدِ

وقال بعضُ اليونانيين لاسكندر أخلاقك تجعل العدو صديقاً وأحكامك تجعل الصديق عدواً ويشهد عدم مثلك فيما كان بعدم مثلك فيما يكون. وقال بعض حكمائهم لتكبر: وددت أني مثلك في نفسك وإن أعدائي مثلك في الحقيقة. وقريب من هذا المعنى قول علي رضي الله عنه لبعض أعدائه وقد مدحه: أنا دون ما تظهر بلسانك وفوق

ما تضرع في جناتك . وقيل لبطليموس ما أحسن أن يصبر الإنسان عما يشتهي
قال أحسن منه أن لا يشتهي إلا ما ينبغي .
وقال أرسطاطاليس : انك إن لم تصبر على تعب التعليم صبرت على شقاء الجهل
ما بقيت - مخاطب جاهلا .

(محاسن كلام العرب والاعراب والخطباء والكتاب)

قال بعض حكمائهم : الصبر يناضل الحدثان . وقال آخر : الحلم فدام ^(١)
السفيه . وقال آخر : خاطر من استغنى برأيه . وقال غيره : الجزع من أعوان الزمان
والمودة قرابة مستفادة . وفضل بعضهم المودة على القرابة فقال : القرابة
مُحتاجة إلى المودة والمودة مستغنية عن القرابة . وقال غيره وسوى بين المودة
والقرابة : الصاحب مناسب . وقالوا عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله . ومن
موجز الكلام قول بعضهم : من نال استطال والفاحشة كاسمها . وقولهم أصاب
مُتأمل أو كاد . وقولهم العفو زكاة الجاه . وقولهم راجي البخل مُكد .
وقول بعضهم قلما تصدقك الامنية . وقيل الصيانة مألوف المروءة . وقال بعض
الحكماء البلاء وديف الرخاء . وقيل خمول الذكّر أسنى من الذكر الذمير . وهذا
خلاف ما سمعنا سمعت رجلاً يقول لأن أكون رأساً في الضلالة أحب إليّ من
أن أكون ذنباً في الهداية .

وكانت قريش تستحسن من الخاطب الاطالة ومن المخطوب الايجاز فخطب
محمد بن الوليد بن عتبة إلى عمر بن عبد العزيز ابنة أخيه فتكلم بكلام جاز الحفظ
فقال عمر الحمد لله الذي أنطق البلغاء ذى الكبرياء وصلى الله على محمد خير
الأنبياء أما بعد فإن الرغبة منك دعوتك إلينا والرغبة فيك أجابتك منا وقد أحسن
بك ظناً من أودعك كريمته واختارك ولم يختار عليك وقد زوجناك على كتاب الله

(١) الفدام : شيء يشد على القدم .

وسنة نبية صلى الله عليه وسلم فكان هذا من أوجز خطبة وأحسنها للمراد .
ومن موجز كلامهم : ليس مع الخلاف اختلاف . وقولهم رضا الناس غاية
لا تبلى . وقولهم لا ينفعك من جارسوء توق . وقولهم سرك من دمك . وقيل
من لم يمت لم يفت . وقولهم عقل الكاتب على قلبه . ومن الصدق الذي لا ارتياب
فيه قولهم من جالس عدوه حفظ عليه عيوبه . ومن الموجز الملبح ماروى ان بنى أمية
وفدوا على عبد الملك بن مروان فقال أهل الشام ماعسى أن يقول خطيبهم فقام
رجل منهم فقال يا أمير المؤمنين نحن من تعرف وحققا مالا تنكر وجئناك من
بعد ونمت من قرب ففعل بنا من خير فتحن أهله ، فتناول عبد الملك وقال
يا أهل الشام هذا كلام قويم . ومن جيد الاستعارة قول بعضهم : كانوا في
ظل رقيق الحواشي فطواه الدهر عنهم . وقيل القلم أنف الضمير والخط
لسان اليد . وقال النبي صلى الله عليه وسلم (جَدَعَ الْحَلَالُ أَنْفَ
الغَيْرَةِ) وقالوا الفكرة منح العمل . وقيل الشيب خطام المنية . وقالوا
المذاكرة حياة العلم . وقيل الخمول دفن الحى . وقلت السخاء سلم المجد .
وقلت المراء ينقض مرار المودة والتوانى يشير الندامة والكل ينتج الفقر .
وقيل البياض علم الجمال . وقلت الحياء عنوان الكرم . وقلت العتاب مقدمة
السخط . وقال ابن المعتز المعروف غل لا يفكه إلا شكر أو مكافأة ، وقلت
العين رائد القلب . وقلت الدل رسل الدين والشكر ضامن الميزيد والغنى
مظنة البطر . وقال آخر اللحظ طرف الضمير . وقلت الشكر مرتبط النعم . وقال
آخر من جرى في عنان أمله عثر بأجله . وقال الأعمال ثمار النيات . وقيل
التواضع سلم الشرف . وقلت المال عدو الوفاء . وقيل التجنى رسول القطيعة .
وقال الاحنف الأدب عروة العز . ومن أصدق كلمة أعرها قول ابن المعتز : من
قوى عقله كثر حلمه وقل غيظه . وقال الفرصة سريعة الفوت وبطيئة العود .
وقال نرقع خرق الدنيا ويتسع وتشعبها وتنصدع ونجمع منها مالا يجتمع .

ووقع جعفر بن يحيى الى بعض إخوانه : إذا وضع العذر لم يكن عهده الظن مكان إلا لمن أراد التجنى . وقيل للأحنف إن حارثة بن بدر يقع فيك فقال : * عُثَيْثَةٌ تَقْرِمُ جِدًّا أَمْلَسًا * ^(١) وقال بعض الحكماء حصادُ المنى الأُفُف وعاقبتها الندامة وليس لذي لب بها مستمتع . ومن فصيح أمثال العرب قولهم : الفرارُ بقرابٍ أكيَسُ ^(٢) . وعزى اعرابي رجلاً فقال لا أراك الله بعد هذه المصيبة ما ينسيكها . وعزى شبيب بن شيبه ذمياً فقال أعطاك الله عن مصيبتك أفضل ما أعطى أهل ملتك . وقال عبد العزيز بن زرارة أول المعرفة الاختبار . وقال رجلٌ للأحنف ممن أنت قال ممن ودني . وقال البلاغة البلوغ عند الكفاية . وقيل للأحنف ما أحسن المجالس قال ماسافر فيه البصر واتدع فيه البدن وأمن فيه الثقل وكرت فيه الفائدة .

وكتب المهلب ^(٣) إلى عبد الملك حين هزم الازارقة أما بعد فانا لقينا المارقة ببلاد الاهواز وكانت في الناس جولة ثم ثاب أهل الدين والمروءة ونصرنا الله عليهم فنزل القضاء بأمرٍ جاوزت النعمة فيه الأمل فصاروا دريئة رماحنا وضرائب سيوفنا وقتل رئيسهم في جماعة من حماهم وذوى الثبات منهم وأجلى الباقيون ليلاً عن معسكرتهم وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها ان شاء الله تعالى .

وكتب الى الحجاج : الحمد لله الكافي بالاسلام ما وراءه الذي لا تنقطع مواد نعمه حتى تنقطع من خلقه مواد الشكر عليها وإنا كنا وعدونا على حالتين يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم فلم يزل الله تعالى يزيدنا وينقصهم ويمحضنا ويمحقهم حتى بلغ الكتاب أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

(١) مثل يضرب للرجل يجتهد أن يؤثر في شيء فلا يقدر عليه . (٢) أى

الذى يفر ومعه قراب سيفه إذا فاته السيف أكيَس ممن يفيت القراب أيضاً . (٣) هو المهلب بن أبي صفرة . وفي الأصول « ابن عبد الملك »

وكتب ابن المعتز : قد علمتني نبوتك سلوتك وأملئ اليأس منك الى الصبر
عنك . وقال أعرابي^١ لمعاوية هزرت^٢ ذوائب الرجال اليك إذ لم أجد^٣ معولاً إلا
عليك أمتطى الليل بعد النهار واسم المجاهر بالآثار يقودني نحوك الرجاء وتسوقني
اليك البلوى والنفس^٤ مستبظنة والاجتهاد عاذر وإذ بقلتك فقط . فقال معاوية أحطط
رحلك يا أعرابي . وقال سفيان الثوري رأيت^٥ أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة وهو
يقول يارب عندي لك حقوق^٦ فهيها لي وللناس عندي حقوق^٧ فتحملها غنى ولي عندهم
حقوق^٨ فقيضها لي وأناضيفك اليوم فاجعل قرأى الجنة . وذكر بعضهم رجلاً
فقال كان قريب مدى الوتبة لين العطفة يرضيه القليل ولا يسخطه الكثير . .

﴿ أمثلة في البلاغة الكتابية ﴾

أولها التعميد^٩ ومن عادة العارفين أن يتدثروا في الأمور بالحمد لله رب العالمين
يقدمونه أمام طلابها كما أبدى^{١٠} بالنعمة فيها قبل استيجابها . كتب حمد^{١١} بن مهران :
الحمد لله الذي كثرت أياديه عن الاحصاء وجلت نعمه عن الجزاء . وكتب أيضاً :
الحمد لله ذي البلاء الجميل والعطاء الجزيل الذي جعل للأمر سنى الرتبة وعز الدعوة
ووصل له^{١٢} حسن الولاية بشكر النعمة وقرن لأوليائه قوة الحجة بفضل الادالة حمداً
يؤدى الى الحق ويقتضيه ويستمد المزيد ويمتريه والى الله أرغب^{١٣} في زيادة الأمر
والزيادة به وعلى يديه والأيدي الصائلة على عدوه بمنته ولطفه . فأخذ ابن^{١٤} دريد
قوله (ويستمد المزيد ويمتريه) فقال : تحرس نعم الله عز وجل عندنا بالحمد عليها ويمتري
المزيد منها بالشكر عليها وترغب الأيادي اليه في التوفيق لما يبدى من رضاه
ويجبر من سخطه انه مبيع الدعاء لطيف لما يشاء . وكتب الصابي : الحمد لله
ذو المنن والطول والقوة والحول والغاية والصول رافع الحق ومعليه وقامع الباطل
ومرديه ومعر الدين ومديله ومذل الكفر ومذيله^(١) المنزل رحمته على من جاهد

(١) أذاله : حقره وأهانته .

في طاعته وان من عُقوبَتِه بمن جاهر بمعصيته التكفل بتأييد حربه حتى يظفر
 ويخذلان حربه حتى يدحر الذي لا يفوته الهارب ولا ينجو منه الموارب ولا يعيه
 المعضل ولا يعجزه المشكل ولا تبهظه الأشغال ولا تؤوده الاثقال الغنى المفتقر
 اليه القوي المعتمد عليه بالغ أمره بلا مؤازر وممضى حكمه بلا مظاهر ذلكم الله
 ربكم فاعبدوه مخلصين له الدين . وروى عن النبي ﷺ أنه قال لما هزم الأحزاب
 « الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » .
 وكتبت : الحمد لله الذي وفر على الأنام المحاسن واكتنفها باليامن وبسط بالخير
 أيديها وأفاض بالاحسان وادبها وعلّمها البر بالأبرار والعطف على الأحرار واختيار
 الخيرة للأخبار فماتت وقد زكت شجرتها وحلت ثمرتها وثنت أغصانها وتهدأت
 أفنانها ولانت أعطافها وتناهت أطرافها فكانها في أيام أبي تمام التي وصفها فقال :
 أيا منّا مصقولة أطرافها بك والليالي كلها أسحار

بما منح من حسن رأيك أطال الله في كنف السلامة بقاءك وحجب غن
 عيون الغير نعماءك وخوّلك من العزّ أوفره ومن الظفر أخضره وأعطاك من النعم
 أصفاها من الشوائب وأبمدها من ملاحظة النوائب ومنحك من الخير برّمته
 كما قاد اليك الفضل بأزمته ولازال بك الزمان جديد الحلتين مطرز الطرتين
 متوّج المفرق بما آثرك حالي الجيد بمفاخرك ولاسلك نعمة ألبسك جملها ولا نزع
 عنك طرفة وفر عليك كمالها :

رأيت جمال الدهر فيك مجدداً فك : باقياً حتى ترى الدهر قانيا
 وكتب بعضهم : الحمد لله الذي استسلمت نهاية الشكر لدون ما ألزم بصنائه .
 وكتبت : الحمد لله على ما تطوّل به من البرّ وما أوزع ^(١) على ذلك من
 الشكر حمداً يتخطى به إلى غاية رضوانه ويستدعي المزيد من جزيل إحسانه .
 وكتبت : الحمد لله الذي قبض لك السبق إلى البرّ والفوز بالمكرمة البكر

والاستيلاء على قصبات الحمد والشكر .

وكتب آخر : الحمد لله الذي جعل من ألبابنا بصائر تقودنا إلى معرفته ومعارف
ترشدنا إلى الاقرار بربوبيته ليخرجنا من الظلمات إلى النور برحمته .

﴿ ومن جيد الأدعية ﴾

ما كتب الصاحب أبو القسم بن عباد : أسعد الله سيدنا بالفضل الجديد
والنيروز الحميد سعادة مُتصلة المادة حاظقةً لجيل العادة مُؤذنة بظاهر العز والبسطة
وتزايد السرور والغبطة مؤمنة من عوادي الأيام وبوادر الزمان وأراه ستادني
الفتيان قد اقتنى كل منهم مجده وحكى في طلب المعالي أباه وجدّه وجعل
سيدنا آخذاً من كل ماعى به ويدعى به في الأعياد بأجزل الأقسام وأوفر الأعداد .

وكتب الصابي إلى أبي القاسم عبدالعزيز بن يوسف : أطال الله بقاء مولاي
الأستاذ وأسعده بنيروزه الوارد عليه وأطاده ألف عام اليه وجعله فيه وفي أيامه كلها
معافى سالماً فائزاً غانماً مسروراً محبوراً محروساً موفوراً محتوماً له يبلوغ الآمال
مظروفاً عليه ^(١) عين الكمال محظور الافية عن ^(٢) النوائب محي الشرائع عن ^(٣)
الشوائب مُبلغاً غاية ماتسمو اليه همته العالية المشتطة وأمانيه المنفسحة المنبسطة
بقدرته . والفصل الأخير من هذا يُشير إلى قول ابن المعتز : أصحب الله بقاءك عزاً
يسط يدك لوليك وعلى عدوك وكلاءة تذب عن ودائع منته عندك وزاد في
نعمك وإن عظمت وبلغك آمالك وإن بعدت .

وكتب بعضهم عش ماشئت كما شئت ، وهو من قول أبي نواس :

دارت على فتية ذلّ الزمان لهم فما يُصيبهم إلا بما شاؤا

وكتب بعضهم عش أطول الأعمار مُوقى من سوء الأقدار مرزوقاً نهاية
الآمال مغبوطاً على كل حال . وكتب آخرُ ببالغ الله نهاية من العمر لا نهاية
لمستزید وراءها . وقريب منه قول البختری :

(١) في الأصل (عنه) . (٢) في الأصل (على) .

عمرت أبا السحق ما صلح العمر ولا زال معموراً بأيامك الدهر
وقول الآخر :

فلا زالت الأرض معمرة بعمرك يا خير عمّارها
ومما يجرى مع ذلك وليس منه قول أبي تمام :
من بسأل الله أن يبق سراتكم فأنما رام أن يستبق الكرام
وقول المتنبي :

أعبدكم من صروف دهركم فإنه بالكرام . منهم
قلت : فلا زالت الأقدار دون محاكم سواقطاً والمكروه عنكم^(١) مقصراً
وقال بعضهم : جعلك الله من كل محبوب على شرف ومن كل مخدور في كنف .
وكتب آخر : لا زالت الأيام لك مساعدة والليالي على هواك مساعدة تتلقاك
بأوفر الجبور وتطلع عليك بعوائد السرور وتجري مقاديرها لك بالمحبوب وتتقاعس
عنك بالمخدور المرهوب ويحكم لك بالرشد والسعادة ويقضي على أعدائك بالذل
والقناة^(٢) . وكتب ابن المعتز آخرتي العيلة عن الوزير أيده الله فحضرت
بالدعاء في كتابي لينوب عني ويعبر ما خلّته العوائق مني أسأل الله أن يجعل هذا
العيد أعظم الأعياد السالفة بركة عليه ودون الأعياد المستقبلية فيما يحب ويحب له
ويتقبل ما تتوسل به إلى مرضاته ويضاعف الإحسان إليه على الإحسان منه ويؤتمعه
بصحبة النعمة ولباس العافية ولا يريه في مسرة تقيصة ولا يقطع عنه فيها حادثة
جميلة . وهذا مأخوذ من قول سعيد بن حميد : تابع الله لك صالح الأيام ومحبه
الأعوام حتى يكون كما يوم منها موفياً على ما قبله مقعداً عما^(٣) بعده .
وكتب ابن المعتز : حفظ الله النعمة عليك وفيك وولى إصلاحك والإصلاح
لك وأجزل من الخير حظك والحظ منك ومنّ عليك وعلينا بك .
وكتب إلى عليل : مسحك الله بيد العافية ووجه اليك وافداً السلامة وملاك

(١) في النسخ « منكم » . (٢) القناعة : الذل ، والعطف تفسيرى .

(٣) في الأصل « على ما بعده » .

مأفادك وهنّاك ما قسم لك وأمتع بك وليك وألآن لك طاعة عدوك وجمل
الدولة ببقائك وزينها بدوام نعمائك . وكتب الصاحب أبو القسم : والله يديم
لمولانا ولي النعم التمكن والبسطة والعلو والقدرة والعز والنصرة ولا يساب
القلوب ما أودعها من محبة دولته ولا يعدم الصدور ما ضمنها من خشية صولته ليزداد
أولياؤه بصيرة في مناصحته ويضطر أعداؤه الى استعطافه واستقالته انه قد ير على
ما يشاء واليه أرغب في زيادة مولانا من فضله وصلة المناجح بسعيه وعزمه وتعريفه الميامن
في ارتحال وحله وتوفيقه لما يحفظ رأى ولي نعمته ويستديم المقسوم له من محمده .
وكتب أبو الحسن بن أبي البغل الى علي بن عيسى : وهنّا الله الوزير
مأناه وجمله أيمن أمر من أمور الدين والدنيا بدءاً وفاقحةً وأسلمه
مالاً وفاقيةً وأطوله أمداً ومدةً وأدومه انتظاماً واستقامةً وأوفره كفايةً لله
وجميل ولايته وصادق معونه حظاً وسهماً^(١) ويسر لديه العسير وقرب على يده
البعيد والشطير^(٢) إنه على كل شيء قدير . وقال اعرابي لرجل النعم ثلاث نعمه
في حال كونها ونعمة ترجى مستقبله ونعمة تأتي غير محتسبة فأدام الله لك
مأنت فيه وحقق ظنك فيما ترجيه وتفضل عليك بما لم تحتسبه .

المديح

قد صدرت الكتاب بذكر المديح على مذهب الشعراء وأنا أورد هنا
صدراً على مذهب الكتاب ليشتمل الكتاب به على الكمال إن شاء الله تعالى :
ذكر رجل لبعض البلغاء فقال : هو أحلى من رخص الشعر وأمن السبل
وإدراك الأمانى وبلوغ الآمال . وكتب بعض الكتاب : وجرى لك من ذكر
ما خصك الله به وأفردك بفضيلته من شرف النفس والقدرة وعلو المنزلة والذكر
وبعد الهمة ومضاء العزيمة وكال الاداة والآلة والتمهيد في السياسة والايادة وحياطة

(١) السهما بالضم : النصيب (٢) الشطير : البعيد والغريب

الدين والأدب وإيجاب عظيم الحق بضعيف السبب مالا يزال يجري مثله عند كل ذكر يتجدد ذلك وحديث يؤثر عنك . وكتبت : من حل محل سيدنا في شرف المنصب وطهارة العنصر وزكاه الأصل ونماء الفرع وسقي الحساب وسرى النسب مع الشيم الطاهرة والمسكارم المتظاهرة كثرت الرغبة اليه وخيمت الآمال بين يديه وهو حقيق بتصديقها فيه وتحقيقها^(١) غند مؤملها لكرمها في نفسه وتميزه من جنسه . وقال بعضهم لرجل : رحم الله أباك فانه كان يقرى العين جمالاً^(٢) والأذن بياناً . ومما يجري مع ذلك أن بعض الملوك رأى رجلاً قبيح المنظر عي اللسان فأمر باسقاطه وقال ان روح الحياة وهى الانسانية إذا كان ظاهراً كان جمالاً وإذا كان باطناً كان بياناً فمن خلا من الجمال والبيان فليس بانسان . وكتب صاحب : وايس يبدع أن يجود كلامه وتعدل أقسامه ويتهدب بيانه ويتسم جنانه وقد راض العلوم حتى أعطته زمامها ومارس الآداب حتى ملكته خطامها فان تعد الفقه كان البازل الذى ذلل الفحول مُصاولة وإن ذكر الكلام كان الجبل الذى فرع الأطواد مطاولة وإن تصرف في أيام الناس وأخبارهم وفحص عن سيرهم وآثارهم حاضر مُحاضرة الأفراد وكثير مُكاثرة الاتحاد وإن جُورى في سوارى الأمثال وققر الأشعار ترك المجارى لا يدرى أى طريق يركب وأى مذهب يذهب وأما الخطابة فهو جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وقد سُلمت اليه اختياراً من مواليه واضطراراً من مُعاده . وقال رجل لخالد القسرى إنك لتبذل ماجلً وتجير ما اعتل وتكثر ما قل . وكتب ابراهيم بن العباس : وإن أمير المؤمنين لو استغنى بنظر ناظرٍ من وُلّاته واجتهاد مجتهد من كفاته الذين لهم الأثرة عنده والموضع الأخص عن الاستظهار عليه بنظره وعنايته واهتمامه كنت أولى من خفف بمكانه عن نفسه واقتصر على عنايته وتدبيره دون إرشاده وتسديده فالله يُعزّه ويزيدُ في تأييده .

(١) فى الاصل (تحقيقاً) . (٢) أى يكرمها بذلك كما يكرم الضيف .

﴿ فاما الذم والتهجين ﴾

فمن بديع الاستعارة فيه قول أعرابي يذم رجلا : يقطع نهاره بالتمى ويتوسد ذراع الهم إذا أمسى . ودخل أعرابي بغداد فقال فاذا ثياب أحرار على أجساد عبيد إقبال حظهم إديار حظ الكرم شجر فروعه عند أصوله شغلهم عن المعروف رغبتهم في المنكر . وقال بعضهم لرجل استضاف بخيلا : زلت بواد غير ممطور ورجل غير مسرور فأقم بئديم وارحل بئديم . وقال أعرابي : أوشك قوم سلخت أبقاؤهم بالهجاء ودُبغت جلودهم باللؤم قلبا شهم في الدنيا الملامة وزادهم في الآخرة الندامة . وقال أعرابي لا تُد نس شعرك بعرض فلان فإنه ممينُ المال مهزول المعروف من المرزوقين فجأة قصير عمر الغنى طويل حياة الفقر ، ومن ههنا أخذ أبو نواس قوله :

بما أهجوك لأدري لسانى فيك لايجرى

إذا فكرت في عرضك أشقت على شعري

واستشارت امرأة امرأة في رجل تزوجه فقالت لا تفعل فانه وكلةٌ تكلةٌ يأكل خله . وكلةٌ وتكلةٌ بمعنى واحد وهو الذى يتكل فى الأمور على غيره ولا يقوم فيها بنفسه والتاء فى تكلة واو كما قيل تُراث وهو من ورث ، والخلل ما يخرج من بين الأسنان عند التخلل وليس فى اللؤم شئ من الكلام أبلغ من هذا . وقريب منه قولهم فلان يُثير الكلاب عن مرابضها ، يريدون أنه من طمعه وشره يُثيرها يطلب تحتها شيئا قد فضل منها ، ومن ذلك قول الشاعر :

أمن بيت الكلاب طلبت عظما لقد حدثت نفسك بالهال

﴿ فى الشكر (١) ﴾

وكتب ابن المعتز فى الشكر : قد جلت نعمتك عن شكرى فتولى الله مكافأتك

(١) هذا العنوان غير موجود فى النسخ .

عن عجزى بعد جُهدى بما هو أرفع له وأقدر عليه يمنه ورأفته ، وهذا من قول
 طريح بن اسمعيل : فقصرت مغلوباً وإني لشاكرٌ . وكتب آخر : إذا كان
 مجهودى فى شكر النعمة واعتراى بحق العارفة يُبلغنى أقصى نهاية الشاكرين
 وأبعد غاية المعترفين وكانت زيادة معروفك على قدر شكرى كزيادة قيمتك فى
 نفسى فقد أسقط الله تكلف ماجاوز الطاقة عني . وكتب بعضهم قلبى نجى
 ذكرك ونسانى خادم شكرك . ومما يجرى مع ذلك ما كتب بعضهم : أما بعد فإن
 أثقل الناس حملاً من تحمل آمال المؤمنين وأولاهم بالمكافأة من أخدمك عِرضه
 فتذلل لك ونفسه فتواضع دونك وقلبه فكان فى رجائك وتأميلك ولسانه
 فكان فى ذكر محاسنك ونشر مناقبك . وقريب من هذا المعنى قول ابن الرومى :

إنَّ امرأً رَفَضَ الْمَكْسَبَ وَاعْتَدَى يَتَعَلَّمُ الْإِدَابَ حَتَّى أَحْكَمَا
 فَكَسَا وَحَلَى كُلَّ أَرْوَعٍ مَاجِدٍ مِنْ حُرٍّ مَاحَاكَ الضَّيِيرَ وَنَظْمَا
 مُتَشَاغِلًا عَمَّا يُمَارَسُ غَيْرُهُ حَتَّى لَقَدْ أَثْرَى اللِّثَامُ وَأَعْدَمَا
 ثِقَةً بَرَعَى الْأَكْرَمِينَ ذِمَامُهُ لَا حَقَّ مُلْتَمَسٍ بَأَنْ لَا يُحْرَمَا

وكتبت : وتأملتُ التوقيع فى معنى المباشرة فتصور لى الغنى بصورته وقابلنى
 بصدق مخيلته وعرفتُ أن الدهر قد غضت جفونه ونامت عيونه وتفتح عن
 ساحتى خطوبه وهذه نعم أعيا بذكرها فكيف أطعمُ فى إداء شكرها بل عسى
 أن يكون الاعتراف بقصور الشكر عنها شكراً لها ومقابلة بما خلص إلى منها
 وأنا معترفٌ بذلك اعتراف الروض بحقوق الانواء وقائل به كما أقول بفضل الوفاء .
 وقال ابن المقفع : الشكرُ نسيمُ النعمة . وقال على بن عبيدة : النعمة كالروضة
 والشكر كالزهرة . وكتب ابن المعتز فى معنى آخر : سألت عن خبرى وأنا فى
 حافية لا عيب فيها الا فقدك ونعمة لا مزيد فيها الا بك . وكتب أبو العباس بن
 ثوابه : وأنا أسأل الله إذا من بنعمة أن يجعلك المقدم فيها وإذا امتحن بمحنة
 أن يجعلنى وقاءً لك منها . وكتب فى فصل : وإذا ضاق على أن أفعل فليس

يضيق عليك أن تتفضل إذا كان كل واحد منا يجرى إلى غاية في البر والعقوق .
وكتب أبو علي الضرير : تجاوز بي ذكر فضلك ووصف محاسنك والاخبار
بما وهب الله للامام والأمة فيك إلى القول بحاجتي قبلك ليس لأني جهلتُ
الحق على لك ولا لأني ادخرتُ الثناء الجميل لغيرك ولكني رأيتني فيما أتعاطي
منه كالخبير عن ضوء النهار الباهر الذي لا يخفى على ناظر وكلنبه على الأمر الواضح
الذي يستوى فيه العالم والجاهل فانصرفتُ عن الثناء عليك إلى الدماء لك وركلت
الاخبار عنك إلى علم الناس بك .

قد انتهى بنا القول في هذا الباب إلى هنا لعلمنا أنا ان أردنا استيعابه
لم نقدر عليه لكثرت ونرجو أن يقع الاكتفاء به إن شاء الله تعالى وهو حسبنا
ونعم الوكيل والحمد لله وحده .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي دلّ على قدرته وأبان عن حكمته باختلاف ما خلق من الصور
وتباين ما أنشأ من الفطر من ملك وإنسان وبهيمة وجان وطارئ يمسح صفحات
التراب ويأخذ بأهاب السحاب وحش ينطوي على أدراجه ويستوى مرة في أعوجاجه
إلى غير ذلك من خلقٍ مختلفة وأجرام متباينة حقيرها جليلٌ وصغيرها كبيرٌ
وجعل منافعها متاعاً للإنسان الذي كرمه تكريماً وفضله على كثير ممن خلق
تفضيلاً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفات الخيل والابل والسير والقلوات
وذكر الوحوش والطيور والحشرات وما يجري مع ذلك وهو :

﴿ الباب العاشر من كتاب ديوان المعاني وهو ستة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في صفات الخيل

قد وصفها الناس في قديم الدهر وحديثه وصفاً كثيراً واتسع فيها قولهم اتساعاً
شديداً وأنا أجيء بالبديع الغريب من ذلك وأضرب عن غيره لكثرة واستفاضة
ولاحاجة بالناس إلى أن نورد عليهم ما عرفوه ووقفوا عليه وتداولوه إلا ما لا يُبدَّ
من إيراده لفقده شبيهه وعدم نظيره : فمن بديع ما جاء عن القدماء في صفة الفرس
قول أبي ذؤاد :

يحمل منه بعضه بعضه فراكب منه ومركوب

وقول الاعرابي :

وأحمر كالديباج أما سماؤه فرأيا وأما أرضه فحؤول

سماؤه : أطاليه ، وأرضه : أسافله ، يعني حوافره .

ومن أجود ما قيل في تأنيف اذن الفرس ما أنشده القتيبي * كأن آذانها أطراف أقلام *

وأحسن ما قيل في اصطفاؤه الخيل قول الاسمر ^(١) :

يخرجن من خلل الغبار عوابساً كأنامل المقرور أفعى فاصطلى ^(٢)

(١) في الأصل « الأشعر » بالمعجمة ، ولعل الصواب بالمهملة .

(٢) فانه يمد أصابعه الى النار فتكون جميعاً معاً لاتسبق إحداها الأخرى .

أى كلمن "يُبادِرُ" الفارة فليس يفوت بعضها بعضاً . أخذه على بن جبلة
فقال رحمه الله :

كَأَنَّ خَيْلَكَ فِي أَثْنَاءِ غَمَرَتِهَا أُرْسَالُ قَطَرٍ تَهَامِي فَوْقَ أُرْسَالِ
يَخْرُجْنَ مِنْ غَمَرَاتِ النَّعَمِ سَامِيَةً نَشْرَ الْأُنَامِلِ مِنْ ذِي الْقَرَةِ الصَّالِي
وَالْأَوَّلِ أَجُودَ . وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُ الرَّاجِزِ * مُسْتَوِيَاتُ كَضُلُوعِ الْجَنْبِ *
وَفِي وَصْفٍ وَقَعَ قَوَائِمُهَا قَوْلُ مَالِكِ بْنِ حَرِيمٍ الْهَمْدَانِي :

وَتَهْدِي بِي الْخَيْلُ الْمَغِيرَةَ نَهْدَةً إِذَا صَبَرْتَ صَابَتْ قَوَائِمُهَا مَعَا
وَمَنْ أَحْسَنَ الْاسْتِعَارَةَ قَوْلُهُ :

وَأَنْ عَثَرَتْ أَحَدِي بِدِيهِ بِشْبَرَةً ^(١) تَجَاوَبَ أَثْنَاءُ الثَّلَاثِ بَدَعْدَا
وَكُنَ الْإِحْسَنُ أَنْ لَا يَصِفُهَا بِالْعَثَارِ إِلَّا أَنْ قَوْلُهُ * تَجَاوَبَ أَثْنَاءُ الثَّلَاثِ بَدَعْدَهَا *
مُسْتَعَارٌ حَسَنٌ يَعْنِي عَلَى إِسَاءَتِهِ فِي وَصْفِهِ إِيَّاهُ بِالْعَثَارِ ، وَدَعْدَعٌ مِثْلُ قَوْلِهِمْ « لَمَّا » وَهُوَ دُطَاءُ
لِلْعَاثِرِ بِالْحَيَاةِ . وَأَهْدَى بَعْضُهُمْ شَهْرِيًّا ^(٢) وَكُنْتُ : بَعَثْتُ بِشَهْرِي حَسَنَ الْمَجْمُوعَيْنِ
الْمَوْضُوعِ وَطَىءُ الْمَرْفُوعِ هُمَا أَمَامُهُ وَسُوطُهُ لَجَامُهُ . وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الْمُعْتَزِ فِي قَوْلِهِ :
وَخَيْلٌ طَوَاهَا الْقَوْدُ حَتَّى كَانَتْهَا أَنْيَابُ مِمْرٍ مِنْ قَنَا الْخَطِّ زَبَلُ
صَبَبْنَا عَلَيْهِمْ ظَالِمِينَ سَيَاطِنَا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٍ وَأَرْجُلُ
فَذَكَرَ أَنَّهُمْ ضَرَبُوهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَمْنَعَ شَيْئًا مِنْ مَطْلُوبِ سِيرِهَا فَكَانُوا ظَالِمِينَ
أَيُّهَا . وَقَدْ أَجَادَ فِي قَوْلِهِ أَيْضًا * أَضْيَعُ شَيْءٍ سُوطُهُ إِذَا تَرَكَبَهُ *
وَقَالُوا أَحْسَنَ يَدٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ قَوْلُ جَرِيرٍ :

وَطَوَى الطَّرَادُ مَعَ الْقِيَادِ بِطُونَهَا طَى التَّجَارِ بِمَحْضَرِ مَوْتِ بُرُودَا

وَقَدْ أَحْسَنَ الْأَعْرَابِيُّ الْقَوْلَ فِي سُرْعَةِ الْفَرَسِ حَيْثُ يَقُولُ :

غَايَةُ مَجْدٍ رَفَعَتْ فَمِنْ لَهَا نَحْنُ حَوِينَاهَا وَكُنَّا أَهْلَهَا

لَوْ تَرَسَّلَ الرِّيحُ لَجِئْنَا قَبْلَهَا

(١) الشِّبْرَةُ : السُّكُومُ مِنَ التَّرَابِ . (٢) الشَّهْرِيَّةُ بِالْكَسْرِ : ضَرْبٌ مِنَ الْبَرَادِينِ .

وقول الآخر :

جاءَ كمثل البرقِ جاشَ ماطرُهُ يسبحُ أولاهُ ويطفؤ آخره
فما يَمَسُّ الأرضَ منه حافرُهُ

وهذا غاية في وصف سرعة العدو إلا أن قوله * يسبح أولاه ويطفؤ آخره *
ردىء لأنه جعله مضطرب المقادير والمآخير . وقول عبدة بن الطيب في الثور :
ينخى الترابَ بأظلافٍ ثمانية في أربع مَسَّهنَّ الأرضَ تحليلُ
يقول ان مواصلة هذا الثور بين خطواته كواصلة الخاف بعينه بالتحلة لا تراخي
بينهما ، والتحلة قول ان شاء الله .

ومن عجيب القول في سرعة الفرس قول ابن المعتز :

كَأَنَّ جَنَّاتِ الْفَلَاقِ تَضْرِبُهُ كَأَنَّ مَا يَهْرُبُ مِنْهُ يَطْلُبُهُ

وقد أجاد القائل في صفة كلاب * كأنما يرفعن ملا يؤضع * ومن عجيب
ما قيل في ادامة الجري قول العرب يُبارى ظله ويُبارى عنانه و يُبارى شبابة
الرَّمح . ويستحب في الفرس، إشراف مقدمه ومؤخره فمن أجود ما قيل في
ذلك قول علي بن جبلة :

نَحْسَبُهُ أَقْبَدَ فِي اسْتِقْبَالِهِ حَتَّى إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ قُلْتَ أَكْبَرُ

وقد أجاد المتنبي هذا المعنى في قوله :

إِنْ أَدْبَرْتُ قُلْتَ لَا تَلِيلَ لَهَا أَوْ أَقْبَلْتَ قُلْتَ مَالَهَا كَفَلُ

وقلت : طَرَفٌ إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ قُلْتَ حَبَا حَتَّى إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ قُلْتَ كَبَا

ذُو أَرْبَعٍ يَلْقَى الصِّفَا بِمِثْلِهَا وَلِلْحَصَى مِنْ خَلْفِهَا وَثَبَ دَبَا

إِذَا تَرَامَيْنَا بِهِ فِي سَيْرِهِ تَحْسَبُهُ مِنْهَا عَلَى أَنْفِ الصَّبَا

ووصف النبي ﷺ إناث الخيل بأعجب وصف في قوله « ظُهُورُهَا حَرَزٌ

وُطُوءُهَا كَنْزٌ » وقال الأشعرُ الجعفي في معنى قول النبي ﷺ ظُهُورُهَا حَرَزٌ :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ عَلَى تَوَقِّيَّ الرَّدَى أَنَّ الْحَصُونَ الْخَيْلَ لَا مَدْرَ الْقَرَى

ومن أجود ما وصف به ^(١) الحضر ^(٢) الفرس قول الاعرابي في فرسه
 « يحضر ما وجد أرضاً » وقد بالغ امرؤ القيس في قوله :
 على هيكل يعطيك قبل ^(٣) سؤاله أفانين جرى غير كثر ولا وان
 قوله « قبل سؤاله » عجيب الموضع ، وقوله « أفانين جرى » أعجب وأبلغ .
 وأجود ما وصف به ظفره عند الطلب قوله :

وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل
 فجعل الاوابد وهي الوحش مقيدة له ينالها كيف يريد .

وقد أجاد أيضاً أحسن القول في اليقين بالظفر حيث يقول :
 اذا ما ولدنا قال ولدنا أهنا نعالوا الى أن يأتي الصيد نخطب
 وأحسن عمارة التقسيم في قوله في هذا المعنى :

وأرى الوحش في يميني اذا ما كان يوماً عنانه في شمالي
 ونقله الشماخ بن ضرار ^(٢) إلى وصف رام فأحسن حيث يقول :
 قليل التلاد غير قوس وأسهم كأن الذي يرمى من الوحش نازر
 أي جامد بارد يصيبه كيف يريد . وجعله أبونواس في نعت كلاب فقال :
 بأكلب تمرح في قاداتها تعد غير الوحش في أقواتها
 وهو من قول أبي النجم : تعد غابات اللوى من مالها . وقوله :
 يردى على حوافر لا تخذله صم الشوى يحملها وتحمله
 حاف وما يحن وما تنعله نار عجاج مستطيل قسطه
 تنقش منه الخيل مالا تزله في جنبه الطائر ديث عجله
 كأن تراب التاع وهو يسحله ضيق شياطين رفته شماله

(١) الحضر بالضم : ارتفاع الفرس في عدوه .

(٢) هو معقل بن ضرار المازني ، من الحضرمين أدرك الجاهلية والاسلام ،

كان سريع الخاطر في الرجز وهو من طبقة لبيد .

أَوْخَلَقُ يَنْشَقُّ عَنْهُ مَحَلُهُ تَرَى الْفَلَاحَ سَاجِيًا لَا يَرْكَلُهُ
 يُعْطِيهِ مَا شَاءَ وَلَيْسَ يَسْأَلُهُ فَوَافَتْ الْخَلِيلَ وَنَحْنُ نَشْكَلُهُ
 وَيَسْتَحِبُّ فِي الْخَلِيلِ سَعَةَ الْمَنْخَرَيْنِ فَمَنْ أَبْلَغَ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلَ مُزَاحِمِ بْنِ
 طَفِيلِ الْعُقَيْلِيِّ : مَنْ مَنَخَرٍ كَوَجَارِ الثَّعْلَبِ الْخَرْبِ - فَجَعَلَهُ خَرْبًا لِيَكُونَ أَوْسَعُ .
 وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ :

مِلءَ الْحَزَامِينَ وَمِلءَ الْعَيْنِ يَنْفَشُ عِنْدَ الرَّبِّ مَنَخَرَيْنِ
 كَنْفَشِ كَيْرِينَ بِكَفَى قَيْنِ

وَمَنْ أَبْلَغَ مَا قِيلَ فِي طَوْلِ مُعْنَقِ الْفَرَسِ قَوْلَ مُزَاحِمِ الْعُقَيْلِيِّ أَيْضًا
 كَأَنْ هَادِيَهُ جَذَعٌ عَلَى شَرَفٍ ، فَلَمْ يَرْضَ أَنْ جَعَلَهَا جَذْمًا حَتَّى جَعَلَهَا عَلَى شَرَفٍ
 كَصَنِيعِ الْخَنَسَاءِ فِي قَوْلِهَا - كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ ، وَقُلْتُ :

بِعَقْوَدِ السَّرَاةِ عَلَى انْدِمَاجٍ وَمَرْزُورِ الْقَبِيصِ عَلَى انْشِمَارِ
 يُرِيكَ جَبِينَهُ لِمَانَ بَرَقٍ وَسَائِرُ جَسْمِهِ لِمَانَ قَارِ
 فَيُشَبِّهُ تَحْتَ جُنْحِ اللَّيْلِ لَيْلًا وَيُحْكِي الْخَالَ فِي خَدِّ النَّهَارِ
 وَيَقْبَلُ حِينَ يُقْبَلُ فِي مَحْوٍ وَيُدْرِحِينَ يُدْبِرُ فِي انْحِدَارِ
 وَيُمْسِكُ وَهُوَ كَالْعَدْنِ الْمَعْلَى وَيَحْضُرُ وَهُوَ كَالسَّدِ الْمَغَارِ
 يَلُوحُ الْبَدْرُ مِنْهُ فِي جَبِينٍ وَتَضَحُّ الثَّرِيَا فِي عِذَارِ
 وَقَدْ أَبْدَعَ الْقَائِلُ فِي وَصْفِ فَرَسٍ أَبْلَقَ أَغْرَقَالَ :

وَكَاثِمًا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فَاقْتَصَّ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ
 إِلَّا أَنَّهُ أَسَاءَ فِي الْعِبَارَةِ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّطْمَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى الْخَدِّ وَضَرْبُ الْجَبِينِ
 لَا يُسَمَّى لَطْمًا وَالْقَصَاصُ يَكُونُ بِمَثَلِ الْفِعْلِ فَالْقَصَاصُ بِاللَّطْمِ لَا الْخَوْضَ
 فِي الْأَحْشَاءِ . وَقَالَ ابْنُ دَرِيدٍ وَأَحْسَنُ فِي وَصْفِ الْغُرَةِ وَالتَّحْجِيلِ :

كَأَنَّمَا الْجَوْزَاءُ فِي أَرْضَاغِهِ وَالنَّجْمُ فِي جَبْهَتِهِ إِذَا بَدَأَ
 وَنَحْوَهُ قَوْلُ كَشَّاجِمٍ :

قد راحَ نَحْتِ الصُّبْحِ لَيْلٌ مُظْلَمٌ لو راحَ في السَّرجِ المحلَى الأُدُمُ
 ضحكُ اللُّجَيْنِ عَلَى سَوْدِ أَدِيمِهِ وكذا الظلامُ تَنِيرُ فِيهِ الأُنْجُمُ
 فَكَأَنَّهُ يَبْنَاتِ نَعَشٍ مُتَلَبِّبَةٍ وكأَنَّمَا هُوَ بِالثَّرِيَا مُلْجِمُ
 وقلتُ: عارضتُ فِيهِ النُّجُومَ فَوْقَ مُطَهْمٍ يَهْوِي لِطَيْئِهِ هُوِيٌّ الأَعْقَبُ
 ذَاوِي العَسِيبِ قَصِيرُهُ ضَاغِي السَّيْبِ طَوِيلُهُ صَاغِي الأَدِيمِ مُحِبُّ
 كالنُّورِ بَيْنَ العُشْبِ يَبْهَرُ حُسْنُهُ بَيْنَ الجِيَادِ إِذَا بَدَأَ فِي مَوَكِبِ
 وَتَطِيرُ أَرْبَعُهُ بِهِ فِي أَبْطَحِ فَكَأَنَّهُ مِنْ طَوْلِهَا فِي مَرْقَبِ
 صَمَّ الحَوَافِرِ شَرِبَ صَمَّ الصِّفَا مِنْهَا الأَهْلَةُ فِي الصِّفَا وَالصِّلْبِ
 وَكَأَنَّ غَرَّتَهُ نَفَضُضٌ وَجْهَهُ وَالتَّقَعُّ يَذْهَبُهُ وَإِنْ لَمْ يَذْهَبِ
 وَكَأَنَّ فِي أَكْفَالِهِ وَتَلِيلُهُ غَسَقَ النُّجُومِ فَتَسْتَطِيلُ وَتَرْبِي
 وَكَأَنَّمَا الأَرْسَاغُ مَاءٌ لَمْ يَسِلْ وَالجِسْمُ كَأَسْ مَدَامَةٍ لَمْ يَقْطُبِ
 لَمْ يُطْلَبِ إِلَّا يَفُوتُ وَيَطْلُبِ إِلَّا يَفُوزُ فَلَمْ يَنْجُبِ فِي مَطْلَبِ
 وَالْعَاصِفَاتُ حَسِيرَةٌ وَالبَارِقَا تُؤَسِّرَةُ فِي شِدَّةِ المَتْلَبِ
 وَكَأَنَّمَا يَحْوِي مَدَارُ حَزَامِهِ أَحْنَاءَ يَتِ بِالعَرَاءِ مَطْنَبِ
 وَأَوَّلُ مَنْ شَبَّهَ الحَافِرَ بِالحِجَارَةِ الأَفْرَهُ فِي قَوْلِهِ = يَرْمِي الجَلَامِيدَ بِأَمْثَالِهَا *
 ثُمَّ قَالَ رُؤْبَةُ = يَرْمِي الجَلَامِيدَ بِجَلُودِ مَدَقٍ ، وَأَبْلَغُ مَا وَصَفَ بِهِ شِدَّةَ
 قَوَائِمِ الفَرَسِ مَا أَنْشَدَنَاهُ أَبُو أَحْمَدَ عَنْ ابْنِ دَرِيدٍ عَنْ الأَشْجَنْدَانِيِّ عَنْ جَرْمِيِّ :
 سَيَّانَ تَحْتِ طَمُوهِ وَطَمُورِهِ أَمَّ الفَلَا وَمَقَابِلِ الوَلَدَانِ
 يَطَّأُ الخُبَارَ فَلَا يَطِيرُ غُبَارُهُ وَيَرْضُ حَافِرُهُ حَصَى الحَزَّانِ
 يَقُولُ سَوَاءٌ عِنْدَهُ إِذَا طَمَّ فِي سِيرِهِ أَى ارْتَفَعَ وَإِذَا طَمَّ أَى وَثَبَ ، الأَمَّ
 وَهِيَ المَرْتَفَعَاتُ مِنَ الأَرْضِ فِيهَا حِجَارَةٌ وَطِينٌ وَالمَقَابِلُ وَهِيَ مَلَاعِبُ الصَّبِيَّانِ
 إِذَا لَعَبُوا بِالتَّرَابِ فَدُثُّوا مِنْهُ طَرِيقَيْنِ بَيْنَهُمَا كَالْجُدُولِ ثُمَّ خَبِئُوا خَبِيئَةً فَمَنْ أَخْرَجَهُ
 فَقَدْ غَلَبَ ، وَالخُبَارُ الأَرْضُ السَّهْلَةُ ، إِذَا مَشَى فِيهِ خَفَفَ وَطَأَهُ فَلَمْ يَثْرُ غُبَارًا وَإِذَا

جرى في الحزان وهي الغليظة من الارض مكن حافره فرض الحصى . ونحوه قول
جرير * ضرم الرقاق مناقل الأجرال * يقول إذا صار في الرقاق من
الأرض اضطرم من جريه وإذا صار في الأجرال وهي مواضع الحجارة ناقل فيها
لتطمئن مواقع حوافره . وقول الآخر : شاذخة تشدخ من أدلاها :
يقول تبعد عن الطريق ولا تبالي سهلاً أخذت أم حزناً .

ومن الفرد الذي لاشيبيه له قول ابن المعتز :

ولقد غدوت على طمر قادح رفعت قوائمه غمامة قسطل
ومحجل غر اليمين كأنه متبختر يمشي بكم مسبل
وقد أحسن القائل في قوله :

مدى خطوه أقصى مواقع طرفه وأوله في منعه الخطو آخره
وقد قطعت من لونها الشمس غرة له وحجولاً ثم كالظل سائر
وقال ابن المعتز :

تمت له غرة كالشمس مشرقة يكاد سائلها عن وجهه يكف
إذا تقرط يوماً بالعدار غدا كأنه عادة في أذننها شنف
وقلت : إذا تحلى بالعدار ومشى قلت فتاة تتصدى لفتى
كأنه تحت الحلى روضة در عليها الزهر أخلاف الحيا

وأبلغ ما قيل في طول الفرس في الهواء قول أبي دواد :

إذا ماجرى شأوين وابتل عطفه أناخ بهاد مثل جذع سحوق
كأنى إذا طاليت حوزة متنه تعلق برى عند بيض أنوق
وبيض الأنوق في أعلى موضع من الجبل ، فلا ترى أشد مبالغة من هذا البيت .
وقلت : مضطرم الغدور والرواح تخاله يمشي على أرماح

وأخبرنا أبو القسم عن العنقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال أهدى رجل
من الدهاقين إلى خالد بن عبد الله القسري برذوناً وقعد بين يديه فقال ما هذا ؟

فقال أصلحك الله ان تركته نفس وان حر كته طار . فقال صفته خير منه .

وقال ابن المعتز :

أسرع من لحظته إذا عدا أطوع من عناته إذا جذب
ويشبه الفرس في عدوه بالنار فأجمع ما جاء فيه قول ابن المعتز :

ربما أغدو وتحتي طرف^١ لاحق^٢ بالمهاديات^(١) طمر

طوى الشحم على متنبه مثل ما يطوى القباطى تبحر
فهو نار^٣ والتراب^٤ دخان^٥ مستطير^٦ وحصى الأرض جمر^٧

وقال : وكم غدوت بفتيان تسيل بهم سوابق^٨ أحكمتهم^٩ المضامير

مكنفات^{١٠} بأذان^{١١} نواصيها كما يشق^{١٢} عن الطلع الكوافير

تنزوا^{١٣} كراتهم^{١٤} فى كل معترك كما يطير^{١٥} من الذعر^{١٦} العصافير

قوله « تسيل بهم سوابق » من أجود ما وصف به الجرى السهل . ويستحب

فى الفرس الشدق وهو سعة الشدقين فمن المذكور فى ذلك قول بعض العرب

* وان يلق كلب^{١٧} بين لحييه يذهب * ومن ملبح ما قيل فيه قول ابن المعتز :

ناظر فى غرة^{١٨} شمها واسترطا

وإذا سار رى^{١٩} يده والتقطا

وكأن ملجمه^{٢٠} يفتحان مفظا

وقال : وغدونا بأعنة خيل تأخذ^{٢١} الأرض بأيدى^{٢٢} عجال

زينتها غرر^{٢٣} ضاحكات^{٢٤} كبدور^{٢٥} فى وجوه^{٢٦} الليالى

ومن غريب التشبيه تشبيههم قوائم الفرس المحجلة عند السير بجراء كلاب

بيض ، قال الراجز :

كأن اجراء كلاب^{٢٧} يبيض دون صافيه الى التعريض

وقال المعاني الراجز :

(١) فى نسخة (بالمهاديات) .

كأر تحت البطن منه أكلبا أيضاً صغارا ينتهشن المنقبا
وتبعه الحماني فقال :

وليل مثل خافية الغراب عبي مذهب وخفي باب
دلفت له بأسود مستمر كما نظر الغضاب إلى الغضاب
أجش كأنما قابلت منه تبسوق لجة وحريق غاب
تراه كأن عينك لا تراه إذا وصل الوثاب إلى الوثاب
كأن لذي مغابنه التماسا بهادس عنده يقع الكلاب

وليس نظم هذا البيت بمختار ، وذ كر قوائمه ثم قال :

يخالس بينها رفعا ووضعاً كما خفقت بنائك بالحساب

ومن أحسن ما قيل في الحصى الذى يترامى بسنبك الفرس إذا جرى قول امرئ القيس :

كأن الحصى من خلفها وأمامها إذا نجلته ^(١) رجلها خذف أعسرا

وجعله أعسر لذهابه على غير استواء ، أخذه ابن المعتز فقال وغير لفظه وآتى بمعناه :

يقذف بالرجل حصى الطريق كأنه رام بلا تحقيق

وقال : ينفى خفاف الحصى والنقع منتشره كأنها خلف رجله الزناير

وقد أجاد السكيت فى قوله :

كأن حصى المعزاء بين فروجها نوى الرضخ يلقي المصعد المتصوب

فجعلها لكثرتها تلاقى في الهواء وزاد في ذلك على المرق ومنه أخذه وهو قوله :

كأن حصى المعزاء بين فروجها بوادى نوى رضاخة لم تدفق

وقد أجاد الراجز فى قوله * يرضخ ما يرضخ مالا يرضخ ^(٢) * يقول إذا

وطأ الحصى نبت من تحت سنبك فأصاب مالم يطأه فدفعه من موضعه وكان رضخه

أى رحه والرضخ الرمح . ويشبه الحافر بالقعب فمن قديم الشعر فى ذلك قول امرئ

القيس * لها حافر مثل قعب الوليد * أخذه ابن المعتز فقال :

(١) النجل : الرمي كما هو ظاهر . (٢) فى الاصل (يضرخ) فى مواضع .

قد اغتدى بقادحٍ مُسومٍ يعبوب
 ينفي الحمى بحافرٍ كالقذح المكبوب
 قد ضحكت غرته عن موضع التقطيب
 وقد أحسن أبو تمام في قوله :

بحوافٍ حفرٍ وصلب صلب وأشاعرٍ شعرٍ وحلقٍ أحلق
 فجعل البيت كله تجنيساً ولعله ماسبق إلى ذلك . وقد طاب الأمدى قوله « وصلب
 صلب » وقوله « وحوافٍ حفرٍ » وقال ان الحوافر لا تنحفر الأرض وأكثر
 ما ذكر في ذلك انها تثير الغبار قال وهو استقصاء المعنى ، قلنا وبعضهم يستحسن
 ذلك وبعضهم يكرهه . ومن المذكور في صفة الفرس قول البحترى وهو أوصف
 المحدثين للخيال وأكثرهم إجابة في نعمتها :

أما الجوادُ فقد بلونا يومه وكفى يوم مخبراً عن عامه
 جارى الجيادَ فطارَ عن أوهامها سبقاً وكاد يطيرُ عن أوهامه
 جذلان تلطمه جوانب غرة جاءت مجيء البدر حين تمامه
 واسودَّ ثم صفت^(١) لعيني ناظر جنباته^(٢) فأضاء في إظلامه
 مالت نواحي عُرْفه فكأنها عذباتُ أثلٍ مال تحت حمامه
 ومقدم الأذنين تحسب أنه بهما يرى الشخص الذى لأمامه
 وكأن فارسه وراء قذاله ردفٌ فلتست تراه من قدامه
 لانت معاطفه فخيّل أنه للخيزرانٍ مناسبٌ بعظامه
 وكان سهله إذا استعلى بها رعدٌ يقع في ازدحام غمامه
 مثل الغراب بدا يبارى صحبه بسواد صبغته وحسن قواه
 والظرفُ أجلبُ زائرٍ لمؤونة مالم يزره بسرجه وجامه
 وقوله أيضاً : وأغرَّ في الزمن البهيمُ مُحجَّلٌ قد رُحْتُ منه على أغرِّ مُحجَّلٍ

(١) في الأصل (صفا) . (٢) كذاني الديوان ، وفي الأصل (جليابه) .

كالهيكلي المبني إلا أنه
 ذنبٌ كاسحب الرداء يذبُّ عن
 جذلان ينفضُ عنزةً في غرةٍ
 تسوهمُ الجوزاءُ في أرساغه
 وتراه بسطعُ في الغبار لهيبه
 هزج الصهيل كأنَّ في نغماته
 ملكَ العيون فان بدا أعطينة
 وقد أحسن ابن طباطبا في قوله :
 عجباً شمسٍ أشرقت في وجهه
 وإذا تمطر في الرهان رأيتُهُ
 وقال ابن المعتز :

تحملي طرقةً صادرةً واردةً
 ترضيك في يومها وهي غداً زائدة
 ورجلها تقتضي ويدها جاحدة

وباسناد لنا أن رجلاً أنشد أبا البيداء قول أبي نخيلة :
 لما رأيتُ الدينَ ديناً يُؤفكُ وأمست القبةُ لا تستمسكُ
 تُفتقُ من أعراضها وتهتكُ سرت من الباب فسارت دكرُك
 منها لك جوجي ومنها الارمك كالليل إلا إنها تحركُ
 فقال لعنك الله ان كنت أنشدتها وأنت على غير وضوء ، قوله
 كالليل ألا إنها تحركُ استثناء عجيب . وقال ابن المعتز :

إذا ما بدا أبصرت غرةً وجهه كعنقود كرم بين غصنين نوراً
 وردفاً كظهر الترس أسبل خلفه عسيباً كبص الطود لما تحدراً
 وما يجري مع ذلك قول بعضهم :

قد أشهد^(١) الليل بفتيان غرر على جياذ كتائب الصور
 كأنما خيطوا عليها بالابر أومئّر الفارس فيها فانسر
 وباسناد لنا أن محمد بن عبد الله بن طاهر أرق ذات ليلة فقال لكتابه أنا ثم
 أنت ؟ قال لا وأيد الله الأمير ، قال ما أطيب الطعام ؟ قال طعام شهوة في
 أبان جوعة ، قال فما ألدّ الشراب ؟ قال شربة ماء بارد تطفى بها غليلك
 أو كأس^٢ تماطى بها نديك ، قال فما أشهى النساء ؟ قال التي تدخل إليها
 والهأ وتخرج عنها هارباً ، قال فما أجود الخيل ؟ قال الأسوق الأعنق الذي اذا
 طلب لحق واذا طلب سبق واذا سهل أطربك واذا بدا أعجبك . قال صدقت
 لله درك ، اعطه يا غلام ألف دينار ، قال أصلح الله الأمير وأين تقع منى ألفا
 دينار ؟ قال أوزدت نفسك ألفاً قال أوليس كذا ؟ قال لا ولكن حقّ ظنه
 يا غلام . فأعطاه ألفي دينار .

وقيل لاعرابي أعرف الجواد المبرز من البطيء المقرف قال نعم أما الجواد
 المبرز فهو الذي لهز لهز العير وأنف تأنيف السير اذا عدا اسلمب^٣ واذا انتضب
 اتلأب^٤ ، والبطيء المقرف هو المدلوك الحجة القحم الارنبه الغليظ الرقبة
 الكثير الجلبة الذي اذا قلت أمسكه قال أرساني واذا قلت أرسله قال أمسكني .
 وقال المهدي لمطر بن درّاج : أي الخيل أفضل ؟ قال الذي اذا استقبلته
 قلت نافر واذا استدبرته قلت زاهر واذا استعرضته قلت زافر ، قال فأى
 البراذين خير^٥ ؟ قال ما طرفه أمامه وسوطه عنانه ، قال فأى البراذين شر^٦ ؟
 قال الغليظ الرقبة الكثير الجلبة إذا أرسلته قال أمسكني وإذا أمسكته قال أرسلني .
 ووصف رجل^٧ من العرب خيلاً فقال : إنها خليقة للجودة وآية ذلك انها سامية
 العيون لاحقة البطون مصغية الآذان افتاء الاسنان ضخام الركبات مشرقات
 الحجببات رحاب المناخر صلاب الجوافر وقعها تحليل ورفعها تعليل ان طلبت فانت

(١) في نسخة « قد أشهد اللهو » .

وإن طلبت نالت . واستوصف الحجاج ابن القرية فرساً فقال طويل الثلاث قصير
الثلاث حديد الثلاث رحيب الثلاث صليب الثلاث عريض الثلاث منيف الثلاث
أسود الثلاث . فاستفسره فقال طويل العنق والسبيب والساق ، قصير الظهر والعسيب
والشعر ، حديد القلب والسمع والمنكب ، رحيب المنخرين والشدين والجوف ،
صليب الدخيس والكاهل والعجب ، عريض الباب والحجبة والخذ ، منيف الجوانح
والقذال والقوائم ، أسود الذكرك والحافر والعين . وقال محمد بن منادر في وصف فرس :

وَإِذَا أُعْرِضَ قَطْرِيهِ لَنَا وَفِيَا وَاسْتَوْفِيَا قَدَّاءَ بَقْدَّ

فَهُوَ كَالْقَدْحِ أَقَامَتْ دَرَاهُ كَفُّ بَارِيهِ فَمَا فِيهِ أَوَدُ

ووصف النظام فرساً فقال : هو صافي القميص جيد الفصوص وثيق القصب
نقى العصب يروع يديه ويندس برجليه ويشير بأذنيه ويبعد مدى بصر عينيه
يلحق الأرناب في الصعداء ويجاوز الظباء في الاستواء ان حركته طار وإن
زجرته حار وإن طرحت عنانته سار كوج في لجة أو سيل في فجوة ان وجد علماً
أمن وإن فقدته ضغن . وأنفذ جعفر بن يحيى إلى أبيه برذوناً وكتب إليه :
قد بعثت إليك بيرذون لين المرفوع وطيب الموضوع حسن المجموع طويل العذار
أمين العثار . ومما يجري مع ذلك ما أخبرني به أبو أحمد عن أبيه قال حدثني أحمد

ابن طاهر انه كتب إلى الحسن بن علي بن يحيى يستهديه لجاماً لحماره :

تُجَعِّلْتُ فِدَاكَ قَدْ أَمْسَى حِمَارِي لَهُ سَرَجٌ وَلَيْسَ لَهُ لُجَامٌ

كُنْتُ الْعَاطِلُ الْحَسَنَاءِ أَمْسَتْ لَهَا حَكْلٌ وَلَيْسَ لَهَا نِظَامٌ

ثم قال * وأنت لكل ناقصة تمام *

﴿ الفصل الثاني من الباب العاشر ﴾

في ذكر الابل وسيرها وما يجري مع ذلك من وصف أحوالها

أطراف ما قيل في صفة الابل قول القطامي :

يُمَشِينُ زَهْوًا فَلَا الْإِعْجَازُ خَاذِلُهُ وَلَا الصَّدُورُ عَلَى الْإِعْجَازِ تَكَلُّ
 فَهِنَّ مُعْتَزَّضَاتٌ وَالْحَصَى رَمَضٌ وَالرَّيْحُ مَا كُنْتُ وَالظِّلُّ مُعْتَدِلٌ
 قَالَتِ الْعُلَمَاءُ لَوْ كُنَ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ فِي صِفَةِ النِّسَاءِ لَكَانَ أَحْسَنَ وَذَلِكَ لِمَا رَأَوْا
 مِنْ تَمَامِ حُسْنِهِ وَظَرِيفِ لَفْظِهِ . وَالْبَيْتُ الْآخِرُ هُوَ مَنْ أَبْلَغَ مَا قِيلَ فِي صِفَةِ هَاجِرَةٍ .
 وَمَنْ مَلِيحَ مَا قِيلَ فِي ضَمْرِ النَّاقَةِ قَوْلُ ابْنِ الْخَطِيمِ :
 وَقَدْ ضَمِرْتُ حَتَّى كَأَنَّ وَضِئَهَا ^(١) وَشَاحُ عُرُوسٍ جَالَ مِنْهَا عَلَى خَصْرِ
 وَيُشَبِّهُ الزَّمَامَ بِالْحَيَةِ فَمَنْ أَوَّلَ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
 يَمَاجُ مَشَى خَضِرْمَى كَأَنَّهُ حَبَابٌ تَقَا يَتْلُوهُ مَرْتَجِلٌ يَرْمَى
 وَقَالَ خُوَالِمَةُ :

رَجِيعَةٌ ^(٢) . أَصْفَارٌ كَأَنَّ زَمَامَهَا شَجَاعٌ ^(٣) عَلَى يَسْرِى الذَّرَاعِينَ مَطْرَقٌ
 وَأَخَذَهُ الْمُتَنَبِّى فَقَالَ « كَأَنَّ عَلَى الْإِعْتِنَاقِ مِنْهَا الْإِقَاعِيَا »
 مِنْ أَجُودَ مَا قِيلَ فِي ضَمْرِ الْإِبِلِ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :
 إِذَا مَا أَنْيَخْتُ قَابِلَتٍ عَنْ ظَهْرِهَا حَرَا جِيجَ أَمْثَالِ الْإِهْلَةِ شَسْفَ
 شَبَّهَهَا بِالْإِهْلَةِ لَضَرْهَا وَاحِدًا يَدَايِهَا . وَتُشَبِّهُ بِالْقَسِيِّ فَمَنْ أَجُودَ مَا قِيلَ فِي
 ذَلِكَ وَأَجْمَعُهُ قَوْلُ أَبِي عِبَادَةَ الْبَحْتَرِيِّ :

وَحْدَانِ الْقَلَاصِ ^(٤) حَوْلًا إِذَا قَا بِلْنَ حَوْلًا مِنْ أَنْجَمِ الْأَسْحَارِ
 يَتَرَقَّرْنَ كَالسَّرَابِ ^(٥) وَقَدْ خَضْنَ غَمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي
 كَالْقَسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأُسْهُمِ مَبْرِيَّةً بِلِ الْأَوْتَادِ
 وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ :

أَلِيَّةٌ بِالْيَعْمَلَاتِ يَرْتَمَى بِهَا النِّجَاءُ بَيْنَ أَجْوَارِ الْفَلَا

(١) الْوَضِيعُ كَالْحَزَامِ . (٢) أَيْ مَعَاوِدَةٍ . (٣) الشَّجَاعُ هُنَا . الْحَيَّةُ .

(٤) كَذَا فِي دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِّ . وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ « وَحْدَانُ الْقَلَاصِ » .

(٥) كَذَا فِي دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِّ ، وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ « بِالسَّرَابِ » .

خوص كأشباح الحنايا مُضمَّرٌ يرْعَفَنَّ بالامشاج من جذب البرى
 يرُسِّن في بحر الدُّجى وفي الضحى يطفون في الآل^(١) إذا آل طفا
 ومن غريب ما قيل في عين الناقة قول ذى الرمة :
 كأنما عنها منها وقد ضمرت وضما السير في بعض الاضى ميم
 فشبهها بالميم لاستدارتها وغورها ، والاضى الواحدة أضاة وهي الغدير ، وقد
 قصر بذى الرمة علمه بالكتابة . أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن العلاء بن
 عبد الله بن الضحاك عن الهيثم بن عدى قال قرأ حماد الراوية على ذى الرمة شعره
 فرآه ترك في الخط لأمّا فقال له ذوالرمة أكتب لأمّا فقال حماد وانتك لتكتب قال
 لا أكتب عليك فانه كان يأتي باديتنا خطاط فعلنا الحروف تخطيطاً في الرمل في
 الليالى القمر فاستحسنها فثبتت في قلبي ولم تخطها يدي .
 ودخل أبو تمام على المأمون في زىّ اعرابي فأنشده :
 دمنم ألم بها فقال سلام كم حلّ عُقْدَة صبره الامام
 فجعل المأمون يتعجب من غريب ما يأتى به من المعاني ويقول ليس هذا
 من معاني الاعراب فلما انتهى الى قوله :
 هُنَّ الحمامُ فان كسرت عِياقةً من حائهن فانهن حمام
 فقال المأمون الله أكبر كنت يا هذا قد خلطت على الامر منذ اليوم
 وكنت حسبتك بدويًا ثم تأملت معاني شعرك فاذا هي معاني الحضريين واذا أنت
 منهم فقصر به ذلك عنده . وقال أبو نواس في في وصف الناقة :
 ولقد تجوب بي الفلاة اذا صام النهار وقالت المفر^(٢)
 شدنية^(٣) رعت الحمي فانت ملء^(٤) الجبال كأنها قصر

(١) في الأصل « والضحى ، بالآل » . (٢) العفر : الظباء التى يعلو

بياضها حمرة (٣) شدن : موضع باليمن تنسب اليه الابل ، وقيل هو اسم فعل .

(٤) في نهاية الأرب « مثل الجبال » ولعله تصحيف .

أخذه من قول عنزة :

فوقفتُ فيها فاقى وكأنها فدنَّ لأقضى حاجةً المتلوم
إلا أن يبت أبي نواس أحسن رصفاً . وذكر ذنب الناقة فقال :

أما إذا رفعته شامدةً ^(١) فتقول رتق فوقها نسراً
أما إذا وضفته عارضةً فتقول أسبل خلفها ^(٢) ستر

أخذه من قول أبي دواد : قوام من نسور مضر جات * وليس يبت أبي
دواد شيئاً مع يبت أبي نواس ، ثم قال :

وتسفُّ أحياناً فتحسبها مترسماً يقتاده أثر
فاذا قصرت لها الزمام سما فوق المقادير ملطم حر
وكانها مُصنغ لتُسَمِّعه بعض الحديث بأذنه وقر

ومن أجود ما قيل في تقدم الناقة في السير قول القطامي :

ألعن يقصرن من نجب مُخَلَّسة ومن عرابٍ بعيدات من الحادي
أى يسبقن الحادي فيبعدن عنه ، ثم قال أبو نواس وأحسن :

تذر المطى وراءها فكأنها صفٌ تقدمهن وهي امام
وأحسن ابن المعتز في قوله :

وناقة في مهمة رمى بها ثم إذا نام الوردى سرى بها
فهى أمام الركب في ذهابها كسطرٍ بسم الله في كتابها
ومن مُصِيب التشبيه في موطىء الناقة قوله أيضاً :

تلقى الفلاة بنحفٍ لا يقرُّ لها كأن مسقطه في تربها طبق
وقوله في ارتفاع الناقة في الهواء وعظمتها :

كأنا عند نهضته رفعتنا خباءً فوق أطراف الرياح

(١) في الأصل غير منقوطة ، وفي ديوان أبي نواس «شامدة» وهي الناقة

التي تشيل ذنبها نشاطاً . (٢) في ديوان أبي نواس « أرخي فوقها ستر » .

ومثله قوله أيضاً :

ترنو بناظرة كأن حجاجها وقب أناف بشاهق لم يُحال
وكان مسقطها إذا ما عرست آثار مسقط ساجد مُتبتل
وكان آثار النسوع بدفها مسرى الأساود في دهاس أهيل
ويشد حاديا بجبل كامل كسيب نخل خوُصه لم يُنجل

وقال أيضاً :

كان المطايا إذ غدوَنَ بسحره تركنَ أفاحيص القطا في المبارك

ثم قال وهو من أجود ما قيل في معنى الابل :

لنا إبل ملء الفضاء كأنما حملن التلاع الجو فوق الحوارك
وقد أحسن القائل في وصف سرعتهن حيث يقول :

مُخوص نواج إذا حث الحداة بها حسبت أرجلها قدّام أيديها

وذكر دعبل بن علي الخزاعي أن قائل هذا البيت القصافي لم يقل بيتاً جيداً

سواه وكان يقول الشعر ستين سنة ، وأخذ ابن المعتز فقال :

نخال آخره في الشد أو له وفيه عدو وراء السبق مذخور

وقد أحسن مسلم في قوله :

إلى الامام تهادانا بأرحلنا خلق من الريح في أشباح ظلمان
كان أفلاتها والفجر يأخذها أفلات صادرة عن قوس حبسان

وقال آخر :

كان يدّ يها حين يجرى ضفورها طريدان والرجلان طالبتا وتر

ومن بليغ ما جاء في ذلك قول ابن المعتز :

زجرت بها سباح قفر كأنه يخاف لحاقاً أو يبادر أولاً
توارته الايجاف حتى كأنه ليس ضنى أعيا الطيب المذلاً

ومن بديع ماجاء في ذلك قول رؤبة بن العجاج^(١)
 كأن أيديهم بالقاع القرق أيدي المذارى يتعاطين الورق
 وقد أحسن أبو الشيص^(٢) في قوله :

وايل ير كب الركباً ن في أمواجه الخضر
 توكلت على أهوا لها بالله والصبر
 وأعمال بنات الريح في المهمة القفر
 شمائل يباحن متون الصخر بالصخر
 بايجاف يقد الليل عن ناصية الفجر
 وقلت : لنا هجمات تنثى سرواتنا بأسنة مثل الاكام سوامق
 خبطن الريح وانتسفن نباته كحمرت الاجلام فوق المفارق
 بناها بناء البيت حون رواعد نجى على آثار جون بوارق
 تدور بأحقها البروق وتنثى كأن عليها مذهبات مناطق
 وقال ابن المعتز :

وليل كحل العين خضت ظلامه بأزرق لماع وأخضر صارم
 وطيارة بالرحل صرف كأنما تصافح رضراض الحصى بجماجم
 وقلت : وليلة خبطت من ظلماتها بنازح الخطو إذا الخطو دنا
 قد انبرى يعترف الدير بنا في طرق يخبط فيهن الهدى
 ينهى الوجى^(٣) أمثاله عن السرى وساعدته ميعته تنهى الوجى
 ومن مصيب التشبيه قول الراعي :

في مهمه قلقت بها هاماتها قلق الفؤوس إذا أردن نصولا

(١) كان عارفاً باللغة وحشيها وغريبتها ، ولما مات قال الخليل : دفنا الشعر
 واللغة والفصاحة . (٢) هو محمد بن رزين الخزاعي ، كان معاصراً لأبي نواس
 ومسلم بن الوليد ، في شعره رقة . (٣) الوجى : الحفا .

وقول الآخر: حمراء من نسل المهارى نسلها إذا ترامت يدها ورجلها
حسبتها غيرى استغزى عقلها آتى الى كانت تخاف بعلمها
أى كأنها من علمها يديها ورجلها وسرعة تحريكها إياها غيرى تخاضع وتشير
يديها لا تفتقر. وقلت:

ومهمه^(١) قلقت فيهار كائبنا والليل في قلق تسرى ركائبه
ركبته فكان الصبح راكبه ووجيته فكان النجم جائيه
بكل ذى ميعه جد الوجيف^(٢) به فانه غاربه وانضم حابه
وبات ينهب جنح الليل في عجل كأنه لاعب طابت ملاعبه
حتى بدا الصبح مبيضاً ترائبه وأدبر الليل مخضراً شواربه
وإنما النجح في ليل ترادفه إذا تأوب أوصبح يوا كبه
وساهر الليل في الحاجات نائمه وذهب المال عند المجد كاسبه
وقال أبو تمام:

على كل رواد^(٣) الملاط تهدمت عريكته العلياء وانضم حابه
رعته الفيا في بعد ما كانت حقه رطاه وماء الروض ينهل ساكبه
وقلت: واستنهضتك الى المآثر والعلا هم تخال زهاؤهن جبالا
أردفت عزائماً فكانما أردفت مرهقة النصال نصالا
حملتها قلص الركاب كأنها قلص النعام إذا اتبعن ربالا
مهريه الرى السفاد بنحضا فتخالها تحت الرحال رحالا
وقال مسلم:

اليك أمين الله رامت بنا السرى بنات الفيا في كل مرت وقدفد^(٤)
أخذن السرى أخذ العنيف وأسرعن خطاهن بها والنجم حيران مهتدى

(١) المهمه: المفازة. (٢) الوجيف: ضرب من سيرا الخيل والابل.

(٣) في ديوان أبي تمام (موار) أى مضطرب. (٤) أى المفازة.

لبسن الدجى حتى نضت وتصوبت هودى نجوم الليل كالدهو باليد
وهذه استعارة بديعة حسنة عجبية الموقع جداً . وقال أبو نواس :
يكتسى عثنونه زبدًا فتصيلاه الى نحره ^(١)
ثم يعمّ الحجاج ^(٢) به كاعظام النوف في عشره
ثم تذروه الرياح كما طار قطن الندف عن وتره
ومن فصيح الكلام قوله في هذا المعنى :

نفحن الانعام الجعد ثم ضربنه على كل خيشوم كريم المخطم ^(٣)
وقال الشماخ بن ضرار :

كأن ذراعها ذراعا مدلة بعيد الشباب حاوأت ان تعذرا
من البيض أعطافا إذا اتصلت دعت فراس بن غم أولقيط بن يعمر
بها شرف من زعفران وعنبر أطارت من الحسن الرداء المحبرا
تقول وقد بل الدموع خمارها أبت عفتى أو منصبي أن أعبرا
كأن بذفراها مناديل قارقت أ كف رجال يصرون الصنوبرا
وقال الراجز : كأنها نائحة ترجع تبكى بشجور وسواها الموجه
وهو نحو قول الراجز : حسبته غيرى استفز عقلها * ومثله قول الآخر :
كأن ذراعها ذراعا بذية مفجعة لاقت حلائل من عفر
سمعن لها واستفرغت من حديثها فلا شيء يفرى باليدين كما تفرى
فوصفها بأنها بذية وقد أوجعت ونيل منها ولقيت حلائلها عن عفر أى بعد
زمان وتلك الشكوى فى نفسها فجعات تحدث وتحرك يديها فى حديثها فلا تكاد
تسكنهما . وقال أبو تمام :

(١) العثنون : اللحية ، ولعله يريد أن زبده صعد بعثنونه . (٢) الحجاج :

المعظم المحيط بالعين . (٣) فى ديوان أبي نواس (نبيل المخطم) ونفحن :

حركن ، والانعام : الزبد ، والمخطم : أنف البعير يوضع فيه المخطم .

فما صلاتي إذا كان الصلاء بها جمر الفضا الجزل إلا السير والابل
المرضياتك ما أرغمت آنفها والهادياتك وهي الشرذ الضلل
وقال البحتري :

والعيس تنصل من دجاءه كما أنجلي صبح الشباب على القذال الاشيب
وقال ابن المعتز :

ولم تزل نخبط الغلاة بأخفاف المطايا والظل معتدل
كأننا طار نحتنا قزع على أكف الرياح ينتقل
يفرى بطون النقا النقى كما يطعن بيض الجوانح الاسل
وقال في الناقة :

نصنى الى أمر الزمام كما عطفت يد الجاني ذرى الفصن
وقال في لقاح :

حوامل شحم جامد فوق أظهر وان تستغث ضراتهن به ذابا
إذا مامكاء الدرجات بمشعب كما سل خيط من سدى الثوب فانسابا
وهذا في دقة الشخب (١) حسن جداً :

رأيت انهمار الدر فوق فروجها كما عصرت أيدي الغوازل أثوابا
خوازن نحض في الجلود كأنها تحمل كثنائاً من الرمل أصلابا
وقد أحسن في الناقة والزمام :

وصل البيداء عن روجل ينظم الريح بشباب
وقال : وقفت بها عيسى تطير بزجرها ويأمرها وحي الزمام فترقل
طلوباً برجليها يديها كما اقتضت يد الخصم حقاً عند آخر يعطل
وقال بعض العرب :

تطير منامها بالحصى كما نقد الدرهم الصيرف

(١) الشخب و يضم : ما خرج من الضرع من اللبن ، وفي الاصل بالسين المهملة .

ومن غريب ما قيل في تقدم الناقة صواحِبها^(١) في السير قول بعض العرب :

جاءَ وقد ملَّ ثَوَاءَ البحرينِ يَنْسَلُ مِنْهُنَّ إذا تدانين

مِثْلَ انْسِلَالِ الْمَاءِ مِنْ جَفْنِ الْعَيْنِ

وأبلغ ما قيل في غزير الناقة قول أبي حبة :

تَدِرُّ لِلْمَصْفُورِ لو مَرَاهَا يَمَلُّ مَسْكَ الْفِيلِ لو أَنَاهَا

ومن جيد ما وصف به سعة الاخلاق قول ابن جلا :

كَأَنَّمَا نَصَّتْ إِلَى ضَرَّاتِهَا مِنْ نَخْرِ الطَّلَحِ مُجَوِّفَاتِهَا

وقال مُسلم بنُ الوليد في غير هذا المعنى :

أَتَتِكَ الْمَطَايَا تَهْتَدِي بِمِطْيَةِ عَلَيْهَا فَتِي كَأَنَّصْلِ يُونُسَ الْنَصْلُ

وقال أبو نواس :

أَيَا حَبِذَا عَيْشُ الْوَجَادِ وَضَجَّةُ إِلَى دَفِّ مَقْلَاقِ الْوَضِينِ سَعُومِ

ترامى بها الأيجاف^(٢) حتى كأنها تَحْيِفُ مِنْ أَقْطَارِهَا بِقَدُومِ

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأَصْمَعِيِّ عن أبي عمرو قال

سمعت جندل بن الراعي ينشد بلال بن أبي بُردة :

نَعُوسٌ إِذَا دَرَّتْ جُرُورٌ إِذَا غَدَتْ يُوزِلُ طَامِ أَوْسَدِيسٌ كَبَازِلُ

قال فكاد صدري ينفرج من جودتها حتى كتبتها . ودَرَّةُ الْإِبِلِ مَعَ النَّعَاسِ

وَالنَّعْمُ تَدْرُ مَعَ الْإِحْتِرَاسِ فَمِنْ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ جَبِيهَا الْأَشْجَعِيِّ :

رَقُودٌ لَوْ أَنَّ الدُّفَّ يُضْرَبُ تَحْتَهَا لَتَنَحَّاشَ مِنْ قَافُورِهِ لَمْ تَنَّا كَرِ

أَيُّ مِنْ قَافُورَةٍ فِيهَا يُقَالُ رَجُلٌ قَافُورَةٌ إِذَا كَانَ يَتَجَنَّبُ النِّسَاءَ وَيَتَّقِي مَجَامِعَهُنَّ .

ومن الوصف الحسن قول القطامي في نوق :

جَفَادٌ إِذَا صَافَتْ هَضَابٌ إِذَا شَتَّتْ وَفِي الصَّيْفِ يَرْدُدُنَ الْمِيَاءَ إِلَى الْعُشْرِ

يشبها بالآبار من كثرة ألبانها في أيام الربيع والقيظ وهي في الشتاء كالهضاب

(١) في الاصل « حواجبها » . (٢) في ديوان أبي نواس « ترامت بها الأهوال » .

سمناً وإذا شربت في اليوم العاشر التفت في مثله وفي سكر وشها بقية من الماء .
 عرض شريح ناقة للبيع فقال له المشتري كيف لبنها ؟ قال احلب في أى اناء
 شئت ، قال فكيف الوطاء ؟ قال افرش ونم ، قال فكيف قوتها ؟ قال احمل على
 الحائط ما شئت ، قال فكيف نجارها ؟ قال علق سوطك وسر . فاشتراها فلم ير
 شيئاً مما توهمه بصفة شريح فماد اليه فقال لم أر شيئاً مما وصفت قال ما كذبتك
 قال فأقلني قال نعم فأقاله . وأنشد أبو أحمد رحمه الله :

جاءت تهادى مائلا ذراها تحنُّ أولاهها على أخراها
 مشى العروس قصرت خطاها فاسمطت القيعان من رغاها
 واتخذتنا كلنا طلاها

يقول انها كبيرة غزيرة إذا مشت سالت ألبانها فايضت القيعان منها والرضا
 جمع رغو ، واتخذتنا كلنا طلاها أى لشربنا ألبانها كأننا أولادها .

ومن أجود ما قيل في ارتفاع الابل وارتفاع اسنمها قول أبي ذؤاد :
 فإذا أقبلت تقولُ اكلمُ مشرفاتٌ فوقَ الأكمامِ اكلمُ
 وإذا أعرضت تقولُ قصورُ من سماهيج فوقها آطامُ
 وإذا ما فجيئها بطن غيبٍ قلت نخلٌ قد حان منه صرام
 الغيب ما وارك من الشجر ، وسماهيج أرض بالبحرين .

(الفصل الثالث)

في ذكر الفلوات والظلال والسير والناس وما يجرى مع ذلك

فمن أبلغ ما قيل في صفة بعد الفلاة قول مسعود أخي ذي الرمة :
 ومهمه فيه السرابُ يلحُ يدأبُ فيه القومُ حتى يطلحوا
 ثم يظنونَ كأن لم يبرحوا كأنما أمسوا بحيث أصبحوا
 وقال رؤبة بن العجاج * يكلُّ وقد الريح من حيث انخرق *

ذكر أن الريح تكل فيه لمبعدة ، ووفد الريح مأخوذ من قول تأبط شرًا
 * ويسبق وفد الريح من حيث ينتحي * وقال مسلم بن الوليد :
 تجرى الرياحُ بهامضي مولهً حَسْرَى تلوذُ بأطراف الجلاميد
 قوله « بأطراف الجلاميد » زيادةٌ ليست في بيت زُوبة . ويشبهون استواء الفلاة
 باستواء ظهر الترس قال الشاعر * ومهمه كمثل ظهر الترس *
 وأحسن ذو الرمة حيث يقول في هذا المعنى :
 ودَوَّ ككف المشتري غير أنه بساطٌ لأخماس المراسيل واسع
 شبهه بكف المشتري لأن كفه الصق ، وفي رواية أخرى لأن المشتري يسط
 كفه للصق . وقلت في نحوه :
 وبحر ككف الأكرمين يحفه صعيدٌ كأيدي السائلين مديد
 وقال بعضُ المحدثين :

ودَوَّيةٌ مثل السماءِ قطعها مطوقة آفاقها بسائها
 ومن عجيب التشبيه في وصف الآل قول بعض الأعراب :
 كفى حزنًا أنى تطالأت كي أرى ذرى على دَمخ فما يُريان
 كأنهما والآل يُنجأبُ عنهما من البعد عينا بُرقع خلقان
 وهذا من أغرب ما روي من تشبيهات القدماء . وقال جميل بن معمر في السراب :
 ألا نيكما أعلامُ بثنةٍ قد بدت كأن ذراها صمته سيب
 طوامسٍ لي من دُونهنَّ عداوةٌ ولي من وراءِ الطامساتِ حبيبٌ
 بعيدٌ على كسلانٍ أودى ملالةً وأما على ذى حاجةٍ فقريب
 والسبيب الشقة البيضاء . وقال ابن المعتز :

والآلُ ينزو بالصوى أمواجه نزو القطا الكدرى في الأشراك
 والظلُّ مقرونٌ بكل مطية مشى المهارِ الدُّهم بين رماك
 ولا أعرف في هذا المعنى تشبيهًا أحسن ولا أصوب من هذا .

ومن عجيب التشبيه في وصف اعتدال الظل عند الظهيرة قول الراجز
* واتعمل الظل فصار جوربا * وقال آخر :

إذا شئت أداني صروم^{هـ} مشيع^{هـ} معى وعقام^{هـ} تتقى الفحل^{هـ} مقلت^{هـ}
يطوف بها من جانبيها ويتقى بها الشمس^{هـ} حتى في الأكارع ميت^{هـ}
أداني : أماني ، صروم^{هـ} : أي صارم^{هـ} ، مشيع^{هـ} : شجاع^{هـ} كأن معه أصحاباً
يشيعونه فهو جرى^{هـ} يعني قلبه ، العقام^{هـ} : التي لاتلد فذاك أشد لها يعني ناقة ،
والمقلت^{هـ} : التي لا يبقى لها ولد^{هـ} ، وحى^{هـ} في الأكارع ميت^{هـ} : يعني ظلاً قد ضارع
عند انتصاف النهار . ومن بديع ما قيل في السراب قول ابن المعتز :
وماراعنى بالبين إلا ظمائن^{هـ} دعون^{هـ} بكائي فاستجابت سواكبه
بدت^{هـ} في بياض الآل والبعد^{هـ} دونه كأسطر رقيق^{هـ} أمراض الخط كاتبه
ولهم في وصف الاسفار في البحار شعر قليل فمن أجود ما وصف به الموج قول الهذلي :
* نجاج^{هـ} يرتمين الى نجاج *
ولا أعرف في السير والنعاس أجود لفظاً واستعارة مما أنشدناه أبو تمام :

يقول^{هـ} وقد مالت بنا نشوة الكرى نعاساً ومن يعلق سرى الليل يكسل^{هـ}
أنخ^{هـ} نسط^{هـ} انضاء النعاس^{هـ} دواءها قليلاً ورقه عن قلائص ذبل^{هـ}
نالت^{هـ} له كيف الاناخة^{هـ} بمبدما حدا الليل عريان الطريقة^{هـ} منجلى
ومما يجري مع ذلك قول الآخر :

عود^{هـ} على عود^{هـ} على عود خلق كأنه والليل يرمى بالنسق
مشاجب^{هـ} وفلق^{هـ} سقب^{هـ} وطلق

عود : يريد شيخاً كبيراً ؟ على عود أي على بعير مسين^{هـ} ، على عود خلق أي
طريق قديم دارس فكأنه يريد^{هـ} كأن ذلك كما قال رؤبة :

فيها خطوط^{هـ} من سواد وبلق كأنه في الجليل^{هـ} توليع^{هـ} البهق
أي كأن ذلك شبه البعير بالمشاجب والطريق بالسقب وهو عمود^{هـ} من عمد

الخباء ، وشبهه الشيخ بالطلق وهو القيد لانحنائه . وقريب منه قول الآخر :
عودٌ على عودٍ قوود للابل يموت بالترك ويحيا بالعمل
عودٌ : بعير ، على عود يعنى طريقا ، يموت بالترك : يعنى الطريق يدرس اذا لم
يسلك ، ويحيا بالعمل : اذا سلك استبان . ومن المختار في صفة النعاس قول الآخر :
فأصبحن بالمومة يحملن فتية نشاوى من الادلاج ميلُ العمام
كأن الكرى سقام صرخدية عُقاراً تمشى في المطا^(١) والقوائم
وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن الأصمعي أن أبا عمرو
ابن العلاء كان يستحسن قول بشامة بن غدير ويعجب منه غاية العجب :
كان يديها وقد أركلت وقد حرن ثم اهتدين السبيلا
بدا سابح خراً في غمرة فأدركه الموت إلا قليلا
ومما يجري مع ذلك قول الاعرابي :
بدأن بنا وابن الليالي كأنه حسامٌ جلا عنه القيون صقيل
فما زلت أقي كل يوم شبابه الى أن أتتك العيس وهو ضئيل

(الفصل الرابع)

(في ذكر الوحوش والسباع والكلاب والصيد وما يجري مع ذلك)
فمن أجود ما قيل في وصف الثور اذا عدا فيخني تارة ويظهر أخرى قول
الطرماح ، وكان الأصمعي يتعجب من حسنه :
بيدو وتضمرة البلاد كأنه سيفٌ على شرف يسل ويغمد
وقد أحسن عدى بن الرقاع^(٢) في وصف ثورين وما يثيران في عدوهما من الغبار وهو
يتعاوران من الغبار ملاء يضاء مخملة هما نسجاها

(١) المطا : الظهر . (٢) هو عدى بن زيد العاملي ، من معاصري جرير

مدح بني أمية في الشام واختص بالوليد بن عبد الملك .

تطوى إذا علوا مكاناً جاسياً وإذا السنايك أسهلت نشرها
لأعرف في صفة الغبار أحسن ولا أتم من هذا . وأما قوله في صفة قرن الظبي فليس
له شبه وهو من المشهور :

يُزجى أغن^١ كأن إبرة روقه^٢ قلم أصاب من الدواة مدادها
وقد أحسن الراعى في وصف الوعل :

برود^٣ بها ذب^٤ الرياد كأنه فتى فارسي في سراويل راح
ذب^٥ الرياد أي^(١) الوعل ، وبرود يجيء ويذهب ، شبه ما على قوائمه من الشعر
بالسراويل وشبه قرنه بالرمح . وقال ابن المعتز :

كأننى على طائر من الوحش ناشط^٦ تخال قرون الأجل من خلفه غابا
الأجل : القطيع من بقر الوحش ، والغاب : الاجمة . وقال أيضا :

وجرت لنا سنجاً جاذر رملة^٧ تلو الما كاللؤلؤ المتبدد
قد أطلعت إبر القرون كأنها أخذ المراد من سحيق^٨ الأمد
وقال ابن المعتز :

شغلته لواقع^٩ ملاثته غيرة فهو خلفهن كمى^{١٠}
قابض^{١١} جمعها إليه كما يجمع أيتامه إليه الوصى^{١٢}
كلا شم^{١٣} لا قحامي^{١٤} منها رأس فحل يرجلها معلى^{١٥}
خارج^{١٦} من ظلال ققع كما مسزق جلبنا به الخليع^{١٧} الغوى^{١٨}
قد طواها التسويق والشدحتي^{١٩} هي قب^{٢٠} كأنهن القسى^{٢١}
هربت في رؤوسهن غيون^{٢٢} غائرات^{٢٣} كأنهن الركنى^{٢٤}
وقال أيضاً: كأن آثاراً أظلاف الظباء به ودع^{٢٥} يخلفه أضلافه نسق^{٢٦}
ومن فصيح ما قيل في الكلب وبليغه قول أبي نواس :
كأن لحية على افتار^(٢)ه^(٣) شك مسامير على طواره

(١) في الأصل « على الوعل » . (٢) في ديوان أبي نواس « لدى افتارده » .

طواره : نواحيه .

مع^(١) إذا استروح لم يحاره إلا بأن يطلق من عذاره
فانصاع كالكوكب في انحداره لفت المشير موهناً بناره
شدّاً إذا أخصف في جداره^(٢) خرق أذنيه شبا اظفاره

وهذا مثل قوله :

من كل أخذى ميسان المنكب يشبُّ في القودِ مشبوبَ المقرب
يلحق أذنيه بمجد المنكب

المقرب : الكريم من الخيل يشد لكرمه بقرب البيوت ، ميسان المنكب أى
من سعة جلده يمس منكبه . ومن بديع الوصف قوله :

كأنما الأظفورُ في قنابه موسى صناع رُدُّ في نصابه
تراه في الحضرة إذا هابه يكادُ أن يخرجَ من اها به
أخذه من قول ذي الرمة :

لا يذخران من الايفال باقية حتى تكاد تفرى عنهما الأُهب
والقناب : الغلاف . وقد أحسن في قوله وأجاد :

فجاء يُزجيهما على شياتها شمَّ العراقيبِ مؤنقاتها
مفروشة الأيدي شربشاتها مشرقة الأكتاف موفداتها
قود الخراطيم مخرطامها غرَّ الوجوه ومحجلاتها
الموفدات : المشرقات ، خرطوم مخرطم مثل ليل أليل :

كأن أقماراً على لبّاتها ذل المآخير عملساتها^(٣)
لتقناً الأرنب عن حياتها ان حياة الكلب في وفاتها

وقال ابن المعتز في سعة أشداق الكلاب :

(١) السمع : ولد الذئب . (٢) في ديوان أبي نواس (حتى إذا أخصف في

احضاره) . (٣) في الأصل « زل المسخير معكساتها »

كأنها في حلقٍ الاطواقِ ضواحك من سعة الأشداق
وقال في شدة عدو الكلب * كأنها تعجل شيئاً تحسبه * من قول أبي نواس
* كأنما يعجلن شيئاً لقطا * ومن بليغ ما قيل في شدة العدو قول الأحرار في الثور:
وكأنما جهدت أليته أن لا تمس الأرض أربعة

ومن جيد وصف السرعة قول الحماني :

يبادر الناظر وهو يبدره كأن من يبصره لا يبصره

وقال الأصمعي وأحسن ما قيل في صفة الذئب قول حميد بن ثور :

تري طرفيه ينسلان كلاهما كما اهتز عود النبعة المتابع
ينام بأحدى مقتلتيه ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

وقال الأصمعي من أوجز الكلام قول الراجز في الذئب :

أطلس يخفي شخصه غباره في فمه شفرته وناره

هو الخبيث ^(١) عينه فراره

ومما يجري مع ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عبد الرحمن
عن عمه عن أبي عمرو قال : رأيت باليمن غلاماً من جرم ينشد عزراً فقلت
له صفها يا غلام فقال : حسراء مقبلة شعراء مدبرة بين عثرة الدهسة وقنو الدبسة
سبحاء الخدين خطلاء الأذنين فقساء الصورين كأن زعمتيها تتوا قلنسوة يالها
أم عيال وثمال مال . الحسراء : التي قل شعر مقدمها ، والشعراء : التي قد كثرت
شعرها ، والعترة عثرة كدرة ، والدهسة لون الأرض ، والقنو شدة الحمرة ،
والدبسة حمرة كدرة ، والسبحاء السهلة الخدين ، والخطلاء الطويلة الأذنين
المضطربتهما ، والفقساء المتباعدة بين طرفي القرنين ، والصور : القرن .

(١) في النسخ غير منقوطة فصيحناها من لسان العرب حيث يقول « الخبيث

عينه فراره : تعرف الخبيث في عينه إذا أبصرته » . وفي النسخ « عيه » بالباء وهو تصحيف .

الزئمتان اللحمتان المعلقتان تحت حنك الشاة^(١) ، والتتو ذؤابة القلنسوة .

ولأعرابي في الذئب :

وأطلس ملء العين يحمل زوره وأضلعه من جانبيه شوى النهد
له ذنب مثل الشواء يمدّه ومتن كتن القوس أعوج مناد
طواه الطوى حتى استمر مزيره فافيه إلا الروح والمظم والجلد
يقضض عضلاً في أمرتها الردى كقضضة المقرور أرعدّه البرد
عوى ثم ألقى فارتجرت فهجته فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد
وأبعته أخرى وأضلت نصله بحيث تلوى اللب والرعب والحقد
وقال غيره في الفيل :

أجرّد كالعود طويل النابين بعيد ما بين محطّ الرجلين
ينفض أذنين كفضلى بردين

وقال ابن الرومى فيه :

ولأعضل النابين حامل مخطم به حجن طوراً وطوراً به فعم
يقلب جثماً عظيماً موثقاً يهد بركنيه الجبال إذا زحم
ويسطو بخرطوم يطاوع أمره ومشتبهات ما أصاب بها عثم
ولست ترى بأساً يقوم لبأسه إذا عمل النابين فى الناس أو صدم

﴿ الفصل الخامس من الباب العاشر ﴾

فى ذكر الطيور

مما جاء من منشور الكلام فى وصف الحمام قول بعضهم : بهرمانى العينين طاجى

(١) قال المحيى فى جنى الجنين فى تمييز الثنيتين « الزئمتان هتتان تكون المعز فى حلوقها ، فان كانتا فى الاذنين فهما زئمتان بالنون » ولم يخص فى القاموس هذا التخصيص .

المنقار أصهب القرطمتين ^(١) سبجي الجناحين كأنما خطا بقلمين دري الدفتين
فضى الحقيية والبطن والكشحين أرجوانى الساقين والتقدمين معتدل الهامة جاحظ
الحدقين رحب الأذنين والمنخرين واسع الحوصلة والشدقين محدد المنكبين
والركبتين سبط الذنب والكفين طويل العنق والقوادم والفخذين قصير الخواقي
والساقين عريض الصدر والدفتين والوظيفتين غليظ القصب أجش الهدرة منتصب
الهامة ذكي الحركة بعيد النقرة .

ووصف ابن المعتز حماماً طلبه من انسان : أريد حرمي الطرق حاجي المنقار
أغن الهدير ذا ذنب قصير يسحب حوصلته إذا هدر وتروح صفقته إذا صفق
قرطامى الدفتين سبجي الجناحين كأن رجله خاضتا دماً أو شربتاً عندما وكان
عينه جرة ورأسه زبدة . وقلت في حمام أبلق :

| | |
|---|---|
| وَمُتَّفَقَاتِ الشَّكْلِ مُخْتَلِفَاتِهِ | لِبَسْنٍ ظَلَامًا بِالصَّبَاحِ مَرَّقَا |
| أَخَذَنَ مِنَ الْكَافُورِ أَنْفًا وَمَنْسَرًا | وَحُضْبِنَ بِالْحَنَاءِ كَفًا وَأَصْبَعَا |
| وَتَدْنُو بِأَبْصَارٍ إِذَا مَا أَدْرَتْهَا | جَلُونَ عَقِيقًا لِلْعَيُونِ مَرْصَعَا |
| تَطِيرُ بِأَمْثَالِ الْجَلَامِ كَأَنَّهَا | جَنَادِلُ تَدَحُّوْهَا ثَلَاثًا وَأَرْبَعَا |
| تَبُوعٌ ^(٢) بِهَا فِي الْجَوْ مِنْ غَيْرِ فِتْرَةٍ | كَأَنَّ مَجَازِيْفًا تَبُوعُ بِهَا مَعَا |
| إِذَا هِيَ عَبَّتْ فِي الْغَدِيرِ حَسْبَتَهَا | تَزُقُّ فَرَاخًا فِي الْمَغَادِرِ جَوْعَا |

وقال بعضهم في عين العقق :

يُقَلِّبُ عَيْنَيْنِ فِي رَأْسِهِ كَأَنَّهَا نَقَطَتَا زَيْبِقَ

ومن المختار في الديك ما أنشده الجاحظ :

كَأَنَّ الدِّيكَ دِيكَ بَنِي نَمِيرٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى السَّرِيرِ

والناس يستحسنون قول ابن المعتز في الديك :

(١) قرطمتا الحمام : نقطتان على أصل منقاره - كما في جنى الجنتين للمحبي .

(٢) أى تسرع .

صَفَّقَ إِمَّا ارْتِيَا حَةً لَسْنَى الصَّبْحِ وَإِمَّا عَلَى الدُّجَى أَسْفَا
وَقَالَ دِيكَ الْجَنِّ :

أَوْفَى بِصَبْغِ أَبِي قَابُوسٍ مَفْرَقُهُ كَدْرَةُ التَّاجِ لَمَّا عُظِّيتْ شَرْفَا
وَقَوْلُهُ « صَبْغِ أَبِي قَابُوسٍ » يَعْنِي شَقَائِقُ النِّعَمَانِ ، وَهَذَا كَلَامٌ بَعِيدٌ الْمُتَنَاولُ ظَاهِرُ
التَّكْلُفِ . وَقُلْتُ فِيهِ :

مُتَوَجِّجٌ بِعَقِيقٍ مَقْرُطٌ بَلَجِينِ عَلَيْهِ قَرَطُوقٌ وَشِيٍّ مُشْمَرٌ الْكَفِينِ
قَدَزَيْنَ النَّحْرَمَنَةِ ثَنَّتَانِ كَالْوَرْدَيْنِ حَتَّى إِذَا الصَّبْحُ يَبْدُو مُطَرِّزُ الطَّرَتَيْنِ
دَعَا دُعَاءَ طُرُوبٍ مُصَفَّقُ الْكَفِينِ يَزْهِي بِتَاجٍ وَطُوقٍ كَأَنَّهُ ذَوْرَعَيْنِ
وَقَالَ السَّرِيُّ الرَّقَاءُ :

كَشَفَ الصَّبَاحُ قَنَاعَهُ فَتَأَلَّقَا وَسَطَا عَلَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ فَاطْرَقَا
وَعَلَا فَبَشَرَ الصَّبَاحُ مُدْرَعٌ بِالْوَشِيِّ تَوَجَّجٌ بِالْعَقِيقِ وَطُوقًا
مُرْخِي فَضُولِ التَّاجِ فِي بُبَاتِهِ وَمُشْمَرٌ ثَوْبًا عَلَيْهِ مَغْمَقَا
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

وَقَامَ فَوْقَ الْجِدَارِ مُشْتَرَفٌ كَمَثَلِ طَرَفِ أَعْلَاهُ أُسْوَانُ
رَافِعُ رَأْسٍ طَوْرًا وَخَافِضُهُ كَأَنَّمَا الْعَرَفُ مِنْهُ مَنَشَارُ
وَمَنْ أَجُودَ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ النِّعَمَانِ قَوْلَ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ :

وَمَكَانُ زَعْلٍ ظَلَمَانُهُ كَرَجَالِ الْحُبُشِ تَمْشِي بِالْعَمْدِ
فَقَالَ شَبَّهَ أَعْنَاقَهَا إِذَا مَدَّتْ بِالْعَمْدِ . وَمَنْ أَحْسَنَ تَشْبِيهِ أَخْذِهِ الْعَمَانِيَّ :
كَأَنَّمَا حِينَ مَدَّتْ عُنُقَهَا حَرَقَا سُودُ الرِّجَالِ تَعَادَى بِالْمَزَارِيقِ
وَكُنْ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ « مَدَّتْ أَعْنَاقَهَا » وَالَّذِي قَالَ رَدِيءٌ ، وَقَدْ جَاءَ مِثْلُهُ :

وَقَالَ ابْنُ أَبِي عَيْنَةَ :

يَا جَنَّةَ قَاتَتِ الْجَنَانَ فَمَا تَبْلَغُنَا قِيَمَةً وَلَا ثَمَنًا
أَلْفَتُنَا فَاتَّخَذْتُنَا وَطَنًا إِنَّ فُؤَادِي لِحُبِّهَا وَطَنٌ

أنظر وفكر فيا تطيفُ به إن الأريبَ المفكرَ الفطن
من سفنٍ كالنعامِ مقبلةٍ ومن نعامٍ كأنها سفنُ

ومثله قوله :

زروادى القصرِ نعم القصرُ والوادي وجبذا أهلهُ من حاضرٍ بادي
ترقى قراقيرُهُ والعيسُ واقفةُ والضبُّ والنونُ^(١) والملاحُ والحادي
وقول الآخر :

كانَّ بالسهبِ على خربائه عرشاً يخرُ الريحُ في قصبائه
يضحكُ جنُّ الأرضِ من نحاته كأنَّ قوسَ الغيمِ من ورائه
يعنى الغبار المنعرج خلفه . وقلتُ في فاختة :

مرتُ بمطرابِ الغداةِ كأنَّها تُعلُّ مع الاشراقِ راحاً مُفلّلا
ويروى « تُعلُّ رحيقاً في الغُصونِ مُفلّلا » :

منمرة كدراء تحسبُ أنها تجلُّ من جلدِ السحابةِ مفصلا
بدتُ تجلُّ للعينِ طوقاً ممسكاً وطرفاً كما ترنو الخريدةُ أكحلا
لها ذنبٌ وافي الجوانبِ مثل ما تُقشِّرُ طلماً أو تجرُّدُ منصلا
إذا حلت في الجوَّ خلت جناحها يردُّ صغيراً أو يحركُ جلجلا
وقال أبو نواس في حياريات :

يخطرُنَ من برانسٍ قُشوب من حبيرٍ عُولينَ بالتذهيب
فهنَّ أمثالُ النصرانيِّ الشيب

وقلتُ في قبجة^(٢) :

أهديتها كالمديِّ آنسة وهى سليلُ النواشِرِ النفرِ
تلبسُ ممشورةً مُشَمرةً تصونُ أطرافها من العفرِ
وقد جرى المسكُ من محاجرِها فضمَّ لبَّاتها مع الثغرِ

(١) النون : الحوت . (٢) وهي الحجلة .

تخطرُ في حلةٍ مُصدرةٍ كأنَّ أكامها من الحبرِ
واحرَّ منقارُها ومنخرها تفتحُ الوردِ في ندى السحرِ
كأنَّها حينَ نقط قرطمها تضربُ ياقوتةً على دُررِ
وقال أبو نواس في طير الماء :

كأنَّها يصفرنَ من ملاعق صرصرة الاقلام في المهارق
ونقله الى موضع آخر فقال أيضاً :

يصفرُ أحياناً إذا لم يهزج من مثل حرفِ المجدح المغنج

المجدح : ما يمدح به السويق ، والمغنج : المعطف .

وأحسن ما شُبِّهَ به ذلك قول بعض الاغراب يصف طيراً أنشده الاصمعي :

يضرينَ أحناءاً إلى الماءِ كلِّها لبيقٌ كمفروج المناقيشِ أسبح
لبيقٌ : أى رفيق بذلك حاذق به ، يقول هذه الاحناك لبيقة بالشرب ،
والمفروج : المفتوح ماينه . وقلتُ في الخطاف :

وزائرةٌ في كلِّ عامٍ تزورنا فيُخبرُ عن طيبِ الزمانِ مزارها
تُخبرُ^(١) أنَّ الجوّ رَقَّ قميصه وأنَّ الرِّياضَ قد توشَّى ازارها
وأنَّ وجوهَ القُدْرِ راقَ يياضها وأنَّ وجوهَ الارضِ راع اخضرارها
تُحنُّ البنا وهي من غيرِ شكلنا فتدنو على بُعدٍ من الشكلِ دارها
فيعجبنا وسطُ العراضِ وقوعها ويؤنسنا بينَ الديارِ مطارها
أغار على ضوءِ الصباحِ قميصها وفازَ بألوانِ الليالى خمارها
تصبحُ كما صرَّت نعالُ عرائس تمشى إليها هندها ونوارها
تجاورنا حتى تشبَّ صغارها وتقضى لباناتِ النفوسِ كبارها

ولم أسمع في ذلك أحسن من قول بعض المحدثين :

وغريبة حنّت إلى أوطانها جاءت تبشرُ بالزمانِ المقبل

(١) في النسخ مهملة من النقط .

فرشت جناح الآنفوس وسطرت بالعاج فيه وقهقهت بالصندل
وقلت في أصواتها :

أيا عجباً من آنس لك نافر يُعاودُ وصلاً وهو في حالٍ هاجر
يزور على بُعد المكان ولم يُرد وصلالاً قتل في زائر غير زائر
له في الذرى شذرٌ يمرُّ وينثى كما حرك الكعبين كفٌ مقامير
وهذا معنى لم أسبق إليه . وقال أبو نواس في أصوات الخطاف :

كان أصواتها في الجو طائرة صوت الجلام إذا ما قصت الشعرا
وقال ابن المعتز في البازي :

فارسٌ كفٌ مائل كالأسوار ذو جؤجؤ مثل الرخام المرمار
أو مصحف منمنم بأسطار ومقلة صفراء مثل الدينار
يرفع جفناً مثل حرف الزنار

وهذا تشبيه في غاية الاصابة . ومن أحسن ما قيل في منسر البازي قول أبي نواس :

ومنسر أكلف فيه شيخاً كأنه عقد ثمانينا

وقال ابن المعتز في عين البازي وأجاد فيه :

ومقلة تصدقه إذا رَمَقَ كأنها نرجسة بلا ورق

وقال أبو نواس :

في هامة عليها تهدي^(١) منسراً كعطفة الجيم بكف أعسرا

وقال ابن المعتز في بُزاة :

وفتيان غدوا والليل داج وضوء الصبح منهم الطلوع

كان بُزاتهم أمراء جيش على أكتافها صدأ الدروع

وقال في عين البازي * كأنها في الرأس مسمار ذهب *

(١) في الأصل « غلباء تهدي » .

وقال أيضاً : ومنسر غضب الشباه دام كعقدك الحسين بالايهام
وخافق للصيد ذي اصطلام ينشره للنهض والاقدام

كنشرك البرد على المستام

وقال أيضاً : ذي جؤ جؤ محبر موشى ومقلة تلحق بالقصى
كانها دينار صيرفى واتصلت براته القورهى

صاف كغصن الذهب المجلى

وقال أيضاً : أقر من ضرب بزاة قمر يصقل حملاً شديداً الطهر
كانه مكتحل منبر فى هامة لمت كلم الفقر
تريح ان راح لأمر بهر من منخر رجب كعقد العشر
وقلت فى الصقر :

وصلتان فلتان أتمر كأنه إذا هوى للأعفر
مُعبرٌ هوى الى مزعفر بأبيض من البزاة أقر
منم الصدر كصدر الدفر بمثل اهداب جفون الاحور
وقلت : بصلتان سلط جسر تحاله فى مفصل مزور
ضم جناحيه على ممر معوج المنسر والأظفور

كالجيم فى منقطع السطور

وقلت فى عصفورة يقال لها السقا :

ومفتنة الألوان يرض وجوها ونمر تراقبها وصفر جنوبها
كان دراريماً عليها قصيرة مرقعة أعطافها وجيوبها
تعدل ألوان الأغاني كأنما تبدل أوزان الأغاني عريها
تسام استقاء فى العشاء إذا عرى وعطل أيام المصيف ذنوبها

وكان الاصبغى يتعجب من حسن بيت الطرماح فى صفة الظلم

بجتاب . وقلت فى بلابل :

مررتُ بدكن القمص سود العائم نفى على أعراف غيد نواعم
 زهين بأصداع تروق كأنها نجوم على أعضاد أسود قاحم
 ترى ذهباً ألقته تحت مآخرها ولجيناً بطنه بالمقدام
 فباحسن خلق من نضار وفضة وخز وديباج أحمر وقاتم
 وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبي ذكوان وأبي خليفة عن التوزى قال
 قال عمرو بن الحارث الجمحي ما رأى الاصبعى مثل نفسه قال الرشيد يوماً أنشدونا
 أحسن ما قيل في وصف المقاب فعذر القوم ولم يأتوا بشئ فقال الاصبعى أحسن ما قيل فيها:
 باتت يورقها في وكرها سغب^١ وناهض يخلص الأقوات من فيها
 وقال امرؤ القيس:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدي وكرها العناب والحشف البالى
 فقال الرشيد ما بعل^(١) القوم بشئ إلا وجدت عندك فيه شيئاً .
 وقال آخر في الغراب:

وجرى بينهم غداة تحملوا من ذى الأبارق شاجح يتفند^٢
 شبح النسا خرق الجناح تخاله في الدار إثر الظاعنين مقيد^٣
 وقال آخر في عقق:

إذا بارك الله في طائر فلا بارك الله في عقق
 طويل الذناب قصير الجنا حمتى ما يجد غفلة يسرق
 يقلب عينين في رأسه كأنها قطرتا زئبق

وقال آخر في الزناير:

لها حاة كأنها شعر تظهر مسودة وتستتر^٤
 قد أذهبت في الجبين غرته إذ فضضت في جياتنا الغرر
 وقلت في ظبية داجنة وقارى:

(١) بعل بأمره كفرج: دهش وفرق ويرم قلم يدر ما يصنع .

فيها مؤانسةٌ لنا وحشيةٌ تومئ بناظرها إلى ظمياء
تختالُ في متصنلٍ متكفر تبراّ أضرّ بفضةٍ بيضاء
ودقيقة الأطرافِ وهي جسيمةٌ رّيا تمرمر في متونٍ ظاء
ومغنيات من وراءٍ ستائرٍ مشقوقة الأوساط والاحناء
غنت فلم تحوج إلى مشهورةٍ وشدت فلم تقفر إلى الميلاء
تبدو على أعناقهن أهلةٌ سودٌ تبدل ظلمة بضياء

﴿ الفصل السادس من الباب العاشر ﴾

(في ذكر بقية الحيوان من السنور والقنفذ والفأرة والحية والعقرب والحرباء
والضب والبق والبراغيث وما يجري مع ذلك)

كتب الصاحب أبو القاسم في وصف قنفذ : قد آتحتك ياسيدي بملق نفيس
يتعجب المتأمل من أحواله ويحار الناظر في أوصافه ويتبدل المعتبر في آياته فما تعرف
بديهة النظر أمن الحيوان هو أم من الجماد أم هو من الشجر أم من النبات ومن
الناطق هو أم من الصامت أم من الحار أم من البارد أم من الرطب أم من اليابس
حتى إذا أعطى متدبره النظر أوفى حقوقه والفحص أكمل شروطه علم أنه حي
سلاحه في حصنه ورام سهامه في ضمنه ومقاتل رماحه على ظهره ومخاتل مره خلاف
جهره ومحارب حصنه من نفسه يلقاك بأخشن من حد السيف ويستتر بألين من
مسه حتى إذا حذر جمع أطرافه فتحسبه راية قتاد أو كرة حرشف ومتى أمن بسط
أكنافه وهي أمضى من الأجل وأرمى من عمل ان رأته الأراقم رأته حينها أو
عابنته الأساود عابنت حتفها صعلوك ليل لا يحجم عن دامسه وحارس ظلام لا يجين
في حنادسه - شعر :

كغشم الفتيان غير مهبل سهد إذا ما نام ليل الهوجل

لجـرمه من الضب شبه ومن الفأر شكل ومن الورل نسبة ومن الدليل
سبب ولم أعمه عايك هو أنقد ولذلك قيل من لم يذق غماضا ولم يرقد حثا
بات بليلة الأتقد ، وذكره الشيهم وهو الشيزم وأثناء عيمة معرفة لا يدخل الألف
واللام عليها كنفخوط ودجلة وكحل ، ولا أعنيك هو القنفذ ، ومن أحواله أن العرب
تسلخ جلده فتخرجه كالشحمة البيضاء وتجعله من أنفـس ما كـلموا وأفخر مطاعـمها حتى تراه
أرفع من الأفاعى وأنفع من الجرذان وتدعى جهلة الاعراب انه من مراكب
الـشيطان وهو الطف من الفرس حساً وأصدق سمماً وقد جاء في المثل (أسمع من
قنفذ) ومن أوايده أنه يسود إذا هرم ويصير كأبر ما يكون من الكلاب وأعظم
ويشبهه به ركب المرأة عقب التنف والنورة ولذلك قال ابن طارق في أرجوزة له :
يصيرُ بعدَ حلقهِ ونورَتِهِ كقنفذِ القفِّ اختبي في فروته
ويشبهُ الساعى والنمام به نخبته ومكره واضطرابه في ليله قال أيمن به خريم :
كقنفذِ الرملِ لا تخفى مدارجُهُ خبُّ إذا نامَ ليلُ الناسِ لم ينم
وقال عبدة بن الطبيب ^(١) :
قومٌ إذا دَمَسَ الظلامُ عليهم حدجوا قنافذَ بالميمَةِ تمرعُ
وقال جرير :

يَدبُّونَ حَوْلَ رِكيانِهِمْ . دَيْبَ القنَافِذِ في العرفج
فخذَه ياسيدي ممتعاً واقبله شاكراً برى فيه فاحتط عليه احتياط الشحيح
على ماله والجبان على روحه وارغب إلى الله تعالى في حفظه واسأله إطالة عمره وهو
حسبي ونعم الوكيل .

ولم أسمع في صفة الهرة أظرف من قول ابن طباطبا العلوى الاصفهاني قال فيها :
أرقتُ مُقلتي لـحِبِّ عَرُوسِ طفلة في الملاح غيرِ شموس
فتنتني بظلمةٍ وخبياءٍ إذ بدت لي كالعاج في الابنوس

(١) هو الشاعر الفحل الشجاع الذي شهد الفتوح ، وقال فيها شعراً .

تلقى الظلام من مُقْلَبِها بشعاع يحكي شعاعَ الشمس
ذات دَلَّ قصيرة كلما قا مت نهادي طويلة في الجلوس
لم تزل تسبغُ الضوء وتتنق كلَّ عضولها من التنجيس
دأبها ساعة الطهارة دفنُ السمنبر الرطب في الخنوط اليبس
ومن أجود ما قيل في الحية قول النابغة :

صلُّ صفا لا ينطوى من القصر طويلة الأطراف من غير خفر
مهرونة الشدين^(١) حولاء النظر تقتر عن عوج حداد كالأبر
داهية قد صغرت من الكبر

وقال الآخر : خلقت لها زمة عرين ورأسه كالقرص فطح من دقيق شعر
فكان شديقه إذا استعرضته شدا عجز مضمض لظهور
وأجاد خلف في قوله :

ثم آتى بحية مانجى أبت مثل يذق الشطرنج
وليس من شعر المحدثين في الحية أحسن من قول ابن المعتز :

كأنى ساورتنى يوم بينهم رقصاءً مجدولة في لونها بلق
كأنها حين تبدو من مكانها غصن تفتح فيه النور والورق
ينسل منها لسان تستغيث به كما تعود بالسبابة الفرق
وقوله أيضاً :

أنعت رقصاء لا يحى لديتها لو قدما السيف لم يعاق به بلل
تلقى إذا انسلخت في الأرض جلدتها كأنها كم درع قد بطل
وقلت : وخفيفة الحركات تقترع الربى كالبرق يلمع في الغمام الرائح
منقوطة تحكي بطون صحائف إبان تبدو من بطون صفائح
ترضى من الدنيا بظل صخيرة ومن المعاش باشتام روائح

(١) أى واسعة الشدين .

وهذا من قولهم ان الحية إذا هرمت لم تحتج الى الطعام واكتفت بالنسيم .

وقال اعرابي :

وحش كحلقة السوار غايته شبر من الاشبار
كأنه قضيب ماء جارى يقتتر عن مثل تلظى النار

وقال آخر : يرقونه فكأنما يعنى برقيقته سواء

وقال أبو العباس ثعلب يُقال أنه لم يسمع في صفة الحية أحسن من هذا البيت وأنشد:

كأنما لسائه على فيه دخان مصباح ذكت ذواكبه

وقال عبد الصمد بن المعدل في العقرب :

يارب ذى إفك كثير مخدعه يبرز كالقرنين حين يطلعه

في مثل ظهر السبت حين تطلعه أسود كالسيحة فيه مصبعه

لا تصنع الرقشاء مالا تصنعه

وقلت فيها أيضاً :

وإذا شتوت أمنت لسعة عقرب كالنار طارت من زناد القادح

قد خلتها تمشى بسبيحة عابدة كالأقدام تمشى بصعدة راح

وقال آخر: يحمل رُمحاً ذا كهوبٍ مُشتمر فيه سنان كالخريق يستعر

أنف تأنيفاً على حسن قدر تأنيف أنف القوس شدت بالوتر

ومن أحسن ما قيل في الحرباء وهى دويبة شبيهة بالمظاة تأتى شجرة بالتنضبة

فتمسك بيديها غصنين منها وتقابل الشمس بوجهها فكما زالت عين الشمس

عن ساق منها خلّت يديها عنه وأمسكت بساق آخر حتى تغيب الشمس فتسبح

في الأرض وترنح قال أبو دواد :

إني أتيح لها حرباء تنضبة لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقا

والعرب تقول أحزم من الحرباء لأنها لا ترسل غصناً إلا أمسكت بآخر ،

ويشبهه به الرجلُ الحصيف^(١) الذي لا يترك سبياً إلا أخذ بسبب أمتن منه .
قال ابن الرومي في امرأة ورقبيها :

مابالها قد حسنت ورقبيها أبدأً قبيحٌ قبيحُ الرقباء
ماذاك إلا أنها شمسُ الضحى أبدأً يكونُ رقيبها الحرباء
وقال بعض العلماء : الحرباء فارسيّةٌ معربةٌ وأصلها خورباء أى حافظ الشمس ،
وخور اسم للشمس بالفارسية . وكان ذو الرمة أنعت العرب للحرباء قال :

ودَوِيَّةٌ جرداء جدّاء خيَّمت بها صبواتُ الصيف من كل جانب
كأنَّ يدي حربائها متمسكاً يدا مُذنبٍ يستغفرُ الله تائب
وقال أيضاً : وقد جعل الحرباء يصفرُ لونه
ويسبح بالكفين سبحاً كأنه
وقال أيضاً : يصلى بها الحرباء للشمس مائلاً
إذا حوّلَ الظل العشي رأيتُه
حنيفاً وفي قرنِ الضحى يتنصّرُ

وهذه تشبيهاتٌ مصيبةٌ عجيبةٌ الاصابة دالةٌ على شدة الخلق وثقوب الذهن ، وقد
أجمعت العرب أن ذا الرمة أحسنهم تشبيهات . وقال ابن المعتز :

ومهمه فيه ييضات القطا كسرا كأنها في الأفاحيص القواريرُ
كأنَّ حربائها والشمسُ تصهرُ صال لنا من لهيب النار بقرور
وهذا تشبيهٌ مصيبٌ أيضاً إلا أنَّ للأول ماءً وطلاوة ليس لذا .

ومن أحسن ما قيل في الضب قول الحماني :

تري ضبّها متسعاً رأسه كما مدَّ ساعده الأقطع
له ظاهرٌ مثل بردِ الوشي وبطنٌ كما حسر الأصلم
هو الضبُّ مامدٌ مكانه فاذ ضمه فهو الضفدع

ومن أجود ما قيل في البعوض وأجمعه قول بعضهم أنشده أبو عثمان :

(١) في نسخة « الخصيف » وفي أخرى « الخفيف » ولعل الصواب ما أثبتناه .

إذا البعوضُ زجَلَتْ أصواتها وأخذَ اللحنُ مُغنياتِها
 لم تُطرب السامعَ خافضاتها وأرقَّ العينين رافعاتِها
 صغيرةٌ كبيرةٌ أذاتها بقصر عن بُغيتها بُغاتها
 ولا يصيب أبداً رُماتها راحة خرطومها قناتها

وقال آخر : * حنانة أعظمها أذاها * وقال ابن المعتز :

بِتُّ بلبيلٍ كله لم أطرفِ قِرْقِسُهُ ^(١) كالزبير المنشفِ
 يشقُّ الجلدَ وراء المطرفِ حتى ترى فيه كشكلاً المصحفِ

أو مثل روس العصفَرِ المندفِ

وقلت : غناءٌ يسخنُ العينَ وينفِى فرَحَ القلبِ
 ولا يأتى على الزمرِ ولا يجرى مع الضربِ
 غناء البقِّ بالليلِ ينافى طربَ الشربِ
 إذا ما طرَّقَ المرءُ جرى فى طلق الكربِ
 نحيفٌ راح كالشنِّ ولكن بات كالوطبِ
 إذا ما نقبَ الجلدَ ةً أخفى موضعَ النقبِ
 سوى حميرِ خفياتِ تحاكي نقطَ الكتبِ

وقد ذكروا أن كل معنى للأوائل أخذهُ المتأخرون ونصرفوا فيه إلاقول

عنتره فى الذباب فإنه لم يتعرض ^(٢) له ولو رامه من رامه لا فضع وهو قوله :

وترى الذبابَ بها يُغنى وحدهُ زجلاً كفعل الشاربِ المترنمِ
 هزجاً يحكُّ ذراعَه بذراعِهِ فعلَ المكبِّ على الزنادِ الأُجْدَمِ
 وقلت : وبدا فغناني البعوضُ مطرباً فهرقتُ كأسَ النومِ إذ غناني
 ثم انبرى البرغوثُ ينقطُ أضلعي نقطَ المعلمِ مُشكلَ القرآنِ
 حتى إذا كشف الصباحُ قناعه قرأتُ لى الذُّبانُ بالالْحانِ

(١) القرقس بالكسر : البعوض . (٢) فى الاصل « لا تعرض » .

وكتب أبو القسم الأمدى : وصار كاتب الديوان أفرغ من حجام سابط وحسبك أيدك الله أن كاتب الديوان في هذا الوقت شيخ كان يخلقى ويخلف من كان يلى الديوان قبله يُعرفُ بابن نوح حسن الشيبة عظيم الهامة كثير الصمت لو رأيته لقلت هذا نوح النبي ﷺ منماً ووقاراً وليس له عمل خلف سلته إلا صيد الذبان فهو أعلم خلق الله بأجناسها إذا مرَّ به ذبان يطيرُ عرفه بطيرانه قبل أن يسقط فيقول هذا ذكرٌ وهذا أنثى وهذا ربيعٌ وهذا صيفٌ وهذا مُلِحٌ وهذا لجوجٌ يسقط على العين والأنف ويُطردُ فيعود وهذا يلسع وهذا ليس بلساع وهذا يقع على الأقدار وهذا تَزِهٌ عيوف لا يقع إلا على الماء كل الحلوة والأشياء العذبة وهذا من صيد الليث وهو جنس من العناكب وليس هذا من صيده وهذا يقع في شبكة الخدرنق - وهو العنكبوت الطويل الأرجل - وهذا يسفد وهو يطير وهذا لا يسفد إلا واقعاً وهذا مما يدخلُ رأسه في رؤوس الذبان السبعة التى تقع فى الكحال لأنه أقرح وهذا ان وقع رأسه فى كل عى من يكتحل به لأنه أحمر الجبهة وهذا يقبل بدنه على خرطومه وهذا لا يقبل وهذا هَرَجٌ مغنٌ وهذا صموتٌ وهذا يُنذِرُ وهذا يُبشِّرُ بطينته وزمرته فيصدق فيما يَعُدُّ ويوعِدُ ويكون ذلك أخذاً بالكف . وقد ألف فيها كتاباً حسناً فيه نوادر وعبر . وظننته قد نظر فى باب الذباب والبعوض من كتاب الحيوان واستقى من هناك ففأتحته فإذا هو لا يعرفُ الجاحظ ولا سمع بكتاب الحيوان قط ونظرت فإذا أبو عثمان لم ينته فى معرفة الذباب إلى شيء مما انتهى إليه وعرفه .

ومن أجود ما قيل فى البراغيث قول بعضهم وقد ظرف فى ذلك :

فيا العباد الله ما لقيت إذ أظهرت فى الأرض شدَّ مغيرها
فلا الدينُ ينهاها ولا هى تنهى ولا ذو سلاح من معدٍ يضيرها
وقال آخر :

هنيئاً لأهل الرِّى طيبُ بلادهم وأن أميرَ الرِّى يجي بنُ خالدٍ

بلادٌ إذا جنَّ الظلامُ تقاوت
براغيثها من بينِ مثنى وواحدٍ
ديارِجةٌ سودُ الجلودِ كأنَّها
نعالٌ بريدٌ أرسلتْ في المزودِ
وقلت: ومن براغيث تنفى النوم عن بصرى
كأنَّ جفتى عن عيني قصيرَ أن
يطلبنَ مني ثاراً لستُ أعرفهُ
إلا عداوة سودانٍ لبيضانِ
وقد شكاهن الرماح الأُسدى فأحسن في قوله :

تطاولَ بالفسطاط ليلى ولم يكن
بحنو الفضا ليلى على بطولٍ
يؤرقى حُجبَ صغارٍ أذلةً
وانَّ الذى يؤذينه للذليلِ
إذا ما قتلناهن أضعفنَ كثرةً
علينا ولا ينعى لهنَّ قتيلُ
ألا ليتَ شعرى هل أبيتنَّ ليلةً
وليس لبرغوثٍ إلى سبيلِ
وقال ابن المعتز :

وبراغيث ان ظفرنَ بجسمى
خلت في كلِّ موضعٍ منه خالاً
وأما القمل فأعجب ما قيل فيه قول بعضهم :

للقمل حولَ أبي العلاءِ مصارعٌ
من بين مَقْتولٍ وبين عقيرِ
وكأنهنَّ إذا علونَ قميصه
فردٌ وتوأمٌ ممسِمٍ مقشورِ
وقد أبدع جرير في قوله :

ترى الصيبيانَ ما كفةً عليه
كهنقة الفرزدقِ حين شابا
وقلتُ في النمل :

وحىَّ أناخوا بالنازلِ باللوى
فصاروا بها بعدَ القطارِ قطينا
إذا اختلفوا في الدَّارِ ظلتْ كأنَّها
تبددُ فيها الريحُ بزرَ قطونا
إذا طرقوا قدرى مع الليلِ أصبحت
بواطنها مثلَ الظواهرِ جونا
لهم نظرةٌ يمينى ويسرى إذا مشوا
كما مرَّ مرعوبٌ يخافُ كينا
ويعشون صفاً في الدَّيارِ كأنَّها
يجرونَ خطاً في الترابِ مبينا
ففى كلِّ بيت من يسوتى قريةً
تضمُّ صنوفاً منهم وفتونا

فيا مَنْ رأى يَتَأْ يَضِيقُ بِخُمْسَةٍ وفيهِ قُرْبَاتٌ يَسْعَتُ مِثْنًا
 قالوا ومن الأبيات الجامعة للشرِّ قول بعض القدماء :
 به البقُّ والحِمْيُ وأَسَدٌ خَفِيَّةٌ وعمرُو بنُ هِنْدٍ يَتَدَى وَيَجُورُ
 وبالمصرِ برِعوثٌ وبقٌ وَحَصْبَةٌ وَحِمْيٌ وَطَاعُونٌ وتلك شرورُ
 وبالبسورِ جُوعٌ لَا يَزَالُ كَأَنَّهُ دُخَانٌ عَلَى حَدٍّ الْأَكَامِ يَمُورُ
 ألا أتمسا الدنيا كما قالَ رَبُّنَا لأحمدَ حُزْنٌ تَارَةٌ وَسُرُورُ
 وقلت في الجراد :

أَجْنَحَةٌ كَأَنهَا أَرْدِيَةٌ مِنْ قَصَبٍ لَكِنَّمَا مَنقُوطَةٌ مِثْلُ صُدُورِ الْكُتُبِ
 وأرجلُ كَأَنهَا مَنَاشِرٌ مِنْ ذَهَبٍ
 وقلت : وأعرابية تَرْتَادُ زَادًا فَتَمُرُّ مِنْ بِلَادٍ فِي بِلَادٍ
 غَدَتِ تَمَشِي بِمَنشارِ كَلِيلٍ تَبُوعٌ بِهِ قَرَارَةٌ كُلُّ وَادِي
 وَتَنشُرُ فِي الْمَوَاءِ رِداءَ شَرِبٍ عَلَى أَرْجَائِهِ تَقْطُ الْمِدَادُ
 وَتَلْبَسُ تَحْتَ ذَاكَ عَطَافٍ لَا ذِ عَلَى أَكْنافِهِ وَدَعِ الْجَسَادُ
 ومن عجيب ما قيل في الفأر ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن
 سعيد عن الرياشي قال دخل اعرابي البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر فقال في ذلك :
 عَجَلَ رَبُّ النَّاسِ بِالْعَقَابِ لِعَامِرَاتِ الْبَيْتِ بِالْخَرَابِ
 كَحَلِ الْعَيُونِ وَقَصِ الرِّقَابِ بِمَجْرَدَاتِ أَجْبَلِ الْأَذْنَابِ
 مِثْلَ مِدَارِ الطِّفْلِ الْكَعَابِ كَيْفَ لَهَا بِأَمْرِ الْوَثَابِ
 مُنْهَرَتْ الشَّدْوُ حَدِيدُ النَّابِ كَأَنَّمَا يَكْشُرُ عَنْ حَرَابِ
 يَفْرَسُهَا كَالْأَسَدِ الْوَثَابِ

آخر الباب العاشر من كتاب ديوان المعاني واخذ الله حق حمده وصلواته على
 محمد وآله وصحبه والخلفاء الراشدين من بعده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أراد بنا من عاجل الخير وآجله ومؤتته وراهنه فجعل لنا في أنفسنا موعظاً وفي أبداننا زواجر يرشدنا ويهدينا ويكفينا عما يُرَدِّدنا من مرض بعد صحة وشيبة بعد شبية لنعتبر بتغير الأحوال علينا وتغير الحداث إيانا حمداً تتألف أشباته وتتصل مواده ، وصلى الله على محمد وآله .

(هذا كتاب المبالغة)

(في صفة الشباب والشيب والخضاب والعلل والموت والمرأى)

والزهد وما يجري مع ذلك وهو :

(الباب الحادى عشر من كتاب ديوان المعانى)

فأول ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصُّولى قال سمعتُ ابن الأعرابي يقولُ
لأعرفُ في التفجع على الشباب وفي ذم الشيب أحسن من قول أبي حازم الباهلى
على قُرب عهده :

لا تكذبينُ فما الدنيا بأجمعها من الشباب يوم واحد بدلُ
شرح الشباب لقد أقيتَ لى أسفاً ما جدَّ ذكرك إلا جدَّ لى ثكلُ
كفاك بالشيب ذنباً ^(١) عندَ فانية وبالشباب شفيماً أيها الرَّجُلُ

(١) في نسخة « كفاك بالشيب عيباً » .

وأحسن منه غندي قول منصور النمرى^(١) :

ما تنقضى حسرة منى ولا جزع^١ إذا ذكرت^٢ شباباً ليس يرتجع^٣
 بان الشباب ففانتنى بشرته^(٢) صروف دهر وأيام لنا خدع^٤
 ما كنت أو في شبابي كنه غرته حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع
 قوله (فاذا الدنيا له تبع) من أشرف كلام وأنبه وأجمه وأوجزه ، وسمعه الرشيد
 فقال نعم لا خير في دنيا لا يُخطر فيها يبرد الشباب . وقال محمود الوراق :

لا يحسن النسك والشباب ولا البطالات والخضاب
 كل نعيم وكل عيش قبل الثلاثين يُستطاب

وقال غيره :

فقلت وهل بعد الثلاثين ملعب^٥ فقالت وهل قبل الثلاثين ملعب^٦
 وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال حدثنا الفضل بن الحباب الجمحي
 قال حدثنا محمد بن سلام قال من كلام يونس بن حبيب : الكبر وكل عيب والعزل
 وكل ذم والولاية وكل مدح والشباب وكل صحة واليسار وكل فضيلة والفقر وكل
 ذلة . وقال ابن المعتز :

لهفي على دهر الصبا القصير وغصنه ذى الورق النضير
 وبكره وذنبه المغفور ومرح القلوب فى الصدور
 وطول حبل الأمل المجرور فى ظل عيش غافل غرير
 أغدو وجنى الصبا أميرى ملء العيون الغانيات الحور

وقال الحماني :

وأيامه الغر مثل الخطوط فى المسك فوق خدود الحسان

(١) من شعراء الدولة العباسية ، استقدمه الفضل به يحبي واستصحبه ثم وصله

بالرشيد ، وفي حضرته أنشد هذه الأبيات .

(٢) شرة الشباب : نشاطه ، وفي الأغاني (بلذته) .

ليالى أنت جُذيل الصُّبا وأيامه وعُذيق الغواوى
وقال أيضاً : أيام كنتُ من الغواوى كالسوادِ من القلوبِ
فإذا استظمتُ خبأتى بين المخانقِ والجيوبِ
وقال أبو عبد الله بن المعتز :

يا قلبُ ليسَ الى الصُّبا من مرجع فاحزنْ فليستَ بمثلِه مفعجوعا
وقال يصف نفسه في شبَّيته :

من بعدِ ما قد كنتُ أى فتى كقضيبي بانِ ناعمٍ رطبِ
فإذا رأتني عَيْنُ غانيةٍ قالتْ أوابدُ طرفها حسي
ونحوه قوله : إذا ما تمشت في عين خريدة فليست تخطاني الى من ورائي
وقال أعرابي : سقى الله أياماً لنا وليالياً لهنَّ بأَ كفافِ الشبابِ ملاعبُ
إذا العيشُ غُضُّ والشبابُ بكرة وشاهدُ آفاتِ المحبينَ غائبُ
وانما آتى بالبيت والبيتين لأنَّ في أعتمد الفقرة فأوردها وأقصد الزائدة فأكتبها
وأتوخى المعنى الشريف واللفظ الظريف فأزفهما اليك وأجلوهما عليك ولو
تحدقت^(١) في المعاني وأضفت^٢ الى كل شئ منها شكله وقرنت^٣ اليه مثله أو أكثر
من عدد ما أورده من الأبيات لصار كل فصل من فصول كتابنا باباً طويلاً وكل
باب منه كتاباً كبيراً حتى يكون جذيراً بالاملال والاضجار وداخلاً في حدِّ
الاكثار والاهذار ونعوذ بالله منهما .

تذكرُ إذا أنتَ قضيبي رطيب عليه للحسنِ رداءٌ قشيبُ
خالطَ ماء الحسنِ في وجهه ماء شبابٍ لم يرقه المشيبُ
إذا مشى يخطر في برده غابر فيه الشكل حسن رطيبُ
كنتَ قضيبي البانِ لم يقتضب وأنتَ من بعدُ قضيبي قضيبي
فاللهو مغبر مقاديرمه معفرُ الوجهِ حريبٌ سليبُ

خذ بنصيب من مرور الصبا فما لشيخ من مرور نصيب
وأول من بكى الشباب وضم المشيب عبيد بن الأبرص في قوله :
والشيب شين لمن أمسي بساحته لله درك الشباب الله الخالي
وقال مزاحم العقيلي (١) :

عزاء على ما فات من وصل خلة وربق شباب سله الشيب منجلى
ومثل ليالينا بمحطمة قاللوى بلين وأيام قصار بمأسل
وقد أحسن أبو العتاهية في قوله :

عريت من الشباب وكان غضاً كما يعرى من الورق القضيبي
ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب
وقلت : قوامه كما شاء المشيب معوج ووجهه كما لا تشتهيهُ مشنج (٢)
وفرع جللاه الشيب حتى كأنما تغشاه معروف من الصبح أبلج
وعهدى به بالأمس جونا كأنما تجلله عرف من الليل أدعج
ليالى جاءتك الليالى عرائساً تروق وتصبى أو تضوع وتأرج
حسان الوجوه كالرياض أنيقة تخطيط لها كف الغمام وتنسج
رقاق جلايب النسيم أريجة لها نكهة كالمسك أبان يمزج
وقال رؤبة وأحسن في ذلك :

كرّ الجديدان بنا وانطلقا ولا يجدان إذا ما أخلقا

(١) شاعر فصيح إسلامي صاحب قصيد ورجز كان معاصراً لجرير والفرزدق ،
وكانت الشعراء تقرظه ، روى أن الفرزدق دخل على عبد الملك بن مروان فقال له
أتعرف أحداً أشعر منك ؟ قال لا إلا أن غلاماً من بنى عقيل يركب أعجاز الابل
وينعت الفلوات فيجيد ، ثم جاءه جرير فسأله فأجابه بجوابه ، ثم جاء ذوالرمة فسأله
كذلك فأجاب بمثل جوابيهما وقال : غلام يقال له مزاحم يسكن الروضات يقول
وحشياً من الشعر لا يقدر على مثله . (٢) أى تقبض جلده .

ولو يبيعان الشباب أنفقا والشيب لا سوق له أن سوقاً
وقال المقنع أظنه :

وذادت عن هواه البيض بيض^ه لها في مفرق الرأس انتشار
جديد^ه والليس^(١) أعز^ه منه وأحرى أن ينافسه^ه التجار
وقد أحسن الفرزدق في قوله :

وفي الشيب لذات^ه تلادع نفسه ومن قبله عيش^ه تعلل جادبه
ومن الشعر الجذل السهل المطيع المتع القريب البعيد الممكن المتعذر قول النمرى :

ومنازل لك بالحي وبها الخليط^ه نزول^ه
أيامهن^ه قصيرة^ه وسرورهن^ه طويل
وسعودهن^ه طوالع ونحوهن^ه أفول
والمالكية والشبا ب وقينة^ه وشمول

ومن أبلغ ما قيل في كراهة الشيب قول البحترى :

وددت^ه يياض السيف يوم لقينى مكان يياض الشيب حل^ه بمفرى
وقد أحسن أبو تمام الاحتجاج للشيب في قوله :

فأصغرى أن شيباً لاح^ه بي حدثاً وأكبرى أنى في المهد لم أشب
لاتنكرى منه تجديد^(٢) تجلله^(٢) فالسيف لا يزدرى أن كان ذا شطب
ولا يروعنك إيماض القتير به فان^ه ذاك ابتسام^ه الرأى والأدب

ووجدت بيتاً فاسد السبك فأصلحته وقلت :

نجوم^ه مشيب^ه في ظلام شببية وما حسن^ه ليل^ه ليس^ه فيه نجوم
وقال أبو عبد الله الأسباطى :

لا ير^ه عك^ه المشيب^ه يا ابنة عبد الله فالشيب^ه زينة^ه ووزار
أما تحسن^ه الرياض^ه إذا ما ضحك^ه في خلالها الأنوار
وقال الخوارزمي - متأخر :

(١) أى الذى لبس كثيراً . (٢) فى ديوان أبى تمام « تجديد^ه تجلله^ه » .

وقالوا أفق من سكرة اللهو والصبا فقد لاح صبح في دجلك عجيب
 فقلت لهم كفوا الملام وأقصروا فان الكرى عند الصباح بطيب
 وهذا معنى مليح أظنه ما سبق إليه . وأول من تهاون بالشيب جرير في قوله :
 يقول العاذلات علاك شيب أهذا الشيب يمنعي مراحى
 وتبعه الناس فمن أحسنهم قولاً فيه ابن الرومي حيث يقول :
 لاح شبي فرحت أمرح فيه مراح الطرف في العذار المحلى
 وتولى الشباب فازدحت غياً في ميادين باطلى اذ تولى
 إن من سوء الزمان بشىء لأحق امرئ بأن يتسلى
 وهذا من قول أحمد بن زياد الكاتب :

ولما رأيت الشيب حل يأضه بمفرق رأسى قلت للشيب مرحبا
 ولو خلت أنى إن كفت تحبتي تنكب عني رمت أن يتنكبها
 ولكن إذا ما الكره حل تسامحت به النفس يوماً كان للكره أذهباً
 وفي ألفاظ هذه الأبيات زيادة على معناها ، وأبيات ابن الرومي متوازنة اللفظ
 والمعنى مع أصابة تشبيهه في قوله * مرح الطرف في العذار المحلى *
 وقد بالغ في ذم الشيب أبو تمام فقال :

دقة في الحياة تدعى جالاً^(١) مثل مامئى اللديغ سليماً
 غرة مرة^(٢) ألا إنما كنت أغراً أيام كنت بهماً
 وقال ابن المعتز :

لقد أبغضت نفسى في مشيبي فكيف تحبني الخود الكهاب
 وقلت : فلا تعجبا أن يمين المشيب فما عين من ذاك إلا معيبا
 إذا كان شبي بغيضاً إلى فكيف يكون إليها حبيباً
 وقد كنت أرفل برد الشباب قشيباً وأرقل وشياً قشيباً

(١) في ديوان أبي تمام (جلالاً) . (٢) في الديوان (غرة بهمة) .

إذا ملتُ ملتُ قضيباً رطيباً وإن صلت صلت قضيباً قضوباً
ومن ملبح ما قيل في الشيب وهزه النساء من صاحبه قول كشاجم :
ضحكت من شيبه ضحكت في سواد اللة الرجل
ثم قالت وهي هازلة جاء هذا الشيب بالعجله
قلت من حبيك لا كبر شاب رأسي فاثنت خجله
وثنت جفناً على كل هي منه الدهر مكثله
أكثر منه نعجبها وهي تجنب وتضحك له

ومن ملبح ما قيل في ذلك وغريبه قول الآخر :

فظلت أطلب وصلها بتعطف والشيب يغمزها بأن لا تفعل
وذكر مسلم بن الوليد كراهة الشيب و كراهة مفارقه إذا جاء فأحسن حيث يقول :
الشيب كره وكره أن يفارقي أحسب بشيء على البغضاء مودود
فتبعه على بن محمد الكوفي فقال :

بكى للشيب ثم بكى عليه فكان أعزّ فقداً من شباب
فقل للشيب لا تبرح حميداً إذا نادى شبا بك بالذهاب
ونقله الى موضع آخر فقال :

لعمرك للشيب على مما فقدت من الشباب أشدّ فوتا
هذا البيت مضطرب اللفظ والرصف والصنعة فاعتبره :

تمليت الشباب فكان شيباً وأبليت المشيب فصار موتاً
وكان من تمام الصنعة أن يقول « أشدّ فقداً » لقوله « فقدت من الشباب ». وقلت :

والشيب زور يجتوى وقربه لا يرضى وفقدّه لا يشتهى
قد يشتهى كل امرئ بلوغه وقل من يبلغه إلا شكا
كأنما الشباب كان فرقة له من الأنفس حب وقل

وقد أجاد الأعرابي في قوله في صفة الشيب : أكره ضيف وأبغض طيف أحب

غائب وأفجع آيب . وقلت :

تكلف مدح الشيب عندى مُعمرٌ
فقلت انظرني أولاً منه مؤلماً
تصرم من عمرى ثلاثون حجةً
شباباً أطارَ الوجدَ عني غيابةً
أقمت به صدرَ السرورِ فلم يزلْ
فطر بجناحِ اللهِ في زمن الصبا
تناولَ وخط الشيب أطرافَ عارضى
ومن المشهور قول دعبل الخزاعي^(١) :

لا تعجبي يا سلم من رجلٍ
ضحك المشيب برأسه فبكي
ومما يحتج به للمشيب على الشباب أن الشباب قلما يبقى أكثر من أربعين
سنة وقد يعيش المرء في الشيب التسعين والمائة ، وقال امرؤ القيس في ذلك :
ألا إنَّ بعدَ الفقرِ للمرءِ قنوةً وبعد المشيبِ طولَ عمرٍ وملبساً
وقال أعرابي : ما بال شيخ قد تحدد لحيه أبلى ثلاثَ عمامٍ ألواناً
سوداء داجية وسحق مفوف وأجدُّ لونا بعد ذاك هجاناً
قصر الليالى خطوه فتداني وحنون قائم ظهره فتحاني^(٢)
والموت يأتى بعد ذلك كله وكأنما يعنى بذلك سوانا
لأعرف في وصف الشيب من أول ما يبتدىء إلى أن ينتهى أحسن من
هذا ، وقوله (وكانما يعنى بذلك سوانا) من أبلغ ما يكون من الموعظة . وقلت :
وشباب خفَّ نازله ليته عادَ كما كانا
ومشيب آب نازله ليته إذ كان ما بانا

(١) شاعر متقدم مطبوع ، هجا الخلفاء ومن دونهم وهرب منهم لكيلا

ينتقموا منه . (٢) في الاصل « فتدانا ، فتحانا » .

خانى دهر^١ وثقت به^٢ . رب^٣ موثوق به خانا
وأنشدنا أبو أحمد :

وأنكرت^٤ شمس الشيب^٥ في ليل^٦ لتي^٧ لعمري ليلي كان^٨ أحسن^٩ من شمس^{١٠}
كان^{١١} الصبا والسمت يطمس^{١٢} نوره^{١٣} عروس أناس مات^{١٤} في ليلة العرس^{١٥}

ومن بديع الاستعارة في الشيب قول البحتري :
في الشيب زجر^{١٦} له^{١٧} لو كان^{١٨} ينزجر^{١٩} وبالغ منه^{٢٠} لولا أنه حجير^{٢١}
إبيض ما اسود^{٢٢} من فودبه وإرتجعت^(١) جليلة الصبح ما قد أغفل^{٢٣} السحر^{٢٤}
وللفتي^{٢٥} مهلة^{٢٦} في الحب^{٢٧} واسعة^{٢٨} مالم يمت^{٢٩} في نواحي رأسه الشعر^{٣٠}
ولا أعرف في الشيب أجمع من قول أبي تمام :

غدا الشيب^(٢) مختطأ بفودي^{٣١} خطة^{٣٢} سبيل^(٣) الردى^{٣٣} منها إلى النفس مبيع^{٣٤}
هو الزور^{٣٥} يجفى^{٣٦} والمعاشر^{٣٧} يجتوى^{٣٨} وذو الألف يثقل^{٣٩} والجديد يرقم^{٤٠}
له^{٤١} منظر^{٤٢} في العين^{٤٣} أبيض^{٤٤} ناصع^{٤٥} ولكنه^{٤٦} في القلب^{٤٧} أسود^{٤٨} أسفع^{٤٩}
ونحن نرحيه^{٥٠} على السكر^{٥١} والرضا^{٥٢} وأنف^{٥٣} الفتى^{٥٤} في^(٤) وجهه^{٥٥} وهو أجدع^{٥٦}
ومن أعجب ما سمعت^{٥٧} في الخضاب قول بعضهم :

عجبت^{٥٨} لما رأني^{٥٩} عادة^{٦٠} ما بين غيد^{٦١}
ضحكت^{٦٢} إذا بصرتني^{٦٣} قد تزينت^{٦٤} لعيد^{٦٥}
ثم نادى^{٦٦} جيعاً^{٦٧} يا غيتاً^{٦٨} في جديد^{٦٩}
غرنا منك^{٧٠} خضاب^{٧١} قد ترامى^{٧٢} من بعيد^{٧٣}
لاتغالطنا^{٧٤} فما تصلح^{٧٥} إلا للصُدود^{٧٦}

وقال ابن الرومي :

فدعته^{٧٧} إلى الخضاب^{٧٨} وقالت^{٧٩} إن^{٨٠} دفن^{٨١} المعيب^{٨٢} غير معيب^{٨٣}

(١) في الأصل (إرتجعت) . (٢) في ديوان أبي تمام (غدا الهيم) .

(٣) في الديوان (طريق) . (٤) في الديوان « من وجهه » .

وقال : عذار^ه كمثل^ه الأتحمي مطر^زه وفرع^ه كلون^ه المبقرى^ه محبر^ه
وقد كان من صبح الشباب ممسكا فأصبح^ه في كف^ه الشيب مكفر^ه
قل^ه للعدول أقصر الآن إني على الرغم من أنف الصباية مقصر^ه
كفاك تكاليف الملام كواكب^ه من الشيب في ليل الشيبية تزه^ه
لوائح من تحت الخضاب كأنما سنى الصبح في وجه الدجفة يكشر^ه
وأول من ذكر أنه شاب من غير كبر ابن مقبل^(١) في قوله :

ماشبت^ه من كبر^ه ولكني أمرؤ^ه عاجلت قرع^ه نوائب الدهر^ه
فرايتها عضلا موقعة عزت فما تسطاع بالكسر^ه
فلذاك صرت مع الشيبية نازلا في غير منزلي من العمر^ه
ومن أجود ما قيل في تقارب الخطو قول أبي الطمبحان :

حننتي حادثات^ه الدهر حتى كآني خاتل^ه أدنو لصيد^ه
قريب الخطو يحسب^ه من رآني ولست^ه مقيدا^ه أني بقيد^ه
وقد أحسن الآخر في قوله أيضا :

الدهر أبلاني وما أبليته^ه والدهر^ه غيرني وما يتغير^ه
والدهر^ه قيدني بقيد^ه مبرم^ه فمشيت فيه وكل يوم يقصر^ه

وقوله « وكل يوم يقصر » من أحسن العبارة عن ازدياد الضعف وتقصير الخطو
في كل يوم . ومن أعجب ما قيل في الصلح قول الاعرابي :

قد ترك الدهر عصاتي صنفنا فصار رأسي جبهة^ه الى القفا^ه
كأنما قد كان ربما فعفا^ه يمسي ويضحى المنايا هدفا^ه
ومثله قول الآخر :

ثم حسرت عن صفاة^ه تلمع فأقبلت^ه قائلة^ه تسترجع^ه
مارأس ذا إلا جبيناً أجمع^ه

(١) هو تميم بن مقبل من بني العجلان ، مخضرم معدود في الفحول .

ومثله أيضاً :

جلاه عن أهل الهوى قبح الجلا . جبين وجهه وجبين في القفا .
وقال ابن الرومي في معناه يهجو رجلاً يجذب طرته من قفاه الى وجهه :
يجذب من نقرته طرّة إلى مدى تقصر عن نيله
فوجهه يأخذ من رأسه أخذَ نهار الصيف من ليله
وانشدنا أبو أحمد عن الصولي خلف بن خليفة :

وقام إلى رأسه حاذقٌ فصير من رأسه قرعه
يريك بريقاً كطست الجلابيض كما نصب الطلعه
فما شوق عيني إلى قرّة كشوق يميني للصلمه
يسكاد وإن لم يردّها الضمير تشوق الحليم إلى صفه
فملنا عليه بأيماننا نسائله عن خبر الوقعه
وقال مالك بن أسماء :

أوارى بذّال على العقب جثتي إذا الصلغ واروا هامهم بالقلانس
تودّ النساء المبصراتي أنّه يعار فيستأجرنه للعرائس
وقلت في مدح الخلق :

قتل الشعر من خفيف ثقيل وكثير على الرؤوس قليل
ضيق الشعر حين طال قليلاً ضامه الله من قصير طويل
إنما الخلق راحة وجمال فاشد الكف بالمريح الجميل
ما أرى للحسام يصدأ حسناً إنما الحسن للحسام الصقيل

ويشبهون الرأس المخلوق بالصخرة أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد
عن عبد الرحمن عن عمه قال كان يزيد بن الطثيرة زير نساء يتحدث إليهن فتحدث
إلى امرأة من بني أسد فهويها وهويته فخطبها إلى أبيها فردّه ، وخطبها ابن عم له
فزوجها فدخل عليها ابن عمها وهي تقول :

لم يبق إلا شبعاً وعظماً وأدمعاً تنهالاً منها سحجا
 علمت ما بي فجفوت علماً من سثم الوصل تجنى الجرما
 فنهاها زوجها أن تمثل فأنشأت تقول :
 تمثلتُ بيتاً ثم أخريتُ دمعاً فمن لأمنى فيه فبدل مايا
 فما أشرف الإيفاء إلا صباية وما أضربُ الأمثال إلا تداويا
 فأتى الزوج أباهما فأخبره فأتاها أبوها فقال والله لأن تمثلت لا ضربن ظهرك
 وبطنك ، فدخل عليها زوجها وهي تقول :
 فان تضربوا ظهري وبطني كلاهما فليس لقلب بين جنتي ضارب
 فاشتد ذلك على زوجها وهم بطلاقها وخرج مغضبا وإذا يزيد بقنائه وهو يقول :
 تراءتُ وأستارُ من البيت دونها إلينا وحانت غفلة المتفقد
 بعيني مهابة تحدرُ الدمع منها برمين شتى من دموع وأثمد
 فجمع أهل بيته وأخوته وأتى أخاه واستعداه عليه فضربه أخوه وحلقه . فقال
 وهو يحلق :

أقول لثور وهو يحلق لى بعقاء مردود عليها نصابها
 ترفق بها يثور ليس ثوابها بهذا ولكن غير هذا ثوابها
 فيارب يوم قد تغلل وسطها أنامل رخصات حديث خضابها
 تولى بها (١) ثور ترف كأنها سلاسل درع لينها (٢) وانسكابها
 وأصبح رأسي كالصخرة أشرفت عليها عقاب ثم طارت عقابها
 وقد أحسن الفرزدق الاستعارة في وصف الشيب وهو قوله :
 والشيب ينهض بالشباب كأنه ليل يصيح بجانبه نهار
 ولأبي إسحق الصابي آيات في الصلع لم يسبق إلى معناها قالها على وجه المجون :
 لما رماني الزمان بالصلع وقل مالي وضاق منسعى

(١) رواية الأغانى « فراح بها » (٢) في الأغانى « خبؤها » .

حاصبت من لى مزيتها حساب شيخ الحق متبع
قلت له اقنع من أصل واجبها بالثلث مما به عملت معي
واعمل على أنها مزارعة شكوت فيها شكاة متضع
فاحطط خراج الذي أصبت به واستوف مني خراج مزدرع

ومما جاء في مدح الصلح ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأنباري عن ثعلب
عن ابن الأعرابي قال ألح رجل النظر إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال له
إلى أي شيء تنظر؟ قال إلى بطن مندهج وهامة صلحاء فقال عليه السلام أما البطن
فأسفله طعم وأعلاه علم وأما الهامة فكما قال الشاعر :

بنى لنا المجد آباء لهم شرف صلح الرؤوس وسبب السؤدد الصلح
وقال آخر : كفى حزناً أني أدب على العصا فيا من أعدائي ويفضني أهلي
ويوصي بي الوغد الضعيف مخافة علي وما قام الخواضن عن مثلي
أقيم العصا بالرجل والرجل بالعصا فما عدلت مبلى عصا ولا رجلى
وقال محمود الوراق في ذم الخضاب :

يشيب الناس في زمن طويل ولي في كل ثلاثة مشيب
وأخفى الشيب جهدي وهو يبدو كما غطى على الريب المريب
وقلت: جريت لعارض غيث الليالي تحالك لونه فايض جبه
وصرت نقص ما يبيض منه أتخلقه إذا ما يبيض كله
تعز عن الشبية واله عنها فان الليل ليس يدوم ظله
وخل الشيب يضحك ناجداه فان الصبح لا يخفى مظه
وان حلت عرى الذات فيه فلست بعاقب ماجد جبه

(الفصل الثاني من الباب الحادى عشر)

(فى ذكر العلل والأمراض والمرأتى والتعازى والزهد)

أحسن ما قيل فى الرمد قول الوراق أنشدناه أبو أحمد عن الصولى قال وجدتُ
مع هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات من شعر الوراق بالله فى خادم له قد اشتكت عينه :

لى حبيبٌ قد طال شوقى إليه لا أُمييه من حذارى عليه
لم تكن عينه لتجحد قلى ودى شاهدٌ على جفنيه

ومن ههنا أخذ هذا المعنى فتداول قال ابن الرومى أو الناجم :

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل مسحها الوصب
مُحمرتها من دماء من قتل والدم فى النصل شاهدٌ عجب

ومن بديع ذلك وغريبه ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولى أيضاً :

يكسر لى طرفاً به حمرةٌ قد خلط الترجس فى ورده
ما احمرت العين ولكنّه يكحلها من وردتى خدّه

أخذه من بعض أهل زمانه :

قالوا بدت فى عينه حمرةٌ قد حازها من وردة الخدّ

فقلت لم يرمد ولكنّه يصفح الترجس بالورد

ومن مליح ما قيل فى شكايه الحبيب قول العباس بن الأحنف (١)

زعموا لى أنها صارت تحم ابتلى الله بهذا من زعم

اشتكت أكل ما كانت كما يكسف البدر إذا ما قيل تم

ومما قيل فى اصفرار اللون من العلة قول أبى تمام :

معدن الحسن والملاحة قد أصبح للسقم معدناً وقراراً

(١) شاعر غزل شريف مطبوع من شعراء الدولة العباسية ، قدمه المبرد على

نظرائه وأطنب فى وصفه وقال رأيت جماعة من الرواة يقدمونه :

لم تشن وجهه الجميل ولكن حملت ورده جنتيه بهارا
ونحوه قول أحمد بن إسحق الطالقاني .

لقد حلت الحى بساحة خدره فأبدلت التفاح بالسومن الفض
والأصل في ذلك قول عبد بنى الحساس أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا
أبو اسحق الشطبي قال حدثنا ابن أبي سعيد قال حدثنا الخزامي قال حدثنا عبد
الملك الماجشون عن يوسف بن عبد العزيز الماجشون قال كتب عبد الله بن
طامر إلى عثمان بن عفان : انى اشتريت لك عبداً حبشياً شاعراً . فكتب اليه عثمان
لا حاجة لى فيه فان قصارى الشاعر منهم أن يهجو أعراضهم ويشبب بكريماتهم
فاشتراه بنو الحساس وكان يكسر في كلامه فقال يوسف فحدثنى من رآه
في شجرة واضعاً إحدى رجليه على الأخرى يقرض الشعر وينسب بأخبث نسيب ويقول :

ماذا يريدُ السقامُ من قمرٍ كلُّ جمالٍ لوجهٍ تبعُ
ما يبتغى خائباً من محاسنها أماله في القباح متنع
لو كان يبغي الفداء قلت له ها أنا دون الحبيب يا وجمع .

ثم يقول لنفسه « أحسنك والله » يريدُ أحسنت . وكان كما حدث عثمان
رضى الله عنه فانه ما زال يهجو مواليه ويشبب بفتياتهم حتى قتلوه فضحكت منه
امراً وقد ذهبوا ليقتلوه فقال فيها :

فان تضحكى منى فيارب ليلة جعلتك فيها كالقباء المفرج
وقال أيضاً :

ولقد تحدر من جبين فتاتكم عرق على وجه الفراش وطيب

ومن عجيب ما يروى له قوله يمدح نفسه :

إن كنت عبداً فنفسي حرة كرماء أو أسود اللون انى أبيض الخلق
وهذا أحسن ما مدح به أسود .

ومن أحسن ما وصف به نحول العليل قول أبى نواس الحسن بن هانى :

ياقمرًا للنصف من شهره أبدى ضياءً ثمان بقين
ومن أحسن ما قيل في تهوين الحمى على المحموم قول محمد بن زياد الكاتب :
قالوا محمدٌ المحمدٌ موجعٌ والشمسُ تكسفُ ساعةً وتعودُ
فلئن سُحمت فلا سُحمت فأنها داءُ الأسودِ وفي الرجالِ أسودُ
وهذا عندي أحسن من قول البحترى :

وما الكلبُ محومًا وإن طال عُمره ألا إنما الحمى على الأسدِ الورد
على أنه معنى مولد وشيء تدعيه العامة ولا تعرف صحته . وقلت :
وقد سرّني أني رأيتك واطئًا على عقي داء تراخى فأدبرا
وقد ظلّ يبغى رائد البرء مورداً لديك ويبغى فارط السقم مصدرا
ولا غرو أن يغشاك عارضٌ علة فاني رأيتُ الورد يغشى الغضنفر
ولو كنتَ نجمًا ما كسفت وإنما كسوفك ان أمسيتَ بدرًا مُنورا
ومن ذلك قول علي بن العباس النوبختي :

لئن تخطت إليك نائبةً حطت بقلي ثقلًا من الألم
فالدهرُ لا بُدَّ محدثٌ طبعا في صفحتي كل صارم خذم^(١)
وفي ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه . وقال أيضا في رجل اعتل :
طالَ فكري نعبًا لمصوغ ذهبًا كان يقبلُ الاقضاء
والحسامُ الهذاذ^(٢) يزداذ حسنا كلما زاده الصقالُ جلاء
والرغبة من هذين البيتين في معناهما وأما سبكهما ووصفهما فلا خير فيه والبيت
الثاني أصلح والبيت الأول متكلف جدا . وقال عبد الصمد بن المذل^(٣) يذكر الحمى :
فطوراً ألقيا سُخنةً وطوراً ألقيا فتره

(١) سيف خذم : أى قاطع . (٢) أى القطاع .

(٣) من شعراء الدولة العباسية بصرى المولد والمنشأ ، كان هجاءً شديد
العارضة ، أبوه وجده وأخوه من الشعراء .

رقد أعقبت تخلق حدة وأورثوا ألفها ضبجوه
 بالعبد أن غاظني لطفه وللحر أن ساءني زجره
 ويربو الطحال إذا ما شبت فتملوا الترائب والصدره
 وأسى كآتي من معدني لبست ثيابي على ذكركه
 أسائل أهلي عن سحتي وأمنحهم نظرة نظره
 وأجزع إن قيل بي صفة وأشفق إن قيل بي حظه

ومن أجود ما قيل في الفصد قول ابن الرومي :

أيها البدر لم تزل في كمال الأثر بدراً وفي النماء هلالاً
 كيف كانت عقي افتصادك كانت صحة مستفادته واندمالاً
 واعتدالاً بين المزاج كما أو تبت في الخلق والخلق اعتدالاً
 فعل الله ذاك أنك ما زلت لمرضى ما ارتضى فصلاً
 وفي الفصد شعر كثير ليس في أكثر ما مر بي مختاراً إلا ما أنشدته لعل بن

عبد العزيز الجرجاني :

يا ليت عيني تحملت أملك وليت نفسي تقسمت سقمك
 أوليت كف الطيب إذ فصدت عرقك أجرى من ناظري دمك
 أعرتة حسن وجنتيك كما تعبته أن لثمت من لثمتك
 طرقت أمضي من حد مبضعه فالحظ به العرق واغشم أملك

ومن مליح ما قيل في الزكام ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن أبي ذكوان
 الجرمي قال دعا عيسى بن علي عبد الله بن المقفع إلى الغداء فقال : أعزك الله
 لست يومى هذا للكرام باكيل . قال ولم ؟ قال لأنى مزكوم والزكاة قبيحة
 الجوار مائة من عشرة الأحرار . قال وكانت عجوز من بنى عجل تقول :
 حقر من يحقر الزكام . ولم يمر بى في الصداع شيء مليح أثبتته لك غير أنى سمعت
 بعضهم أياتاً في صغر العمامة حتى أشبهت عصاة بعصب بها الصداع وهى هذه الأيات :

وقدّمتُ إني وعداً بأنك مُلبسٌ ثياباً اليهنّ المحاسنُ تُنسبُ
 فلا تكسني منهنّ إلا عمامةً بأمثالها الامثالُ في النقص تضربُ
 يقول أناسٌ لي إذا مالبستها رأسك هذا من صدادٍ مُعصبُ
 على أن رصفها ليس بمختار . ولبشاريت حسنٌ فيه ذكر الصداد وهو قوله :
 حلّ من قلبه محلّ شرابٍ يشتهي شربه ويخشى صدّاعه
 وقد قارب الآخر :

لطيرقي بالصداد نالت فوق منال الصداد مني
 وجدتُ فيه اتفاقاً سوء صدّعني مثل صدّعني
 وقلت في المعنى الأول :

يقومُ بقامة كنواة قسبٍ وينشر لجة مثل الشراع
 عليه عمامة قصرت ودقت فتحسبه تعصب من صداد
 وقال بعضهم في الجدرى :

وجهه للحسن معدنٌ فأنامل وتبين
 نقطٌ من جدرى كدباقي معين

وأما النقرس فقد مرّ بي فيه آياتٌ جياذة أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن
 سوار بن أبي شراعة عن عبد الله بن محمد الدمشقي الكاتب عن محمد بن الفضل
 ابن اسماعيل بن علي بن عبد الله أن أبا الفضل ناله نقرس في رجله فدخل إليه أبوه
 اسماعيل يعودُه فقال له كيف أنت يا بني ؟ فقال :

أشكو إلى الله ما أُصبتُ به من ألمٍ في أنامل القدم
 كأنني لم أطأ بها كبدًا من حامدٍ سرّ قلبه ألي
 والحمد لله لا شريك له لحى للأرض بعدها ودمي
 مامن صحيح إلا منتقله إلا يأم من صبعة إلى سقم

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن المبرد وأبي العينا. قال كان أبو علي الحرمازي
 (٢٢ - ثاني المعاني)

في ناحية عمرو بن مسعدة وكان يجري عليه فخرج عمرو الى الشام مع المأمون وتختلف
الحرمازي ببتداد لنقرس ناله فقال :

أقام بأرض الشام فاختل جاني ومطلبه بالشام غير قريب
ولاسيا من مفلس حلف نقرس أما نقرس في مفلس بعجيب
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا قال ذكر اعرابي رجلاً قد
أثرى فقال قد تنقرس ، وذلك لقول الناس إن النقرس يعرض لنوى النعمة
والترفه ، ومنه قول الاعرابي :

فصرت بعد الفقر والتأيس يخشى على القوم داء النقرس
ويقال للرجل العالم نقرس ولله داهية نقرس قال المتلمس : يخشى عليك من الحباء النقرس *
ومن مליح النوادر ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن يموت بن المزرع قال
حضر الجواز عند أبي يوماً ودخل رجل فقال له ما أخرجك عنا فقال أصابني خلفه
أما ترى وجهي فقال الجواز ما بين الاختلاف على وجهك . وقال اشئني في الحمى :

وزائرتي كأن بها حياة فليس تزور إلا في الظلام
جعلت لها المطارف والحشايا فماقتها وباتت في عظامي
إذا ما فارقتني غسلتني كأننا عاكفان على حرام

وهذا البيت معيب لأن الفصل غير مقصور على الحرام وحده بل هو من الحلال
والحرام جميعا فليس لتخصيص الحرام به وجه . وقلت في حمى ثالثي :

وأخبرني رحت في حلة الضحى ليالي عشر أضامها الله من عشر
تنفضني الحمى ضحى وعشية كما تنفضت في الدجن قادمي نسر
تذرني على الورس في وضوح الضحى وتبدله بالزعفران لدى المصر
إذا انصرفت جاء الصداع مشرأ فأربي عليها في الاذية والشر
وتجمل أعضائي عيوناً دواماً نواصل بين السكب والسجم والهمر
فحسبه طلاً على أقحوانة وعهدى به يحكي حباباً على حمر

ولما تبادت عذتُ منها بحمية كن ترك الرضاء وانقل في الجمر
وما منها إلا بلاءٌ وقتنة وضرتُ على الأحرار يالك من ضر
من مرض لمرض الجفون : أنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني أبو عبيد الله
ابن عبد الله لنفسه :

تمارضت لما لم تكن لك علة وقلت شهيدى ما بطرفي من السقم
فلا تجعل سقماً بطرفك علة فقد كان ذلك السقم في صحة الجسم
وقال غيره :

أحببت من أجله من كان يشبهه وكل شيء من المعشوق معشوق
وقد حلفت بجسمي سقم مقلته كأن جسمي من عيذه مسروق
وقال الأخطل : كيف يضني بعد ما كا ن الضنى عوناً لعينه

وقال ابن الرومي وقد مرض فتخلف أخوانه عن عيادته :
عليكم لا يعاد من علة وضيغكم لا يسد من خلة
لا ان جفوتكم دنا المات ولا ان زرتكم تنسؤن في أجله
ما ضر مجفؤكم جفاؤكم بالامس في جسمه ولا أمله
وأنشدني أبو أحمد عن الصولي لمحمد بن محمد بن ابراهيم اليزيدي :

مالي مرضت فلم تعد ورغبت فيك فلم تجدد
الحب يذهب به الأذى فاحذر عليه ولا تعد

وهذا شعر مطبوع مختار ، والبيت الأخير مأخوذ من قول الأعرابي :
فاني رأيت الحب في القلب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب
وقلت : وقد طادني الإخوان من كل جانب وما قصروا في العرف والفضل والبر
فلم لم تكن فيهم فيكمل حسنهم أيا ظالمأ أخلى النجوم من البدر
وإذ كنت لم تنهض الي ولم تكذب فلم لم تسل عني فتخبر عن أمري
ومالك لم تبعث الي بأسطر تمجمجها إحدى يمينك في ظهر

تضنُّ بتسليمِ وزرةٍ ساعةٍ فكيف يُرْحى جودُ كفيك بالوفر
 فان كنتَ لا تبقى على الحال بيتنا فهلا تخاف سوءَ بادرةِ الشعر
 إذا لم تكونوا للحقوقِ فمن لها وأنتم كرامُ الناسِ في البدو والحضر
 وأنتَ إذا أُنحيتَ تفرى أديمها فما ذنب ذى جهلٍ فرى مثل ما تفرى
 وما لعداءِ العلمِ تذكرُ عيهمْ وأنتَ على أمثالٍ غايرهم تجرى
 ومن الغريب البديع مدح الموت وهو قول ابن الرومي :

قد قلتَ إذ مدحوا الحياةَ فأكثرُوا للموتِ ألفُ فضيلةٍ لا تعرفُ
 فيها أمانٌ لقائه بلاقائه وفراق كل مُعاشِرٍ لا ينصفُ
 ومن أحسن ما قيل في مكابدة النفس عند الموت قوله أيضا :

بات الأميرُ وباتَ بدرٌ سمائنا هذا يُودِّعنا وهذا يكسفُ
 ولعل ذلك مأخوذٌ من قول الأوَّل :

ألم يبلغك والانباء تنمى وللدنيا بأهلها صروف
 صريعٌ لم يُوسِّدْهُ قُربٌ ولم يشركه في الشكوى أليفُ
 يظلُّ كأنه قمرٌ مُنيرٌ يجول على محاسنه كسوف

ولهذا البيت رونقٌ عجيبٌ وطلاوةٌ حسنة . ومن عجيب ما جاء في وصف
 المصيبة قول حذيفة بن اليمان : إن الله تعالى لم يخلق شيئاً إلا صغيراً ثم يكبر
 إلا المصيبة فإنها خلقت كبيرة ثم تصغر . وهذا قول مصيب لا يتبارى به ومنه أخذ قوله :
 وكما تبلى وجوهٌ في الثرى فكذا يبلى عليهنَّ الحزن .

ولأعرف في التعزى عن المصيبة كلاماً أحسن تقسيماً من قول الأعرابي ومات له
 ثلاثة بنين في يوم واحد فدفنهم وطاد إلى مجلسه فجعل يتحدث كأن لم ينفد واحداً
 فليم على ذلك فقال : ليسوا في الموت يبدع^(١) ولا أنا في المصيبة بأوحد
 ولا جدوى للجزع فعلام تلومونى . فهذه الثلاثة الأقسام لا رابع لها .

وعزى رجل رجلاً وقد ولدت امرأته ابناً وماتت في نفاسها فقال أعظم الله أجره
فيما أبادوا أجل حفظك فيما أفاد .

ولا أعرف أحداً أجاد هذا المعنى كما أجاده عبد الملك بن صالح الكاتب : أخبرنا
أبو أحمد عن الصولى قال قيل للرشيدي أن عبد الملك بن صالح يُعبد كلامه ويفكر فيه
فلذلك بانت بلاغته فأنكر ذلك الرشيدي وقال هو طبع فيه ثم أمسك حتى جاء يوماً ودخل
عبد الملك فقال للفضل بن الربيع إذا قرب من سريري فقل له ولداً لمير المؤمنين
في هذه الليلة ابنٌ ومات له ابنٌ فقال له الفضل ذلك فدنا عبد الملك فقال :
يا أمير المؤمنين سرى الله فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجعلها واحدةً بواحدة ثواب
الشاكرين وأجر الصابرين . فلما خرج قال الرشيدي أهذا الذى زعموا أنه يتصنع
لكلام ما رأى الناس أطبع من عبد الملك في الفصاحة قط ^(١) . وعزى اعرابى
رجلاً فقال لا أراك الله بعد مصيبتك ما ينسيكها .

أحسن ما قيل في مدفون قول ابن الرومى في بستان جارية أم على بنت الراس :

الله ما ضمنت حفيرتها من حسن مرأى وطهر مختبر

أضحت من الساكنى حفائزهم سكى الغوالى مداهن السرر

لو علم القبر من أتيح له لانخفض القبر غير محتفر

وهذا البيت مأخوذ من قول الأول :

لو علم القبر من يوارى تاه على كل من يليه

وقالوا أحسن مرثية للعرب ابتداء قول أوس بن حجر :

أيتها النفس أجلى جزعاً ان الذى تحذرين قد وقعا

وأحسن مرثية لمحدث ابتداء قول أبى تمام الطائى :

أصم بك الداعى ^(٢) وإن كان أصم وأصبح معنى الجود بعدك بلقما

فقال فيها : فتى كان شرباً للعفاة ومرثى فاصبح للهندية البيض مرثى

(١) تقدمت هذه القصيدة . (٢) في ديوان أبى تمام « الناعى » .

إذا ساء يوماً في الكربة منظرًا تصلاهُ علماً أن سيحسنُ مسعماً
 فإن ترم عن عمرٍ تداني به المدى فخانك حتى لم يجدُ فيك منزلاً
 فما كنت إلا السيف لاقى ضربةً فقطعها ثم انثنى فتقطعا
 وقالوا أرثي بيت قالتها العرب قول متمم بن نويرة في أخيه مالك قتل
 في الردة قتله خالد بن الوليد : أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن
 أبي حاتم عن الأصمعي قال كان متمم بن نويرة قدم العراق فأقبل لا يرى قبراً
 إلا بكى عنده فقبل له يموت أخوك بالملأ وتبكي على قبره بالعراق ! فقال :
 لقد لا منى عند القبور على البكا رقيق لتذراف الدموع السوافك
 هذا البيت غير مختار الرصف عندي وفي ألفاظه زيادة على معناه :
 أمن أجل قبرٍ بالملأ أنت نائحٌ على كل قبرٍ أو على كل هالك
 فقلت له إن الشجي يبعث الشجي فدعني فهذا كله قبرٌ مالك
 يقول قد ملأ الأرض مصابه عظماً فكأنه مدفون بكل مكان . وهذا
 أبلغ ما قيل في تعظيم الميت .

ومنه أخذ القائل قوله أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأثير عن ثعلب عن
 الرياشي لرجل يرثي عمر بن عبد العزيز وهو عندي من أرثي ما قيل :
 لحنى عليك للهفة من خائف كنت المجير له وليس مجيرٌ
 عمت صنائعه فعم مصابه فالناس فيه كلهم مأجورٌ
 فالناس ماتهم عليه واحدٌ في كل وادٍ رنةٌ وزفيرٌ
 يثنى عليك لسان من لم توله خيراً لأنك بالثناء جديرٌ
 ردّت صنائعه إليه حياته فكأنه من نشرها منشورٌ
 والصحيح أن يقول «منشرٌ» لأنه يقال انشر الله الموتى فنشروا هم .

وقالوا أرثي بيت قالتها العرب قول المحدث :
 على قبره بين القبور مهابةٌ كما قبلها كانت على صاحب القبر

وقالوا بل قول الآخر :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه
وقالوا أرثاه قول ابن منادير :

أنعي فتى الجود إلى الجود مامثل من أنعي بموجود
أنعي فتى مص الثرى بعده بقية الماء من العود
وأخبرنا أبو أحمد قال سمعت محمد بن يحيى قال سمعت محمد بن يزيد يقول
لو سُئِلْتُ عن أحسن أبيات تعرف في المراثي لم أختَر على أبيات الخزي :
ألم ترفني أبنى على الليث بنيةً وأحثي عليه الترب لا أنخسُ
وأعددت ذُخْرًا لكل مُدَّةٍ وسهمُ المنايا بالذخائر مُولعُ
وانى وإن أظهرت منى جلادةً وصانعتُ أعدائى عليه لموجُ
ولو شئتُ أن أبكى دمًا لبكىته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع
وقال أبو عمرو بن العلاء أرثى بيت قول عبدة :

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بُنيان قوم تهدما
وقال خلف الأحمر أرثى بيت :

الآن لما كنت أكل من مشى وافترّ نأبك عن شباه القارح
وتسكملت فيك المروءة كلها وأعنت ذلك بالفعال الصالح
وقال الأصمعي أرثى بيت للعرب :

ومن عجب أنبت مستشعر الثرى وردن^(١) بما رودتني مُتمتعا
ولو أننى أنصفتك الود لم أبت خلافا حتى تنطوى فى الثرى معا
ومن أحسن ما قيل فى بقايا آثار الميت قول الحسين بن مطير^(٢) :

فتى عيش فى معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

(١) لعله (زوبت) . (٢) فى الاصل (الحسن) وهو شاعر من مخضرمى الدولتين

الأموية والعباسية . قدم فى القصيد والرجز فصيح .

وفي هذه القصيدة :

أيا قبرَ معنٍ كنت أولَ حفرةٍ من الأرض خطتُ للسماحة مضجعها
وياقبرَ معنٍ كيفَ وارىتَ شخصه ولو كان حياً ضقتَ حتى تصدما
فلما مضى معنٌ مضى الجودُ والندى وأصبحَ عرنينُ المكارم أجدا
وأنا أقول إن هذه الأبيات أرتى ما قيل في الجاهلية والاسلام .

وقالوا أرتى بيت قيل قول مهلهل في كليب :

نبئتُ أن النارَ بعدك أوقدتُ واستبَّ بعدك يا كليبُ المجلسُ
وتكلموا في أمر كلِّ عزيمة لو كنتَ شاهدهم إذا لم ينبسوا
وكان كليب إذا أوقد ناراً لم يوقد أحدٌ ناراً ولم ينزل ضيفٌ إلا عليه وإذا
جلس مجلساً لم يتكلم فيه أحد إلا هو .

وقالوا أحسن ما قيل في المرائي قول متم بن نويرة في أخيه مالك :

وكنا كندمانى جزيمة حقة من الدهر حتى قيل لن تتصدما
فلما تفرقنا كأنى ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة مما

وليس في المحدثين أحسن مرائي من أبي تمام فمن ذلك قوله :

غدا غدوة والمجد^(١) نسج ردائه فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر^(٢)
فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخصك الحشر
فتى مات بين الضرب والطعن ميتة تقوم مقام النصر إن فاته النصر
فتى سلبته الخيل وهو لها رحى وبزته نار الحرب وهو لها جمر
كان بنى نيهات يوم وفاته نجوم سماء جر من بينها البدر
مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة غداة توى إلا اشتت أنها قبر
وكيف احتمالى للسحاب^(٣) صنيعه بأسقائه قبراً وفي لحده البحر
ولولا كراهة الاطالة لاوردت القصيدة كلها إذ ليس فيها إلا مختار .

(١) ديوان أبي تمام «والحمد» . (٢) في الأصل (أجر) . (٣) في الديوان (للغيوث) .

وقوله ^(١) في إدريس بن بدر السامي :

إدريس ضاع المجد بعدك كله
وضل بك المرتاد من حيث يهتدى
وتبسط كفاً في الخطوب ^(٢) كأنما
ولم أنس سعي الجود حول سريره
وقد كان يدعى لابس الصبر حازماً

وقوله في بني حميد :

عهدى بهم تستنير الأرض أن تزلوا
ويضحك الدهر منهم عن غطارفة
فيا الشماتة إعلانا بأسد وغى
وقوله أيضاً: إذا فقد المفقود من آل مالك
خليلى من بعد الأسي والجوى قفا
الما فهذا مصرع البأس والندى
لم تريا الأيام كيف فجعتنا
خطوب اليه من نداء وبأسه
وقد كثرت على محاسنه في هذا الباب فما أدري ما أورد وما أترك. وقد أحسن القائل:

وسميته يحيى ليحيا ولم يكن
تسمت فيه الغال حين رزقه
الى رد أمر الله فيه سبيل
ولم أدري أن الغال فيه يفيل

وأخذ أبو تمام قول الفرزدق في جارية له ماتت وفي بطنها غلام :

« وجفن سلاح من معد رزقه : والبيت :

وفي جوفه من دارم ذوخ فيظة لو أن الليالى انبأته لياليا

(١) أى قول أبي تمام . (٢) في ديوان أبي تمام « في الحقوق » .

(٣) في الديوان (فأصبح يدعى) . (٤) في الديوان « وحسب البكا ان قلت » .

وكان وجه الكلام أن يقول « وفي جوفه ذو حفيظة من دارم » فقال أبو تمام
وزاد زيادةً أسقط بها بيت الفرزدق حتى صار لا قيمة له معها وهو قوله في ابنين
لعبد الله بن طاهر قد ماتا صغيرين في يوم واحد :

نجمان شاء الله أن لا يطلعا إلا ارتداد الطرف حتى يافلا
أن الفجعة بالرياض نواضراً لا أجل منها بالرياض ذوابلا
لو ينسيان لكان هذا غاربا للمكرّمات وكان هذا كاهلا
لنفي على تلك الشواهد فيهما لو أمهلت^(١) حتى تكون شمائللا
لغدا سكونهما حجا وصباها حطاً وتلك الأريحية نائللا
أن الهلال إذا رأيت نموه أيقنت أن سيكون^(٢) بدرآ كاملا
ثم قال بوسيه :

أن ترز في طرفي نهار واحد رزمن هاجا لوعة وبلا بلا
فالثقل ليس مضاعفاً لمطية إلا إذا ما كان وهماً بازلا
ثم قال أيضاً :

شمخت^(٣) خلالك أن يؤسبك امرء أو أن تذكر^(٤) ناسياً أو غافلا
إلا مواعظ قادهالك ممحة اسباح لبك سامعاً أو قائللا
هل تكلف الأيدي هزاً مهندياً إلا إذا كان الحسام الفاصلا
وقالوا ليس للرب مرثية أجود من قصيدة كعب بن سعد التي يرثي فيها أخاه
أبا المغوار ويقول فيها :

أتى دون حلو العيش حتى أمره منكوبٌ على آثارهنّ منكوب
هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يؤدي الليل حين يثوب
حليم إذا ما الحلم زين أهله مع العلم في عين العدو مهيب

(١) في الأصل « قد أمهلت » . (٢) في ديوان أبي تمام « سيعود » .

(٣) في الأصل (سمحت) . (٤) في الأصل (أو كان يذكر) .

هوت أمه ماذا تضمن رحله
فتى أريحي كيف يهتز للندى
حليف الندى يدعو الندى فيجيبه
فان تكن الأيام أحسن مرة
وحدتني انما الموت بالقرى
وقال فيها: وداع دمانا من يجيب الى الندى
فقلت ادع أخرى وارفض^(١) الصوت مسمعا
ومن عجيب المراتى قول الرقاشى فى البرامكة :

الآن استرخنا واستراحت ركبتنا
فقل للمطايا قد أمنت من السرى
وقل للمنايا قد ظفرت بجمفر
وقل للعطايا بعد فضل تعطى
ودونك سيفاً برمكياً مهتداً
ومن جيد المراتى قول الآخر :

سأبكيك للدينيا وللدين انى
ربيع إذا ضن الغمام بمائه
وقد أحسن أبو الحسن بن الانبارى القول فى ابن بقية^(٢) حين صاب :
علو في الحياة وفى المات بحق أنت^(٣) احدى المعجزات
كان الناس بعدك حين قاموا وفود نذاك أيام الصلات
وهذا البيت مأخوذ من قول ابن المعتز فى عبد الله بن سليمان حين توفي :
وصلوا عليه خاشعين كأنهم قيام خضوع للسلام عليه

(١) المعروف «وارفع الصوت» . (٢) كان برا جواداً ، نغم عليه عز الدولة أمراً

فقبض عليه وسمل عينيه ، ولما ملك عضد الدولة صلبه (٣) وفى رواية (لحق تلك) .

كَأَنَّكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيبًا وَكُلُّهُمْ قِيَامٌ لِلصَّلَاتِ
مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمْ جَمِيعًا كَدَّ كَمَا إِلَيْهِمْ بِالْمُهَبَاتِ
وَلَا ضَاقَ بَطْنُ الْأَرْضِ عَنْ أَنْ يَضُمُّ عُنَاكَ مِنْ بَعْدِ الْمَمَاتِ
أَصَارُوا الْجَوْ قَبْرَكَ وَاسْتَنَابُوا ^(١) عَنْ الْأَكْفَانِ ثَوْبَ السَّاقِيَاتِ
فَلَمْ أَرَ قَبْلَ جَذْعِكَ قَطُّ جَذْعًا تَمَكَّنَ مِنْ عُنَاقِ الْمَكْرُمَاتِ

وَمِنْ جَيْدٍ مَا قِيلَ فِي عَظَمِ شَأْنِ الْمَيْتِ قَوْلُ ابْنِ الْمَعْتَزِ:

هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ فِي نَعْشِهِ قَوْمُوا انظُرُوا كَيْفَ تَزُولُ الْجِبَالُ
وَقَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

بَنِي مَالِكٍ قَدْ نَيْهَتْ خَامِلَ الثَّرَى قُبُورُكُمْ مُسْتَشْرِفَاتٌ ^(٢) الْمَعَالِمِ
رَوَاكِدُ قَيْدٍ ^(٣) الْكَفِّ مِنْ مَتَنَاوِلِ وَفِيهَا مُعَلَّاءٌ لَا يُرْتَقَى بِالسَّلَامِ
وَقُلْتُ: سَائِلُ الْقَبْرِ كَيْفَ أَضْمَرْتَ قَدْسًا وَأَبَانًا وَيَذْبَلًا وَحِرَاءَ
مَنْ رَأَى الْبَدْرَ بِالتَّرَابِ تَوَارَى أَوْ عَلَى ذُرُوقِ النَّمُوشِ تَرَاءَى
وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ وَأَحْسَنُ :

تَعَالَوْا نَزُرْ قَبْرَ السَّيَّاحَةِ وَالرَّفْدِ وَلَا نَعْتَذِرُ مِنْ دَمْعِ عَيْنٍ عَلَى خَدٍّ
لَقَدْ عَشْتُمْ لَمْ يَلْقَ بِفَعْلِكَ ذِمَّةً ^(٤) وَمُتَّ عَلَى رَغَمِ الْحَامِدِ وَالْمَجْدِ
وَقَالَ أَيْضًا :

أَنْتَ تَرَى مَوْتَ الْعَلِيِّ وَالْحَامِدِ وَكَيْفَ دَفَنَّا الْخَلْقَ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ
وَلَدَّ هَرِ أَيَّامٍ يُسْتَنُّ عَوَامِدًا وَيَحْسَنُ أَنْ أَحْسَنَ غَيْرَ عَوَامِدٍ
وَقَالَ دَعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُزَاعِيُّ :

حَنَظَّتْهُ يَا نَصْرُ بِالْكَافُورِ وَرَفَعَتْهُ لِلْمَنْزِلِ الْمَهْجُورِ
هَلَا يَبْمُضُ خِلَالَهُ حَنَظَّتُهُ فَيَضُوعُ أَفْقُ مَنَازِلِ وَقُبُورِ

(١) فِي رَوَايَةٍ (وَاسْتَعَاذُوا) . (٢) فِي الْأَصْلِ (وَذَا كَمْ مُشْرِفَاتٍ) .

(٣) فِي الْأَصْلِ (رَوَاكِدُ قَيْسٍ) .

وقلت: على الرغم من أنف المكارم والعلی
 ألم تر أن البأس أصبح بعده
 غدت داره قفراً ومفناه بلقما
 أشل وأن الجود أصبح أجدا
 إلى المجد والعلیاء كيف تخشما
 على الجود والمعروف والفضل أربما
 ونوحاً لفقد العارقات مرجعا
 ولكنه بنيات قوم تضعضما
 ولا تحسبا أنى أواریه وحده
 ولكنى واریته والندی معا

ومن بارع المرائی قول دیک الجن الحمصی :

مات حبيب فمات ليث
 وغاض بحبره وباح نجم
 سممت عيون الردى إليه
 وهى إلى المكر مات تسو
 مأمك اجتاحت المنايا
 كل فؤاد عليك أم

ومما جاء فى صفة القبر قول الشاعر :

ورسم دار مقفر الجناب
 يزداد عمراً على الخراب

وقالوا أصدق ما قيل فى صفة الدنيا قول أبى نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
 له عن عذوب في ثياب صديق
 وهو مأخوذ من قول جرير فى وصف النساء :

دعين الهوى ثم ارتمين قلوبنا
 بأسمهم أعداء وهن صديق
 وقالوا بل أصدق ما قيل فى صفة الدنيا قول الأول :

محتوفها رصد وعيشها نكد
 وصفوها رتق وملكها دول
 قالت : ما بال نفسك لانهوى سلامتها
 فانت فى عرض الدنيا ترغبتها
 دار إذا أتت الآمال تعمرها
 جاءت مقدمة الآجال تخربها
 أصبحت تطلب دنيا لست تدركها
 فكيف تدرك أخرى لست تطلبها

ومن جيد ما قيل فى الزهد قول ابن المعتز :

نسيرُ إلى الآجال في كلِّ لحظةٍ وأيامنا تطوى ومهنٌ مراحل
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنه إذا ما تخطته الأمانى باطل
وقلت: ألتست ترى موتَ الدلا والفضائل وكيف غروبُ النجم بين الجنادل
فما الدنيا أغفلتُ كلَّ ناقص وتنبني في الآفاق عن كلِّ فاضل
على الرِّغم من أنفِ الملا سبقَ الردى بكلِّ كريم الفعل حرَّ الشائل
على أن من أبقته ليسَ بخالدٍ وليسَ امرؤُ يرجو الخلودَ بما قل
رأيتُ المنايا بينَ غادٍ ورائح فما للبرايا بينَ ساءٍ وغافل
ولم أرَ كالدينا حبيباً مُضرةً ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كباطل
وقال ابن المعتز :

كم بدارِ الموتِ من ذى إربةٍ عجزت منه على الموتِ الحيلُ
وملوكٌ بليتُ أيديهم ولقد كانت مطايا للقبلُ
وقلت: فتعجبتُ كيفَ لا نحذرُ الموتَ وأنفاسنا خطانا إليه
وقرأت للجاحظ كلاماً مفقود النظر معدوم الشبيه لا أعرف لأحد مثله
وهو : أيها المستدل على أمور الدنيا كفاك بها على نفسها دليلاً ويومها لك من
غدها تشبيهاً وتمثيلاً تالله لقد أطلعتك بمؤلفاتها على حدوث تأليفها وأثبتت لك
الصانع بآثار صنعه فيها ووقفتك على معرفة كمالها بما توافى فيك من أجزائها
ودلتك بتحليل المركبات فيها على انحلال تركيبها . ووقفتك بقطع الشمس والقمر
قطرها على إدبارها وانقطاعها فكشف لك انتهاء حدودها عن تنهاى أمدها وأبان
لك دُؤوبُ أطراد نهارها وليلها وتتابع دوران بروجها ونجومها وتعاقب أزمنة
بردها وحرها واعتدالها وحركات نيرانها ورياحها ومياهها أنها مسوقة محشوة
إلى أمدها كما تحت براياها بالأوقات الجارية إلى آجالها . ثم قال وتحدث ما تخوفك به
طوارق أحداثها وتوطنك على إيطان جثانها حدثاً من أحداثها لا تمسك منها
بعروة إلا شهدت على أشكالها فآية نصيحة أصدق لك من نصيحتها أو عظة أشفى

وأبلغ من عظمتها أو شهادة أصح وأعدل من شهادتها بالفناء ، ألم تر أجزاءها
مؤتلفة بالاجتماع مختلفة بالطباع يهلك بعضها بعضاً ويعود إرهابها تقضاً ، فيا نابياً للصخر
وتهدمه وللحديد وتثله واثقاً ببقاء لحمه ودمه ومساعفاً بشبهه وقرمه اذ كر أن جسدك وشيكا
مفارقك وأنه وإن جدته مخلقك وأنتك تطلقه في شهواته ويوثقك وتبقى عليه من التعب
ويوبقك فقيم تشتغل به عن مصلحتك وعلام تتكل في عقبيك - إلى أن قال وتقوى على الزهد
فما يتنافسه الجهال بذكر الموت وفجائته وبقائه ووضوح آياته وغموض ميقاته وانخزال
المحالة عن دفعه ويأس النفوس من منعه عند غوصه عليها في الابدان وتخليه لها
من الأعظم والأعصاب والعروق واللحم والاهاب حتى يسوقها من الاغراض
والأوصال سياق رهاق مضيق للحناق محقق للفراق مؤيس من التلاق عند إحساسه
بموت جسده عضواً فعضواً وفقدان قوته جزءاً جزءاً وهي تمرح في الصدر حشرة
وفي الجوانح رجرة وفي اللوات غرغرة وفي الحلقوم خرخرة بالترزع الجاذب
والعلن الكاذب والفُواق الدائب والانساف الذواهب فهناك تنفس الصعداء
وتوقد البرحاء وفي ميمه وبصره بقية يرمق بها أولاده يتامى ونساء أيامى وأمواله
نهبى وجموعه شتى ووجوه الشامتين به مشرقة والدموع من أحبته مستبقة والجيوب
عليه مشققة والشعور مقطعة والحدود باللطم مبقعة وذلك غير طائد عليه ولا عليهم
بمنفعة في كلام طويل .

ومن جيد ما قيل في إفضاء السلامة بصاحبها الى الهلاك قول النمر بن تولب :
تدارك ما قبل الشباب وبعدهُ حوادث أيام تمرُّ وتفعل
يودُ الفتى طولَ السلامة والغنى فكيف ترى طولَ السلامة تعقل
يرد الفتى بعد اعتدال وصحة ينوءُ اذا دام القيام ويحملُ
وقيل لرجل من الاوائل : ما كان سبب موت أخيك ؟ قال كونه فأحسن ما شاء .

وقال بعضهم في معناه :

ما بالُ من آفته بقاءهُ نصصَ عيشي كله فناؤهُ

وقال آخر في نحوه :

فإنَّ الداءَ أكثرَ ماتراً من الأشياءِ تملو في الخلق
ومن جيد ما قيل في موت الولد قول ابن الرومي :

بكاؤكما يشفى وإن كان لا يجدي فجودا فقد أودى نظيركما عندي
توفي حمام الموت أوسط صبيتي فله كيف اختار واسطة السقد
طواه الردى عنى فأضحى مزاره بعيداً على قرب قريباً على البعد
عجبت لقلبي كيف لم ينفطر له ولو أنه أقسى من الحجر الصلد
ومامرتني أن بعته بشوابه ولو أنه التخليد في جنة الخلد
ولا بعته طوعاً ولا كناً غصبته وليس على ظلم الحوادث من معدى

وأما موت الأخ فقد روينا فيه خبراً مليحاً أخبرنا به أبو طاهر محمد بن يوسف
قال أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن بكر قال حدثنا أيوب بن سليمان قال حدثني
يوسف قال حدثنا صهيب بن محمد قال حدثنا إسماعيل بن عمرو قال حدثنا إسماعيل
ابن عياش عن عبد الله بن دينار قال قدم لقمن من سفر فلقى غلاماً له فقال
له ما فعل أبي؟ قال مات قال ملكك أمري فما فعلت أمي؟ قال ماتت قال ذهب همي
قال فما فعلت أختي؟ قال ماتت قال سترت عورتني قال فما فعلت امرأتي؟ قال ماتت قال
جدد فراشي قال فما فعل أخي؟ قال مات قال: أوه انقطع ظهري انتهى .

وذكر قدامة بن جعفر أن أبا جعفر المنصور لما دفن ابنه جعفر الأصغر قال للربيع

كيف قال مطيع بن إلياس فأنشده :

يا أهل بكوا لقلبي القريح وللدُموع الدوارف السفج
راحوا يبعي ولو تطاوعني الأقدار لم تتكر ولم ترح
يا خير من يحسن البكاء له اليوم ومن كان أمس للمدح
قد شمت الحزن بالسرور وقد أدبل مكروهه من الفرح

فبكى المنصور ثم قال : صاحب هذا القبر أحق بهذا الشعر ، تم أذن للناس فدخلوا
ونصبت الموائد فلم يقدر أن يمدَّ يده من الجزع الذي كان خامره فقام شبيب بن
شيبه فأنشده قول الثقي في ابنه علي وكان شرطة عبيد الله بن العباس باليمن فقتله
بشر بن أرطاة فقال يرثيه :

لعمري لقد أودى ابنُ أرطاةَ فارساً بصنماءٍ واليـث الهزير أبى الأجر
تأملُ فإن كانَ البكا رَدًّا هالِكاً على أحدٍ فاجهدُ بكاك على عمرو
فسرِّي عنه وأكل مع الناس ورفع الحزن مع رفع الطعام .

ومن عجيب المرائي قول الأشجعم :
مضى ابن سعيد حين لم يبقَ مَشْرِقٌ ولا مغربٌ إلا له فيه مَدَحٌ
وما كنتُ أدري ما فواضلُ كفه على الناسِ حتى غيـثهُ الصَّفائِحُ
فأصبحَ في لحـدٍ من الأرضِ ميتاً وكانَ بهِ حياً تضيقُ الأباطِحُ
سأبكيك ما فاضتْ دُموعي وإن تغض فحسبك مني ما تحنُّ الجوانِحُ
كأن لم يمـتْ حتى سِوَاكَ ولم تقم على أحدٍ إلا عليك النوائِحُ
لئن حسنتُ فيك المرائي وقليلها لقد حسنتُ من قبلُ فيك المدايحُ
وما أنا من رزءٍ وإن جَلَّ جازعٌ ولا يسرورٍ بعد موتك فارحُ
وأنشدنا أبو القاسم عبد الوهاب بن إبراهيم قال أنشدنا العقدي قال أنشدنا
أبو جعفر عن المدائني لعرفجة بن شريك يرثي أوساً :

رأيتُ المنايا نصطفى سـرَواتنا كأنَّ المنايا تبتغي من تفاخـره
فما كانَ قيسٌ عاجزاً غير أنه حتى أنفه من أن يضيعَ مجاوره
وطالبَ لوردِ الموتِ نفساً ولم يخـم وقد ضاقَ بالنكس اللثيم مصادره
فصادفَ رق الموتِ حراً صميـداً إذا سئلَ المعروفَ لانت مكاسره
حتى أنفه أوس ولم يثن وجهه ويفنى الحياءُ المرءَ والرمح شاجره
ومن ههنا أخذ أبو تمام قوله :

وقد كان قوت الموت سهلاً فرَدَّه عليه الحفاظ المرُّ والخلقُ الوعر
وعزى ابن السماك الرشيد عن ابن له مات فقال : أما بعد فإن استطعت أن
يكون شكرك لله حين أخذه أكثر من شكرك لله حين وهبه فافعل فإنه حين قبضه
أحرز لك هبته ولو بقي لم تسلم من فتنه ، عجيباً لجزعك على ذهابه وتلفك على
فراقه أَرْضِيت الدار لنفسك فترضاها لولدك أما هو فقد خُص من الكدر وبقيت
معلقاً بالخطر والسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدًا لا يحصى عدده ولا يبلغ أمدّه ، وصلواته على سيدنا ونبينا محمد
وآله الطاهرين المختارين وسلم .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في صفة أشياء مختلفة يختم بها كتاب ديوان المعاني وهو :)

﴿ الباب الثاني عشر منه فأول ذلك ﴾

﴿ القول في الحنين إلى الأوطان ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان قال قال أبو سرح سمعني
أبو دُلف أنشد :

لا يمنعك خفض العيش في دعية تزوع نفس إلى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد أنت ساكنها أهلاً بأهل وجيراناً بحيران

فقال : هذا الأُم بيت قالته العرب . قال أبو هلال رحمه الله : النزوع ههنا ردى^١ والجيد النزاع، وإنما جعل أبو دلف هذا البيت الأُم بيت لأنه يدل على قلة رعاية وشدة قساوة وحنين الرجل إلى أوطانه منقبة من علامات الرشد لما فيه من الدلائل على كرم الطينة وتمام العقل. وقالت الحكماء : حنين الرجل إلى وطنه من علامات الرشد. وقال بزرجمهر : من أمارات العاقل بره بأخوانه وحنينه إلى أوطانه ومداراته لأهل زمانه . وقال أعرابي : لا تشك بلدًا فيه قبائلك ولا تجف أرضًا فيه قوايلك . وقالت العرب : أكرم الخليل أشدها خوفًا^(١) من السوط وأكيس الصبيان أشدهم بغضًا للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حنينًا إلى أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لأمهاتها وأكرم الناس أنفسهم للناس . وقد بين الله تعالى فضل الوطن وكلف النفوس به في قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ) فجعل خروجهم من ديارهم كفؤ قتلهم لأنفسهم ومنه قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) وقوله تعالى (وَلَوْلَا أَنِ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا) فجعل إخراجهم إياهم من ديارهم بدلًا من العذاب المستأصل لهم لشبهه به عندهم . وقال بعض الحكماء : الخروج من الوطن أحد السبايين والجللاء أحد القتلين . وقال يحيى بن أبي طالب :

إذا ارتحلت نحو اليمامة رفقة^٢ دعاني الهوى وارتاح قلبي إلى الذكر
يقولون إنَّ الهجرَ يشفى من الهوى وما زددت إلا ضعف ما بي على الهجر
وكان كثير^٣ من العرب ممن يعتزى إلى فضل كرم لا ينتجعون وكذلك
كانت قريش . وقال الحارث بن ظالم :

رفعت الرَّمح^(٢) إذ قالوا قريش^٣ وشبهت الشَّائل والقبابا^(٣)

(١) سقط من الأصل «خوفا» أو ما بمعناها . (٢) في الأغاني «السيف» .

(٣) في الأغاني «وينت الشائل والعتابا»

ولو أتى أطاوعُ كنتُ فيهم وما سِرتُ أتبع السحابا
وقال الجويدرة ^(١).

وتقيمُ في دار الحفاظ يوتنا زمناً ويظعنُ غيرنا للأمرع
والأمرع جمع لا واحد له من لفظه ، وكانوا يسمون منزلهم دار الحفاظ لأنهم
كانوا يقيمون فيه لقرى الأضياف وإعطاء الفقير وصلة المسكين وابن السبيل .
وقال أبو تمام : كم منزل في الأرض يألفه القى . وحينئذُ أبدأً لأول منزل
وقد قالت الهند : حرمة بلدك عليك مثل حرمة أبويك لأن غذاءك منها
وغذاءهما منك . وقال آخر : أرض الرجل ظئره وداره مهده . وقال آخر : الحنين إلى
الوطن من رقة القلب ورقة القلب من الرأية والرأية من الرحمة والرحمة من كرم
الفطرة وكرم الفطرة من طهارة الرشدة وطهارة الرشدة من كرم المحتد قال الشاعر :
لقربُ الدَّارِ في الاقتار خيرٌ من العيش المـوسـع في اغتراب
وقال جالينوس : يتزوج العليل بنسيم أهله كما تنقوت الحبة بيل المطر إذا
أصاب الأرض . وقال أفلاطون : غذاء الطبيعة من أنجع أدويتها . وقال : يداوى
كل عليل بعقاقير أرضه فإن الطبيعة تتطلع إلى هوائها وتنزع إلى غذائها . وقتلنا :
ليس الإنسان أقنع بشيء منه بوطنه لأنه يتبرم بكل شيء ردىء ويتذم من
كل شيء كرهه إلا من وطنه وإن كان ردىء التربة كرهه الغذاء ولولا حب الناس
للأوطان لخرب أخابث الأرض والبلدان ، قال الشاعر :

ألا ليت شعري هل تحنُّ ناقتي بصحراء من نجران ذات ثرى جمـد
وهل تنفضنَّ الريحُ أفنانَ متى على لاحقٍ الاطلين مطمر ورد
وهل أردن الدهر جسمي مزاحم وقد ضربته نفحة من صبا نجد
وذكر ابن الرومي العلة التي يحب الوطن لاجلها وليس له في ذلك امام إلا

(١) في الاصل «الخويدرة» بانتحاء المعجمة وهو غلط ، ويقال له الحادرة لقب غلب
عليه ، والخويدرة تصغيره (والحادرة الضخم) واسمه قطبة الثعلبي وهو شاعر جاهلي مقل .

أحمد بن اسحق الموصلي فانه قال :

أحبُّ الأرضَ تسكنها سليمي وان كانت بواديهما الجدوب
وما دهرى يحب تراب أرض ولكن من يحمل بها حبيب

وقال ابن الرومي :

ولي وطنٌ آليتُ أن لا أبيعهُ وألا أرى غيري له الدهرَ مالكا
عهدتُ به شرحَ الشبابِ ونعمةً كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا
فقد ألفتُهُ النفسُ حتى كأنهُ لها جسدٌ لولاهُ غودرتُ هالكا
وحبَّ أوطانَ الرجالِ إليهم ما رُبُّ قضاها الشبابُ هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلك
وقد ضامني فيها اللثيم وغرني وها أنا منه معصمٌ بحبالكا
فان أخطأتني من يمينك نعمة فلا تخطئنه نعمة من شمالكا
وقلت في نحو من ذلك :

توى في حفرة العانات يمن تغلغل في المنازل والرُّباع
وإن تهوَّ البقاع فليس غرواً هوى أهل البقاع هوى البقاع

وقال ابن الرومي :

فاذا تصوَّرت في الضمير وجدته وعليه أفنانُ الشبابِ تميدُ
وقيل لأعرابي كيف تصنع بالبادية إذا اشتدَّ القيظ واشتعل كل شيء ظلّه ؟
فقال وهل العيش إلا ذاك يمشي أحداً ميلاً ويرفض عرقاً ثم ينصبُ عصاه ويلقي
عليها كساءه ويجلس يكتال الريح فكأنَّه في إيوان كسرى . وذكر أعرابي
بلده فقال رمة كنتُ جنين ركامها ورضيع غمامها . وقالت أعرابية : إذا كنت
في غير أهلِكَ فلا تنس نصيبك من الذلِّ . وقال الشاعر في معناه
* نصيبك من ذلِّ إذا كنت خاليا * وقلت :

حسبتُ الخيرَ بكثرة في التناي فكان الخيرُ أكثر في التداني

ذكرتُ مقامنا بسراة حزوى فسرت مع الوساوس في عنان
 ألا لله حزمٌ واصطبارٌ تقاصحه بنياتُ الزمان
 عزيزٌ أضمرتُهُ نوى شطون فظلَّ من المهانة في ضمان
 يَنَاطُ إلى العزيزِ إذا تبوى بمنزل غربةٍ طرف الهوان
 وقال آخر : يحنُّ اللبيبُ إلى وطنه كما يحنُّ النجيبُ إلى عطنه . وقلت :
 إذا أنا لا (١) اشتاقُ أرضَ عشيرتي فليس مكاني في النهى بمكين
 من العقل أن اشتاقَ أولَ منزلٍ عنيتُ بخفضٍ في ذُراهٍ ولين
 وروضِ رعاةٍ بالأصائلِ ناظري وغصنِ ثناءٍ بالغداةِ يميني
 وقال ابن المولى :

مُسررتُ بجعفرٍ والقرب منه كما مُسرَّ المسافر بالأياب
 كمطور - يلدته فاضحي غنياً عن مطالعة السحاب
 وهو من قول الآخر :

فكنتُ فيهمُ كمطور يلدته فسرَّ أن جمعَ الاوطانَ والمطرا
 وفضلَ بعضهم السفرَ على المقام واحتج بقول الله تعالى (عِلِمَ أَنْ سَيَكُونُ
 مِنْكُمْ مَرْضًى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَفُونَ مِنْ فَضْلِ
 اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قال فقسم الحاجات فجعل أكثرها
 في البُعد ، وقال تعالى (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ
 وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) قال فأخرج الكلام مخرج العموم ولم يخص أرضاً
 دون أرض ولا قرباً دون بعد ، ويُنشد في هذا المعنى قول أبي تمام :

وطولُ مُقامِ المرءِ في الحيِّ مخلوقٍ لذي حاجتيهِ فاعترِبْ تتجدد
 فاني رأيتُ الشمسَ زِيدتْ محبةً إلى الناسِ اذليستْ عليهم بسرمد

وقال (٢) في الحث على الأسفار والطلب والتزهيد في المقام والدعة : الراحة

(١) في الأصل « لم » ويصح « لم أشتق لأرض » . (٢) كذا .

عقلته والبركات في الحركات ومن غلى دماغه في الصيف غلت قدره في الشتاء .

وقال عبد الله بن وهب : حبُّ الهويِّنا يكسب الضنى ، وقال أبو المعافى :

وانَّ التواني أنكحَ المعجزَ بنته وساقَ إليها حينَ أنكحها مهرا

فراشاً وطيباً ثمَّ قال لها اتكى فقُصرا كالأبدَّ أن تلد الفقرا

وقال نهبك بن أساف :

أأمَّ نهبك إرفعى الطرفَ صادقاً^(١) ولا تيأسى أن يثرى الدهر بائس

سيغنك سعي^(٢) في البلادِ وغربتي^(٣) وبعلى النى لم تحظَ فى البيتِ^(٤) جالس

وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دُرَيْد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال أكرم بن

صيفى : ما يودنى أنى مكنتى وأنى أسمنت وألذت، قيل ولم ذاك قال مخافة عادة المعجز .

وفي الحديث المرفوع « سافروا تنموا »^(٥) وقال الشاعر وذمَّ طول الضبعة :

فانَّ تأتيا نى بالشتاء وتلمسا مكان فراشى فهو بالليل بارد

وقال آخر : أبيض بسام يروى مضجعه واللقمة الفردُ مراراً تُشبعه

وقال الخطيئة يهجو القعود والراحة :

دع المكارم لا ترخلْ لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكامى

وقال أبو عبادة البُحترى :

وقد سألتُ فما أُعطيتُ مرغبةً وكان حقى أن أُعطى ولم أسل

أرمى بظنى ولا أعدو^(٦) الخطاءَ به فاعجب لاختطائِ رام من بنى ثمل

أسيرُ إذ كنت فى طولِ المقام بها أ كدى لعلى أجدى عند مُرتحلى

شرق وغرب فعهد العاهدين بما طالبت فى ذملان الأيتق الذمل

(١) فى الأغانى (صاعدا) . (٢) فى الأغانى (سرى) . (٣) فى الأغانى

(ومطلي) . (٤) فى الأغانى (فى الحى) . (٥) روى هذا الحديث بأنفاظ

مختلفة وزيادات لأحمد والطبرانى والحاكم وغيرهم .

(٦) فى ديوان البُحترى « فما أعدو » .

ولا تقل أمم شتى ولا فرق ^(١) فلا أرض من تربة والناس من رجل
وقال بشار بن برد :

تخاف المنايا إذ ترحل صاحبي كأن المنايا في المقام يناسيه
أخذه من قول الأعشى : ◌◌◌ من رد أهله لم يرم ◌◌◌ والآول أجود سبكاً
وأفصح لفظاً . وأخبرنا أبو أحمد عن الجوهرى عن أبي زيد قال قال أبو الحسن
كان خالد بن عبد الله القسرى يطعم الأعراب في حطة أصابتهم في كل يوم
يطعم ثلاثين ألف إنسان خبزاً وسويقاً وتمراً فقيل لأعرابي لو أتيت خالداً فانه
يطعم الأعراب فقال :

يقول ابن حجاج تجهز ولا تمت هزلاً بجران تماوى كلابها
فقد خبر الركبان أن جديده تباح ورغفانا شباعاً رغائبها
وماء فرات ما شهيت وقرية تدب ديب النمل فيك شرابها
فأقسم لا أبتاع رُغفان خالد بأرواح نجمد ما أقام ترايبها
إذا باحت بالعرمتين وصارة رياح الخزامى حين تندى رحابها
وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا أبو بكر بن دُرَيْد قال حدثنا الفضل بن محمد
العلاف قال لما قدم بغاييتي نمر كنت كثيراً ما آتيهم فلا أعدم أن ألقى منهم
الفصيح فجئت يوماً إليهم في عقب مطر فاذا شاب جميل قد نهكه المرض فليس
به حراك وإذا هو ينشد :

ألا ياسنى برق على قلل الحمى ليهنك من برق على كريم
لمعت اقتداء الطرف والقوم هجج فهبجت أسقاماً وأنت سقيم
فهل من معير طرف عين خلية فانسان طرف العامرى كريم
رمى قلبه البرق اليماني رمية بذكر الحمى وهناً فبات يهيم
قال فقلت ان فيما بك لشغلاً عن الشعر قال صدقت ولكن البرق أنطقنى .

وقال عبد الله بن محمد القيسي :

ألا ليت شعري هل أيتن^(١) ليلة
وهل أحدٌ باد لنا وكأنه
يحول^(٢) السراب الطلح بيني وبينه
فاني لأرعى النجم حتى كأني
وأشتاق للبرق اليماني إذا بدا
وله أيضاً :

ومن حاجتي لولا الحياء وأنني
مسيري مع الفتيان في طلق الهوى
فلم يبق من تلك^(٣) اللذازة عندهم
وقال أعرابي :

أُغترباً أصبحت في رآهم^(٤) مز
إذا راح كعب مصعداً أن قلبه
وان الكئيب الفرد من أيمن الحمى
تفوقت ذرات الصبا في ظلاله
إذا هب^(٥) علوى^(٦) الرياح استمالني
ومما يجري مع ذلك قول الآخر :

إذا عقد القضاء عليك أمراً
فمالك قد أقمت بدار ذل^(٧)
تبلغ بالكفاف فكل شيء
وقال امرؤ القيس :

وقد طوّفت في الآفاق حتى
رضيت من السلامة بالاياب

(١) في الأصل (يحب) . (٢) في الأصل «ذاك» .

وقال البحتري :

وكانَ رجائي أن أؤوبَ مَمْلُكاً فصارَ رجائي أن أؤوبَ سُلَماً

﴿ فصل في مدح الاخوان ﴾

من أحسن التشبيه في مدح الأخ ما^(١) أنشدني أبو علي بن أبي حفص عن جعفر بن محمد :

أخٌ لي كأيام الحياةِ أخاؤُهُ تلون ألواناً على خطوبِها
إذا عبتُ منه خلةً فهجرتُهُ دعنى إليه خلةً لأعييها

وقال البحتري :

قدمتَ فأقدمتَ الندى يحمل الرضا إلى كلِّ غضبانٍ على الدهرِ طابِ
وجئتُ كما جاء السحابُ^(٢) محرّاً يدبك بأخلافٍ تفي بالسحابِ
فعدتُ بك الأيامُ هي كواكبُ^(٣) جلا الدهرُ منها عن حدود الكواكبِ
وما أنسَ لأنسَ اجتذابك همّي إليك وتزيني بأعلى^(٤) المراتبِ
فياخيرَ مصحوبٍ إذا أنا لم أقمُ بشركٍ فاعلمُ أنني شرُّ صاحبِ

وكتب بعضهم : لست أذم من أيامنا إلا قصرها وطول الحسرة على أثرها .

وقريبٌ من المعنى الأول قول الآخر :

خليلٌ إذا ماجئتُ أبقيه حاجةً رجعت بما أبغى ووجهي بمائه
بلوت رجالاً بعده في إخائهم فما ازددت إلا رغبة في إخائه

وقال دعبل بن علي :

أخٌ لي عاداهُ الزمانُ فأصبحتُ مذمومةً فيما لديه المطالبُ
متى متذوقهُ التجاربُ صاحباً من الناس ردتَه إليك التجاربُ

وقال إبراهيم بن العباس :

(١) «ما» ساقطة من الأصل . (٢) في ديوان البحتري (الربيع) .

(٣) في الديوان «الأيام زهراً كأنها» . (٤) في الديوان (وترتيبها أخص المراتب) .

ومؤمل للنائبات إذا هب الزمان بأخوه هباً

لما رآني نهب حادثة جعل الذخائر دونها نهبا

وقال أيضاً :

ولكن الجواد أبا هشام وفي العهد مأمون المغيب

بطيء العهد ما استغنيت عنه وطلاّع عليك مع الخطوب

والبيت الأخير يشير إلى قول جرير * وإني لعف الفقر مشترك الغنى *

ونحوه قول إبراهيم أيضاً :

أسد ضار إذا هيجته وأب بر إذا ماقدرا

يعرف الأبعد إن أترى ولا يعرف الأدنى إذا ما افتقرا

وقال أيضاً :

ولكن عبد الله لما حوى الغنى وصار له من بين أخوانه مال

رأى خلة منهم تسد بماله فساهمهم حتى استوت بهم الحال

ونحوه قوله أيضاً :

بدا حين أترى بأخوانه فقل عنهم شباه العدم

وذكره الحزم غيب الأمور فبادر قبل انتقال النعم

ومما هو في هذا السيل ما كتب بعضهم : ما شخصت حتى شخص عقلي فصار

عديلك واستقل ودي فأضحى زميلك ولا مطمع لي في مستقرهما حتى تستقر

النوى بك وتحقق الأمانى فيك ولك . وقال أبو تمام :

ليالي نحن في غفلات عيش^(١) كأن الدهر منها في وثاق

وأياماً لنا وله^(٢) لانا عريناً^(٣) في حواشيها الرقاق

وفي هذا الموضع أيضاً قوله :

(١) في ديوان أبي تمام «سنبكى بعده غفلات عيش» . (٢) في الأصل «ولهم» .

(٣) في الأصل «عرييا»

أُيَامُنَا مَا كُنْتُ إِلَّا مُوَاهِبًا وَكُنْتُ بِاسْعَافِ الْحَبِيبِ حَبَائِبًا
سَنُغْرِبُ تَجْدِيدَ آلِهِدْكَ فِي الْبُكَاءِ فَمَا كُنْتُ فِي الْإِيَّامِ إِلَّا غُرَائِبًا
وَقُلْتُ فِي فَضْلِ الصَّدِيقِ عَلَى الْقَرِيبِ :

رَأَيْتُ بِالْوَدِّ عَنِ الْقَرِيبِ غَنًى وَلَيْسَ بِالْقَرِيبِ عَنِ الْوَدِّ غَنًى
وَصَاحِبِ الْوَدِّ^(١) حَسَامٌ مُنْتَضِي يَزِينُ فِي السَّلَامِ وَيَكْنِي فِي الْوَغَى
وَقُلْتُ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ :

لَيْسَ حَدُّ الْحَسَامِ أَكْفَى وَأَغْنَى مِنْ أَخٍ ذِي كَفَايَةٍ وَغَنَاءٍ
وَأَخُ الْمَرْءِ عَصَّةٌ فِي بِلَاءٍ يَغْتَرِيهِ وَزِينَةٌ فِي الرَّخَاءِ
وَقَالَ شَيْبُ بْنُ الْبَرَصَاءِ :

إِذَا الْمَرْءُ أَغْرَاهُ الصَّدِيقُ بَدَالَهُ بِأَرْضِ الْأُمَادِ بَعْضُ الْوَانِيَا الرِّبْدِ
وَمِنْ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي الْأَغْضَاءِ عَنِ الْأَخِ قَوْلُ النَّابِغَةِ :
وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَخًا لَا تَلَمُّهُ عَلَى شَيْءٍ أَيْ الرِّجَالِ الْمَهْذَبُ
وَقَالَ بَشَارُ بْنُ بَرْدٍ :

إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَانِبًا صَدِيقُكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تَعَاتِبُهُ
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ وِصِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مَرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَلَمْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصِفُو مِثَارِبَهُ
وَقَالَ آخَرُ : إِبْسِ أَخَاكَ عَلَى تَصْنُوعِهِ قَلْبًا مُفْتَضِّحًا عَلَى النَّصِ
مَا ظَلْتُ أَفْخَصُ عَنْ أَخِي ثِقَةً إِلَّا ذَمُّتُ عَوَاقِبَ الْفَحْصِ
وَقَالَ آخَرُ :

وَمَنْ ذَا الَّذِي تَرْضَى سَجَايَاهُ كُلَّهَا كَفَى الْمَرْءَ نَبَلًا أَنْ تُعَدَّ مُعَاتِبُهُ
وَكَتَبَ الصَّاحِبُ فِي فَصْلِ : وَتَمَثَّلْتُ لِي أَخْلَاقُكَ الَّتِي لَوْلَاهَا لَمْ يَسْلُسِ الْمَاءُ
وَلَمْ يَرْقِ الْهَوَاءُ وَلَمْ تَرَعْ الْحَقُّ وَالذَّمُّ وَلَمْ يَعْرِفِ الْمَجْدُ وَالْكَرَمُ أَخْلَاقُ جَدِّهِ غَيْرِ

أخلاق لا تأخذ الأيام جدتها ولا تشهج الليالي بردتها .

ومن جيد ما قيل في اظهار الرغبة في الاخوان قول أبي فراس بن حمدان :

قل لآخواننا الجفأة رويداً إذ رجونا إلى احتمال الملال
ان ذاك الصدود من غير جرم لم يدع في موضعاً للوصال
أحسنوا في وصالكم أو فسيثوا لا عدمناكم على كل حال
وقلت في معناه :

كم قد منحك حسناً وليس منك جزاء
ترى يضرُّك أن لو يكون منك وقاء
لا تبلنا بصدود إن الصدود بلاء
بل مالنا منك يد فاصنع بنا ماناء

وأنشدنا أبو أحمد :

اذكر أخانا تولى الله صحبتَهُ إني وإن كنتُ لألقاهُ ألقاهُ
الله يعلمُ أتي لستُ أذكره وكيف يذكره من ليس ينساه

وقال الخريجي :

أخ لي كذوب الشهد طعم إخائه إذا اختلفت بيض الليالي وسودها
كأمنية الملهوف حزماً ونائلاً وعوناً على عيائٍ أمر يكيدُها
له نعمٌ عندي ضعفتُ بشكرها على أنه في كل يوم يزيدُها
تحمل غنى شكرها فأراحنى وللشكر مرقاةً كزود صمودها
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدني أبو إسحق الشطبي قال أنشدنا حماد الراوية^(١) :

(١) هو حماد بن سabor بن المبارك ، كان طالماً بأيام العرب وأخبارها وأنسابها وأشعارها ولغاتها . ولد في الكوفة وجال في البادية ودخل الشام فحظي عند بني أمية ، قال له الوليد الأُموي : بم استحققت لقب الراوية ؟ قال يأتي أدوي لكل شاعر تعرفه بأمر المؤمنين أو سمعت به ، ثم لا ينشدني أحد شعراً قديماً أو محدثاً إلا

تصفحتُ إخواني بعينِ عنايةٍ فأصلحتُ منها كلَّ ما أفسدَ الدهرُ
وأرضاك عفو الشكر دونَ اجتهادهِ وفي دونِ ما أوليت ما اجتهد الشكر
ومن ملبح ما قيل في مدح الزمان :

رَقَّ الزَّمانُ لفاقتي ورثي لطلولِ تحرُّقي
فأنالني ما أشتهي وأراحَ مما أتقى
فلا تُغفرنَّ له الكثيرَ من الذنوبِ السَّبقِ
حتى جنائتهُ بما فعلَ المشيب بمفرقي

(في ذم الاخوان والرفقاء وما يجري مع ذلك)

من قديم ما يروى في ذلك قول لبید بن ربيعة :
ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافهم وبقيت في خلفِ كجلدِ الأُجرب
وضمَّنه جحظة البرمكى فقال :

قومٌ أحاولُ نيلهم فكأُتني حاولتُ تَفَ الشعرِ من آناهم
قمُ فاسقنيها بالكبيرِ وغنَّي ذَهَبَ الذين يُعاشُ في أكنافهم
وأنشدنا أبو القسم عن المُقدي عن أبي جعفر لأبي الشيص :

وصاحب كان لي وكنتُ له أشفق من والدٍ على ولدٍ
كنا كساقٍ يمشي بها قدمٌ أو كذراعٍ نيطت إلى عضدٍ
حتى إذا دانت الحوادثُ من خطوى وحلَّ الزمان من عقدي

ميزت القديم من المحدث ، قال فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال كثير ولكني
أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات
من شعر الجاهلية دون الاسلام ، قال سأمتحنك في هذا ، فأنشد حتى ضجر الوليد
فوكل به من يشق بصدقه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية ، وأخبر الوليد
بذلك فأمر له بمائة ألف درهم - كما في الاغانى وغيره .

أحول غنى وكان ينظر من
وكان لي مؤنساً وكنت له
حتى إذا استرقت يدي يده
عيني ويرمي بساعدي ويدي
ليس بنا حاجة إلى أحد
كنت كسترقت يدي الأسد

ومن جيد ما قيل في ذي الوجهين :
تعاشرني ضحكاً كأنك ناصح
لسانك لي شهيد وقلبك علقم
أراك إذا لم أهو شيئاً هويت
عدوك يخشى صوتي إن لقيته
وكم موطن لولاي طحت كما هوى
كأنك إن قيل ابن عمك فأنم
بدا منك غش طالما قد كنته

وعينك تبدي أن قلبك لي دوى
وشرك مبسوط وخيرك ملتوى
ولست لما أهوى من الشيء بالهوى
وأنت عدوي ليس ذاك بمستوى
باجرامه من قلة النيق منهوى
شج أو عيّد أو أخو مغلة جوى
كما كنت داء ابنها أم مدوى

وقريب من ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال أخبرنا أبو
ذكوان عن الرياشي قال سمعت أبا عبيدة يقول دخل رجل الكوفة قتل بال
عطارد فلم يضيفوه ورأى لهم أبنية عالية فقال ارتجالاً :

تناهوا برفع الدور حتى كأنها
فليسوا بفتيان السماحة والندي
فقد أصبحت أضياف آل عطارد
جبال وما شدى بخير شعابها
ولكن فتيانا نسوى ثيابها
خاصاً بطاياها خفافاً عابها

ومن ذلك قول الشاعر :

لعمري لقد أعطيت برداً وحلة
فما يك من خير فما تستطيعه
وعراك من ثوب السماحة سالبه
وما يك من شر فأنك صاحبه

وقال يزيد المهلبى :

فاذا غنيت فكلهم لي خاتل
وما أكر أحد في ذم الزمان
واذا افتقرت فكلهم لي جاف
كثار إبراهيم بن العباس فمن جيد قوله :

كم أخ كان مني فلما أن رأى الدهر جفائي جفائي
مستعد لي بسهم فلما أن رأى الدهر رمانى رمانى
وقال غيره : إحدَرَ مودَّةَ ماذقِ شاب المرارة بالحلاوة
مُحصى العيوب عليك إيسام الصداقة للعداوة

وقال إبراهيم :

بلوت الزمان وأهل الزمان وكل بلوم ودم حقيق
فأوحشني من صديق الزمان وأنسى بالعدو الصديق
وقوله : أخ كنت أوى منه عند أدكاره إلى ظل آباء من العز باذخ
سعت نوب الأيام بيني وبينه فأقلمن مناعن ظلوم وصارخ
وإني وإعدادى لدهرى محمداً كلتمس إطفاء نار بنافخ

وقال بعض الجعفرين :

إنَّ الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن أفسد الناس
فلا يقرنك أضغان مزملة قد يركب الدبر الدامى بإحلاس

قالوا هو من قول زفر بن الحارث :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كماها
قالوا يعنى الرجل يظهر لك الود ويضمير خلافه كالنبات الحسن ينبت على
القندر فيصير زائق الظاهر خبيث الباطن ، وقال آخرون : الدمنة حيث تنزل
الابل فتدمن بالأيوال والأبمار فلا تنبت شيئاً فإذا طال عليه العهد وسقته الرياح
وأصابته السماء نبت بعد حين ، فيقول قد ينبت ذاك وهو مما لا ينبت ويتغير
بالنبات وتبقى حزازات القلوب لا تتغير ، وهذا التفسير هو الصحيح لأن ألقاظ
البيت تقتضيه والأول فاسد لأنه ليس على مقتضاها .

وقال أبو فراس بن حمدان في ذم الاخوان فأجاد :

تناساني الأصحاب إلا عصيبة ستلحق بالأخرى غداً وتحول

فمن قبلُ كانَ الغدرُ في الناسِ سبباً
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه ^(١)
ومن ذا الذي يبقى ^(٢) على الدهر إياهم
وصرنا نرى أن المثارك محسن
أقلبُ طرفي لا أرى غير صاحب
وقلت : إلى كم تستمرُّ على الجفاء
فمن لي أن أرى لك مثلَ فعلِي
ألا إني لأعرفُ كلَّ شيءٍ
عريتَ من الوفاءِ وليس بدعاً
فان ترجع إلى الحسنى وإلا
وإن كانَ التقاربُ ليس يُجدي
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدني ابن لنكك البصري لنفسه يذم الزمان :

يا زماناً ألبسَ الاحرارَ ذلاً ومهانةً

لستَ عندي بزمان إنما أنت زمانة

وقلت : زمانٌ كثوب الغول فيه تلونٌ
فأوله صفوٌ وآخره كدر
وقال آخر في خلاف ذلك :

أرى حلالاً تصان على رجال وأعراضاً تهان فلا تصان

يقولون الزمان به فسادٌ وهم فسدوا وما فسد الزمان

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد :

مشى فوقه رجلاه والرأس تحته فكب الأتالي بارتفاع الأسافل

وقال أبو السمر موسى بن سعيد :

متى ما تفكر في الزمان وأهلِهِ تقل لاعبٌ هذا وليس بلاعبٍ

(١) في ديوان أبي فراس « خليله » . (٢) في الديوان « وإن الذي يبقى » .

وأنشدنا الآخر أيضاً :

تبدل هذا الدهر في رَجْوَتِهِ على أنه فيما أحاذره نَدْب
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة لمحمد بن يعقوب بن داود :

لا تعجبك عمامتي فالفقر من تحت العمامة
والفقر في زمن اللثام لكل ذي كرم علامه

وقلت في قريب منه :

وليس ينفك كشخان يجاذبنا علامة الحر أن يبلى بكشخان

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكي لنفسه :

رب قد ضاقت النفوس وقد قلت الحيل
فلك لا يدور إلا بما تشتهي السفل

وقال أبو تمام :

على أنها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب
ومن مائة الأيام أن تصروفها إذا سر منها جانب ساء جانب

وقال قابوس بن وشمكير :

قل للذي بصروف الدهر عيرنا هل مائدة الدهر إلا من له خطر
فإن تكن نشبت أيدي الزمان بنا ومسننا من تمادى بؤسه ضرر
ففي السماء نجوم غير ذي عدد^(١) وليس يكسف إلا الشمس والقمر
أما ترى البحر يعلو فوقه جيب وتستقر بأقصى قعره الدرر
وقريب من هذا ما قلته :

إن كنت تسلم من شغب الزمان ولا أعطى السلامة منه كلما شغب
فالعاصفات إذا مرّت على شجرة حطمنه وترك البقل والعشبا
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكي لنفسه في المعنى الأول :

(١) وفي رواية « لا عدد لها » .

يقولون زُرنا واقضِ واجبَ حقنا وقد أسقطتُ حالي حقوقهمُ غنى
إذا أبصروا حالي ولم يأنفوا لها ولا لهم منها أنفتُ لهم مني
وأنشدنا أبو علي بن أبي حفص قال أنشدني أبو جعفر للعطوي^(١) :

لبي خمسونَ صديقاً بين قاضٍ وأمير
لبسوا الوفرةَ قلم أخلع بهم ثوبَ الفقير
كلهم كالألحى الحر مائت بالصاع الكبير
ومن هنا أخذ ابن الرومي قوله :

سألتُ قفيزين من حنطة فجدتَ بكُريٍّ من المنع وافي
وقد تقلم . وقلت :

أليس صعباً أن ترى كاشحاً مالك يدي من مداراته
أصبحت في دار إساآته أعداد أنفاسي وساعاته
وأنشدني عم أبي لابي الأسد الدينوري^(٢) :

ليتك أدبني بواحدة تقنعني منك آخر الأبد
تحلف لي لا تبرني^(٣) أبداً فإن فيها برداً على كبدي
أشف فؤادي مني فإن به على قرحاً^(٤) نكاته يدي
إن كان رزقي اليك فارم به في ناظري حية على رصدي
فكيف أخطأت لأصبت ولا تهضت من عشرة إلى سدد

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بصرى المولد والمنشأ ، كان كاتباً شاعراً في الدولة العباسية ، له فن من الشعر لم يسبق إليه ذهب فيه إلى مذهب أهل الكلام فقارق جميع نظرائه وخف شعره وروى واستعمله الكتاب وجعلوه إماماً .

(٢) شاعر مطبوع من بني شيبان متوسط الشعر من شعراء الدولة العباسية كان مداحاً هجاءً مليح النواذر . (٣) في الأغاني « تحلف أن لا تبرني » .

(٤) في الأغاني (مني جرحاً نكاته) .

لو كنت حراً كازعت وقد
لكنني عدت ثم عدت فان
قد صرت من سوء ما بليت به
وقلت: العين تذرف والفتاد يذوب
واقلة الكرماء أنت مضيع
تالله لم تخطئك أسباب الغنى
فاصبر فقد عزاك عن درك الغنى
طابوا قطوبى ان تعذر مطلبي
وشحوب جسمي من مواصلة السرى
واقعد يدك على كمال كرامتي
ولقد جلا حزني وفرج كربتي
لاتلعبن فن ورائك طالب
وقال أبو تمام :

هب من له شيء يريد حجاباً به
ما زال وسواسي لقلبي خادماً
ما ان سمعت ولا أراى سامعاً
ما كنت أدري لأدريت بأنه
ما بال لاشيء عليه حجاب
حتى رجا مطراً وليس سحاب
يوماً بصحراء عليها باب
يجري بأفنية البيوت مراب

(فصل فيما قيل في فضل الوعد ومدح الانجاز)

أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال حدثنا ابن زكريا عن ابن دينار قال
حدثنا محمد بن عبيد الله العتيبي قال كلم منصور بن زياد يحيى بن خالد بن برمك
في حاجة لرجل فقال عده عن قضاء ما فقال وما يدعوك أعزك الله إلى العدة مع وجود
القدرة ؟ فقال له يحيى هذا قول من لم يعرف موضع الصنائع من القلوب إن الحاجة اذا

لم يتقدمها موعد ينتظر به تبحرها لم تتجاذب الأنفُس بسرورها ولم تتلذذ بتناولها وإن الوعد تطعمم والإنجاز طعام . وليس من فاجأه طعام كمن وجد رائحته ونمطق له وتطعمه ثم طعمه فدع الحاجة تحتم بالوعد ليكون لها عند المصطنع حسن موقع ولطف محل وحلاوة ذوق .

وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا الصولي قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلب قال أخبرنا البحتري عن خارجة بن مسلم بن الوليد عن أبيه قال سألت الفضل بن سهل حاجة فقال أسوفك اليوم بالوعد وأحبوك غداً بالإنجاز فاني سمعت يحيى بن خالد يقول المواعيد شباك السكرام بصطادون بها محامد الإخوان وإن كان المعطي لا يعد لارتفعت مفاخر الإنجاز المواعيد وبطل فضل صدق القول . وقال عيسى بن ماهان جلسائه أي أحب أن أهب بلا وعد وأحب أن أعد لا أخرج بالإنجاز من جملة المخلفين وأدخل في عداد الوافين ويؤثر عني كرم المنجزين فإن من سبق فعله وعده وصف بكرم فرد وسقط عنه جميع ما ذكر . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال أخبرني عون بن محمد قال ذكر العتابي المأمون فقال إنه ألقح معروفه عندي بالوعد وتبعه بالنجح وأرضعه بالزيادة وشيبهه بالتهديد وهرمه باستتمامه من جهاته وهناك بترك الامتنان به . ومن عجيب ما جاء في الحث على الإنجاز ما حدثني به أبو أحمد عن الصولي عن يعقوب بن المزرع قال حدثنا عبد الصمد بن المغفل قال شكا رجلٌ جعفر بن يحيى إلى أبيه بأنه وعده ومطله به . فوقع : يا بني أنتم معاقل الأحرار ومظان المطالب ومعادن الشكوى فكونوا سواء في الأقوال والأفعال فإن الحر يدخر وعد الحر ويعتقده وينفقه قبل ملكته فإن أخفق أمله كان سبباً لذهمه واتهامه وسوء ظنه حتى يوارى قبح ذلك وحسن تقيته فأيجد الوعد والإقصر القول فإنه أعذر والسلام . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن يونس عن الحميد بن سفيان قال سمعت الزهري يقول : حقيق على من أزره بالوعد أن يشر بالفعل . ومن جيد ما مدح به المنجز قول أبي تمام :

نؤمُّ أبا الحسين وكان قدما فتي أعمارُ موعدة قصار
 نحنُ عداته أثر التقاضى وتنتج مثل ماتج العشار
 وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن المغيرة بن محمد قال كلم المأمون في الحسين
 ابن الضحاك الخليع أن يردَّ عليه رزقه فقال المأمون : أليس هو القائل في الأمين :
 فلا فرح المأمون بالملك بعده ولا زال في الدنيا طريدا مشردا
 فما زالوا به حتى أذن له أن ينشده فأنشده :

أبن لى فانى قد ظلمتُ الى الوعدِ متى تُنجز الوعدَ المؤكد بالعهدِ
 أعينك من صدِّ الملوك وقد ترى تقطع أنفاسى عليك من الوجدِ
 فالى شفيعٍ عندَ حسنك غيره ولا سببٌ إلا التمسك بالودِّ
 أيخلُ فرد الحسن فرد صفاته عليَّ وقد أفردته بهوى فرد
 فاستحسن الناسُ هذا التشبيب فلما قال :

رأى الله عبد الله خير عباده فماكهُ والله أعلم بالعبد
 قال هذه بتلك وقد عفونا عنك . فقال يا أمير المؤمنين فأتبع عفوك باحسانك
 فأمر بردَّ أرزاقه عليه وكانت في كل شهر خمسمائة دينار فقال المأمونُ لولا انى
 نويت العفو عنه وجعلت ذلك وعداً له من قبل ما فعلته ، وإنما ذكر العهد في
 تشبيهه فذكرنيه . وما أحسن ما قاله بعضُ ملوك العجم : البخل بعد وعد يُضعف
 قبحه على البخل قبله فما قولك في أمر البخل أحسن منه وأجمل :

(ما قيل في الضحك والبشر عند السؤال)

أول من أتى بذلك زهير في قوله :
 تراه إذا ماجتُه مُتهللاً كأنك مُعطيه الذئب أنت سائله
 ولو قال مكان « إذا ماجتُه » « إذا ماسأته » لكان أجود .
 ومن الجيد في ذلك قول أبي نواس :

بشرهم قبل النوال اللاحق كالبرق يبدو قبل جود دافق
والغيث يخفى وقعه المرامق إن لم يجده بدليل البارق
وأخذ أبو تمام هذا فقال :

يستنزِلُ الأمل البعيد يشره بُشرى الخيلة بالغيث ^(١) المفق
وكذا السحابُ قلمًا تدعو إلى معروفها الرُّؤاد مالم تبرق
وتبعه البحتري فقال :

كانت بشاشتكَ الأولى التي بدأت بالبشر ثم اقتبلنا بعدها النعما
كلزنة استؤنفت أولى مخيلتها ثم استهلّت بغزر تابع الديما
وقال أبو عبد الله القطريلي قلت للبحتري وقعت دون أبي تمام في هذا المعنى
فقال لعمرى ولكن سأرضيك فيه فقال في أبي الصقر :
يوليك صدر اليوم قاصية الغنى بفوائد ^(٢) قد كنّ أمس مواعدا
سوم السحاب ما بدأن بوارقا في عارضٍ إلا ثنين رواعدا
والرعد لا يكون إلا ومعه الغيث فكانه قال إلا ثنين مواطرًا ثم رده فقال :
إنما البشرُ روضةٌ فاذا أعقب بذلاً فروضةٌ وغديرُ
وقال البحتري :

ملكٌ عندهُ على كلِّ حال كرمٌ زائدٌ على التقدير
وكأنا من وعده ونداء أبدأ بين روضة وغدير
وقال : ضحكات في إثرهنّ العطايا ويروق السحاب قبل رُعوده
وله أيضاً :

متهلِّلٌ طلقٌ إذا وعد الغنى بالبشر أتبع بشره بالنائل
كلزن إن سطعت لوامعُ برقه أجلت لنا عن ديمة أو وابل
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا الصولي لنفسه :

(١) في ديوان أبي تمام (بالرّيع). (٢) في ديوان البحتري (بعوائد) .

لست تلاقى سائلاً برءً تعيد بشر مؤدد وتبدي
كالبرق يأتيك أمام الرعد بشرى الغيوث بحباب رعد
يلقى بك الطالب نجم السعد بلغت في الأعمار أقصى العد

(فصل في تسمية الأشعار)

عمى عبد كان للاحول على أبي صالح محمد بن عبيد الله بيتاً غلط فيه ورسمه :
نظيف خفيف نظيف فايق نظيف مقبل بعلب - نظيف
طريف مدل فايق نظيف فايق مقبل نظيف فايق
رشيق بدر مقلب لمن نظيف مهذب معشوق نظيف
مهذب ملاحظ رشيق مغاضب نظيف . فأخرجه وكان البيت :
إذا قلت أسلو دامت العين بالبكاء دماءً وحقتها مدامعٌ حقلٌ
وكان الجواب الصادر :

ألا أيها الشخص الذي كان نزهة يحصنه ستر من الله مسبلٌ
لماذا هتكت الستر عنك تعمداً ولست بحمد الله ممن مجهلٌ
رأيتك قد عميت بيتاً رسمته بكل خطأ فهو مثلك أحولٌ
وكان لمتبول الفؤاد معذبٌ أخى حسرة بالهجر والصدى يقتل
فقال وقد رام السلو فلم يجد وبات كئيباً بالياً يتحمل
إذا قلت أسلو دامت العين بالبكاء دماءً وحقتها مدامعٌ حقلٌ
وعى حمزة الأصفهاني على أبي جعفر محمد بن أيوب بيتاً رسمه :

نرجس خيري بنفسج حاحم شاهسفرم اقحوان نسرین
نسرین اقحوان نسرین مرزنجوش ورد ياسمين نسرین
زعفران تمام سوسن أفرنجشك آس منشور مرزنجوش
بنفسج بلحية ياسمين مرزنجوش نسرین تمام منشور

خبري منشور اقحوان زعفران سيسنبر خزامي بنفسج مرزنجوش. فأخرجه وكن البيت:

كفى حزناً أن الجواد مُقْتَرٌ عليه ولا معروف عند بخيل
فكان الجواب الصادر :

فذاك أبا على أخ لك لم يلزك بعدك ذخراً عند كل جليل
إلى أن قال :

فقال وقد جاب البلاد فلم يجد أبا ثروة يسخر له بفنيل
كفى حزناً أن الجواد مُقْتَرٌ عليه ولا معروف عند بخيل
ومن أحسن ما قيل في هذا قول أبي سعيد الأصفهاني وقد عمى عليه زياد بن
جعفر الهمداني بيتاً فأخرجه وكن الجواب :

| | |
|-------------------------------------|------------------------------|
| إذا العارضُ السحُّ بالوبلِ جادا | وأُنزلَ غيثاً أَفَثَ البلادا |
| وأسرجَ فيه وميضُ البروقِ | مصاييحَ تزهَرُ منه انقادا |
| وثج ^(١) فما شكَّ ذو ناظر | رأى سيله أن فيه مزادا |
| فعمَّ بشربوبه سادتي | وخصَّ بأغزرِ سقي زيادا |
| زياد بن جعفر المستجار | لصرفِ الزمانِ إذا ما عمادى |
| فداؤك نفسى وإن سمتنى | غناء طويلاً حماني الرقادا |
| أتنى الطيورُ فساترنى | بيت تعمقت فيه عنادا |
| إلى أن تمكنت من صيدها | وقد صدتها إذ عرفت المصادا |
| وقلت لها غردى بالذى | كنتِ فأسرعن نحوى انقيادا |
| وأنشدت بيتاً معادَ الفصول | ولست ترى فيه معنى مُعادا |
| ومن ذلَّ قلَّ ومن قلَّ ذلَّ | ومن سادَ جادَ ومن جادَ سادا |
| أردت سقاطى فما نلتُهُ | فقلتُ المنى وبلغتُ المرادا |
| وأبقاك ربى بقاء النعم | عليك وملاك منه وزادا |

(١) أى سال .

وكتب إلى أبي عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي جواباً عن معنى :

دمعى على الخلد سكبُ ونارُ شوقى تشبُّ
وليس يبقى على ما يلقاه قلبي قلب
لله عهد الليالى إذ مورد العيش عذب
واذ شبابي لدنٌ وغصنٌ قدى شطب
يا جعفر القوم يامن يدعى اذا جل خطب
فذاك عبدٌ مشوقٌ الى لقائك صب
أبعدتني وسواءٌ بعدٌ لدى وقرب
أخلط طيب أتنى منها يبيس ورطب
قربتها نار طبع يدوم والنار تخبو
عودٌ ومسكٌ ذكيٌ وعنبرٌ مستحبٌ
أوردتها نار فكرى ففاح شرقٌ وغرب
وهبٌ للفهم منها روائحٌ لا تهبُ
فقلت بالشيم مالم ينله عجمٌ وعرب
يتا كما اهتز روضٌ أو أكل الوشى عصب
شيبٌ ومنٌ وجهل هذا لعمرك صعب
بجعفرٍ وأخيه نال الورى ما أحبوا
نفسى فداكم وما قد أهلٌ بالحج ركب
ذنبى انقطاعى اليكم ان عُدَّ للناس ذنب
فذاك للخلق كهفٌ وذاك للمجد قطب
ليثٌ إذا عضٌ دهرٌ غيثٌ إذا اشتدَّ جذب
لى منهما اليوم رأى يُرى غداً وهو كسب

والتمية أن يجعل مكان كل حرف من البيت اسماً على مثال ما تقدم فإذا

مضت الكلمة تدير دائرة على ذلك حتى تأتي على آخر البيت . ووجه استخراج المعنى أن تنظر الى الأسماء التي جعلت مكان الحرف فما تكرر منها وكثر في البيت فظن أنه للألف وربما لم يصدق هذا الظن ولكنه الأمر الأكثر فاطلب بعده اللام فإنها تقع بعد الألف كثيراً وانظر الى ما طال في البيت من الكلمات فإذا رأيت الألف في أولها فظن بالثانية أنها لام وربما تكرر ذلك في موضعين من البيت وثلاثة ، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضا أن يقع بعد الاسم إذا ظننت أنه الألف حرفان على صورة واحدة في مثل اللبيب والليل والليث وفي قولك الله وما أشبه ذلك ، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضا أن يقع في البيت كلمة على حرفين وقد عرفت الألف واللام فتكون الكلمة تزداد يقيناً في الألف واللام وإذا صحت لك الألف واللام رأيت في البيت كلمة على حرفين والثاني منهما ألف فظن أنها « ما » أو « ذا » أو « يا » لأن ذلك أكثر ما يقع فإذا صحت الميم من (ما) ثم رأيت كلمة على حرفين فظن بها أنها (من) فإن رأيت كلمة على حرفين وأولها ألف فظن بالثاني أنه نون أو واو أو ميم ، فإذا عرفت الألف في أول كلمة ورأيت قبلها حرفاً فظن أنه واو أو فاء أو باء أو كاف فإذا عرفت الألف ورأيتها وقد وقعت آخر البيت فظن بالحرف الذي قبلها أنه هاء أو كاف لأن ذلك أكثر ما يقع فإذا تكررت لك هذه الحروف في البيت وقفت منه على أكثره ، ثم تعمد الى الحروف التي يقل تكرارها في البيت فتنظر الى الكلمة الرباعية أو الخماسية فتظن أنها أبدأ أن فيها أحد الحروف الستة اللام والراء والنون والفاء والتاء والميم لأنها لا تخلو من حرف منها أو حرفين . ولا يتفجع ما مثلناه من هذه الأمثلة إلا مع جودة الفريضة وشدة الذكاء والفطنة ومع النشاط وصدق الشهوة .

وذكر بعض أهل العلم وأظنه أبا الحسن العروضي أنه تسمى له قول الشاعر :
 وكن ذا كراً بيت النوبيغ إنه سيحل على سمع اللبيب ويمذب
 فكانت تسميته : زيد بكر عمرو سعد بدر بكر بدر سهل صقر فهد بدر شهر

عمر وزيد صقر سهل رشد بدر عمرو حمد قصر عقر مكر شهر زيد بدر فخر شهر
صقر قصر سلم فخر بدر شهر شهر سهل صقر سهل زيد صقر فخر سعد سهل صقر.
قال فأول ما استخرجت منه الألف لأنها أكثر ما فيه من الحروف ثم عرفت
بعدها اللام لأنها واقتان في قوله (النويخ) وفي قوله (اللييب) فلما أصبحت الألف
واللام رأيت اللام قد تكررت فعلمت أنها لا تكرر إلا في مثل اللييب واللطيف
وكان أقربها في ظني اللييب ، عمدت بعد ذلك إلى الكلمة الثالثة فرأيت الباء
والياء فيهما وبقى الحرف الثالث فعرضته على الحروف فخرج لي بيت وبيد وبيش
وبيض وبيع وبين فلم أجزم على شيء منها فتركتها موقوفة ثم قصدت إلى الكلمة
السابعة فرأيت فيها اللام والياء فلم أشك أن الحرف الأول العين وأن الكلمة
(على) ثم قصدت الكلمة الثامنة فرأيت العين في آخرها فطلبت على هذا المثال
ما آخره عين فجاءني جمع ورجع ودمع وسمع فتركتها موقوفة ثم عمدت إلى الكلمة
الآخيرة فرأيت فيها ما تبينته وعرفته الباء والعين والياء فعمدت إلى الياء والعين
فوضعتهم مع سائر الحروف فخرج لي : يعتب ويعجب ويعذب ويعرب ويمطب وما
شاكل ذلك فقابلت ما خرج من وجوه الكلمة الأخيرة على ما يقرب في المعنى مع
ادخال اللييب بينهما فصح لي أن الثامنة (سمع) وأن الأخيرة يعذب وعلمت أن زيدا
في أول الكلمة الأخيرة وأولها ص (على سمع اللييب) لم أشك أن الكلمة السادسة
(سيحلو) قد ظهرت فيه السين والياء واللام والواو والألف فلما عرضت الكلمة مع
سائر الحروف لم يطابق يعذب في المعنى إلا يحلو فلما ظهر ذلك علمت بالمعنى والوزن
جميعاً أن الذي ظهر من البيت يدل على أنه في ذكر شيء فيه كناية في وسط
البيت وأولها ألف والنون تليها كثيراً فأدى الوزن إلى أن بعدها هاء وان الكلمة
(إنه) فلما ظهرت النون وكنت قد عرفت الواو من الكلمة الأخيرة علمت أن
أول كلمة في البيت (وكن) بغير شك وإن الثانية « ذا كراً » لأن الذا ظهرت في
يعذب والألف معروفة والكاف قد بان من الكلمة الأولى والألف الثانية

معروفة بقيت الراء فلما عرضتها على سائر الحروف لم يحىء غير الراء ثم قصدت الى
الكلمة الرابعة فلم أجدها فيها حرفاً غير ظاهر قد عرفته إلا اللين فقط فلم أدر ما هو
فلولا أن الوزن أدى اليه بعد طول تعب لم يكن يظهر فلما علمت أنها (التوينغ)
لم أشك أن الثالثة (بيت) وظهر البيت كله .

ومن المعنى بغامض الحساب قول ابن طباطبا :

ان رحت مافى يديه ملتصاً وكنت أشكو اليه ضيق يدي
أحصت ألوفاً يسراه أربعة منقوصة سبعة من العدد
وفى هذا المعنى شيء كثير هذا أجوده فاعرف ذلك . وقلت في ضرب من المعنى :
وأصفره تحمره أطرافه بأحسنه من مطرف معلم
صدره الانسان في بيته وهو مهان ليس بالمكرم
والمرء قد يعلو على ظهره وهو سليم الدين لم يأنم
وهو على ما كان من ذلة سمي باسم الملك الأعظم
أعنى حصيراً والملك يُسمى حصيراً ، قال الشاعر :

ومقامه غاب الرقاب كأنهم جندٌ لدى باب الحصير قيام
وقلت : وميت لا يكاد المرء يدفنه إلا إذا طاد حياً بعدما ماتا
وميت غيبوا في الأرض جثته عمداً لكي يجعلوا الأحياء أمواتا

الأول الذكر والثاني الفخ . ومن مליح المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد قال حدثنا
ابن عمار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثنا عبد الحميد بن عقبة قال حدثني
أبو عثمان المازني قال هجا أبو عينة اسماعيل بن جعفر بن سليمان بشعر موري
فلم يفهمه وكان كلما جاءه من يأنس به عرضه عليه حتى دخل رجل فقرأه إياه وهو قوله :

انى أحاجيك فاعلمن فما لؤلؤة منك قد ثقبناها
وكرمة من أليك منبتها حتى اذا أينعت قطفناها
تخبرنا ماها وما سبيل تشعبت منك قد سلكناها

لم نمش فيها ريثاً ولا عجلًا ولم نطأها وقد وطئناها
 فأت تصبها فأت ذوفطنٍ وحاجتي أن تصيب منها
 فقال أيها الأمير إنه كلامٌ رديٌّ أكره أن أستقبلك به فقال هاته قال
 أما اللؤلؤة فالبنت وأما الكرمة من أيك فالأخت وأما السبل التي تشعبت
 فالأُم لم نطأها بالأقدام ووطئناها بالفعل. وقال الآخر يدعوه بها على رجل:
 وسارية لم تسر في الأرض تبغى محلاً ولم يقطع بها اليد قاطعاً
 سرت حيث لم تسر الركاب ولم تنخ لورد ولم يقصر لها القيد مانع
 تكرر وراء الليل والليل مظلم إذا قرع الأبواب منهم قارع
 إذا وفدت لم يردد الله وفدها على أهلها والله راء وسامع
 واني لأرجو الله حتى كأني أرى بجمل الظن ما الله صانع
 (أحسن ما قيل في تقبيل اليد)

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن خالد عن أبي بكر بن محمد بن خلاد
 الباهلي عن محمد بن الفضل عن أبي الزناد عن عبد الرحمن عن ابن أبي ليلى عن
 عبد الله بن عمر قال كنت في غزوة في بعض مصالح رسول الله ﷺ فتلقنا العدو
 فخاص الناس حيصة ^(١) فكنت فيمن خاص ثم قلنا حين رجعنا إلى أنفسنا كيف
 ننظر في وجوه القوم وقد يؤنا بغضب من الله ثم قلنا نأتى المدينة فنبيت بها ثم
 نخرج فلا يرانا أحدٌ فلما أتينا المدينة قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ
 فأتيناه فلما خرج إلى الصلاة قلنا يا رسول الله نحن الفرارون. قال «بل أنتم الكرارون»
 فقبلنا يده قال ثم قلنا يا رسول الله إنا همنا بكذا فقال إنا فئة المسلمين ثم قرأ
 (إلا متحراً فالتتال أو متحيزاً إلى فئة فقد بآ بغضب من الله).
 وبإسناد لنا أن ابن أبي ليلى قبل يد أبي مسلم فقال له رجل أتقبل يد أبي مسلم؟
 قال أوليس أبو عبدة قبل يد عمر؟ قال أو تجعل أبا مسلم مثل عمر؟ قال أو تجعلني

(١) أي جالوا جولة يطلبون الفرار.

مثل أبي عبيدة . وحدثنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا عن محمد بن عبيد الله العتيبي قال قبل رجل^ه يد المهدي فقال يد أمير المؤمنين أحق يد بتقبيل لعلوها في المكارم وطهارتها من المآثم وإنك ليوسفي العفو امسحلي الصدق شعبي الرفق فمن أرادك بريدة خوف أوسوء فجعله الله طريد خوفك وحصيد سيفك .
ومن أجود ما قيل في ذلك من الشعر ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولي لابراهيم بن العباس في الفضل بن سهل قال أنشدنا ثعلب وأبو ذكران :

لفضل بن سهل يد^ه تقاصر عنها المثل^ه
فبسطتها للفني وسطوتها للأجل^ه
وباطنها للندى وظاهرها للقبل^ه

فأخذه ابن الرومي فقال للقسم بن عبيد الله رحمه الله :
أصبحت بين خصاصة وتجمل والمرء بينهما يموت هزبلا
فامدد إلى يدآ تعود بطنها بذل النوال وظهرها التقيلا
وقال أيضاً * له راحة فيها الحطيم وزمزم * . وقلت :

فظاهرها للناس ركن^ه مقبل^ه وباطنها عين^ه من الجود عيلم^ه
هو البحر لا عين^ه من الجود عيلم^ه عفاء على عين من الجود عيلم^ه
يجل^ه عن تقبيل ظاهر كفه وباطنها عن أن تقاس بزمزم

ومما جاء في كراهة ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن العتيبي قال استأذن رجل هرون الجعدي في تقبيل يده فأبى وقال إنها لمن العربي ذلة ومن المعجمي خدعة فلا حاجة لي في أن تذلي أو تخدع فاعتقني من ذلك .

(الحظ على السلام)

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن ابراهيم بن عبد الله النخعي عن الضحالك بن مخلد عن ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (إذا

جاء أحدكم المجلسَ فليسلم فإن قام والقومُ جلوس فليسلم فإن الأولى ليست بأحقَّ
 من الآخرة (وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن إبراهيم بن فهد عن عبد الله بن
 رجاء عن سعيد بن سلمة عن أبي بكر عن نافع عن ابن عمر أن رجلاً مرَّ برسول الله
 ﷺ وهو يهرق الماء فلم عليه الرجل فرد عليه فقال إنه ما حملني على الرد عليك
 إلا أني خشيتُ أن تقولَ سلمتُ عليه فلم يرد عليَّ فإذا رأيتني هكذا فلا تسلم عليَّ فانك
 إن تفعل لأردُّ عليك السلام » وعنه عليه السلام « تمامُ التسخيةِ أخذٌ باليد » وحدثنا
 أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن العباس بن بكار عن المفضل الضبي عن
 جده عن مكعب الأسدي قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يقولُ أبو مُكعبٍ صادقاً عليك السلامُ أبا القاسمِ
 سلام الآله وريحانهُ وروح المصلين والصائم
 فقال رسول الله ﷺ « عليك السلامُ تحيةُ الموتى » قال المصنف تقول
 العرب للميت « عليك السلام » قال الشاعر :

عليك أبا بشر سلامٌ ورحمةٌ وقد بنت منا كلنا لك حامد
 فلا يُبعدنك الله ميتاً فانما حياةُ الفتي سيراً الى الموتِ قاصدٌ
 وقال عبدة بن الطيب :

عليك سلامُ الله قيس بن عاصمٍ ورحمتهُ ماشاء أن يترحما
 وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن ابن عائشة قال دخل الحسن بن
 السكناي على عبد الله بن جعفر ذي الجناحين ^(١) فأنشده قوله فيه :

عليك السلامُ أبا جعفرٍ وسيد فخر لدى المحضر
 فأنت المهدبُ من هاشمٍ وخير قريشٍ إذا تذكر

(١) لقبه به النبي ﷺ لما قتل شهيداً في غزوة مؤتة وكانت قطعت فيها يداه
 وهما مسكتان للراية فقال الرسول ﷺ « إن الله تعالى قد أبدله بهما جناحين
 يطيرُ بهما في الجنة حيث شاء » كما في جني الجنتين في تمييز نوعي المثنيين للمحبي .

فقال له عبد الله أخطأت مرتين (عليك السلام) أكثر ما تستعمل هذه اللاموات وقد
 أمكنك أن تقول * سلامٌ عليك أبا جعفر * ثم جعلت لي ما كان لرسول الله ﷺ
 ووصفتني بصفته ، قل فاستمع البيت الذي سقت له بأسقت قال هاته فقال :
 فهذه ثيابي قد أخلقت وقد عضتني زمن منكر
 فقال عبد الله هذي ثيابي لك بها ، ودفا بغيرها ودفعها إليه .

﴿ السلام على الكفار ﴾

حدثنا أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن العباس بن بكار عن أبي بكر الهذلي
 قال سلم نصراني على الشعبي فقال له الشعبي وعليك السلام ورحمة الله ، فقال له
 رجل سبى الله تقول لهذا النصراني ورحمة الله ! فقال الشعبي أليس في رحمة الله
 يعيش قال بلا قال فما وجه الانكار على طافك الله تعالى وإيانا برحمته .

﴿ رد السلام بالإشارة ﴾

حدثنا أبو أحمد عن الصولي عن العباس بن الفضل الأسفاطي عن ثابت عن
 عبد العزيز عن هشام بن سعد عن نافع عن عبد الله قال خرجنا مع رسول الله
 ﷺ إلى البقيع فقام فصلى فجاءت الأنصار تسلم عليه قال فسألت بلالاً كيف
 كان يرد عليهم قال كن يشير إليهم بيده . وأنشدنا عنه عن محمد الأسدي عن
 أبي هفان عن أبي محلم لأبي طراد أسعد بن البكا البكري :
 مررنا قللناها السلام عليكم فبلغها ضيق المحل غيور
 وما كنت أدري أن في الخير ربة ولا أن رجماً بالسلام يضير

﴿ ما جاء في المصافحة ﴾

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن الأسفاطي عن يعقوب بن حميد عن اسحق
 ابن إبراهيم بن سعيد عن صفوان بن سليم عن إبراهيم بن عبيد بن رفاة عن ابن
 (٢٨ — ثاني المعاني)

أبي ليلى عن حذيفة قال قال النبي ﷺ « إذا لقيَ المؤمنُ المؤمنَ فصاحَ أحدهُهما صاحبه تناثرَتِ الخطايا بينهما كما يتناثرُ ورقُ الشجرِ »

وقال الحسن : المصافحة تزيد المودة . وحدثنا عنه عن الغلابي عن ابن مائشة قال دخل سوار العنبري على المتصور فقال يأمر المؤمنين على ما أحدث الناس اليوم أم على ما كان عليه الأوائل ؟ قال بل على ما كان عليه ، فدنا فصافحه .

وأخبرنا عنه قال سمعت إبراهيم بن المنذر يقول دخل الفقهاء على المتوكل ونحن وقوف بين يديه فاستدناهم فكلُّ قَبْلَ يده إلا اسحق بن اسرائيل فانه قال يأمر المؤمنين ما ينقصك أن أقبل يدك - ولم يقبل يد المتوكل - وقد حدثني الفضل ابن عياض عن هشام بن حسان عن الحسن قال المصافحة تزيد في المودة وسى بها المؤمنين فبسط المتوكل يده فصافحه ، ووصله المتوكل بأكثر مما وصل به أصحابه .

وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم المازحي لبعض شعراء الشام :
تصافحت الأَكْفُ وكان أشهى إلينا لو تصافحت الخدودُ
نموت إذا التقى كَفٌّ وكَفٌّ فكيف إذا التقى جيدٌ وجيدٌ
وقال آخر :

فصافحت من لا قبتُ في البيت غيرها وكلُّ الهوى مني لمن لم أصافح
وقال أبو العتاهية يهجو عبد الله بن معن بن زائدة :

أخت بني الشيبان مرّت بنا ممسوحة كوراً على بغل
قد نطقت في كفها نقطة مخافة العين من الكحل
لقيته يوماً فصافحته فقال دع كفى وخذ رجلى

(حياك الله ويياك)

معنى حياك الله سلام عليك ، والتحية أيضاً الملك فحياك الله على هذا التأويل ملكك الله ، والتحية البقاء ، وهو على هذا التأويل أبقاك الله ، قال الأصمعي يياك

أضحكك ، وقال على الآخرى أرادوا بؤاك منزلاً فقال بياك للاتباع كما قالوا :
 الغدايا والعشايا ، وقال ابن الاعرابي معناه قصدك بالتحية وبيدت الشيء قصده
 واعتمدته . وحدثنا عنه عن زياد بن خليل التستري عن ابراهيم بن بشار الرمادي
 عن سفيان عن محمد بن سوقة قال أتنا ميمون بن مهران فقلت له حياك الله فقال
 مه هذه تحية الشباب قل حياك الله بالسلام .

وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد عن إسحق الموصلي قال نزل الطماح العقيلي
 يقوم من بني تميم فأحسنوا اليه فأراد الرحيل عنهم فقال :

حياكم الله فاني مُنقلبٌ بشكرٍ إحسانكم كذا يجب
 وإنما الشاعر كالكلب الكلب يملك عند رغبٍ وان رهب
 لا يرعوى لمبغض ولا لمحِبٍّ أ كثر ما يأتي على فيه الكذب
 وأنشدنا عنه عن المبرد لعمارة :

حيًا الاله خيالها من دانٍ لو كان زارَ زيارةَ اليمضان
 لو كان عرجَ أو تعللَ ساعةً حتى نسائلهُ عن الأوطان
 كفانٍ شيدتا بناءَ محامدٍ لهنّ هشّ أخى إخوان
 تلقى له دعة الكحولِ وحلهم وتقاهم وحلاوة الفتيان
 وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم :

حيّاك من لم تكن ترجو تحيته لولا الدراهم ما حياك إنسان

﴿ قولهم مرحباً ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن يزيد المبرد النحوي عن أبي عثمان
 المازني قال لما أتى الرشيد الرقة تلقاه محمد بن ذؤيب العماني فأنشده :

هرون يا ابن الأكرمين حسبا لما ترحلت وكنت كثبا
 من أرض بغداد تؤم المغربا طابت لنا ريح الجنوب والصبا

ونزلَ الغيثُ لنا حتى رَبا ما كانَ من شرِّ وما تصوِّبا
فمرحبا ومرحبا ومرحبا

فقال الرشيدُ وبك مرحبا وأهلا ، ووصله بصلة سنية . وحدثنا عنه عن عبيد

الله بن عبد الله قال لما دخل أبو مضر أنشده سعيد بن الوليد المعروف بالبطين :

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا بابن ذى الجودِ طاهرِ بن الحسينِ
مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا بابن ذى الغرَّتَيْنِ فى الدَّوْلَتَيْنِ
مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا بابن ذى المحتدينِ فى المصرينِ
مرحبا مرحبا بمن كفه البحرُ إذا فاضَ مُزبد العبرينِ
فوصله وقدمه . وقديماً ما استعملوا مرحبا فى كلامهم ، (ومنه) قول طفيل الغنوى^(١) :

وبالسهل ميمون النقية قوله للتمس المعروف أهلٌ ومرحبٌ

وأخبرنا عنه عن محمد بن العباس اليزيدى عن محمد بن الحسن الرزقى عن

الحسين بن على العلوى المدينى عن بعض أصحابه عن المازنى قال كان اعرابى يلزمنا

وكان فصيحاً فقال له على بن جعفر بن سليمان وكان جافياً لا يعطيه شيئاً إلا مرحباً

فقال فيه الاعرابى :

وما مَرَّحِباً إلا كريح تنست إذا أنت لم تخط نوالاً بمرحبٍ

ومثل هذا قول جحظة البرمكى :

قائلٌ إن شدوتُ أحسنتَ زدنى وبأحسنتَ لا يباعُ دقيقٌ

وأخبرنا عنه عن أبى العيناء قال استأذن رجل على الحسن بن سهل فقبل له من أنت

قال رجل أمر له الأمير يوم كذا بعشرة آلاف درهم فأمر بادخاله فلما رآه قال مرحباً

بمن توصل إلينا بنا وشكر إحساننا إلينا ، وأكرمه .

وأخبرنا عنه قال سمعت إبراهيم بن المدير الكاتب الضبي يثنى على ابن الجهم فى

(١) هو طفيل بن عوف ، شاعر جاهلى من الفحول ، وهو أوصف العرب

للخيل ، لذلك لقب بطفيل الخيل .

صداقته ومروءته فقال في ذلك كنت واقفاً بين يدي المتوكل وقد جىء برأس

إسحاق بن إسماعيل وجه به بغا ، فارتجل على بن الجهم شعراً وقال :

أهلاً ومهلاً بك من رسول جئت بما يشفى من الغليل

بجملة تفي عن التفصيل برأس إسحق بن إسماعيل

ومر بأبيات فاستحسن ذلك المتوكل ووصله بصلة منية ، قال وأنشدني ثعلب :

فمالك نعمة سلفت إلينا وكيف وأنت تبخل بالسلام

سوى أن قلت لي أهلاً ومهلاً وكانت رمية من غير رام

وقلت : تضن بتسليم وزورة ساعة فكيف يرجى جودك بالوفر

وأنشدنا عنه عن أبي موسى محمد بن موسى مولى بني هاشم قال أنشدني عبد السلام

ابن رغبان الحمصي المعروف بديك الجن لنفسه :

بأبي وإن قلت له بأبي من ليس يعرف غيره أربي

قرطست عشرآ في مودته لبلوغ ما أملت من طلي

ولقد أراني لومددت يدي شهرين أرمى الأرض لم أصب

أنشدنا عنه قال أنشدنا عبد الله بن المعتز لنفسه :

قلت يوماً لها وحركت العود بمضربها فغنت وغنى

ليتني كنت ظهر عودك يوماً فاذا مأخذته صرت بطنا

فبكت ثم أعرضت ثم قالت من بهذا أنباك في النوم عنا

قلت لما رأيت ذلك منها بأبي ما عليك أن آتمنى

قال ومسمت محمد بن عبيد الله بن يحيى الوزير يقول دخل أبو العيناء إلى أبي

فقال له كيف حالك فقال أبو العيناء أنت أعزك الله الحال فانظر كيف أنت لي .

فوصله ووقع له بأرزاقه . وحدثنا عنه عن عون بن محمد الكندي عن عبيد الله بن

عمر قال قيل لرجل من قریش كيف حالك ؟ فقال كيف حال من يهلك ببقائه

ويسقم بصحته ويؤتى من مأمته . ومثله :

ماحال من آفته بقاؤه نغصَ عيشي كله فناؤه

وقال سعيد بن حميد :

لك عبدٌ قلو سألت به كيف حاله
ياقريباً مزاره وبعيداً نواله
حاضراً لي صدوده حين يرجى وصاله
مسعدٌ لي مقالَه فانك لي مطاله
محسنٌ في كلامه ومسيءٌ فعاله

(ماجاء في أطلال الله بقاءك)

أول من قاله عمر رضى الله عنه - روى عن رفاعه بن رافع قال شهدت نفرأ من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن كرون المؤودة فاختلوا فيها فقال عمر أنتم أصحاب رسول الله ﷺ تختلفون فكيف بمن بعدكم فقال علي عليه السلام إنها لا تكون مؤودة حتى يأتى عليها الحالات السبع فقال له عمر صدقت أطلال الله بقاءك .

قال ابن لهيعة المعنى لا تكون مؤودة حتى تكون نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم عظماً ثم لحماً ثم تظهر ثم تستهل فحينئذ إذا دُفنت فقد وُئدت وليس كما يقول بعض الناس إن المرأة إذا تداوت فأسقطت فقد وأدت . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن يحيى عن عبد الله بن شبيب قال كتب إلى بعض إخوانى من البصرة إلى المدينة : أطلال الله بقاءك كما أطلال جفاك وجعلنى فداك إن كان فى فداؤك - شعر :
كتبت ولو قدرت هوى وشوقاً اليك لكنت سطرأ في الكتاب
قال الشيخ أبو هلال رحمه الله تعالى : والبيت لأبي تمام .

(جعلت فداك)

دخل الزبير على النبي ﷺ وهو عليل فقال ما يعمدك جعلنى الله فداك فقال

الذي عليه السلام « يازبير أماركت أعرايتك بعد » وحدثنا عنه عن يحيى بن علي عن أبي أيوب المديني عن إسحق قال حجبتني خادم الجعفر بن يحيى يقال له نافذ فانقطعت عنه فسأل عني فعرفه سبب انقطاعي فقال قل له إن حجبتك إنسان فافعل به - لا يكنى - قال فجئت فحجبتني فكتبت إليه ارتجالاً في الحال :

جعلت فداءك من كل سوء إلى حسن رأيتك أشكو أنا
يحولون بيني وبين الدخول فما أن أسلم إلا اختلاسا
وأفندت أمرك في نافذ فما زاده ذاك إلا شماسا
فضحك لما قرأ الأبيات وأدخلني وقال أفعات يا أبا إسحق فقلت بعض ذلك، وتقدم إلى نافذ وغيره أن لا أحجب متى حضرت .

﴿ دعاء المكاتب ﴾

حدثنا عنه عن أبي ذكوان قال سمعت إبراهيم بن العباس يقول ما أظن قول الكتاب : وقد منى الله قبلك مأخوذ إلا من قول الأغر بن كسر في أخيه صقر :
أخي أنت في دين ودنيا كلاهما أسره بأن تبقى سليماً وأفخر
إذا ما أتى يوم يفرق بيننا بموت فكن أنت الذي يتأخر
ف قيل له هذا يروى لحاتم فقال وما على من لا يدري أن ينسب شيئاً إلى غير
قائله . فأما قولهم (واتم نعمته عليه وزاد في إحسانه إليه) فهو من قول عدي بن الرقاع :
صلى الآله على امرئ ودعته واتم نعمته عليه وزادها
قالوا وأول من قال « وأسأله أن يصلي على محمد » إسحق بن سليمان بن علي .
وأنشد للسري في ضد قولهم تمت قبلك وإن الحظ عنده أن يكون هو ومن
يجب بموتان في وقت واحد :

لأمت قبلك يا أخي لا باخلا بالنفس عنك ولا تمت قبلي
وبقيت لي وبقيت فيك متمماً بالبر والنماء والفضل

حتى إذا قصد الحمام لنا
مُتنا جميعاً لا يُؤخرُ واحد
وكفاك من نفسي شهيداً ناطقاً
وفي نحو ذلك قول الآخر :

إني لأشفقُ أن أُؤخرها بعدى وأكره أن أقدمها

وقال يعقوب بن الربيع :

فلو أنها إذْ حانَ وقتُ حمامها
فَلَّ بنا المقدارُ في ساعةٍ معاً
وقريب منه قول الآخر :

لامتُ من قبلي ولا مُتُّ من قبلك بل عشنا إلى الحشرِ
حتى نُؤا في الموتِ في ساعةٍ لأنتَ تدرى بي ولا أدرى

(كيف أصبحت)

حدثنا عنه عن أيوب بن سليمان بن داود المهلبى عن محمد بن عباد قال كان جرير
ابن حازم يقول : العربُ تقولُ كيف أصبحتَ من نصف الليل إلى نصف النهار ،
وكيف أمسيتَ من نصف الزوال إلى نصف الليل الأول ، وتقولُ في يومك
كان الليلة كذا إلى الزوال فإذا زالت الشمس قلت البارحة ، هذا معروفٌ عندهم ،
وحدثنا عنه عن الفضل بن الحُباب عن التنوخى قال العربُ تقول صبحتك الأنعة
بطيات الأنطمة . وحدثنا عنه عن البلعى عن أبي حاتم عن الأصمعى قال قيل
لأبي عمرو بن العلاء كيف أصبحت قال أصبحتُ كما قال الربيع بن ضبيع الفزارى :
أصبحتُ لأحملُ السلاحَ ولا أملكُ رأسَ البعير إن نفراً
والذئبُ أخشاهُ إن مررتُ بهِ وحدى وأخشى الرياحَ والمطرا
وحدثنا عنه عن أبي ذكوان عن التنوخى عن الفراء قال كنتُ عند الكسافى

فقال له رجل^١ كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت كما قال الصمة بن عبد الله بن طافيل القشيري^(١) :

أصبحتُ مالى من عزِّ الودِّ به إلا التمرُّز بعد السيف والبدن
بمرَضية جانب الأذنون جانبها والأهل بالشام والاخوان باليمن
وأنشدنا عنه قال أنشدنا محمد بن يزيد المبرد النحوى قال أنشدنى المازنى
عن أبي زيد :

كيف أصبحت كيف أمسيت مما يُثبتُ الودَّ في فؤادِ الكريم
وحدثنا عنه عن محمد بن الفضل بن الأسود عن عمر بن شبة عن الحسنين
ابن الضحاك الخليل قال كنت في المسجد الجامع بالبصرة إذ دخل علينا أبو نواس
وعليه جبة خز جديد فقلت له من أين لك هذه يا أبا علي ؟ فلم يخبرني فتوهمت أنه
أخذها من موسى بن عمران لأنه دخل من باب بنى تميم فقامت فأجد موسى وقد
لبسُ جبة أخرى فقلت :

كيف أصبحت يا أبا عمران يا كريمَ الاخاء والاخوان
فقال صبحك الله به وأسمعك خيراً. فقلت :

إنَّ لي حاجةً فرأيتُ فيها إننا في قضائها سببان

فقال هاتها على اسم الله تعالى فقلت :

جُبة من جيابك الخرز حتى لا يرانى الشتاء حيثُ يرانى
قال خذها ، ومد كفه فذرعها وجئت فقال أبو نواس من أين لك هذه ؟ قلت من
حيثُ كانت لك تلك . وحدثنا عنه عن وكيع عن علي بن عبد الله بن حمزة بن
عتبة اللهبي قال دخلت على محمد بن عبد الرحمن بن محمد المخزومي أعوده فقلت له
كيف أصبحت فقال كما قال الشاعر :

(١) شاعر إسلامي بدوي مقل ، من شعراء الدولة الأموية . ولجده قرة بن

هيرة صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم .

إنَّ الليالي أسرعَتْ في تقضى أخذنَ بعضى وترُكنَ بعضى

أقعدتنى من بعد طول نمضى

وقيل لأعرابي كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت والله كما قال الشاعر :

ياخيرُ إني قد جعلتُ أشتمر أرقعُ من ثوبى ما كنتُ أؤجرُ

وحدثنا عنه عن الغلابي عن محمد بن عبد الرحمن التيمي عن أبيه قال لقي

بكر بن عبد الله المزني أبا نيمية الهجيمي فقال كيف أصبحت أبا نيمية ؟ فقال أصبحت

بين ذنوب قد سترها الله على ما يقدر أحدٌ أن يعيرني منها بذنب وبين محبة

قد ألقاها الله في قلوب الناس استلما بأهل وقد خفت أن أهلك بين هذين

وأنا ضعيف الشكر . قال وقيل لقريبة الديرية كيف أصبحت ؟ فقالت :

بخير على أن النوى مطمئنة بليلي وإن العين يجري معينها

وقيل لأعرابي كيف أصبحت ؟ قال بخير أحسب على الله بالحسنة ولا

أحتسب على نفسي بالسيئة . وقال رجل لأبي العيناء وقد كبر وضعف : كيف

أصبحت ؟ فقال في الداء الذي يتمناه الناس لأعدائهم .

وحدثنا عنه عن الغلابي عن إبراهيم عن عمر عن أبي عبيدة قال قيل للنمر بن

تولب كيف أصبحت يا أباريعة ؟ فقال ارتجالاً على البديه :

أصبحتُ لا يحملُ بعضى بعضا أشكو العروق الناييات نبضا

كما تشكى الأرجى الغرضا كأنما كان شبابي قرضا

وحدثنا عنه عن القاسم بن إسماعيل عن محمد بن سلام عن ابن داب قال

قيل لمحارب بن دثار كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت كما قال الشاعر الأعشى :

أرقتُ وما هذا السهادُ المؤرق وما بى من سقم وما بى تعشقُ

ولكن أرانى ما أزال بمحادث أغادى بمالم يمس عندى وأطرقُ

وحدثنا عنه عن المقدمي عن أبي عمر بن خلاد قال قال الربيعُ الحاجب

لأبي العتاهية كيف أصبحت فقال :

أصبحتُ والله في مضيق هل من دليلٍ على الطريق
أفّ لانيّا تلاعبتُ بي تلاعبَ الموج بالغريق
أصبتُ فيها دُرِيهَمَاتٍ فبغضتني إلى الصديق

وحدثنا عنه عن علي بن الصباح عن بشر بن مسعود المازني قال كان لسفيان بن عيينة جارٌ سيء الحال فحسنت حاله فقال له سفيان كيف أصبحت وكيف حالك لقد سررتُ بما صرتَ إليه بعد غم بما كنتَ فيه فدعا الرجل له ومضى ، فقال له بعض جلسائه كيف تكلم هذا؟ قال هو جارٌ قال إنه قد صار صراطاً لهمؤلاء ، قال سفيان إن كان في الناس أحدٌ طلب الدنيا من حيث يستحق فهذا . وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد المهلي قال قدم أبو العتاهية البصرة إلى عيسى بن جعفر فأقام شهوراً ثم اعتل فقال :

أصبحتُ بالبصرة ذا غربة أدفعُ من همٍّ إلى كربه
أطلبُ عُتبي من حبيب نأى وليس لي عُتبي ولا عُتبه

وحدثنا عنه عن المبرد قال قال الجارز لأبي العالية كيف أصبحت ؟ قال على غير ما يحب الله وغير ما أحب وغير ما يحب إبليس لأن الله تعالى يحب أن أطيعه ولا أعصيه ولست كذلك وإبليس يحب أن أعصى الله ولا أطيعه ولست كذلك وأنا أحب أن أكون على غاية الثروة والصحة ولست كذلك .

حدثنا عنه عن الحسن بن الحسين الأزرق عن العباس بن محمد عن عمرو بن الحارث عن محمد بن سلام قال قال أبو حراثة وهو من بني ربيعة بن حنظلة لي زيد بن المهلب : كيف أصبحت أصلح الله الأمير ؟ قال كما تحب يا أبا حراثة قال لو كنت كذا : كنت قائماً مثلي وكنت أنا قاعداً في مقدمك وكان قبض ابني المرقوع على ابنك والتومتان اللتان في أذن ابنك على ابني . قال يزيد فالحمد لله الذي جعلك كذا وجعلني كذا ، فقال إلا أتى في ضيق أنتظر سعةً وأنت في سعة تنتظر ضيقاً . وحدثنا عنه عن أبي العيناء عن العتيبي قال قيل لأعرابي كيف

أصبحت قال أصبحت أعر بالبعرة وأقيد بالشعرة وأفرع من النعرة . وحدثنا عنه
عن الغلابي عن دماذ عن الهيثم بن عدي قال كان هرم بن سنان المزني قد آلى على
نفسه أن لا يسلم عليه زهير إلا وهب له غرة من ماله فأشفق عليه زهير من ذلك
وكان يمر بالمجلس وهرم فيهم فيقول أنعموا صباحاً غير هرم خيركم تركت ففخر
عقبة بن كعب بن زهير بذلك في قوله :

إني لأصرف نفسي وهو سادية^١ عن مصعب ولقد بانت لي الطرق
رعوى عليه كما أروع على هرم قبل زهير^٢ وفيما ذلك الخلق
مدح الكرام وسعى في مدحهم ثم الفنى ويد المدوح منطلق^٣
ومثله قول حازم الأزدى^(١) :

وإني لأستبقي إذا العسر مسنى بشاشة وجهي حين تبلى الطبائع^٤
فأعنى ترى قومي ولو شئت نولوا إذا ماتشكى الملحف المتضارع^٥
مخافة أن أقل إذا جئت زائراً وترجعنى نحو الرجال المطامع^٦
ومن مليح ما قيل في فديتك :

فديتك النفس وهي أقل^٧ بذل^٨ صلى حسن المقال بحسن فعل^٩
أربنى منك في أمرى نهوضاً^{١٠} يبين أن شغلك بي كشغلي^{١١}
وأخبرنا عنه عن محمد بن خلف بن المرزبان قال اجتمع عندي أحمد بن أبي
طاهر والناشي ومحمد بن عروس فدعوت لهم مغنية فجاءت ومعهما رقية لم ير الناس
أحسن منها قط فلما شربوا أخذ الناشي رقعة فكتب فيها :

فديتك لو أنهم أنصفوا لردوا النواظر^{١٢} عن ناظريك^{١٣}
ترددين^{١٤} أعيننا عن سواك وهل تنظر العين إلا إليك^{١٥}
ألا يقرؤا ويحهم ما يرون من وحي حسنك في وجنتيك^{١٦}
وقد جعلوك رقيقاً علينا فمن ذا يكون رقيقاً عليك^{١٧}

(١) هو حازم بن عوف ، شاعر جاهلي مقل ، مشهور بالعدو .

قال فشغفنا بالآيات فقال ابن أبي طاهر أحسنت والله واجملت قد والله حسدتك هذه الآيات والله لاجلست وقام وخرج من ساعته ولم يعد الى الشرب بقية يومه.

(ماجاء في الدعاء للخارج إلى السفر)

أخبرنا عنه عن ابراهيم بن فهد الساجي عن نصر بن علي عن عبد الله بن داود عن مسعر عن ميسرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ودع رسول الله ﷺ رجلاً أراد سفرًا فقال « أستودعُ الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك » وحدثنا عنه عن أبي علي العتابي قال رأيت أبا شراعة القيسي آخذاً بسفينة ابراهيم بن المدير وقد عزل عن البصرة وهو يريد الخروج وأبو شراعة ^(١) ينشده :

ليت شعري أي قوم أجديوا فأغيثوا بك من طول ^(٢) العجف
نزل الرّحْب ^(٣) من الله بهم وحرمناك لذنْب قد سلف
أنا أنت ربيع باكر حيثما صرّفه الله انصرف
ياأيا اسحق سر في دعة حيثما شئت ^(٤) فامنك خلف
وأخبرنا عنه عن الغلابي عن الزبير قال ودع ابن المعافى صديقاً له أراد سفرًا فأنشده عند وداعه :

خلف الله الذي خلفته ووقاك الله وعشاء السفر
إنني أشكر ما أوليتني لم يضع حسن بلاء من شكر
ردك الله إلينا سالماً بعد غم واعتباط وظفر

(١) هو أحمد بن محمد بن شراعة شاعر بصرى من شعراء الدولة العباسية جيد الشعر جزله وكان قصيحاً يتعاطى الزسائل والخطب مع شعره .

(٢) رواية الأغاني « أي أرض أجديت فأغيثت بك من جهد العجف » .

(٣) في الأغاني « الرحيم » . (٤) في الأغاني « وامض مصحوباً » .

﴿الدعاء للقادم من السفر﴾

أنشدنا عنه لمحمد بن عبد الله الأخطل :

أقدمُ قدمتَ قدومَ عارضٍ مُزنةٍ - يهتز بينَ أهابها الفضااض
من كلِّ مشعبة الرِّيحِ ثقبلةٍ - تمشي به مشى الوجى المنهاض
مُسودةٌ مُبيضة فكانها - دهمٌ مولوعة الشوى بيباض
وقال ابن الرومي :

قدومٌ - سعادةٍ وقنولٌ - يمن هي السراء تمحق كلَّ حزن
أظلتك السلامة ما تغنت - مطوقة على فنٍ تغنى
قوله (أظلتك السلامة) في غاية الرشاقة وأحسن منه قوله : تمحق كل حزن .

﴿الدعاء للهزوم﴾

حدثنا عنه عن الغلابي عن عبد الله بن الضحاك عن الهيثم بن عدي عن عوانة
قال لما انهزم أسلم بن زُرعة الكلبي من مرداس بن أذينة بآسك^(١) وكان في ألفي
رجل ، ومرداس الخارجي في أربعين رجلاً ، وفيهم يقول شاعرهم :
أألفا مؤمن^(٢) منكم زعتم ويهزمكم بآسك أربعونا
كذبتهم ليس ذاك كما زعتم ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة قد علمتم^(٣) على الفئة الكثيرة ينصرونا
فدخل أسلم البصرة فقالت له امرأة من قومه والله لأن تعيش حميداً خيراً
من أن تموت شهيداً ولأن تدوم عبادتك بحياتك أزلف لك من أن تنقطع بماتك،

(١) آسك : بلد من نواحي الأهواز قرب أرجان .

(٢) في معجم البلدان (أألفا مؤمن فيما زعتم ويقتلكم) .

(٣) في معجم البلدان (هم الفئة القليلة غير شك)

قال ودخل على ابن زياد فعنفه واستعجزه فقال أيها الأمير كنت في ألفين جميعهم
مثلي وقاتلت أربعين كل واحد منهم مثلي ويزيد على ولائن يذمني الأمير حياً
خير من أن يمدحني ميتاً . وحدثنا عنه عن القسم بن اسماعيل عن رفيع بن سلمة
عن أبي عبيدة قل لما هزم أبو قديك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بهجر
قدم البصرة في ثلاثة أيام فدخل عليه الناس وفيهم صفوان بن عبد الله بن الأهم
المنقري أبو خالد بن صفوان والناس لا يدرون كيف يدعى للمهزوم حتى قال
صفوان أم والله أيها الأمير لقد تعرضت للشهادة جهداً وطلبتها طاقتك ووسعتك
فعلم الله فقرنا اليك وقلة عوضنا منك فاختر لنا عليك يقاتلك ولم يتركك علينا
بإستشهادك فالحمد لله الذي زين بك مصرنا وآنس يقاتلك وحشنا وجلا بسلامتك
غمنا . فعلم الناس كيف يدعى للمهزوم فسلخوا هذا المسلك .

ومن أحسن الاعتذار للمهزوم قول فروة بن مسيك العطيفي وأجاد :

فان نهزم فهزأبون^(١) قدماً وان نهزم فقير مهزبنا
وما ان طيننا جبن^٢ ولكن منا يانا ودولة آخرينا

فقوله « ودولة آخرين » من أحسن الاعتذار الواقع من المهزوم .

(الدعاء للمعزول)

أنشدنا عنه عن عون بن محمد الكندي لأبي تمام الطائي :

ليهنك ان أصبحت مجتمع الشمل وراعي المعالي والمحامي عن المجد
وانك صنت الأمر فيما وليته وفرقت ما بين الغواية والرشد
فلا يحسب الأعداء عزلك مغنا فان إلى الاضداد ماغاية الورد
وما كنت إلا السيف جرداً للوغي وأخذ فيه ثم رُدَّ إلى الغمد
وأخبرنا عنه عن الحسين بن يحيى قال حدثنا إسحق قال عزل هشام بن اسمعيل

(١) في الأثافي (فان تغلب فغلابون قدماً) .

الحزومي عن المدينة فاشتد العزل عليه فقال له عروة بن أذينة :
 فان تكن الأمانة عنك زالت فانك للغيرة والوليد
 وقد مر الذي أصبحت فيه على مروان ثم على سعيد
 وأخبرنا عنه قال دخلت يوماً مع أبي العباس محمد بن يزيد النحوي إلى عبد الله
 ابن الحسين القطريلي وقد صرف عن عمل فقال أقول لك ما قاله أبو عبادة البحرى :
 شهد الخرج إذ توليته أنك في جمعه الأمين الأعف
 حيث لا عند مجتبي منه إلظا^(١) ولا في سباق جاييه عطف^(٢)
 سيرة القصد لا الخشونة عطف^(٣) لتعدى المدى^(٤) ولا اللين ضعف^(٥)
 وعلى حالتك يستصلح لنا^(٦) من^(٧) أباء من جانبك وعطف^(٨)
 لن يولى تلك الطساسيج إلا خلف منك آخر الدهر خلف^(٩)
 إن تشكت رعية سوء قبض بك أو أعقب الولاية صرف^(١٠)
 فقديمًا تداول العسر والبسر وكل قذى على الريح يطفو
 يفسد الأمر ثم يصلح عن قر^(١١) ب^(١٢) والماء كدرة ثم يصفو
 ولما عزل إبراهيم بن المدبر عن البصرة أنشده أبو صفوان الثقفي :
 أبا إسحق إن تكن الليالى عطفن عليك بالعزل اللثيم
 فلم أر صرف هذا الدهر يجرى بمكروه على غير الكريم
 وقال أبو العتاهية في محمد بن هشام السدي :

لا يهنا الأعداء عزل ابن هاشم فكل مولى قصره الصرف والعزل
 لقد كن ميمون الولاية قابضاً يد الجور مبسوطاً به الحق والعدل
 يروم رجال حطه وهو سابق^(١) أبى الله إلا أن يطول وأن يعلو
 (دعاء الأعياد)

أخبرنا عنه عن جبلة بن محمد الكوفي عن أبيه قال قال ابن شبرمة لعيسى

(١) أى إلحاق . (٢) فى الأصل « الندى » (٣) فى ديوان البحرى « الأرض » .

ابن موسى يوم أضحى : قبل الله منك الفرض والسنة واستقبل منك الخير والنعمة
وقرن بالاقبال يومك .

﴿ ما قيل في القيام للجلال ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا محمد بن يزيد بن عبد الله كبر قال حضر
بعض العرب مجلساً فجاء صديق له فلتقاء من بعيد وقال :

لئن قمتُ ما في ذاك عندي غضاضةٌ علي وإني للشريف مُذللٌ
علي أنه مني لفيرك ذلةٌ ولكنه بيني وبينك يَجْمَلُ

ومن مشهور ما قيل في هذا المعنى .

فلما بصرنا به مائلاً حللنا الحبي وأبتدَرنا القياما

فلا تنكرنَّ قيامي له فان الكريم يحلُّ الكراما

وأنشيدنا أبو أحمد عن الصولي عن يحيى البحرى لأبيه في عبيد الله بن

عبد الله من قصيدة طويلة :

وُمبجل وسطَ الرجالِ مُخفوفهم لقيامه وقيامهم لقعوده

فالله يكلّوه لنا ويحورطه ويُعزّه وَيَزِيدُ في تأييده

وقال غيره :

أعجبُ أن أقومَ إذا بدالى لأكرمه وأعظمه هشامُ

فلا تعجبُ لاسراعى إليه فانَّ لمثله مُخلقَ القيامُ

وقال البحرى :

يقومون من بعد إذا بصروا به لأبلغ موفور الكرامة^(١) أروع

ويبتدر الراؤون منه إذا بدا سنى قمر من سدة الملك مطلع

إذا سارَ كفَّ اللحظ عن كل منظر سواء وغضَّ السمع^(٢) عن كل مسمع

(١) في نسخة « الجلالة » . (٢) في ديوان البحرى « الصوت » .

فلست ترى إلا إفاضة شاخصٍ إليه بعينٍ أو مشيراً بأصبعٍ

(ما قيل في شعبان وشهر رمضان وشوال)

فمنه قول الفرزدق وأجاد في ذلك :

إذا ما مضى عشرون يوماً تحركت أراجيفُ بالشهر الذي أنا صائمُه
وطارت رقاغُ بالمواعيدِ بيننا لكي يلتقي مظلوم قوم وظالمُه
فان شال شوالٌ تشل في أكفنا كؤوسُ تعادي العقل حين تسالُه
ومعاني هذه الأبيات كلها مبتكرة لم يسبق إليها الفرزدق .

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن الرياشي عن أبيه :

وقفنا فلولا أننا راضنا الهوى لتهكنا عند الرقيب نجيبُ
ومن دون ما نلقاه من لوعة الهوى تشق جيوب بل تشق قلوبُ
على أن شوالاً أشال بوصلنا ومرتعُ للماشقين خصيبُ
وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي قال أنشدنا ابن بسام لنفسه :

سقى لشهر الصوم من شهر عندي له ماشاء من شكر
كم من عزيز فيه فزنا به أنهضه الليل من الوكر
ومن إمام كان لي وصله إلى كحيل العين بالسحر
لو كان يدري بالذي خلفه أعجله ذاك عن الوتر
وخلة زارتك مشتاقة في ليلة القدر على قدر
فانصرف الناس بما أملوا ويؤت بالآتام والوزر
وأنشد المبرد للحارثي :

شهر الصيام وإن عظمت حرمة شهر طويل بطيء السير والحركة
يمشي الهوينا إذا ما رام فرقتنا كأنه بطة تنجر في شبكة
لا يستقر فأما حين يطلبنا فلا سليك يدانيه ولا ساكه^(١)

كَأَنَّهُ طَالِبٌ نَارًا عَلَى فَرَسٍ أَجَدُّ فِي إِثْرِ مَطْلُوبٍ عَلَى رَمَكِهِ (١)
يَاصْدُقُ مَنْ قَالَ أَيَّامٌ مَبَارَكَةٌ إِنْ كَانَ يَكْتَنِي عَنْ اسْمِ الطَّوْلِ بِالْبَرَكَةِ
وَقَالَ آخَرُ :

مَضَى رَمَضَانُ مَحْمُودًا وَأَوْفَى عَلَيْنَا الْفَطْرُ يُقَدِّمُهُ الشَّرُّورُ
وَفِي مَرٍّ الشُّهُورِ لَنَا فَنَاءٌ وَنَحْنُ نَحِبُ أَنْ تَفْنَى الشُّهُورُ
وَحَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصُّوْلِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى قَالَ كَتَبَ الْحُسَيْنُ بْنُ
وَهَبٍ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ رَجَاءٍ يَوْمَ شَكَ وَقَدْ أَفْطَرَ الْوَائِقُ :

هَزَزْتُكَ لِلصُّبُوحِ وَقَدْ نَهَانَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الصِّيَامِ
وَعِنْدِي مِنْ قَنَانِ الْمَصْرِ عَشْرٌ تَطْيِبُ بِهِنَّ دَائِرَةُ الْمَدَامِ
فَكُنْ أَنْتَ الْجَوَابَ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حَذْفِ الْكَلَامِ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَقَدْ بَدَأَ لِي هَلَالُ الْفَطْرِ مِنْ تَحْتِ الْغَامِ
سَنَسْكُرُ سَكْرَةً شَنْعَاءَ جَهْرًا وَنَتَعَرَّضُ فِي قَنَاءِ شَهْرِ الصِّيَامِ
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجُمْهُرِيُّ :

هَلْ لَكَ فِي صِهْبَاءٍ مَشْمُولَةٍ لَيْسَتْ مِنَ الدَّبْسِ الَّذِي يَنْبِذُ
فَإِنَّ شُعْبَانَ عَلَى طَيْبِهِ دَرْبٌ إِذَا فَكَّرْتَ لَا يَنْفِذُ
وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ :

أَلَا سَقْيَانِي مِنْ مَمْتَقَةِ الْحَرِّ فَلَا عُذْرَ لِي فِي الصَّبْرِ أَكْثَرَ مِنْ شَهْرِ
وَإِنْ كُنْتُمْ لَمْ تَعْمَلُوا فَعَمَلًا بَانَ زَمَانُ الصُّومِ لَيْسَ مِنَ الْعَمْرِ
وَحَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصُّوْلِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْمَوْجِ الرَّازِيُّ
وَقَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ إِلَى أَبِي دَلْفٍ بِسْتَسْقِيهِ نَبِيذًا فِي يَوْمِ عِيدِ الْفَطْرِ
فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِمَا كَفَاهُ وَبِمَاتِي دِينَارَ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ :

وأبيض عجلي رأيت غمامة وأسيفه تقضى على الحدّان
 مَدَدْتُ اليه ذمّي فأجارها وأغنى يدي عن غيره ولساني
 شربتُ ورَوَّيتُ النديمَ بماله وأدركتُ ثارَ الراح من رمضان
 وكانَ لشوّالٍ على ضيانه فكانت عطايا جوده بضان
 وحدثنا عن الصولي قال حدثنا أبو ذكوان القسم بن اسماعيل قال حدثنا التوزي
 عن أبي عبيدة قال أسلم اعرابي في أول الاسلام فأدركه شهر رمضان فجاع وعطش
 فقال الاعرابي يذكر ذلك :

وجدنا دينكم سهلاً علينا شرائه سوى شهر الصيام

(فصل في معان مختلفة)

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عمه قال كانت عند رجل من بني
 أسد ابنة عم له وراها فدخل إليها يوماً وهي مُتَغَضِّبة فقال ما شأنك ؟ قالت إنك
 لا تشب بي كما يشب الرجال بنسائهم ، قال أفعل ثم أنشأ يقول :
 تمت عبيدة إلا في ملاحظتها والحسن منها بحيث الشمس والقمر
 ما خالف الظبي منها حين تبصرها إلا سوائفه والجيد والنظر
 قل للذي طابها من حاسد حق أقصر فرأس الذي قد عبت والحجر
 وأنشدنا للعديل بن الفرج العجلي (١) :

هل تقضين لمستهام حاجة نيطت إليك بها جبال رجائه
 أفنى تجلده بقاء دموعه وأدام عبرته فناء عزائه

وحدثنا أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن محمد الخراساني قال كنت في مجلس
 ابن ثوابة فناظره رجل عن ضيعة له فاستقصى الحجة وأخذ بنفسه فقال ابن ثوابة

(١) شاعر مقل من شعراء الدولة لأموية وكان له ثمانية أخوة وأمه جميعاً

يامابون فوثب الرجل وهو يقول :

كلانا يرى الجوزاء يا جمل إن بدت ونجم الثريا والمزار بعيد
فتحدث الناس بها مدة . قال أبو بكر وبشبه هذا حديثاً حدثناه أبو العيناء قال
خاصم يوماً جيلان القمي المقبول الزيادي فقال المقبول يادعي فأنشأ جيلان يقول :
بُيُثِينَةُ قالت يا جميلُ أربتي قلت كلانا يابشين مُريب
فبلغ هذا ابن طائشة التيمي فقال : جيلان في التمثيل بهذا البيت في هذا الموضع أشعر من
جميل قائله . أنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد لنفسه بهجوا بعض النحويين :

عَفْظِيرُ إِنَّا اخْتَلَفْنَا فِي الْفَعْلِ مِنْ فَاعِلِينَ
فَقَالَ قَوْمٌ يَتَى لَجَمْعَنَا الْهَمْزَتَيْنِ
وَقَالَ قَوْمٌ يَمْدَى بِمَلْتَقَى السَّاكِنِينَ
وَأَنْتَ أَعْلَمُ مِنَّا بِذَا وَذَاكَ وَذَيْنِ
لَا نَكَ الدَّهْرَ فَعَلَّ يَعْتَلُّ مِنْ جِهَتَيْنِ

وأنشدني عم أبي رحمه الله :

صَحَبْتَكُمْ دَهْرًا طَوِيلًا لَمَسْرَقِي أَرْجَى نَجَاحًا وَالظُّنُونُ فَنُونُ
فَمَا نَلْتُ مِنْكُمْ طَائِلًا غَيْرَ انِّي تَعَلَّمْتُ ذُلَّ الْعَيْشِ كَيْفَ يَكُونُ
وأنشدني أيضاً في مسجون :

لئن حجبك الحجبُ عنا فربما رأينا جلايبَ السحاب على الشس

وأنشدنا أبو أحمد عن ابن المسيب عن ابن الرومي :

خَيْرُ مَالٍ مَوْزُونُهُ لَنَوَى الْحَمْدَ كَمَا خَيْرُ حَمْدِهِمْ مَوْزُونُهُ
وَأَصَحُّ^(١) الْآرَاءِ مَا ظَنَّ ذُو الْأَفْسَنِ بِذِي الرَّأْيِ أَنَّهُ مَأْفُونُهُ

ومن ههنا أخذ المتنبي قوله :

وَإِذَا أَتَيْتُكَ مِنْمَقَى مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي فَاضِلٌ

(١) في الأصل «وأظن» وفي ديوان ابن الرومي المخطوط «وأصح» .

والهمل الخلاء من كل ضيف ومضيف معطل مسكونه
وأخس الرجال من راح فيهم مسلم العرض سالماً ماعونه
أنفق المال قبل انفاقك العسر في الدهر ربه ومنونه
لا تظن أن مالك شيء كدم الجوف خيره محقونه
قلما ينفع الثراء بخيلاً علفت في الثرى المهيل رهونه
كل وأطعم فربما راع ريعاً^(١) زاكياً من تعوله ومنونه
وإذا ما ظننت شراً فخفه رباً شر يقينه مظنونه
كم ركون جنى عليك حذاراً من أطال الرثكون قل ركونه
وأنشدنا أبو أحمد عن ابن الأثير عن أبيه :

يموت قوم فيحيي العلم ذكرهم ويلحق الجهل أحياء بأموات
ونحوه قول دعبيل :

سأقضي بيت يحمد الناس أمره ويكثر من أهل الرواية حامله
يموت ردى الشعر من قبل ربه وجيده يبقى واب مات قائله

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن
خالد عن يونس : دخل الطرماح بن حكيم على خالد بن عبد الله القسري فقال له :
أنشدني بعض شرك فأنشده قوله :

وشيبني أن لا أزال مناهضاً بغير غنى أسمع به وأبوع
وان رجال المال أضحوا وما لهم لهم عند أبواب الملوك شفع
أتحترمي ريب المتن ولم أنل من المال ما أعصى به وأطيع
فأمر له بعشرين ألفاً وقال له اعص بها الآن وأطع إذا شئت .

(١) في الأصل «فكل ماراع ريعاً» والتصحيح من ديوان ابن الرومي المخطوط .

﴿ التفاضل بين الاخوان ﴾

أنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر :

وبعض الأمر أصلحه يعضي فإنّ الفثّ يحمله السمين
تري بين الرجال العين قضيلا وفيما أضمرُوا الفضل المبين
كلون الماء مشتبهاً وليست تخير عن مذاقته العيون

﴿ الحث على موافقة الناس ﴾

من أحسن ماورد في ذلك قول الشاعر :

الناس أن وافقهم عذبوا أولا فإنّ جناهم مر
كم من رياض لا نظير لها تركت لأنّ طريقها وعمر
وقلت : لما أدلّ أملني فسوته من ذا يدلّ فلا يعمل حبه
تالله ما أتبع النبي محمد لو كان فظاً أو غليظاً قلبه

﴿ إغباب الزيارة ﴾

قال مسلم بن الوليد :

إني كثرت عليه في زيارته فلّ والشيء مملول إذا كثرا
قد رابني منه أتي لا أزال أرى في عينه قصراً عني إذا نظرا
وقال الكعبيت : * ولولم تغب شمس النهار لمّلت * فأخذه أبو تمام فقال :
فاني رأيت الشمس زيدت حجة الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد
ونقله آخر الى ذكر الغيث :

عليك باقلال ^(١) الزيارة إنها تكون متى دامت ^(٢) إلى الهجر مسلکا
فاني رأيت القطر ^(٣) يسأم دائباً ^(٤) ويطلب بالأيدي ^(٥) إذا هو أمسكا

(١) وفي رواية « باغباب » (٢) وفي رواية (إذا كثرت كانت إلى) . (٣) في
رواية (الغيث) . (٤) في الأصل (دائماً) ، (٥) وفي رواية (ويسأل بالأيدي) .

وقال آخر : وأغبيتُ الزيارةَ لاملالاً ولكن من محاذرة الملال
وهذا كله من قول النبي ﷺ « زُرْ غَيْباً تَزِدُّ حُبّاً » (١) .
وقلت : مازلتَ تَلْقَاهُ فضايقَ صَدْرِهِ وعادَ من بعدِ الوصالِ هجرَهُ
من أَكْثَرِ الْغَشِيَانِ خَسَّ قَدْرَهُ لو كَثَرَ الْيَاقُوتُ هَانَ أَمْرُهُ
ولم يَعِزَّ حُمْرُهُ وَصَفْرُهُ ولا عَلا بَيْنَ الْأَنَامِ ذِكْرُهُ

(في ذم العجائز قول الشاعر)

رَأَيْتُ الْبَيْضَ قَدْ أَعْرَضَ عَنْيَ فَمَنْ لِي أَنْ تُسَاعِدَنِي عَجُوزُ
كَأَنَّ مَجَامِعَ اللَّحْيَيْنِ مِنْهَا إِذَا حَسَرْتَ عَنْ اللَّحْيَيْنِ كُوزُ
ومن المشهور قول الحرمازي :
لَا تَتَكَبَّرَنَّ عَجُوزًا إِنْ دَعَيْتَ لَهَا وَاخْلَعْ ثِيَابَكَ عَنْهَا مَمْنَعًا هَرَبًا
فَإِنْ أَتَوْكَ وَقَالُوا إِنَّهَا نَصْفٌ فَإِنَّ أَطْيَبَ نَصْفِهَا الَّذِي ذَهَبَا
وقال آخر : وما غرني (٢) إِلَّا خَضَابٌ بَكْفِهَا وَكُلُّ بَسِينِهَا وَأَثَوَابُهَا الصَّفْرُ
وَجَاءُوا بِهَا قَبْلَ الْحَاقِ بَلِيلَةٍ فَكَانَ مُحَاقًا كُلُّ ذَلِكَ الشَّهْرُ

(ما ورد في فضل الحمام)

قال السري بن عبد الله الرقاء :
أَسْعِيدُ هَلْ لَكَ فِي زِيَارَةِ مَنْزِلِ تَتَنَّى عَلَيْهِ جَوَارِحُ الزُّوَارِ
رَحْبَ تَرَى الْجُدْرَانَ فِيهِ يَنَابِعًا (٣) وَتَرَى السَّمَاءَ كَثِيرَةَ الْأَقْيَارِ (٤)
يَنْضَو حَيْثُ الْوَجْهِ تَوْبَ حَيَاتِهِ فِيهِ فَيَخْطُرُ كَالْحَسَامِ الْعَارِي
وَتَرَى عَلَى غُدْرَانِهِ (٥) بِهَمِّ الْوَغَى يَخْطُرْنَ مَا بَيْنَ الْقَنَا وَالْخَطَارِ

(١) دواه البزار وأبو نعيم والبيهقي في الشعب وابن حبان في صحيحه (٢) في نسخة (وما راغني) . (٣) في ديوان السري المخطوط . « رحب تلاقى الجدر منه ينابيع » . (٤) في الديوان (عليه كالأقمار) . (٥) في الديوان « على جذرانه » .

سَلَّتْ سِيوفُهُمْ بِغَيْرِ بَوَارِقٍ وَجَرَّتْ مُخَيُولُهُمْ بِغَيْرِ غَبَارٍ
مع آيات أخر غير مختارة الرصف. وقلت :

قُمْ بِنَا نَنْزِلْ فِي خَيْرِ دَارٍ وَهِيَ إِنْ مَيَّزَتْهَا شَرُّ دَارٍ
مَنْزِلٌ تَخْلَعُ دِينُكَ فِيهِ حِينَ تَأْتِيهِ خَلِيعَ الْإِزَارِ
لَا تَرَى فِيهِ الشَّمْسُ نَهَارًا وَتَرَى الْإِقْبَارِ نَصْفَ النَّهَارِ
وَعَلَى حِطَّانِهِ أَسَدٌ حَرْبٍ فَوْقَ أَمْهَارٍ وَفَوْقَ مَهَارِ
شَهِدُوا الْحَرْبَ بِأَرْمَاحِ زَوْرٍ وَسِوْفٍ نَائِيَاتِ الشَّفَارِ
وَتَرَى الْإِبْدَانَ حِينَ أَمَتْهُ تَكْتَسِي الصَّحَّةَ وَهِيَ عَوَارِي
يَنْبِيعِ كَقَضْبَانٍ دُرٍّ تَكْفَا مِنْ وَرَاءِ الْجِدَارِ
وقال عبد الله بن المعتز في ذم حمام :

وَحَامُنَا كَالْعَجُوزِ يَشْقَى بِهَا الْوَارِدُ
فَبَيْتٌ لَهُ مِئْتَنَ وَبَيْتٌ لَهُ بَارِدُ

ولقد أخذ هذا اللفظ بعينه بعض المحدثين وزاد فيه فقال :

وَحَامُنَا هَذِهِ كَالْعَجُوزِ تَلْدُ وَيَشْقَى بِهَا الْوَارِدُ
فَبَيْتٌ لَهَا مِئْتَنَ ضَيْقٌ وَبَيْتٌ لَهَا وَاسِعٌ بَارِدُ

ومن أجود ما قيل في صفة الثَّوْرَةِ قول الآخر :

وَمَجْرَدٌ كَالسِّيفِ أَسْلَمَ نَفْسُهُ لِمَجْرَدٍ يَكْسُوهُ مَا لَا يُنْسَجُ
ثَوْبًا تَمَزَّقُهُ الْأَنْأَمِلُ رَقَّةً وَيَذِيهُ الْمَاءُ الْقَرَّاحُ فَيَهِجُ
وَكَاثَهُ لَمَّا التَّقَى فِي خَصْرِهِ نَصْفَانِ ذَاعَاجٌ وَذَا فَيُرْوِجُ

(الشطر نج - قلت فيه)

إِذَا أُغْنِيَتْ الصَّهْبَا مِنْ قَدَحٍ وَمِنْ شَجٍّ
وَكَانَ الْكَأْسُ لَا يُجْدِي وَمَزْجِي الرَّاحَ لَا يَزْجِي
(٣١ - ثانی المعانی)

وألقى الله من يلقى
 لأيام أخاضتنا
 فمنها الجسم في نقص
 فما أنفك في حر
 وما من شرها تاج
 تمتعنا بمسوع
 وتلو ذكر من نهوى
 كأننا منه في هرج
 تمشى الزنج للروم
 فما أحسنها يضاً
 أقنا بيننا حرباً
 شهدناها بلا طبل
 وجئناها بلا سيف
 ترى أفراسنا تعدو
 مشى الفرزان معوجاً
 ورخ ينتحى نهجاً
 وفيل ليس يحدوه
 وعند الشاة منصوب
 وحولى أوجه غر
 إذا مادون الحسن
 وأرجى الشرب من يرجى
 من الأحران في لج
 ومنها القلب في وهج
 وإن أصبحت في تلج
 وما من كيدها منجى
 ملبح النظم والنسج
 على نرد وشرنج
 ولنا منه في هرج
 وقام الروم للزنج
 تمشين إلى دعج
 بلا عجب ولا نج
 ولا بوق ولا صنج
 ولا رُمح ولا زج
 بلا لجم ولا سرج
 لأمر غير معوج
 فلا يعدو عن النهج
 بدا شلح ولا عالج
 لواء النصر والفلج
 عليها سيمة السرج
 تراهم أول الدرج
 (ماورد في النرد)

وقال السرى بن عبد الله الرقاء :

ومحكان على النفوس وربما لم يحكما فيهن حكماً عادلاً

يلقاهما المرزوقُ سعداً طالماً ويراها المحرومُ سعداً آفلاً
فإذا هما اصطحبا على كف الفقى ضرّاه أو نفعاه نفماً حاجلاً

(وأما القدح)

فأجود ما قيل فيه قول ابن مقبل :

مُخرجٌ من العى إذا صكَّ صكّةً بدا والعيونُ المستكفةُ تلمحُ
غدا وهو مجدولٌ وراح كأنه من المسِّ والتقليب بالكف أو طحُ
إذا امتحنته من معدِّ عصابة غدا وبه قبل المفيضين مقدحُ

(انتظار الفرج)

أنشدنا أبو أحمد عن ابن ذريرد :

إذا اشتملت على اليأسِ القلوبُ وضاقَ بما به الصدرُ الرَّحيبُ
وأوطنت المكارهُ وأطأنت وأرست في مطامنها الخطوبُ
أناك على قنوط منك غوثٌ يمينٌ به اللطيفُ المستجيبُ
وكلُّ الحادثات إذا تناهت فقرّونُ بها الفرجُ القريبُ
وقلت : لكلِّ مُلّةٍ فرجٌ قريبٌ كمثل الليل يتلوهُ الصّباحُ
وإنَّ لكلِّ صالحةٍ فساداً كذلك لكلِّ فاسدةٍ صلاحُ
وللأيامِ أيديٌ بأسطاتٍ وأفنيةٌ موسعةٌ فساحُ
وقد تآتى وأوجهها صباحٌ كما تآتى وأوجهها قباحُ
وللحالاتِ ضيقٌ واتساعٌ وللدُّنيا انفلاقٌ وانفتاحُ
فلا تجزعْ لها واصبرْ عليها فإنَّ الصبرَ عُقباهُ النّجاحُ
وكلُّ الحادثات إذا تناهت فقرّونُ بها الفرجُ المتاحُ

(معنى آخر)

قد ينفعُ الأدبُ الأحداثَ في مهلٍ وليسَ ينفعُ بعدَ الكبرةِ الأدبُ

إِنَّ الْفُصُونَ إِذَا قُوَّتْ مَتَاهَا عُدَّتْ وَلَا يَلِينُ إِذَا قُوَّتْهُ الْخَشْبُ
وَأَجُودُ مَا قِيلَ فِي أَرْحَامِ الْمُتَجَمِّينَ عَلَى أَبْوَابِ الْمُفْضِلِينَ الْبَيْتَ الْمَشْهُورَ :
مَنْ أَكْثَرَ الْإِحْسَانَ مِنْ فِعْلِهِ وَنَعَمَ بِالْفَضْلِ جَمِيعَ الْأَنْامِ
يَزْدَحِمُ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ وَالْمَشْرَبُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزَّحَامِ
وَقَالَ أَبُو الْهَوْلِ :

إِذَا السَّمَاءُ أَبَتْ إِلَّا مُحَاذَرَةً سَحَّتْ يَدُ الْفَضْلِ يَاقُوتًا وَعَقِيَانَا
نَرَى الرَّفَاقَ إِلَى أَبْوَابِهِ زَمْرًا وَرَدَ الْقَطَا أَقْبَلَتْ مِثْنِي وَوَحْدَانَا

﴿ معنى آخر ﴾

لَيْسَ جُودٌ أُعْطِيَتْهُ بِسْؤَالٍ قَدْ يَهْزُ السُّؤَالُ غَيْرَ جَوَادٍ
إِنَّمَا الْجُودُ مَا أَتَاكَ ابْتِدَاءً لَمْ تَنْقُ فِيهِ ذَلَّةَ التَّرَادَدِ

﴿ ومن أجود التشبيهات في المحجمة قول بعضهم ﴾

وَخُضْرَاءُ لَا مِنْ بَنَاتِ الْهَذِيلِ يُلْقَفُ بِالسَّيْرِ مِنْقَارُهَا
كَأَنَّ مَشَقَّ عَيُونِ الْقَطَا إِذَا هُنَّ تَوَمَّنَ آثَارُهَا
وَقَالَ أَيْضًا فِي الْحِجَامَةِ :

أَمَا وَأَيُّكَ لَا أَنْسَاهُ تَدْمِي مُضَارِبُ سَيْفِهِ الْبَطْلَ الْكَمِيَا
وَبَرَقًا فِي أَنْامِلِهِ إِذَا مَا تَأَلَّقَ فَتَحَ الْوَرْدَ الْجَنِيَا
إِذَا ظَمِئَتْ فَرَاحُ أَيْكَ يَوْمًا سَقَاها مِنْ رِقَابِ النَّاسِ رِيَا
وَإِنْ جَرَحَ الْأَخَادِعَ مَطْمَئِنًّا كَسَا الْوَجَنَاتِ دِيبَاجًا بَهِيَا
وَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ يَأْتِي عُقُوقًا وَيَدْعُوهُ الْوَرَى بِرَأِّ تَقِيَا
وَقَالَ آخَرُ : أَبُوكَ أَوْهَى النَّجَادُ طَائِفَهُ كَمْ مِنْ كَبِيٍّ أَدْمَى وَمِنْ بَطْلٍ
يَأْخُذْنَ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ دَمِهِ لَمْ يَمْسُ مِنْ ثَأْرِهِ عَلَى وَجَلٍ

﴿ وما قيل في خطل الرأي قول الآخر ﴾

عُذْرُكَ عِنْدِي بِكَ مَبْخُوطٌ وَالْعُتْبُ عَنْ مِثْلِكَ مَحْطُوطٌ
لَيْسَ بِمَسْخُوطٍ فَعَالَ أَمْرِي كُلُّ الَّذِي يَأْتِيهِ مَسْخُوطٌ
وَقَالَ آخَرُ :

يَأْمَنُ بِقَلْقَلِهِ طَنِينُ ذَبَابٍ وَيَقْلُ عِزْمَتُهُ صَرِيرُ الْبَابِ
ضَرَبَ السَّرَادِقُ فِي رُواقِي بَابِهِ وَالْدَّارُ تَعْجِزُ عَنْ مَقِيلِ ذَبَابِ
وَأَقَامَ لِلْبَوَابِ حَاجِبَ حَاجِبٍ أَرَأَيْتَ حَاجِبَ الْبَوَابِ

﴿ إفساد المعروف بالمن ﴾

قال بعضهم :

أَلْبَانُ إِبْلِ تَعَلَّةَ بْنِ مُسَاوِرٍ مَادَامَ يَمْلِكُهَا عَلَى حَرَامٍ
وَطَعَامَ عَمْرَوِ بْنِ أَوْفَى مِثْلُهُ مَادَامَ يَسْلُكُ فِي الْبَطُونِ طَعَامَ
أَنَّ الذِّينَ يَسُوعُ فِي أَحْلَاقِهِمْ زَادَتْ مِنْ عَلَيْهِمُ اللَّشَامُ
لَعَنَ الْآلَهُ تَعَلَّةَ بْنِ مُسَاوِرٍ لَعْنًا يَشْنُ عَلَيْهِ مِنْ قُدَّامِ

﴿ من يعيب غيره وهو معيب ﴾

من المشهور في ذلك قول الشاعر :

أَرَى كُلَّ إِنْسَانٍ يَرَى عَيْبَ غَيْرِهِ وَيَعْمَى عَنِ الْعَيْبِ الَّذِي هُوَ فِيهِ
وَمَا خَيْرٌ مِنْ تَخْفِي عَلَيْهِ عِيُوبُهُ وَيَبْدُو لَهُ الْعَيْبُ الَّذِي لِأَخِيهِ
وَلَا بُدَّ دَلَامَةٍ ^(١) فِي مَعْنَاهُ :

إِذَا النَّاسُ غَطَوْنِي تَغَطَّيْتُ عَنْهُمْ وَإِنْ بَحَثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحِثُ

(١) هو زند بن الجون، وأكثر الناس يصحف اسمه فيقول زيد - بالياء - وهو

زيد بالنون . وهو كوفي ، نبغ في أيام بني العباس وانتقطع إلى أبي عباس والمنصور
والمهدي فكانوا يصلونه .

وان حفروا بئر حفرت بئارهم ليعلم قوم ما نظم النبائث (١)

(معنى آخر)

صديقك حين تستغنى كثير ومالك عند فقرك من صديق
فلا تغضب على أحد إذا ما طوى عنك الزيادة عند ضيق
في مدح قوادة حاذقة :

تكاد لو لم تك إنسية تجري من الانسان مجرى الدم
لا نعصم الحسناء من كبدها ولو ثوت في منزل الأعصم
وقول الآخر في ذلك :

نسهل كل ممتنع عسير وتأتى بالمراد على اقتصاد
فلو كلفتها تحصيل طيف السخيا لضحى لزار بلا رقاد
وقريب من ذلك قول الآخر :

من ذم إدريس في قيادته فاني شاكره لادريس
من بمستصعب فجاء به أطوع من آدم لا بليس
وكان في سرعة المجيء به آصف في حمل عرش بلقيس

(معنى آخر)

ما زددت في أدبي حرقاً أسره به إلا تزددت حرقاً نحتنه شوم
انّ المقدم في خلق بصنعه وقريب منه : ولربما رزق الفتى بسكوته
ومن الجيد في ذلك قول الآخر :

إذا اجتمعت في امرئين صناعة وأحييت أن تدري الذي هو أخلق
فحيث يكون النقص فالمال واسع وحيث يكون الخلق فالرزق ضيق

(١) في نسخة « النوابث » وفي الأغاني « ليعلم يوماً كيف تلك النبائث » .

(معنى آخر)

إذا قلَّ مال المرءٍ لانت قناته وهان على الأذى فكيف الأبعاد
ومثله قول الآخر : المرء يكرمُ للغي ويهان للعدم العديم
وقال آخر : غضبان يعلم أن المال ساق له مالم يسقه له علم ولا أدب
فمن يكن عن كرام الناس يسألني فأكرم الناس من كانت له نسب
وقال آخر : كفي حزناً أني أروح وأغدى ومالي من مال أصون به عرضي
وأكثر ما ألقى صديقي بمرحباً وذلك لا يغني الصديق ولا يرضي

وقال آخر في معناه :

أجلك قوم حين صرت إلى الغنى وكل غنى في القلوب جليل
وليس الغنى إلا غنى زين الفتى عشية بقرى أو غداة ينيل

(ماورد في حظ الجاهل)

فمن جملة ذلك قول الشاعر :

ومالب اللبيب بغير حظ بأغنى في المعيشة من فتيل
رأيت الحظ يستركل عيب وهيات الحظوظ من العقول

والعرب تقول إسمع بجحد أودع . وقال الحارث بن حلزة :

والعيش خير في ظلا لالنوك ممن عاش كداً

وقلت : لكل حر مبتلى يعيش في حال نكد

والنحس في طالعه أثبت من وصل وتد

فكن رقيماً ساقطاً تصدّر بحظ وترد

وكن رقيماً ماجداً واصبر على مالم ترد

هيات أن يحظى الفتى بجحد سعيد دون جد

وقال آخر : الجدة أنقض بالغنى من عقله فانهض بجدي في الحوادث أوذر

وإذا تعسرت الأمور فارجها واستأنف الأمر الذي لم يعسر

مأقربَ الأشياءِ حينَ يسوقها قَدَرُهُ وأبعدها إذا لم يُقدر

(الاستعانة بالجاهل في وقت الحاجة)

قال بعضهم: ولن يلبث الجاهل أن يتهمضوا أبا الحلم ما لم يستعن بجهول

وقال الأحنف بن قيس :

وذى ضغنٍ أَمْتُ القولِ منه يحلم واستمرَّ على المقال

ومن يحلم وليس له سفية يلاقي المضلات من الرجال

وقال غيره: لأبدٌ للسيد من أرماح ومن عديدٍ يتقى بالراح

ومن سفية دائم النباح

(معنى آخر)

وما الجودُ من فقرِ الرِّجالِ ولا الغنى ولكنهُ خيمُ النفوسِ وخيرُها

فنفسك أكرمٌ عن أمورٍ كثيرة فمالك نفسٌ بعدها تستعيرُها

وقد تخدعُ الدنيا فيمسى غنيها فقيراً ويغنى بعد بُؤسٍ فقيرُها

وكم طامعٍ في حاجةٍ لا ينالها وكم^(١) آيسٍ منها أتاهُ بشيرُها

(الاقتداء بالقرين)

أجود ما قيل فيه قول رسول الله ﷺ «المرءُ على دينِ خليله»^(٢)

ومن أقدم ما قيل فيه قول عدي بن زيد العبادي :

عن المرءِ لا تسألْ وأبصرْ قَرينَهُ فانَّ القرينَ بالمقارنِ مُقتدى

(١) في الأصل (ومن) . (٢) بقية الحديث « فليُنظر أحدكم من يخالِل »

رواه أبو داود والترمذي وحسنه والبيهقي والقضاعي وغيرهم ، قال الشاعر :

عن المرءِ لا تسألْ وسلْ عن قرينه فكلُّ قرينٍ بالمقارنِ يقتدى

فان كان ذا شرٍّ فجنبه سرعةً وان كان ذا خيرٍ فقارنه تهدي

إذا كنت في قومٍ فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

وليس رصفه بالجيد . وقال غيره :
 ولا يسل الانسان إلا قرينه^١ وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد
 (المأخوذ بذنب غيره)

قال الشاعر في ذلك :
 جنى ابن عمك ذنباً فابتليت به^٢ إن القى بابت^٣ عم السوء مأخوذ
 ومن قديم ما قيل في ذلك قول النابغة :
 أحملتني ذنباً امرئ وتركت^٤ كذى المرء يكوى غيره^٥ وهوراتع
 وقال غيره : إني وقتلي سليكاً ثم أعقله كالثور يضرب^٦ لما طافت البقر
 (في النهي عن الظلم قول الاول :)

البنى يصرع^٧ أهله والظلم مرتعة وخيم^٨
 وقال النبي ﷺ « الظُّلُمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(١) . وقال بعضهم :
 ظُلمك من خلقتك مستخرج^٩ والظلم مشتق^{١٠} من الظلمة
 وقلت في عاملٍ صودر :

لو أنصفَ الظالم من نفسه لا أنصفَ الظالم في نفسه
 إن كان لا يرحم في يومه لكان لا يرحم في أمسه

(ماورد في الجبن)

وأفلتنا هجين بنى سليم^{١١} يُفدَى^{١٢} المهر من حب^{١٣} الاياب
 فلولاً الله والمهر^{١٤} المُفدَى لا بُتَ وأنتَ غِرْبَالُ^{١٥} الاهاب
 وقال آخر :

بانت^{١٦} تُشجِّفني هند^{١٧} وقد علت^{١٨} أن الشجاعة مَقْرُونُ^{١٩} بها العطب^{٢٠}

(١) حديث متفق عليه عن ابن عمر مرفوعاً ، ورواه مسلم وغيره عن جابر
 بلفظ « إَتَقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

يا هندُ لا والذي حجُّ الحجيجِ لهُ ما يشتهي الموتُ عندي من له أدبُ
وقال آخر في المعنى :

نجوتُ نجاءً لم يرَ الناسُ مثلهُ كأنني عُقابٌ عندَ ثيمنٍ كاسرُ
وقال آخر :

يقولُ ليَ الأميرُ بغيرِ شكٍ تقدّمَ حينَ جدّ بنا المِرّاسُ
ومالي إن أظنّك من حياضٍ ومالي بعدَ هذا الرّأسِ راسُ

(ومن المضحكات قول الآخر)

ألم ترني وعمراً حينَ قدّموا إلى الحاجاتِ ليس لنا نظيرُ
أسايرُهُ على يُمنّي يديهِ وفيما بيننا رجلٌ ضريبُ
ومن المضحكات قول القاساني في الجبن والتطفيل :

أرى في النومِ رُحماً أوسناناً فأسلحُ في الفراشِ على مكاني
ولكني المّبارزُ حينَ أدعى إلى أكلِ العصيدةِ والفراشي
وما عمروُ هناك أشدَّ مني ولا العبسيُّ عنترَةُ الطعانِ
ولا زيدُ الفوارسِ حينَ أدنو فألقِ بالكلاكلِ والجراتِ
تراني عندها ليثاً نفيراً إذا ما اصطبك مني الماضغانِ
أشدُّ على الخبيصةِ لأبالي بأيّ جنوبها وقعتُ بناني
وكم طبقٍ ردّدتُ وليس فيه من البقلِ المحصلِ حبتانِ

(الخلق من الثياب)

قال الحموني :

طالَ ترّدادهُ إلى الرّفوحِ لو بعثناهُ وحدهُ تهدي
وقال آخرُ : قال غسّالي لما جثته قولاً صحيحاً
يا عزيزي أنا لا أغسلُ بالصابونِ ريحا

وأحسن من ذلك كله وأشهر قول الآخر :

يا ابن حرب كسوتى طيلساناً ملّ من صُحبة الزّمان وصدّاً
إن تنحنحت فيه ينحز عيراً أو تحركت فيه ينقدّ قدّاً

(من أحب لبناته الموت)

قال بعض الأعراب :

انى وإن سيقَ إلى المهرُ ألفٌ وعبدان وذودٌ عشرُ
أحبُّ أصهارى إلى القبرُ

وقال عبيدُ الله بن عبد الله بن طاهر :

لكلُّ أبى بنتٍ يُراعى شؤونها ثلاثةُ أصهارٍ إذا طُلبَ الصهرُ
فبعلٌ يُراعيها وخدرٌ يكنها وقبرٌ يُوارِيها وخيرُهما القبرُ
جعل القبر خير الثلاثة الأصهار فإنه نعم الصهر فى السر . كلام الملحدین لعنهم الله :

فمنهم ديك الجن عبد السلام بن رغبان الحمصى :

هى الدنيا وقد نعموا بأخرى وتسويفُ النفوس من السوائى
فان كذبوا أمنت وإن أصابوا فان المبتلىك هو المُعافى
وأصدق ما أثبتك ان قلبي بتصديقِ القيامةِ غير صافى

وقال ابن أبى البغل :

باح ضميرى بمضمير الأمر وذاك أنى أقولُ بالدهرِ
وليس بعد الماتِ حادثةٌ وإنما الموتُ بيضةُ العقرِ
وقال آخرٌ : يا ناظرآ فى الدين ما الأمر لا قدرٌ صحّ ولا جبرٌ

ما صح عندى من جميع الورى يُذكرُ إلا الموتُ والقبرُ

قبهم الله لقد أعظموا القول ولم ينتفعوا إلا بالفضيحة فى الدنيا والاثم فى
الآخرة . وإنما أورد مثل هذا لتعرف أهله ولأن تسمية الكتاب توجبه . ونحوه

قول ابن الرومي وأجاد :

أيارب إن سوّيتَ بيني وبينه لما كان عدلاً أن نكونَ سواءَ
فكيفَ وقد أعلّيتهُ وخفضتني فكنتُ له أرضاً وكانَ سماءَ

(فصل آخر)

كتب أبو الشيبس إلى رجل كان وعده مخدّة فأبطأت عليه :
يا صديقي وأخي في كلِّ ما يعرفُ وشده
ليت شعري هل زرعتمْ بذراً كتانِ المخدّة
وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال أهدى بعض العمال
إلى دعبل بن علي الخزاعي برخوناً زمناً فردّه وكتب إليه :

وأهديتهُ زَمِناً قانياً فلا للزُّكوبِ ولا للشمنِ
حملتَ على زَمَنِ شاعراً فسوفَ يكافئُ بشعرِ زَمَنِ
أبا الفضلَ ذمّاً وغرماً مماً فما كنتَ ترجو بهذا الغبنِ

ووعده رجل دعبلاً فعلا يهديها إليه عند قدومه من الحج فأبطأت عليه فقال دعبل الخزاعي :
وعدتَ النعلَ ثمَّ صدفتَ عنها كأنك تشتهي شتماً وقدفا
فإنَّ لمْ يُهدرْ لي نعلًا فكفها إذا أعجمتَ بعد النونِ حرفاً
وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال كتب إلى أبو علي
البصير يستهديني بخوراً كنتُ أهديتُ منه إلى بعض إخواني ، والآيات :

يا شقيقِي ويا خليلِي إباءَ المرجي لكلِّ خيرٍ ومير
أنتَ من أطيبِ الأنامِ بخوراً غيرَ أني شممتُهُ عندَ غيري
وهو جَمُّ لَدَيْكَ قابِثٌ بدرجٍ منه إن لمْ أكنْ تعدّيتُ طوري
فكتبْتُ إليه :

قد بعثنا إليك منه بدرج وأرناك منه أطيبَ زور

بين نديّ وبينَ عودٍ مطرّاً مالهُ مشبهٌ بنجدٍ وغورٍ
 أنتَ منه أذكى وأطيب عرفاً وهو أذكى من كل طيبٍ ونورٍ
 ما تعدّيت فيه طورَكَ عندي فتبخر منه بأيمن طيرٍ
 وحدثني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد قال حدثني أبو دعامة الشاعر قال
 كتب العتابي إلى مالك بن طوق يستزيده ويستهديه ويدعوه إلى صلة الرحم والقراية
 بينه وبينه وكان مما كتب : إن قرابتك من قرب منك خيره وإن ابن عمك من
 عمّ نفعه وإن عشيرتك من أحسن معاشرتك وإن أحب الناس إليك أجداهم
 بالمنفعة عليك وإن أهداهم إلى مودتك من أهدى إليك ، ولذلك أقول :
 ولقد بلوتُ الناسَ ثم سبرتهم ووصلتُ ما قطعوا من الأسبابِ
 فإذا القراية لا تُقربُ قاطعاً وإذا المودةُ أقربُ الأنسابِ

قال أبو هلال رحمه الله : هذا آخر ما رأينا تضمنينه هذا الكتاب وبالله التوفيق
 والحمد لله حق حمده وصلي الله على سيدنا محمد وآله وصحبه آمين .

﴿ فهرس الجزء الثاني من ديوان المعاني ﴾

| الصفحة | |
|--------|--|
| ٣ | الباب السابع : في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياض والنبات والأشجار والرياحين والثمار والنسيم . |
| ٣ | الفصل الأول : في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد والمياه --- |
| ١٢ | الفصل الثاني : في ذكر الرياض والأنوار والبساتين والثمار وما يجري مع ذلك . |
| ٤٦ | الفصل الثالث : في ذكر النسيم . |
| ٤٩ | الباب الثامن : في صفات الحرب والسلاح والطعن والضرب ، وما يجري مع ذلك . |
| ٧٤ | الباب التاسع : في صفة الخط والقلم والدواة والقرطاس وذكر البلاغة ، وما يجري مع ذلك . |
| ٧٤ | الفصل الأول : في ذكر الخط والقلم والدواة والقرطاس ، وما يسلك مع ذلك . |
| ٨٧ | الفصل الثاني : في ذكر البلاغة . |
| ٩٢ | من كلام الفلاسفة وما يقاربه من شعر ونثر الأدباء . |
| ٩٤ | محاسن كلام العرب والاعراب والخطباء والكتاب . |
| ٩٧ | أمثلة في البلاغة الكتابية . |
| ٩٩ | ومن جيد الأدعية . |
| ١٠١ | المديح عند الكتاب نثراً . |
| ١٠٣ | الذم والتهجين نثراً ، كلمات في الشكر مأثورة عن البلغاء . |
| ١٠٦ | الباب العاشر : في صفات الخيل والابل والسير والفلوات وذكر الوحوش والطيور والحشرات ، وما يجري مع ذلك . |
| ١٠٦ | الفصل الأول : في صفات الخيل . |
| ١١٨ | الفصل الثاني : في ذكر الابل وسيرها ، وما يجري مع ذلك من وصف أحوالها . |
| ١٢٨ | الفصل الثالث : في ذكر الفلوات والظلال والسير والنعاس وما يجري مع ذلك . |

- ١٣١ الفصل الرابع: في ذكر الوحوش والسباع والكلاب والصيد وما يجرى مع ذلك .
- ١٣٥ الفصل الخامس : في ذكر الطيور .
- ١٤٣ الفصل السادس : في ذكر بقية الحيوان من السنور والقنفذ والفأرة والحية والعقرب والحرباء والضب والبق والبراغيث ، وما يجرى مع ذلك .
- ١٥٢ الباب الحادى عشر : في صفة الشباب والشيب والخضاب والعلل والموت والمرائى والزهد ، وما يجرى مع ذلك .
- ١٥٢ الفصل الاول : في الشباب والشيب والخضاب ، وما يتصل بها .
- ١٦٥ الفصل الثانى : في ذكر العلل والأمراض والمرائى والتعازى والزهد .
- ١٨٦ الباب الثانى عشر : في صفة أشياء مختلفة يختم بها ديوان المعانى .
- ١٨٦ القول فى الحنين إلى الأوطان .
- ١٩٤ فصل فى مدح الاخوان .
- ١٩٨ فى ذم الاخوان والرفقاء . وما يجرى مع ذلك .
- ٢٠٤ فصل فيما قيل فى فضل الوعد ومدح الانجاز .
- ٢٠٦ ما قيل فى الضحك والبشر عند السؤال .
- ٢٠٨ فصل فى تعمية الأشعار .
- ٢١٤ أحسن ما قيل فى تقيل اليد .
- ٢١٥ الحىض على السلام .
- ٢١٧ السلام على الكنار ، رد السلام على الكنار ، ماجاء فى المصافحة .
- ٢١٨ قولهم : حياك الله ويياك .
- ٢١٩ قولهم مرحباً .
- ٢٢٢ ماجاء فى : أطال الله بقاءك - جعلت فداك .
- ٢٢٣ دعاء المكاتبه .
- ٢٢٤ قولهم : كيف أصبحت .
- ٢٢٩ ماجاء فى الدعاء للخارج إلى السفر .

- ٢٣٠ الدعاء للقادم من السفر . الدعاء للبهزوم .
 ٢٣١ الدعاء للمعزول .
 ٢٣٢ دعاء الأعياد .
 ٢٣٣ ما قيل في القيام للاجلاء .
 ٢٣٤ ما قيل في شعبان وشهر رمضان وشوال .
 ٢٣٦ فصل في معان مختلفة : نسيب ، هجو ؛ مدح . .
 ٢٣٩ التفاضل بين الاخوان . الحث على موافقة الناس . اغياب الزيارة .
 ٢٤٠ في ذم العجائز : ماورد في فضل الحمام .
 ٢٤١ الشطرنج وما قيل فيه .
 ٢٤٢ ما ورد في الرد .
 ٢٤٣ القدح . انتظار الفرج . معان أخرى .
 ٢٤٤ العطاء بلا سؤال . ما قيل في المحجمة والحجام .
 ٢٤٥ ما قيل في خطئ الرأي . إفساد المعروف بالمن . من يعيب غيره وهو معيب .
 ٢٤٦ فرار الأصدقاء عند الضيق . حرفة الأدب .
 ٢٤٧ اغترار الناس بالغنى . حظ الجاهل .
 ٢٤٨ الاستعانة بالجاهل في وقت الحاجة . عزة النفس . الاقتداء بالقرين .
 ٢٤٩ المأخوذ بذنب غيره . النهي عن الظلم . ماورد في الجبن .
 ٢٥٠ ومن المضحكات . الخلق من الثياب .
 ٢٥١ من أحب لبناته الموت .
 ٢٥٢ أبو الشيص ورجل وعده بمخدة . نعل دعبل الخزاعي . استهداء بنخور .
 ٢٥٣ المودة أقرب الانساب . منتهى الديوان .

(اختلافات نسخة المتحف البريطاني وغيرها من الروايات والتصويبات في الجزء الثاني)

وأكثرها من استدرجات الأستاذ الدكتور كرتكو

| الصفحة السطر | الصفحة السطر | الصفحة السطر |
|----------------------|---------------------|----------------------|
| ١٠٩ ٢٠ زفته | ٤٣ ١٢ في القدور | ١ ٤ عن نسختي |
| ١٠٩ ٢٢ ضرار الغطفاني | ٤٩ ١١ المفضل النكري | ٤ ٢٣ آبي بمطر |
| ١١٠ ١٥ كالفدن | ٥١ ١ سعد بن | ٦ ٥ بمدامع لم |
| ١١١ ٢ علي سواد | ٥٣ ٤٣ عمرو بن | ٦ ١٠ دوايح ضمنت |
| ١١١ ٤ عارضت | ٥٥ ٧ الجرور | ٦ ١١ حفل اللقاح |
| ١١٢ ١٩ تعلق بزي | ٦٤ ١٨ السواء عدونا | ٦ ١٢ شجيم.. فواجم |
| ١١٤ ٧ تهاش عنده | ٦٤ ١٩ المؤقف | ٧ ٨ لدماء |
| ١١٤ ١٨ نوادي.. تدفق | ٦٤ ٢٠ شهاب | ١٢ ٢٢ بعيم التبت |
| ١١٥ ١ بقارح | ٦٤ ٢١ كالسيور | ١٣ ٢٢٤٩ وحوذان |
| ١١٦ ١٧ دكدك | ٦٥ ١ أحمر عاتر | ١٥ ٤ بن المعذل |
| ١١٨ ٦ مناذر | ٦٦ ١ تنحري | ١٥ ٦ مغان |
| ١١٩ ١ رهوا | ٦٦ ٦ جذل | ١٥ ١٢ وشث |
| ١٢١ ٦ مضر حيات | ٦٨ ١٠ بن شهاب | ١٦ ٢٢ الحمان |
| ١٢١ ١٢ بخت مخيسة | ٦٨ ١١ وميض البيض | ١٧ ١٣ وجني رباها |
| ١٢٢ ١٧ حسان | ٧٠ ٣ العضروط | ١٨ ١٤ تزحف |
| ١٢٣ ١١ البيت جون | ٧١ ٨ أخذ من | ١٩ ١ لعسجد |
| ١٢٤ ١٨ أودي السفار | ٧٢ ٨ الدم | ٢٠ ٦ جاسد |
| ١٢٥ ٩ السباب | ٧٣ ٨ ومشلة مفرقة | ٢٠ ٩ لؤلؤ كالا قحوان |
| ١٢٥ ١١ بهاشق | ٧٧ ٢ كاطباء | ٢٠ ١٢ مجتاز |
| ١٢٧ ٢١ جفار | ١٠٨ ٥ عبدة بن الطيب | ٢٣ ١ المعذل |
| ١٢٨ ٢٢ وفد الريح | ١٠٨ ٢٢ الاسعر | ٢٣ ٨ تباري.. مغدا |
| ١٣٢ ٢٠ أظلافه نسق | ١٠٩ ١٣ تارز | ٣٢ ٢ وده تنبوي |
| ١٢٤ ٢٠٤١٦ قعساء | ١٠٩ ١٨ ثار عجاج | ٣٣ ٨ على كرات |
| ١٣٥ ٤ مثل الشراع | ١٠٩ ١٩ تنفش | ٣٧ ٢٢ قرط |

| الصفحة السطر | الصفحة السطر | الصفحة السطر |
|-------------------|----------------------------------|------------------------|
| يداشلج ١٧ ٢٤٢ | معز الدولة ٢٢ ١٧٩ | فيه شنج ١٣ ١٤٠ |
| وعند الشاه ١٨ ٢٤٢ | تمر وأغفل ١٨ ١٨٣ | يتفيد ١٣ ١٤٢ |
| من الغمى ٥ ٢٤٣ | يفعل ١٩ ١٨٣ | شنج ١٤ ١٤٢ |
| بالكف أفتح ٦ ٢٤٣ | رام ٢٠ ١٨٣ | كتحوط ٤ ١٤٤ |
| أبه .. يقدح ٧ ٢٤٣ | بسر ينار طاة ٤ ١٨٥ | لهازمه ... فطح ٩ ١٤٥ |
| الهديل ١٢ ٢٤٤ | أرضافيا ٦ ١٨٧ | بالعظاءة-التضبة ١٧ ١٤٦ |
| دَم ٢٣ ١٦ | يحيى بن طالب ١٦ ١٨٧ | فجرة ١٠ ١٤٧ |
| يتأكل ٥ ٥٧ | راح ركب ١٣ ١٩٣ | على الجذل ١١ ١٤٧ |
| ونواقذ ٩ ٨٥ | بأخلاق ٩ ١٩٤ | تقافزت ١ ١٥٠ |
| الهزار ٦ ٩٢ | عيابها ١٧ ١٩٩ | الشدق ١٩ ١٥١ |
| ومواد ١٦ ٩٦ | أبو الشعر ٢١ ٢٠١ | بعد شيبية ٤ ١٥٢ |
| وعدوننا ١٧ ٩٦ | أفرنجمشك ٢١ ٢٠٨ | سواد اللبة ٣ ١٥٥ |
| ولباته ١٢ ١٣٧ | بشؤبوبة ١٣ ٢٠٩ | بخطمة ٦ ١٥٥ |
| أدب ١٠ ١٦٤ | مروان الجعدى ١٨ ٢١٥ | بان الالمروبان ١٠ ١٧٢ |
| جذيمة ١٢ ١٧٦ | ٩٤٨ مكنت ٢١٦ | ابن مناذر ٣ ١٧٥ |
| | الزرق ١١ ٢٢٠ | الخريمى ٧ ١٧٥ |
| | الارحى ١٧ ٢٢٦ | عن شباة ١٥ ١٧٥ |
| | معشق ٢٠ ٢٢٦ | وزدت بمازودتى ١٨ ١٧٥ |
| | قذراً وأسلم ماسواه البرجد ٢٣ ٢٤١ | مجتاب شملة برجد بسرته |

(فهرس لأسماء الشغراء مرتبة على الحروف)

باعتبار الشهرة في الأكثر

(١)

ابراهيم بن اسماعيل النسائي ١٨٢
 ابراهيم بن العباس ٦٦، ٩٠، ١٧٨، ١٨٣،
 ٢٧٤، ٢٨٣، ٣٥١، ٣٥٣، ج ٢ :
 ١٩٤، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٠، ٢١٥
 ابن أبي أمية ج ٢ : ٣٤
 ابن الأعرابي ٣٥٩
 ابن أمية الكاتب ٥٩
 ابن الأنباري ١٤٨، ج ٢ : ٢٣٨، ١٧٩
 أبو الأسد الدينوري ٣٠، ٦٣، ج ٢ : ٢٠٣
 أحمد بن ابراهيم ٢٣٢، ج ٢ : ٢١٩
 أحمد بن أبي طاهر ٤٨، ٩٤، ج ٢ : ١١٨، ٢٥٢
 أحمد بن اسحق الطالقاني ج ٢ : ١٦٦
 أحمد بن اسحق الموصلي ج ٢ : ١٨٩
 أحمد بن اسماعيل الخطيب ١٣٠
 أحمد بن اسماعيل ج ٢ : ٧٥، ٧٩،
 ٨٣
 أحمد بن زياد الكاتب ج ٢ : ١٥٧
 أحمد بن محمد بن اسحق ج ٢ : ٧٩
 أحمد بن يزيد ج ٢ : ٢٣٥
 أحمد بن يوسف ٩٥
 أحمد المادرائي ٣١٦
 الأحر ج ٢ : ١٣٤
 الأخطل ٢١، ٢٧، ٥٨، ٦٢، ٨٣،
 ١٧٥، ٣١٣، ٣١٤

الأخنس بن شهاب ٦٨
 الأخطل ج ٢ : ٢٥، ١٧١، ٢٣٠
 ادريس بن أبي حفصة ٦٣
 اسحق بن خلف ج ٢ : ٥٧
 اسحق الموصلي ٣٤٧
 الأسدي ٣٥
 أسعد بن البكاء البكري ج ٢ : ٢١٧
 الأسعر الجعفي ج ٢ : ١٠٨، ١٠٦، ٥٠
 الأسود بن يعفر ٢٥٤
 أشجع ١٧، ٦٣، ٩٢، ٦٤، ١٤٥،
 ج ٢ : ١٨٥
 الأعشى ٢٤، ٤٤، ٧٩، ١٠٩، ١٤٣،
 ١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ٢٤٣، ٢٤٤،
 ٢٥٠، ٢٥٨، ٣١٩، ٣٢٨، ج ٢ :
 ١٢، ٢٢٦
 الأغر بن كاسر ج ٢ : ٢٢٣
 الأفوه الأودي ج ٢ : ٩٠
 الأقييل القيني ٨٨
 أمامة بنت الجلاح ٦١
 امرؤ القيس ٨١، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٦١،
 ٣٢٢، ٣٣٤، ٣٤٥، ج ٢ : ٣٠٧،
 ٦٢، ١٠٩، ١١٤، ١٤٢، ١٥٩، ١٩٣
 أمية بن أبي الصلت ٢٦، ٤٦، ١١٠
 أوس بن حجر ١٢٤، ١٣٩، ١٧٦،
 ج ٢ : ٤، ٧، ٥٧، ٥٩، ٦٨، ١٧٣
 أيمن بن خريم ج ٢ : ١٤٤

(ب)

البحري ٢١، ٢٩، ٣٠، ٣٤، ٣٥،
 ٤٦، ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٦٠، ٦٣،
 ٦٥، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٩٩، ١٠٦،
 ١٠٨، ١١٧، ١١٩، ١٢٧، ١٢٨،
 ١٤٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٧، ٢٠٠،
 ٢١٨، ٢١٩، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٥٦،
 ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٨، ٢٨٢،
 ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٧، ٣٢٩، ٣٤٤،
 ٣٤٨، ج ٢: ١٧، ٢٠، ٢٣، ٥٣،
 ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٦٣، ٦٥،
 ٧٠، ٧١، ٧٨، ٩٩، ١١٥، ١١٩،
 ١٢٦، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٧، ١٩١،
 ١٩٤، ٢٠٧، ٢٣٢، ٢٣٣،
 ابن بسام ٣١٦، ٣٤٨، ج ٢: ٢٣، ٢٣٤،
 بشار ٣٣، ٤٢، ٥٩، ١٣٦، ١٤٣،
 ١٨٩، ٢٠٣، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٤١،
 ٢٥٧، ٢٧٩، ٣١١، ٣٤٩، ٣٥٠،
 ج ٢: ٤٧، ٥٥، ٦٧، ١٦٩،
 ١٩٢، ١٩٦،

بشامة بن الغدير ج ٢: ١٣١،
 بشر بن أبي خازم ١٣٩، ٢٣٨، ج ٢:

١٢، ١٣، ٧٢،

البصير ١٢١

البيث ٢٧٧

بكر بن خازم ٢٤٣

بلعاء بن قيس ١١٤

(ت)

تأبط شرآ ١١٢، ج ٢: ١٢٩،
 أبو تمام ٨، ١٧، ٢١، ٢٤، ٢٩-٣١،
 ٣٣، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٥٤، ٥٦،
 ٥٧، ٦٥، ٦٨-٧٢، ٨٠، ٨٣،
 ٨٤، ١٠٤، ١٠٩، ١١٥-١١٦،
 ١٣٠، ١٤٠، ١٤٤، ١٦١-١٦٤،
 ١٦٨، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٥،
 ١٨٧، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٥، ٢١٣،
 ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥٥، ٢٦٥، ٢٧٧،
 ٢٨٧، ٢٩٠، ٣١٦، ٣٢٥، ٣٤٣،
 ٣٥٣، ج ٢: ١٩، ٥٦، ٦٦، ٧٧،
 ٧٨، ٩١، ٩٨، ١٠٠، ١١٥، ١٢٠،
 ١٢٤، ١٢٥، ١٣٠، ١٥٦، ١٥٧،
 ١٦٠، ١٦٥، ١٧٣، ١٧٦-١٧٨،
 ١٨٠، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٥، ٢٠٢،
 ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٣٩،
 التوخي ٣٢، ٧٠، ٢٤٤، ٢٤٧، ٣٤٧،
 ٣٥٨، ج ٢: ١٦، ٢٥، ٢٧، ٣٢، ٥٤،
 التوزي ١٢٢

(ث)

ثابت قطنة ١٣٨

الثقي ج ٢: ١٨٥

(ج)

جيباء الاشجعي ج ٢: ١٢٧

الجحاف ٨١

جحظة البرمكي ٣١، ١٦٣، ٢٠٦،

الحسين بن اسماعيل ٢٢٣
الحسين بن الضحاك ٢٠٢ ، ٢٧٣ ج ٢ :
٢٢٥ ، ٢٠٦
الحسين بن مطير الاسدي ٤١ ، ج ٢ :
١٧٦ ، ١٧٥ ، ٦
أبو الحسين بن أبي البغل ج ٢ :
٩٢ ، ٨٠
حصين بن حمام ١١٥
الخطبة ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٨ - ٤٠ ،
٤٣ ، ١١٨ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٩٩ ،
ج ٢ : ١٩١
الحلي ج ٢ : ٤٥
حلاط بن قيس ١٣٣
حماد الراوية ١٨١ ، ج ٢ : ١٩٨
حماس بن ثامل ٤٤
الحساني ٨٥ ، ٢٣١ ، ٣٣٩ ، ج ٢ :
١٦ ، ٥٠ ، ١١٤ ، ١٣٤ ، ١٤٧ ،
١٥٤ ، ١٥٣
الحدوني ٢٧٨ ، ج ٢ : ٢٥٠
حمزة بن يعض ١٠
حميد بن ثور ٣٢٦
الحويطرة ج ٢ : ١٨٨
أبو حية ج ٢ : ١٢٧
(خ)
خارجة بن مليح المكي ٦٢ ، ٦٣
خالد بن زهير ١٥٨

٣٠٠ ج ٢ : ١٩٨ ، ٢٠٢
جذل الطعان ج ٢ : ٦٦
جران العود ٣٣٨
جرير ٣١ ، ٦٦ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٩ ،
١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨١ ،
٢٠٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ،
ج ٢ : ٦٣ ، ١٠٧ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ،
١٨١ ، ١٥٧
جعفر بن محمد ج ٢ : ١٩٤
جميل ٧٨ ، ١٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٧٤ ،
ج ٢ : ١٢٩ ، ٢٣٧
جندل بن الراعي ج ٢ : ١٢٧
أبو جندب ٨٢ ، ٨٣
(ح)
حاجز الازدي ج ٢ : ٢٢٨
الحارث بن ظالم ١٧٠ ، ج ٢ : ١٨٧
الحارث بن عباد ج ٢ : ٦٣
الحارثي ج ٢ : ٢٣٤
أبو حازم الباهلي ج ٢ : ١٥٢
ابن حريثان ١٧٤
أبو علي الحرمازي ج ٢ : ١٧٠ ، ٢٤٠
حسان بن ثابت ٣٢ ، ٣٧ ، ٨٩ ، ١٨٢ ،
١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٣١٤ ، ج ٢ :
٦٩ ، ٥١
الحسن بن وهب ٢٥٧ ، ٢٧٢ ، ج ٢ :
٢٣٥ ، ٨٣
الحسن بن الكناني ج ٢ : ٢١٦

علاء الكاتب ٣ ، ٢٥١ ، ٢٨٤ ، ٣٥٠

الحالدي ٢٠٨ ، ج ٢ : ٧٨

الحباز البلدي ج ٢ : ٤٢

خداش بن زهير ج ٢ : ٧٣

أبو خراش ١٣١ ، ج ٢ : ٧٢

خريم بن فاتك ٢٦

الخريمي ٧٤ ، ٢٧٩ ، ج ٢ : ١٧٥ ، ١٩٧

ابن خلاد ٢٩٦ ، ٣٠١ ، ج ٢ : ٣٦

خلف بن خليفة ٧٥ ، ١٠٤ ، ج ٢ :

١٤٥ ، ١٦٢

خلف الأحمر ج ٢ : ٧٣

الخليل بن أحمد ١٣٤ ، ١٤٧ ، ١٨٥

ج ٢ : ٣٠

الخنساء ٤١ ، ١٣٨

الخوارزمي - متأخر ج ٢ : ١٥٦

(د)

دريد بن الصمة ٥٥ ، ١٢٢ ، ١٤١ ،

ج ٢ : ٥٨

ابن دريد ٢٧ ، ٣٢٠ ، ج ٢ :

١١٠ ، ١١٩ ، ٢٣٧

دعبل الخزاعي ١٢٧ ، ١٨١ ، ١٨٤ ،

٢٠٧ ، ج ٢ : ١٥٩ ، ١٨٠ ، ١٩٤ ،

٢٣٨ ، ٢٥٢ ، ٢٧٧

أبو دغفل الكلابي ج ٢ : ٧٠

أبو دلامة ج ٢ : ٢٤٥

أبو دلف العجلي ٩١ ، ٢٧١

ابن الدمينة ٣٤٦

أبو دهل الجعي ١٣٩

أبودواد ١٤٢ ، ج ٢ : ١٠٦ ، ١١٢ ،

١٢٨ ، ١٤٦

ديك الجن ٥٦ ، ٨٥ ، ١٠٦ ، ١٢٠ ،

١٩٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ،

٢٦٩ ، ٢٧٠ - ٢٧٢ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ،

٣٢١ ، ٣٤٤ ، ٣٥٠ ، ج ٢ : ١٣٧ ،

١٨١ ، ٢٢١

الدبلي ٢٠١

(ذ)

أبو ذؤيب ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٥٧ - ١٥٩ ،

٣٦١ ، ج ٢ : ٤

(ر)

راشد بن شهاب الشكري ج ٢ : ٦٤

الراعي ج ٢ : ١٢٣ ، ١٣٢

رؤبة بن العجاج ج ٢ : ١٢٣ ، ١٢٨ ،

١٣٠ ، ١٥٥

الربيع بن أبي الحقيق ج ٢ : ٣٩

الربيع بن ضبع الفزاري ج ٢ : ٢٢٤

رزين العروضي ١٩٩

الرقاشي ج ٢ : ١٧٩

الرواح الاسدي ج ٢ : ١٥٠

ذوالرمة ١٨١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ،

٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٧٥ ، ٣٣٤ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ،

٣٥٥ ، ج ٢ : ٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ،

زياد الأعجم ١٧٠، ١٧٧، ١٨٠

زيد الخيل ج ٢: ٤٩، ٦٨

زينب بنت الطثيرة ٥٧

(س)

سالم بن وابصة ٣٥٧

أبوسرح ج ٢: ١٨٦

السري الرفاء ٧٢، ١٩٩، ٢٢٥

٢٣٢، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٩٠، ٢٩٤

٣٠٩، ٣١٢، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٣٧

٣٤١، ٣٤٥، ٣٦١، ج ٢: ١١، ١٧

٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٥، ٣٧

١٣٧، ٢٢٣، ٢٤٠، ٢٤٢

سعد بن ناشب ج ٢: ٥١

سعيد بن أبان بن عينة ١٣٣

سعيد بن حميد ٩٥، ٢١٦، ٢٦٧، ج ٢:

٢٢٢، ٢٨٤، ٣٤٩

سعيد بن العاص ١٩٦

سعيد بن الوليد البطين ج ٢: ٢٢٠

أبو سعيد الأصفهاني ج ٢: ٢٠٩

أبو سعيد الخزومي ١٨١

ابن السكن ٢٠٨

سلامة بن جندل ج ٢: ٦٥

أبو السمع الطائي ٢٩

السموأل ٣٧، ٨٣

سهل بن هرون ٢٨٢

سيف بن ذي يزن ج ٢: ٦٢

١٢٩، ١٣٣، ١٤٧

ابن الرومي ٢٦، ٢٩، ٣٠، ٤٢

٤٣، ٤٥، ٤٨، ٥٤، ٦٨، ٧١، ٧٤، ٧٥

١١٩، ١٢٥، ١٣٠، ١٣٢-١٤٤

١٥٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٩

١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٧-١٩٠

١٩٤-١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٤-٢١٠

٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٢٧

٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩-٢٤٤

٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٦٩

٢٧٠، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٩٢-

٢٩٦، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٩

٣١٠، ٣١٤، ٣٢١، ٣٣٠، ٣٣٥

٣٦٠، ٣٦١، ج ٢: ٣٢، ١٧، ١٨

٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٣٧

٤٥-٤٧، ٥٥، ٥٧، ٦٠، ٦١

٧٠، ٧١، ٧٧، ٧٨، ٨١، ١٠٤

١٣٥، ١٤٧، ١٥٧، ١٦٠-١٦٢

١٦٥، ١٦٨، ١٧١، ١٧٣-١٨٤

١٨٩، ٢٠٣، ٢١٥، ٢٣٠، ٢٣٧

الرياشي ج ٢: ٢٣٤

(ز)

أبو زيد ج ٢: ٥٨

زفر بن الحارث ج ٢: ٢٠٠

ابن الزمكدم ١٩٥

زهير ٢٩، ٣١، ٤٦، ٥٢، ١٠٥

١١٤، ٢٣٠، ج ٢: ٢٠٦

(ش)

شبيب بن البرصاء ج ٢ : ١٩٦
 أبو شراعة ج ٢ : ٢٢٩
 الشماخ بن ضار ج ١ : ١١٥ ، ٢٣٠ ، ج ٢ : ٥٩
 ١٠٩ ، ١٢٥
 الشمر دل بن شريك ٣٥٨
 أبو الشمقب ١٩٨
 أبو الشيخ ٢٥٥ ، ج ٢ : ١٢٣ ، ١٩٨ ، ٢٥٢

(ص)

أبو إسحق الصابي ج ٢ : ١٦٣
 صاحب بن عباد ١٦٧
 أبو صفوان الثقفي ج ٢ : ٢٣٢
 صفية الباهلية ١٧
 أبو الصلتا ٩٢ ، ٣٠١
 الصلتان ١١٩
 الصمة بن عبدالله القشيري ج ٢ : ٢٢٥
 الصموت الكلابي ٦٨
 الصنوبري ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٩٢
 ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ج ٢ : ١٢ ، ٣٠ ، ٣٢
 الصولي ١٤٦ ، ١٤٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧
 ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ج ٢ : ١٦٥ ، ٢٠٧

(ض)

ضمرة بن ضمرة ٨١

(ط)

ابن طارق ج ٢ : ١٤٤
 أبو طالب عم النبي ﷺ ٣٧

طاهر بن علي بن سليمان ٣٤٧
 ابن طباطبا ج ١ : ١٢ ، ١٣٠ ، ١٩٨ ، ٢١٢
 ٢١٦ ، ٢٣٨ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٣٣
 ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٦٠
 ج ٢ : ١١ ، ٢٧ ، ٣٦ ، ١١٦ ، ١٤٤ ، ٢١٣
 طرقة ج ٢ : ٧
 الطرماح ج ٢ : ٣٤٦ ، ١٣١ ، ١٤١
 ١٧٥ ، ٢٣٨
 طريح بن اسماعيل الثقفي ٢٤ ، ٢٥٢ ، ١٢٦
 طفيل الغنوي ج ٢ : ٢٢٠
 الطراح العقيلي ج ٢ : ٢١٩
 أبو الطمجان ٢٢ ، ٢٣ ، ج ٢ : ١٦١

(ع)

عائشة بنت أبي وقاص ٩
 العباس بن الأشنف ١٦١ ، ٢٢٥
 ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١
 ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥
 ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣٤٩ ، ج ٢ : ١٦٥
 العباس بن جرير ١٢٣
 العباس بن مرداس ١١٠ ، ١١٤
 ج ٢ : ١١٠
 عبد الصمد بن المعذل ١٢١ ، ١٢٥
 ١٧٨ ، ج ٢ : ١٥ ، ٢٣ ، ١٤٦ ، ١٦٧
 عبدالعزيز بن زارة ٨٨
 عبد العزيز بن عبدالله بن طاهر ٣٣٨
 عبدالله بن أيوب التيمي ٦٠
 عبدالله بن الحسن ٢٦٢

عبد الله بن عبد الله بن عتبة ٣١٤
 عبد الله بن محمد الفقعسي ج ٢ : ١٩٣
 أبو عبد الله الاسباطي ج ٢ : ١٥٦
 ابن عبد الاسدي ١١
 عبد الملك بن مروان ٢٦٢
 عبد مناف بن ربيع ج ٢ : ٥٥
 عبد بن الحساس ٢٦٠ ، ج ٢ : ١٦٦
 عبدة بن الطيب ج ٢ : ١٠٨ ، ١٤٤ ، ١٧٥ ، ٢١٦
 عبيد بن الأبرص ١١٨ ، ج ٢ : ١٥٥
 عبيد بن أيوب ١١٣
 عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ١٠٨ ، ٢٥٠ ، ج ٢ : ٢٥١ ، ٢٦٠
 عتاب بن ورقاء ج ٢ : ٦٠
 العتابي ج ٢ : ٩
 أبو العتاهية ٢٠ ، ٧١ ، ١٠٥ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ج ٢ : ١٥٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢
 ابن أبي العتاهية ١٩٨
 العجاج ، ج ٢ : ٧١
 عجير السلوي ٣١٥
 عدى بن الرقاع ج ٢ : ١٣١ ، ١٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٣
 عدى بن زيد ج ٢ : ١٣٧ ، ٢٤٨
 العديل بن الفرغ العجلي ج ٢ : ٢٣٦
 عرفة بن شريك ج ٢ : ١٨٥
 العرجي ١٠
 عروة بن أذينة ج ٢ : ٢٣٢

عروة بن حزام العذري ٢٨١
 عروة بن الورد ١٠٧ ، ١٩٥
 أبو عروة المدني ١١
 العطوي ج ٢ : ٢٠٣
 عتبة بن كعب بن زهير ج ٢ : ٢٢٨
 علقمة بن عبدة ١٠٤ ، ٢٥٠
 العلوي الأصفهاني ٣٢٩ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٥١ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧
 علي بن جبلة العكوك ٢١ ، ٢٨ ، ٥٠ ، ٥١
 ١٠٦ ، ج ٢ : ٦٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ٢٣٥
 علي بن الجهم ٨٠ ، ١٠٤ ، ٢٥٣ ، ج ٢ : ٢٣ ، ٢٢١
 علي بن الخليل ٣٤٨
 علي بن عاصم ٢٨٤
 علي بن العباس التوبختي ج ٢ : ١٦٧
 علي بن عبد العزيز الجرجاني ج ٢ : ١٦٨
 علي بن محمد بن الأفوه ٤٩
 علي بن محمد البصري ١٠٨
 علي بن محمد الكوفي ج ٢ : ١٥٨
 عمارة بن عقيل ٧٧ ، ١٣٦ ، ٢٤١ ، ج ٢ : ٢١٩ ، ١٠٩
 العماني ج ٢ : ١٣٧
 عمران بن حطان ٣١٥
 عمران بن عصام ٣٣
 عمر بن أبي ربيعة ١٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢
 عمرو بن الاطنابة ١١٤
 عمرو بن شاس الاسدي ٢٢٤ ، ج ٢ : ٧٢ ، ٧٣
 عمرو بن قبيصة ٢٧٦

عمرو بن كلثوم ٩٠ ج ٢ : ٥٠
 عمرو بن محمد الثقفي ٢٩
 عمرو بن معد يكرب ١١١ ج ٢ : ٥٣٤٢٣
 أبو العميثل ٥٣ ١٦٣ ٢٧٣
 عنزة العبسي ١١٠ ٣١٧ ج ٢ :
 ٦٤ ١٢١ ١٤٨
 عوف بن قطن ١١٧
 عوف بن محم ٢٦٢
 عون بن محمد الموصل ٣٥٢
 عيسى بن أوس ٢٤
 ابن أبي عينة ١٩٠ ١٩١ ج ٢ :
 ١٣٨ ١٣٧
 أبو عينة ج ٢ : ٣١ ٢١٣

(ف)

أبو فراس ج ٢ : ١٢ ٤٩ ٥٠
 ٦١ ١٩٧ ٢٠٠
 الفرزدق ٢١ ٤٩ ٧٨ ٤٣ ١٤٥
 ١٧١ ١٧٤ ١٨٣ ج ٢ : ٨٧ ١١٩
 ١٥٦ ١٦٣ ١٧٧ ٢٣٤ ٢٨١
 فروة بن مسيك الغطيفي ج ٢ : ٢٣١
 أبو الفضل بن العميد ٣٠١
 أبو فضلة ٣٣٥
 القند الزماني ج ٢ : ٦٠
 ابن أبي فتن ٢٨٤ ٣١٥ ٣٤٥

(ق)

قابوس بن وشمكير ج ٢ : ٢٠٢
 القاساني ج ٢ : ٢٥٠

القاسم بن حنبل ٤٣
 القصار ج ٢ : ٧٩
 القصاني ٣٥٣
 القطامي ١٢٤ ٢٤٢ ٢٥٩ ٣٢٩
 ج ٢ : ١١٨ ١٢١ ١٢٧
 قيس بن الأسلت ٢٤٣
 قيس بن الخطيم ١٧٠ ٢٢٩ ٢٧٦
 ج ٢ : ٥٠ ٥١ ٥٧ ٧٠ ١١٩
 قيس بن ذريح ٢٧٠
 قيس بن عاصم ١٣٥ ١٥١
 (ك)

أبو كبير ٣٨
 كثير ٥٨ ٦٣ ٢٣٠
 كشاجم ٦٨ ٢٠٥ ٢١٤ ٢٢٤
 ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٣١ ٢٤٠ ج ٢ :
 ٢٩ ٣٠ ٨٣ ٨٤ ١١٠ ١٥٨
 ٢٤٦ ٢٤٩ ٢٧٢ ٢٧٣ ٣٠٤
 ٣٢٦ - ٣٢٨

كعب بن الأشرف ج ٢ : ٣٩
 كعب بن زهير ١٩٩ ج ٢ : ٦٢
 كعب بن سعد ج ٢ : ١٧٨
 كعب بن مالك ١١٥
 كعب الغنوي ٣٣٧
 كلثوم بن عمرو ١٥٤
 السكيت ج ٢ : ١١٤

(ل)

ليد ١١٨ ٣١١ ج ٢ : ١٢ ١٩٨

محمد بن أبي الموج ٢٣٦
 محمد بن يعقوب بن داود ج ٢ : ٢٠٢
 محمود الوراق ج ٢ : ١٥٣ ، ١٦٤
 النخل ج ٢ : ٦٣
 نخلة الموصل ٣٣٥
 المزار الفقهى ١٢٤
 مروان بن أبي حفصة ٤٧ ، ٥٢
 ١٣٥ ، ١٠٥
 مزاحم العقيلي ج ٢ : ١١٠ ، ١٥٥
 مزرد بن ضرار ج ٢ : ٥٨
 مسعود أخو ذى الرمة ج ٢ : ١٢٨
 مسكين الدارمي ٧٩ ، ٢٩٧ ، ج ٢ : ٥٨
 مسلم بن الوليد ٢٠ ، ٧١ ، ١٠٣ ، ١١٦ ،
 ١١٧ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ، ٢٥٣ ، ٢٦٦ ،
 ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٣١١ ، ٣٤٣ ، ج ٢ :
 ٥١ ، ٧١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ،
 ١٥٨ ، ٢٣٩
 مصعب بن عمير الليثي ٢٠٢ ، ٢٠٣
 المصيصى ٢١٥
 مضر بن ربعى ٣٤٣
 أبو مطاع ٢٦٨
 مطيع بن إلياس ج ٢ : ١٨٤
 أبو المعافى ج ٢ : ١٩١ ، ٢٢٩
 ابن المعتز ٧٠ ، ٧٧ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ١٤٤ ،
 ٢٠٧ ، ٢٢٤ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،
 ٢٤١ - ٢٤٣ ، ٢٤٧ - ٢٥٢ ، ٢٥٧ ،
 ٢٥٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٧ -

ابن لجأ ج ٢ : ١٢٧
 لقيط بن زرار ٨١
 لقيط بن يعمر الأيادي ٥٥
 ابن لنكك ١٨٩ ، ج ٢ : ٢٠١ ، ١٨٠
 ليل الأخيلية ٤٤
 (م)
 المؤمل ٢٢٦ ، ٢٥١
 مالك بن أسماء ج ٢ : ١٦٢
 مالك بن حريم الهمداني ج ٢ : ١٠٧
 مالك بن نويرة ج ٢ : ٥٥
 مان الموسوس ٢٥٢ ، ٢٨٣
 المبرد ١٤٥
 مبشر بن هذيل الشمخى ٨٩
 المتلس ١٣٥
 متمم بن نويرة ج ٢ : ١٧٤ ، ١٧٦
 المتنبى ١٠٨ ، ١٩٦ ، ج ٢ : ٦١ ،
 ٧٦ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١١٩ ،
 ١٧٠ ، ٢٣٧ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٣٢٢
 المجنون ٢٧١ ، ٢٨١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩
 محمد بن أيوب ج ٢ : ٢٠٩
 محمد بن بشر الأزدي ٣٤
 محمد بن جعفر بن محمد ج ٢ : ٦٦
 محمد بن ذؤيب العماني ج ٢ : ٢١٩
 محمد بن زياد الكاتب ج ٢ : ١٦٧
 محمد بن عبد الله بن طاهر ٢٧٠
 محمد بن عبد الله الجعفرى ج ٢ : ٢٣٥
 محمد بن محمد اليزيدى ج ٢ : ١٧١
 محمد بن مسلمة البشري ج ٢ : ٦٧

٣٤٦ ج ٢ : ٣٩٠ ٦٧٠ ٦٨٠
 ٧٠ ١٤٥ ١٩٦ ٢٤٩
 الناجم ٢١١ ٢١٢ ٢١٥ ٢٨٠ ٣١٩
 ٣٢١ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٨ ج ٢ : ١٦٥
 الناشئ ٢٣٥ ٢٥٤ ٣١٢ ٣٣٤
 ج ٢ : ٢٢٨
 النجاشي ١٧٦ ١٧٧
 أبو النجم ١١٣ ٢٧٩
 أبو نخيلة ج ٢ : ١١٦
 أبو النشاش ٨٨
 نصر بن أحمد ٢٤٦ ٢٧٢ ٢٩٧
 ج ٢ : ٣٧
 نصيب ١٧ ٣٣ ١٢٩ ٢٦٢
 النظار الفقعي ٢٨٢ ج ٢ : ٧
 النمر بن تولب ١٢ ٨٠ ٢٢٩ ٢٥٥
 ٢٦٥ ج ٢ : ١٣ ٣٩ ٥١ ١٨٣
 ٢٢٦
 النميري ٢٦٠
 نهشل بن حري ٦٥
 نيك بن أساف ج ٢ : ١٩٨
 أبو نواس ٣٦ ٣٧ ٥٨ ٧١ ١٢٧
 ١٤٤ ١٤٥ ١٥١ ١٧٩ ١٨٦
 ١٨٧ ١٩٤ ٢٠٢ ٢٠٥ ٢٢٣
 ٢٣٠ ٢٣٢ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٥٠
 ٢٥٤ ٢٦٣ ٢٦٥ ٣٠٥ ٣٠٦
 ٣٠٨ ٣١١ ٣١٣ ٣٢٠ ٣٢١
 ٣٤٣ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٦٠ ج ٢ :
 ٢٠ ٧٠ ٩٩ ١٠٣ ١٠٩ ١٢٠

٢٨٩ ٣٠٧ - ٣١٠ ٣١٢ ٣١٥
 ٣١٧ ٣٢١ ٣٢٩ ٣٣٣ ٣٣٥
 ٣٤٠ ٣٤٢ ٣٤٤ ٣٤٨ ٣٥٣
 ٣٥٥ - ٣٦٠ ج ٢ : ١٠ ١٦ ٢٤
 ٢٦ ٣١ ٣٨ ٤٠ ٤١ ٤٦
 ٤٧ ٥١ ٥٤ ٥٧ - ٥٩ ٦١ ٦٥
 ٦٧ ٧٥ ٨١ ١٠٧ ١٠٨ ١١٢
 - ١١٤ ١١٦ ١٢١ ١٢٣ ١٢٦
 ١٢٩ ١٣٠ ١٣٢ ١٣٦ ١٣٧
 ١٤٠ ١٤١ ١٤٥ ١٤٧ ١٤٨
 ١٥٠ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٧ ١٧٩
 ١٨٢ ٢٢١ ٢٤١
 المعذل بن غيلان ٢٨٠
 معن بن أوس المزني ١١٣ ١٥٣
 المفضل النكري ج ٢ : ٤٩
 ابن مقبل ج ٢ : ١٦١ ٢٤٣
 المقنع الكندي ج ٢ : ١٥٦
 أبو مكنت الأسدي ج ٢ : ٢١٦
 ابن منذر ج ٢ : ١١٨ ١٧٥
 منصور النمر ٢٨ ٣٥ ٥٨ ٥٩
 ٢٥٣ ج ٢ : ٥٦ ٦٧ ١٥٣ ١٥٦
 مهبل ١٧٣ ج ٢ : ١٧٦
 موسى بن سحيم ج ٢ : ٢٠١
 ابن ميادة ١٢٣

()

النايفة الجعدي ٣٤ ٣٦ ج ٢ : ٦٦
 النايفة الديباني ١٥ - ١٧ ١٩ ٢٠
 ٢٧ ٢١٧ ٢١٨ ٢٣٨ ٢٨٠

٢٧٦، ٢٦٩ - ٢٦٦، ٢٦٤، ٢٦٣
 - ٢٩٢، ٢٩٠ - ٢٨٨، ٢٧٩، ٢٧٨
 ، ٣٠٤، ٣٠٢، ٢٩٨، ٢٩٧، ٢٩٥
 - ٣١٧، ٣١٣ - ٣١٠، ٣٠٨ - ٣٠٦
 ، ٣٣١، ٣٢٨، ٣٢٤، ٣٢٣، ٣١٩
 - ٣٤٩، ٣٤٧، ٣٤٥ - ٣٣٥، ٣٣٣
 ، ٣٥٩، ٣٥٧، ٣٥٦، ٣٥٤، ٣٥١
 ، ٣٣٠، ٣٢٠، ٣١٠، ٣٠٠، ٢٩٠، ٢٨٠، ٢٧٠، ٢٦٠، ٢٥٠، ٢٤٠، ٢٣٠، ٢٢٠، ٢١٠، ٢٠٠، ١٩٠، ١٨٠، ١٧٠، ١٦٠، ١٥٠، ١٤٠، ١٣٠، ١٢٠، ١١٠، ١٠٠، ٩٠، ٨٠، ٧٠، ٦٠، ٥٠، ٤٠، ٣٠، ٢٠، ١٠، ٠
 - ١١٠، ١٠٨، ١٠٠، ٩٣، ٩٢، ٨٤
 - ١٣٦، ١٢٩، ١٢٤، ١٢٣، ١١٢
 ، ١٥٠، ١٤٨، ١٤٦، ١٤٥، ١٤٢
 ، ١٦٤، ١٦٢، ١٥٩ - ١٥٤، ١٥١
 ، ١٨٢ - ١٨٠، ١٧١ - ١٦٩، ١٦٧
 ، ٢٠٤ - ٢٠١، ١٩٧، ١٩٦، ١٨٩
 ، ٢٤١ - ٢٣٩، ٢٢١، ٢١٥، ٢١٣

٢٤٩، ٢٤٧، ٢٤٣

أبو الهندي ٣١١

أبو الهول ج ٢: ٢٤٤

أبو الهيثم ١٧٧

(ي)

ابن يامين ج ٢: ٥٢

يحيى بن زياد الحارثي ١٢٦، ٣١٨

يحيى بن طالب الخنق ج ٢: ١٨٧

يزيد بن الطرية ٢٥٩، ٣٣٤، ج ٢: ١٦٢

يزيد بن معاوية ٣٠٨

يزيد الملهي ج ٢: ١٩٩

يعقوب بن الربيع ج ٢: ٢٢٤

١٢١، ١٢٥، ١٢٧، ١٣٢ - ١٣٤

١٣٨ - ١٤٠، ١٦٦، ١٨١، ٢٠٦

(و)

الواثق بالله ج ٢: ١٦٥

أبو وجزة السعدي ٥٩

وضاح اليمن ٢٢٥، ٢٢٦

وهب بن عمرو ١٥٧

ابن وهب ٢٨

(هـ)

هرون بن علي ٩٣، ٣٢٧

هرون بن محمد الآملي ١٩٦

ابن هرمة ٣٣، ١١٩، ٢٨٩، ٣٥٨، ج ٢: ٦٥

أبو هفان ٦٥، ٨٠

أبو هلال العسكري مؤلف الديوان ٢ -

١٣٠، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٧

٢٩، ٣٠، ٤٢، ٤٣، ٥٣ - ٥٩، ٥٥

٦٠، ٦٤، ٦٩ - ٧٥، ٧٩، ٨٤، ٨٠

٨٨ - ٩٠، ٩٢، ٩٩، ١٠٠، ١٠٧

١٠٩، ١١٠، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٤

١٢٨، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٩، ١٤٠

١٤٢، ١٤٥، ١٤٨، ١٥١، ١٦٩

١٦٧، ١٧٨ - ١٨٠، ١٨٤، ١٨٦

١٨٨، ١٩١ - ١٩٣، ١٩٧، ٢٠١

٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠

٢١١، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٥

٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤١

٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٧ - ٢٤٩، ٢٥١

٢٥٣، ٢٥٥ - ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦١

- ٣ منجد المقرئين وطبقات قراء العشرة لابن الجوزي (الورق الخشن ٢)
- ١٢٥٠ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للشعبي (وهو في الزيادات على الكتب الستة) عشرة أجزاء .
- ٢٠٠ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد . وهو أجمع كتاب مطبوع في التراجم ومنهم الحوادث لألف سنة (ثمانية أجزاء ، والورق الأصفر ١٦٠)
- ٣٠ كشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني
- ١٢ الحاوي للفتاوى (من فقه وحديث وتفسير وأصول وتصوف ونحو . .) للسيوطي
- ٢٠ ديوان المعاني (في الشعر والنثر وتقدمها) لأبي هلال العسكري .
- ٢ الطب الروحاني لابن الجوزي ، ١ المسائل والأجوبة لابن قتيبة .
- ١٥ شرح أدب الكاتب للجوانيقي (الورق الخشن ١٠) .
- ١٥ تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والآسانيد المسمى بالتقصي لأحمد بن الموطأ وتراجم شيوخ الإمام مالك واختلاف الموطآت لابن عبد البر .
- ٤ الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة (الأسمر ٣) .
- ٤ المبهم في تفسير شعراء الحماسة لابن جني ، ٣ دفع شبه التشبيه لابن الجوزي .
- ٦ الانتقام في فضائل الفقهاء : مالك والشافعي وأبي حنيفة وأصحابهم لابن عبد البر .
- ٦ القصد والامم في التعريف بأنسب العرب والعجم ، والانباء على قبائل الرواه
- ٢ إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ لابن طولون .
- ٦ الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي (وهو كتاريخ للتاريخ الاسلامي) .
- ١٠ الكشف عن مساوي المتنبي للصاحب بن عباد ، وذم الخطأ في الشعر لابن فارس .
- ٢٠ تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الامام أبي الحسن الأشعري المعروف بطبقات الأشاعرة لابن عساكر (فيزهاه ثمانين ترجمة) (الأسمر ١٦) .
- ٣ شروط الأئمة الخمسة البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي .
- ٤ انتقاد (المغني عن الحفظ والكتاب) للقدسني .
- ٨ جني الجنتين في تمييز نوعي المثنيين للبحي (وهو كعجم للشنيات العربية) .
- ٤ أخبار الظراف والمتاجنين (من الرجال والنساء) لابن الجوزي .
- ٧ رسائل تاريخية لابن طولون : الفلك المشحون بأحوال محمد بن طولون ، والشمعة المضية في أخبار القلعة الدمشقية ، والمعزة في تاريخ المزة ، والنكت التاريخية .
- ١ الحث على التجارة والصناعة والعمل والرد على من يدعي التوكل بترك العمل للخلال .
- ٢٥ ذيول تذكرة الحفاظ للحسيني وابن فهد والسيوطي والطهطاوي (الأسمر ٢٠)
- ١ بيان زغل العلم والطلب للذهبي ، ٣ الدرة المضية في الرد على ابن تيمية للسبكي .
- ٢ إتحاف الفاضل بالفغل المبني لغير الفاعل لابن علان ، ورسالة في النحو للصناديقي
- ١ المتوكلي فيما وافق من العربية اللغات العجمية ، وأصول الكلمات اللغوية للسيوطي
- ٩ التطفيل وأخبار الطفيليين وأشعارهم للخطيب البغدادي .

Bibliotheca Alexandrina



0355454